مناقب الأبرار ومحاسن الأخيار

الحسين بن نصر ابن خميس

٤٦٦ - ٥٥٢ هـ

المجلد الأول

تحقيق

محمد أديب الجادر

مركز زايد للتراث والتاريخ

مناقب الأبرار ومحاسن الأخيار

الحسين بن نصر ابن خميس

٤٦٦ - ٥٥٢ هـ

المجلد الأول

تحقيق

محمد أديب الجادر

إصدارات

مركز زايد للتراث والتاريخ

مناقب الأبرار
ومحاسن الأخيار

رقم التصنيف	ديوي 922.6
المؤلف ومن هو في حكمه	: الحسين بن نصر ابن خميس ـ ٤٦٦ ـ ٥٢٢ هـ ـ
تحقيق	محمد أديب الجادر
عنوان الكتاب	مناقب الأبرار ومحاسن الأخيار
الموضوع الرئيس	التصوف الإسلامي ـ تراجم
قيد الكتاب	تم قيد الكتاب في سجل الإيداع النوعي، بقسم الملكية الفكرية وحقوق المؤلف بوزارة الإعلام والثقافة تحت رقم: (٧٨ ـ ٢٠٠٦) تاريخ ٢٠٠٦/٣/٦
الناشر	مركز زايد للتراث والتاريخ ـ العين ـ دولة الإمارات العربية المتحدة
ملتزم الطبع	دار البارودي ـ أبو ظبي ص.ب ٤٢٨٦٠
توصيف الكتاب	مقاس ١٧ × ٢٤، المجلد الثاني عدد الصفحات ٥٢٨ صفحة
الرقم الدولي للمجموعة	ISBN 9948-06-138-1
الرقم الدولي للمجلد الثاني	ISBN 9948-06-140-3

الطبعة الأولى

١٤٢٧ هـ ـ ٢٠٠٦ م

مركز زايد للتراث والتاريخ

ZAYED CENTER FOR HERITAGE AND HISTORY

ص. ب. ٢٣٨٨٨ العين ـ الإمارات العربية المتحدة ـ هاتف ٧٦١٥١٦٦ ـ ٣ ـ ٩٧١ ـ فاكس: ٧٦١٥١٧٧ ـ ٣ ـ ٩٧١

P.O. BOX: 23888 AL AIN - U. A. E. - TEL: 971 - 3 - 7615166, - FAX: 971 - 3 - 7615177

E-mail: zc4HH@zayedcenter.org.AE

كلمة المركز

انطلاقاً من أهداف مركز زايد للتراث والتاريخ بالاهتمام بذخائر التراث العربي ودراسة مصادره وتحقيقها ونشرها، يسعدنا أن نضع بين يدي الباحثين المختصين والمهتمين بالتراث العربي الإسلامي، كتاباً فريداً من كتب التاريخ والتراجم، هو كتاب «**مناقب الأبرار ومحاسن الأخيار**» لمؤلفه الحسين بن نصر الجهني المعروف بابن خميس من أعيان القرن السادس الهجري.

والكتاب موسوعة في كتب الأعلام، ضم بين دفتيه عدة كتب تعدّ عمدة أهل هذا الفن، هذّبها ابن خميس ورتّبها وزاد عليها من سماعاته الصحيحة، فاستوفى أخبار القوم، وحصر آثارهم ومناقبهم، فغدا الكتاب أصلاً يعوّل عليه الذين جاؤوا بعده، ممّن ألّفوا في فن التراجم.

وقد بذل محقق الكتاب وُسعه لإخراج الكتاب مخرجاً، يُشكر عليه تحقيقاً ودراسةً وتوثيقاً للنصوص، بالإضافة إلى كثير من التعليقات والحواشي المفيدة التي أسهمت في إضاءة جوانب الكتاب، وإلى الفهارس التفصيلية الموصلة إلى كل جزئية من جزئياته.

والله ولي التوفيق

د. حسن محمد النابودة

مدير المركز

مقدمة المحقق

بسم الله الرحمن الرحيم

وأفضل الصلاة وأتم التسليم

على

محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

وبعد، فإن طيب كلام القوم ـ بعد النُّورَيْنِ ـ مازال الهادي الأرشد، وجميل فعالهم وحكاياتهم هي الجند الأوفى والأقرب، أولئك قوم حملوا قول الله تعالى، وهدي نبيِّه ﷺ، وبلّغوا عملاً وفعلاً، قدموه قواعدَ أخلاقية ونظمًا سلوكية وآدابًا اجتماعية بأقربِ الطرق وأسهل السبل دون عنعنة ولا تقعّر.

قول وفعل تقبلتهما الأمة قبولاً حسنًا، ورضيت عنها فاتخذتها ـ من جملة ما اتخذت ـ نبراسًا هاديًا ودليلاً ساطعًا.

وأجدني بعد قولي هذا قد رمقني فقيه ومحدث، يقول لسان حاله: أبعدت وبالغت، وأتيت من القول هجراً، لقد ادّعيتَ وتجنيت. فأستغفرُ الله لي وله، وأقول ما قاله ابن الأثير في جامع الأصول (٨٨٨١) لمّا راح يتكلم عن حديث المصطفى ﷺ: «إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مئة سنة من يجدد لها دينها» الذي أخرجه أبو داود (٤٢٩١) بإسناد صحيح: ولا يلزم منه أن يكونَ المبعوثُ على رأس المئة رجلاً واحداً، وإنّما قد يكون واحداً، وقد يكونُ أكثرَ منه، فإن لفظة «من» تقع على الواحد والجمع، وكذلك لا يلزم منه أن يكون أراد بالمبعوث الفُقهاء خاصةً، كما ذهب إليه بعض العلماء، فإنَّ انتفاع الأمة بالفقهاء، وإن كان نفعاً عاماً في أمور الدين، فإنَّ انتفاعهم بغيرهم أيضاً كثيرٌ، مثل أُولي

الأمر، وأصحاب الحديث والقرّاء والوعّاظ، وأصحاب الطبقات من الزهّاد، فإنَّ كلَّ قوم ينفعون بفنٍّ لا ينفع به الاخر، إذ الأصل في حفظ الدين حفظ قانون السياسةً، وبثّ العدل والتناصُف الذي به تُحقن الدماء، ويتمكَّن من إقامة قوانين الشرع، وهذا وظيفةُ أولي الأمر، وكذلك أصحاب الحديث: ينفعون بضبط الأحاديث التي هي أدلة الشرع، والقرَّاء ينفعون بحفظ القراءات وضبط الروايات، والزهاد يَنفعون بالمواعظ والحثّ على لزوم التقوى والزهد في الدنيا، فكل واحد ينفعُ بغير ما ينفع به الآخر

ابن خميس:

على كثرة الكتب التي ترجمت له، وأثنت عليه خيرًا، فإن ما ذكرته لا يشفي عليلاً ولا يروي غليلاً، فلا توجد له ترجمة وافية في كل هذه الكتب، بل راحت الكتب التي ترجمت له ينسخ بعضها عن بعض.

فهو. الحسين بن نصر بن محمد بن الحسين الجُهَني - نسبة إلى جهينة؛ قرية من قرى الموصل - الكَعْبي - نسبة إلى بني كعب[1] - الموصلي القاضي، أبو عبد الله، تاج الإسلام، مجد الدين، قاضي رحبة مالك بن طوق[2]

- ولد في العشرين من المحرم سنة ٤٦٦ للهجرة بالموصل.
- رحل إلى بغداد قبل سنة ٤٨٠هـ طلبًا للعلم.
- ولي القضاء برحبة مالك بن طَوْق زمناً.
- رجع إلى الموصل مدة وحدّث بها
- عاد إلى بغداد، محدثًا واعظًا فقيهًا.
- آب مجددًا إلى الموصل، وتوفي بها في العشر الأوسط من شهر ربيع الآخر سنة ٥٥٢هـ

---

(١) قال ابن خلكان في وفيات الأعيان ٢/ ١٤٠: نسبة إلى بني كعب، وهم أربع قبائل، ولا أعلم المذكور - ابن خميس - إلى أيها ينتسب.

(٢) رحبة مالك بن طوق: مدينة بين الرقة وبغداد على شاطىء الفرات.

قيل عنه:

- قال ابن السمعاني عنه: إمام فاضل ديّن، حسن الأخلاق، بهي المنظر، مليح الشيبة، كثير المحفوظ. (تاريخ الإسلام، سير أعلام النبلاء).

- قال ابن شافع في تاريخه عنه: كان شيخًا ذا فنون من أهل العلم. أما سماعاته فصحيحة. (تكملة الإكمال).

- قال الإمام الذهبي في السير: الفقيه الإمام.

- قال ابن خلكان: الفقيه الشّافعي.

- قال الإسنوي في طبقاته عنه: كان فقيهًا فاضلاً.

مشايخه:

- أخذ العلم عن جملة طيبة من علماء عصره، وهو صاحب سماعات صحيحة، أهمهم:

١ـ محمد بن محمد الغزالي، أبو حامد، وقد قرأ الفقه عليه.

٢ـ محمد بن فتوح بن عبد الله الحميدي، أبو عبد الله الأزدي الميورقي (سير أعلام النبلاء ١٩/ ١٢٢).

٣ـ أبو نصر بن ودعان، سمع منه بالموصل، وأثبت عليه أحاديث.

٤ـ أبو الحسين بن يوسف.

٥ـ أبو الحسن بن أيوب.

٦ـ الحسين بن أحمد بن محمد بن طلحة.

٧ـ أحمد بن عبد القادر بن يوسف.

٨ـ طراد بن محمد الزينبي أبو الفوارس، النقيب.

٩ـ عبد المحسن الشِّيحي.

١٠ـ محمد بن المظفر بن بكران الشّامي.

١١ـ محمود الفرضي، أبو الثَّناء.

١٢ـ نصر بن أحمد بن البطر، أبو الخطاب.

طلابه؛ ومن أخذ العلم عنه:

إن لم نستطع أن نحصي أساتذته ومشايخه، فالعجز عن إحصاء طلابه ومن أخذ العلم عنه من باب أولى، ولكنني أسرد ما تيسر لي جمعه:

١ـ إبراهيم بن نصر بن عسكر السَّلامي قاضي السلامية، قرية قريبة من الموصل (معجم البلدان: سلامية).

٢ـ البهاء السنجاري، أبو المعالي (وفيات الأعيان ٧/ ٣١٢).

٣ـ فتيان بن أحمد بن محمد بن فضائل الموصلي، المعروف بابن سمينة.

٤ـ عبد الله بن محمد بن هبة الله بن أبي عصرون، أبو سعد التَّميمي الحديثي الموصلي.

٥ـ عبد الكريم بن محمد الرَّافعي القزويني صاحب كتاب «أخبار قزوين».

٦ـ عبد الكريم بن محمد بن منصور أبو سعد التَّميمي السَّمعاني.

٧ـ عبد الملك بن زيد بن ياسين الدّولعي.

٨ـ محمد بن محمد بن عمروك البكري أبو الفتوح.

٩ـ المشرف بن المؤيد بن علي الهمذاني الصُّوفي، المعروف بابن الحاجب.

١٠ـ يونس بن محمد بن منعة بن مالك، رضي الدين الإِربلي.

مؤلفاته:

١ـ أخبار المنامات. (كشف الظنون ٣٠).

٢ـ تحريم الغيبة. (كشف الظنون ٣٥٩).

٣ـ المرج الموضح[١] (كشف الظنون ١٦٥٣ وهو على مذهبِ زيد بن ثابت).

٤ـ مناسك الحج[٢] (إيضاح المكنون ٢/ ٥٥٧).

٥ـ مناقب الأبرار. وسنتكلم عنه بشيء من التفصيل.

٦ـ منهج التوحيد. (سير أعلام النبلاء، الوافي بالوفيات، طبقات السبكي).

٧ـ منهج المريد[٣] (كشف الظنون ١٨٨١، سير أعلام النبلاء، الوافي بالوفيات، طبقات السبكي).

كتاب مناقب الأبرار ومحاسن الأخيار:

لم يصلنا من مؤلفات ابن خميس رحمه الله إلا كتابه «مناقب الأبرار ومحاسن الأخيار»، أما باقي مؤلفاته فلم نعرف عنها شيئًا سوى أسمائها على اضطراب في تسمياتها.

والكتاب قد بناه مؤلفه على ثلاثة أبواب:

الباب الأول: مقدمة صغيرة بيّن فيها سبب تأليفه للكتاب لما رآه من تقصيرٍ في الكتب التي ترجمت للسادة الصُّوفية (طبقات الصُّوفية للسلمي، حلية الأولياء لأبي نعيم، بهجة الأسرار ولوامع الأنوار لابن جهضم، وتهذيب الأسرار لأبي سعد عبد الملك الخركوشي، والرِّسالة القشيرية) التي لم تستوف أخبارهم، ولا حصر مناقبهم وآثارهم، فجمعها بعد أن

(١) في الوافي بالوفيات ١٣/ ٧٩: فرح الموضح.

(٢) سماه الصفدي في الوافي بالوفيات: لؤلؤة المناسك.

(٣) جعل صاحب كتاب كشف الظنون ١٨٨١ الكتابين منهج التوحيد، ومنهج المريد كتابًا واحدًا، بعنوان منهج المريد في التوحيد.

حذف أسانيدها المعنعنة، وزاد عليها من مسموعاته المسطورة في غيرها

الباب الثاني: ويشمل لب الكتاب ومعظم جرمه، ويتألف من (١٠٩) تراجم، تتفاوت ما بين صفحةٍ واحدة (انظر ترجمة محمد بن أحمد الشبهي صفحة ٨٧٣) إلى خمسين صفحة (انظر ترجمة ذي النون المصري صفحة ٥٩). وهو يتبع خطا أستاذه ومرشده أبي عبد الرحمن السّلمي في كتابه طبقات الصُّوفية، والقشيري في رسالته من جهة ترتيب التَّراجم على طبقاتهم.

أما ما يتعلق بسياق أخبار التَّرجمة، فإن المؤلف يسوق أخبار طبقات رجال السّلمي، ثم يستعرض الرِّسالة القشيرية، ويثبت أخبار المترجم منها على بعد المسافات، ثم يأتي على حلية الأولياء، وبهجة الأسرار، وفي نهاية الترجمة يسرد ما يجده في كتاب الخركوشي تهذيب الأسرار.

الباب الثالث: وهو ما سرده ابن خميس من مسموعاته بعد أن ذكر تقصير من سبقه ممن أشرنا إليهم فقال:

رأيت أن أُفرغَ وسعي، وأجرّد قصدي، وأُشمّرَ عن ساق جهدي، وأَجمع كلَّ ما في هذه المصنَّفاتِ المشهورة، وأُضيفَ إليه زيادةً عليها من مسموعاتي المَسطورة في غيرها، ما نُقِلَ من أحوالهم، وأقوالهم، ومواعظهم، وأفعالهم، ونتفهم، وأشعارهم، وأدعيتهم في دثارِهم وشعارهم، في كتابٍ مُفردٍ، يُرجعُ إليه، ويُعتمد عليه.

وتقع هذه الأخبار من الصفحة (٨٨٥) إلى الصفحة (٩٤١)، مشتملة على (٧٩) خبرًا

وهذا الكتاب كان موضع وهم وتخمين؛ فقد قال ابن خلكان عنه في وفيات الأعيان ٢/ ١٣٩ «مناقب الأبرار» على أسلوب رسالة القشيري.

وأجابه اليافعي في مرآة الجنان ٣/ ٣٠٣ قائلاً: وقول ابن خلكان: (على أسلوب رسالة القشيري) ليس إطلاقه هذا بمرضي ولا صحيح، فإن

رسالة القشيري جمعت أصنافًا من العقائد والآداب، وذِكر المقامات والأحوال وأسمائها واصطلاحات المشايخ الصُّوفية من ذلك ذكر اللَّوامع والطَّوالع. والمحبة والشَّوق والأنس والهيبة والسّكر والغيبة والفناء والبقاء إلى غير ذلك مما يطول ذكره مما لم يذكره في «مناقب الأبرار» المذكور، وإنما ذكر فيه مما يناسب ما في «الرّسالة» قوله: ومنهم، ومنهم فحسب.

ويعد كتاب «مناقب الأبرار» مصدرًا لكتب عدة فقد ألف ابن الأثير رحمه الله كتابه «المختار في مناقب الأبرار» معتمداً عليه ناقلاً جلَّ أخباره دون الإشارة إلى ذلك.

كما كان المصدر الرئيس لكتاب فريد الدين العطار: «تذكرة الأولياء».

أما الكتب التي وجدتُها قد ذكرتْه صراحة، وأخذتْ عنه فأقدمُها:

١ـ «طبقات فقهاء الشّافعية» لابن صلاح المتوفى سنة ٦٤٣هـ في موضعين: ١/ ١٥٤، ٣٩٥

٢ـ «طبقات الأولياء» لابن الملقن المتوفى سنة ٨٠٤هـ صفحة ٢٩٦

٣ـ كتاب «المكنون في مناقب أبي الفيض ذي النون» للسيوطي المتوفى سنة ٩١١هـ الورقة (٥/ ب) من مخطوطة تشيستر بتي.

٤ـ «الرّوضة الرّيا في تاريخ داريا» للعمادي المتوفى سنة ١٠٥٢هـ صفحة ٩٦، ٩٨

وفي الختام أسوق خبراً يبين أهمية الكتاب، وقيمته وانتشار صيته، فقد ذكر الأستاذ نور الدين شريبة في مقدمة كتاب «طبقات الصوفية» لأبي عبد الرحمن السلمي أنه عندما أراد تحقيقه كتب إليه الأستاذ بدرسن بجامعة كوبنهاجن وتلميذه الأستاذ عثمان عبد الدايم يطلب إليه أن يشغل نفسه بنشر وإخراج الكتب القيمة ذات النفع لـ: «مناقب الأبرار» لابن خميس.

النسخ الخطية التي اعتمدت عليها في إخراج الكتاب:

للكتاب نسخ خطية عدّة ذكرها بروكلمان في كتابه تاريخ الأدب العربي ٤/ ٣٣٨ وهي توبنجن ١٧، ليبزج ٢٢٠، ليدن ١٠٧٢، برلين ٧/٩٩٨٦، ٩٩٨٠، بودليانا أول ٨١٦، المتحف البريطاني ١٢٨٥، ١٦٢٧، بروسة حراتشي زاده تاريخ ٢٠، القاهرة أول سابع ٦٧٢، وثان ٥/ ٣٦٠، جاريت ٦٧٤، ولي الدين ١٦١٨ وبعنوان «طبقات الأولياء» الإسكندرية تاريخ ٨٤.

وزاد عليه الدكتور رمضان ششن في كتابه نوادر المخطوطات العربية في مكتبات تركيا ١/ ٨٤ نسخًا أخرى للكتاب وهي: خراجي أوغلي ١٠٦٤، سليميه ٢٨٤، بوردور ١٩٧٢ مغنيسا ١/١١٥٩

وهناك نسخة ذكرها فؤاد سيد في كتابه فهرس المخطوطات المصورة في معهد المخطوطات العربية؛ التاريخ: القسم الثاني صفحة ١٥٥ سوهاج ١١٥ تصوف ـ ف٤٩٣

وإن دلّت هذه النسخ على شيء، فإنما تدل على أهمية الكتاب، وتلقي الأمة له بالقبول والرِّضا

أما المخطوطات التي اعتمدت عليها في تحقيق هذا الكتاب فهي:

١ـ مخطوطة المكتبة الأزهرية بالقاهرة ـ رواق الشّوام ـ ذات الرقم (٣٥٤) وتقع في ٢٣٠ ورقة في كل صفحة (٢٣) سطرًا، كتبت بخط نسخ معتاد، قليلة التَّصحيف والتَّحريف والسَّقط، نسخها الحاج مقبل بن عبد الله عتيق الحاج محمد بن عثمان بن خضر الحارمي في خامس عشر شهر ربيع الآخر سنة أربع وأربعين وسبع مئة وقد كتب على غلافها خطأً: تأليف الحافظ أبي الفرج عبد الرحمن ابن الجوزي. وقد جعلتها أصلاً، ورمزت لها بحرف (أ).

٢ـ مخطوطة المكتبة الخالدية بالقدس (نسبة للشيخ خليل الخالدي)، مصورة معهد إحياء المخطوطات العربية، رقم الفلم (٤١) وتقع في ٣١٨ ورقة، في كل صفحة (٢١) سطرًا، كتبت بخط نسخ معتاد قديم عدا الكراسات الأولى منها فإنها كتبت بخط أحدث؛ نسخها إسماعيل بن أحمد بن سعيد بن ملكوه المعروف بابن البخاري سنة ٥٨٩هـ، ورمزت إليها بحرف (ب). وقد أتى التَّصوير السيئ الذي تم سنة ١٣٧٣هـ ـ ١٩٥٣م على صفحات منها، فأتت سرابية تتعذر قراءة بعض سطورها

وقد تفضل الأخ الأستاذ الدكتور المهندس يسار بن عزيز بن أبي اليسر عابدين بإهدائي هاتين النُّسختين جزاه الله كل خير.

٣ـ مخطوطة المكتبة الظّاهرية ذات الرقم (١٣٦٧) وتقع في ١٠٣ ورقات، في كل صفحة (٢١) سطرًا، وهي نسخة قديمة نسخها في مقام بعلبك المحروسة الفقير إلى الله تعالى أبو بكر بن محمد الشرستي.

وهي منتقاة من كتاب «المناقب»، وتنتهي عند ترجمة أبي بكر الزَّقاق صفحة (٤٣١). أي إنها تشتمل ثلث الكتاب تقريباً. وقد رمزت إليها بـ: (المنتقى). وقد تفضل الأخ الأستاذ عدنان عبد ربه بإعارتها لي.

خطة العمل:

من نافلة القول ذكرُ خطة عمل تحقيق عمل ما، ولكن لا بدّ مما ليس منه بدٌّ، فقد خرّجت الآيات الكريمة، والأحاديث الشريفة، وأثبت مصادر التَّراجم، وعارضت ما استطعتُ الأخبارَ بعضها على بعض، وأثبت الصَّواب قدر الاستطاعة، وعرّفت ما أمكن بالرِّجال والأماكن والجماعات.

وبذلت قصارى جهدي لتخريج كل قول أو خبر أو حكاية. مشيرًا إلى الجزء والصفحة. أما في كتاب «الرسالة القشيرية» فقد أضفت إليها اسم الباب؛ وذلك لكثرة الطبعات التي تناولت هذا المؤلف الجليل، وصعوبة

الرجوع إلى الخبر بتحديد الصفحة فقط، وأردت العمل أن يكون كما أحبُّ، ولكن الكمال لكتابه العزيز.

ولا أستطيع في النهاية إلا أن أقدم كل شكري وامتناني لأخي الأستاذ مروان بواب أبي يوسف لما تفضل علي من قراءة الكتاب، وإسداء جملة ملاحظات كان لها الأثر الطيب في تصويب إخطاء وتقويم معوج.

اللَّهُمَّ لك الحمد أولاً وآخرًا.

اللَّهُمَّ رب بما أنعمت عليَّ فلن أكون ظهيرًا للمجرمين.

اللَّهُمَّ تقبل عملي واجعله خالصًا لوجهك الكريم.

دمشق: رجب ١٤٢٥

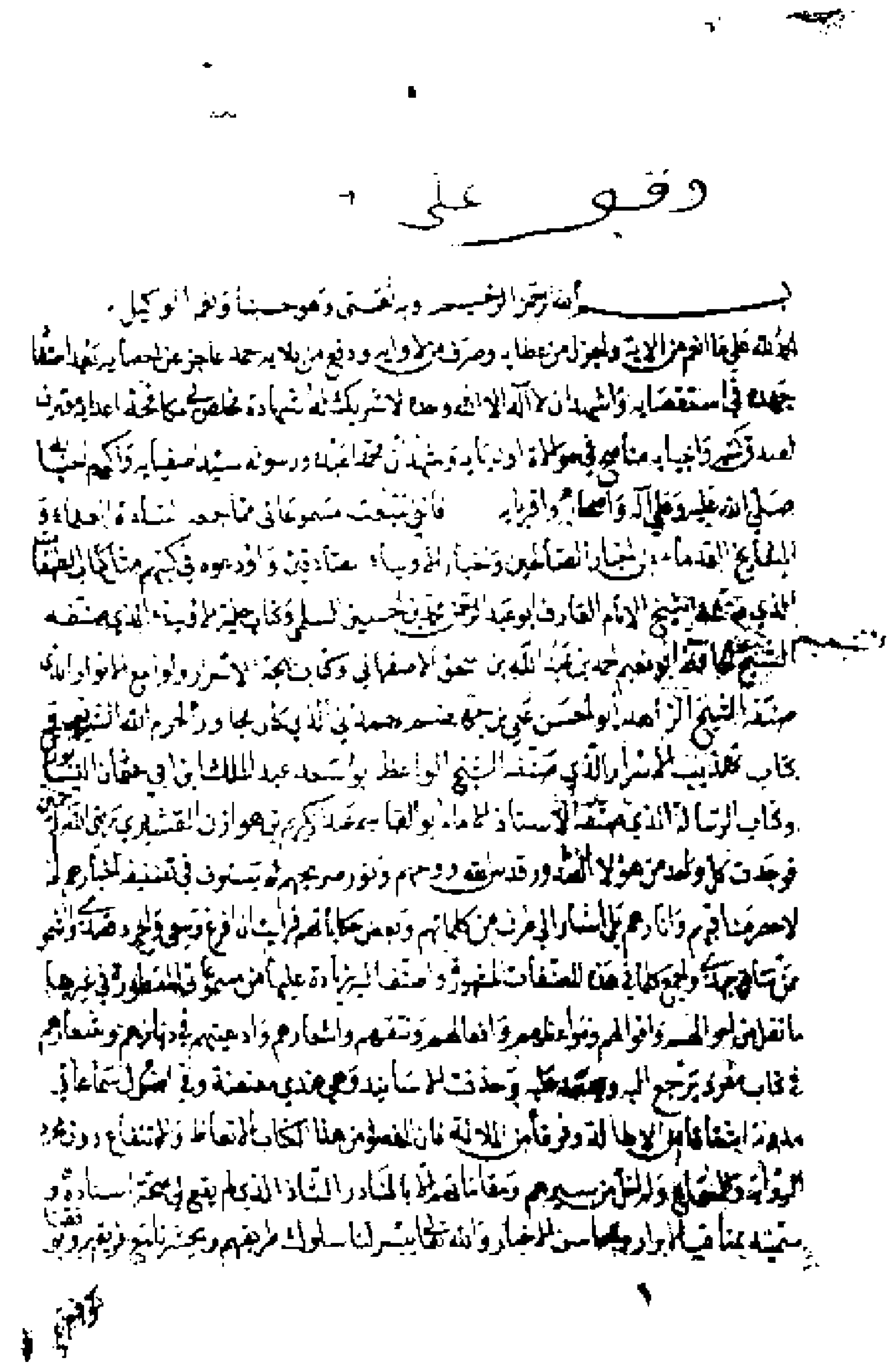
آب ٢٠٠٤م

محمد أديب الجادر

ثبت المصادر والمراجع المعتمدة في هذه المقدمة

معجم البلدان (الجهنية، الدولعية) تكملة الإكمال لابن نقطة ٦/ ٤٤٠، طبقات الفقهاء الشافعية ابن الصلاح ١/ ١٥٤، ٣٩٥، وفيات الأعيان ٢/ ١٣٩، طبقات الشافعية الكبرى ٧/ ٨١، طبقات الإسنوي ١/٤٨٨، تاريخ الإسلام (وفيات ٥٥٢، صفحة ٨٠)، سير أعلام النبلاء ٢٠/ ٢٩١، مرآة الجنان ٣/ ٣٠٢، الوافي بالوفيات ١٣/ ٧٨، طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة ٢/ ٢٥، ٢٦، الروضة الريا فيمن دفن في داريا، ٩٦، ٩٨، كشف الظنون ٣٠، ٣٥٩، إيضاح المكنون ٢/ ٥٥٧، هدية العارفين ١/ ٣١٣، تاريخ الأدب العربي لبروكلمان ٤/ ٣٣٨، فهرس مخطوطات الظاهرية (التصوف) ٢/ ٧٤٤، فهرس المخطوطات المصورة (معهد المخطوطات) التاريخ ٢/ ٢/ ١٥٥، ٢/ ٣/ ٢٩١، ٢٩٣، نوادر المخطوطات العربية في مكتبات تركيا ١/ ٨٣.

صور المخطوطات المستعان بها
في تحقيق الكتاب


بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين وهو حسبنا ونعم الوكيل

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له

صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وأقربائه فإني تتبعت

الشيخ الإمام العارف أبو عبد الرحمن محمد بن الحسين السلمي وكتاب حلية الأولياء الذي صنفه

الشيخ الحافظ أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن إسحاق الأصفهاني

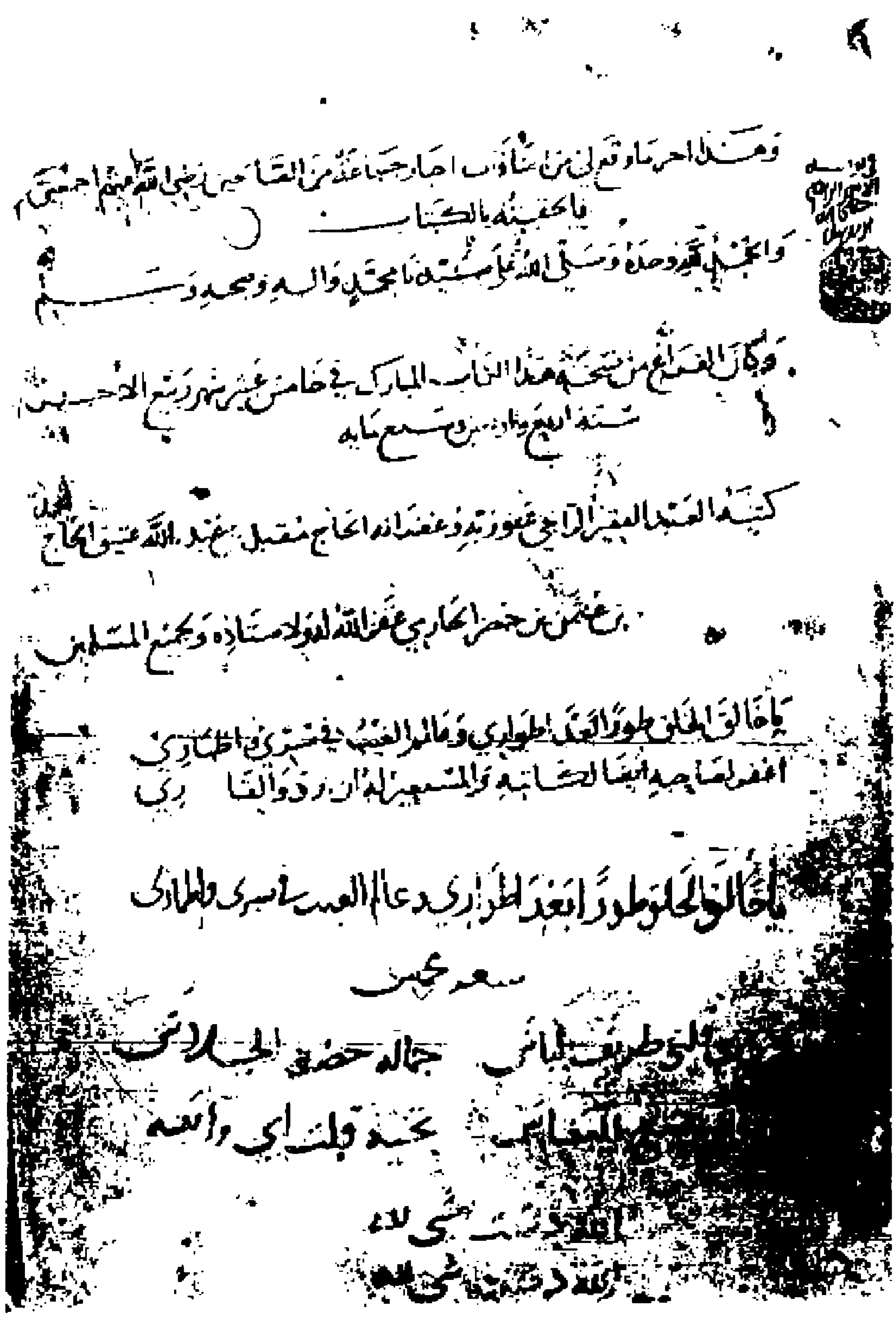
كتاب تهذيب الأسرار الذي صنفه الشيخ الواعظ أبو سعد عبد الملك

وكتاب الرسالة الذي صنفه الأستاذ الإمام أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيري

صورة الصفحة الأولى من مخطوطة (أ)



صورة الصفحة قبل الأخيرة من مخطوطة (أ)

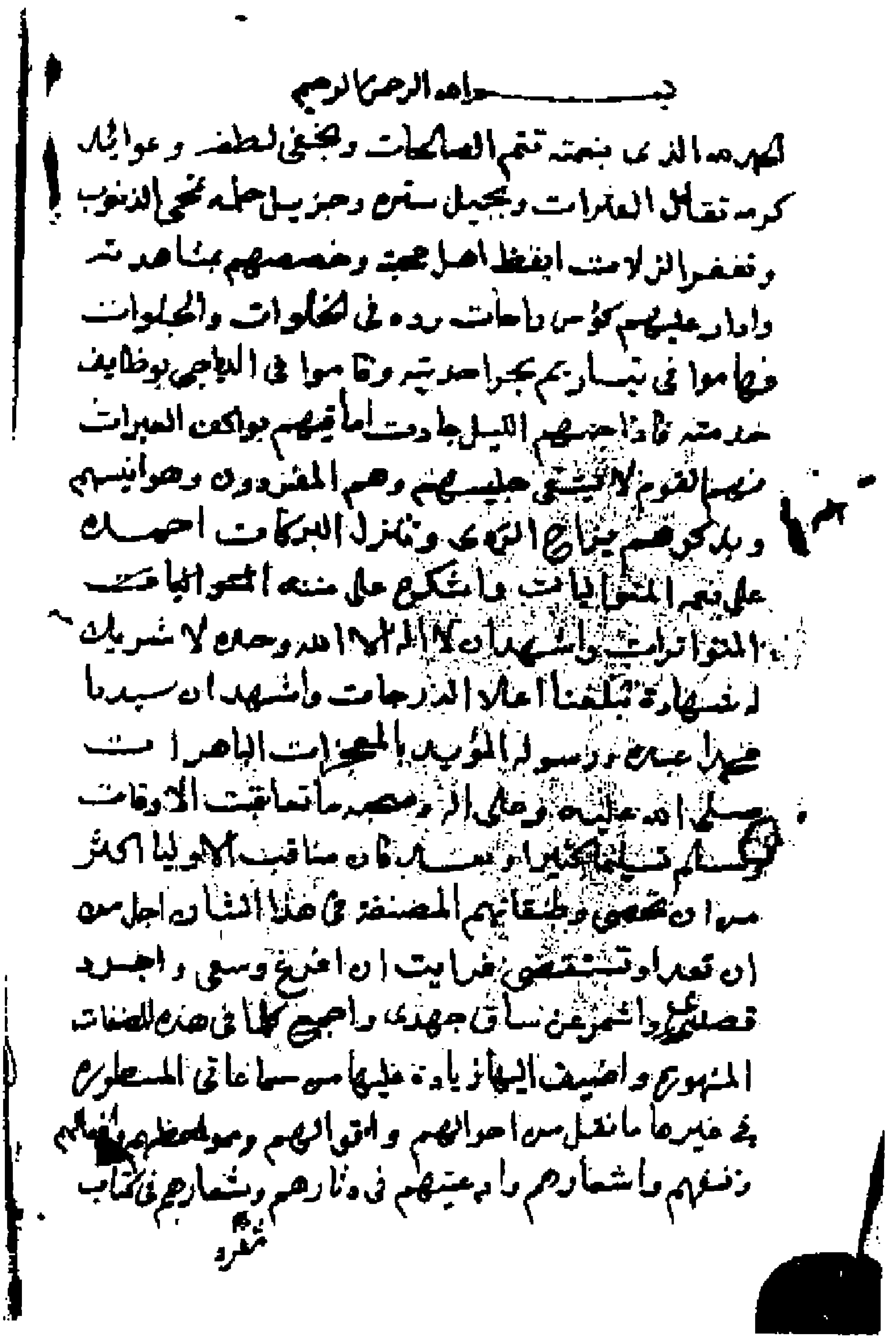


وهذا آخر ما وقع لي من شأو من اجاز جماعة من الشافعية رضي الله عنهم اجمعين
بالحقيقة بالكتاب
والحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

وكان الفراغ من نسخه هذا الكتاب المبارك في خامس عشر شهر ربيع الآخر
سنة اربع وثمانين وسبعمائة

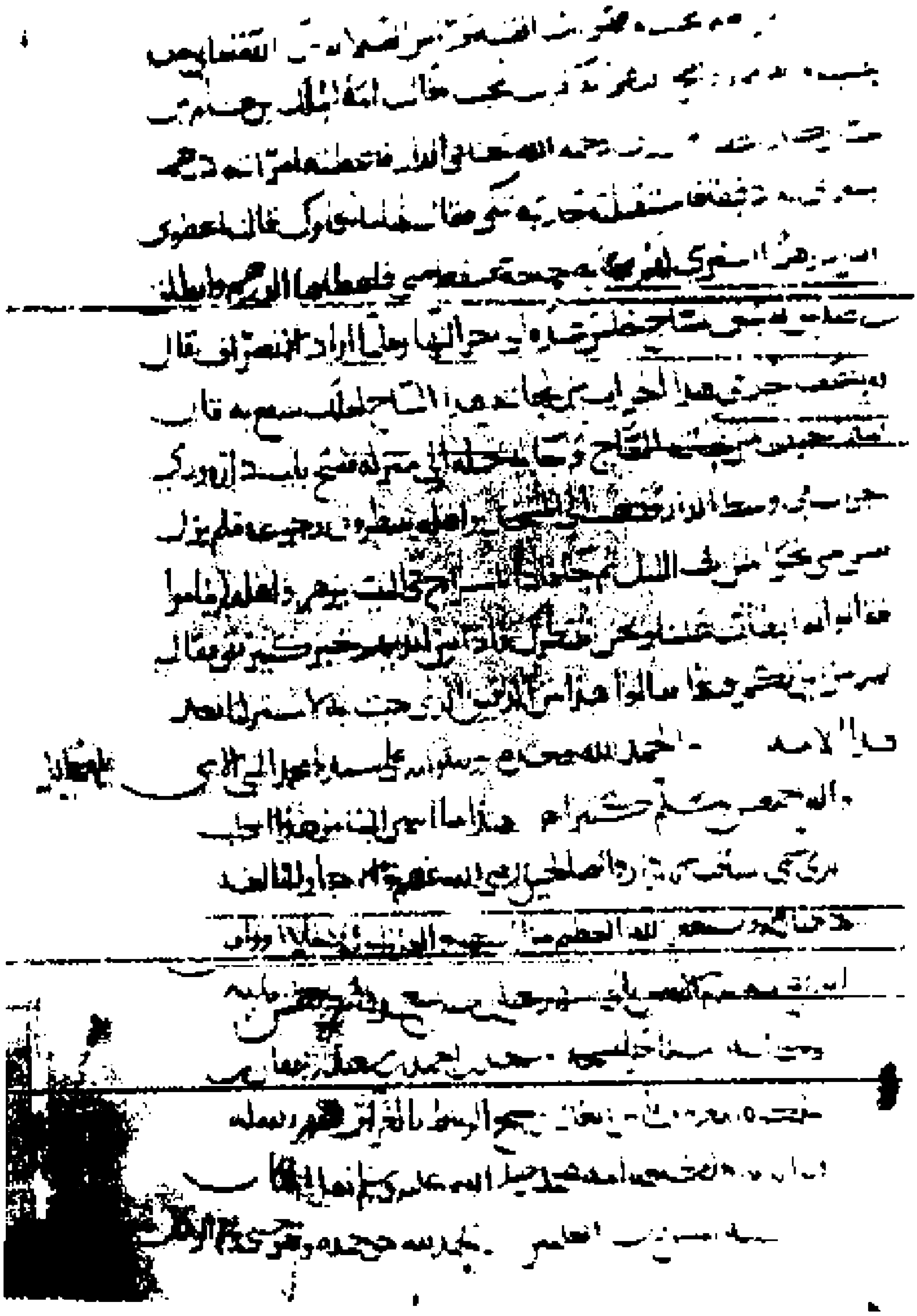
كتبه العبد الفقير الراجي عفو ربه وغفرانه الحاج مقبل بن عبد الله عتيق الحاج
بن عثمان بن جعفر البخاري غفر الله له ولاستاذه ولجميع المسلمين

صورة الصفحة الأخيرة من مخطوطة (أ)

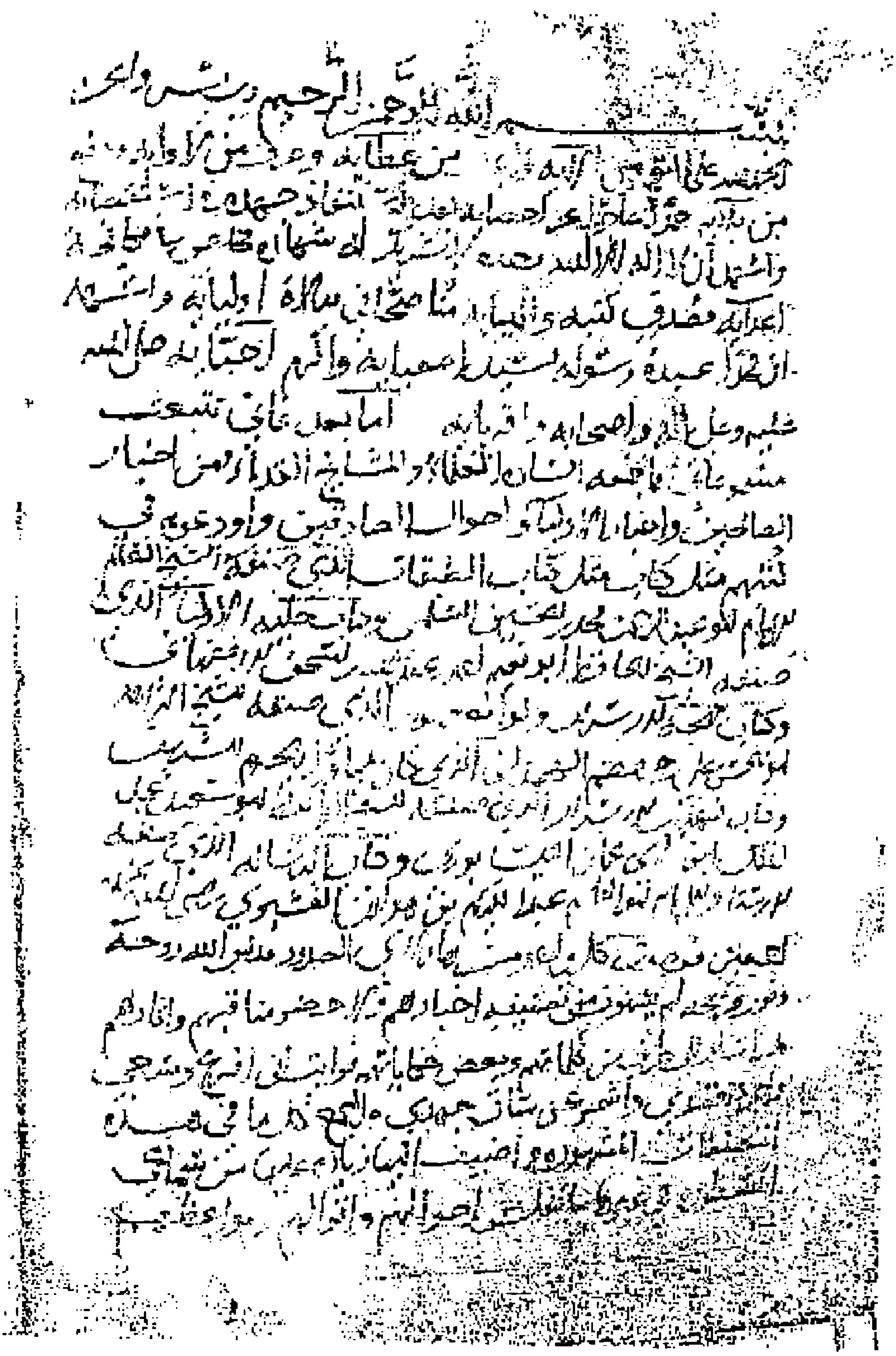

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات وبخفي لطفه وعوائد
كرمه تقال العثرات وبجميل ستره وجزيل حلمه تمحى الذنوب
وتغفر الزلات ايقظ اهل محبته وخصصهم بمشاهدته
وادار عليهم كؤوس راحات وده في الخلوات والجلوات
فهاموا في تيار بحار احديته وقاموا في الدياجي بوظايف
خدمته فاذا اجنهم الليل جادت اماقيهم بواكف العبرات
فهم القوم لا يشقى جليسهم وهم المفردون وهو انيسهم
وبذكرهم ينال الهدى وتنزل البركات احمده
على نعمه المتواليات واشكره على منحه المتواليات
المتواترات واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك
له شهادة تبلغنا اعلى الدرجات واشهد ان سيدنا
محمدا عبده ورسوله المؤيد بالمعجزات الباهرات
صلى الله عليه وعلى آله وصحبه ما تعاقبت الاوقات
وسلم تسليما كثيرا وبعد فان مناقب الاولياء اكثر
من ان تحصى وطبقاتهم المصنفة في هذا الشان اجل من
ان تعد او تستقصى فرايت ان افرغ وسعي واجهد
قصارى واشمر عن ساق جهدي واجمع كتابا في هذه الصفات
المشهورة واضيف اليها زيادة عليها موسوعا في المسطورة
في غيرها ما نقل من احوالهم واقوالهم ومواعظهم
ونفعهم واشعارهم وامتحانهم في ديارهم واسفارهم في كتاب
مفرد

صورة الصفحة الأولى من مخطوطة (ب)



صورة الصفحة الأخيرة من مخطوطة (ب)



بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر وأعن

الحمد لله على ما أولى من آلائه [illegible] من عنايته [illegible]

من [illegible]

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة [illegible]

[illegible] مصدق كتبه وأنبيائه [illegible] أوليائه وأشهد

أن محمدا عبده ورسوله [illegible] وأتم [illegible] صلى الله عليه

وسلم وعلى آله وأصحابه [illegible] أما بعد فإني تتبعت

[illegible] ما جمعه [illegible] والمشايخ [illegible] من أخبار

الصالحين وأخبار الأولياء وأحوال [illegible] وأودعوه في

كتبهم مثل كتاب [illegible]

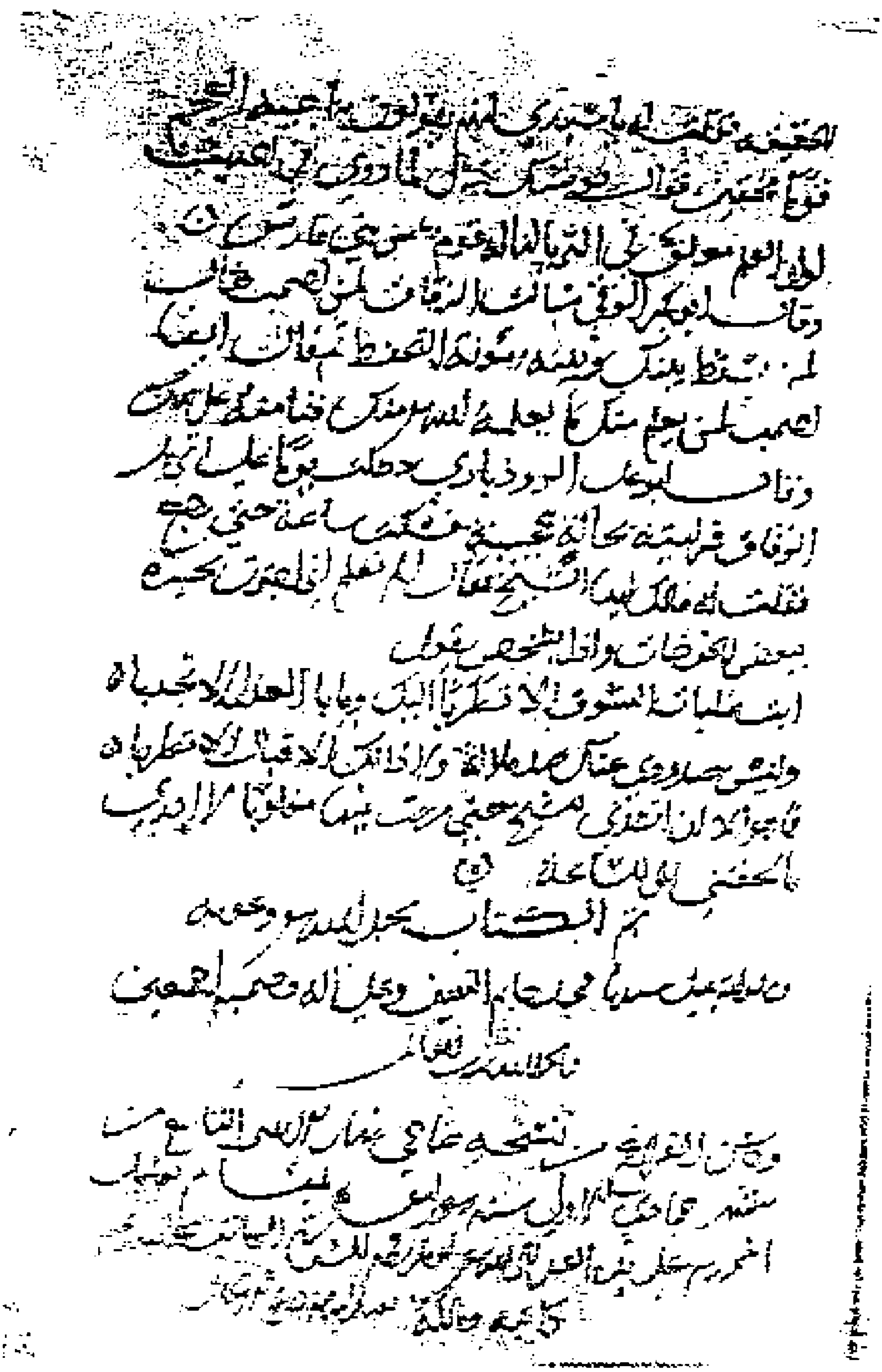
للإمام [illegible] حلية الأولياء [illegible]

[illegible] الحافظ أبو نعيم [illegible]

وكتاب [illegible]

[illegible]

صورة الصفحة الأولى من مخطوطة (المنتقى)



صورة الصفحة الأخيرة من مخطوطة (المنتقى)

مناقب الأبرار ومحاسن الأخيار

الحسين بن نصر ابن خميس

٤٦٦ـ ٥٥٢ هـ

تحقيق

محمد أديب الجادر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ[1]

وبه ثقتي، وهو حسبنا ونعم الوكيل[2]

الحمدُ لله على ما أنعم من آلائه، وأجزلَ من عطائه، وصرفَ من لأوائه، ودفع من بلائه، حمدَ عاجزٍ عن إحصائه بعد استنفاد جهده في استقصائه، وأشهدُ أن لا إله إلاَّ الله وحده لا شريكَ له، شهادةَ مُخلصٍ في مكافحة أعدائه، معترفٍ لصدق كتبه[3] وأنبيائه، مُناصح في موالاة أوليائه، وأشهد أنَّ محمدًا عبده ورسوله، سيد أصفيائه، وأكرم أحبائه، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وأقربائه.

---

(١) في (م): رب يسّر وأعن.

(٢) مقدمة (ب) هي.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي بنعمته تتمُّ الصالحات، وبخفي لطفِهِ وعوائد كرمه تُقَالُ العثرات، وبجميل ستره، وجزيل حلمه تُمحى الذنوب وتغفر الزلاّت. أيقظَ أهل محبّته، وخصصهم بمشاهدته، وأدارَ عليهم كؤوس راحات ودِّه في الخلوات والجلوات، فهاموا في تيارِ يمّ بحرِ أحديتِهِ، وقاموا في الدياجي بوظائف خدمته، فإذا جنَّهُمُ الليلُ جادت أماقيهم بواكف العبرات، فهم القومُ لا يَشقَى جليسُهم، وهم المفردون، وهو أنيسهم، وبذكرهم يُزاح التردّي وتَتنزل البركات.

أحمدُهُ على نعمه المتواليات، وأشكره على منته المتواترات، وأشهدُ أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له؛ شهادةً تُبلّغنا أعلى الدرجات، وأشهد أنّ سيّدنا محمدًا عبدُه ورسوله المؤيّد بالمعجزات الباهرات صلى الله عليه وعلى آله وصحبه ما تعاقبتِ الأوقات وسلم تسليمًا كثيرًا.

وبعد، كان مناقبُ الأولياء أكثرَ من أن تُحصى، وطبقاتهم المُصنَّفة في هذا الشأنِ أجلَّ من أن تُعدَّ أو تُستقصى، فرأيتُ أن أفرغَ وسعي وأجرّد.

(٣) في (م): أعدائه، مصدق كتبه.

أما بعد: فإنَّني تتبَّعتُ مسموعاتي ممّا جمعه السّادةُ العلماء، والمشايخُ القدماء، من أخبار الصَّالحين، وأخبار الأولياء الصَّادقين[1]، وأودعوه في كتبهم، مثل كتاب «الطَّبقات» الذي صنَّفَهُ الشَّيخُ الإمام العارف أبو عبد[2] الرّحمن محمد بنُ الحسين السُّلمي، وكتاب «حلية الأولياء» الذي صنَّفه الشَّيخ الحافظ أبو نُعيم أحمد بنُ عبد الله بن إسحاق الأصفهاني، وكتاب «بهجة الأسرار ولوامع الأنوار» الذي صنَّفَهُ الشَّيخ الزَّاهد أبو الحسن علي بن جهضم الهمداني، الذي كان مجاورًا لحرم الله الشّريف، وكتاب «تهذيب الأسرار» الذي صنَّفَهُ الشَّيخُ الواعظ أبو سعد عبد الملك ابن أبي عثمان النّيسابوري، وكتاب «الرِّسالة» الذي صنَّفَهُ الأستاذ الإمام أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن القُشيري، رضي الله عنهم أجمعين.

فوجدتُ كلَّ واحدٍ من هؤلاء الصُّدور، قدَّس الله روحَهم ونوَّرَ ضريحَهم[3]، لم يستوفِ في تصنيفه أخبارَهم، ولا حصر مناقبَهم وآثارهم، بل أشارَ إلى طرفٍ من كلماتهم، وبعض حكاياتهم، فرأيتُ[4] أن أُفرغَ وسعي، وأجرّد قصدي، وأُشمّرَ عن ساق جهدي، وأَجمع كلَّ ما في هذه المصنَّفاتِ المشهورة، وأُضيف إليه زيادةً عليها من مسموعاتي[5] المَسطورة في غيرها، ما نُقلَ من أحوالهم، وأقوالهم، ومواعظهم، وأفعالهم، ونتفهم، وأشعارهم، وأدعيتهم في دثارِهم وشعارهم[6]، في كتابٍ مُفردٍ، يُرجعُ إليه، ويُعتمد عليه، وحذفتُ

---

(١) في (م): الأولياء، وأحوال الصادقين.

(٢) في (م): الشيخ العالم الإمام أبو عبد.

(٣) في (م): قدس الله روحه، ونوّر ضريحه.

(٤) من هنا تتوافق نسخة (ب) مع (أ).

(٥) في (ب): سماعاتي، وفي (م): سماعي.

(٦) الدثار: ما فوق الشعار من الثياب، والشعار اللباس الذي يلي شعر الجسد يقال كان الرفق شعاره والتقوى دثاره. وفي حديث الأنصار: أنتم الشعار والناس الدثار، أي: أنتم الخاصة والبطانة. ويقال: كانت السُّنة شعاره ودثاره.

الأسانيد وهي عندي مُعنعنةٌ، وفي أُصول سماعاتي مُدونة، إشفاقًا من الإطالة، وفَرَقًا من الملالة، فإنَّ المقصودَ من هذا الكتاب الاتّعاظُ والانتفاعُ، دونَ مجرَّدِ الرّواية والسّماع، ولم أُخلَّ من سيرهم ومقاماتهم إلَّا بالنَّادرِ الشَّاذ، الذي لم يقع لي صحةُ إسناده، وسمَّيتُهُ بـ: «مناقب الأبرار ومحاسن الأخيار»، والله تعالى يُيسّرُ لنا سلوكَ طريقهم، ويحشرنا مع فريقهم ويوفقنا كتوفيقهم.

* * *

(١) الفُضيل بن عياض التّميمي(*)

فمنهم: أبو علي الفُضيل بن عياض بن مسعود بن بشر التّميمي، ثمَّ اليربوعي، خراساني المنشأ من ناحية مرو، من قرية تُعرف بفُنْدِين(١)

ورُوي أنَّه ولد بسمرقند، ونشأ بأَبِيوَرْد. وقيل: إنَّه بُخاريُّ المنشأ.

مات بالحرم في محرم سنة سبع وثمانين ومئة.

وكان شاطرًا يقطعُ الطَّريقَ بين أبيورد وسَرْخَس(٢)

وسببُ توبته أنَّه كان يعشَقُ جاريةً، فبينا هو ذاتَ ليلةٍ يرتقي الجدران إليها، إذ سمعَ تاليًا يتلو: ﴿ ۞ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ ﴾ [الحديد: ١٦] فقال: بلى يا ربِّ، قد آن. فرجع، فآواه اللّيلُ إلى خربةٍ، وإذا

(*) معرفة الرجال ٢/ ٢١٣، طبقات ابن سعد ٥/ ٥٠٠، تاريخ خليفة ٤٥٨، طبقات خليفة ٢٨٤، التاريخ الصغير ٢/ ٢١٩، التاريخ الكبير ٧/ ١٢٣، المعارف ٥١١، الجرح والتعديل ٧/ ٧٣، مشاهير علماء الأمصار ترجمة ١١٧٩، ثقات ابن حبان ٧/ ٣١٥، طبقات الصوفية ٦، حلية الأولياء ٨/ ٨٤، الرسالة القشيرية ٣٩، صفة الصفوة ٢/ ٢٣٧، المختار من مناقب الأخيار ٤/ ١٩٣، جامع الأصول ١٥/ ٣٧، تهذيب الأسماء واللغات ٢/ ٥١، وفيات الأعيان ٤/ ٤٧، مختصر تاريخ دمشق ٢٠/ ٢٩٨، تهذيب الكمال ٢٣/ ٢٨١، سير أعلام النبلاء ٨/ ٣٧٢ (١١٤)، ميزان الاعتدال ٣/ ٣٦١، تذكرة الحفاظ ١/ ٢٥٤، العبر ١/ ٢٩٨، طبقات الأولياء ٢٦٦، العقد الثمين ٧/ ١٣، نفحات الأنس ٥٣، تهذيب التهذيب ٨/ ٢٩٤، النجوم الزاهرة ٢/ ١٢١، طبقات الشعراني ١/ ٦٨، الكواكب الدرية ١/ ٣٩٥، الجواهر المضية ١/ ٤٠٩، شذرات الذهب ١/ ٣١٦

(١) فُنْدِين: من قرى مرو. معجم البلدان.

(٢) في (أ): سرخين.

فيها رفقةٌ، فقال بعضُهم: نرتحل. وقال بعضهم: حتَّى نُصبحَ؛ فإنَّ فضيلاً على الطَّريق يقطعُ علينا فتاب الفُضيل وأمنهم، وجاورَ الحرمَ إلى أن مات رحمه الله[1]

ورُوي عنه أنَّه قال: إذا أحبَّ اللهُ تعالى عبدًا أكثرَ غمَّه في الدُّنيا، وإذا أبغض اللهُ عبدًا وسَّعَ عليه دنياه[1]

وقال: لو أنَّ الدُّنيا بحذافيرها عُرضتْ عليَّ، ولا أُحاسبُ بها، لكنتُ أتقذَّرُها، كما يتقذَّرُ أحدُكم الجيفة، إذا مرَّ بها أن تُصيبَ ثوبه[2]

وقال: تركُ العملِ لأجلِ النَّاسِ هو الرِّياء، والعملُ لأجلِ النَّاس هو الشِّرك[3]

وقال أبو علي الرَّازي[4] صحبتُ الفُضيلَ بنَ عياض ثلاثين سنة، ما رأيتُهُ مُبتسمًا ولا ضاحكًا، إلاَّ يومَ مات ابنُهُ عليٌّ. فقلت له في ذلك، فقال: إنَّ الله سبحانه وتعالى أحبَّ أمرًا، فأحببتُهُ[5]

وقال: إنِّي لأَعصي اللهَ تعالى، فأعرفُ ذلك في خُلقِ حِماري وخادمي[5]

وقال: من جلسَ مع صاحبِ بدعةٍ[6]، لم يُعطَ الحكمةَ.

وقال: يكونُ في آخرِ الزَّمانِ أقوامٌ إخوانٌ في العلانية أعداءٌ في السَّريرة[7]

---

(١) الرسالة القشيرية ٣٩

(٢) الرسالة القشيرية ٤٠.

(٣) الرسالة القشيرية ٤٠، ٣١٦ (الإخلاص).

(٤) في (أ): الراوي

(٥) الرسالة القشيرية ٤٠.

(٦) في طبقات الصوفية ١٠، وفي (أ): البدعة.

(٧) طبقات الصوفية ١٠.

وقال: أحقُّ النَّاسِ بالرِّضا عن الله أهلُ المعرفة[١]

وقال: لا ينبغي لحاملِ القرآنِ أن يكونَ له إلى الخلقِ حاجةٌ من خُلفاء فمن دُونَهم؛ بل يَنبغي أن تكونَ حوائجُ الخلقِ إليه[٢]

وقال: ما أدركَ عندنا مَنْ أَدركَ بكثرةِ صلاةٍ ولا صيامٍ، وإنَّما أدركَ بسخاءِ النَّفسِ، وسلامةِ الصَّدرِ، والنُّصحِ للأمة[٢]

وقال: ما تزيَّنَ النَّاسُ بشيءٍ أفضلَ من الصِّدقِ، وطلبِ الحلال[٢]

و: أَصلُ الزُّهدِ الرِّضا عن الله تعالى[٣]

وقال: من عرفَ النَّاسَ استراحَ[٢]

وقال: لا أَعتقدُ إخاءَ الرّجل في الرِّضا، بل أعْتقدُ إخاءَه في الغضبِ[٤] إذا أغضبتُهُ[٢]

وقال: تباعدْ من القرّاءِ؛ فإنَّهم إن أحبُّوكَ، مدحوكَ بما ليس فيك، وإن غضبوا، شَهدوا عليك[٥]، وقُبِلَ منهم[٦]

وسُئل عن التَّواضع، فقال: أن تخضعَ للحقِّ وتنقادَ له، وتَقبلَهُ ممَّن تسمعُهُ منه[٦]

وقال: أشتهي مَرضًا بلا عوَّاد[٧]

وقال: في النَّاسِ خَصلتانِ من الجهل: الضَّحكُ من غير عَجَبٍ، والتَّصبُّح من غيرِ سَهرٍ[٧]

---

(١) طبقات الصوفية ١٠، تهذيب الأسرار ١١٨

(٢) طبقات الصوفية ١٠

(٣) طبقات الصوفية ١١، تهذيب الأسرار ١١٨، وسيأتي هذا القول مرة أخرى صفحة ١٩

(٤) في (ب): لكني أَعتقد إخاءه في الشدَّة.

(٥) في طبقات الصوفية وإن أبغضوك شهدوا.

(٦) طبقات الصوفية ١١

(٧) طبقات الصوفية ١٢.

وجلسَ إليه سفيان بنُ عُيينة، فقال له الفُضيل: كنتم معاشرَ العلماء سُرُجَ البلاد يُستضاءُ بكم، فصرتم ظُلْمَةً، وكنتم نُجومًا يُهتدى بكم، فصرتم حِيرةً، أما يَستحيي أحدُكم أن يأخذَ من مالِ هؤلاء، وقد علمَ من أين هو، حتَّى يُسندَ ظهرَه ويقول: حدثني[1] فلانٌ عن فلان؟! فرفعَ سُفيانُ رأسَه، وكان مُطأطئه، وقال: هاه، هاه، واللهِ لئن كنَّا لسنا بصالحين، فإنَّا نُحبُّ الصَّالحين. قال: فسكتَ الفضيلُ عنه، ثمَّ طلبَ منه سُفيان الحديثَ، فحدَّثه ثلاثين حديثًا[2]

وقال: من أظهرَ لأخيه الودَّ والصَّفاءَ بلسانه، وأضمرَ له البُغض والعداوة بقلبه، لعنَهُ اللهُ، فأصمَّه، وأعمى بصرَ قلبه[3]

وقال: من كان بطاعته من الله قريبًا، كانَ في الأرض بين الخلق غريبًا[4]، ومن كان لنفسِهِ في صحته طبيبا، كان في مرضِهِ لطبيبِ الأطباءِ حبيبا[5]

وقال في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ فِي هَٰذَا لَبَلَٰغًا لِّقَوْمٍ عَٰبِدِينَ ﴾ [الأنبياء. ١٠٦] قال: الذين يُحافظون على الصَّلوات الخمس[6]

وقال: جُعِلَ الشَّرُّ كلُّه في بيتٍ، وجُعِلَ مفتاحُهُ حبَّ الدُّنيا، وجُعِلَ الخيرُ كلُّه في بيتٍ، وجُعِلَ مفتاحُهُ الزُّهدَ في الدُّنيا[7]

وقال: من كفَّ شرَّهُ، صنعَ ما سرَّه[8]

---

(١) في (أ): ظهره حدثني.

(٢) صفة الصفوة ٢/ ٢٤١، المختار ٤/ ٢١٠

(٣) طبقات الصوفية ١٣، وفيه. بصيرة قلبه.

(٤) في (أ): في الأرض غريبًا.

(٥) تهذيب الأسرار ٧٢، والمختار ٤/ ٢١١، وفي (ب): لطبيب الأطبَّة.

(٦) طبقات الصوفية ١٣

(٧) طبقات الصوفية ١٣، الرسالة القشيرية ٢٠٥ (الزهد).

(٨) في طبقات الصوفية ١٣: فما ضيّع ما سرَّه.

وقال: خَصلتان تقسّيان القلب: كثرةُ الأكلِ والنّوم، وكثرةُ الكلام[١]

وقال: خيرُ العملِ أَخفاه، وأَمنعُه من الشّيطان، وأَبعدُه من الرّياء[٢]

وقال: أبى الله إلاَّ أن يجعلَ الرِّزقَ للمتقين من حيث لا يحتسبون[٣]

وقال: مِنْ شُكرِ النِّعمةِ أن يُحدِّثَ بها[٣]

وقال: لا عمل لمن لا نيَّةَ له، ولا أجرَ لمن لا خشيةَ له[٤]

وقال: طُوبى لمن استوحش[٥] من النَّاس، وأَنِسَ بربِّه، وبكى على خطيئته.

وسُئل عن الكريم: من هو؟ فقال: من جاد بماله تبرُّعًا، وعفَّ عن مال غيره تورعًا.

وقال ابنُ المُبارك: إذا ماتَ الفضيل ارتفعَ الحُزن[٦]

وقال: من عدَّ كلامَهُ من عمله، قلَّ كلامُه إلاَّ فيما يعنيه[٧]

وقيل للفُضيل: ما لنا لا نَرى خائفًا؟! فقال: لو كنتَ خائفًا لرأيتَ الخائفين، إنَّ الخائفَ لا يراه إلاَّ الخائفون، وإنَّ الثَّكلى هي التي تُحبُّ أن تَرى الثَّكلى[٨]

---

(١) كذا في (أ) و(ب)، وفي طبقات الصوفية ١٣ ثلاث خصالٍ تقسِّي القلب: كثرةُ الأكل، وكثرةُ النوم، وكثرة الكلام. والخبر في تهذيب الأسرار ١٦٩، ٤٥٤: كثرة الأكل، وكثرة النوم. دون قوله: وكثرة الكلام.

(٢) في طبقات الصوفية ١٣ الشيطان أبعده.

(٣) طبقات الصوفية ١٣

(٤) طبقات الصوفية ١٤: حِسْبَةَ له.

(٥) في (أ): استوحشني، انظر طبقات الصوفية ١٤

(٦) الرسالة القشيرية ٤٠

(٧) الرسالة القشيرية ٢١١ (الصمت).

(٨) تهذيب الأسرار ٢١١، الرسالة القشيرية ٢١٤ (الخوف).

وقال: كان السَّلفُ يقولون: على كلِّ شيءٍ زكاةٌ، وزكاةُ العقلِ طولُ الحزن[1]

وقال: قرّاءُ الرَّحمنِ أصحابُ خشوعٍ وتواضعٍ. وقرّاء أبناءُ الدُّنيا أصحابُ عُجبٍ وتكبّرٍ[2]

وقال: مَنْ رأى لنفسِهِ قيمةً، فليس له في التَّواضع نصيب[2]

وقال: أَوحى اللهُ إلى الجبالِ: إنّي مُكلِّمٌ على واحدٍ منكم نبيًّا. فتطاولتِ الجبالُ، وتواضعَ طور سَيناء، فكلَّمَ اللهُ عليه موسى لِتواضعِهِ[2]

وقال شُعيبُ بنُ حرب: بينا أنا في الطَّوافِ إذْ لكزني إنسانٌ بمرفقه، فالتفتُّ فإذا هو الفُضيلُ بن عياض، فقال: يا أَبا صالح، إن كنتَ تَظنُّ أنَّه شهدَ الموسمَ شرٌّ مني ومنك، فبئس ما ظننت![3]

وقال: الرِّضا أفضلُ من الزُّهد في الدُّنيا، لأنَّ الرَّاضي لا يتمنَّى فوقَ منزلته[4]

وقال: خمسٌ من علاماتِ الشَّقاء: القسوةُ في القلب، وجمودُ العين، وقلَّةُ الحياءِ، والرَّغبةُ في الدُّنيا، وطولُ الأمل[5]

وقال: إذا أرادَ اللهُ أن يُتحِفَ عبدَه سلَّطَ عليه مَنْ يَظلمُهُ[6]

و: لن يَكملَ عبدٌ حتَّى يُؤثرَ دينَه على شهوته، ولن يَهلكَ حتَّى يُؤثرَ شهوتَهُ على دينه[7]

---

(١) الرسالة القشيرية ٢٣٢ (الحزن).
(٢) الرسالة القشيرية ٢٤١ (الخضوع)، وفيها: وقراء القضاة أصحاب عجب.
(٣) الرسالة القشيرية ٢٤٣ (الخشوع).
(٤) الرسالة القشيرية ٣٠٠ (الرضا).
(٥) الرسالة القشيرية ٣٢٦ (الحياء).
(٦) حلية الأولياء ٨/ ١٠٤، المختار ٤/ ٢٠٧، وفي (أ): يستخفُّ عبده.
(٧) سير أعلام النبلاء ٨/ ٣٧٧.

وقال له رجل: يا أبا علي، ما بالُ الميتُ تُنْزع نفسُه[1] وهو ساكت، وفي حالِ الصِّحَّةِ يضطربُ بالقرصةِ؟ فقال: لأنَّ الملائكةَ تُوثقه. ثمَّ قرأ: ﴿ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ﴾ [الأنعام: ٦١].

وقال: الفتُّوةُ الصَّفحُ عن عثراتِ الإخوان[2]

وقال: لو أنَّ العبدَ أحسنَ الإحسان كلَّه، وكان له دجاجةٌ، فأساءَ إليها، لم يكنْ من المُحسنين[3]

وقال: لأن يُصاحبُني فاجرٌ حَسَنُ الخُلُق، أحبُّ إليَّ مِنْ أن يُصاحبني عابدٌ سيِّئُ الخُلُق[4]

وقال أبو العباس خادمُ الفضيل: احتبسَ بولُ الفُضيل، فرفعَ يديه وقال: اللَّهُمَّ، بحبِّي لك إلَّا أطلقته عنّي. قال: فما برحنا حتَّى شفي[5]

وقال له عبد الله بن مالك[6] يا أبا علي، ما الخلاصُ ممَّا نحنُ فيه؟ فقال: أخبرني؛ مَنْ أطاعَ اللهَ هل تَضرُّه معصيةُ أحدٍ؟ قال: لا قال: فمَنْ عَصَى اللهَ هل تَنفعُهُ طاعةُ أَحدٍ؟ قال: لا قال: فهو الخلاص إنْ أَردتَ[7]

وقال: ليست الدُّنيا دارَ قرارٍ[8]، وإنَّما أُهبطَ إليها آدمُ عليه السَّلام عقوبةً له، ألا ترى كيف اختلفتْ أحوالُهُ وأحوالُ ذريَّتِهِ إلى يومِ القيامة،

---

(١) في (ب): تنتزع.
(٢) الرسالة القشيرية ٣٣٧ (الفتوة).
(٣) الرسالة القشيرية ٣٥٥ (الخلق).
(٤) الرسالة القشيرية ٣٥٨ (الخلق).
(٥) الرسالة القشيرية ٤٥٥ (المحبة).
(٦) في المختار ٤/ ٢١١: عبد الله بن المبارك.
(٧) الحلية ٨/ ٨٨، المختار ٤/ ٢١١
(٨) في (ب): دار إقامة.

تارةً بالجوع، وتارة بالعُري، وتارة بالحاجةِ[1] فالله تعالى مرَّرها عليه بهذه الأسباب كما تصنعُ الوالدةُ الشفيقةُ بولدِها، تارةً تسقيه حُضُضًا[2]، ومرةً صبرًا، ومرة عذبًا، وإنَّما تُريد بذلك مصلحتَهُ، وما هو خَيرٌ له.

وقال لإسحاقَ بنِ إبراهيم: لو طلبتَ منّي الدَّنانير كانَ أَيسرَ عليَّ من أَنْ تطلبَ منّي الحديثَ. قال فقلتُ له: لو حدَّثتني بفوائدَ ليستْ عندي، كانَ أحبَّ إليَّ من أَنْ تَهبَ لي عددَها دنانير فقال: إنَّك مفتونٌ، لو عملتَ بما سمعتَ، لكانَ لكَ به شغلٌ عمَّا لم تسمع[3]

وقيل له: ما الزُّهدُ في الدُّنيا؟ فقال: القنوع، وهو الغِنى. فقيل له: ما الورع؟ فقال: اجتنابُ المحارم. فقيل: ما العبادة؟ فقال: أداءُ الفرائض. فقيل له. ما التَّواضُع؟ فقال: أن تخضعَ للحقِّ[4]

ورُوي عنه أنَّه قال لبعض إخوانِهِ: ليتَ أنِّي أموتُ وأنا مُخلِّطٌ[5]، أخافُ أن أموتَ وأنا مُراءٍ، يُدعى بي يومَ القيامة على رؤوس الخلائق: يا فُضيل، خذْ ثوابَ عملك ممَّن عملتَ له. قال اللهُ تعالى: ﴿ خَلَطُواْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَءَاخَرَ سَيِّئًا عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيۡهِمۡۚ ﴾ [التوبة:١٠٢] و﴿ عَسَى ﴾ من الله واجبٌ.

وقال: لا يجدُ العبدُ حلاوةَ الإيمان، حتَّى يعدَّ البلاءَ نعمةً، والرَّخاءَ مُصيبةً، وحتَّى لا يُبالي من أكلَ الدُّنيا، وحتَّى لا يُريدَ أن يُحمدَ على عبادة الله[6]

---

(١) في الحلية: ألا ترى كيف يزويها عنه ويُمرر عليه بالجوع مرة، وبالعري مرةً، وبالحاجة مرةً كما تصنع الوالدة الشفيقة. وانظر سير أعلام النبلاء ٨/ ٣٨٣

(٢) الحُضُض: دواء يُتخذ من أبوالِ الإبل. لسان العرب.

(٣) الخبر في السير ٨/ ٣٧٨، بدايتُه: وكان صحيح الحديث، صدوق اللسان، شديد الهيبة للحديث إذا حدّث، وكان يثقلُ عليه الحديثُ جدًا، وربَّما قال لي.

(٤) الحلية ٨/ ٩١، المختار ٤/ ٢٠٢، سير أعلام النبلاء ٨/ ٣٨٣

(٥) في (أ): خالط، والمثبت من مختصر تاريخ دمشق ٢٠/ ٣١٠.

(٦) سير أعلام النبلاء ٨/ ٣٨٣.

وقال: من قرأ القرآن، سُئل عمّا يُسألُ عنه الأنبياء، غيرَ تبليغِ الرّسالة.

وقال: إنَّهما عالِمان: عالِمٌ ديني، وعالِمٌ آخري، فعالِمُ الدُّنيا علمُهُ مَنشورٌ، وعالِمُ الآخرةِ علمُهُ مستور، فاتَّبعوا عالِمَ الآخرة، واحذروا عالِمَ الدُّنيا، لا يصدُّكم بسُكره[1] ثمَّ تلا: ﴿إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْأَحْبَارِ وَٱلرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٣٤] فـ﴿ٱلْأَحْبَارِ﴾: العلماء، و﴿وَٱلرُّهْبَانِ﴾: الزُّهاد[2]

وقال: قلَّةُ التَّوفيق، وفسادُ الرَّأي، وخمولُ الذِّكر من كثرةِ الذّنوب، وطلبِ الدُّنيا بعمل الآخرة.

وقال: لو أنَّ أهلَ العلمِ أكرموا أنفسَهم، وشحُّوا على دينهم، وأعزُّوا العلم وصانوه وأنزلوه حيثُ أنزله اللهُ، لخضعتْ لهم رقابُ الجبابرة، وانقادَ لهم النَّاسُ، وكانوا لهم تبعًا، وعزَّ الإسلامُ وأهله، ولكنَّهم أذلُّوا أنفسَهم، ولم يُبالوا ما نقصَ من دينهم إذا سلمتْ لهم دنياهم، وبذلوا علمَهم لأبناءِ الدُّنيا، ليُصيبوا بذلك ما في أيديهم، فذلُّوا وهانوا على النَّاس.

وقال: إنَّ اللهَ يُحبُّ العالِمَ المُتواضع، ويُبغضُ العالِمَ الجبَّار، ومن تواضعَ للهِ أورثَهُ اللهُ الحكمةَ.

وقال: إذا أَحبَّ اللهُ عبدًا، أَكثرَ غمَّه وهمَّه، وإذا أبغضَ عبدًا أَوسعَ عليه دُنياه[3]

وقال سُفيان بن عيينة: قال لي الرَّشيد: أُريدُ أن أَلقى الفُضيلَ بنَ عياض، لعلَّ اللهَ أن يُحدثَ لي عِظَةً أَنتفعُ بها فقلت له والله، إنَّ ذلك لحبيبٌ إليَّ، ولكنَّه رجلٌ قد أخذ نفسَهُ بخدمة الله، فما لأَحدٍ فيه حظٌّ،

---

(١) في (أ): بشكره، والمثبت من الحلية ٨/ ٩٢

(٢) انظر: سير أعلام النبلاء ٨/ ٣٨٣.

(٣) المختار ٤/ ٢٠١ (ورد هذا القول بمعناه صفحة ٨).

ولكنْ أكرَهُ أنْ تراه مُنصرفًا في بعضِ حالاته من عبادة ربِّه، فتتوهَّم عليه جفاءً، وإنْ كنتُ واللهِ أَعرفُهُ الرَّجلَ الكريمَ العِشرةِ، الحَسَنَ الخُلُقِ، من شاهدهُ مِنْ لينِهِ ودماثةِ[١] أخلاقه، [ظنَّ] أنَّه داخلٌ في حُكمِ العامَّة. فقال لي: ما عزمتُ على لقائه حتَّى وطَّنْتُ نفسي على احتمال مُشاهدة أخلاقه. ثمَّ قالَ: ويحك يا سُفيان، إنَّ شرفَ التقوى لا يُزاحمُ شرفَ[٢] عليه بإمرةٍ ولا خلافة

فأدَّيتُ ذلك إلى فُضيل، فقال: إنَّه لحسنُ العقلِ، لولا ما ضربَ به من فتنةِ هذه العاجلةِ، ويَسرُّني أنْ يلقاني ويَسوءُني [أيضًا]، فأمَّا ما يَسرُّني من لقائه فأرجو أنْ يكونَ لي فيه بعضُ الكبحات عن غيِّه، وأمَّا الذي يَسوءُني منه فلم أرَ مثلَه يرفُلُ في سوابغ النِّعمِ عُريانًا من الشُّكر. ثمَّ قطبَ بين عينيه وقال: ما قَدْرُ من كان للهِ عاصيًا؟! لا حاجةَ لي في لقائه. فلم أزلْ أرفقُ به حتَّى أذنَ له.

فرجعتُ إلى الرَّشيدِ، فأعلمتُهُ، وقلتُ له: لستَ تطمعُ فيه إلَّا وقتَ إفطاره. وكانَ إفطارُهُ كاختطافِ الطَّائر حبَّةً، فركبَ الرَّشيد، ولبس مبطنةً وطيلسانًا[٣]، وغطَّى رأسَه، ومعه مسرورُ الخادم وأنا.

فدقَقْتُ[٤] عليه البابَ، فنَزل وفتح ودخل، ودخلتُ معه، ووقف مسرورٌ على الباب، فسلَّمَ عليه الرَّشيدُ قائمًا، فتشمَّمَ[٥] منه رائحةَ المِسك، فقال الفُضيل: اللَّهُمَّ، إنِّي أَسألُكَ رائحةَ الخُلدِ الذي أعددتَها لأوليائك المُتَّقين في جنات النَّعيم. ثمَّ تبادرتْ دموعُهُ على لحيته، فقال له. يا أبا عليّ، هذا أميرُ المؤمنين واقفٌ يُسلِّمُ عليك. فرفعَ رأسَه، وقال:

---

(١) كتب تحتها: سهولة.
(٢) في المختار ٤/ ١٩٨: لا يزاحم عليه بشرف.
(٣) في المختار ٤/ ١٩٩ مبطنه وطيلسانه
(٤) في (أ): فقد فت.
(٥) في المختار ٤/ ١٩٩: فشم.

وإنَّك هو يا حَسَنَ الوجه. ونظرَ إلى الرَّشيدِ وهو يبكي، فقال له: أعلمُ أنَّ الأحكامَ قد سلبتْ فضيلةَ العدل، وظهرَ في الملَّةِ والذِّمَّةِ عدوانُ الأمرين، وهو في صحيفةٍ تُدرجُ معك في كفنِكَ ليومِ النُّشور، وقد بدا إليك[1] سرعة نفادِ ما أنتَ فيه من تقدّمك من آبائك. ثمَّ نهض، وقال: الله أكبر. فقلت له: يا أميرَ المؤمنين، إذا افتتحَ الصَّلاةَ فليسَ فيه حيلة. فانصرفنا، فقالَ الرَّشيدُ وهو خارجٌ: لولا خجلي منك لقبَّلتُ ما بين عينيه. فقلتُ: واللهِ، لوددتُ أن فعلتَ[2]

وقال لرجلٍ رآه مغموم: يا أخي، أتخشى أن يكونَ لك رزقٌ لا تستوفيه؟ فقال: لا قال: فتخشى أن يكونَ غيرُ ما يشاءُ الله؟ قال: لا قال: فلأيِّ شيءٍ غمُّكَ، يرحمك الله ؟![3]

قال إبراهيمُ بنُ الأشعث: سمعتُ الفُضيلَ يقول: أتى عليَّ وقتٌ ولم أطعمْ فيه ثلاثةَ أيّامٍ شيئًا، فبينا أنا في المسجدِ بالكوفةِ مشغولٌ بحالي إذ أنا بمجنونٍ قد أقبلَ، وفي عُنقِهِ سلسلة[4]، وفي يده حجرٌ، فجعلَ يلايمني[5] حتَّى خشيتُ منه على نفسي، ثمَّ أنشأ يقول:

أرى الصَّبر في الأسباب منك غريزة فيا ليت شعري هل لصبرِكَ من أجر[6]

قال الفُضيل: فَغيَّبَ عنّي جنونَهُ ما سمعتُ من كلامه، فقلت له: يا فتى، لولا الرَّجاء لم أصبر. فقال لي: وأين مسكنُ الرَّجاءِ منك؟ فقلت: موضعُ مُستقرِّ هموم العارفين. فقال: أحسنتَ، واللهِ إنَّما هو القلبُ، الهمومُ عمرانُه، والأحزانُ أوطانُه، عرفتُهُ فاستأنستُ به،

---

(١) في (أ): وقد ترى، وفي المختار ٤/ ١٩٩ وقد بدا لك.

(٢) المختار ٤/ ١٩٨ وما بين معقوفين مستدرك منه.

(٣) المختار ٤/ ٢١٢

(٤) في (ب): وفي عنقه غلٌّ ثقيل.

(٥) كذا في الأصول، ولعلها: يلازمني.

(٦) البيت في روض الرياحين الحكاية ٣٢:

محل نبات الصبر فيك غريزة فيا ليت شعري هل لصبرك آخرُ

وأحببتُهُ، فارتحلتُ إليه[1] قال الفُضيل: فسمعتُ من كلامِهِ ما قطعني عن جوابه، فقلت له: يرحمُكَ الله، عظني وأوجزْ. فقال لي: يا فُضيل، مثلُكَ من يقول هذا؟! أما علمتَ أنَّ للهِ عبادًا قطعهم الجزعُ عن كلفِ[2] الألسن، فكلَّتِ الألسنُ من غيرِ عيٍّ عن محاسن الوصف خوفَ العقاب، فاغتبطوا عند الله، وإنَّ حاجةَ أحدِهم لتتردَّد في صدره، لا يأذنُ لنفسه إطلاقَها خوفًا من شرّ نفسه، فأصبحوا مع حُسنِ هذه الصّفة في الدُّنيا مَحزونين مَغمومين، عقولٌ صحيحة، ويقينٌ ثابت، وألسنٌ ذاكرة، وجوارحُ معلّقة، وأرواحٌ في الملكوت سارحة. ثمَّ ولّى وهو يقول:

أحسنتَ ظنَّكَ بالأيَّامِ إذ حَسُنَتْ ... ولم تَخَفْ سوءَ ما يأتي بِهِ القَدَرُ
وسالمتْكَ اللّيالي فاغترَرْتَ بِها ... وَعِندَ صفوِ اللّيالي يحدثُ الكَدَرُ[3]

وقال: من استحوذتْ عليه الشَّهواتُ، انقطعتْ عنه موادُّ التَّوفيق.

وقال: كفى بخشيةِ الله علمًا، والاغترارِ بِهِ جهلًا

وقال: كفى بالله مُحبًّا، وبالقرآنِ مؤنسًا، وبالموتِ واعظًا[4]

اتخـــذِ اللهَ صـــاحبـــا ... ودعِ النَّـــاسَ جـــانبـــا[5]

وقال: إنَّما أمسِ مَثَل، واليومَ عمل، وغدًا أَمَل[6]

وقال: من خالطَ النَّاس لا يَسلم ولا ينجو من إحدى اثنتين: إمَّا أن

---

(١) كذا في الأصول، وفي روض الرياحين: عرفته فاستأنستُ، وأحبَبْته فارتحلتُ.

(٢) في (ب): الجوع عن تكلف.

(٣) البيتان في محاضرات الأدباء ٢/ ١٦٦ لسعيد بن وهب، وفي نهج البلاغة ١٩/ ١٧٨ من غير عزو، وفي أنس المسجون ٢٤٥ وتتمة الخبر في مختصر تاريخ دمشق ٢٠/ ٣٠٥، وروض الرياحين الحكاية ٣٢ ثم ولّى وأنشأ يقول:

فهامَ وليُّ الله في القفر سائحًا ... وحطَّتْ على سير القدوم رواحله
فعادَ بخيرٍ قد جرى في ضميره ... تذوب به أحشاؤه ومفاصله

(٤) سير أعلام النبلاء ٨/ ٣٨٨

(٥) وهو مما ينسب لإبراهيم بن أدهم، وانظر طبقات الصوفية ٣٧، والحلية ٧/ ٣٧٣

(٦) تهذيب الكمال ٢٣/ ٢٩١ وسيرد القول صفحة ١٦٣ منسوباً لسري السقطي.

يخوض معهم إذ خاضوا، أو يسمعَ من جليسه شيئًا، فيأثم.

وقال: من عرفَ الله حقَّ المعرفةِ فهو بعيدٌ من الضَّلالة، ومن عرفَ الإخلاصَ فهو بعيدٌ من الرِّياء، ومن أنزلَ الموتَ حقَّ مَنْزلته لم يغفُلْ عنه.

وقال: عاملوا الله بالصّدق في السِّرِّ، فإنَّ الرَّفيعَ من رَفَعَهُ الله عزَّ وجل.

و: إذا أحبَّ اللهُ عبدًا أسكنَ مَحبَّتَهُ في قلوبِ العباد.

وقال: إنَّ اللهَ يقسِمُ المَحبَّةَ كما يَقسِمُ الرِّزق، وإيَّاكم والحسدَ؛ فإنَّه الدَّاءُ الذي لا دواءَ له.

وقال: أصلُ الزُّهدِ الرِّضا عن الله[١]

و: من عرفَ ما يدخلُ جوفَه كان عندَ الله صدِّيقًا، فانظر من أين يكونُ إفطارُكَ يا مسكين.

وقال محمد بنُ زُنبور: قلتُ للفضيل: يا أبا علي، ادعُ الله لي. فقال: متَّعكَ اللهُ بقربه، وبعملٍ يُحبُّه[٢]، وجعلَكَ في سترِه، ولا شغلك بغيره.

وقال: ينبغي أن يكونَ المُستمعُ غائبًا كشاهد، ولا يكونُ شاهدًا وهو غائبٌ عن معناه[٣]

وقال: ما من مُضغةٍ أبغضُ إلى الله من لسانٍ كذوبٍ، وما من مُضغةٍ أحبُّ إلى اللهِ من لسانٍ صدوق[٤]

وقال: إنَّه ليطلعُ عليَّ اللّيل، فيسرُّني ذلك لخلوتي بربِّي، وإنَّه لينفجرُ

---

(١) تهذيب الأسرار ١١٨، وقد تقدم قوله هذا في بداية الترجمة صفحة (٩) وفي (ب): أفضل الزهد.

(٢) في (ب): ونعَّمكَ بقربه.

(٣) تهذيب الأسرار ٣٣٢.

(٤) تهذيب الأسرار ١٨٧.

الصّبحُ فيدركني منه غمٌّ لكراهتي لقاءَ النَّاس؛ فإنَّهم يَشغلوني عن ذكر الله[1]

وقال: رأيتُ بالموقفِ شابًا ساكتًا عليه أثرُ الذِّلَّةِ والخشوع، والنَّاسُ يَسألونَ الحوائجَ، فقلتُ: يا فتى، أخرجْ يدك، وسلْ حاجتك. فقال لي: يا شيخ، وقعتْ وَحشةٌ، وليس لي ثمَّ وجهٌ. قلتُ: وإنْ كان كذلك، فإنَّ الوقتَ يفوت. فقال: لا بدَّ؟ فقلت: لا بدَّ. فلمَّا أرادَ أن يَرفعَ يديه للدُّعاء صاحَ صيحةً، وخرَّ ميتًا[2]

ورُوي: أنَّه كان أكثرُ دعائه: اللَّهُمَّ ارحمني؛ فإنَّك بي عالِمٌ، ولا تُعذِّبني؛ فإنَّك عليَّ قادر[3]

وقال بعضُهم: مررتُ ذات يوم بالفضيل بنِ عياض وهو وحدَهُ خلفَ ساريةٍ، فسلَّمتُ عليه وجلست، فقال: يا أخي، ما أَجلسَكَ إليَّ؟ قلت: رأيتُكَ وحدَكَ، فاغتممتُ لوحدتك. فقال: إنَّكَ لو لم تجلس إليَّ لكانَ خيرًا لي ولك[4]، فاخترْ إمَّا أن أقومَ عنك، وإمَّا أن تقومَ عنّي. قال: فقلت: لا، بل أنا أقومُ عنك، فأوصني بوصيةٍ يَنفعني اللهُ بها. فقال. يا عبدَ الله، اخفِ مكانَكَ، واحفظْ لسانَك، واستغفرِ اللهَ لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات كما أَمَرَكَ[5]

وقال: من لم يأنسْ بالقرآنِ، فلا آنسَ اللهُ له وحشةً[6]

وقال: ما خوفُنا عند خوفِ من كان قبلنا إلَّا بمَنْزلةِ أعشى قادَ عُميانًا،

---

(١) تهذيب الأسرار ٣١٢
(٢) تهذيب الأسرار ٢٤٦
(٣) تهذيب الأسرار ٤٠٦
(٤) في (ب): خيرًا لي ذلك.
(٥) تهذيب الأسرار ٣٠٩. وأمرُهُ هو قوله تعالى في سورة محمد ١٩: ﴿وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾
(٦) تهذيب الأسرار ٨١، وفي (ب): فلا آنس الله وحشته.

فلمَّا أبصرَ منَ الضَّوءِ قليلاً، قال العميان: فلانٌ بصير![1]

وقال: لا يُعطي اللهُ أحدًا من الدُّنيا شيئًا إلاَّ وينقصُ من آخرتِهِ، فلا واللهِ لا تأخذُ إلاَّ من كسبِكَ، فإنْ شئتَ فاستقلل، وإنْ شئتَ فاستكثر[2]

وقال: واللهِ، لو كانتِ الدُّنيا من ذهبٍ يَفنى، والآخرةَ من خزفٍ يَبقى، لكانَ حَقيقًا أن ترغبَ في الخزفِ الباقي، وتزهدَ في الذَّهب الفاني، فكيف والدُّنيا خزفٌ فانٍ، والآخرةُ ذهبٌ باقٍ!؟[3]

واللهُ أعلمُ بالصَّواب.

* * *

---

(١) تهذيب الأسرار ١٤٢

(٢) انظر تهذيب الأسرار ٤٩٣.

(٣) تهذيب الأسرار ٤٩٥، المختار ٤/٢١٣

(٢) إبراهيم بن أدهم(*)

ومنهم: أبو إسحاق إبراهيم بن أدهم بن منصور، رحمه الله، من كورة بَلْخ.

كان من أبناءِ الملوك، فخرجَ يومًا مُتصيِّدًا، فأثار ثعلبًا ـ وقيل: أرنبًا ـ وهو في طلبه، فهتف به هاتفٌ: ألهذا خُلقتَ، أم بهذا أُمرت؟! ثمَّ هتف به من قَرَبوس[1] سرجه: واللهِ ما لهذا خُلقتَ، ولا بهذا أُمرت. فنَزَل عن دابَّتِهِ، وصادفَ راعيًا لأبيه، فأخذَ جُبَّتَهُ، وكانت من صوفٍ، فلبسها، وأعطاه ثيابَه وقماشه وفرسه، ثمَّ دخلَ مكَّةَ، وصحب بها سُفيان الثّوري، وفُضيل بنَ عياض، ثمَّ ارتحلَ إلى الشَّام، فأقامَ بها، وكان يأكلُ من عمل يده مثل الحصادِ، وحفظِ البساتين، وغيرِها[2]

وصادفَ في بعضِ البراري رجلاً، فعلَّمه اسمَ الله الأعظم، فدعا به فرأى الخَضِر عليه السّلام، فقال: إنَّما علَّمَكَ اسمَ الله الأعظم أخي داود[3]

(*) التاريخ الكبير ١/ ٢٧٣، طبقات الصوفية ٢٧، حلية الأولياء ٧/ ٣٦٧، و٨/ ٣، الرسالة القشيرية ٣٥، صفة الصفوة ٤/ ١٥٢، المختار من مناقب الأخيار ١/ ٢١٢، الأنساب ٢/ ٢٨٤، مختصر تاريخ دمشق ٤/ ١٧، تهذيب الكمال ٢/ ٢٧، سير أعلام النبلاء ٧/ ٣٨٧، مرآة الجنان ١/ ٣٤٩، الوافي بالوفيات ٥/ ٣١٨، فوات الوفيات ١/ ١٣، البداية والنهاية ١٠/ ١٣٥، طبقات الأولياء ٥، نفحات الأنس ٦٠، تهذيب التهذيب ١/ ١٠٢، الطبقات الكبرى للشعراني ١/ ٦٩، الكواكب الدرية ١/ ١٩٥، شذرات الذهب ١/ ٢٥٥

(١) القربوس: حنو السرج، وهما قربوسان، مقدم السرج ومؤخره.

(٢) الرسالة القشيرية ٣٥

(٣) طبقات الصوفية ٢٧، ٣١، الرسالة القشيرية ٣٥

وكان كبيرَ الشَّأن في باب الورع.

يُحكى عنه أنَّه قال: أطبْ مطعمَكَ، ولا عليك أن لا تقومَ اللَّيل، ولا تَصوم النَّهار[١]

وقيل: كان من دُعائه: اللَّهُمَّ، انقلني من ذلِّ معصيتك إلى عزِّ طاعتك[١]

وقيل له: إنَّ اللَّحمَ قد غلا فقال: أرخصوه، أي لا تَشتروه[١]

ورُوي عنه: أنَّه قال لرجلٍ في الطَّواف: اعلمْ أنَّك لا تنالُ درجةَ الصَّالحين حتَّى تجوزَ ستَّ عِقَاب:

الأول: تُغلقُ باب النِّعمةِ وتفتحُ باب الشِّدَّةِ.

الثَّانية: تُغلقُ بابَ العزِّ وتفتحُ باب الذُّلِّ.

الثَّالثة: تُغلق بابَ الرَّاحة وتفتحُ بابَ الجهد.

الرَّابعة: تُغلقُ بابَ النَّوم وتَفتحُ بابَ السَّهر

الخامسة: تُغلقُ بابَ الغِنى وتفتحُ بابَ الفقر.

السَّادسة: تُغلقُ بابَ الأملِ وتفتحُ بابَ الاستعداد للموت[٢]

ورُوي عنه: أنَّه كان يحفظُ كرمًا، فمرَّ به جندي، فقال: أعطنا من هذا العنب. فقال: ما أمرَ به صاحبُهُ. فأخذَ الجندي يضربُهُ بسوطه، فطأطأ رأسَه، وقال: اضربْ رأسًا طالما عصى الله. قال: فأُعجِزَ الرَّجلُ، ومضى[٣]

وقال سهل بنُ إبراهيم: صحبتُ إبراهيمَ بنَ أدهم، فمرضتُ، فأنفقَ عليَّ نفقتَهُ، فاشتهيت شهوةً، فباعَ حماره، وأنفق عليَّ ثمنَهُ، فلمَّا

---

(١) الرسالة القشيرية ٣٦.

(٢) طبقات الصوفية ٣٨، الرسالة القشيرية ٣٦

(٣) الرسالة القشيرية ٣٦.

تماثلتُ، قلتُ له: يا إبراهيم، وأين الحمار؟ قال: بعناه. فقلتُ: على ماذا أركبُ؟[1] قال: يا أخي، على عُنقي. فحملني ثلاثَ منازل[2]

وقال: من علامةِ العارف أن يكون أكثرَ صمْته التَّفكُّرُ والعبرةُ، وأكثرَ كلامِهِ الثَّناءُ والمدحةُ، وأكثرَ عمله الطَّاعةُ والخدمةُ، وأكثرَ نظرِهِ إلى لطائفِ صُنع ربِّ العزَّة[3]

وقال إبراهيم بن بشار الصُّوفي خادمُهُ: سرينا مع إبراهيمَ بنِ أدهم ذات ليلةٍ، وليس معنا شيءٌ نُفطر عليه، ولا لنا حيلةٌ، فرآني مَغموما حزينًا، فقال: يا إبراهيم بن بشار، ماذا أنعمَ اللهُ على الفقراء والمساكين من النِّعمِ في الدُّنيا والآخرة! لا يَسألُهم اللهُ يوم القيامة عن حجٍّ ولا زكاةٍ، ولا عن صلةِ رحمٍ، ولا عن مواساةٍ، وإنَّما يَسألُ ويُحاسب هؤلاء المساكين، أغنياء في الدُّنيا فقراء في الآخرة، أعزَّة في الدُّنيا، أذلَّة يوم القيامة، لا تغتمَّ ولا تَحزنْ، فرزقُ الله مضمون سيأتيك، نحن واللهِ الملوكُ الأغنياء[4]، نحن الذين قد تعجَّلنا الرَّاحةَ في الدُّنيا، لا نُبالي على أيِّ حالٍ أصبحنا وأمسينا إذا أطعنا الله. ثمَّ قامَ إلى صلاتِهِ، وقمتُ إلى صلاتي، فما لبثنا غيرَ ساعةٍ، وإذا نحن برجلٍ قد جاءَ ومعه ثمانيةُ أرغفةٍ وتمرٌ كثير، فوضعَهُ بين أيدينا، وقال. كلوا، رحمَكم الله. قال: فسلَّمَ إبراهيمُ من صلاته، وقال كُلْ يا مغموم. فدخل سائلٌ، وقال: أطعموني شيئًا فأخذ ثلاثةَ أرغفةٍ مع تمر فدفعه إليه، وأعطاني ثلاثة أرغفة، فأكل رغيفين، وقال: المواساةُ من أخلاقِ المؤمنين[5]

---

(١) في (أ): ماذا أركب.

(٢) الرسالة القشيرية ٣٦، والمنزلة: الموضع ينزل به المسافر

(٣) تهذيب الأسرار ٥٠، وفي (أ): أكثر همه التفكر والعبادة.

(٤) في المختار: ملوك الأغنياء.

(٥) الحلية ٧/ ٣٧٠، المختار ١/ ٢١٥، تاريخ مدينة دمشق ٦/ ٣٠٨.

وقال يزيد بنُ سُفيان: كان إبراهيمُ قاعدًا في مَشْرقةٍ[١] بدمشق، إذ مرَّ به رجلٌ على بغلةٍ، فقال له: يا أبا إسحاق، إنَّ لي إليك حاجةً أُحبُّ أن تقضيَها. فقال إبراهيم: إن أمكنَ قضيتُها، [وإلاَّ أخبرتُك بعُذري]. فقال: إنَّ بردَ الشَّام شديد، وأُريدُ أن أُبدلَ ثوبيك هذين بثوبَيْنِ جديدَيْنِ. فقال له إبراهيم: إنْ كنتَ غنيًّا قبلتُ منك، وإنْ كنتَ فقيرًا لم أقبلْ منك. فقال الرَّجل: أنا والله كثيرُ المال والضِّياع. فقال له إبراهيم: فإنِّي[٢] أراكَ تغدو وتروحُ على بغلتك هذه. فقال. أُعطي هذا، وآخذُ من هذا. فقال له إبراهيم: قم؛ فإنَّك فقير، لأنَّكَ تجتهدُ في ابتغاء الزِّيادة[٣]

وقال إسحاقُ بنُ فُدَيك: حدَّثني أبي، قال: خرجتُ أنا وإبراهيم بنُ أدهم نريدُ الغزوَ في البحر، فلمَّا صرنا ببعضِ الطَّريق سمعنَا جلبةً، فإذا بإبراهيم بنِ صالح[٤] قد خرجَ في طلبِ الصَّيدِ بالبُزاةِ والشَّواهين، ومعه جواريه مُرخياتٍ شعورَهُنَّ متبرجاتٍ، فنظرتُ إليهن، فقال إبراهيم: مه، يا فُديك، لا تنظرْ إليهن، إنَّهن قذرات يَحضْنَ ويَبلن ويتغوّطن ويهرمن، فاعملْ للواتي لا يَحضن ولا يَبلنَ ولا يَهرَمْنَ، عُربًا أترابًا كأنَّهن وكأنَّهن. ومضينا حتَّى إذا صِرنا بين الكروم[٥]، نظرَ إلى الأعناب، فقال: يا فُديك، انظرْ إلى المقطوعِ المَمنوع[٦]، واعمل لغير المقطوع الممنوع، ثمَّ مضينا حتَّى انتهينا إلى صُور، واجتمعنا خمسةُ نفرٍ، وفينا أبو مَرْثد، فقال

---

(١) المَشْرَقة: موضع القعود للشمس (اللسان)، وفي (أ): مشرفة.
(٢) في المختار ١/ ٢٥٥: فأين أراك.
(٣) الحلية ٧/ ٣٩٣، المختار ١/ ٢٢٥
(٤) هو إبراهيم بن صالح بن علي الهاشمي، أمير دمشق من قبل المهدي، وولي مصر من قبل المهدي أيضًا مرتين، وولي الجزيرة لموسى الهادي، توفي سنة ١٧٦هـ. مختصر تاريخ دمشق ٤/ ٦٣
(٥) في (أ): ببعض الكروم.
(٦) ثمار الجنة ﴿لا مقطوعة ولا ممنوعة﴾ أي: لا تنقطع شتاء ولا صيفًا، ولا يمنع أكلها عودٌ ولا شوك. انظر تفسير ابن كثير، (الواقعة): ٣٣ وثمار الدنيا عكسها.

إبراهيم: الجماعةُ بركة. ثمَّ افترقنا، ليأتي كلُّ واحدٍ منَّا بدينارين، فمضى إبراهيمُ ونحن نعلمُ أنَّه ليس معه شيءٌ، فتبعه رجلٌ منَّا، ينظرُ إليه من أين يأتي بالدِّينارين، فقصدَ خلاءً من الأرض، فصلَّى ركعتين، ثمَّ التفتَ، فرأى ما حوله ذهبًا، فأخذ منه دينارين، ثمَّ عاد إلينا، فتجهَّزنا وركبنا البحر[1]

وقال إبراهيم بن بشار سمعتُ إبراهيمَ بنَ أدهم يتمثَّلُ كثيرًا بهذا البيت:

لَلُقْمَةٌ بجريشِ الملحِ آكُلُها ... ألذُّ من تمرةٍ تُحشا بزُنْبُورِ[2]

وقال إبراهيمُ بنُ أدهم: مررتُ ببعض جبالِ الشَّام، فإذا حجرٌ مكتوبٌ كتابةً بيِّنَةً بالعربية، والحجر عظيم كبير

كُلُّ حيٍّ وإنْ بَقِي ... فمِنَ العيشِ يَستقِي[3]

فاعملِ اليومَ واجْتَهِدْ ... واحذرِ الموتَ يا شَقِي

قال: فوقفتُ زمانًا أقرؤه وأبكي[4]

ورُوِي أنَّه كان يَعملُ في الحصاد وحِفظ البساتين، ويجتمعُ باللَّيل مع أصحابه، فيُنفق عليهم وعليه وقتَ إفطارهم كلَّ ليلةٍ، وكان يُبطئُ في الرُّجوع من العمل، فقالَ أصحابُهُ بعضَ اللَّيالي: تعالوا نأكلِ الفطورَ بدونه، حتَّى يكونَ يعودُ بعد هذا أسرع. فأفطروا وناموا، فلمَّا رجعَ إبراهيم وجدهم نيامًا، فقال: مَساكين، لعلَّهم لم يكنْ لهم طعامٌ. فعمدَ إلى شيءٍ من الدَّقيق كان هناك، فعجنَهُ، وأوقدَ النَّارَ، وطرح الملة[5]،

---

(١) حلية الأولياء ٨/ ٧

(٢) الزُّنبور: ثمر مثل الزيتون سواء، إذا نضج اشتدَّ سواده وحلا جدًّا. (اللسان). والخبر في الحلية ٨/ ١٠

(٣) يستقي: يموت والسقي ماء أصفر إذا اجتمع في البطن لا يكاد يبرأ منه

(٤) حلية الأولياء ٨/ ١٢

(٥) المَلَّة: الرماد الحارّ والجمر، وينسب الخبز إليها فيقال: خبز المَلَّة.

فانتبهوا وهو ينفخُ في النَّار، واضعًا محاسنَهُ في التُّراب، وقالوا له في ذلك، فقال: قلتُ لعلَّكُم لم تجدوا فطورًا فنمتم، فأحببتُ أن تَستيقظوا والملَّةُ قد أدركت. فقال بعضُهم لبعض: أبصروا عملَنا، وما الذي يُعاملنا به؟![1]

وقيل: مرَّ إبراهيمُ بسوق البصرة، فاجتمعَ إليه النَّاس، وقالوا: يا أبا إسحاق، إنَّ الله يقول: ﴿ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡ ﴾ [غافر ٦٠]. ونحن ندعوه منذ دهرٍ، فلا يَستجيبُ لنا! فقال: يا أهلَ البصرة، ماتت أنفسُكم[2] في عشرةِ أشياء:

أوَّلُها: عرفتم اللهَ، ولم تؤدُّوا حقَّه.

والثَّاني: قرأتم كتابَ الله، ولم تعملوا به.

والثَّالث: ادَّعيتم حبَّ رسولِ الله، وتركتم مُتابعتَه وسُنَّته.

والرَّابع: ادَّعيتم عداوةَ الشَّيطان، ووافقتموه.

والخامس: قلتم نحبُّ الجنَّة، ولم تعملوا لها.

والسَّادس: قُلتم نخافُ النَّار، ووهبتم[3] أنفسَكم لها.

والسَّابع: قلتم إنَّ الموتَ حقٌّ، ولم تَستعدُّوا له.

والثَّامن: اشتغلتم بعيوبِ إخوانكم، ونبذتم عيوبَكم وراءَ ظهوركم.

والتَّاسع: أكلتم نعمةَ ربِّكم، ولم تَشكروها.

والعاشر: دفنتم موتاكم، فلم تَعتبروا بهم[4]

وقال: أثقلُ الأعمالِ في الميزان أثقلُها على الأبدان، ومن وَفَّى العملَ

---

(١) الرسالة القشيرية ٤١٩ (الصحبة).

(٢) في (ب): ماتت قلوبكم.

(٣) في (ب): ورهنتم أنفسكم.

(٤) الحلية ٨/ ١٥، المختار ١/ ٢٤٢

وُفّي الأجر، ومن لم يعمل رحلَ من الدُّنيا إلى الآخرة بلا قليلٍ ولا كثيرٍ[1].

وقال: لا يتمُّ الورعُ إلاَّ بتسوية الخلقِ كلِّهم في قلبك، واشتغالِك عن عيوبهم بذنبك، وعليك باللَّفظ الجميل من قلبٍ ذليلٍ لربٍّ جليلٍ، فكِّرْ في ذنبك، وتُبْ إلى ربِّك، يُثبِّتَ الورعَ في قلبك، واحسمِ الطَّمعَ إلاَّ من ربِّك[2].

وقال: بتُّ ليلةً تحت الصَّخرةِ ببيتِ المقدس، فلمَّا كان بعضُ اللَّيل نمتُ، فرأيت ملكَيْنِ نزلا من السَّماءِ، فقالَ أحدُهما لصاحبه: مَن ههنا؟ فقال له الآخر: إبراهيمُ بنُ أدهم. فقال: ذاك الذي حطَّ اللهُ درجةً من درجاته. فقال: لِمَ؟ قال: لأنَّه اشترى بالبصرةِ تمرًا، فوقعت تمرةٌ من تمرِ البقَّالِ على تمره. قال إبراهيم: فاستيقظتُ، وتجهَّزتُ، وسرتُ إلى البصرة، واشتريتُ تمرًا من ذلك البقَّال، وأوقعتُ تمرةً من تمري على تمرِه، ثمَّ عدتُ إلى بيتِ المقدس، وبتُّ في ذلك الموضع، فلمَّا كان بعضُ اللَّيلِ رأيت الملكَيْنِ قد نزلا من السَّماء، فقال أحدُهما لصاحبه: مَن ههنا؟ فقال له الآخر: إبراهيمُ بن أدهم. فقال: ذاك الذي رُدَّ إلى مكانه، ورُفعتْ درجتُه[3].

وقال رحمه الله: أولُ ما دخلتُ الشَّام، سألتُ بعضَ المشايخ عن الحلالِ، فقال لي: عليك بمدينةٍ يُقالُ لها المنصورة وهي المَصِّيصَةِ[4]، فعملتُ بها أيامًا، فلم يَصْفُ لي الحلال[5]، فقيل لي: إنْ أردتَ الحلالَ

---

(١) المختار ١/ ٢٤٣، تاريخ دمشق ٦/ ٣٤٢.

(٢) تاريخ دمشق ٦/ ٣٣٨، وفي (ب). فكر في قلبك، وتب إلى ربك.

(٣) الرسالة القشيرية ١٩١ (التقوى)، المختار ١/ ٢٣٧

(٤) المَصِّيصَة: مدينة على شاطئ نهر جيحان من بلاد الشام، بين أنطاكية وبلاد الروم. معجم البلدان.

(٥) في المختار: فلم يصفُ لي فيها شيء من الحلال.

الصَّافي، فعليك بطَرَسُوس[1]؛ ففيها العملُ الكثيرُ والمُباحات. فتوجَّهتُ إليها، وحَصَدْتُ بها، ونظرتُ البساتين، فبينا أنا يومًا أنظُرُ بستانًا، وقد أقمتُ فيه مُدَّةً، إذا أنا بخادم صاحبِ البساتين، قد أقبلَ ومعه جماعةٌ، فجلسَ وقال: يا ناطور. فقلتُ: هو ذا أنا قال: اذهبْ، فأتنا بأكبرِ رمَّانٍ تقدرُ عليه، وأطيبِهِ. فذهبتُ، فأتيتُه بأكبرِ رمَّانٍ، فأخذَ الخادمُ رمَّانةً، فكسرَها، فوجدها حامضةً، فقال لي: يا ناطور، أنت في بُستاننا منذ كذا وكذا تأكلُ فاكهتَنا ورمانَنَا، ولا تعرفُ الحامضَ من الحلو؟! قال: فقلتُ: واللهِ، ما أكلتُ من فاكهتِكَ شيئًا، ولا أعرفُ الحامضَ من الحلو. فأشارَ الخادمُ إلى أصحابه، وقال: أما تَسمعون كلامَ هذا؟! ثمَّ قال: أتراك لو أنَّكَ إبراهيمُ بنُ أدهم. ما زادَ على هذا. ثمَّ انصرفَ، فلمَّا كان من الغدِ، ذكرَ صفتي في المسجدِ، فعرفني بعضُ النَّاس، فجاءَ الخادمُ ومعه جماعةٌ كثيرة، فلمَّا رأيتُهم مُقبلين اختفيت خلفَ الشَّجرِ[2]، والنَّاسُ داخلون، فاختلطتُ معهم، ثمَّ هربتُ منهم، ثمَّ خرجتُ من طَرَسوس بعد ذلك[3]

وقيل: صحبَ إبراهيمَ بنَ أدهم رجلٌ، فلمَّا أرادَ أن يُفارقه، قالَ له الرَّجل: إنْ رأيتَ فيَّ عيبًا فنبِّهني عليه. فقال إبراهيم: إنِّي لم أرَ فيك عيبًا، لأنِّي لاحظتُكَ بعينِ الودادِ، فاستحسنتُ منكَ ما رأيتُ، فاسألْ غيري عن عَيبك[4]

وقال شقيقٌ البلخي: لقيتُ إبراهيمَ بن أدهم ببلاد الشَّام، فقلتُ: يا إبراهيم، تركتَ مُلكَ خُراسان، وأقمتَ ههنا؟ فقال: ما تهنَّيتُ بالعيش إلَّا بالشَّام، أَفِرُّ بديني من شاهقٍ إلى شاهق، ومن جبلٍ إلى جبل، فمن رآني يقول: مُوَسْوَس، ومن رآني يقولُ: حمَّال. ثمَّ قال: يا شقيق، لَمْ

(١) طَرَسُوس: مدينة بثغور الشام بين أنطاكية وحلب. معجم البلدان.

(٢) في (أ): خلف الشجرة.

(٣) حلية الأولياء ٧/٣٦٨، المختار ١/٢١٣، تاريخ دمشق ٦/ ٢٨٤.

(٤) الرسالة القشيرية ٤١٨ (الصحبة).

يَنْبُلْ[1] عندنا من نَبَلَ بالحجِّ ولا بالجهاد، إنَّما نَبَلَ عندنا من كان يعقِلُ ما يدخلُ جوفَه ـ[يعني] الرَّغيفين ـ من الحلال. فبكى شقيق، وبكى النَّاسُ حوله، فقال شقيق: لا كاد سماءٌ تَسقي غيثَها بلدًا ظعنتَ عنه، وبؤسًا لقومٍ خرجتَ من بين أَظهرهم، كيف لا يَستسقون بآثارك؟![2]

وقال إبراهيمُ بنُ بشار: بينا أنا، وإبراهيمُ بن أدهم، وأبو يوسف الغَسُّولي، وأبو عبد الله السِّنجاري ونحن متوجّهون نُريدُ الإسكندرية، فصِرْنا إلى نهرٍ يُقال له نهر الأردن، فقعدنا نستريحُ، فقرَّبَ أبو يوسف كُسيراتٍ يابسةً، فأكلنا وحمدنا الله، وقامَ بعضُنا ليسقي إبراهيم الماءَ، فسارعه ودخلَ النَّهر حتَّى بلغ الماءُ إلى ركبتيه، ثمَّ قال: بسم الله. وشربَ، ثم قال: الحمد لله. ثمَّ شربَ ثانيةً، وقال: بسم الله. وعند فراغه قال: الحمدُ لله. ثمَّ خرجَ من النَّهر، ومدَّ رجليه، ثمَّ قال: يا أبا يوسف، لو علمَ المُلوكُ وأبناء الملوك ما نحن فيه من السُّرور والنَّعيم إذًا لجالدونا عليه بأسيافهم أيام الحياة؛ لِمَا نحن فيه من لذَّةِ العيش، وقلَّةِ التَّعب. قال: فقلتُ له: يا أبا إسحاق، طلب القومُ الرَّاحةَ والنَّعيم، فأخطؤوا الطَّريقَ المستقيم. فتبسَّمَ، ثمَّ قال: من أين لك هذا الكلام؟[3]

وقال بقيَّةُ: قلتُ لرفيقِ إبراهيم بنِ أدهم: أخبرني عن أشدِّ شيءٍ مرَّ بك منذُ صحبته. قال: نعم، كنَّا يومًا صيامًا، ولم يكن لنا ما نُفطر عليه، فقلتُ له: يا أبا إسحاق، هل لك أنْ نُكري أنفسنَا مع هؤلاء الحصادين؟ فقال: افعل. فجاءَ رجلٌ واكتراني بدرهم، قال: قلتُ: وصاحبي؟ قال: هو رجلٌ ضعيفٌ، لا أُريده. قال: فما زلتُ به حتَّى اكتراه بثُلثي درهم، فلمَّا كان عند المساءِ، أخذتُ الأجرةَ منه، فأتيتُ السّوق، فاشتريتُ منه قدرَ

---

(١) في (أ): لم يقبل.

(٢) الحلية ٧/ ٣٦٩، المختار ١/ ٢١٤، وما بين معقوفين مستدرك من الأخير، وتاريخ دمشق ٦/ ٢٩٤، ٢٩٥

(٣) الحلية ٧/ ٣٧٠، المختار ١/ ٢١٦، تاريخ دمشق ٦/ ٣٠٢.

ما نحتاجُ إليه، وتصدَّقتُ بالباقي، فقال: أمَّا نحن فقد استوفينا أُجورَنا، فليتَ شعري أَوفيناه العملَ أم لا؟ قال: فلمَّا سمعتُ ذلك منه غضبتُ، فقال: لا بأس، تضمنُ لي أنَّا وفَّيناه[1] عمله؟ فلمَّا رأيتُ امتناعَهُ من أكله، أخذتُ الطَّعامَ، فتصدَّقتُ به، وبتنا طاويين[2]

وقالَ أبو إسحاق الفزاري: كان إبراهيمُ بن أدهم يحصدُ الزَّرعَ بالنَّهار، ويُصلِّي باللَّيل، فمكثَ ثلاثين يومًا لا ينامُ باللَّيل ولا بالنَّهار[3]

وقال عليُّ بن بكَّار: كنَّا جلوسًا عند الجامع بالمَصِّيصَة، وفينا إبراهيمُ ابن أدهم، فقدمَ رجل من خُراسان، فقال: أيُّكم إبراهيم بن أدهم؟ فقال القوم: هذا. فقال له: إنَّ إخوتك بعثوني إليكَ. فلمَّا سمعَ ذكرَ إخوته قامَ، فأخذَ بيده ونحَّاهُ، وقال: ما جاء بك؟[4] فقال: أنا مملوكٌ، ومعي فرسٌ وبغلٌ وعشرةُ آلاف درهم ـ وقيل: عشرةُ آلاف دينار ـ بعثَ بها إخوتُكَ إليك. فقال: إن كنتَ صادقًا، فأنتَ حرٌّ، وما معك فلك، اذهبْ فلا تُخبر أحدًا. قال: فذهب[5]

وقال خلفُ بن تميم: كنَّا مع إبراهيم بن أدهم في سفرٍ، فأتاه النَّاس، فقالوا: إنَّ الأسدَ قد وقفَ على طريقنا. قال: فأتاه، فقال: يا أبا الحارث[6]، إن كنتَ أُمرتَ فينا بشيءٍ، فامضِ لِمَا أُمرتَ به، وإن لم تكن أُمرتَ فينا بشيءٍ، فتنحَّ عن طريقنا. قال: فأدبرَ الأسد، وهو يُهمهم. فقال لنا إبراهيم: وما على أحدِكم إذا أصبحَ وأمسى أن يقول: اللَّهُمَّ، احرُسْنا بعينك التي لا تَنام، واحفظنا برُكْنِكَ الَّذي لا يُرام، وارحمنا بقُدرتك

---

(١) في (أ): أوفيناه.
(٢) الحلية ٧/ ٣٧٩، المختار ١/ ٢١٩
(٣) الحلية ٧/ ٣٧٨، تهذيب الأسرار ٢٤١، المختار ١/ ٢١٨
(٤) في (أ): ما حاجتك.
(٥) الحلية ٧/ ٣٨٣، المختار ١/ ٢٢١
(٦) أبو الحارث من أسماء الأسد.

علينا، فلا نهْلِكُ وأنت الرجاء[1] قال إبراهيم: إنّي أقولُها على ثيابي ونفقتي، فما فقدتُ منها شيئًا[2]

وقال إبراهيم بن بشار: سألتُ إبراهيمَ بن أدهم عن العبادة، فقال: رأسُ العبادةِ التّفكّرُ والصّمت إلاّ عن ذكرِ الله، ولقد بلغني أنّه قيل للقمان: ما بلغَ من حكمتك؟ فقال: لا أسألُ عمّا قد كُفيتُ، ولا أتكلّفُ ما لا يعنيني. ثمّ قال: يا بن بشار، إنّما ينبغي للعبد أن يَصمتَ أو يتكلّمَ بما ينتفعُ أو ينفعُ به من موعظةٍ أو تنبيهٍ أو تخويفٍ أو تحذيرٍ، يابن بشار، مَثّلْ لبصرِ قلبك حضورَ مَلَكِ الموت لقبضِ روحك، فانظرْ كيف تكون، ومَثّلْ له هولَ المطلع، ومُسَاءَلةَ مُنكرٍ ونكير، فانظرْ كيف تكون، ومثّلْ له القيامة وأهوالَها وأفزاعَها، والعرضَ والحساب والوقوف، فانظرْ كيف تكون، ثمّ صرخَ صرخةً، ووقعَ مَغشيًّا عليه[3]

وكتبَ عمرُ بنُ المنهال القرشي إلى ابنِ أدهم رضي الله عنه، وهو بالرّملة: أن عِظني عِظةً أحفظُها عنك. فكتبَ إليه: أمّا بعد، فإنَّ الحزنَ على الدُّنيا طويل، والموتَ من الإنسان قريب، والنّقص منه في كلِّ وقتٍ نصيب، وللبلى في جسمِهِ دبيب، فبادرْ بالعمل قبل أن يُنادى بالرّحيل، واجتهدْ في العمل بدارِ الممرِّ قبلَ الانتقال إلى دارِ المقرِّ[4]

وقال: أشدُّ الجهادِ جهادُ الهوى، فمن منعَ نفسَه هواها، فقد استراحَ من الدُّنيا وبلاها، وكان محفوظًا معافىً من أذاها، فإنَّ الهوى يُردي،

---

(١) الدعاء ورد في الفردوس للديلمي ٥/ ٣٢١ عن علي بن أبي طالب عن النبي ﷺ، وهو في تهذيب الكمال ٥/ ٩٦، وسير أعلام النبلاء ٦/ ٢٦٦ من قول جعفر بن محمد الصادق

(٢) الحلية ٨/ ٤، تهذيب الأسرار ٣٦٦، المختار ١/ ٢٢٦

(٣) الحلية ٨/ ١٧، تاريخ دمشق ٦/ ٣٣١

(٤) الحلية ٨/ ١٧، المختار ١/ ٢٤٣، تاريخ دمشق ٦/ ٣١٢

وخوفَ اللهِ يشفي، واعلم أنَّ ممَّا يزيلُ عن قلبِكَ هواك، إذا خِفْتَ ممَّن تَعلمُ أنّه يراكَ[1].

وقال ابنُ بشار: سمعتُ إبراهيمَ بن أدهم يقول: اذكرْ ما أنت صائرٌ إليه حقَّ[2] ذكره، وتفكَّرْ فيما مضى من عمرك، هل تَرجو به النَّجاةَ من عذاب ربِّك؟، فإنَّك إنْ كنتَ كذلك شَغلتَ قلبك بالاهتمامِ بطريق النَّجاة عن طريق اللاَّهين المُطمئنِّين، الذين أتبعوا أنفسَهم هواها، فوقفتْ بهم[3] على طريق هلكاتهم، لا جرمَ سوف يَعلمون، وسوف يُناقشون[4]، وسوف يَندمون، ﴿وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾ [الشعراء: ٢٢٧].

وقال ابنُ بشار: سمعتُ إبراهيم بن أدهم يقول: مَنَّ اللهُ عليكم بالإسلام، وأخرجَكُم من الشَّقاء إلى السَّعادة، ومن الشِّدَّةِ إلى الرَّخاء، ومن الظُّلماتِ إلى الضِّياء، فشبتُم نعمةَ ربِّكم عليكم بالكفران، ومَرَّرْتُم بالخطايا حلاوةَ الإيمان، ونَقضتم بالذُّنوبِ عُرى الإيمان، وهدمتم الطَّاعةَ بالعصيان، وإنَّما تمرُّون بمراصدِ الآفات، وتمضون على جسورِ الهلكات، وتَبنون على قَناطر الزَّلاَّت، فباللهِ تغترون؟ وعليه تجترئون؟ ولأنفسكم تخدعون؟ ولله لا ترقبون؟ فإنَّا لله وإنَّا إليه راجعون[5].

وقال بقيَّةُ بن الوليد: لقيتُ إبراهيمَ بن أدهم بالسَّاحل، فقلتُ له: أُكنِّيك، أم باسمك أُسمِّيك؟ فقال: إنْ كنَّيتني قَبلْتُ منك، وإنْ دَعوتني باسمي، فهو أحبُّ إليَّ. ثمَّ قال: يا بقيَّة، كنْ ذَنَبًا ولا تكنْ رأسًا؛ فإنَّ الذنبَ يَنجو والرَّأس يهلَكُ. قال: فقلتُ له: ما شأنُكَ لا تتزوَّجُ؟ فقال: ما تقولُ في رجلٍ أعرى امرأةً وجوَّعها؟ قلتُ: ما يَنبغي هذا. قال:

---

(١) الحلية ٨/ ١٨، وانظر تاريخ دمشق ٦/ ٣٤٤
(٢) في (أ): حقيقة ذكره.
(٣) في (ب): فوقفتهم. وفي الحلية ٨/ ١٨ فوقعتهم.
(٤) في الحلية: وسوف يتأسفون.
(٥) الحلية ٨/ ٢٠.

فأتزوَّجُ امرأةً تَطلبُ منّي ما يَطلبُ النِّساء؟! لا حاجةَ إليَّ فيهن[1].

وقال: ليس من أَعلام الحبِّ أن تُحبَّ ما يَبغضُ حبيبُكَ، ذمَّ مولانا وسيِّدُنا الدُّنيا ومدحناها، وأبغضَها فأَحببناها، وزَهَّدَنا فيها فآثرناها، ونَهانا عن طلبِها فطلبناها، دعتْكُم إلى هذه الغرَّارة دواعيها فأجبتم مُسرعين مُناديها، [خدعتكم بغرورها و] مَنَّتكم فانقدتم خاضعين لأمانيها، تتمرَّغون في أهوائها، وتتنعَّمون في لذاتها وتتقلَّبون في شهواتها، وتتلوَّثون بتبعاتها، تنبشون بمخالبِ الحرصِ عن خزائنها[2]، وتحفرون بمعاولِ الطَّمع في معادنها، وتبنون بالغفلةِ أماكنَها، وتُحصِّنون بالجهلِ مساكنَها، أتريدون أن تُجاوروا الله في داره، وتحطُّوا رحالَكم بقربه بين أوليائه وأصفيائه؟! وأنتم غَرقى في بحارِ الدُّنيا، حَيارى في جمعها ما تَشبعون! ومن التَّنافُسِ فيها ما تملّون! كذَّبتكم واللهِ أنفسُكم، وغرَّتكم الأماني، وتعلَّلتم بالتَّواني، لا، حتَّى تُعطوا اليقينَ من قلوبكم، والصِّدقَ من نيَّاتكم، وتتنصَّلون إليه من مساوئ ذنوبكم، وتُطيعوه في بقيَّةِ أعماركم، أما سمعتمُ اللهَ تَعالى يقولُ في مُحكم كتابه: ﴿أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ﴾؟ [ص: ٢٨] لا تُنالُ جنَّته إلاَّ بطاعته، ولا ولايته إلاَّ بمحبَّته، ولا مرضاته إلاَّ بترك معصيته، فإنَّه قد أعدَّ المغفرةَ للأوَّابين، والرَّحمةَ للتَّوَّابين، والجنَّة للمُطيعين، وأعدَّ رؤيتَهُ للمشتاقين، قال سبحانه: ﴿وَإِنِّى لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ﴾[3] [طه: ٨٢].

وقال ابنُ بشار: قلتُ لإبراهيمَ بنِ أدهم: أَمضي اليوم، وأَعملُ في الطِّين. فقال: يابنَ بشار، أنت طالبٌ ومطلوب، يَطلبُكَ من لا تفوتُهُ،

---

(١) في الحلية ٨/ ٢١: أغرى امرأة وخدعها. وانظر تاريخ دمشق ٦/ ٣١٥

(٢) في (أ): خراباتها.

(٣) حلية الأولياء ٨/ ٢٤ وفيه زيادة. المختار ١/ ٢٤٤، ٢٤٥، وانظر تاريخ دمشق ٦/ ٣٣٩.

وتَطلبُ ما قد كُفيتَه، كأنَّكَ بما قد غاب عنك قد كشف لك، وما أنت فيه قد نُقلتَ عنه، يابن بشار، أما رأيتَ حريصًا محرومًا، وذا فاقةٍ مرزوقًا؟ ثمَّ قال لي: ما معك شيءٌ؟ قلت: بلى، لي عند البقال دانقٌ. فقال: يعزُّ عليَّ، تَملكُ دانقًا وتطلب العملَ؟![1]

وقال شريكُ بنُ عبد الله: سألتُ إبراهيم بن أدهم عمَّا جرى بين عليٍّ ومعاوية رضي الله عنهما، قال: فبكى، فندمتُ على سؤالي إيَّاه، فرفعَ رأسَه، وقال: إنَّه من عرفَ نفسَه، اشتغلَ بها عن غيرِه، ومن عرفَ ربَّه، اشتغلَ به عن غيره[2]

وقال ابنُ وهب: سمعَ إبراهيمُ بن أدهم رجلاً يُحدِّثُ بشيءٍ من كلام الدُّنيا، فوقفَ عليه، وقال له: كلامُكَ هذا تُؤجر[3] عليه؟ فقال: لا قال: فتأمنُ العاقبة عليه؟ قال: لا قال: فما تصنعُ بشيءٍ لا تُؤجر[3] عليه، ولا تأمنُ عليه العاقبة؟

وقال إبراهيمُ بن بشار: وقفَ رجلٌ صوفيٌّ على إبراهيمَ بنِ أدهم، فقال له: يا أبا إسحاق، لِمَ حُجِبَتِ القلوبُ عن الله تعالى؟ قال: لأنَّها أحبَّتْ ما أبغضَ الله وهي الدُّنيا، ومالتْ إليها وهي دارُ الغرور واللَّهو واللَّعب، وتركتِ العملَ لدارٍ فيها حياةُ الأبدِ، في نعيمٍ لا يزولُ ولا يَنْفَدُ[4]

وقال ابنُ بشار: سمعتُ إبراهيم بنَ أدهم يقول: ذهبَ السَّخاءُ والجودُ والمواساة، فمن لم يُواسِ النَّاسَ بمالِهِ وطعامِهِ وشرابِهِ، فليواسهم ببسطِ الوجهِ وحُسْنِ الخلق، لا تَكونوا بكثرةِ أموالِكم تتكبَّرون على فُقرائكم،

---

(١) تاريخ دمشق ٦/ ٢٩٩، ٣٠٠.

(٢) طبقات المناوي ١/ ٢٠٠

(٣) في (ب): ترجو عليه.

(٤) الحلية ٨/ ١٢، تاريخ دمشق ٦/ ٣٣٧.

وتُعرِضون عن ضعفائكم، ولا تَنبسطون إلى مَساكينكم[1]

وقال أحمدُ بن الفضل العكّي: سمعتُ أبي يقول: مرَّ إبراهيمُ بن أدهم بقيسارية[2]، وقد تعجَّل دينارًا من نطارة كرمٍ، فسمعَ صوتَ امرأةٍ تصيحُ، فقال. ما لهذه؟ قالوا: تلدُ. قال. وأيُّ شيءٍ يُعملُ بها عند ولادتها؟ قالوا: يُشترى لها الدَّقيقُ والزَّيتُ والعسل واللَّحم والسّمن. فصرف دينارَه، واشترى زنبيلاً وملأه من هذه الأجناس، ثمَّ حملَهُ على رقبته إلى بابها، وقال: خذوا. فنظر، وإذا هم أفقرُ بيتٍ في أهل قيسارية، وأعبدُهم لله تعالى[3]

وقال: الفقرُ مخزونٌ في السّماء، يعدلُ الشّهادةَ عند الله، لا يُعطيه إلاَّ من أحبَّه[4]

وقيل له: كيفَ أنت؟ فقال: بخيرٍ، ما لم يَحملْ مؤنتي غيري[5]

وقال. كنتُ سائرًا نحو بيتِ المقدس، فلقيتُ سبعةَ نفرٍ، فسلَّمتُ عليهم، وقلتُ لهم: أَفيدوني شيئًا يَنفعني اللهُ به. فقالوا لي: انظرْ كلَّ قاطعٍ يقطعُكَ عن اللهِ من أمرِ الدُّنيا والآخرةِ فاقطعْه فقلتُ زيدوني، رحمَكُم الله. قالوا: لا ترجُ أحدًا غيرَه، ولا تخفْ أحدًا سواه. قلتُ: زيدوني. قالوا. انظرْ كلَّ من يحبُّه فأحبَّه، وكلَّ من يُبغضُه فأبغضه. قلتُ. زيدوني، رحمكم الله. قالوا عليك بالدُّعاءِ والتَّضرُّع والبكاء في الخلوات، والتَّواضعِ والخشوعِ حيثُ كنتَ، والرَّحمةِ للمسلمين والنُّصح لهم. قلتُ: زيدوني، رحمكم الله. فقالوا: اللَّهُمَّ، حلْ بيننا وبينه؛ فإنّه

---

(١) الحلية ٧/ ٣٨٩

(٢) قيسارية: بلد على ساحل بحر الشام، تعدُّ من أعمال فلسطين، بينها وبين طبرية ثلاثة أيام. معجم البلدان.

(٣) الحلية ٧/ ٣٨٢

(٤) المختار ١/ ٢٤٢

(٥) تاريخ مدينة دمشق ٦/ ٣٤٢.

قد شغلنا عنكَ. فلا أَدري السَّماءُ رفعتهم، أمِ الأرضُ ابتلعتهم؟ وغابوا عني، فلم أرَهم، ونفعني اللهُ بهم![1]

وقال: الزُّهدُ ثلاثةُ أصنافٍ: فزهدُ فرضٍ، وزهدُ فضْلٍ، وزهدُ سلامةٍ، فالفرض الزُّهدُ في الحرام، والفضلُ الزُّهدُ في الحلال، والسّلامة الزُّهدُ في الشّبهات[2]

وقال بقيَّةُ بنُ الوليد: سمعت إبراهيمَ بن أدهم يقول: تعلَّمتُ المعرفةَ من راهبٍ يُقال له سمعان، دخلتُ عليه في صَوْمعتِهِ، فقلتُ له: يا سمعان، مُنذ كم أنتَ ههنا؟ فقال: منذ سبعين سنة. قلتُ: فما طعامُكَ؟ فقال: يا حنيفي، وما دعاك إلى هذا؟ قلت: أحببتُ أن أعلمَ. قال: في كلِّ ليلةٍ حِمَّصة[3] قلتُ: فما الذي يَهيجُ في قلبك، حتَّى تكفيك الحمّصة؟ قال: ترى الدَّيرَ الذي بحذائك؟ قلتُ: نعم. قال: إنَّهم يأتوني في كلِّ سنةٍ يومًا واحدًا، فيُزيّنون صومَعَتي، ويطوفون حولها يعظّمونني بذلك، فكلَّما تثاقلتْ نفسي عن العبادة، ذكرتُ لها تلك السَّاعة، فأنا أحتملُ جهدَ سنةٍ لعزِّ ساعةٍ، فاحتملْ أنت يا حَنيفي جهدَ ساعةٍ لعزِّ الأبد. فوقرتِ المعرفةُ في قلبِي، ثمَّ قالَ لي: حسبُكَ أو أزيدك؟ قلت: زدني. قال: انزل عن الصّومعة. فنَزلتُ، فأدلى إليَّ ركوةً فيها عشرون حِمَّصة، وقال لي: ادخلِ الدّيَر؛ فقد رأوا ما أَدليت إليك. فلمَّا دخلتُ الدّيرَ اجتمع النَّصارى حولي، فقالوا: يا حنيفي، ما الذي أدلى إليك الشَّيخ؟ قلتُ: من قوته. قالوا: وما تَصنع به؟ نحن أحقُّ به، فبعناه. قلت: بعشرين دينارًا. فاشتروه، ثمَّ رجعتُ إلى الشَّيخ، فقال: يا حنيفي، ما الذي صنعتَ؟ قلت: بعته منهم بعشرين دينارًا. فقال: أخطأتَ، لو التمستَ منهم عشرين ألفَ دينار لأعطوك. ثمَّ قال: هذا عزُّ من لا يَعبُدُه،

---

(١) الحلية ٨/ ٢٥

(٢) المختار ١/ ٢٤٥، تاريخ دمشق ٦/ ٢٩٨

(٣) في (أ): في كل ليلة جمعة حمصة.

فكيفَ عزُّ من يعبده؟ يا حنيفي، أقبلْ على ربِّك، ودعِ الذَّهاب والمجيء[1]

وقال بقيَّةُ بن الوليد: قال لي إبراهيمُ بن أدهم: مررتُ براهبٍ في صومعته، والصّومعةُ على عمودٍ، والعمودُ على قُلَّةِ جبلٍ[2]، كلَّما عصفتِ الرِّيح، تمايلتِ الصّومعة، فقلت[3] يا راهب. فلم يُجبني، ثمَّ ناديته ثانيةً، فلم يُجبني، فقلتُ في الثَّالثة: بالذي حبسَكَ في صومعتك إلاَّ أجبتني فأخرجَ رأسَهُ من صومعته، فقال. [كم تنوح!] سمَّيتني باسمٍ لم أكن له بأهل. قلتَ: يا راهب. ولستُ براهبٍ، إنَّما الرَّاهبُ من رَهِبَ من ربِّه عزَّ وجل. قلتُ: فما أنت؟ قال سَجَّان، سجنْتُ سَبُعًا من السِّباع قلتُ: ما هو؟ قال: لساني سَبُعٌ ضارٍ، إنْ أرسلتُه مزَّقَ النَّاس، يا حنيفي إنَ للهِ عبادًا سلكوا خلالَ ديارِ الظَّالمين، واستوحشوا من مُؤانسة الجاهلين، وشابُوا ثمرةَ العلمِ بنورِ الإخلاص، وأقلعوا بريحِ اليقين، حتَّى أرسوا بشاطئ الصّدق، هم واللهِ عبادٌ[4] كحّلوا أبصارَهم بسهرِ اللَّيل، فلو رأيتهم في ليلهم، وقد نامتْ عيونُ الخلق، وهم قيامٌ على أطرافهم، يُناجون مَنْ لا تأخذهُ سِنَةٌ ولا نوم، يا حنيفي، عليك بطريقِهم. قلتُ: فعلى الإسلامِ أنت؟ قال: ما أعرفُ غيرَ الإسلام دينًا، ولكنْ عهدَ إلينا المسيحُ عيسى بنُ مريم عليه السَّلام، ووصف لنا آخرَ زمانكم، فخلَّيتُ الدُّنيا، وإنَّ دينَكَ لجديد، ولقد خَلَقَ دينُنا قال بقية فما أتى على إبراهيم شهرٌ حتَّى هرب من النَّاس[5]

---

(١) الحلية ٨/ ٢٩، المختار ١/ ٢٣٢

(٢) قلَّة الجبل: أعلى الجبل.

(٣) في المختار: فناديتُهُ.

(٤) في (أ): ولله عبادًا.

(٥) الحلية ٨/ ٢٩، المختار ١/ ٢٣٣

وقال: ما صدقَ اللهَ عبدٌ أحبَّ الشُّهرة[1]

ثمَّ قال: ما لنا نشكو فقرَنا إلى مثلنا، ولا نطلبُ كشفَهُ من ربِّنا، ثكلتْ أمٌّ عبدًا أحبَّ مخلوقًا لدنياه، ونسي ما في خزائنِ مولاه[2]

ونظر إبراهيمُ بن أدهم إلى رجل أُصيب بمالٍ ومتاعٍ كثيرٍ بحريقٍ وقعَ في دكانه، فاشتدَّ جزعُ الرَّجل، حتَّى خُولط في عقله، فقال له إبراهيمُ: يا عبدَ الله، إنَّ المالَ مالُ الله، متَّعَكَ الله به إذ شاء، وأخذه منك إذ شاء، فاصبرْ لأمره، ولا تجزع؛ فإنَّ من تمام شُكرِ اللهِ على العافية الصَّبرَ له على البلية، ومَنْ قَدَّمَ وجد، ومَنْ أَخَّرَ ندم وفقد، فإن دارَنا أمامنا، وحياتَنا بعد موتنا، إمَّا إلى الجنَّة، وإمَّا إلى النَّار[3]

وروي أنَّه كان له صاحبٌ يُسمَّى يحيى، يتعبَّدُ في غرفةٍ ليس لها سُلَّمٌ ولا درج، فكانَ إذا أرادَ أن يتطهَّرَ يجيءُ إلى باب الغرفة، ويقول: لا حولَ ولا قُوَّة إلاَّ بالله العليِّ العظيم. ويمرُّ في الهواء كأنَّه طيرٌ ثم يتطهَّرُ، فإذا فرغَ يقول: لا حول ولا قُوَّة إلاَّ بالله، يعودُ إلى غرفته[4]

وقال بقيَّةُ أيضًا: كنتُ يومًا مارًا مع إبراهيمَ بنِ أدهم في صحراء، فأتينا على قبرٍ مُسنَّمٍ، فترحَّمَ عليه، ووقف عنده وبكى، فقلتُ له: قبرُ مَنْ هذا؟ فقال: قبرُ حميد بنِ جابر أميرِ هذه المدنِ كلِّها، كان غَرِقًا في بحار الدُّنيا، ثمَّ استنقذه اللهُ وأخرجَهُ منها، ولقد بلغني أنَّه سُرَّ ذاتَ يوم بشيءٍ من ملاهي مُلكه، ونعمته، وغُرورِ فتنته، ثمَّ نامَ في مجلسه ذلكَ مع أقاربِهِ وعشيرته، فرأى في المنام رجلاً[5] واقفًا على رأسِهِ، بيده كتاب، فناوله إياه، ففتحه، فإذا فيه مكتوب بالذَّهب: لا تُؤثرنَّ فانيًا على باقٍ،

---

(١) المختار ١/ ٢٤٤، تاريخ دمشق ٦/ ٣١٧، ٣١٨

(٢) الحلية ٨/ ٣٢، المختار ١/ ٢٤٦، تاريخ دمشق ٦/ ٣٣٩.

(٣) الحلية ٨/ ٣٢، وتاريخ دمشق ٦/ ٣٣١، المختار ١/ ٢٤٦

(٤) تهذيب الأسرار ٣٥٨

(٥) في المختار: مَلَكًا.

ولا تَغترَّنَّ بِمُلكِكَ، وقدرتك، وسلطانك، وخدَمِك، ولذّتك، وشهوتك، فإنَّ الذي أنت فيه جسيم، لولا أنَّه عديم، وهو مُلْكٌ لولا أنَّه هُلْك، وهو فرحٌ وسرور، لولا أنَّه لهوٌ وغرور، وهو يومٌ لو كان يُوثق له بغد، فسارعْ إلى أمرِ الله؛ فإنَّه يقول: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ﴾ [آل عمران: ١٣٣]. فانتَبَه فَزِعًا، وقال: هذا تنبيهٌ من الله ومَوعظة، فخرجَ من مُلكه، ولم يُعلمْ أحدًا، وقصدَ هذا الجبل، فتعبَّدَ فيه، فلمَّا بلغني خبره، هاجرتُ إليه، وسلَّمتُ عليه، وسألته عن حاله، فحدَّثني ببدوِّ أمره، وحدَّثتُهُ ببدوِّ أمري، فما زلتُ أترَدَّدُ إليه حتَّى مات، رحمه الله، وهذا قبره[1].

وقال: على القلب ثلاثةُ أغطيةٍ. الفرحُ، والحزنُ، والسُّرور، فإذا فرحتَ بالموجود، فأنتَ حريص، والحريصُ محروم، وإذا حَزنتَ على المفقود، فأنتَ ساخطٌ، والسَّاخطُ مُعذَّبٌ، وإذا سُررتَ بالمدح، فأنت مُعجب، والعُجْب يُحبطُ العمل، ودليل ذلك قوله تعالى: ﴿لِّكَيۡلَا تَأۡسَوۡاْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمۡ وَلَا تَفۡرَحُواْ بِمَآ ءَاتَىٰكُمۡۗ﴾[2] [الحديد: ٢٣].

وقال: رأيتُ في المنام كأنَّ جبريلَ عليه السَّلام نزلَ إلى الأرض، فقلتُ: لِمَ نزلتَ؟ فقال: لأكتبَ المحبِّين. فقلت: مِثْل مَنْ؟ قال: مثلُ مالك بن دينار، وثابت البُناني، وأيوب السَّخْتَياني. وعدَّ جماعةً، فقلتُ: أنا منهم؟ قال. لا قلتُ: فإذا كتبتَهم، فاكتبْ تحتهم[3] محبُّ المُحبين. فقال: قد أمرني اللهُ أن أكتبَكَ في أوَّلهم[4].

وقال في قوله تعالى: ﴿فَمِنۡهُمۡ ظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ وَمِنۡهُم مُّقۡتَصِدٞ وَمِنۡهُمۡ سَابِقُۢ بِٱلۡخَيۡرَٰتِ﴾ [فاطر: ٣٢]، فقال: السَّابقُ مَضروبٌ بسَوْط المحبَّة، مقتولٌ

---

(١) الحلية ٨/ ٣٣، المختار ١/ ٢٣٤

(٢) الحلية ٨/ ٣٤، المختار ١/ ٢٤٦

(٣) في (أ): فاكتب مُحبُّهم.

(٤) حلية الأولياء ٨/ ٣٤، المختار ١/ ٢٣٥

بسيفِ الشَّوق، مضطجعٌ على باب الكرامة، والمقتصدُ مضروبٌ بسوط النَّدامة، مَقتولٌ بسيفِ الحَسْرةِ، مُضطجعٌ على باب العفو[1]، والظَّالِمُ لنفسه مَضروبٌ بسَوْط الغفلة، مقتولٌ بسيفِ الأمل، مُضطجعٌ على باب العقوبة[2].

وقال: قد رضينا من أعمالنا بالأماني، ومِنْ طلبِ التَّوبة بالتَّواني، ومن العيش الباقي بالعيش الفاني[3].

وقال: إيَّاكم والكِبْر، إيَّاكم والإعجابَ بالأعمال، انظروا إلى من هو دونكم، ولا تَنظروا إلى من هو فوقكم، مَنْ ذلَّلَ نفسَه رفعَهُ مولاه، ومن اتَّقاهُ وقاه، ومن أطاعه نجَّاه، ومن أقبل إليه أرضاه، ومن توكَّلَ عليه كفاه، ومَنْ سأله أعطاه، ومن أقرضه قَضاه، ومن شكرَهُ جازاه، وينبغي للعبدِ أن يزنَ نفسَه قبل أن يُوزن، ويُحاسبها قبل أن يُحاسب، ويتهيَّأ للعرضِ على الله واليوم[4] الأكبر[5].

وقال: اشغلوا قلوبَكم بالخوف من الله، وأبدانَكم بالدَّوب[6] في طاعةِ الله، ووجوهَكم بالحياء من الله تعالى، وألسنَتكمْ بذكرِ الله، وغضُّوا أبصارَكم عن محارم الله، فإنَّ الله تعالى أوحى إلى نبيِّه محمد عليه السَّلام: «يا مُحمَّد، كلُّ ساعةٍ تذكرني فيها فهي لك مَذخورة، والسَّاعةُ الَّتي لا تَذكرني فيها فهي عليك لا لك»[7].

وقال: ما قاسيتُ فيما تركتُ من الدُّنيا شيئًا أشدَّ عليَّ من شيئَيْنِ: إلقاءِ

---

(١) في (أ): بسيف المسرة، مضطجع على باب العقوبة.
(٢) حلية الأولياء ٨/ ٣٧، المختار ١/ ٢٤٧
(٣) المختار ١/ ٢٤٧، تاريخ دمشق ٦/ ٣٣٩.
(٤) في (ب): في اليوم الأكبر، وفي الحلية: على الله العلي الأكبر
(٥) الحلية ٨/ ٤٠، المختار ١/ ٢٤٧
(٦) في الحلية: بالدأب، وفي المختار: بالدُّؤوب.
(٧) حلية الأولياء ٨/ ٤٠، وأوله في المختار ١/ ٢٤٧

الكتب، ومُفارقةِ الوطن، وما كانت لي مُؤنةٌ على أصحابي قطُّ ولا على غيرهم إلاَّ في شيءٍ واحدٍ، وذاكَ أنَّني ما كنتُ أُحسنُ أُكري نفسي في الحصَّادين، فيحتاجُونَ يُكروني، ويأخذون لي الأجرةَ، فهذه كانت مُؤنتي عليهم.

وقال شُعيب بنُ حرب. قدمَ إبراهيمُ بنُ أدهم مكَّةَ، فنَزلَ على عبد العزيز بن أبي روَّاد، ومعه جرابٌ من جلدِ ظبية، فعلَّقَ جرابَه على وتدٍ، ثمَّ خرجَ إلى الطَّواف، فدخلَ سُفيانُ الثّوري دارَ عبد العزيز، فقال: لمن هذا الجِراب؟ قيل: لأخيك إبراهيمَ بنِ أدهم. فقال سفيان: لعلَّ فيه شيئًا من فاكهة الشَّام. فأنزلَهُ، وحلَّهُ، فإذا هو محشوٌّ بالطّين، فشدَّ الجِرابَ، وردَّهُ إلى الوتد، وخرج سفيان، وعاد إبراهيم، فأخبره عبد العزيز بفعلِ سفيان، فقال: أما إنَّه طعامي منذ شهر[1]

وقال أبو إبراهيم اليماني: خرجنا نسيرُ على ساحلِ البحر مع إبراهيمَ ابنِ أدهم، فانتهينا إلى غَيطةٍ[2] فيها حطبٌ كثيرٌ يابس، وبالقرب منها حِصنٌ، فقلنا له: لو أقمنا اللَّيلةَ ههنا، وأوقدنا من هذا الحطب. فقال. افعلوا. فطلبنا النَّارَ من الحصن، وأوقدنا، ولم يكن معنا سوى الخبز، فأخرجنا نأكل، فقال واحدٌ منا: ما أحسنَ هذا الجمر! لو كان لنا من اللَّحم ما نَشويه عليه. فقال إبراهيم: إنَّ اللهَ قادرٌ على أن يُطعمكموه. قال: فبينا نحن كذلك إذا بأسدٍ يطردُ أيلاً، فلمَّا قَرُبَ منَّا وقعَ، فاندقَّ عنقُهُ، فقام إبراهيم، وقال: اذبحوه، فقد أطعمكم اللهُ. فذبحناه وشوينا من لحمِهِ وأكلنا، والأسدُ واقفٌ ينظرُ إلينا[3]

وقال أبو معاوية الأسود: رأيتُ إبراهيمَ بنَ أدهم يأكلُ الطِّينَ عشرين

---

(١) الحلية ٧/ ٣٨١، المختار ١/ ٢٢٠

(٢) في الحلية والمختار: غيضة. وهما بمعنى البستان، والشجر الكثيف.

(٣) الرسالة القشيرية ٥١٦ (كرامات الأولياء)، المختار ١/ ٢٣٧، تاريخ دمشق ٦/ ٣٢٨.

يومًا، ثمَّ قال: يا [أبا] معاوية: لولا أنِّي أتخوَّفُ أن أعينَ على نفسي ما كان لي طعامٌ إلاَّ الطِّين حتَّى ألقى الله تعالى؛ ليصفو لي الحلال[1]

وقيل: ضاعتْ نفقةُ إبراهيمَ بمكَّة، فمكثَ خمسةَ عشرَ يومًا يستفُّ التُّراب[2]

ورُوي عنه أنَّه قال: ما سُررتُ في إسلامي إلاَّ ثلاث مرات؛ مرةً ركبتُ في سفينةٍ، وفيها رجلٌ مضحاكٌ، يقول: كنَّا نأخذُ العلجَ في بلادِ الترك هكذا. وكان يأخذُ بشعر لحيتي ويهزُّني، فسرَّني ذلك؛ لأنَّه لم يكن في تلك السَّفينةِ أحدٌ أحقرَ منِّي في عينه، والثَّانية كنتُ عليلاً في مسجدٍ، فدخل المؤذِّنُ، وقال: اخرج. فلم أطق، فأخذَ برجلي، وجرَّني إلى خارج المسجد، والثَّالثة كنتُ في بلاد الشَّام، وعليَّ فروٌ، فنظرتُ فيه فلم أُميِّزْ بين شعره وبين القمل لكثرته[3]

وفي روايةٍ أُخرى قال: ما سُررتُ بشيءٍ كسروري [يوم] كنتُ يومًا جالسًا، فجاءَ إنسان، وبالَ عليَّ، وجاء آخرُ فصفعني[4]

وقال مضاءُ بنُ عيسى: ما فاقَ إبراهيمُ بنُ أدهم أصحابَهُ بصلاةٍ ولا صيامٍ؛ ولكن بالصِّدقِ والسَّخاء[5]

وقال نصرُ بن منصور المَصِّيصي: دخلَ إبراهيمُ بن أدهم المَصِّيصة، فأتى مَنْزِلَ أبي إسحاق الفَزَاري، فطلبه، فقيل له: هو خارج. فقال: أعلموه إذا جاء أنَّ أخاه إبراهيمَ بنَ أدهم يَطلبُه، وقد ذهبَ إلى مرجٍ كذا وكذا يرعى فرسه. ثمَّ مَضى إلى ذلك المرج، فإذا أُناسٌ يرعون دوابَّهم،

---

(١) المختار ١/ ٢٢٠

(٢) المختار ١/ ٢٢٠، تاريخ دمشق ٦/ ٣٠١، وفيه: نفدت نفقة. وفي (ب): ضاقت نفقة.

(٣) الرسالة القشيرية ٢٤٥ (الخشوع).

(٤) الرسالة القشيرية ٣٥٦ (الخلق). وما بين معقوفين لاستقامة النص.

(٥) المختار ١/ ٢٣٨.

فرعى فرسَهُ حتَّى أمسى، فقالوا له. ضمَّ فرسَكَ إلى دوابِّنا؛ فإنَّ السِّباعَ تأتينا. فأبى، وتنحَّى ناحيةً، فأوقدوا النِّيرانَ حولهم، ثمَّ أخذوا فرسًا لهم صؤولاً، فأتوه به مَشكولاً[١] يقودونهُ بينهم، ثمَّ قالوا له: إنَّ في دوابِّنا حجورًا ورِماكًا[٢]، فليكنْ هذا عندك. فأخذهُ، ومَسحَ وجهه، وأدخل يده بين فخذَيْه، فعجبوا من ذلك، إذ وقفَ الفرسُ ولم يتحرَّك، ثمَّ قال لهم. اذهبوا. فجلسوا ينظرونَ ما يكون منه ومن السِّباع، فقام إبراهيم يُصلِّي، وهم ينظرون، فلمَّا كان في أثناءِ اللَّيل أتته أُسُدٌ ثلاثةٌ، يتلو بعضُها بعضًا، فتقدَّم إليه الأوَّل فشمَّه ودارَ به، ثمَّ تنحَّى عنه وربض، وفعلَ الثَّاني، والثَّالث كذلك، ولم يزلْ إبراهيمُ ليلته قائمًا يُصلِّي، حتَّى إذا كان وقتُ السَّحرِ قال للأُسُدِ: ما جاءَ بكم، أتريدونَ أن تأكلوني؟ امضوا. فقامتِ الأُسُد، فذهبت، فلمَّا كان الغدُ جاءَ الفزاريُّ إلى أُولئك القوم، فسألهم عنه، وقال: هل جاءكم رجل؟ قالوا: أتانا رجلٌ مجنون. وأخبروه بقصَّتِهِ، فقال: أتدرون مَنْ هو؟ قالوا: لا قال: ذلك إبراهيمُ بن أدهم. فمضوا معه إليه، وسلَّموا عليه، ثمَّ انصرف به الفزاريُّ إلى مَنْزله[٣]

وقال عمرُ بن عيسى: حدَّثني أبي قال: خرجتُ مع إبراهيمَ بنِ أدهم إلى مكَّة، وكان إبراهيمُ إذا قصد مكَّةَ عرجَ عن الطَّريق المألوف، وكنَّا أربعةً، فسرنا حتَّى أتينا المدينةَ، فاكترينا بها بيتًا، ونزلنا فيه، فقال إبراهيم: نحن أربعةٌ، خدمةُ البيت وما يُصلحنا لمعاشنا وإفطارنا وحوائجنا كلَّ يوم على واحدٍ منَّا، والثَّلاثةُ يذهبون إلى المسجدِ، وينتشرون في أشغالهم. قال: فإنَّا يومًا لجلوسٌ في البيت، إذ أقبلَ رجلٌ آدم، عليه قميصٌ جديد، وفي رِجله خفٌّ، وعليه عمامةٌ، ومعه مِزودٌ يحمله على عنقه، فدخل إلينا وسلَّم علينا، وقال: أين إبراهيم؟ قلنا:

---

(١) مشكولاً: معقولاً، من الشِّكال: العقال: الحبل.
(٢) الرِّماك: جمع رَمَكَة، أُنثى البراذين، أي غير أصيل. انظر اللسان.
(٣) الحلية ٧/ ٣٩٢، المختار ١/ ٢٢٤، تاريخ دمشق ٦/ ٣٢٠.

هذا مَنْزِلُهُ، وقد ذهب لحاجةٍ. قال: فمضى، ولم يُكلِّمنا، قال: فرجعَ إبراهيمُ والرّجلُ معه والمِزودُ في عُنقه، قال: فبقي معنا في البيتِ أيامًا، فإذا حضرَ الغداء أو العشاء تنحّى عنا، وخلا بمِزْوده، فيتناول منه، فقال: وإبراهيم لا يَدْعوه، ولا يُعارِضُهُ[1] قال: فلمَّا كان بعد أيامٍ قال لإبراهيم: إنّي أُريدُ الخروجَ. فقال له إبراهيم. متى عزمتَ عليه؟ قال: اللَّيلةَ. ثمَّ خرج، وذهبَ معه إبراهيم، فقال بعضُ أصحابنا: إن هذا له قصة، كيف لا يأكلُ معنا، ولا يَدعوه إبراهيمُ إلى طعامنا، وهو مُقبلٌ على هذا المِزود؟، واللهِ لأفتحنَّهُ، وأنظرُ ما فيه. ففتحَهُ فإذا فيه عظام، قال: فعادَ وشدَّه، وجاءَ الرّجلُ، وأخذَ المِزود، فأنكرَ رباطَهُ، ثمَّ نظرَ في وجوهنا، ومضى، فلمَّا أن ذهبَ قال بعضُ أصحابنا لإبراهيم: يا أبا إسحاق، ما أعجب حال هذا الرّجل الذي كان عندنا! ولقد نظرَ فلانٌ إلى مِزوده، فرأى فيه عظامًا. قال: فتغيَّرَ وجهُ إبراهيم، وأنكرَ على ذلك الرّجل فعلَه، وقال: ما أَحسبُكَ تصحبُني في سفرٍ بعد هذا، لِمَ نظرتَ في مِزوده؟ الرَّجلُ من مُؤمني الجنِّ، آخاني في الله، فليسَ من بلدٍ أَدخلُهُ إلاَّ جاءني، وكان معي فيه يُؤنسني ويُعينني ثمَّ ينصرف. قال: فماتَ الرَّجلُ الذي نظرَ في مِزودِهِ بالمدينة بعد أيام[2]

وقال أبو النَّضر كان إبراهيم بن أدهم يأخذُ الرُّطبَ من شجرةِ البلوط[3]

وقال عديُّ الصَّياد من أهل جَبَلَة[4] سمعتُ يزيدَ بنَ قيس يحلفُ بالله تعالى إنَّه كان ينظرُ إلى إبراهيمَ بنِ أدهم وهو على ساحلِ البحرِ في وقتِ الإفطار، فيرى مائدةً تُوضعُ بين يديه، لا يَدري مَنْ وضعها، ثمَّ يراه يقومُ،

---

(١) في (أ): فقال إبراهيم: لا تدعوه، ولا تعرضوا عليه.

(٢) الحلية ٧/ ٣٩٤.

(٣) الحلية ٨/ ٣، تاريخ دمشق ٦/ ٣٢٦.

(٤) مدينة على الساحل السوري.

فينصرفُ حتَّى يدخل جبلة، وما معه شيءٌ[1]

وقال عبد الله بن السّندي: كان إبراهيم بنُ أدهم على جبلِ أبي قُبَيس[2]، وهو يُحدِّثُ أصحابه، فقال: لو أنَّ وليًّا من أولياءِ الله قال لهذا الجبلِ: زُلْ، لزال. قال: فتحرَّكَ الجبلُ من تحته، فضربَهُ برجله، وقال: ما إياك عنيتُ، اسكنْ، فإنَّما ضربتُكَ مثلًا لأصحابي[3]

قال إبراهيم إنَّ الصَّائمَ القائمَ المُصلّي الحاجَّ المعتمرَ الغازي مَن أَغنى نفسَه عن النَّاس[4]

وقال أبو علي الجُرجاني: صلّى إبراهيمُ خمس عشرةَ صلاةً بوضوءٍ واحدٍ[5]

وقال: إنَّ اللهَ بالمسافرِ لرحيمٌ، وإنَّه لينظرُ إليه في كلِّ يومٍ نظراتٍ، وأقربُ ما يكونُ المسافرُ من ربِّه إذا فارقَ أهلَه.

وقال: سافرَ رجلٌ في طلب العلم، فاستقبلَ حجرًا، فإذا عليها مكتوبٌ: اقلبني تَعتبرْ فبقي الرَّجلُ لا يَدري ما يصنع، فمضى ثمَّ عادَ فقلبَهُ، فإذا فيه كتابةٌ منقورة: أنت لا تَعملُ بما تعلم، كيف تطلبُ علمَ ما لم تعلم؟ قال: فانصرفَ الرَّجلُ عائدًا إلى مَنْزله[6]

وقال: إنَّك إذا أَدمنتَ النَّظرَ في مِرآة التَّوبة، بيَّنَ ذلك شَيْنَ قبحِ المعصية[7]

وقال: أقلُّوا معرفتكم من النَّاس، ولا تتعرفوا إلى مَن لا تَعرفون،

---

(١) الحلية ٨/ ٣، المختار ١/ ٢٢٦، تاريخ دمشق ٦/ ٣٢٨، وفيها: يزيد بن قبيس.
(٢) جبل أبي قُبيس: جبل بمكة. القاموس.
(٣) الحلية ٨/ ٤، المختار ١/ ٢٢٦، تاريخ دمشق ٦/ ٣٢١
(٤) المختار ١/ ٢٤٨
(٥) الحلية ٨/ ٢٢، المختار ١/ ٢٣١، تاريخ دمشق ٦/ ٣٠١.
(٦) الحلية ٨/ ٢٦
(٧) الحلية ٨/ ٢٦، المختار ١/ ٢٤٨، تاريخ دمشق ٦/ ٣٣٥.

وأَنكروا من تعرفونه، اهربوا منهم كهربِكم من السَّبُعِ الضَّاري، ولا تَخلَّفوا عن الجُمعة والجماعة[١]

وقال ابن بشار: سمعتُ إبراهيمَ بن أدهم يقول: قليلُ الخيرِ كثيرٌ، وقليلُ الشَّرِّ[٢] كثير، واعلم يابن بشار أنَّ الحمدَ مَغنم، والذَّمَّ مغرم، اللهَ، اللهَ، في هذه الأرواحِ والأبدانِ الضَّعيفة، الحذرَ، الحذرَ، كونوا على حياءٍ من الله، فوعزَّتِهِ لقد سترَ وأَمهلَ وحلم، وجادَ فأحسنَ، حتَّى كأنَّه قد غَفَرَ كرمًا منه لخلقه[٣]

ثمَّ قال:

قلَّــةُ الحــرصِ والطَّمــعِ تُــورثُ الصِّــدقَ والــورع
كثــرةُ الحــرصِ والطَّمــعِ تُكثــرُ الهــمَّ والجــزع[٤]

وقال محمدُ بن المبارك الصُّوري: كنتُ مع إبراهيم بنِ أدهم في طريقِ بيت المقدس، فنَزلنا وقتَ القيلولةِ تحت شجرةِ رمَّانٍ، فصلينا ركعاتٍ، فسمعتُ صوتًا من أصل الرّمان: يا أبا إسحاق، أكرِمْنَا بأنْ تأكلَ منَّا شيئًا. فطأطأ إبراهيمُ رأسَه، فقال ذلك ثلاث مرات، ثمَّ قالَ: يا محمد، كنْ شفيعًا إليه، ليتناولَ منَّا شيئًا. فقلتُ: يا أبا إسحاق قد سمعتَ. فقامَ، وأخذَ رمَّانتين، فأكلَ واحدةً، وناولني الأُخرى، فأكلتُها وهي حامضةٌ، وكانت شجرةً قصيرةً، فلمَّا رجعنا مررنا بها، فإذا هي شجرةٌ عاليةٌ، ورمَّانُها حلوٌ، وهي تُثمرُ في كلِّ سنةٍ مرَّتين، وسمُّوها رمانة العابدين[٥]، وكان يأوي إلى ظلِّها العابدون[٦]

---

(١) المختار ١/٢٤٦، وانظر تاريخ دمشق ٦/٣١٣، وطبقات المناوي ١/٢٤٦ وانظر صفحة ٥٨.

(٢) في (أ): قليل الشكر.

(٣) انظر المختار ١/٢٤٦ و٢٤٧، وتهذيب الأسرار ٤٤٥

(٤) المختار ١/٢٤٧، تاريخ دمشق ٦/٣٠٠ وبكليهما كُتب نثرًا

(٥) في (أ): شجرة العابدين.

(٦) الرسالة القشيرية ٥٠٤ (كرامات الأولياء)، تهذيب الأسرار ٣٧٠، روض الرياحين =

وقال حُذيفة المَرْعَشي: صحبتُ إبراهيمَ بن أدهم بالبادية، [في طريق الكوفة] فكان يَمشي ويدرُسُ القرآن، ويُصلّي عند كلِّ ميلٍ[١] ركعتين، فبقينا في البادية حتّى بليتْ ثيابُنا، ثمّ دخلنا الكوفةَ، فأوينا إلى مسجدٍ خراب، فنظرَ إليّ إبراهيمُ وقال: يا حذيفة، أرى بك الجوعَ فقلت: هو الذي رأى الشّيخ. فقال: عليَّ بدواةٍ وقِرْطاسٍ. فخرجتُ، وأتيتُهُ بها، فكتب: بسم الله الرَّحمن الرَّحيم، أنت المقصودُ إليه بكلِّ حالٍ، والمُشارُ إليه بكلِّ معنًى. ثمّ كتب:

أنـا حـامِـدٌ أنـا ذاكـرٌ أنـا شـاكـرٌ   أنا جائعٌ أنا نائعٌ أنا عاري[٢]

هي ستـةٌ وأنـا الضَّميـنُ لنصفهـا   فكنِ الضَّمينَ لنصفِها يا باري[٣]

مدحي لغيرِك لَهْبُ نارٍ خضتُها   فـأَجِـرْ عُبيـدَكَ مـن دخـولِ النَّـارِ

ثمّ دفع إليّ الرُّقعةَ، وقال: اخرج، لا تعلِّقْ سرَّك بغير الله، واعطها أولَ من تلقاه. قال: فخرجتُ، فاستقبلني رجلٌ راكبٌ بغلةً، فأعطيته إياها، فقرأها فبكى، وقال: أين صاحبُ هذه الرُّقعة؟ فقلت. في المسجدِ الفلاني الخَراب. فأخرجَ من كمِّهِ صُرّةَ دنانير، فدفعها إليّ ومشى، فسألتُ عنه، فقيل هو رجلٌ نصراني. فرجعتُ إلى إبراهيم، فأخبرته بالقصة، فقال: لا تمسَّها، فإنَّه يأتي السَّاعةَ. فما كان بأسرع أن وافى النَّصرانيُّ، فأكبَّ على رأس إبراهيمَ يقبِّله، فقال له: يا شيخ، قد حَسُنَ إرشادك إلى الله. فأسلمَ، وحَسُنَ إسلامُه، وصارَ صاحبًا لإبراهيم[٤]

---

٣٠٥ (الحكاية: ٢٥١).

(١) المِيل: بالكسر، منارٌ يُبنى للمسافر القاموس.

(٢) في (ب): أنا شاكر أنا حافي أنا عاري، وفي المختار ١/ ٢٣٦: أنا حاسر أنا عاري، والمثبت من الرسالة القشيرية، والنائع: العطشان. انظر لسان العرب (نوع).

(٣) في (ب): فكن الكفيل، وفي (أ): يا جاري.

(٤) الرسالة القشيرية ٢٧٣ (التوكل)، المختار ١/ ٢٣٦، تاريخ دمشق ٦/ ٣٢٩، روض الرياحين الحكاية (١١٦).

وقال أبو سُليمان الدَّاراني: حدَّثني من أثِقُ إليه: قال: رأيتُ إبراهيمَ بنَ أدهم وقد أقبلَ على بعضِ إخوانه بطَرَسُوس، فقال: أتحبُّ أن تكونَ لله وليًا، ويكون لك مُحبًا؟ قال: نعم. قال: دع الدُّنيا والآخرةَ لله تعالى. قال: فماذا أصنع؟ قال: أقبلْ على ربِّك بقَلبك، يُقبلْ عليك بوجهه، فإنَّه بلغني أنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ أوحى إلى يحيى بن زكريا عليه السّلام: يا يحيى، إنّي قضيتُ على نفسي أنَّه لا يُحبُّني أحدٌ من خلقي، أَعلمُ ذلك منه، ومن نيَّتِهِ إلاَّ كنتُ سمعَهُ الذي يسمعُ به، وبصرَهُ الذي يُبصر به، وفؤادَهُ الذي يَعقلُ به، فإذا كنتُ له كذلك بغَّضتُ إليه أن يشتغلَ بغيري، وأدمتُ فكرَه، وأسهرتُ ليله، وأظمأتُ نهاره، أنظرُ إليه في كلِّ يوم سبعين نظرة، فأرى قلبَه مشغولاً بي، فأزدادُ من حبِّه، فأملأ قلبَه نورًا حتَّى ينظرَ بنوري، أُقرِّبُهُ منّي، وأَمسحُ رأسَه، وأَضعُ يدي على ألمه وأوجاعه، فلا يَشكو ألَمَهُ إليَّ، لأنَّه مشغولٌ بحبِّي عن ألمه وأوجاعه، فإنَّه يعرفُ الألمَ إذا فقدني من قلبه[1]، وعندها يَطلبُني كما تطلبُ الوالدةُ الشَّفيقةُ ولدها إذا غاب عنها، أسمعُ خفقانَ قلبه، فأقول: ما بالُ قلبك؟ فيقول: حقيقٌ على قلبي أن لا يَسكنَ بعد إذ مننتَ عليَّ[2] بحبِّكَ، وكيف يَسكنُ[3] يا يحيى قلبُهُ، وأنا جَليسُهُ، وغايةُ أُمنيته، وعزَّتي وجلالي لأَبعثنَّهُ مبعثًا يغبطُهُ النَّبيُّون والمرسلون، ثمَّ آمرُ مُناديًا يُنادي: هذا حبيبُ الله وصفيُّه، دعاه الله إلى زيارته، فإذا جاءَني رفعتُ الحجابَ فيما بيني وبينه، فلمَّا ذكرَ الحجابَ صاحَ يحيى عليه السلام صيحةً، فلم يفقْ ثلاثةَ أيام، فلمَّا أفاقَ قال: من لم يرضَ بك صاحبًا فبمن يرضى؟ وكيف أصاحبُ خلقَكَ، وقد دَعوتني إلى مصاحبتك؟[4]

---

(١) في (ب): إذا فقد من يحميه.

(٢) في (ب): مننت عليه.

(٣) في (أ): كيف لا يسكن.

(٤) بعض الخبر في الرسالة القشيرية ٣٧٦ (الولاية).

وقال: ما قاسيتُ شيئًا من الدُّنيا أشدَّ عليَّ من نفسي، مرَّةً عليَّ، ومرَّةً لي، وأمَّا هواي فقد استعنتُ بالله عليه، فأعانني، واستكفيتُهُ سوءَ مغالبتِهِ[1] فكفاني، فواللهِ ما آسى على شيءٍ من الدُّنيا أقبلَ أو أدبرَ[2]

وقام إليه رجلٌ، فقال: عظني يرحمُكَ اللهُ. فقال له: ذلِّلْ نفسَك للحقِّ وإن غُلبتَ به، وتنكَّبِ الباطلَ وإن غَلَبَ، والحقُّ أحقُّ أن يُتَّبعَ.

وقال: عصيتم اللهَ فيما نهى وأمر، وخالفتموه فيما أنذرَ وحذَّر، وكذَّبتموه فيما وعدَ[3] وبشَّر، وكفرتموه فيما أَنعَم وقدَر، وإنَّما تحصدون ما تزرعون، وتجنونَ ما تغرسون، وتُكافؤون بما تعملون، وتجزونَ بما تفعلون، فاعلموا إن كنتم تعقلون، وانتبهوا من رقدتكم؛ لعلَّكم تُفلحون[4]

وقال عبد الله بن الفرج: اطَّلعتُ على إبراهيم بن أدهم بالشَّام في بستانٍ وهو نائم، وعند رأسه أفعى في فمِها طاقةُ نرجسٍ، تذبُّ به عنه، حتَّى انتبَهَ[5]

وقال سهل بن هشام: جاء رجلٌ إلى إبراهيم بن أدهم بصُرَّةٍ، فقال له: يا أبا إسحاق، اصْرفْ هذه في بعض حوائجك. فقال إبراهيم: ألم تعلمْ شَرْطي؟ قال: وما شرطُكَ؟ قال: لا أقبلُ من فقيرٍ شيئًا أبدًا. فقال الرَّجل: يعلمُ أهلُ بيروت أنِّي من أكثرهم[6] مالاً فقال إبراهيم: الزِّيادةُ أحبُّ إليك أم النُّقصان؟ فقال: الزِّيادة. فقال: أنت فقير[7]

---

(١) في (أ): سوء حالتي.
(٢) الحلية ٧/ ٣٨٠، المختار ١/ ٢١٩
(٣) في (ب): أوعد.
(٤) المختار ١/ ٢٤٦، تاريخ دمشق ٦/ ٣٣٢
(٥) الرسالة القشيرية ٥٠٧ (كرامات الأولياء)، تاريخ دمشق ٦/ ٣١٨.
(٦) في (ب): أتعلم أهل بيروت؟ إني أكثرهم.
(٧) المختار ١/ ٢٢٥.

وقيل له: لِمَ لا تكتبُ العلم؟ فقال: شغلني شكرُ النِّعمةِ وخوفُ العاقبة، والعملُ لما بعد الموت[١].

وقال أحمد بن عبد الله صاحبُ إبراهيم بن أدهم: كان إبراهيمُ من أبناء الملوك بخُراسان، فبينا هو مشرفٌ ذاتَ يومٍ من قصره، إذ نظرَ إلى رجلٍ بيده رغيفٌ يأكلُهُ في فيءِ القصر، فاعتبرَ، وجعل ينظرُ إليه حتَّى أكلَ الرّغيف، ثمَّ شربَ الماءَ، ثمَّ نامَ، فألهم اللهُ إبراهيمَ الفكرَ فيه، فوكَّلَ به بعضَ غلمانه، وقال له: إذا قامَ هذا من نومه، فجئني به، فلمَّا قامَ الرّجلُ من نومه، قال له: صاحبُ هذا القصر يُريد أن يُكلِّمَكَ. فدخل إليه مع الغلام، فلمَّا نظر إليه إبراهيم، قال له: أيُّها الرّجلُ، أكلتَ الرّغيف وأنت جائع؟ قال: نعم. قال: فشبعتَ؟ قال: نعم. قال إبراهيم: وشربت تلك الشّربةَ من الماء ورَويت؟ قال: نعم: قال: ونمتَ طيِّبًا بلا شُغلٍ ولا همٍّ؟ قال: نعم. قال إبراهيم: فقلت في نفسي: فما أصنعُ أنا بالدُّنيا، والنَّفسُ تقنعُ بما رأيت؟ قال: فخرجَ إبراهيمُ سائحًا على وجهه إلى الله، فلقيه رجلٌ حَسَنُ الوجه، حسن الثِّياب، طيِّبُ الرِّيح[٢]، فقال له: يا غلام، من أين، وإلى أين؟ فقال إبراهيم: من الدُّنيا إلى الآخرة. فقال: يا غلام، أنت جائع؟ فقال: نعم. فقام الشَّيخ فصلَّى ركعتين خَفيفتين، وسلَّم، فإذا عن يمينه طعامٌ، وعن شماله ماء، فقال لي الشيخ: كُلْ. فأكلتُ بقدر شبعي[٣]، وشربتُ بقدرِ ريِّي، ثمَّ قال لي الشَّيخ: اعقلْ وافهم، ولا تحزنْ ولا تستعجلْ؛ فإنَّ العجلةَ من الشّيطان، وإيَّاك والتّمرُّدَ على الله عزَّ وجلَّ، فإنَّ العبدَ إذا تمرَّدَ على الله تعالى أورثَ اللهُ قلبَهُ الظّلمة والضّلالة، مع حرمانِ الرّزق، ولا يُبالي اللهُ في أيِّ وادٍ هلكك، يا غلام، إنَّ الله إذا أرادَ بعبدٍ خيرًا جعلَ في قلبه سراجًا يَفرِقُ بها بين الحقِّ والباطل،

---

(١) تاريخ دمشق ٦/ ٢٩٢

(٢) في (أ): نقي الثياب، طيب الرائحة.

(٣) في (أ): بقدر ما يكفيني.

والنَّاسُ فيها مُتشابهون، يا غلام، إنِّي مُعلِّمُكَ اسم الله الأعظم، فإذا أنت جعتَ، فادعُ اللهَ به حتَّى يشبعَكَ، وإذا عطشتَ فادعُ اللهَ به حتَّى يَرويك[1]، وإذا جالستَ الأخيارَ، فكن لهم أرضًا يطؤوك، فإنَّ اللهَ يغضبُ لغضبهم، ويرضى لرضاهم، يا غلام، خذ كذا حتَّى آخذ كذا. قال إبراهيمُ: فلم أبرحْ. فقال الشَّيخ: اللَّهُمَّ، احجبني عنه، واحجبْهُ عنِّي. فلم أَدرِ أين ذهب، فأخذتُ في طريقي ذلك، وذكرتُ الاسمَ الذي علَّمني، فلقيني رجلٌ حَسَنُ الوجه والثِّياب، طيِّبُ الرِّيح، فأخذ بحُجْزتي[2]، وقال: ما حاجتك؟ ومن لقيتَ في سفرِكَ هذا؟ قلت: شيخًا، من صفته كذا وكذا، وعلَّمني كذا، فبكى، فقلتُ له: أُقسمُ عليكَ بالله مَن ذلك الشَّيخ؟ فقال: ذاك إلياس عليه السَّلام، أرسلَهُ الله إليك ليُعلِّمَكَ أمرَ دينك. فقلت له: يرحمُكَ الله من أنت؟ قال: أنا الخضر[3]

ورُوِيَ أنَّ الأوزاعيَّ[4] كتبَ إلى إبراهيم بن أدهم: إنِّي أُحبُّ أن أصحبَكَ. فكتب إليه إبراهيم: إنَّ الطَّيرَ إذا طارَ مع غير شكلِهِ من الطَّيرِ، طارَ وتركَهُ[5]

وقال: من طلبَ العلمَ لله تعالى خالصًا، لينفعَ به عبادَ الله، وينفعَ نفسه، وكان الخمولُ أحبَّ إليه من التَّطاولِ، فذلك الذي يزدادُ في نفسِهِ ذُلاًّ، وفي العبادة اجتهادًا، ومن الله خوفًا، وإليه اشتياقًا، وفي النَّاس تواضعًا، لا يُبالي على ما أمسى وأصبحَ في هذه الدُّنيا.

---

(١) في (أ): فادع الله به يشبعك، وإذا عطشت فادع الله به يرويك.

(٢) الحُجزة: معقد الإزار، ومن السراويل موضع التكة القاموس.

(٣) المختار ١/ ٢٣٨، تاريخ دمشق ٦/ ٣٨٧.

(٤) هو عبد الرحمن بن عمرو، من قبيلة الأوزاع، أبو عمرو (٨٨ ـ ١٥٧هـ) إمام الديار الشامية في الفقه، سكن بيروت، وبها مات، عُرض عليه القضاء فامتنع، كانت الفتيا في الأندلس تدور على رأيه

(٥) المختار ١/ ٢٣٩.

وقال: أنا منذ عشرين سنة في طلبِ أخٍ، إذا ما غضبَ عليَّ لم يقلْ فيَّ إلاَّ الحقَّ، لا أجدُهُ.

وقال أبو عُمير بن عبد الباقي صاحب أَذَنة[١] حصدَ عندنا إبراهيمُ بن أدهم في المزارعِ بعشرين دينارًا، ودخلَ إلى أَذَنَة، ومعه صاحبٌ له، فأرادَ إبراهيمُ بن أدهمَ يحلقُ شعر رأسِه ويَحتجم، فجاءَ إلى الحجَّام، وجلسَ بين يديه، فلمَّا رآهما الحجَّامُ حقرَهُما، وقال: ما في الدُّنيا أحدٌ أبغضُ إليَّ من هؤلاء، ما وجدوا من يَحجمهم غيري[٢] فخدمَ جماعةً، وتهاون بإبراهيمَ وصاحبه، وإبراهيمُ ساكتٌ ينظرُ، فلمَّا لم يبقَ عنده أحدٌ التفتَ إليهما، وقال: أيشٍ الذي تُريدون؟ فقال إبراهيم: أُريدُ أن أحلقَ رأسي وأَحتجمَ. فوجَدَ صاحبُ إبراهيمَ الذي معه في نفسه من تهاون الحجَّام بهما، فقال: أما أنا فليسَ أحلقُ ولا أحتجم. فحلقَ إبراهيم واحتجمَ، فلمَّا فرغَ قال لصاحبه: هاتِ الدّنانير التي معك. فأخذها، ودفعها إلى الحجَّام، وهي عشرون دينارًا، فقال له صاحبُهُ: يا أستاذ، حصدتَ في هذا الحرِّ، ودفعتَها إلى هذا! فقال له: اسكت، تركتُ هذا لا يحقرُ فقيرًا أبدًا.

ودخل من فوره إلى طَرَسوس، فلمَّا أصبحَ قال لصاحبه: خُذْ هذه الكُتيِّبات، ارهنها، وأتنا بشيءٍ نأكله. قال: فخرجَ صاحبُهُ ليجيءَ بشيءٍ كما أمره، فرأى في طريقه خادمًا على شِهْرِيٍّ[٣]، وبين يديه جمَّازاتٌ[٤]

---

(١) أَذَنَة: بلد من الثغور، قرب المَصِّيصة، وله نهر يقال له سيحان،وعليه قنطرة عجيبة بين المدينة وبين الحصن، ولها ثمانية أبواب وسور وخندق. وصاحبها هو عدي بن أحمد ابن عبد الباقي أبو عمير الأَذَني محدث. معجم البلدان.

(٢) في (أ): من يخدمهم غيري.

(٣) الشهري: ضرب من البراذين، وهي خيل ليست من نتاج العرب. اللسان (شهر برذن).

(٤) الجماز: البعير الوثاب السريع. اللسان.

وخيلٌ وبغال، وعليها صناديقُ فيها دنانير زيادة على ستين ألف دينار، والخادمُ يقول: الذي أطلبُهُ أحمرُ أشقر، يُعرفُ بإبراهيمَ بنِ أدهم. فقال له صاحبُ إبراهيم: الرَّجلُ الذي تطلبُهُ ما يحبُّ هذه الشُّهرة، أنا أدلُّكَ عليه. فقال لغلامٍ له: كنْ معه[١]، فلمَّا ضربَ خيمتَهُ، وأخذ بيده، فجاء به إلى إبراهيم، وهو جالسٌ، فلمَّا رآه الخادم وهو في زيِّ الحصَّادين، بكى بكاءً شديدًا، ثمَّ قال: يا مولاي، بعدَ مُلكِ خراسان صرتَ في هذه الحال؟! فقال له: اسكت، أيشٍ وراءك؟ فقال: مات الشَّيخ. فقال إبراهيمُ: رحمه الله، موتُ الشَّيخ يأتي على كلِّ ما أتيتَ به، فأيشٍ الذي تُريد؟ فقال: أنا غلامُكَ و[خادمك] لَمَّا ماتَ الشَّيخُ ركبَ كلٌّ واحدٍ هواه، وأخذوا من المملكة ما استوى لهم، فأخذتُ أنا ما ترى معي، وأنا عبدُكَ، جئتُ أطلب الثَّغرَ؛ أقيمُ فيه [وأجاهد في سبيل الله]، فقال لي العلماء: ما يقبلُ الله منك صرفًا ولا عدلاً حتَّى ترجعَ إلى مواليك، فيتحكَّموا فيك، وفيما معك؛ فأمرْ فيَّ بما أحببتَ. فقال له إبراهيمُ: إن كنتَ صادقًا فيما تقولُ، فأنت حرٌّ لوجه الله تعالى، وكلُّ ما معك فهو لك، إذ جئتَ لتُنفقَهُ في هذا الوجه. ثمَّ التفتَ إلى صاحبِهِ بعد أن قالَ للخادم: قم، اخرجْ عنِّي، ويحكَ خُذْ هذه الكُتيِّباتِ، ارْهَنْها، وجئنا بشيءٍ نأكله[٢]

وقال: بلغني أنَّه كان في بني إسرائيل رجلٌ ذبحَ عجلاً بين يدي أُمِّه، فأيبسَ الله يدَه، فبينما هو ذات يومٍ جالسٌ، إذا بفرخٍ قد سقطَ من وكره، وهو يبصبصُ[٣] إلى أبويه، وأبواه يُبصبصان إليه، فأخذَهُ، وردَّه إلى وكره رحمةً له، فرحمَهُ الله برحمته لهما، فردَّ الله عليه يدَه بما صنع.

وقال: إنَّ للموت كأسًا، لا يقوى على تَجرُّعِها إلاَّ رجلٌ خائفٌ وجلٌ

---

(١) في (أ): إنَّما أدلك عليه، فقال لغلام كان معه.

(٢) المختار ١/ ٢٣٩، تاريخ دمشق ٦/ ٣١١ وما بين معقوفين مستدرك منه. وانظر طبقات الأولياء ٩

(٣) يبصبص: ينظر.

طائع، فمن كان طائعًا فله الحياءُ والكرامة والنّجاةُ من عذابِ يوم القيامة، ومن كان عاصيًا نزلَ[1] بين الحسرةِ والنَّدامة يومَ الصَّاخَّةِ والطَّامَّةِ[2]

وقال: بلغني أنَّ عمرَ بنَ عبد العزيز أَوصى مَسْلَمة بن عبد الملك[3]، فقال له: يا مَسْلَمَة، إذا وضعتني في لحدي، فارفعْ عنّي لبنةً، ثمَّ انظرْ ما أذهبُ به من الدُّنيا. عظةً له ليزهّدَهُ في الدُّنيا، فلمَّا وضعته في لحده، رفعتُ عنه لبنةً، فلم أره ذهبَ معه من الدُّنيا إلَّا ثوبيه اللّذين[4] كُفِّنَ بهما، وترك الدُّنيا لأهلها.

وقال: وجدتُ يومًا راحةً، فطاب قلبي بحُسنِ صُنع الله بي، واختيارِهِ لي، فقلتُ: اللَّهُمَّ إن أعطيتَ أحدًا من المُحبِّين لك ما تُسكّن به قلوبَهم قبل لقائك، فأعطني ذلك، فلقد أضرَّ بي القلقُ. قال إبراهيم: فرأيتُ اللهَ عزَّ وجلَّ في النّوم، فأوقفني بين يديه، وقال لي: يا إبراهيم، ما استحييتَ منّي، تَسألني أن أُعطيكَ ما تُسكّنُ به قلبَكَ قبل لقائي؟ وهل يسكنُ قلبُ المُشتاق إلى غيرِ حبيبه؟ أم هل يستريحُ[5] المحبُّ إلى غيرِ من يشتاقُ إليه؟ قال: فقلتُ: يا ربِّ، تهتُ في حبِّكَ، فلم أَدرِ ما أقولُ، فاغفرْ لي خطيئتي، وعلّمني كيف أقول. فقال: قل اللَّهُمَّ، رضّني بقضائك، وصبِّرني على بلائك، وأوزعني شكرَ نعمائك، وأسألُكَ تمامَ نعمتك ودوام عافيتك، وثبّتني على محبّتِكَ[6]

وقال شُعيبُ بن حرب: خرجتُ مع سُفيان بن سعيد الثَّوري من الكوفة

---

(١) في (ب): تُرك بين.
(٢) حلية الأولياء ٨/ ١٣، تاريخ دمشق ٦/ ٣٣١.
(٣) مسلمة بن عبد الملك بن مروان أمير قائد بطل، يلقب بالجرادة الصفراء، له فتوحات مشهورة، غزا القسطنطينية سنة ٩٦هـ، قال الذهبي كان أولى بالخلافة من كلّ إخوته.
(٤) في (ب): إلّا ثوباه اللذان.
(٥) في (أ): يستروح.
(٦) المختار ١/ ٢٣٦، وانظر طبقات الأولياء ٧.

نريدُ زيارةَ إبراهيم بن أدهم في المَصِّيصة، قال: فدخلنا المَصِّيصة، ولم نَطعمْ قبل ذلك ثلاثةَ أيام، فسألنا عن إبراهيم، فدلّونا عليه، وهو نائمٌ في الشّمس في وسط الجامع في زُرْمَانِقَتِهِ[١]، فجئتُ إليه، فحرّكتُهُ، وقلتُ له: صديقُكَ سفيانُ الثّوري. فوثَبَ إليه، وعانقه، وجلسا يتذاكران، فقال سُفيان: يا أبا إسحاق، أيش نعمل؟ قال: نخرجُ إلى الحصاد. قال: فخرجنا، فأكرينا أنفسَنا بدرهمين، وحصدنا، فلمَّا فرغنا، فرحَ بنا صاحبُ الزّرع، وقال. تعالوا كلَّ يومٍ. قال شُعيب: قال لي سُفيان: امضِ، واشترِ لنا ما يصلحُ. وقعدا في مسجدٍ، فاشتريتُ لهما طعامًا، وجئتُ به، فوضعتُهُ بين أيديهما، فقال سفيان لإبراهيم: كُلْ فقال إبراهيم لسُفيان: أنت أكبرُ وأعلم، كُلْ أنت. فلم يزالا يَتماريان حتَّى قال سُفيان لإبراهيم: دعني من هذا، تضمنُ لي أَنَّا نصحنا في العمل، وأنَّ هذا الطَّعام لا يشوبُهُ شبهةٌ حتَّى آكلَ؟ فقال إبراهيم: لا فقال سُفيان: فليس لي إليه حاجةٌ. فقال إبراهيم: ولا لي رغبةٌ فيما زهدتَ فيه. فانصرفنا، وتركنا الطَّعام بحاله.

وقال: والله، ما الحياةُ ببقيةٍ، فيُرجى يومُها، ولا المنيَّة تُقدر[٢] فيُؤمن غدرها، ففيمَ التَّفريطُ، والتَّقصير، والاتّكال، والتَّأخيرُ، والإبطاء، وأمرُ الله جدٌّ؟! فلمَ لا تتفكَّرُ وتَجدُّ، وتجتهدُ قبلَ أن يُحالَ بينك وبين ما تُريد؟! ثمَّ بكى حتَّى غُشي عليه.

وقال: من حاول أمرًا[٣] بمعصيةِ الله كان أبعدَ لِمَا رجا، وأقربَ لمجيءِ ما اتَّقى، فاستعينوا على أمورِكم بطاعةِ الله، تَرشدوا وتَربحوا وتفلحوا وتنجوا

---

(١) الزرمانقة: جبة الصوف. وفي (أ): زرنباقته، وفي (ب): زرنبانقية. والمثبت من المعرّب.

(٢) في (أ): وما الحياة بثقة. ولا المنية بقدر.

(٣) في (أ): من خاف.

وقال أبو إبراهيم اليماني. ركبتُ البحرَ مع إبراهيم بن أدهم في مركب، فانكسرَ بنا، فجعلنا صدورَنا على الصَّاري، وقمنا قيامًا في الماء، وإبراهيمُ في وَسْطنا يجمعُ بنا الصَّلاة، نُوميُ برؤوسنا، فأقمنا ثلاثًا نشربُ من ماءِ البحر عَذبًا، حتَّى خرجَ بنا الصَّاريُّ إلى ساحلٍ من سواحل البحر ببلاد الرّوم فيه بلّوط، فأخذنا نأكلُ البلُّوط، ورأيتُ إبراهيمَ يأخذ بَلُّوطةً، فيضعُها في فيه، ثمَّ يلقي منها نواةَ رُطب، قال: فقلت لصاحبي: انظرْ ويحك. فقال لي: لا تُعلمنَّ إبراهيمَ أنَّك قد علمتَ بشيءٍ من هذا. وكنَّا على ذلك حتَّى أتينا مسلحةً للمسلمين فنفَذونا[1]

وقال: بؤسًا لأهلِ النَّار! لو نظروا إلى زوَّارِ الرّحمن، وقد حُملوا على النَّجائب، يزفُّون بهم إلى الله زفًّا، ووفدوا عليه وفدًا، وقد نُصبتْ لهم المنابرُ، ووضعت لهم الكراسي، وقد أقبلَ عليهم الجليلُ بوجهه الكريم، ويقول لهم: إليَّ عبادي، إليَّ عبادي، إليَّ أوليائي المُطيعين، إليَّ أحبابي المشتاقين، إليَّ أصفيائي المحزونين، هاأنا ذا فاعرفوني، من كان منكم مُشتاقًا أو محبًّا أو مُتملِّقًا، فليتمتَّعْ بالنَّظرِ إلى وجهي الكريم، وعزَّتي وجلالي لأُفرِحنَّكم بجواري، ولأؤنسنَّكم[2] بقربي، ولأُبيحنَّكم كراماتي[3]، من الغُرفات تشرفون، وعلى الأسرَّة تتَّكئون، مقيمون في دار الأبد لا تَظعنون، تأمنونَ فلا تَحزنون، وتَصِحُّون ولا تسقمون، وتتنعَّمون في رغدِ العيش فلا تموتون، وتُعانقون الحورَ الحسانِ ولا تملّون ولا تسأمون، كلوا واشربوا هنيئًا، وتنعَّموا كثيرًا بما أنحلتم الأبدان، وأنهكتُمُ الأجساد، ولزمتم الصِّيام، وسهرتم باللَّيل والنَّاسُ نيام[4]

وقال. طُفتُ ليلةً بالبيت الحرام، فكانتْ ليلةً مطيرةً شديدةَ الظّلمة،

---

(١) المختار ١/ ٢٤١

(٢) في المختار: ولأسرَّنكم.

(٣) في المختار: ولأمنحنكم كرامتي.

(٤) المختار ١/ ٢٤٨.

وقد خلا الطّوافُ، وطابت نفسي، فوقفت عند المُلتزم ودعوت، فقلت: اللَّهُمَّ، اعصمني حتَّى لا أعصيك. فهتف بي هاتفٌ: يا إبراهيم، أنت تَسألُني العِصمةَ، وكلُّ عبادي يسألوني العصمةَ، فإذا عصمتُهم فعلى من أتفضَّلُ؟ ولمن أغفر؟ قال إبراهيم: فبقيتُ ليلتي إلى الصّباح مُستغفرًا لله، مُستحيًا منه[1]

وقال: أقلُّوا معرفتَكم من النَّاس، ولا تَتعرّفوا إلى من لا تعرفون، وأنكروا من تعرفون، ومن جلسَ ليُجلسَ إليه، فلا تقربُوه؛ فليس هو بأهلٍ[2]

وقال: عليك بعملِ الأبطال، وهو الكسبُ الحلال، والنّفقةُ على العيال[3]

ورُوي أنَّه كان يتوضَّأُ يومًا من نهر مَروالرُّوذ بخُراسان، إذ وقعَ رجلٌ من القنطرة، فقال إبراهيم: اللَّهُمَّ، أمسكْه. فثبتَ على حالِهِ إلى أن دنا النَّاسُ منه، فأخذوه[4]

وقال له رجلٌ: أنت عبد؟ قال: نعم. قال: لمن؟ فلمَّا أراد أن يقولَ لله تعالى، غُشي عليه، فأفاق وهو يقول: ﴿ إِن كُلُّ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِى ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾ لَّقَدْ أَحْصَىٰهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴿٩٤﴾ وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَرْدًا﴾[5] [مريم: ٩٣-٩٥].

* * *

(١) المختار ١/ ٢٤١، وانظر الرسالة القشيرية ٢٢٦ (الرجاء).

(٢) المختار ١/ ٢٤٦، وانظر بعض هذا القول صفحة ٤٦.

(٣) تهذيب الأسرار ٢٩٩

(٤) تهذيب الأسرار ٤١٠.

(٥) تهذيب الأسرار ١٩٦، المختار ١/ ٢٤٢

(٣) ذو النُّون المصري(*)

ومنهم: أبو الفيض ذو النُّون المصري، رحمه الله، واسمه ثَوبان بن إبراهيم، وقيل: الفيض بن إبراهيم، وذو النُّون لقبٌ، وأبوه كان نوبيًا. قيل: كان إبراهيم إخميمِيًّا(١) مولًى لقريش.

توفي في سنة خمسٍ وأربعين ومئتين، وقيل: سنة ثمانٍ وأربعين ومئتين(٢).

كان أوحدَ وقته علمًا وورعًا، وحالاً وأدبًا، سَعوا به إلى المُتوكِّلِ على الله، فاستحضرَهُ من مصر، فلمَّا دخلَ عليه، وعظَهُ، فبكى المُتَوَكِّلُ، وردَّه إلى مصر مُكرمًا، وكان المُتَوَكِّلُ إذا ذُكرَ أهلُ الورع بين يديه، يبكي، ويقول: حيَّ هلا(٣) بذي النُّون(٤).

(*) طبقات الصوفية ١٥، حلية الأولياء ٩/ ٣٣١، و١٠/٣، تاريخ بغداد ٨/ ٣٩٣، الأنساب ١/ ١٣٥، الرسالة القشيرية ٣٧، صفة الصفوة ٤/ ٣١٥، المختار من مناقب الأخيار ٢/ ٣٣١، اللباب ١/ ٣٥، تاريخ دمشق ١٧/ ٣٩٨، وفيات الأعيان ١/ ٣١٥، مختصر تاريخ دمشق ٨/ ٢٤٦، سير أعلام النبلاء ١١/ ٥٣٢، العبر ١/ ٤٤٤، الوافي بالوفيات ١١/ ترجمة ٣٧، مرآة الجنان ٢/ ١٤٩، البداية والنهاية ١٠/ ٣٤٧، طبقات الأولياء ٢١٨، نفحات الأنس ٤٦، النجوم الزاهرة ٢/ ٣٢٠، طبقات الشعراني ١/ ٧٠، الكواكب الدرية ١/ ٥٩٧، شذرات الذهب ٢/ ١٠٧، وللسيوطي كتاب المكنون في مناقب أبي الفيض ذي النون.

(١) نسبة إلى إخميم، بلد في الصعيد بمصر.

(٢) طبقات الصوفية ١٦

(٣) حيَّ هلا: كلمتان جعلتا كلمة واحدة، فحيَّ بمعنى أَقْبِلْ، وهلا بمعنى أسرع. وقيل بمعنى اسكنْ عند ذكره حتى تنقضي فضائله. النهاية (هلا).

(٤) الرسالة القشيرية ٣٧.

وكان رجلاً نحيفًا، تعلوه حمرةٌ، ليس بأبيض اللّحية[١]

وقال إبراهيم بن يونس: سمعت ذا النُّون المصري يقول: إيَّاكَ أن تكونَ بالمعرفةِ مُدَّعيًا، أو تكون بالزّهد مُحترفًا، أو تكون بالعبادة مُتعلِّقًا[٢]

وسُئل ذو النُّون فقيل له: ما أشدُّ الحِجابِ، وأخفاه؟ فقال: رؤيةُ النَّفس، وتدبيرُها[٣]

وسُئل عن المحبَّة فقال: أن تُحبَّ ما أحبَّ الله، وتُبغض ما أبغضَ الله، وتفعلَ الخيرَ كلَّه وترفضَ الشَّرَّ كلَّه، وترفضَ كلَّ ما يُشغلُ عن الله تعالى، وأن لا تخافَ في الله لومةَ لائم، مع العطفِ للمؤمنين، والغلظةِ للكافرين، واتّباع رسول الله في الدِّين[٣]

وقال يوسف بنُ الحسين: سمعتُ ذا النُّون يقول: قال الله تعالى في بعض كُتبه: من كان لي مُطيعًا، كنتُ له وليًّا، فليثق بي، وليحكمْ عليَّ، فوعزَّتي لو سألني زوالَ الدُّنيا، لأزلتُها له[٤]

وقال ذو النُّون رضي الله عنه: الصُّوفيُّ من إذا نطقَ، أبانَ نُطقُه عن الحقائق، وإن سكتَ نطقتْ عنه الجوارحُ بقطعِ العلائق[٤]

وسُئل عن التَّصوف: هل هو مُشتقٌّ أو لقب؟ فقال: قيل في الأَصل صفوية وستروا في ذلك الصَّفاءَ بالصوف على ستر العمل[٥] وكتمانه عمَّا يُوجب الرِّياء[٦]

---

(١) الرسالة القشيرية ٣٧

(٢) طبقات الصوفية ١٧

(٣) طبقات الصوفية ١٨

(٤) طبقات الصوفية ١٩

(٥) في (أ): في الأصل صوفية وستروا الصفا بالتصوف على العمل.

(٦) تهذيب الأسرار ٢٦.

وقال: الأنسُ بالله من صفاءِ القلب مع الله، والتفرُّدُ بالله الانقطاعُ من كلِّ شيءٍ سوى الله تعالى[(١)]

وقال: من أرادَ التَّواضع، فليوجِّهْ نفسَه إلى عظمةِ الله؛ فإنَّها تذوب وتَصفو، ومن نظرَ إلى سُلطان الله ذهبَ سُلطانُ نفسه، لأنَّ النُّفوسَ كلَّها فقيرةٌ عند هيبته[(٢)]

وقال: لم أرَ شيئًا أبعثَ لطلبِ الإخلاص من الوحدة، لأنَّه إذا خلا لم يرَ غيرَ الله، فإذا لم يرَ غيرَه لم يُحرِّكْه إلاَّ حكمُ الله، ومن أحبَّ الخلوةَ فقد تعلَّقَ بعمودِ الإخلاص، واستمسكَ بركنٍ كبيرٍ من أركانِ الصِّدق[(٣)]

وقال: من علامات المحبِّ لله مُتابعةُ حبيبِ الله محمدٍ عليه السَّلام، في أخلاقِه، وأفعالِه، وأوامرِه، وسننه[(٤)]

وقال: إذا صحَّ اليقينُ في القلب، صحَّ الخوفُ فيه[(٤)]

وقال في بعض مُناجاته: لئن مددتُ يدي إليكَ داعيًا، فطالما كَفيتني ساهيًا، أأقطعُ منك رجاي[(٥)] منك بما عملتْ يداي؟! حَسبي من سُؤالي علمُكَ بحالي[(٥)]

وقال سعيد بنُ عثمان: أنشدني ذو النُّون:

أموتُ وما ماتَتْ إليكَ صَبابتي ... ولا قَضَيتُ من صدقِ حبِّكَ أَوطاري
مُناي، المُنى كلُّ المنى أَنت لي مُنًى ... وأنتَ الغِنى كلُّ الغِنى عند إقتاري
وأنتَ مَدَى سُؤْلي وغايةُ رَغبتي ... وموضعُ شكواي[(٦)] ومكنونُ إضماري

---

(١) طبقات الصوفية ١٩

(٢) طبقات الصوفية ٢٠

(٣) طبقات الصوفية ٢٠، وفي (ب): لطلب الإخلاص من الذلِّ في الوحدة، لأنه

(٤) طبقات الصوفية ٢١

(٥) في (أ): أقطع رجائي. والمثبت من طبقات الصوفية ٢٢

(٦) في طبقات الصوفية: وموضع آمالي.

تَحمَّـلَ قلبـي فيـك مـا لا أبُثُّـه		وإن طالَ سُقمي فيك أو طال إضراري
وبين ضُلوعي منك ما لَكَ قد بَدا[1]		ولم يَبْدُ باديه لأهلٍ ولا جاري
وبي منك في الأحشاءِ داءٌ مُخامرٌ		فقد هدَّ منّي الرّكنَ وانبثَّ إسراري
ألستَ دليلَ الرّكبِ إنْ هُمْ تَحيَّروا		ومنقذَ من أشفى على جُرُفٍ هاري
أنرتَ الهُدى للمُهتدينَ ولم يكنْ		من النُّورِ في أيديهم عُشْرُ مِعشاري
فنلنـي بعفـوٍ منـكَ أَحيـا بقُـربِـهِ		وغِثْني بيُسْرٍ منك يَطرُدُ إعساري[2]

وقال: كلُّ مُدَّعٍ مَحجوبٌ بدعواه عن شهود الحقِّ، لأنَّ الحقَّ شاهدٌ لأهلِ الحقِّ، لأنَّ[3] الله هو الحقُّ، وقولُه الحقُّ، فلا يحتاجُ أن يَدَّعي إذا كان الحقُّ شاهدًا له، وأمّا إذا كان غائبًا، فحينئذ يَدَّعي، لأن الدَّعوى إنَّما تقعُ للمحجوبين[3]

وقال: من أنسَ بالخلقِ، فقد استمكنَ من بساط[4] الفراعنة، ومن غُيِّبَ عن ملاحظة نفسِهِ، فقد استمكنَ من الإخلاص[5]، ومن كان حظُّه من الأشياء (هو) لا يُبالي ما فاته ممَّا هو دونه[6]

وقال: الصّدقُ سيفُ اللهِ في أرضه، ما وضع على شيءٍ إلاَّ قطعَهُ، ومن تزيَّنَ بعلمِهِ كانت حسناتُهُ سيِّئاتٍ[7]

وقال: بأولِ قدمِ تطلبُهُ تجدُه أو تُدركه[8]

---

(١) في (ب): منك لو قد بدا.
(٢) طبقات الصوفية ٢١
(٣) في الأصلين: قال الله تعالى هو الحق. والمثبت من طبقات الصوفية ٢٢
(٤) في (أ): نشاط الفراعنة.
(٥) في (أ): من الأخلاق.
(٦) طبقات الصوفية ٢٢
(٧) طبقات الصوفية ٢٢، ٢٣
(٨) طبقات الصوفية ٢٣.

و: أدنى منازلِ الأُنسِ أن يُلقى في النَّار، فلا يَغيبُ همُّه عن مأموله[١]

وقال: الأنسُ بالله نورٌ ساطع، والأنسُ بالخلقِ غمٌّ واقع[١]

وقال: لله عبادٌ تركوا الذنب[٢] استحياءً من كرمه، بعد ما تركوه خوفًا من عقوبته، ولو قال لك: اعملْ ما شئتَ، فلستُ آخذُكَ بذنبٍ، لكان ينبغي أن يزيدَكَ كرمُهُ استحياءً منه، وتركًا لمعصيتِهِ إن كنت حرًّا كريمًا، عبدًا شكورًا، فكيف وقد حذَّرك؟[٣]

وقال: الخوفُ رقيبُ العمل، والرَّجاء شفيعُ المحن[٣]

و: ينبغي أن تطلبَ الحاجةَ بلسانِ الفقر، لا بلسان الحكْم[٤]

وقال: مفتاحُ العبادة الفكرةُ، وعلامةُ الهوى متابعةُ الشَّهوات، وعلامةُ التَّوكُّلِ انقطاعُ الأطماع[٣]

وقال: كان لي صديقٌ فقيرٌ، فمات، فرأيتُهُ في المنام، فقلت له: ما فعلَ اللهُ بك؟ فقال: قال لي: قد غفرتُ لك بتردُّدِكَ إلى هؤلاء السّفل أبناء الدُّنيا في رغيف قبل أن يعطوك[٤]

وقال له رجل: واللهِ، إنِّي لأحبُّكَ. فقال له ذو النُّون: إنْ كنتَ عرفتَ اللهَ فحسبُكَ اللهُ، وإن لم تعرفْه، فاطلبْ من يعرفه، حتَّى يَدلَّكَ على الله، وتتعلَّمَ منه حفظَ الحرمةِ لمولاك.

وقال: سبحانَ من حجبَ أهل المعرفةِ عن جميع خلقه، حجبَهم عن أبناءِ الدُّنيا بأستارِ الآخرة، وعن أبناءِ الآخرةِ بأستارِ الدُّنيا[٥]

---

(١) طبقات الصوفية ٢٣

(٢) في (أ): عباد نزلوا أنفسهم.

(٣) طبقات الصوفية ٢٤

(٤) طبقات الصوفية ٢٥

(٥) تهذيب الأسرار ٥٠، المختار ٢/ ٣٦٠

وكتب قرب الخبر في هامش (ب): وقيل له: ما بال كلام العلماء والسلف أنفعُ من =

وقال: كان الرَّجلُ من أهلِ العلم يزدادُ بعلمِهِ للدُّنيا بُغضًا وتركًا لها، واليومَ يزدادُ الرَّجلُ بعلمِهِ حبًّا للدُّنيا، وطلبًا لها[1]

وقال: كان الرَّجلُ يُنفقُ مالَه على علمِه، واليومَ يكسَبُ الرَّجلُ بعلمِهِ مالاً، وكان يُرى على صاحبِ العلم زيادةٌ في باطنِه وظاهرِه، واليومَ يُرى على كثيرٍ من أهلِ العلمِ فسادُ الباطنِ والظَّاهر[1]

وقال: يا مَعشرَ المُريدين، من أرادَ منكم الطَّريقَ، فليلقَ العلماء بالجهل، والزُّهادَ بالرَّغبة، وأهلَ المعرفةِ بالصَّمت[2]

وسُئِل ذو النُّون عن السِّفْلَة، فقال: من لا يَعرفُ الطَّريقَ إلى الله، ولا يتعرَّفُهُ[3]

وقال سالِمُ المغربي: حضرتُ يومًا في مجلسِ ذي النُّون، فقلتُ له: يا أبا الفيض، ما كانَ سببُ توبتِكَ؟ فقال: عجبٌ، لا تُطيقه. فقلت: بمعبودِكَ إلاَّ أخبرتني. فقال ذو النُّون. أردتُ الخروجَ من مصرَ إلى بعضِ القُرى، فنمتُ في الطَّريقِ ببعض الصَّحارى، ففتحت عيني، فإذا أنا بقُنبرةٍ[4] عمياء، سقطتْ من وكرها على الأرض، فانشقَّ الموضعُ، وخرج منه سُكُرُّجتان[5]، أحدُهما ذهب، والأخرى فضة، وفي إحداهما ماءٌ، وفي الأخرى سِمْسِم، فجعلتْ تأكلُ من هذا، وتشربُ من هذا، فقلت:

= كلام هؤلاء العلماء في هذا الزمان؟ فقال: لأنهم تكلّموا لعزّ الإسلام، ونجاة النفوس ورضاء الرحمن، وهم تكلّموا لعزّ النفوس، وطلب الدنيا، وقبول الخلق. وهذا القول لحمدون بن أحمد. انظر حلية الأولياء ١٠/ ٢٣١

وجاء أيضاً: وقال: إذا لم تنتفع بكلامك، كيف ينتفعُ بك غيرُك.

(١) طبقات الصوفية ٢٥

(٢) طبقات الصوفية ٢٦

(٣) حلية الأولياء ٩/ ٣٧٢، الرسالة القشيرية ٣٨

(٤) القُنبرة والقُبَّرة: طائر يشبه الحمّرة. متن اللغة.

(٥) السُّكُرُّجَة: إناء صغير يؤكل فيه الشّيء القليل من الأدم. واللّفظة فارسية. لسان العرب (سكرج).

حسبي، قد تبتُ، ولزمتُ البابَ إلى أن قبلني[1]

وقال ذو النُّون: لا تَسكنُ الحكمةُ معدةً مُلئتْ طعامًا.

وقال: توبةُ العوام من الذُّنوب، وتوبةُ الخَواصِّ من الغفلة[2]

وقال: من قَنِعَ استراح من أهل زمانه، واستطالَ على أقرانه[3]

وقال محمد بن أحمد الشِّمْشَاطي[4] سمعتُ ذا النُّون المصري يقول: بينا أنا أَسيرُ في جبالِ أَنطاكِية، فإذا أنا بجاريةٍ، كأنَّها والهةٌ مجنونة، عليها جُبَّةٌ من صوف، فسلَّمتُ عليها، فردَّتْ عليَّ السَّلام، ثمَّ قالت: أَلستَ ذا النُّون المصري؟ قلت: عافاكِ الله، كيف عرفتيني؟ فقالت: فتقَ الحبيبُ بين قلبِي وقلبك، فعرفتُكَ باتِّصال حُبِّ الحبيب. ثمَّ قالت: أسأَلُكَ مسألةً؟ قلتُ: سليني. قالت: أيُّ شيءٍ هو السَّخاء؟ قلتُ: البذلُ والعطاء. قالت: هذا السَّخاءُ في الدُّنيا، فما السَّخاءُ في الدِّين؟ قلتُ: المسارعةُ إلى طاعةِ المولى. قالت: فإذا سارعتَ إلى طاعةِ المولى تُحبُّ فيه الجزاء؟ قلت: نعم، للواحد عشرة. قالت: مُرَّ يا بطَّال، هذا في الدِّين قبيحٌ، ولكنَّ المُسارعةَ إلى طاعةِ المولى أن يطَّلعَ على قلبك، وأنتَ لا تُريد منه شيئًا بشيءٍ، ويحك يا ذا النُّون، إنِّي أُريدُ أن أُقسمَ عليه في طلب شهوةٍ منذ عشرين سنة، فأَستحيي منه أن أكونَ كأجيرِ السُّوءِ، إذ عَمِلَ طلبًا لأجرة؛ ولكن أعملُ طلبًا لهيبته وعزِّ جلاله. ثمَّ ذهبتْ وتركتني[5]

وقال: نظرتُ في هذا الأمر، فوجدتُ رأسَ الدِّينِ أن يعرفَ المرءُ نفسَهُ، ونظرتُ فإذا معرفةُ الله تعالى أن يعرفَ العبدُ قدره، ونظرت فإذا

---

(١) الرسالة القشيرية ٥٢٠ (كرامات الأولياء)، روض الرياحين الحكاية (٢٦١).

(٢) الرسالة القشيرية ١٧٣ (التوبة).

(٣) الرسالة القشيرية ٢٥٩ (القناعة).

(٤) في المختار وصفة الصفوة: السميساطي وشمشاط بلدة من بلاد الثغور الجزرية قرب مدينة آمد. اللباب.

(٥) المختار ٥/ ٤٥٣، صفة الصفوة ٤/ ٤٣٠.

أحدٌ لا يصل إلى الله، وعليه من غيره بقيّةٌ.

وقال ذو النُّون. دخلتُ إلى سَوادِ نيل مصر، فجنّني اللّيل، فقمتُ بين زروعِها، فإذا أنا بامرأةٍ سوداء قد أقبلتْ إلى سُنبلةٍ، ففركَتْها، ثمَّ تركتها، وبكتْ، وقالت يا من بَذَرَه حبًّا يابسًا في أرضه ولم يكن شيئًا، أنت الّذي صيَّرتَه حشيشًا، ثمَّ جعلتَهُ عُودًا قائمًا، وجعلتَ فيه حبًّا مُتراكبًا، وكوَّنتَه بتكوينك، وأنتَ على كلّ شيءٍ قدير. ثمَّ قالت: عجبتُ لمن هذه قدرتُهُ، كيف يُعصى؟ وعجبتُ لمن هذه مَشيئته، كيف لا يُطاع؟ وعجبتُ لمن هذه صنعته، كيف يُشكى؟ فدنوتُ منها، فقلتُ: من يشكو؟ فقالت: أنت يا ذا النُّون، إذا اعتللتَ فلا تَشتك علّتَكَ إلى مخلوقٍ مثلِكَ، واطلبْ دواءَكَ ممَّن ابتلاك، وعليك السّلام، فلا حاجةَ لي في مُناظرةِ البطَّالين. ثمَّ أنشأت تقول:

وكيف تنامُ العينُ وهي قَريرةٌ ... ولم تدرِ في أيِّ المحلَّيْنِ تَنْزِلُ[1]

وقال ذو النُّون: بينا أنا أسيرُ في ليلةٍ ظلماء، في جبالِ بيت المقدس، إذ سمعتُ صوتًا حزينًا، وبكاءً عاليًا، وهو يقول: واوحشتاه بعد أُنساه[2]، واغربتاه بعد وطناه، وافقراه بعد غِناه، واذُلَّاه بعد عزّاه. فتبعتُ الصّوتَ حتَّى قَربتُ منه، فلم أزلْ أبكي لبُكائه، حتَّى إذا أصبحنا نظرتُ إليه، فإذا رجلٌ ناحلُ الجسم كالشَّنِّ[3] المُحترق، فقلتُ: يَرحمُكَ الله، تقولُ مثلَ هذا الكلام لأيِّ سببٍ؟ فقال: دعني، كان لي قلبٌ فقدتُهُ. ثمَّ أنشأ يقول:

كان لي قلبٌ أَعيشُ به ... فَرَمَاهُ الحُبُّ فاحترقَا

فقلت له:

لِمَ تَشْتكي أَلَمَ البلا ... ءِ وأنتَ تَنتحلُ المحبَّة؟

---

(١) حلية الأولياء ٩/ ٣٤٤، المختار ٥/ ٤٧٩.

(٢) في (أ): بعد الأنس.

(٣) الشَّنُّ: القربة الخَلَق الصغيرة.

ثمَّ أنشدتُهُ:

إنَّ المُحـــبَّ هـــو الصَّبـــو رُ علـى البــلاءِ لمـن أحبَّـهْ
حـــبُّ الإلـــهِ هـــو السُّـــرو رُ مع الشِّفـاءِ لكـلِّ كُـربَـهْ[1]

وسأل رجلٌ ذا النُّون: ما الَّذي أَنصَبَ العبادَ وأضناهم؟ فقال له: ذكرُ المقام، وقلَّةُ الزَّادِ، وخوفُ الحسابِ. ثمَّ قال: لِمَ لا تذوبُ أبدانُ العالمين، وتَذهلُ عقولُهم، والعَرْضُ على اللهِ أمامهم، وقرَّاءُ كُتبهم بين أيديهم، والملائكةُ وقوفٌ بين يدي الجبَّار، ينتظرونَ أمرَهُ في الأخيارِ والأشرار؟ ثمَّ قال: مثِّلوا هذا في نفوسهم، وجَعلوه نُصبَ أعينهم[2] ثمَّ أنشد:

تَوَجُّعُ مِمْراضٍ وخوفُ مُطالَبٍ وإشفـاقُ مَهمـومٍ وحُـزْنُ كَئيـبِ
ولـوعــةُ مُشتـاقٍ وزَفْـرةُ والِـهٍ وسقطــةُ مسقــامٍ بغيــرِ طبيــبِ
وفكرةُ جوَّالٍ[3] وفِطنةَ غائصٍ[4] ليأخذَ من طيبِ الصَّفا بنصيبِ
أَلَمَّـتْ بقلــبٍ حيَّـرتْـه طَـوارقٌ من الشَّوقِ حتَّى ذُلَّ ذُلَّ غريبِ
يكتُّـمُ وجـدًا ثـمَّ يُخفـي مَحبَّـةً ثوت فاستكنَّتْ في فؤادِ لبيبِ[5]

وقال سعيد بن عثمان: كنتُ مع ذي النُّون في تِيهِ بني إسرائيل، فبينا نحن نسيرُ، إذا بشخصٍ قد أقبلَ، فقلت: يا أستاذ، شخصٌ. فقال لي: انظرْ، فإنَّه لا يضعُ أحدٌ قدمَهُ في هذا الموضع إلاَّ صِدِّيق. فنظرتُ، فإذا امرأةٌ، فقلت: إنها امرأةٌ. فقال: صدِّيقةٌ وربِّ الكعبة. فابتدرَ إليها، وسلَّم عليها، فردَّتِ السَّلام، ثمَّ قالت: ما للرِّجالِ ومُخاطبة النِّساء!؟

---

(١) حلية الأولياء ٩/ ٣٤٥، المختار ٥/ ٣٢٨.
(٢) حلية الأولياء ٩/ ٣٤٦، المختار ٢/ ٣٤٩
(٣) في الحلية ٩/ ٣٤٧: وفطنة جوّال.
(٤) في (أ): وبطنة غائصٍ.
(٥) حلية الأولياء ٩/ ٣٤٧.

فقلت لها: إنّي أخوكِ ذو النُّون، ولستُ من أهل التُّهم. فقالت: مَرحبًا، حيَّاكَ الله بالسّلام. ثمَّ قال لها: ما حملَكِ على الدُّخول في هذا الموضع؟ فقالت: آيةٌ في كتاب الله، وهي قوله: ﴿أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا﴾ [النساء: ٩٧]، كلَّما دخلتُ إلى موضعٍ يُعصى اللهُ فيه لم يهنِّني فيه قرارٌ بقلب، قد أذهلته شدَّةُ محبَّتِهِ، وهامَ بالشَّوقِ[1] إلى رؤيته. فقال لها. صفي لي المحبَّةَ. فقالت: سبحان الله، أنت عارفٌ، تتكلَّمُ بلسان المعرفة، وتسألني! فقال: للسَّائلِ حقُّ الجواب. فقالت. نعم، المحبَّةُ عندي أولُها لهجُ القلبِ بذكر المحبوب، والحزنُ الدَّائم، والشَّوقُ اللازم، فإذا صارَ المحبوبُ إلى أعلاها شغلهم وجدانُ الخلوات عن كثيرٍ من أعمال الطَّاعات. ثمَّ أخذتْ في الزَّفير والشَّهيق، وأنشأتْ تَقول:

أُحبُّـكَ حُبَّيْـنَ حُـبَّ الهـوى ... وحبًّـا لأنَّـكَ أهــلٌ لــذاكــا
فـأمَّـا الَّـذي هـو حـبُّ الهـوى ... فذكرٌ شُغلتُ به عن سواكا
وأمَّـا الَّـذي أنـتَ أهــلٌ لـه ... فكشفُكَ للحُجْبِ حتَّى أراكا
فما الحمدُ في ذا ولا ذاكَ لي ... ولكنْ لك الحمدُ في ذا وذاكا[2]

وقال يوسف بن الحسين: كنتُ عند ذي النُّون، فجاءَهُ رجلٌ، فقال له: رأيتُ أبا يزيد البسطامي، فقلتُ له: أنت أبو يزيد. فقال: ومن أبو يزيد؟ يا ليتني رأيتُ أبا يزيد. فبكى ذو النُّون، وقال: إنَّ أخي أبا يزيد فقدَ نفسَه في حبِّ الله، فصار يطلبُها مع الطَّالبين لها.

وقال: بينما أنا أسيرُ في بلاد الشَّام، فإذا أنا بعابدٍ قد خرجَ من بعض تلك الكهوف، فلمَّا نظرَ إليَّ، استترَ عنّي بين تلك الأشجار، ثمَّ قال. أعوذُ بك يا سيدي ممن يَشغلني عنك، يا مأوى العارفين، وحبيبَ التَّائبين، ومُعينَ الصَّادقين، وغايةَ أملِ المحبِّين. ثمَّ صاح: واغمَّاه من

---

(١) في (أ): قد أذهلتها محبته، وهامت بالشوق.

(٢) حلية الأولياء ٩/ ٣٤٨، وانظر صفة الصفوة ٤/ ٤٢٩، والمختار ٥/ ٤٥٨.

طول البكاء، واكرباه من طول المكثِ في الدُّنيا، سبحانَ من أذاقَ قلوبَ العارفين حلاوةَ الانقطاع إليه، فلا شيءَ ألذُّ عندهم من ذكرِه، والخلوةِ بمناجاته. ثمَّ مضى وهو يقول: قدُّوسٌ، قدوس. فناديتُهُ: أيُّها العابد، قف لي. فوقفَ وهو يقول: اللَّهُمَّ، اقطعْ عن قلبِي كلَّ علاقةٍ، واجعلْ شغلَهُ بك دون خلقك. فسلَّمتُ عليه، وسألته أن يدعوَ لي، فقال: خفَّفَ اللهُ عنك مُؤنَ نَصَبِ السَّيرِ إليه، وأدَّاكَ[1] إلى رضاه، حتَّى لا يكونَ بينك وبينه علاقةٌ. ثمَّ سعى بين يدي كالهارب من السَّبُع[2]

وقال رضي الله عنه لفتًى من النُّساك: يا فتى، خذْ لنفسِكَ سلاحَ الملامة[3]، واقمعْها بردِّ الظَّلامةِ، تلبسْ غدًا سرابيلَ السَّلامة، وأقصرْها في روضة الأمان، وذوِّقْها مُضضَ فرائضِ الإيمان[4]، تظفرْ بنعيمِ الجنان، وجرِّعْها كأسَ الصَّبر، ووطِّنْها على الفقر، حتَّى تأتمَّ بالأمر[5] فقال له الفتى: وأيُّ نفسٍ تقوى على هذا؟ فقال: نَفْسٌ على الفقر صبرت، وفي سربالِ الظَّلام خطرتْ، وابتاعتِ الآخرةَ بالدُّنيا، بغير شرط ولا ثنيا، تدرَّعتْ رهبانيَةَ القلق، ورعت الدُّجى إلى وضحِ الفلق، فما ظنُّكَ في نفسٍ في وادي الحنادسِ[6] سلكت، وهجرتِ اللَّذاتِ فملكت[7]، وإلى الآخرةِ نظرت، وعن الذُّنوبِ أقصرت، وعلى النّذرِ[8] من القوت اقتصرتْ، ولجيوشِ الهوى قَهرتْ، وفي ظُلمِ الدَّياجي سهرت[9]، فهي بقناعِ الشَّوق

---

(١) في الحلية: ودلّك.
(٢) حلية الأولياء ٩/ ٣٥٦
(٣) في (أ): الملالة.
(٤) في (أ): فرائض الأمان، وفي: (ب) فرائض العمل، والمثبت من الحلية.
(٥) في (ب): تأتمر بالأمر.
(٦) الحنادس: الظلمات.
(٧) في (ب): فما ملكت.
(٨) في (أ): وعلى التزود.
(٩) في (أ): زهرت.

مُخمَّرة، وإلى طاعته مشمِّرة، قد نبذت المعايشَ، ورعتِ الحشائشَ، [هذه نفس خدوم، و]عملتْ ليومِ القدوم، بتوفيقِ الحيِّ القيوم[1]

وقال رضي الله عنه: طُوبى لمن أنصفَ ربَّه عزَّ وجل. قيل له: وكيفَ يُنصفُ ربَّه؟ فقال: يُقرُّ له بالآفات في أداءِ طاعته، وبالجهلِ في معصيته، فإن أخذَهُ بذنوبه رأى عدلَه، وإن غفرَها له رأى فضلَه، وإن لم يتقبَّلْ منه حسناتِهِ، لم يرَه ظالمًا لما معها من الآفات، وإن قبلَها رأى إحسانَه لِمَا حباه به من الكرامات[2]

وقال: أتتني امرأةٌ، فقالت: إنَّ ابني قد أخذه التِّمساحُ السَّاعةَ. فرأيتُ حُرقَتَها، فأتيتُ النِّيل، وقلت: اللَّهُمَّ، أظهرِ التِّمساح. فخرج إليَّ، فشققتُ جوفَه، وأخرجتُ ابنها حيًّا صحيحًا، فقالت. كنتُ إذا رأيتُكَ سخرتُ منك، فاجعلني في حلٍّ؛ فإنِّي تائبةٌ إلى الله تعالى[3]

وقال ذو النُّون رضي الله عنه. خرجتُ حاجًّا إلى بيت الله الحرام، فبينا أنا في الطَّوافِ، إذا بشخصٍ مُتعلِّقٍ بأستارِ الكعبة، وهو يَبكي، ويقول في بكائه: كتمتُ بلائي من غَيرِك، وبحتُ بسرِّي إليك، فاشتغلتُ بك عمَّن سِواك، وعجبتُ لمن عرَفَكَ، كيف يَسلو عنك؟ ولمن ذاقَ حبَّك، كيف يصبرُ عنك؟ ثمَّ أنشأ يقول:

ذوَّقتني طيبَ الوصالِ فزادني شوقًا إليك مخامرُ الأحشاء[4]

ثمَّ أقبلَ على نفسه يَلومُها، ويقول: أمهلَكِ، فما ارعويتِ[5]، وسترَ عليكِ فما استَحْيتِ، وسلبَكِ حلاوةَ الإيمانَ فما باليتِ. فأنشأ يقول:

---

(١) حلية الأولياء ٩/ ٣٥٦، ٣٥٧

(٢) حلية الأولياء ٩/ ٣٦٦

(٣) حلية الأولياء ٩/ ٣٦٦، المختار ٢/ ٣٣٩

(٤) في الحلية: فزدتني. مخامر الحسرات.

(٥) في (أ): فما رعيت.

روَّعتَ قلبي بالفراقِ فلم أَجدْ شيئًا أمرَّ من الفراقِ وأوجَعا
حَسْبُ الفراقِ بأنْ يُفرِّقَ بيننا فلطالَما قد كنتُ منه مروَّعا

قال: فلم أتمالَكْ أن أتيتُ الكعبةَ مُستخفيًا، فلمَّا أحسَّتْ بي، تجلَّلتْ بخمارٍ كان عليها، ثمَّ قالت: يا ذا النُّون، غضَّ بصرَكَ عن مواقع النَّظر؛ فإنّي حرامٌ عليك، فعلمتُ أنَّها امرأة، فقلت: ولِمَ عافاكِ الله؟ أما علمتِ أنَّ لله عبادًا لا يَشغلهم سواه، ولا يَميلون إلى ذكرِ غيره؟ ثمَّ قلتُ: يا أَمَةَ الله، ممَ تحوي الهموم قلب المحبِّ؟ فقالت: إذا كان التّذكارُ مُجاورًا، والشَّوق مُخاطرًا[1]، يا ذا النُّون، أما علمتَ أنَّ الشَّوقَ يُورثُ الأسقامَ، وتجديدَ التّذكار يُورثُ الحزن؟ ثمَّ أنشأت تقول:

لـم أَذقْ طيـبَ وصلِـكَ حتَّـى زالَ عنّي مَحبَّتي[2] للأنام[3]

قال أبو عصمة: كنتُ مع ذي النُّون المصري، وبين يديه شابٌّ حَسَنُ الوجه، يُملي عليه شيئًا، فمرَّتِ امرأةٌ ذاتُ خَلْقٍ حسنٍ، قال: فجعل الفتى يُسارقُ النَّظرَ إليها، فنظرَ ذو النُّون إليه، فلوى عنقَهُ، ثمَّ أنشدَ:

دَعِ المصوغاتِ من ماءٍ ومن طين واشغلْ هواكَ بحورٍ جُرَّدٍ عِينِ[4]

وسُئل ذو النُّون رضي الله عنه: ما علامةُ الأُنسِ بالله؟ فقال: إذا رأيتَهُ يُوحشُكَ من خلقه، فإنَّه يُؤنسُكَ بنفسه، وإذا رأيتَهُ يُؤنسُك بخلقه، فإنَّه يُوحشك من نفسه[5]

ثمَّ قال: إنَّ الدُّنيا أَمَةُ الله، والخلقُ كلُّهم عَبيد الله، خلقهم للطاعة، وضَمِنَ لهم أرزاقَهم، فحرصوا على أَمَتِهِ، وقد نهاهم عنها، وطلبوا

---

(١) في الحلية: إذا كان للتذكار محاورة، وللشوق محاضرة.
(٢) في (أ): لم أذق طعم. محبَّةُ الأنام.
(٣) حلية الأولياء ٩/ ٣٧٥، المختار ٥/ ٤٦٣.
(٤) حلية الأولياء ٩/ ٣٧٥.
(٥) حلية الأولياء ٩/ ٣٧٧.

الأرزاق، وقد تكفَّلَ لهم بها، فلا هم على أَمَتِهِ قَدروا، ولا في أرزاقِهم استزادوا ثمَّ قال ذو النُّون:

عجبًا لقلبكَ كيف لا يتصدَّعُ ولرُكنِ جسمِكَ كيف لا يَتَضَعْضَعُ
فاكحلْ بمُلْمول[1] السُّهادِ لدى الدُّجى[2] إنْ كنتَ تَفهمُ ما أَقولُ وتَسْمَعُ
منعَ القُرانُ بوعدِهِ ووعيدِه نومَ العيونِ فليلَها ما تَهْجَعُ
فهموا عن الملِكِ الكَريمِ كلامَهُ فهمًا تَذِلُّ له الرِّقابُ وتَخْضَعُ[3]

وقال الشُّمْشَاطي: سمعتُ ذا النُّون، يقول: أَوحى الله تعالى إلى مُوسى عليه السَّلام: كُنْ كالطَّيرِ الوحداني، يأكلُ من رؤوسِ الأشجار، ويَشربُ من ماءِ القَرَاح، إذا جنَّهُ اللّيلُ أَوى إلى كهفٍ من الكهوف استئناسًا بي، واستيحاشًا ممَّن عصاني، يا موسى، إنّي آليتُ على نفسي أنّي لا أُتممُ لمدبرٍ عنّي عملاً، ولأقطعنَّ أملَ كلِّ مؤملٍ يُؤمِّلُ غيري، ولأقصمنَّ ظهرَ كلِّ من استندَ إلى سواي، ولأُطيلنَّ وحشةَ من استأنسَ بغيري، ولأُعرضنَّ عمَّن أَحبَّ حبيبًا سواي، يا موسى، إنَّ لي عبادًا إنْ ناجوني أَصغيتُ إليهم، وإنْ نَادوني أَقبلتُ عليهم، وإنْ أَقبلوا عليَّ أَدنيتُهم، وإنْ دَنوا منّي قرَّبتُهم، وإنْ تَقرَّبوا منّي اكتنفتُهم، وإنْ والوني واليتُهم، وإنْ صَافوني صافيتُهم، وإنْ عَملوا لي جازيتُهم، [هم في حماي، وبي يفتخرون] وأنا مُدبِّرُ أمورهم، وسائسُ قلوبهم، ومتولّي أحوالهم، لم أَجعلْ لقلوبهم راحةً في شيءٍ إلاَّ في ذكري، فهو لأسقامِهم شفاء، وعلى قلوبهم ضياء، لا يَستأنسون إلاَّ بي، ولا يَحطُّون رحالَ قلوبِهم إلاَّ عندي، ولا يستقرُّ بهم القرارُ في الإيواءِ إلاَّ إليَّ[4]

---

(١) مُلمول: المِكْحال. القاموس.
(٢) في (ب): كرى الدجى.
(٣) حلية الأولياء ٩/ ٣٧٧
(٤) حلية الأولياء ٩/ ٣٧٩.

وقال يوسف بن الحسين: بلغني أنَّ ذا النُّون يعلمُ اسمَ الله الأعظم، فخرجتُ من مكَّة قاصدًا إليه، حتَّى وافيتُهُ في جيزةِ مصر، فلمَّا رآني طويلَ اللّحية[1]، في يدي ركوةٌ كبيرة، مُؤتزٌ بمئزرٍ، وعلى كتفي مئزرٌ، وفي رجلي تاسومة[2]، فاستبشعَ مَنظري، فلمَّا سلمتُ عليه كأنَّه ازْدراني، وما رأيتُ منه تلك البشاشةَ، فقلتُ في قلبي: تُرى مع من وقعتُ؟ فجلستُ معه، فلمَّا كان بعد يومينِ أو ثلاثة جاءه رجلٌ من المتكلّمين، فناظرَهُ في شيءٍ من الكلام، فاستظهرَ على ذي النُّون وغلبَهُ، فاغتممتُ لذلك، فتقدَّمتُ، وجلستُ بين أيديهما، واستلبتُ المتكلّم إليَّ، وناظرتُهُ حتَّى قطعتُهُ، ثمَّ دقَّقتُ حتَّى لم يفهمْ كلامي، قال: فعجبَ ذو النُّون من ذلك، وكان شيخًا وأنا شابٌّ، فقامَ من مكانه، وجلسَ بين يدي، وقال: اعذرني، فإنِّي لم أعرفْ محلَّكَ من العلم، وأنتَ آثرُ النَّاسِ عندي. وما زالَ بعد ذلك يُجلُّني ويَرفعني على جميعِ أصحابه، حتَّى بقيتُ على ذلك سنةً كاملةً، فقلتُ له بعد السنةِ: يا أستاذ، أنا رجلٌ غريب، وقد اشتقتُ إلى أهلي، وقد خدمتُكَ سنةً، ووجبَ حقِّي عليك، وقيل لي إنَّك تعلمُ اسمَ الله الأعظم، وقد جرَّبتني، وعرفت أنّي أهلٌ لذلك، فإنْ كنتَ تعرفُهُ، فعلّمني إيَّاه. قال: فسكتَ عنّي، ولم يُجبْني بشيءٍ، وأوهمني أنَّه ربَّما علَّمني، ثمَّ سكتَ عنّي ستَّةَ أشهرٍ، فلمَّا كان بعد ذلك قال لي: يا أبا يعقوب، ألَيسَ تعرفُ فلانًا صديقنا بالفِسطاطِ الَّذي يأتينا؟ وسمّى رجلاً، فقلت: بلى. قال: فأَخرجَ إليَّ من بيته طبقًا فوقه مكبَّةٌ مشدودةٌ بمنديلٍ. وقال لي: أوصلْ هذا إلى من سمَّيتُ لك بالفسطاط. قال: فأخذتُ الطَّبقَ لأؤدّيه، فإذا هو خفيفٌ، كأنَّه ليس فيه شيءٌ، قال: فلمَّا بلغتُ الجسرَ الذي بين الفسطاطِ والجيزة، قلتُ في نفسي: يُوجِّهُ ذو النُّون بهديةٍ إلى رجل في طبقٍ ليسَ فيه شيءٌ! لأبصرنَّ ما فيه، قال: فحللتُ المنديلَ،

(١) في (أ): فأول ما أبصرني وأنا طويل اللحية.
(٢) التاسومة: نعل تصنع من ليف النخيل. اللسان.

ورفعتُ المكبَّةَ، فإذا فأرةٌ قد قفزتْ من الطَّبقِ، فذَهَبتْ، فاغتظتُ وقلتُ: سَخِرَ بي ذو النُّون، ولم يذهبْ وهمي إلى ما أرادَ في الوقت، قال: فرجعتُ إليه مُغضبًا، فلمَّا رآني تبسَّمَ، وعرفَ القصة، وقال: يا مجنون، ائتمنتُكَ على فأرةٍ فخنتني، فكيفَ أأتمنُكَ على اسمِ الله الأعظم؟! قمْ عنّي فارتحلْ، ولا أراكَ بعد هذا فانصرفتُ عنه[1]

وقال يوسف بن الحسين. جاء رجلٌ إلى ذي النُّون، فشكا إليه دَينًا عليه نحو سبع مئة دينار، قال: فأخذ ذو النُّون حصاةً من الأرض، فقال للرجل: خذها، فإنّي أرجو أن يكون فيها قضاءُ دينك. قال يوسف بن الحسين: فقال لي الرّجل: جئتُ بها إلى صديقٍ لي من أصحاب الجوهر، فدفعتُها إليه، فقال لي: ليس هذا وقتُ بيعها، فإنْ صبرتَ عليها، رجوت أن تبيعَها بالضِّعفِ[2]، قال: فغبتُ عنه شهرًا، ثمَّ عُدتُ إليه، فإذا هو قد باعَها بألفٍ وأربع مئة دينار[3]

وقال يوسف بن الحسين: سمعتُ ذا النُّون يقول: ما أعزَّ اللهُ عبدًا بعزٍّ هو أعزُّ له من أن يدلَّه على ذلِّ نفسِه، وما أذلَّ اللهُ عبدًا بذلٍّ هو أذلُّ له من أن يَحجبَه عن ذُلِّ نفسِهِ[4]

وقال ذو النُّون: إنَّما دخلَ الفسادُ على الخلق من ستَّةِ أشياء: الأول: ضعفُ النِّيَّةِ لعمل الآخرة، والثَّاني صارتْ أبدانُهم رهينةً لشهواتهم، والثَّالثُ غلبهم طولُ الأملِ مع قُربِ الأجل، والرَّابع آثروا رضا المخلوقين على رضا الخالق، والخامسُ اتَّبعوا أهواءَهم ونبذوا سنَّةَ نبيِّهم وراءَ

---

(١) حلية الأولياء ٩/ ٣٨٦، المختار ٢/ ٣٣٥، روض الرياحين الحكاية (٢٤٥).

(٢) في (أ): بالنصف.

(٣) المختار ٢/ ٣٦٢، ٣٦٣.

(٤) حلية الأولياء ٩/ ٣٧٤، والخبر فيه عن محمد بن عبد الملك. الرسالة القشيرية ١٨٠ (المجاهدة)

ظهورهم، والسَّادس جعلوا قليلَ زلاَّتِ السَّلفِ حُجَّةً لأنفسهم، ودفنوا كثيرَ مناقبِهِم[١]

وقال ذو النُّون: التَّقيُّ الذي لا يُدنِّسُ ظاهرَه بالمعارضات، ولا باطنه بالعلالات[٢]، ويكونُ واقفًا مع الله موقفَ الاتفاق[٣]

ثمَّ أنشد:

ولا عيشَ إلاَّ مع رجالٍ قلوبُهم تحنُّ إلى التَّقوى وتَرتاحُ بالذِّكرِ[٤]

وقال له رجل: متى أزهد في الدُّنيا؟ فقال: إذا زهدتَ في نفسك[٥]

وقيل له: مَنْ أصونُ النَّاسِ[٦] لنفسه؟ فقال: أملكُهُم للسانه[٧]

وقال: النَّاسُ على الطَّريق ما لم يزلْ عنهم الخوفُ، فإذا زالَ عنهم الخوفُ ضلُّوا عن الطَّريق[٨]

وسُئل عن التَّوكُّلِ، فقال: خلعُ الأرباب، وقطعُ الأسباب. فقال السَّائلُ: زدني. فقال: إلقاء النَّفسِ في العُبودية، وإخراجُها من الرُّبوبية[٩]

يجولُ الغِنى والعزُّ في كلِّ موطنٍ ليستوطنا قلبَ امرئٍ إن تَوَكَّلا
ومَن يتوكَّلْ كانَ مولاه حَسْبَهُ وكانَ له فِيما يُحاولُ مَعقلا

---

(١) المختار ٢/ ٣٦٠، ٣٦١.
(٢) العلالات: ما تعللتَ به، وفي (ب): بالمعلالات.
(٣) الرسالة القشيرية ١٨٩ (التقوى).
(٤) الرسالة القشيرية ١٩٠ (التقوى).
(٥) تهذيب الأسرار ١١٧
(٦) في (أ): أعون الناس، وفي المختار ٢/ ٣٦١: أعون الناس.
(٧) الرسالة القشيرية ٢٠٩ (الصمت).
(٨) المختار ٢/ ٣٦١.
(٩) حلية الأولياء ٩/ ٣٨٠.

إذا رضيتْ نفسٌ بمقدورِ حظِّها   تَعَالتْ وكانتْ أكبرَ النَّاسِ مَنْزلا[1]

وقال رضي الله عنه: ثلاثةٌ من أعلام اليقين: قلَّةُ مُخالطة النَّاس في العِشرة، وتركُ المدحِ لهم عند العطية، والتنَزُّهُ عن ذمِّهم عند المنع، وثلاثةٌ من أعلام يقين اليقين النَّظرُ إلى الله تعالى في كلِّ شيءٍ، والرّجوعُ إليه في كلِّ أمرٍ، والاستعانةُ به في كلِّ حالٍ[2]

وقال: علامةُ المُراقبةِ إيثارُ ما آثر اللهُ تعالى، وتعظيمُ ما عظَّمَ الله، وتصغيرُ ما صغَّرَ الله تعالى[3]

وقال: ثلاثةٌ من أعلامِ الرِّضا: تركُ الاختيارِ قبلَ القضاء، وفقدانُ المرارةِ بعد القضاء، وهيجانُ الحبِّ في حشو البلاء[4]

وقال: الإخلاصُ لا يتمُّ إلاَّ بالصّدقِ فيه، والصّبرِ عليه. والصّدقُ لا يتمُّ إلاَّ بالإخلاصِ فيه، والمُداومةِ عليه[5]

و: من علامةِ الإخلاص ثلاث: استواءُ المدحِ والذّمّ من العامّة، ونسيانُ رؤيةِ الأعمالِ في الأعمال، ونسيان اقتضاءِ ثوابِ العمل في الآخرة[5]

وقال: الحياءُ وجودُ الهيبةِ في القلب، مع وَحشةِ ما سبقَ منك إلى ربِّكَ تعالى من المُخالفات، والحبُّ يُنطق، والحياءُ يُسكتُ، والخوفُ يقلق[6]

وقال رضي الله عنه: من ذكرَ الله تعالى ذكرًا على الحقيقة نسيَ في

---

(١) تهذيب الأسرار ١٤٠

(٢) الرسالة القشيرية ٢٨٣ (اليقين).

(٣) الرسالة القشيرية ٢٩٥ (المراقبة).

(٤) الرسالة القشيرية ٣٠٠ (الرضا).

(٥) الرسالة القشيرية ٣١٥ (الإخلاص).

(٦) الرسالة القشيرية ٣٢٣ (الحياء).

جنب ذكرِهِ كلَّ شيء، وحفظ الله عليه كلَّ شيءٍ، وكان له عوضًا من كلِّ شيء[١]

وسُئل عن الذِّكر، فقال: غَيبَةُ الذَّاكرِ عن الذِّكر، ثمَّ أنشد:

لا لأنِّـــيَ أنســـاكَ أُكثـــرُ ذكـــرَا ك ولكنْ بذاك يَجري لساني[٢]

وقال: علامةُ سُخطِ اللهِ على العبد خوفُهُ من الفقر[٣]

وقال: أدب العارف[٤] فوقَ كلِّ أدبٍ، لأنَّ معروفَهُ مُؤدِّبُ قلبِه، وإذا خرجَ المُريدُ عن استعمال الأدبِ، فإنَّه يَرجعُ من حيث جاء[٤]

وقـال: لا تصحـبْ مـع الله إلاَّ بـالمـوافقـة، ولا مـع الخلـقِ إلا بالمُناصحة، ولا مع النَّفسِ إلاَّ بالمُخالفة، ولا مع الشَّيطانِ إلاَّ بالعداوة، ويَنبغي أن تصحبَ لمن إذا مرضتَ عادَكَ، وإذا أذنبتَ تابَ عليك[٥]

وسألَهُ رجلٌ عن التَّوحيد، فقال: هو أن تعلمَ أنَّ قدرةَ الله تعالى في الأشياءِ بلا مزاجٍ، وصنعَهُ للأشياءِ بلا علاجٍ، وعلَّةُ كلِّ شيءٍ صنعُهُ، ولا علَّةَ لصنعِهِ، ومهما تصوّر في نفسك شيءٌ فالله عزَّ وجلَّ بخلافه[٦]

وقيل له عند النَّزع: أوصنا. فقال: لا تشغلوني؛ فإنِّي مُتعجِّبٌ من حُسنِ ـ أو محاسن ـ لطفِهِ[٧]

وقال: ركضتْ أرواحُ الأنبياء عليهم السّلام في ميدان المعرفة، فسبقتْ روحُ محمدٍ صلوات الله عليه أرواحَهم إلى روضةِ الوصال[٨]

---

(١) الرسالة القشيرية ٣٣٢ (الذكر).
(٢) الرسالة القشيرية ٣٣٤ (الذكر).
(٣) الرسالة القشيرية ٣٩٢ (الفقر).
(٤) في الأصلين. آداب العارفين، والمثبت من الرسالة القشيرية ٤٠٨ (الأدب).
(٥) الرسالة القشيرية ٤٢٠ (الصحبة).
(٦) الرسالة القشيرية ٢٣ (اعتقاد الطائفة).
(٧) الرسالة القشيرية ٢٢٣ (الرجاء)، و ٤٣٧ (أحوالهم عند الخروج من الدنيا).
(٨) الرسالة القشيرية ٤٤٠ (المعرفة بالله).

ثمَّ قال: مُعاشرةُ العارفِ كمعاشرةِ الله عزَّ وجل؛ يحتملُكَ ويَحلمُ عنك تخلقًا بأخلاقه تعالى(١)

وقال: أعرفُ النَّاسِ بالله تعالى أشدُّهم تحيُّرًا فيه(٢)

قيل له: بمَ عرفتَ ربَّك؟ فقال: عرفتُ ربِّي بربِّي، ولولا ربِّي لما عرفتُ ربِّي عزَّ وجلَّ(٣)

وقال: لكلِّ شيءٍ عقوبةٌ، وعقوبةُ العارفِ انقطاعُهُ عن ذكرِ الله تعالى(٤)

وقال: علامةُ العارفِ ثلاثةُ أشياء: لا يُطفئُ نورُ معرفته نورَ ورعِهِ، ولا يعتقدُ باطنًا من العلم ينقضُهُ عليه ظاهرٌ من الحكم، ولا تحملُهُ كثرةُ نعمِ الله تعالى عليه على هتكِ أستارِ مَحارم الله عزَّ وجلَّ(٥)

وقال بعضُهم: كنَّا عند ذي النُّون المصري رضي الله عنه، فتذاكرنا المحبَّةَ، فقال: كُفُّوا عن هذه المسألة؛ لئلا تَسمعَها النُّفوسُ فتدَّعيها. ثمَّ أنشأ يقول:

الخـوفُ أولـى بـالمسـيءِ إذا تَـألَّـهَ والحَـزَنْ
والحـبُّ يجمـل بـالتَّقيِّ وبـالنَّقـي مِـنَ الـدَّرَنْ(٦)

وسُئلَ عن الصَّوتِ الحسنِ، فقال: مُخاطباتٌ وإشاراتٌ أودعَها اللهُ كلَّ طيِّبٍ وطيبة(٧)

---

(١) حلية الأولياء ٩/ ٣٥١، والرسالة القشيرية ٤٤٠ (المعرفة بالله). وقوله: يحتملك. ليس في (أ).
(٢) الرسالة القشيرية ٤٤١ (المعرفة بالله).
(٣) الرسالة القشيرية ٤٤٢ (المعرفة بالله).
(٤) الرسالة القشيرية ٣٣٥ (الذكر) والقول لسفيان الثوري، وهو منسوب لذي النون في الحلية ٩/ ٣٥٥، المختار ٢/ ٣٥٢، وبهما: لكل قومٍ عقوبة.
(٥) المختار ٢/ ٣٦١، وفي (أ): عليه ظاهر من الحلم.
(٦) الرسالة القشيرية ٤٥٤ (المحبة)، المختار ٢/ ٣٦١
(٧) الرسالة القشيرية ٤٧٢ (السماع).

وقيل: ما تقولُ في السَّماع؟ فقال: واردُ حقٍّ يُزعِجُ القلوبَ إلى الحقِّ، فمن أصغى إليه بحقٍّ تحقَّق، ومن أصغى إليه بنفسٍ تَزَنْدَق[1]

وقال أحمد بن مقاتل العكّي: لمَّا دخلَ ذو النُّون المصري بغدادَ، اجتمعَ إليه الصّوفيةُ، ومعهم قوَّالٌ، فاستأذنوه أن يقولَ بين يديه شيئًا، فأذنَ له، فابتدأَ يقول:

صغيـــرُ هَـــواك عـــذَّبنـــي ... فكيـــفَ بـــه إذا احتَنَكـــا
وأنـــتَ جمعـــتَ فـــي قلبـــي ... هَـــوًى قـــد كـــان مُشتـــركـــا
أَمَـــا تَـــرْثِـــي لِمُكْتَئِـــبٍ ... إذا ضَحِـــكَ الخَلِـــيُّ بَكـــا

قال: فقام ذو النُّون وتواجدَ، وسقطَ على وجهه، والدَّمُ يقطرُ من جبينِهِ، ولا يَسقطُ على الأرض، ثمَّ قامَ رجلٌ من القوم يتواجدُ، فقال له ذو النُّون: ﴿ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ﴾ [الشعراء: ٢١٨]. فجلسَ في الحال[2]

وقال رضي الله عنه: لقيتُ بعضَ السَّياحين، فقلتُ له: من أَينَ أقبلتَ؟ فأنشأَ يقول:

مِنْ عندِ مَنْ عَلَقَ الفُؤادُ بحبِّه ... فشكـا إليـه بخـاطـرٍ مُشتـاقِ
يَبكي الوِصالَ بعبرةٍ مَسْفُوحَةٍ ... فيهـا الشّفـاءُ لـوامِـقٍ تـوَّاقِ[3]

قال: ثمَّ تركَني، ومضى[3]

وقال أحمدُ بنُ محمد السُّلمي: دخلتُ يومًا على ذي النُّون المصري، فرأيتُ النَّدَّ والعنبرَ[4] يُسْجرُ بين يديه، فقال: أنتَ ممَّن يَدخلُ على الملوكِ في حالِ بسطهم. ثمَّ أَعطاني دِرهمًا، فأنفقتُ منه إلى بلخ[5]

---

(١) الرسالة القشيرية ٤٧٢ (السماع).
(٢) الرسالة القشيرية ٤٧٦ (السماع)، تاريخ بغداد ٨/ ٣٩٦، المختار ٢/ ٣٦٢
(٣) تاريخ دمشق ١٧/ ٤٣٥، وفيه: يبغي إليه من الوصال تقربًا فيه الشفاء...
(٤) الند والعنبر: نوعان من الطيب يدخَن بهما.
(٥) المختار ٢/ ٣٦٢.

وجاءه رجلٌ فقال: ما بالُ المَحزونِ إذا تكاملَ حزنُهُ لا تجري دمعتُهُ؟ فقال: إذا رقَّ سلا، وإذا جمد شجي. ثمَّ أطرقَ رأسَهُ ورفعَه، وأنشأَ يقول:

إذا رقَّ قلبُ المرءِ دَرَّتْ جفونُه[1] دموعًا له فيها سلوٌّ من الكَمَدْ
وإنْ كَتَمَ الأَشجانَ من طولِ حُزْنِهِ علاه اصفرارُ اللَّونِ في الوجهِ والجَسَدْ
وأَحمـدُ حـالِ الخـائفيـن مقـامُـهُ على كَمَدٍ يضني النُّفوسَ مع الكَبَدْ
لعمـرُكَ مَـا لَـذَّ المُطيعـونَ لَـذَّةً ألذَّ وأحلى من مُناجاةِ منفردْ[2]

وقال يوسف بنُ الحسين: سمعتُ ذا النُّون المصري يقول: رأيتُ شابًا عند الكعبة يُكثرُ الرُّكوعَ والسّجود، فدنوتُ منه، وقلتُ له: إنَّكَ تُكثرُ الصَّلاةَ. فقال أنتظرُ الإذنَ من ربِّي في الانصراف. قال: فرأيتُ رقعةً سقطتْ عليه مَكتوبٌ فيها: من العزيزِ الغفور إلى عبدي الصَّادق، انصرف مغفورًا لك ما تقدَّمَ من ذنبك وما تأخَّرَ[3]

وقال: كنتُ راكبًا في البحر بعضَ الأوقات، فسُرقَتْ قَطيفةٌ[4]، فاتَّهموا رجلاً، فقلتُ: دعوه حتَّى أرفقَ به. وإذا الشَّابُّ نائمٌ في عباءةٍ، فأخرجَ رأسَه منها، فقال له ذو النُّون في ذلك المعنى، فقال: ألي تقول؟! أُقسمُ عليك يا ربُّ أن لا تدعَ واحدًا من الحيتان إلاَّ جاءَ بجوهرةٍ. قال: فرأينا على وجهِ الماءِ حيتانًا في أفواههم الجوهرُ، ثمَّ ألقى نفسَهُ في البحرِ، ومضى إلى السَّاحل[5]

وقال أبو جعفر: كنتُ عند ذي النُّون المصري، فتذاكرنا حديثَ طاعةِ

---

(١) في (أ): أذرت دموعه.
(٢) في (ب): مفرد.
(٣) الرسالة القشيرية ٥٠٢ (كرامات الأولياء).
(٤) في إحدى نسخ الرسالة القشيرية: فسرقت جوهرة. وظني هو الوجه؛ لما في جاء في تتمة الخبر
(٥) الرسالة القشيرية ٥٠٣ (كرامات الأولياء).

الأشياءِ للأولياء، فقال ذو النُّون: من الطَّاعةِ أن أقولَ لهذا السّريرِ بأن يدورَ في أربعِ زوايا البيت، ويعودَ إلى مكانه، فيفعل. قال: فدارَ السَّريرُ في أربع زوايا البيت، وعادَ إلى مكانه، قال: وكان هناك شابٌّ، فأخذَ يبكي حتَّى ماتَ في الوقت[1]

وقال بكر[2] بن عبد الرَّحمن: كنَّا مع ذي النُّون المصري في البادية، فنَزلنا تحتَ شجرِ أمِّ غيلان، فقُلنا: ما أطيبَ هذا الموضع! لو كان فيه رُطبٌ. فتبسَّمَ ذو النُّون، وقال: تَشتهون الرُّطبَ؟ قلنا: نعم. فحرَّكَ الشَّجرةَ، وقال: أقسمتُ عليكِ بالَّذي ابتدأكِ وخلقَكِ شجرةً إلاَّ نثرتِ علينا رُطبًا جنيًا. ثمَّ هزَّها، فنثرتْ رُطبًا، فأكلنا وشبعنا، ثمَّ نمنا وانتبهنا، وحرَّكنا الشّجرةَ، فنثرتْ علينا شوكًا[3]

وقال نعمانُ بنُ موسى الحيري[4] رأيتُ ذا النُّون المصري، وقد تقاتل اثنان، أحدُهما من أعوانِ السُّلطان، والآخرُ من الرَّعية، فعمدَ العاميُّ[5] إلى صاحبِ السُّلطان، فكسرَ ثنيَّتَهُ، فعلقَ الجنديُّ بالرَّجلِ، وقال: بيني وبينك الأمير فجازَا بذي النُّون، فقال لهما النَّاسُ: اصعدا إلى الشَّيخِ. فصَعِدَا إليه، فعرَّفوه ما جرى، فأخذَ السِّنَّ، ثمَّ بلَّها بريقِهِ، وردَّها إلى فمِ الرَّجل في موضعها، وحرَّكَ شفتيه بالدُّعاء، فتعلَّقتْ بإذنِ الله تعالى، فبقي الرَّجلُ يُفتِّشُ فاه، فلم يجدِ الأسنانَ جميعَها إلاَّ سواء[6]

وروي أنَّه ذُكرَ عنده الشَّوقُ، فقال: الشَّوقُ لا يَسْكُنُ جارحةً إلاَّ تركَها

---

(١) الرسالة القشيرية ٥٠٧ (كرامات الأولياء)، المختار ٢/ ٣٦٢

(٢) في (أ): أبو بكر.

(٣) الرسالة القشيرية ٥٠٧ (كرامات الأولياء)، المختار ٢/ ٣٣٩

(٤) في (أ): الجيزي.

(٥) في الرسالة القشيرية ٥٢٣: فعدا.

(٦) الرسالة القشيرية ٥٢٣ (كرامات الأولياء)، المختار ٢/ ٣٣٩.

رميمًا، ولقد حُدِّثْتُ أنَّ امرأةً من أهلِ الموصلِ كانت تقولُ: كَلَّ لساني عن ذكرِ ما لا يعنيني، كما كَلَّتْ ألسنةُ المشتاقين إليك عن ذكرِ كلِّ شيءٍ خالطَهُ غيرُك. ثمَّ تنفَّسَ وقال: ما العيش عندي إلاَّ عيشُ المشتاقين؛ لأنَّهم ما داموا محبّين مجرّدين عن لباسِ الشَّوق[1]، فهم مُكدَّرون[2]، حتَّى إذا تدرَّعوا خِلَعَ الشَّوقِ، طاشتْ همومُهم، ورتعوا في رياضِ السُّرور، ورُفعت عنهم المكابدات، فعاشوا بروحِ الله في أعظمِ القدر.

وقال الفتح بن شَخْرَف. كان سعدونُ صاحبَ محبَّةٍ لله، لَهِجًا بالقول، صامَ ستين سنة حتَّى جفَّ دماغُه، فسمَّاه النَّاس مَجنونًا لتردُّد قوله في المحبَّة، قال فتح: فغابَ عنَّا زمانًا، وكنتُ إلى لقائه مشتاقًا؛ لِمَا كان به مَوصوفًا عند غيبته من حِكَم قوله، فبينا أنا بفُسطاطِ مصر قائمٌ على حَلْقةِ ذي النُّون رأيتُه، وعليه جبَّةُ صوفٍ، على ظهره مكتوبٌ: لا يُباع ولا يُشترى، وذو النُّون يتكلَّمُ على النَّاسِ في علمِ الباطنِ، فناداه سعدون: متى يكونُ القلبُ أميرًا بعدما كان أسيرًا؟ فقال ذو النُّون. إذا اطَّلعَ الخبيرُ على الضَّميرِ، فلم يرَ فيه إلاَّ حبَّه، لأنَّه الجليل القدير قال: فصرخَ صرخةً، وخرَّ مَغشيًّا عليه، ثمَّ أفاقَ وقال:

ولا خيرَ في شَكوى إلى غيرِ مُشْتكى ولابدَّ من شَكوى إذا لم يكنْ صَبْرُ[3]

ثمَّ قال. أستغفرُ الله، غلبَ عليَّ حُبِّي لجنوني، ولا حول ولا قوَّةَ إلاَّ بالله العليِّ العظيم. ثمَّ قال: يا أبا الفيض، أمِنَ القلوبِ قلوبٌ تَستغفرُ قبل أن تُذنب؟ فقال: تلك القلوبُ تُثاب قبلَ أنْ تُطيع. فقال: يا أبا الفيض، اشرحْ لي ذلك. فقال: يا سعدون، أولئك أقوامٌ أشرقتْ قلوبُهم عليهم بضياءِ روحِ اليقين، ففطموا النُّفوسَ من روح الشَّهوات، فهم [رهبانٌ من

(١) في (أ): مجردين عن الناس للشوق.
(٢) في (ب): مكدودون.
(٣) البيت لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه، انظر ديوانه (أنوار العقول) صفحة ٢١٦.

الرهابين، و]ملوكٌ في العباد، وأمراءُ في الزُّهاد، للغيثِ[1] الَّذي أمطرَ في قلوبهم الوالهة بالقدومِ على الله شوقًا، فليس فيهم من يَأنسُ بمخلوقٍ، ولا يَسترزقُ من مرزوقٍ. قال: يا ذا النُّون، فمتى نصلُ إليه؟ قال: يا سعدون، صحِّحِ العزمَ بطرحِ الأذى، وسلِ الذي بسياسته تُولّى. قال فتح: فأدخلَ سعدون رأسَهُ فيما بين الحلقة، فما رأيتُهُ بعد ذلك[2].

وقال: إنَّ اللهَ أنطقَ اللِّسانَ بالبيان، وافتتحَهُ بالكلام، وجعلَ القلوبَ أوعيةَ العلم، ولولا ذلك لكانَ الإنسانُ بمنزلةِ البهيمة، يُومئُ بالرَّأس، ويشيرُ باليد[3].

وقال ذو النُّون: اصحبِ الَّذين وصفَهم اللهُ في كتابه، وهم أهلُ التّقوى، الَّذين هم على سمت مَحجَّته، لعلَّكَ أن تَرقى في ملكوتِ السَّموات، فتكونَ للأبرارِ جليسًا، وللأخيارِ في أمن الله في ذلك المَقيلِ[4] أنيسًا، وإن كنتَ على التّقوى عازمًا، فالنَّجا النَّجا فيما بقيَ من عمرك.

وقال سالم: بينا أنا أسيرُ مع ذي النُّون في جبلِ لِبنان، إذ قال لي: مكانَكَ يا سالم، حتَّى أعودَ إليك. فغابَ عنِّي في الجبل ثلاثةَ أيام، وأنا أنتظره، إذ هاجتْ عليَّ النَّفسُ بالجوع، فأطعمتُها من نباتِ الأرض، وسَقيتُها من ماءِ الغُدران. فلمَّا كان بعد الثَّلاثِ، رجعَ إليَّ مُتغيِّرَ اللَّون، ذاهبَ العقل، فقلتُ له بعدما رجعتْ إليه نفسُه: يا أبا الفيض، أَسَبُعٌ عارضك؟ قال: لا، دعني من تخويفِ البشرية، إنِّي دخلتُ كهفًا من كهوف هذا الجبل، فرأيتُ رجلاً أبيضَ الرَّأس واللِّحية، أشعثَ، أغبرَ، نحيفًا، نَحيلاً، كأنَّما أُخرجَ من قبره، ذا منظرٍ مَهولٍ، وهو يُصلِّي، فسلَّمتُ عليه بعدما سلَّمَ، فردَّ عليَّ السَّلامَ، وقامَ إلى الصَّلاةِ، فما زالَ

(١) في (أ): الغيث.
(٢) المختار ٣/ ٨٠.
(٣) تاريخ دمشق ١٧/ ٤١٤.
(٤) في (ب): في أمن ذلك المقيل.

راكعًا وساجدًا، حتَّى صلَّى العصرَ، واستندَ إلى حجرٍ مقابلِ المحراب، يُسبِّحُ لا يُكلِّمُني، فبدأتُهُ بالكلام، وقلت له: رحمَكَ الله، أَوصني بشيءٍ، وادعُ اللهَ لي بدعوةٍ. فقال: يا بُني، آنسَكَ الله بقُربه. ثمَّ سكتَ، فقلتُ: زدني. فقال: يا بُني، من آنَسَهُ اللهُ بقُربه، أعطاهُ أربعَ خصالٍ: عزًّا من غيرِ عشيرةٍ، وعِلمًا من غيرِ طلبٍ، وغنىً من غيرِ مالٍ، وأُنسًا من غيرِ جماعةٍ[١] ثمَّ شَهِقَ شهقةً، فلم يُفِقْ إلَّا بعد ثلاثةِ أيام، حتَّى توهَّمتُ أَنَّه ميتٌ، فلمَّا كان بعد ثلاثة أيام قامَ فتوضَّأَ من عينِ ماءٍ بجنبِ الكهف، فقالَ: يا بُني، كم فاتَني من الفرائضِ، صلاةٌ أو صلاتان أو ثلاث؟ قلتُ: قد فاتتك صلاةُ ثلاثةِ أيامٍ ولياليهنَّ. فقال:

إنَّ ذكرَ الحبيبِ هيَّجَ شَوقي ثمَّ حُبُّ الحبيبِ أَذهبَ عقلي

ثمَّ قال: قد استوحشتُ من ملاقاةِ المخلوقين، وقد أَنستُ بذكرِ ربِّ العالمين، انصرفْ عنّي بسلام. فقلتُ له: يَرحمكَ الله، وقفتُ عليك ثلاثةَ أيَّامٍ رجاءَ الزِّيادةِ منك. فقال: حبَّ مولاك، ولا تُرِدْ بحبِّه بدلًا، فالمحبُّون لله هم تيجانُ العُبَّاد، وعَلَمُ الزُّهاد، وهم أصفياءُ الله تعالى وأحبَّاؤه. ثمَّ صرخ صرخةً، فحرَّكْتُهُ، فإذا هو ميتٌ قد فارقَ الدُّنيا، فما كان إلَّا هنيهةٌ فإذا بجماعةٍ من العبَّادِ مُنحدرين من الجبلِ، حتَّى واروه تحتَ التُّراب، فسألتُ عن اسمِ الشَّيخ، فقالوا: شيبانُ المُصاب. قال سالم: فسألتُ أهلَ الشَّام عنه، فقالوا: كان مَجنونًا، فخرجَ من أذى الصِّبيان. قلتُ. أتعرفونَ من كلامِهِ شيئًا؟ قالوا: بلى، كلمةٌ واحدة كان يُغنّي بها إذا ضجر

إذا بِكَ لم أُجَنْ يا حبيبي فَبِمَنْ

قال سالم: فقلتُ: عُمِّيَ واللهِ عليكم[٢]

وقال: خرجتُ في سفرٍ، فبينا أنا أسيرُ في بريَّةٍ وقد اعتكرَ اللَّيل،

---

(١) في (آ): من غير عشيرة.

(٢) صفة الصفوة ٤/ ٣٤٨، المختار ٣/ ١٢٦، روض الرياحين الحكاية (٣٩).

وتغسَّقتْ[١] ظلمةُ الأُفق، وسكنتْ حركاتُ البشر، إذا أنا بشخصٍ مارٍّ بين يدي، فلحقتُهُ، فإذا رجلٌ كهلٌ، حَسنُ الوجه، طيِّبُ الرِّيح، فصيحُ اللِّسان، عذبُ الكلام، عليه بزَّةٌ حسنة، فسلَّمتُ عليه، فردَّ عليَّ السّلام، فقلت: يا شيخ، ما الَّذي دَعاك إلى الوِحدةِ والانفراد في هذا المكان، القليلِ[٢] الألَّافِ، البعيدِ من النَّاس؟ فقال: طلبُ الظّفرِ بمن يَملكُ رقَّ البشر، وهو على كل شيءٍ مُقتدر. قلتُ: فعلى ما أنت مُقيمٌ يومَك هذا؟ فقال: قد كادتْ عيني أن ترى أعلامَ المُستأنسين، وروحي أَنْ تشربَ بكأسِ المُحبّين، وقلبي أن يُخامرَهُ قلقُ المشتاقين. قلت له: ما الَّذي قطعَ بك عن الوصولِ إلى ما هناك؟ فقال: يا ذا النُّون، ها أنا دائمُ القلق، أَضرعُ إليه في الرَّاحةِ، وأَسألُهُ بلوغَ الأمنيّة، وهو العليمُ بما يُصلحُ بِهِ النّفوس. قلت له: أَفتجدُ على قلبِكَ من الخلوةِ شدَّةً؟ فقال: ما أظنُّ أحدًا عرفَ ربَّه يحتاجُ مع أُنسِهِ إلى رُؤيةِ الأهلين، ولا من انقطعَ إليه يَكِلُهُ إلى أحدٍ من المخلوقين. فقلتُ: هل من وصيةٍ، أو عظةٍ؟ فقال: نعم. قلتُ: وما هي، رحمك الله؟ فقال: مُبادرتُكَ إليه إذا دعاك، وتَركُ التَّخلُّفِ عنه إذا ناداك، ودوامُ الإقبالِ عليه مع كثرةِ المُبادرة إليه، يَخلعُ الرَّاحةَ من نفسك، ويحذفُ كلَّ ما دعاك إلى ما يُبعدكَ عنه، ويحولُ بينك وبين الظّفرِ بالمراد، حتّى لا يفقدك من عند نفعك، ولا يجدك عند مضارِّك. قلت: زدني. قال: إيَّاكَ أن تتركَ حالةً لحالةٍ، حتَّى تنفذَ ما أنت عليه من مُرادك؛ فإنَّ للعدوِّ ههنا مجالًا قلت: زدني. قال: تعلَّمْ تَملُّقَهُ، فإن له غدًا فرحةً تستوعبُ جميعَ الأحزان، وتَظفرُ[٣] بدارِ الكرامة والأمان. قلت: زدني. قال: حسبُكَ يا ذا النُّون، إنَّ عَمِلتَ بما أخبرتك فقد فزت[٤] ومضى.

وقال يوسف بن الحسين: وصفَ ذو النُّون المُشتاقين، فقال: سقاهم

---

(١) في (ب): وتعشت.
(٢) في (ب): قليل.
(٣) في (أ): وتظفرهم.
(٤) قوله: فقد فزت ليست في (أ) ولا في (ب)، مستدركة من المنتقى.

من صرفِ المودَّةِ شربةً، فماتت شهواتُهم في القلوب، من خوفِ عواقبِ الذُّنوب، وذهلتْ أنفسُهم عنِ المطاعمِ من خوفِ فوتِ المَناعم، في دارٍ تُستطابُ فيها المكارم، قد أنحلوا الأبدانَ بالجوعِ والأحزان، وصَفُّوا القلوبَ من كلِّ كدرٍ، فهي مُعلّقة بمواصلة المحبوب.

ثمَّ قال: يا حُسنَ غرائس[1] الأشجان في رياضِ الكتمان، وقد نَمَتْ في صحنِ مُروجِ القلوب، قد سقوه من ماءِ المُنى، فالأحزانُ تُهيِّجُهم، والشّوقُ يُقلقُهم. ثمَّ تنفَّسَ وقال:

شـوقٌ أَضـرَّ بِمهجَـةِ المُشتـاقِ　　أَجـرى سـوابـقَ عبـرةِ الآمـاقِ
لَعبتْ يدُ العبراتِ في وجناتِهِ　　وكـذا بـه لعبـتْ يـدُ الأشـواقِ

ويُقال: ليسَ بذي لُبٍّ مَنْ كَاسَ[2] في أمرِ دنياه، وحَمقَ في أمرِ آخرته، ولا من سَفِهَ في مواطنِ حلمه، وتكبَّرَ في مَواطنِ تواضعه، ولا من فقدَ منه التَّقوى في مَواطنِ طَمعه[3]، ولا من غضبَ من حقٍّ إن قيل له، ولا من زَهِدَ فيما يرغبُ العاقلُ في مثله، ولا فيما يزهدُ الأكياسُ في مثله، ولا من استقلَّ الكثيرَ من خالقه، واستكثرَ قليلَ الشُّكر من نفسه[4]، ولا من طلبَ الإنصافَ من غيرِهِ لنفسه، ولم يُنصفْ من نفسه غيرَه، ولا من نَسِيَ الله تعالى في مواطنِ طاعته، وذكرَ اللهَ في مواضعِ الحاجة إليه، ولا من جمعَ العلمَ ليُعرفَ به، ثمَّ آثرَ عليه هواه عند متعلمه، ولا من قلَّ منه الحياءُ من الله على جميل ستره، ولا من أغفلَ الشُّكرَ عن إظهارِ نعمه، ولا من عجزَ عن مُجاهدة عدوِّه لنجاته إذ صبر عدوه على مُجاهدته لهلكته، ولا من جعلَ فروته لباسه[5]، ولم يجعل أدبه وورعه وتقواه

(١) في (أ): عرائش.
(٢) كاس يكيس كَيْسًا وكِياسَةً: ظَرُفَ وفَطِنَ.
(٣) في (ب): طعمه.
(٤) انظر قول أبي يزيد صفحة ٢١٠
(٥) في (ب): أهلكته، ولا جعل مروءته.

لباسه، ولا من جعلَ علمَهُ ومعرفته تَظرُّفًا وتزيُّنًا في مجلسه. ثمَّ قال: أستغفرُ الله، إن الكلامَ لكثير، وإن لم تقطعْهُ لم ينقطع. ثمَّ قام.

ورُوي أنَّه دخلَ على مريضٍ يَعودُه، فرأى المريضَ يَئِنُّ، فقال: ليسَ بصادقٍ في حبِّه من لم يصبرِ على ضربه. فقال المريض: لا، ولا صدقَ في حبِّه من لم يتلذَّذْ بضربِهِ. فقال ذو النُّون: لا، ولا صدقَ من راءى حبَّه لربِّه[1]

وقال: كلُّ ذاكرٍ ذكرَ اللهَ فاللهُ هو الذَّاكرُ له، وكلُّ مُحبٍّ أحبَّ اللهَ فاللهُ هو المُحبُّ له، وكلُّ راضٍ عن اللهِ فاللهُ راضٍ عنه[2]

وقال: لا يزالُ العارفُ مادامَ في الدُّنيا بين الفخرِ والفقر، فإذا ذَكَرَ الله افتخر، وإذا ذَكَرَ نفسَه افتقر. ثمَّ تأوَّهَ، وقال: الله فخرُنا، وإليه فقرُنا[3]

وسأله صاحبُهُ عبدُ الصَّمد، وكانَ يُقال إنَّه من الأبدال، فقال: يا أبا الفيض، لِمَ يُفطرُ الحاجُّ بمكَّة؟ قال: لأنَّهم أضيافُ الكريم، والكريمُ لا يتركُ أضيافَه جياعًا. معناه أنَّ النَّبيَّ ﷺ أفطرَ يومَ عرفةَ، والنَّاسُ يَصومونه في كلِّ موضعٍ، وأمرَ مُناديه يُنادي أيامَ التَّشريق: إنَّها أيامُ أكلٍ وشربٍ وبعال[4] فقال: لِمَ يَتعلَّقُ النَّاسُ بأستارِ الكعبة؟ فقال: هذا مثلُ السيِّدِ يكونُ على عبدِهِ غضبان، فإذا ركبَ سأله الرِّضا، وأخذَ بطرفِ ثيابه[5] وحقويه حتَّى يَرضى، فجُعلتْ الكعبةُ وأستارُها مثلاً للسيِّد. قال له: فلِمَ يطوفُ النَّاسُ حولها؟ فقال له: مثلُ ما قالتِ الملائكة: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا﴾ [البقرة: ٣٠]، فكأنَّه كانَ اعتراضًا، ثمَّ ندمتْ على

---

(١) المختار ٢/ ٣٦٣.

(٢) انظر تهذيب الأسرار ٣١٩

(٣) الحلية ٩/ ٣٥٣، المختار ٢/ ٣٥٢

(٤) رواه الطبراني في الكبير ١/ ٤١٥، والبيهقي في السنن ٤/ ٢٩٨، والبعال: وقاع النساء.

(٥) في (ب): السيد يكون عليك غضبان، فإذا ركب أخذت بطرف ثيابه.

ما قالتْ، فاجتمعتِ الملائكةُ، وطافتْ حول العرشِ، فلم تزل تَدعو وتتضرّعُ حتّى جاءَها العفوُ من الله. قال ابن عبّاس: فأمرَ اللهُ جبريل، فقال ابنِ لي بيتًا في الأرض، لأنَّ في ذرِّيَّةِ آدمَ من يَجني الجنايات، فإذا عَصَوا وجنوا طافوا حول بيتي في الأرض، فيتضرّعون، ويَستغفروني، ويتملَّقوني، أغفرُ لهم، وأعفُو عنهم، كما عفوتُ عن الملائكةِ المُقرَّبين. فقيل له: لِمَ صيَّرَ الموقفَ بعرفة، ولم يجعلْهُ بالحرم؟ فقال. لأنَّ الكعبةَ بيتُ الله الحرام، والحرمُ حجابه[1]، وعرفةُ بابه، فلمَّا أن قصدَ الوافدون وقفَهُم بالباب الأوَّلِ يتضرّعون إليه، حتَّى إذا أذن لهم، وقفَهُم بالحجابِ الثَّاني، وهي المُزدلفة، فلمَّا نظرَ إلى تَضرُّعِهم أمرَهم بتقريبِ قربانهم، فلمَّا قرَّبوا قربانَهم وقضوا تفثَهم، وتطهَّروا من الذُّنوب الَّتي كانت عليهم حجابًا دونه، أمرَهم بزيارة بيته على الطَّهارة[2]

وقال أبو الحارث الأُولاسي: قصدتُ ذا النُّون في مسائل، أُريدُ أن أسألَهُ عنها، فلمَّا وصلتُ قيل لي إنَّه ماتَ بالأمس، فجئتُ القبرَ، وصلَّيتُ عليه، وقعدتُ عند قبره، فغفوتُ، فرأيتُهُ في المنام، فسألتُهُ عن المسائل، فأَجابني عنها

وقال له رجلٌ: متى يصحُّ لي صومي، ويُبين لي موضع القبول؟ فقال: إذا جوَّعتَ قلبَك من المعاصي، وأَمتَّ لسانَكَ من الفحشاء والمنكر

وقال: تواضعْ لجميع الخلقِ في ذات الله، إلاَّ لمَنْ يَسألُكَ أن تتواضعَ له، فإنَّ سؤالَه إيَّاك عونٌ له على التَّكبُّر

وقال: دارتْ رحى الإرادةِ على ثلاثةٍ. الثقةِ بوعد الله، والفراغِ لأمر الله، ودوامِ قرع باب الله[3]

---

(١) في (أ): والحرام حجابه

(٢) انظر: حلية الأولياء ٩/ ٣٧٠

(٣) الحلية ٩/ ٣٦٦، وفيه (الرضا) بدل (الفراغ لأمر الله).

وقال: لا تخرجوا من ثلاثةٍ: النَّظرِ في دينكم بإيمانكم، والتزوُّدِ لآخرتكم من دنياكم، والاستعانةِ بربّكم فيما أمركم به ونهاكم عنه[١]

وقال: إنّي لأظَّمأُ فأفزعُ إلى الذّكر، فأجدُ فيه ربي[٢]، ولولا ذلك ما جَسرتُ أن أجلسَ بين يدي ربّي ساعةً واحدةً[٢]

وقال أبو عبد الله بن الجلاء: كنتُ مُجاورًا بمكّةَ مع ذي النُّون، فجُعنا أيامًا كثيرةً، لم يُفتحْ لنا بشيءٍ، فلمَّا كان ذاتَ يومٍ قامَ ذو النُّون قبل صلاة الظُّهرِ ليصعدَ الجبلَ، يتوضَّأ للصلاة، وأنا خلفه، فرأيتُ شيئًا من قُشورِ الموز مطروحًا في الوادي، فقلتُ في نفسي: آخذُ منه كفًّا أو كفَّين، أتركُهُ[٣] في كُمّي، ولا يَراني الشَّيخ، حتَّى إذا صِرنا في الجبل، ومضى الشَّيخ يتوضَّأُ أكلتُهُ، قال: فأخذتُه وتركتُه في كُمِّي، وعيني إلى الشَّيخ لئلا يراني، فلمَّا صِرنا في الجبل، وانقطعنا عن النَّاس، التفتَ إليَّ وقال لي: اطرحْ ما في كُمِّكَ بأسره. فطرحتُهُ وأنا خَجِلٌ، وتوضَّأنا للصلاة، ورجعنا إلى المسجد، وصلَّينا الظّهر، والعصر، والمغرب، والعشاء، فلمَّا كان بعد ساعةٍ إذا إنسانٌ قد جاءَ ومعه طعامٌ عليه مكبَّةٌ، فوقفَ ينظرُ إلى ذي النُّون، فقال له: مرَّ فدعْهُ قدَّامَ ذاك. وأومأَ بيده إليَّ، فتركَهُ الرَّجلُ بين يدي، فانتظرتُ الشَّيخَ ليأكل، فلم أره يقومُ من مكانه، ثمَّ نظرَ إليَّ، وقال لي: كُلْ. فقلت: وحدي؟ قال: نعم، أنت طلبتَ، نحن ما طَلبنا شيئًا، يأكلُ مَنْ طَلَبَ. فأقبلتُ آكلُ وأنا خجلٌ، مُستحي ممَّا جرى[٤]

وقال: من نظرَ في عيوبِ النَّاسِ، عَمِيَ عن عيوبِ نفسه، ومن عُني بالفردوسِ والنَّار، شُغلَ عن القيلِ والقال، ومن هَرَبَ من النَّاسِ، سلمَ من شرِّهم، ومن شكرَ المَزيدَ زِيْدَ له.

---

(١) المختار ٣/ ٣٦٣

(٢) في (أ) و(ب): فيه ربي. المختار ٢/ ٣٦٣.

(٣) في (ب): أنزله في كمي.

(٤) المختار ٢/ ٣٣٦، ٣٣٧.

وقال: كان في جواري شابٌ مُسرفٌ على نفسه، كثيرُ الخطايا، فاعتلَّ علَّةً، فدخلتُ عليه أعودُهُ، فإذا هو قد ماتَ، وأوصى أن يُكتبَ على قبره شيءٌ ذكرَهُ، فرأيتُهُ في منامي، فقلت له: ما فعلَ اللهُ بك؟ فقال. غفرَ لي. قلت: بماذا؟ فقال: فكَّرتُ في جُرمي وفي عفوه، فوجدتُ عفوَهُ أكبرَ من جُرمي. قال ذو النُّون: فلمَّا أصبحتُ جِئتُ قبرَه، فإذا عليه مَكتوبٌ يقول:

حُسْـنُ ظنِّـي بـك يـا ربـ ... ـاه جـرَّأنـي عليكـا

فـارحـمِ اللَّهُـمَّ عبـدًا ... صـار رهنًـا فـي يـديكـا

وقال محمد بن الحسن الجوهري: دخلتُ أنا وأبو الفضل ذات يوم على ذي النُّون، وعنده نفرٌ من المُريدين، وقد ذهبَ بهم الفكرُ، وكأنَّ على رؤوسِهِمُ الطَّيرَ هيبةً له، فانتفعنا برؤيتِهِ قبل أن نجلسَ، فسلَّمنا عليهم، فردُّوا السَّلام، ثمَّ قال ذو النُّون: اللَّهُمَّ، كما جمعتنا على ذكرِكَ، فلا تُخزنا بعذابك، واجعلْنا من أحبابك، واشغلنا بخدمتك. فقال بعضُهم. أوصنا بوصيةٍ يَنفعنا اللهُ بها. فقال. آثروا الله على جميع الأشياء، واستعملوا الصِّدقَ فيما بينكم وبينه، وأحبُّوه بكلِّ قلوبِكم، والزموا بابَه، واشتغلوا به، وتوسَّدوا الموتَ إذا نمتم، واجعلوه نُصْبَ أعينكم إذا قمتم، وكونوا كأنَّكم لا حاجةَ لكم إلى الدُّنيا، ولا بدَّ لكم من الآخرة، واحفظوا ألسنتَكُم، ولتحزنْكُم ذنوبُكم، وليكنِ افتخارُكم بربِّكم، وافتقاركم إليه، وتواصوا بالحقِّ، وتعاونوا على طاعةِ ربِّكم، وكونوا من خالصي الله، تَسلموا ويَسلمُ منكُمُ النَّاس، فتنالوا غدًا أمانَكُم. ثمَّ قال: أستغفرُ الله، إن للكلام حلاوةً في الدُّنيا، وما أعظم مؤونته في الآخرة. ثمَّ قال: ﴿لِيَسْـَٔلَ ٱلصَّـٰدِقِينَ عَن صِدْقِهِمْ﴾ [الأحزاب: ٨]، وفي دون ما قلتُ كفايةٌ.

وقال إبراهيمُ البنا البغدادي: صحبتُ ذا النُّون من إخْميم إلى الإسكندرية، فلمَّا صِرنا في بعض الطَّريق، وكان وقتَ إفطاره، أخرجتُ قرصًا وملحًا كان معي، فقلت: هلم، رحمَك الله. فقال: ملحُكَ هذا

مَدقوق؟ قلت: نعم. فقال: ليس تُفلح. فنظرتُ إلى مِزودِهِ، فإذا فيه قليلُ سَويق شعير، يستفُّ منه كلَّ ليلةٍ ما قُسم له، حتَّى جئنا الإسكندرية، وقد تقاصرتْ إليَّ نفسي، فلمَّا أردتُ فراقَهُ قلت له: يا أبا الفيض، عِظني بموعظةٍ أحفظُها عنك. قال: وتفعل؟ قلتُ: نعم، إن شاء الله. فقال: يا إبراهيم، احفظْ عنّي خمسًا، فإن أنت حفظتَهنَّ لم تُبالِ ما أصبتَ بعدَهُنَّ قلت: وما هنّ، يرحمك الله؟

قال: عانِقِ الفقرَ، وتوسَّدِ الصَّبر، وعادِ الشَّهوات، وخالفِ الهوى، وافزعْ إلى الله في أمورِكَ كلِّها، فعند ذلك يُورثُكَ الشُّكر، والرِّضا، والخوف، والرَّجاء، والصَّبر.

وتُورثُكَ هذه الخمس خمسًا: العلمَ، والعمل، وأداءَ الفرائض، واجتنابَ المحارم، والوفاءَ بالعهود.

ولن تصلَ[1] إلى هذه الخمسِ إلَّا بخمسٍ: علمٍ غزير، ومعرفةٍ شافية، وحكمةٍ بالغة، وبصيرةٍ نافذة، ونفسٍ راغبة[2]

والويلُ كلُّ الويلِ لمن بُلي بخمسٍ: حرمانٍ، وعصيان، وخِذلان، واستحسان النَّفس بما يُسخط الله، والإزراء على النَّاس بما يأتي.

وأقبحُ القبائحِ خمسٌ: قبحُ الفعال، ومَساوئُ الأعمال، وثقلُ الظُّهور بالأوزار، والتجسُّس على النَّاس بما لا يُحبُّ الله، ومبارزة الله فيما يكره.

وطوبى ثمَّ طوبى لمن أخلص خمسةً: من أخلص علمَه وعملَه، وحبَّه وبُغضه، وأخذَه وعطاءَه، وكلامَه وصمتَه، وقولَه وفعله.

واعلم يا إبراهيم، أنَّ وجوهَ الحلالِ خمسةٌ: تجارةٌ بالصّدق، وصناعةٌ بالنُّصح، وصيدُ البر والبحر، وميراثٌ حلالُ الأصل، وهديةٌ من موضعٍ ترضاه[3]

---

(١) في (أ): توصل.
(٢) في (أ): نفس راجية.
(٣) في (أ): ترضاها.

وكلُّ الدُّنيا فضولٌ إلاَّ خمسةً: خبزٌ يُشبعك، وماءٌ يَرويك، وثوبٌ يسترك، وبيتٌ تسكن فيه، وعلمٌ تستعمله.

وتحتاجُ أيضًا أن يكونَ معك خمسةُ أشياءٍ: الإخلاصُ، والنِّية، والتَّوفيق، وموافقةُ الحقِّ، وطيبةُ المطعمِ والملبس.

وخمسةُ أشياء فيها الرَّاحةُ: تركُ قُرناء السَّوء، والزُّهدُ في الدُّنيا، والصَّمت، وحلاوةُ الطَّاعة إذا غبتَ عن أَعينِ المخلوقين، وتركُ الإزراءِ على عبادِ الله، حتَّى لا ترى أحدًا يَعصي الله.

وعندها يسقطُ عنك خمسٌ: المِراءُ، والجدل، والرِّياءُ، والتزيّنُ، وحبُّ المَنْزلة.

وخمسٌ فيهن جمعُ الهمِّ: قطعُ كلِّ علاقةٍ دون الله، وتركُ كلِّ لذَّةٍ فيها حساب، والتَّبرُّمُ بالصَّديق والعدو، وخفَّةُ الحال، وتركُ الادخار.

وخمسٌ يا إبراهيم يتوقَّعُهُنَّ العالِمُ: نعمةٌ زائلة، أو بليَّةٌ نازلة، أو منيَّةٌ قاضية، أو فتنةٌ قاتلة، أو تَزِلُّ قدمٌ بعد ثبوتِها، حسبُكَ يا إبراهيم إن عملتَ بما عَلِمت[١].

وقال أبو بكر محمد بن ريان[٢] الحضرمي: لمَّا ماتَ ذو النُّون بالجيزة، وحُملَ في قاربٍ مخافةَ أن تنقطعَ الجسورُ من كثرةِ النَّاس مع جنازته، وكنتُ قائمًا مع النَّاس على كومٍ[٣] أنظرُ، فلمَّا أُخرجَ من القارب، وضِعَ على الجنازة، وحملَهُ الرِّجال، رأيتُ طيورًا خضرًا قد اكتنفتِ الجنازةَ، ترفرفُ[٤] عليها، إلى أن عُطِفَ به إلى عند حمامِ الفار، وغابَ عنِّي.

---

(١) المختار ٢/٣٣٧ ـ ٣٣٩

(٢) في (أ): زبان.

(٣) في (أ) و(ب): كرم. والمثبت من كتاب المكنون.

(٤) في (أ): يرفرفون.

[وأخبرني من أثق بقوله: أنها دامت على نعشه إلى أن دُفن بقبره].

قال أبو بكر بن ريان[٢]: فذكرتُ ذلك لخالي الحسنِ بنِ يحيى بن هلال بعد زمانٍ، فقال لي: واللهِ، لقد رأيتُ مثلَ هذه الطّيور على جنازةِ أبي إبراهيم المُزني. وذكرَ أبياتًا[١] رثاهُ بها، وهي:

[لا تَهجعي فبمثلِهِ لم تَفجعي ... واسترفدي غربي نجيعِكِ واهمعي
ليس الدُّموعُ وإنْ تتابعَ فيضُها ... فيما دهاك به الحِمامُ بمُقنع
إنَ الرَّزيَّةَ بابن يحيى أصبحتْ ... عمَّ العشيرةَ والبعيد [بمسمعِ][٢]
لهفي على المُزنيِّ لهفةَ حائرٍ ... عزى الحمام به بأضيعَ موضعِ]
ورأيتُ أعجبَ ما رأيتُ ولم أكن ... من قبلِ ذاك رأيته لِمُشَيِّعِ
طيرًا تُرفرِفُ حولَه وتحفُّهُ ... حتَّى توارى في حِجَاب المَضْجَعِ
ثمَّ احتجبْنَ عن العيونِ ولم أحطْ ... عِلمًا بكُنْهِ مَصيره في المَرجعِ
وأظنُّها رُسُلَ الإله تنَزَّلتْ ... واللهُ أعلمُ فوق ذاك الشَّرْجَعِ[٣]
[وتَنَزَّلَ القطرُ الذي كنّا نرى ... وهبوب تلك الذاريات الزَّعزعِ[٤]
إنْ شئتَ قلْ بكتِ السَّماءُ لفقدِهِ ... أو قلْ سقته بهيدبٍ[٥] لم يُقلعِ][٦]

وقال يوسف بن الحسين: سألتُ ذا النُّون عن كمالِ العقل، وعن

---

(١) في كتاب المكنون: فقال: ما رأيت مثل هذه الطيور إلا على جنازة أبي إبراهيم بن إسماعيل بن يحيى المزني صاحب الشافعي، وذكر أبياتًا رثى المزني بها، وهي هذه، وفيها شاهد، وكان صديقًا للمزني رحمه الله:

(٢) في الأصل بياض ولعل المثبت يناسب.

(٣) الشرجع: النعش أو الجنازة. القاموس. وفي هامش المنتقى كُتب: أي النفس.

(٤) الذاريات الزعزع: الرياح المتحركة.

(٥) الهيدب: السحاب المُتدلي والمتسلسل المُنصبُّ من الدموع. القاموس.

(٦) أثبت الأبيات وما نقص من الخبر من كتاب المكنون تأليف جلال الدين السيوطي لأنه قال في بداية الخبر الذي ساقه ورقة ٥/ب، ٦أ ما نصه وخرّج ابن خميس في كتاب مناقب الأبرار له عن أبي ريان المذكور آنفًا قال: لما مات..

كمال المعرفة، فقال: إذا كنتَ قائمًا بما أُمرتَ، تاركًا لتكليف[1] ما كُفيتَ، فأنتَ كاملُ العقل، وإذا كنتَ بالله متعلّقًا في أحوالك لا بأعمالِك، غيرَ ناظرٍ إلى سواه، فأنت عارف.

وقال. ليس بكريمٍ من أذلَّ سائلْ، وليس بكريمٍ من أعطى عن الوسائلْ، وليس بكريمٍ من أَحوجَ[2] إلى شفيع.

ثمَّ قال: كيف يبعدُ عن الله، من لا بُدَّ له من الله؟!

وقال: الخوفُ رقيب، والرَّجاءُ شفيع[3]

و إذا ذكرتُ ذنوبي استشفيتُ بالدُّعاء، وإذا ذكرتُ مولاي استشفيتُ بالثَّناء.

وقال: صحبني أسودُ في التّيهِ، وكان إذا ذكر الله يبيضُّ، وتحولُ لبستُهُ، فقلتُ له: يا أَسود، أراكَ إذا ذكرتَ الله تبيضُّ، وتحول لبستك! فقال: يا ذا النُّون، أما إنَّكَ لو ذكرتَ اللهَ على حقيقته[4] لتغيَّرَ لونُك، ولحالتْ لبستُكَ. وأنشد:

ذكـرنـا ومـا كنَّـا نَسينـا فنـذكُـرُ ولكـنْ نَسيـمُ القُـربِ يَبـدو فيَبْهَـرُ
فـأفنـي بـه عنّـي وأبقـى بـهِ لـه إذا الحقُّ عنه[5] مُخبرٌ ومعبِّرُ[6]

وقال يوسف بن الحسين: سألتُ ذا النُّون: ما علامةُ الأخوّةِ في الله؟ فقال: ثلاثُ خصالٍ. الصَّفاءُ، والتَّعاونُ، والوفاء، فالصَّفاء في الدِّين، والتَّعاونُ في المواساة، والوفاءُ عند البلاء[7]

---

(١) في (أ) والمنتقى: لتكلف.
(٢) في (ب): ذلَّ سائله.. أعطى على الوسائل. أحوجك إلى.
(٣) طبقات الصوفية ٢٤، المختار ٢/ ٣٥٩، وفيهما: الخوف رقيب العمل، والرجاء شفيع المحن.
(٤) في (ب): حقيقة.
(٥) في (أ): إذا الحق بادٍ عنه
(٦) حلية الأولياء ٩/ ٣٦٨، وفي (ب): مخبر. ولعلها: مُغيّر.
(٧) حلية الأولياء ٩/ ٣٥٤، المختار ٢/ ٣٥٢

وقال يوسف بن الحسين أيضًا: سمعتُ ذا النُّون يُوصي رجلاً، ويقول له: ليكن آثرُ الأشياءِ عندك وأحبُّها إليك أحكامَ ما افترضَ اللهُ عزَّ وجلَّ عليك، واتّقاءَ ما نَهاك عنه، فإنَّ ما تعبَّدَك اللهُ بهِ خيرٌ لك فيما تُريد، وأفضل ممَّا تَختارُهُ لنفسِكَ من أعمالِ البرِّ الَّتي لم تجبْ عليك، وأنتَ ترى أنَّها أبلغُ لك فيما تُريد، كالَّذي يُريدُ أن يؤدِّبَ نفسَه بالفقرِ، والتقلُّلِ، وما أشبَه ذلك. وإنَّما يَنبغي للعبد أن يُراعي أبدًا ما وجبَ عليه من فرضٍ، فيحكمه على تمامِ حدوده، وينظرَ إلى ما نَهى الله عنه فيتَّقيهِ على إحكامِ ما ينبغي، فإن الَّذي قطعَ العبادَ عن ربِّهم، وقطعَهم عن أن يَذوقوا حلاوةَ الإيمان، وعن أن يَبلغوا حقائقَ الصِّدق، وحجبَ قلوبَهم عن النَّظرِ إلى الآخرة، وما أعدَّ فيها لأوليائه وأعدائه، حتَّى يكونوا كأنَّهم مشاهدون[1]، إنَّما قطعَهم تَهاونُهم عن أَحكامِ ما فرضَ عليهم في قلوبِهم، وأسماعِهم، وأبصارهم، وألسنتهم، وأيديهم، وأرجلهم، وبطونِهم، وفروجِهم، ولو وقفوا على هذه الأشياء وأَحكموها لأدخلَ البرَّ عليهم إدخالاً تَعجزُ أبدانُهم وقلوبُهم عن حملِ ما رزقهم اللهُ تعالى من حُسنِ معونته، وفوائدِ كرامته؛ ولكنَّ أكثر القرَّاء والنُّسَّاك حقروا محقَّراتِ الذُّنوب، وتَهاونوا بالقليلِ منها، وممَّا فيهم من العيوب، فحُرموا ثوابَ لذَّةِ الصَّادقين في العاجل، وأَستغفرُ اللهَ مما نقول ونفعل.

وقال محمدُ بن الحسن الجوهري: سمعتُ ذا النُّون يقول: يا أيُّها النَّاسُ، هذا أوانٌ يُنصحُ فيه الأحياء، إذِ الأمواتُ في غمرتِهم يَعمَهون، حين غدا الدِّينُ غريبًا مَنبوذًا، غدا أهلُه غرباءَ مَهينون، قد أقبلوا على أكل الحرام[2]، وتركوا طلبَ الحلال، ورفضوا المعروفَ، وأقبلوا على المُنكرِ، وتركوا الجهادَ، فأظلمتِ الأرضُ بعد نورِها، ورضيتِ العلماءُ من العلمِ بعلمهم. فانتبهوا أيُّها الأموات، أبناءَ الأموات، وإخوانَ

---

(١) في (أ): مشاهدين.
(٢) في (أ): على أحكام الحرام. وفي تاريخ دمشق: أهل الحرام.

الأموات، وجيرانَ الأموات، وعن قليلٍ أنتم الأمواتُ، قد أخليتُمُ الدُّورَ، وعمَّرتُمُ القبورَ، فقد بَرَحَ الخفاءُ لمن فهم الخفاء، وخانتِ العلماء فارتقبت[١]، وقلَّتِ الخطباءُ، وكثرتِ الدَّواهي، وقلَّت النَّواهي، وكَثُرَ الأشرار[٢]، وقلَّ الأخيارُ، وانتهكوا الآثام، وقَطعوا الأرحام، ورضوا بالسَّلام، وجلسَ بعضُهم مجالسَ العلماء، يَقولون ما لا يعملون[٣]. عَبيدٌ للدُّنيا، فهم لها مُتصنِّعون، ولها[٤] مُتخشِّعون. غنيُّهم فقير، وجارُهم ذليل، لا يبالي غنيُّهم ما طوى عليه جارُه من جوعٍ أو عري. إنْ سألوا ألَحُّوا، وإن سُئلوا أشحُّوا. لبسوا الثِّيابَ على قلوبِ الذِّئاب، اتَّخذوا مساجدَ الله التي يُذكرُ فيها اسمُه لرفع أصواتِهم، وجمع إخوانِهم. لا تُجالسوهم، فليس للهِ فيهم حاجة[٥].

وقال محمد بن الحسن الجوهري: دخلتُ أنا وأبو الفضل على ذي النُّون، فقلتُ له: أكرمَكَ الله، حدِّثني بحديثٍ؛ لعلِّي أنتفعُ به، وأذكرُك به. فرفع رأسَه، ونظرَ ساعةً إليَّ، ثمَّ قال: وأنتَ تكتبُ الحديث؟ فقلت: ربَّما فعلتُ ذلك، ورجوتُ أنَّكَ تُحدِّثني حديثًا في الدَّقائق، يكون عونًا لي على هذا المذهب. فقال: إن للحديثِ رجالاً، ولي شغلٌ بنفسي عن الحديث، وإنْ كان الحديثُ من أركانِ الدِّين، فلولا نقصٌ دخلَ على أهلِ الحديثِ والفقه لكانوا أفضلَ النَّاس في زمانِهم، ولكنْ بذلوا علمَهم لأهلِ الدُّنيا فحجبوهم، وتكبَّروا عليهم، وجعلوهم خَوَلاً، وافتتنوا بالدُّنيا لما رأوا حرصَ أهلِ العلم والمتنعِّمين من القراء على الدُّنيا، والمنزلَةَ عند أهلها، إذِ القومُ طلبوا (الآخرة، وخافوا أنَّهم لا ينالوها، هؤلاء طلبوا)[٦]

---

(١) في (ب): فارتقب.

(٢) قوله: قلت النواهي وكثر الأشرار ليس في (أ).

(٣) في (أ): يعلمون عبيدًا.

(٤) في (أ): وعليها.

(٥) تاريخ دمشق ١٧/ ٤٢٢.

(٦) ما بين هلالين ليس في (أ).

الـدُّنيا بعلمهـم، وموَّهـوا على النَّـاسِ ليظنُّـوا أنَّهـم يطلبـون بعلمهـم ما عند الله، فجعلوا العلمَ فخًّا للدنيا، فما أقبحَ هذا! شيءٌ يُطلبُ به الباقي كسبوا به الفاني، اللَّهُمَّ، فلا تجعلنا منهم، ولو أنَّهم لزموا بابَ ربِّهم لكفاهم وأعزَّهُم؛ لكنَّهم انقطعوا إلى المَخلوقين، فوكَّلهم إليهم، وأذلَّهم، لو رَجوا اللهَ، لم يَرجوا غيرَه أحدًا، ولو خافوا اللهَ، لم يَخافوا أحدًا، ولو انقطعوا إلى اللهِ، لم يذلُّوا أبدًا، لقد جَهلوا بعد علمِهم، وافتقروا بعد غِناهم، وذُلُّوا بعد عزِّهم، وصاروا عبيدًا لأهلِ الدُّنيا، بعدما جعلَهم اللهُ أحرارًا، شربوا بكأسِ المفتونين شربةً، فذهبتْ بعقولِهم، إنَّ العلمَ سلاحُ الدِّين[1]، فإذا طلبتَ به الدُّنيا صيَّرتَهُ سلاحًا للدُّنيا[2].

ثمَّ قال: لقيتَ المسيَّبَ بنَ واضح؟ فقلتُ له: نعم، أُريدُ أن ألقاه، إن شاء الله تعالى. فقال: إذا لقيتَه فاسألْه أَنْ يُحدِّثَكَ عن يوسفَ بنِ أسباط، عن سُفيان الثَّوري، عن الحسن؛ فإنِّي أكرهُ أن أكون مُحدِّثًا. فقلت له: أَسمعُهُ منك؛ فإنَّه أحبُّ إليَّ، ولعلِّي لا ألقاه. فقال: انظروا إلى الشَّابِّ ما أَحرصَه على طلبِ هذا الشَّأن! وإنِّي أجدُ له مَوقعًا ورقَّةً، اللَّهُمَّ اصنعْ له، وبَلِّغْه أملَه، قد طالَ مجلسُنا، ونعودُ إن شاء الله[3].

ورُوي أنَّه أوصى أخاه ذا الكفل، فقال له: يا أخي، كنْ بالخيرِ مَوصوفًا، ولا تكنْ للخيرِ وصَّافًا[4].

وقال يوسف بن الحسين: سُئل ذو النُّون عن حَمَلةِ القرآن، فقال: هم الَّذين أَمطرت عليهم سحائبُ الأشجان، فأنصبوا الرُّكَبَ والأبدان، وتَسربلوا الخوفَ والأحزان، وشَربوا بكأسِ اليقين، وراضوا أنفسَهم

---

(١) في (أ): سلاح لصلاح الدين.
(٢) المختار ٢/ ٣٤٠
(٣) المختار ٢/ ٣٤٠
(٤) تاريخ دمشق ١٧/ ٤٣٣.

رياضةَ المُوقنين، وكانت قرَّةُ أعينهم فيما قلَّ وزَجَا[1]، وأبلغ وكفى، وسَتَرَ وواری، وأكحلوا أبصارَهم بالسَّهرِ، وغضُّوها عن النَّظر، وألزموها العبر، وأشعروها الفكر، فقاموا ليلَهم أرقًا، واستهلَّت آماقهم نسقًا، وتَبادرت دموعُهم سحًّا فلم ترقا، نهارُهم صيامٌ سغبًا، وليلُهم قيام تعبًا، متبتِّلين إليه ساعاتِ اللَّيل والنَّهار، قد ضَنيتْ منهم الأبدان، وتغيَّرتْ فيهمُ الألوان، صحبوا القرآن بأبدانٍ ناحلة، وشفاهٍ ذابلة، ودموعٍ وابلة، وزفراتٍ قاتلة، حالَ بينهم وبين نعيمِ المُتنعِّمين رعايةُ آمال الرَّاغبين، فاضتْ عبراتُهم من وعيده، وشابتْ ذوائبُهم من تحذيره، فكأنَّ زفيرَ النَّارِ تحت أقدامهم، وكأنَّ وعيدَه نُصْبَ قلوبهم، تمرضُهم قوارعُهُ، وتشفيهم منافعُه، لم يَشْقَوا بحمله، ولم يزوغوا عن عدلِهِ[2]، ولم يرغبوا عنه، آمنوا بتَنْزيلِه، وجاهدوا في سبيله بعبرةٍ وبيان، وحُجَّةٍ وبرهان، فلو رأيتَهم رأيتَ قومًا قد جعلوا الرُّكَبَ للتُّراب مهادًا، والتُّرابَ لجباههم وسادًا، تقرَّبوا بخالصِ القُربان، ومضوا على شرائعِ الإيمان، واستناروا بنور الرَّحمن، فما قلَّ ما لبثوا أن أنجزَ لهم القرآنُ موعدَه، ووفَّى لَهم عهودَه، وأَحلَّهم سعودَه، فنالوا به الرَّغائبَ، وعانقوا فيه الكَواعب، وأَمِنوا به المعاطب، نظروا إلى الدُّنيا بأعينٍ قالية، وأَنفُسٍ مريضةٍ، أتُراهم[3] لم يَشتهوا من الأموالِ كنوزَها؟ ومن المطايا عزيزَها؟ ومن القصورِ مَشيدَها؟ بلى؛ ولكنَّهم نظروا بتوفيقِ اللهِ ومحبَّتِهِ، فرفضوا الدُّنيا قبل أن ترفضَهم، وتركوها قبل أن تتركَهم، وسمعوا صوتَ المُنادي يقول: ﴿ ۞ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ﴾ [آل عمران: ١٣٣] فما عاجَوا[4] ولا انتظروا، واستبطؤوا أنفسَهم، وخافوا أن

---

(١) زجا: تيسَّر.

(٢) في (ب): لم يرعبوا عدله، وفي المختار: لم يرزعوا عن عدله.

(٣) في (أ): مريضة أنزلهم. وفي المختار: وأنفس مرضية.

(٤) فما عاجوا: فما أقاموا.

يُحالَ بينهم وبين السَّباق، فشمَّروا وقصدوا إلى الله إيمانًا به ووفاءً بعهده، وإيقانًا بمعرفته، كما قال الله تعالى: ﴿رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ﴾ [الأحزاب: ٢٣] احتملوا في الدُّنيا المصائبَ، لِمَا يَرجون في الآخرةِ من الرَّغائب، فلم يَجدوا أَلَمَ البلا، ولم يحسُّوا ببعض الأذى، استَصغروا عند تحقيق المعرفة بالله تعالى، كلَّ ما نالهم، طيبةٌ بذلك أنفسُهم، صحيحةٌ لله تعالى نياتُهم، سليمةٌ لأولياء الله صدورُهم، عرَفوا شدَّةَ فقرِهم إليه، فقطعوا الرَّجاءَ من غيره، وعزفتْ عن الدُّنيا نفوسُهم، وتطلَّعتْ إلى الآخرة قلوبُهم، فما نَظروا إلى الدُّنيا نظرةَ راغبٍ، ولا تزوَّدوا منها إلا كزادِ الرَّاكب، خافوا الهلاكَ فأسرعوا، ورجوا النَّجاةَ فأَدلجوا سيرًا إلى الله، لا عن العلمِ مُقصِّرين ولا غافلين، جعلوا القرآنَ صراطَهم المُستقيم، فثبَّتوا عليه أقدامَهم، وأَصغوا إليه آذانَهم، فكان لهم إلى الخيرِ داعيًا، وإلى النَّجاة دليلاً هاديًا، ﴿أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمْ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَـٰبِ﴾[1] [الزمر: ١٨].

وقال محمد بن الحسن الجوهري: سمعتُ ذا النُّون يقول: يَنبغي لمن يعلم أنَّ له مَقامًا بين يدي الله ليسألَهُ عمَّا سلفَ في هذه الدَّار، أن لا يُؤثِرَ الحقيرَ القليلَ على الكثيرِ الجزيل، ولا التَّأنِّي والتَّقصيرِ على الجدِّ والتَّشميرِ، ولاسيما إذا كان قد أمدَّهُ الله منه بإيقانِ[2] العلم، ولقَّحَ عقلَه بدلالاتِ الفهم، أن لا يتحيَّرَ في ظُلمةِ الغفلة التي تحيَّرَ[3] فيها الجاهلون، والعَجَبُ كلُّ العجبِ لأهلِ هذه الصِّفةِ، كيف استوحشوا من طاعة الله؟ وأَنسوا بغيرِهِ عزَّ وجلَّ؟ وركنوا إلى الدُّنيا وتقلُّبِ حالاتِها، وكثرةِ آفاتِها؟! ولا زادتهم الدُّنيا إلاَّ هوانًا، ولا ازدادوا لها[4] إلاَّ إكرامًا، فما مُستيقظٌ من

---

(١) المختار ٢/ ٣٤١، ٣٤٢.
(٢) في المنتقى، والمختار: بإتقان.
(٣) في (أ): يتحيّر.
(٤) في (أ): ولا ازدادوا المنى.

وَسُنَّتِهِ، يَخلعُ وثيقَ[1] الغلِّ من عنقه، ويهتك جلباب الرَّانِ عن قلبه؟ وإنَّ من أنصحِ النُّصحاءِ لك يا أخي من حملك من أمرك على المحجَّة، وأمركَ بالرِّحلة، ولم يُحسِّنْ لك (سوف)، و(أرجو)، و(لعلَّ)، و(يكون فيما بعد)، فما رأيتُ هذه الخصال تُورثُ صاحبَها إلاَّ الخسارةَ والنَّدامة، فكابدوا التَّسويفَ بالعزم، وبادروا التَّفريطَ بالحزم، فقد وضحَ لكم الطَّريق، واللهُ المستعان والمُرشدُ والدَّليل[2]

وقال يوسف بن الحسين: سمعتُ ذا النُّون يقول: حقيقةُ السَّخاءِ أن لا تلومَ البخيلَ في منعه إيَّاك، فإنَّكَ إنَّما لُمتَهُ واشتغلتَ به لوقوع ما منعك من قلبك، ولو هانَ عليك ذلكَ لم تشتغلْ بلومِهِ[3] ثمَّ أنشأَ يقولَ.

كريمٌ كصفوِ الماءِ ليس بباخِلِ ولا مُهديًا يومًا مَلامًا لباخِلِ

وقال محمد بن الحسن الجوهري: سمعتُ ذا النُّون يقول: إن لله عبادًا، وإن لله صفوةً، وإن لله خِيرةً. قيل وما علامتُهم؟ قال: إذا خلعَ العبدُ الرَّاحة، وأعطى المجهودَ في الطَّاعة، وأحبَّ سقوطَ المَنْزلة. قيل: وما علامةُ إقبالِ اللهِ على العبد؟ قال: إذا رأيتَهُ صابرًا، شاكرًا، ذاكرًا قيل. فما علامةُ إعراضِ اللهِ عن العبد؟ قال: إذا رأيتَهُ ساهيًا، لاهيًا، لاعبًا، مُعرضًا عن ذكرِ الله. قيل: فما علامةُ الأُنسِ بالله؟ فقال: إذا رأيتَ اللهَ يُؤنسُكَ بخلقِهِ، فاعلم أنَّه يُوحشُكَ من نفسِهِ، وإذا رأيتَ اللهَ يُوحشُكَ من خلقه، فاعلمْ أنَّه يُؤنسك بنفسه[4]

وقال: إنَّ الله تعالى لم يمنع الجنَّةَ أعداءَه بُخلاً منه، ولكنَّهُ صانَ أولياءَه الَّذين أطاعوه أن يجمعَ بينهم وبين أعدائِهِ الَّذين عصوه[5]

---

(١) في المختار: بخلع ربق الغلِّ.
(٢) المختار ٢/ ٣٤٢، ٣٤٣
(٣) المختار ٢/ ٣٦٤
(٤) المختار ٢/ ٣٤٣، وانظر الحلية ٩/ ٣٧٧.
(٥) الحلية ٩/ ٣٧٢، المختار ٢/ ٣٥٧.

وقال محمد بن الحسن الجوهري: سمعتُ ذا النُّون وقد سَأله رجلٌ، فقال له: رحمَكَ اللهُ، ما أعون ما يَجدُهُ العبدُ على تسكينِ الشَّهوة؟ فقال: الصِّيامُ بالنَّهار، والقيامُ باللَّيل، وحذف الشَّهوات، والإغفال عنها، وتركُ محادثة النَّفس بذكرها. فقال له السَّائلُ: فإنَّ الرَّجلَ يَصومُ النَّهار، ويَقومُ اللَّيل، ولا يَأكلُ الشَّهوات، ويجدُ في نفسِهِ حركةً واضطرابًا. فقال: ذلكَ من فرطِ[1] شهوةٍ مُقيمةٍ فيه من الأوَّل، فليقطع أسبابَ المادة منها جهده، ويُسكِّنْها عن نفسه بالهموم والأحزان، ويُسكِّنْ سلطانَها بذكرِ الموتِ، فإنَّ القومَ ما وجدوا شيئًا هو أعونُ لهم على الزُّهدِ فيها، والانقطاع عنها، والتخلي منها من ذكرِ الموت، وتقريبِ الأجل، وقصر[2] الأمل، وما يشغل القلوب. اقطعْ عن نفسك الشَّهوات، واستعمل المُراقبةَ[3] لمن هو عليك رقيب، والمحافظةَ على طاعةِ من هو عليك حسيب، نسألُ اللهَ التَّوفيق على بلاغِ الطَّريق، والخروجَ من كلِّ ضيق، إنَّه قويٌّ شفيق.

وقيل له أيُّ الأحوالِ أَغلبُ على قلبِ العارف، السُّرور أو الحزن؟ فقال: ليس هناك حالٌ يُشار إليها دون حال، ولا سببٌ دون سبب، وأنا أضربُ لك في ذلك مثلاً: مثلُ العارفِ في هذه الدَّار مثلُ رجلٍ قد تُوِّجَ بتاجِ الكرامة، وأُجلسَ على سريرٍ فوق بيتٍ قد عُلِّقَ في رأسه سيفٌ مُعلّق بشعرةٍ، وأُرسلَ على الباب سَبُعان ضاريان، يُشرفُ ساعةً بعد ساعة على الهلاكِ، فأنّى له السُّرور أو الحزنُ على التَّمام؟

قال بعضُ المشايخ[4] السَّيفُ المُعلَّقُ فوق رأسه الأحكام، والأسدان اللَّذان على الباب الأمرُ والنَّهي، والله أعلم[5]

---

(١) في (ب): من فضل.
(٢) في (أ): وتصرم الأمل.
(٣) في (ب): واستقبل المراقبة.
(٤) في (أ): قال بعضهم من المشايخ.
(٥) المختار ٢/ ٣٤٣.

وقال: اعتلَّ رجلٌ من إخواني، فكتبَ إليَّ: ادعُ اللهَ لي. فكتبتُ إليه: سألتني أَنْ أدعوَ اللهَ لك أن يُزيلَ عنك الغمَّ، واعلمْ يا أخي أنَّ العلَّةَ يَأنسُ بها أهلُ الصَّفاء، والهمَّ والضَّنى[1]، ومن لم يعدَّ البلاءَ نعمةً فليس من الحكماء، ومن لم يأمنِ الشَّفيقَ على نفسِهِ فقد أَمنَ أهلَ التُّهم على أمره[2]، فليكن معك من اللهِ حياءٌ، حتَّى يَمنعَكَ الشَّكوى، والسَّلام عليك ورحمةُ الله[3]

وقال: وصِفَ لي رجلٌ بالمغرب، مذكورٌ[4] بالحكمة والمعرفة، ونُعتَ لي[5] من كلامِهِ ما حملني على لقائِهِ، فرحلتُ إليه إلى المغرب، فأقمتُ على بابه أربعين يومًا على أن يَخرجَ[6] من بيته إلى المسجد، فكانَ يخرجُ في كلِّ وقتِ صلاةٍ، ويرجعُ كالوَالِهِ، لا يُكلِّمُني ولا يُكلِّمُ أحدًا، فضاقَ لذلك صدري، فقلتُ له: يا هذا، إنِّي مُقيمٌ ههنا منذ أربعين يومًا، لا أراكَ تُكلِّمني! فقال: يا هذا، لساني سَبُعٌ، فإن أنا أَطلقتُهُ أكلني. فقلت له رحمَكَ الله، عِظني موعظةً أحفظُها عنك. قال: أوتفعل؟ قلت: نعم، إنْ شاء الله. فقال: لا تُحبَّ الدُّنيا[7]، وعدَّ الفقرَ غنًى، والبلاءَ من الله نعمةً، والمنعَ من الله عطاءً، والوحدةَ مع الله أُنسًا، والذُّلَّ عزًّا، والحياةَ موتًا، والمباهاةَ خطأً[8]، والطَّاعةَ حِرفةً، والتَّوكُّلَ معاشًا، واللهَ تعالى لكلِّ شدَّةٍ عدَّةً. ثمَّ مكثَ بعد ذلك شهرًا لا يُكلِّمُني، فقلتُ له: يرحمُكَ الله، إنِّي أُريد الرُّجوعَ إلى بلدي، فإنْ رأيتَ أن تَزيدني من الموعظةِ. فقال

---

(١) في تهذيب الأسرار: والهِمَم والضياء.
(٢) في تهذيب الأسرار: فهو من أهل التهمة على أمره
(٣) تهذيب الأسرار ٥٤٠.
(٤) في (أ): وذُكرَ
(٥) في المنتقى: وبعث لي.
(٦) في المنتقى: حتى خرج.
(٧) في المنتقى. لا تصحب الدنيا
(٨) في (ب): والمباهاة حظًا.

وما كفاكَ ما سمعتَ؟ فقلتُ: يرحمُكَ الله، إنِّي رجلٌ مُبتدئٌ لا علم لي. فقال: هكذا؟ قلتُ: نعم. قال: اعلمْ أنَّ الزَّاهدَ في الدُّنيا قوتُهُ ما وجد، ومسكنُهُ حيثُ أدركَ، ولباسُهُ ما سترَ عورته، والخلوةُ مجلسُه، والقرآنُ حديثُه، واللهُ تعالى أنيسُه، والذِّكرُ رفيقُه، والزُّهدُ قرينُه، والصَّمتُ محبَّتُه، والخوفُ محجَّتُه، والشَّوقُ مَطيَّتُهُ، والنُّصحُ نَهمتُهُ[١]، والاعتبارُ فكرتُه، والصَّبرُ وسادتُهُ، والتُّرابُ فراشُه، والصِّدِّيقون إخوانُه، والحكمةُ كلامُه، والعقلُ دليلُه، والحِلمُ خليله، والتَّوكُّلُ كسبُهُ، والجوعُ إدامُه، والبكاءُ جديرٌ به[٢]، والجنَّةُ مَنْزِلُه، واللهُ عونُه. فقلتُ له: رحمَكَ الله، فمتى يَتبيَّنُ[٣] للعبدِ الزِّيادةُ في هذا المكان؟ فقال: بالمُحاسبةِ والمُناقشة لها. ثمَّ قال: حسبُكَ الآن، حسبُك.

وقال: من تقرَّبَ إلى الله تعالى بتلفِ نفسِهِ، حفظَ الله عليه نفسَهُ[٤].

وقال: تضاحكتِ الأشياءُ إلى أولياء الله العارفين بأفواهِ القُدرة من مليكها، لِمَا يرونَ من آثار صُنعه فيها، ويُعاينون من بدائعِ خلقه معها، فلهم في كلِّ شيءٍ مُعتبرٌ، وعند كلِّ شيءٍ مُذكِّر.

وقال: من أرادَ أن يتعلَّمَ المُروءةَ والظَّرفَ، فعليه بسقاةِ الماءِ في بغداد، ومن أرادَ أن يسمعَ تجريدَ التَّوحيدِ وخالصَ التَّوكُّل فعليه بالنِّساء الزَّمنى بها. قيل له: كيف ذلك؟ فقال: لمَّا حُملتُ إلى بغداد، رُميَ بي على بابِ السُّلطان مُقيَّدًا، فمرَّ بي رجلٌ مُتَّزرٌ بمئزرٍ مصري[٥]، مُعتمٌّ بمنديل دَبيقي[٦]، بيده كِيزانُ خزفٍ رِقاق، وزُجاجٌ مَخروطٌ، فسألتُ:

---

(١) في (أ): والنصح همته.

(٢) في (ب): والبكاء حذير به. وفي المنتقى: والبكاء جريرته. وفي كتاب المكنون ١٠/أ: والبكاء دأبه.

(٣) في (ب): وبِمَ يتبيَّن.

(٤) المختار ٢/ ٣٦٤.

(٥) في (ب): مئتزر بمنديل مصري.

(٦) الدبيقي: نسبة إلى دَبيق بلدة بمصر تُصنع فيها الثياب الدقيقة، والمنسوجة بالذهب.

أهذا ساقي السُّلطان؟ فقيل لي: لا، بل هذا ساقي العامَّةِ. فأَوميتُ إليه: اسقني. فتقدَّمَ إليَّ وسقاني، فشممتُ من الكوزِ رائحةَ المسك، فقلت لمن معي: ادفعْ إليه دينارًا. فأعطاه الدّينارَ، فأبى أن يأخذَه، وقال: ليس آخذُ شيئًا. فقلتُ له: ولِمَ؟ قال: أنت أَسير، وليس من المروءةِ الأخذُ من الأسير. فقلت: هذا قد كمَّل الظَّرف[1] وإذا إنسانٌ يُكلِّمني من ورائي، ويقول: يا شيخُ، فلِمَ لم تتظرَّف عن الحالِ الَّتي قد أوجبت فيك ما أرى؟ فالتفتُّ فإذا هي امرأةٌ زَمِنةٌ في كوخٍ تتصدَّقُ[2]، فقلتُ لها: أنا مظلومٌ. قالت: فاقبلِ الآن منّي، إذا دخلتَ على هذا الرَّجلِ فلا تَهابَهُ، ولا ترى[3] أنَّه فوقَك، فإنَّكما مَخلوقان من نطفةٍ واحدةٍ، فقيرٌ إلى ما أنتَ إليه فقير، ولا تحتجَّ عن نفسِكَ مُحقًّا كنتَ أو مُتَّهمًا. قلتُ: ولِمَ؟ قالت: إنْ هِبتَهُ سُلِّطَ عليك، وإن احتججتَ عن نفسِكَ، لم يزدْكَ ذلك إلاَّ وبالاً، لأنَّك تُباهت الله فيما يعلمه منك، وإنْ كنتَ بريئًا، فادعُ اللهَ، يَنتصرْ لك، ولا تنتصرْ لنفسِكَ فَيَكِلكَ إليها. قال ذو النُّون: فلمَّا دخلتُ عليه، سلَّمتُ عليه بالخلافة، فقال لي: ما تقولُ فيما قِيلَ فيك؟ فسكتُّ، فقال وزيرُه. هو حقيقٌ عندي بما قِيلَ فيه. ثمَّ قالَ لي: لِمَ لا تتكلَّم؟ فقلتُ: يا أميرَ المؤمنين، إن قلتُ لا، أكذبتُ المسلمين فيما قالوا، وإنْ قلتُ نعم، كذبتُ على نفسي بشيءٍ لا يَعلمُهُ اللهُ منِّي، فافعلْ ما تَرى، فإنِّي غيرُ مُنتصرٍ لنفسي. فقال أميرُ المؤمنين: هذا رجلٌ بريءٌ ممَّا قيل فيه. ثمَّ قال: عِظنا عافاك الله. فقلتُ: يا أميرَ المؤمنين، رجلٌ يعلمُ أنَّ الله خلقَهُ، وخلقَ الجنَّةَ من أجلِهِ إن أطاعه، وخلقَ النَّارَ من أجلِهِ إن عصاه، لا يكونُ على مثلِ ما رُميتُ به من البدعة، ولا مثلِ ما أنتم عليه من الغَفلة. فخلَّى عنِّي، فخرجتُ إلى العجوزِ، فقلتُ: جزاكِ اللهُ عنِّي خيرًا، فقد امتثلتُ ما أَمرتِ

---

(١) في (أ): كمل الصرف.

(٢) تتصدق: تسأل الصدقة. انظر متن اللغة.

(٣) كذا في الأصلين، والمنتقى.

به، فمن أين لك هذا؟ فقالت: من حيث[١] الهُدهد وما خاطب به سُليمان بن داود عليهما السّلام[٢] فقلتُ لها: ادعي اللهَ لي. فقالت: مرَّ، جعلَكَ الله مُسلمًا[٣]

وقال محمد بن زيد التّميمي: كنتُ مع ذي النُّون المصري، فنظرَ إلى دارٍ تُبنى شاهقةٍ في الهواء، وإذا شابٌّ في ظلِّ فِنائها يأمرُ وينهى، فقال ذو النُّون: أيُّها المغرورُ بدار الغُرور، واللّاهي عن دارِ البقاءِ والسُّرور، كيفَ لا تشتري من مولاك دارًا في دارِ الأمان!؟ دارٌ لا يَضيقُ فيها المكانُ، ولا يَنْزعجُ منها السُّكّان، ولا تُشعِّثُها[٤] حوادثُ الزّمان، ولا تَحتاجُ إلى بنّاءٍ وطيّان، ويجمعُ هذه الدّار حدودٌ أربعةٌ: فالحدُّ الأوّلُ يَنتهي إلى منازل الرّاجين المحزونين، والحدُّ الثّاني يَنتهي إلى منازلِ المحبّين[٥]، والحدُّ الثّالث يَنتهي إلى منازلِ المُشتاقين، والحدُّ الرّابع يَنتهي إلى منازلِ الفائزين، ويشرعُ لهذه الدّار مشرعٌ[٦] إلى خيامٍ مضروبةٍ، وقبابٍ مَنصوبة على شاطِيء أنهارِ الجنان، في ميادينَ قد أشرقت، وغرفٍ قد رُفعت، فيها سررٌ قد صُفّت صفًّا، عليها فرشٌ قد نُضِّدت، فيها أنهارٌ من ألبانٍ، وقد علاه كُثبانُ مُسكٍ وزعفران، قد عانقوا خَيْرَاتٍ حِسَان، هذا ما اشترى العبدُ المحبور من الملك الغفور، اشترى منه هذه الدّارَ بالتّنقُّلِ من ذُلِّ المعصية إلى عزِّ الطّاعة، فما أدركَ هذا المشتري فيما قد اشتراه من دركٍ فبنقضِ العهود، وحلِّ العقود، والشُّرود عن المعبود، شهدَ على ذلك البيان،

---

(١) في المنتقى: من حديث.

(٢) انظر الآية ١٩ وبعدها من سورة النمل. فالهدهد لم يحاجج عن نفسه، ولا ردّ تهمه؛ وإنما أخبر سليمان عليه السلام: ﴿أحطت بما لم تحط به وجئتك من سبأ...﴾.

(٣) المختار ٢/٣٣٣ ٣٣٥، وانظر الرسالة القشيرية ٣٤٠ (الفتوة).

(٤) في (أ): ولا تسكنها.

(٥) في المختار: منازل الخائفين.

(٦) في المختار: شارع. والمشرع والشارع كلاهما بمعنى واحد.

وما نطقَ به محكمُ القرآن، بقول الملكُ الدَّيَّان: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ﴾(١) [التوبة: ١١١]، فلو نظرتَ إليها وقد برزتْ من قصورِ الدُّرِّ والزَّبرجد والعقيان، وقد خطرتْ في رياضِ المسكِ والزَّعفران، وهي تُنادي بصوتٍ حَسنٍ رَخيم. من يَخطبُني في الظَّلام من الحيِّ الَّذي لا ينام؟ نحن النَّاعماتُ، نحن الشَّكلات، نحن الذين لا نموتُ، وخاطبُنا لا يموت، فيُلذِّذُ بنا من لا يموت في جوار من لا يموت بقدرةِ من لا يموت، ثمَّ يُمسيا جميعًا في رياضِ الورد، والشَّقائق، والرّيحان، فتقول له: ألستَ كنتَ تحسنُ تقرأُ القرآنَ؟ فيرفع صوتَهُ، فيقرأُ على شاطىء أنهار الجنان: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ﴾ إلى قوله ﴿كَأَنَّهُنَّ ٱلْيَاقُوتُ وَٱلْمَرْجَانُ﴾ [الرحمن: ١-٥٨] ثمَّ تقولُ له: يا من خطبنا في الظَّلام من الحيِّ الَّذي لا ينام، سألتُكَ بالَّذي جمعَ بيني وبينك في غبطةٍ وسرور هل يَنقُصُكَ من مولاكَ شيءٌ مما ضَمِنَ لك؟ فيقول لا قال ذو النُّون: فإنَّ المُطيعين(٢) بظلِّ طُوبى، مع قُربِ سيدهم الأعلى.

وقال: كانتِ العلماءُ يكتبُ بعضُهم إلى بعضٍ بثلاث: مَنْ أَحسنَ سريرتَهُ، أحسنَ الله علانيته، ومَنْ أصلحَ ما بينه وبينَ الله، أصلحَ اللهُ ما بينه وبينَ النَّاس، ومَنْ أصلحَ أمرَ آخرتِهِ، أصلحَ الله له أمرَ دُنياه.

وقال: رأيتُ أعرابيًا يَطوفُ بالكعبة، قد نحلَ جسمُه، واصفرَّ لونُهُ، ودقَّ عظمُه، فقلتُ له. أَمُحبٌّ أنت؟ قال: نعم. قلت: حبيبُكَ منكَ قريبٌ أم بعيد؟ قال: بل قريب. قلت: مُوافقٌ لك أم مُخالف؟ فقال: بل مُوافق. فقلت: يا سُبحان الله، حبيبُكَ منك قريبٌ، ولك مُوافق، وأنت على هذه

(١) هنا ينتهي الخبر في المختار ٢/ ٣٤٤

(٢) في (ب): فالمطيعون.

الحالة!؟ فقال: يا بطّال، أما علمتَ أنَّ عذابَ القُربِ والمُوافقةِ أشدُّ من عذابِ البعدِ والمخالفة[١]

وقال: ما شبعتُ من الطَّعام إلاَّ عصيتُ، أو هممتُ بمعصيةٍ[٢]

وقيل له: بمَ يَنالُ العبدُ الجنَّةَ؟ فقال: بخمسٍ: استقامةٍ ليس فيها روغان، واجتهادٍ ليس معه سهو[٣]، ومراقبةِ الله في السِّرِّ والعلانية، وانتظارِ الموتِ بالتَّأهُّبِ له، ومحاسبةِ نفسِكَ قبل أن تُحاسب[٤]

وقيل له: ما علامةُ الصَّادق؟ فقال: لسانٌ مخزون، وكلامٌ بالحقِّ موزون[٥]

وقيل له: هل للعبدِ إلى صلاحِ أمورِ نفسِهِ سبيلٌ؟ فقال:

قـد بقينـا مُـذَبـذَبيـنَ حيـارى ... نَطلبُ الصِّدقَ ما إليه سَبيلُ
فدَعاوى الهوى تَخِفُّ علينا ... وخلافُ الهوى علينا ثَقيلُ[٦]

ورُوي أنَّه خرجَ بمصر يَستسقي، فاستعانَ بمفلوجٍ[٧]، قد قطعَ الجذامُ يديه ورجليه، وسأله أن يستسقي، فنظر المفلوج إلى السَّماء وضحك، وقال: بقرب ما كان بيننا البارحة. ثمَّ قال:

ربَّـاهُ أنـت خلقتنـي[٨] ... ورزقتنـي وسـترتنـي
عـن العبـاد بفضـلِ مـا ... خـوّلتنـي أغنيتنـي
وإذا مَـرضـتُ شَفيتنـي ... وإذا دَعـوتُ أَجبتنـي

---

(١) تهذيب الأسرار ٧٤
(٢) المختار ٢/ ٣٦٤
(٣) في المنتقى: شهود.
(٤) تهذيب الأسرار ١٠٧
(٥) تهذيب الأسرار ١٩١
(٦) تهذيب الأسرار ١٩٠ والبيتان للسهروردي المقتول.
(٧) في (أ): فاستعان مخدوم مفلوج.
(٨) في الأصل: إلهي خلقتني. وأثبتُّ ما يناسب الوزن.

وإذا هَـــربـــتُ رَددتنـــي وإذا زَلَلْـــتُ أقلتنـــي
وإذا عَصيْـــتُ رَحمتنـــي وإذا أَطَعْـــتُ جَـــزيتنـــي
يـــا سيِّـــدي كُـــنْ راضيًـــا عنِّـــي فقـــد أَرضيتنـــي

ثمَّ قال: يا ذا النُّون، إنَّ الله يُريدُ قربَ القلوبِ لا عملَ الجوارح.
قال: فمُطرنا كأفواه القُرَبِ[1]

وقال: كنْ عارفًا خائفًا، ولا تكنْ عارفًا واصفًا[2]

و: لكلِّ شيءٍ عقوبةٌ، وعقوبةُ المُحبِّ انقطاعُه عن ذكره[2]

وقال: الحمدُ للهِ الَّذي جعلَ أُنسَ الذَّاكرين بحلاوةِ ذكره، وأرهبَ قلوبَ المتفكِّرين من مخافة مكره، ووهبَ للمُريدين فضلَ المزيد من شكره، وخبأ أهلَ المعاصي تكرمًا في خفيِّ ستره[3]

وقال: حقيقةُ المعرفةِ إطِّلاعُ الحقِّ على الأسرارِ بمواصلةِ لطائفِ الأنوار[4]

وأنشد في المعنى

للعـارفيـنَ قلـوبٌ يَعـرفـون بِهـا نورَ الإله بسرِّ السِّرِّ في الحُجُبِ
صُمٌّ عن الخلقِ عُمْيٌ عن مَناظرهم بُكمٌ عنِ النُّطقِ في دعواهُ بالكَذِبِ[5]

وقال: حقيقةُ المعرفةِ تخليةُ السِّرِّ عن كلِّ إرادةٍ، وتركُ ما عليه العادةُ، وسكونُ القلبِ إلى الله بلا علاقةٍ، وتركُ الالتفاتِ منه إلى ما سواه[6]

* * *

(١) المختار ٥/ ٤٣١.
(٢) تهذيب الأسرار ٣١٨، المختار ٢/ ٣٦٤.
(٣) تهذيب الأسرار ٣١٨، المختار ٢/ ٣٦٤.
(٤) تهذيب الأسرار ٤٥، المختار ٢/ ٣٦٤.
(٥) تهذيب الأسرار ٤٥، وفيه: عمي عن خواطرهم.
(٦) تهذيب الأسرار ٤٦، وفيه: تخليه السرّ عن كل شيءٍ أراده.

(٤) معروف الكرخي(*)

ومنهم: أبو محفوظ معروف بن فيروز الكرخي، رحمةُ الله عليه، وقيل: ابن الفَيْرُزَان، وقيل: معروف بن علي(١)

وهو من جملةِ المشايخِ وقدمائهم المشهورين بالزُّهد، والورع، والفتوة، مُجابُ الدَّعوةِ، يُستسقى بقبرِهِ.

يقولُ البغداديون: قبرُ معروفٍ تِرياقٌ مُجرَّبٌ(٢)

وهو من موالي عليِّ بنِ موسى الرِّضا، عليهم السَّلام.

صحبَ داودَ الطَّائي(٣)

مات سنة مئتين، وقيل: إحدى ومئتين، وكان موتُهُ في بغداد، وبها دُفِن، وقبرُهُ هناك ظاهرٌ، يترَدَّدُ الخلقُ إلى زيارته.

وكان أبواه نصرانيينِ، فسلَّموا معروفًا إلى مُعلِّمِهم وهو صبِيٌّ، فكان

(*) ثقات ابن حبان ٩/ ٢٠٦، طبقات الصوفية ٨٣، حلية الأولياء ٨/ ٣٦٠، تاريخ بغداد ١٣/ ١٩٩، الرسالة القشيرية ٤١، طبقات الحنابلة ١/ ٣٨١، الأنساب ١٠/ ٣٨٩، صفة الصَّفوة ٢/ ٣١٨، المختار من مناقب الأخيار ٥/ ٣٦، وفيات الأعيان ٥/ ٢٣١، سير أعلام النبلاء ٩/ ٣٣٩، دول الإسلام ١/ ١٢٦، العبر ١/ ٣٣٥، مرآة الجنان ١/ ٤٦٠، طبقات الأولياء ٢٨٠، نفحات الأنس ٥٦، طبقات الشعراني ١/ ٧٢، الكواكب الدرية ١/ ٧١٥، شذرات الذهب ١/ ٣٦٠.

(١) طبقات الصوفية ٨٣.

(٢) الرسالة القشيرية ٤١، القول منسوب فيها لإبراهيم الحربي.

(٣) قال الذهبي في سير أعلام النبلاء ٩/ ٣٣٩: وذكر السُّلمي أنه صحب داود الطائي ولم يصحّ.

المُؤدِّبُ يقول له: قل ثالثُ ثلاثةٍ. ومعروفٌ يقول: بل هو الواحدُ الأحد. فضربَهُ المعلِّمُ يومًا ضربًا مُبرِّحًا، فهربَ منه، فكانَ أبواه يقولان: ليتَهُ عاد إلينا على أيِّ حالٍ شاء، فنوافقَهُ عليه.

ثمَّ إنَّه مضى إلى عليِّ بنِ موسى، فأسلمَ على يديه، ورجعَ إلى منْزلِهِ، فدقَّ البابَ، فقيل: من بالباب؟ فقال: معروفٌ. فقالوا: على أيِّ دينٍ؟ فقال: على الدِّين الحنيفي. فأسلمَ أبواه، ووافقاه[1]

وهو أستاذُ سريٍّ السَّقَطي، وقال له يومًا: إذا كانتْ لك إلى الله حاجةٌ، فأقسمْ عليه بي.

قال سريٌّ: رأيتُ معروفَ الكَرخي في المنام كأنَّه تحتَ العرشِ، واللهُ يقولُ لملائكتِهِ: من هذا؟ فقالوا: أنت أعلمُ يا ربُّ. فقال: هذا معروفٌ الكرخي سَكِرَ من حُبِّي، فلا يفيقُ إلَّا بلقائي[2]

وقال معروف: ما أكثرَ الصَّالحين! وأقلَّ الصَّادقين في الصَّالحين![3]

وقال: إذا أرادَ اللهُ بعبدٍ خيرًا فتحَ عليه باب العمل، وأغلق عليه باب الجدل، وإذا أراد الله بعبدٍ شرًّا أغلقَ عنه بابَ العمل، وفتحَ عليه بابَ الجدل[3]

وقال له رجلٌ: أوصني. فقال: توكَّلْ على اللهِ حتَّى يكونَ هو معلِّمَكَ[4]، ومؤنسَكَ، وموضعَ شكواك، فإنَّ النَّاس لا يَنفعوك ولا يَضُرُّوك[5]

ورُوِيَ أنَّه بال على الشَّطِّ، ثمَّ تيمَّم، فقيل له: يا أبا محفوظ، الماءُ قريبٌ منك! فقال: لعلِّي لا أبلغه[6]

---

(١) الرسالة القشيرية ٤١

(٢) الرسالة القشيرية ٤٢.

(٣) طبقات الصوفية ٨٧. وانظر الخبر صفحة ١١٢، وحاشيته (٥).

(٤) في تهذيب الأسرار: يكون هو معك.

(٥) طبقات الصوفية ٨٧، وتهذيب الأسرار ٤٠٢، الرجل هو إبراهيم بن بكار.

(٦) طبقات الصوفية ٨٨.

وقال: حقيقةُ الوفاء إفاقةُ السِّرِّ عن رَقدةِ الغَفَلات[1]، وفراغُ الهمِّ عن فضولِ الآفات[2]

و: السَّخاءُ إيثارٌ بما يَحتاجُ إليه عند الإعسار[3]

وقال: علامةُ مقتِ اللهِ للعبدِ أن تَراه مُشتغلاً بما لا يعنيه من أمرِ نفسه[4]

و: طلبُ الجنَّةِ بلا عملٍ ذنبٌ من الذُّنوب، وانتظارُ الشَّفاعةِ بلا سببٍ نوعٌ من الغرور، وارتجاءُ رحمةِ من لا يُطاعُ حمقٌ وجهل[4]

وقال أبو سليمان الدَّاراني: سألتُ معروفَ الكرخي عن الطَّائعين لله، بأيِّ شيءٍ قدروا على الطَّاعة؟ فقال: بإخراجِ الدُّنيا من قلوبِهم، ولو كانَ في قلوبِهم منها شيءٌ لَمَا صحَّتْ لهم سجدةٌ واحدة. فقلتُ له: يَرحمُكَ الله، فمن كان له ولد؟ فقال: هكذا كانوا، وبهذا سَلِموا[4]

و: من رجعَ إلى الدُّنيا اضطرارًا كان عند الله بخلافِ من رجعَ إليها اختيارًا، هما حالان، أحدُهُما لأولياءِ الله، والآخرُ لأعداء الله.

وسُئِل: بما تُخرَجُ الدُّنيا من القلب؟ فقال: بصفاءِ الودِّ، وحسنِ المعاملة[5]

ثمَّ قال: المحبَّةُ ليس من تعليم الخَلْق، إنَّما هي من مَواهبِ الله وفضله[5]

وقال: للفتيان علاماتٌ ثلاثٌ: وفاءٌ بلا خلافٍ، ومدحٌ بلا جُودٍ، وعطاءٌ بلا سُؤال[5]

---

(١) في (أ): الغفلان.

(٢) طبقات الصوفية ٨٩.

(٣) طبقات الصوفية ٨٨

(٤) طبقات الصوفية ٨٩.

(٥) طبقات الصوفية ٨٩.

قال: وكان يُعاتبُ نفسَه، ويقول: يا مِسكين، كم تَبكي وتندب! أَخْلِصْ تَخْلُص[١]

وقيل له: ما علامةُ الأولياء؟ فقال: ثلاثةٌ: همومُهم لله، وشغلُهم فيه، وفرارُهم إليه[٢]

ثمَّ قال: ليسَ للعارفِ نعمةٌ، وهو في كلِّ نعمةٍ[٣]

وقال: قلوبُ الطَّاهرين تُسرجُ[٤] بالتَّقوى، وتُزهرُ بالبرِّ، وقلوبُ الفجَّارِ تُظْلِمُ بالفجور، وتَعمى بسوءِ النِّيَّةِ[٤]

و: إذا أرادَ اللهُ بعبدٍ خيرًا فتحَ عليه بابَ العمل، وأغلقَ عنه بابَ الفترةِ والكسل[٥]

وقال محمد بن الحسين: سمعتُ أبي يقول: رأيتُ معروفَ الكرخي في المنام بعد موته، فقلتُ له: ما فعلَ اللهُ بك؟ فقال: غَفَرَ لي. فقلتُ: بزُهدِكَ وورعك؟ فقال: لا، بل بقبولي موعظةَ ابنِ السمَّاك، ولزومي الفقرَ، ومحبَّتي للفقراء. فأمَّا موعظةُ ابنِ السَّمَّاك، فكنت مارًّا بالكوفة، فوقفتُ على رجلٍ يقالُ له ابن السَّمَّاك، وهو يعظُ النَّاس، فقال في خلال كلامه: مَنْ أَعرضَ عن الله بكلِّيته، أعرضَ اللهُ عنه جُملةً، ومَنْ أَقبلَ على اللهِ بقلبه، أَقبلَ اللهُ إليه برحمتِهِ، وأقبلَ بوجوهِ جميع الخلقِ إليه، ومَنْ كانَ مرَّةً ومرَّةً، فاللهُ تعالى يرحمُهُ وقتًا ما. فوقعَ كلامُه في قلبِي، وأقبلتُ على الله، وتركتُ كلَّ ما كنتُ فيه إلَّا خدمةَ مولاي عليِّ بنِ موسى، ثمَّ ذكرتُ هذا الكلام لمولاي، فقال: يكفيك هذا موعظةً، إنِ اتَّعظتَ[٦]

---

(١) طبقات الصوفية ٨٩، وفي (أ): وتخلَّصْ.

(٢) في (أ)، و(ب): همومهم الله. والمثبت من طبقات الصوفية ٨٩.

(٣) طبقات الصوفية ٨٩. وانظر الخبر صفحة ١١٠ وحاشيته (٣).

(٤) في طبقات الصوفية ٩٠ تُشرح.

(٥) طبقات الصوفية ٩٠

(٦) الرسالة القشيرية ٤٢.

وقال سريٌّ السَّقَطي: قِيل لمعروفٍ عند موته: أَوصِ. فقال: إذا أنا متُّ، فتصدَّقوا بقميصي؛ فإنِّي أريدُ أن أخرجَ من الدُّنيا عُريانًا كما دَخلتها عُريانًا[١]

وقال: التَّصوُّفُ الأخذُ بالحقائق، والكلامُ في الدَّقائق، والأياسُ مما في أَيدي الخلائق[٢]

ومرَّ معروفٌ بسقَّاءٍ وهو يقول: رحمَ اللهُ من يَشربُ. فتقدَّمَ وشرب، فقيل له. أَلَم تكُ صائمًا؟ فقال: بلى، ولكنْ رجوتُ دعاءَه[٣]

وقال أبو بكر الخيَّاط: رأيتُ في المنام كأنِّي دخلتُ على المقابر، فإذا أهلُ القبورِ جلوسٌ في قبورِهم، وبين أَيديهم الرَّيحان، وإذا أنا بمعروفٍ الكرخي قائمٍ فيما بينهم، يذهبُ ويَجيءُ، فقلت: يا أبا محفوظ، ما صنعَ اللهُ بك؟ أو ليس قد متَّ؟ قال: بلى. وأنشد:

مـوتُ التَّقـيِّ حيـاةٌ لا نَفَـادَ لَهـا　　　قد ماتَ قومٌ وهم في النَّاسِ أَحياءُ[٤]

وقال أبو بكر بن أبي طالب: دخلتُ مسجدَ معروفٍ، وكان في مَنْزله، فخرجَ إلينا، ونحن جماعةٌ، فقال: السَّلام عليكم ورحمة الله وبركاته. فرددْنا عليه السَّلامَ، فقال: حيَّاكم الله بالسَّلام، ونعَّمنا[٥] وإيَّاكم في الدُّنيا بالأحزان. ثمَّ شرعَ في الأذان، وارتعدَ، واضطربَ، فلمَّا بلغَ إلى الشَّهادةِ، قامَ شعرُ لحيته وحاجبيه، واضطربَ حتَّى خفتُ أن لا يتمَّ أذانَه، وانحنى حتَّى كادَ يسقط[٦]

وقال معروف: قالَ الله تعالى: أحبُّ عبادي إليَّ المساكينُ، الذين

---

(١) الرسالة القشيرية ٤٣

(٢) تهذيب الأسرار ٢٥، الرسالة القشيرية ٤٠١ (التصوف) وفيه: اليأس مما في.

(٣) الرسالة القشيرية ٤٣.

(٤) حلية الأولياء ٨/ ٣٦٠، المختار ٥/ ٤٨

(٥) في المختار: ويعمَّنا.

(٦) الحلية ٨/ ٣٦٠، المختار ٥/ ٤٤

سَمعوا قولي، وأَطاعوا أمري، ومن كرامتهم عليَّ أن لا أَعطيَهُم دُنيا، فينقلبوا بها عن طاعتي.

وقال إبراهيم الأُطروش: كنَّا ببغداد على دجلةَ، مع معروفِ الكرخي، إذ مرَّ بنا أحداثٌ في زورقٍ، يضربونَ بالدُّفِّ، ويشربون، ويلعبون، فقلنا لمعروف: أما تَراهم يَعصونَ الله مُجاهرين؟ ادعُ اللهَ عليهم. فرفعَ يده، وقال. إلهي، كما فرَّحتَهم في الدُّنيا، ففرِّحْهم في الآخرة. فقالوا: إنَّما سألناكَ أن تدعُو عليهم! فقال: إذا فرَّحهم في الآخرةِ تابَ عليهم. فرُوِيَ أنَّهم عادوا جميعهم، وتابوا[1]

ونزلَ معروفٌ يومًا إلى الدَّجلةِ ليتوضَّأَ، فوضعَ مُصحفه، وملحفَتَهُ، فجاءتِ امرأةٌ فأخذتْهما، فتبعها، وقال: يا أُختي، أنا معروف، ولا بأسَ عليك، ألكِ ابنٌ يقرأُ القرآن؟ فقالت: لا قال: فزوجٌ؟ قالت: لا، قال: فهات المُصحفَ، وخذي الملحفة[2]

وقال محمد بن مَنصور الطُّوسي. كنتُ عند معروف، فدعا لي، ثمَّ عدتُ إليه من الغد، وفي وجهِهِ أثَرٌ، فقال له إنسان[3] يا أبَا محفوظ، كنَّا عندكَ بالأمس، ولم يكنْ بوجهِكَ هذا الأثرُ، فما هذا؟![4] فقال: سلْ عمَّا يَعنيك. فقال له: بمعبودِكَ، إلا قلتَ. فقال: صلَّيْتُ البارحةَ ههنا، واشتهيتُ أنْ أَطوفَ بالبيت، فمضيتُ إلى مكَّةَ، وطفتُ، ثمَّ مِلْتُ إلى زمزم لأشربَ من مائها، فزَلَقْتُ على الباب، فأصابَ وجهي ما تراه[5]

وقال خليلُ الصَّياد: فقدتُ ابني زمانًا طويلاً، فوجدْنا عليه وجدًا

---

(١) الرسالة القشيرية ٢٢٨ (الرجاء)، صفة الصفوة ٢/ ٣٢١، المختار ٥/ ٤٤.

(٢) الرسالة القشيرية ٣٥٦ (الخلق).

(٣) في المختار: وفي وجهه أثرُ شَجَّةٍ، فهبت أن أسألَه عنها، وكان عنده رجل أجرأ عليه مني، فقال له.

(٤) في (أ): فمالي هذا؟

(٥) الرسالة القشيرية ٥٠٩ (كرامات الأولياء). وانظر المختار ٥/ ٣٨.

شديدًا، فأتيتُ معروفَ الكرخي، فقلتُ له: يا أبا محفوظ، غابَ ابني مُحمدٌ، وأمُّه عليه واجدةٌ. فقال: ما تشاء؟ فقلت: تدعو اللهَ أن يردَّه. فقال: اللَّهُمَّ، إنَّ السَّماءَ سماؤك، والأرضَ أرضُك، وما بينهما لك، ائتِ بمحمدٍ. قال خليل: ثمَّ خرجتُ إلى بابِ الشَّام[1]، فإذا ابني محمدٌ واقفٌ، فقلت: محمد! قال: يا أبتِ، السَّاعةَ كنتُ في الأنبار[2]

قال يعقوبُ ابنُ أخي معروف الكرخي: كان عمِّي معروفٌ مُؤاخيًا لصدقةَ بنِ إبراهيم، والأسود بنِ سالم، وكانا جميعًا يُودَّانه مودَّةً صحيحةً، ويتجاريان عنده بالعلم والعمل، فقالا لعمِّي: إنَّ بشر بن الحارث يحبُّ أن يُؤاخيك، وهو يَكرهُ كثرةَ اللِّقاءِ خوفًا أن تجبَ لك عليه حقوقٌ بحقِّ الأُخوَّة، فتعودَه أو يعودك، فإن أنتَ قبلتَهُ على أن لا تَلتقيا إلَّا لله تعالى، فاعقدْ ذلك له. فقال معروف: واللهِ لوددتُ رجلًا لله تعالى، ما أحببت أن أفارقَهُ في ليلٍ ولا نهارٍ، وأنْ أُشركَهُ في أعمالي كلِّها من النَّوافل، ولو قُسمتْ لي الجنَّةُ، لأحببتُ أن يُدخلَه اللهُ قبلي، لأنِّي إنَّما أَحببتُه لله تعالى، ومن أحبَّ لله، وأبغض لله تعالى فقد استكملَ الإيمان، وقد عقدتُ له الأخوَّة كما قد سألتُما كما عقدَ رسولُ الله ﷺ لنفسِهِ ولعليٍّ كرَّمَ الله وجهه، بدُنياه، وشاطرَهُ العلمَ، وخصَّهُ بأشياءَ خصَّهُ بها جبريلُ عليه السَّلام، من الدُّعاءِ، والذِّكرِ في الخلوة، وأنا أُوصيه بالله تعالى إذا خَلَى بالله بذلك، واعلما[3] أنَّ العلمَ إذا عَمِلَ به العالِمُ، استوتْ له قلوبُ المؤمنين، وما أحبَّ رجلٌ رجلًا لله تعالى إلَّا وجبَ على المحبوبِ الدُّعاءُ له، وإنَّ العبدَ إذا صدقَ في سرِّه لمن ودَّهُ لله، أصلحَ اللهُ سرَّه وعلانيته، ويَشفعُ بعضُهم في بعض، وجعلَ ما أسكنَه قلوبَهم فيه نجاتُهم، وألهمَهم الشُّكرَ على إحسانِهِ إليهم، وعرَّفهم أنَّ ذلك منه، فهم من أعمالِ الآخرةِ

(١) باب الشام: محلة كانت بالجانب الغربي من بغداد. معجم البلدان.
(٢) الرسالة القشيرية ٥٢٥ (كرامات الأولياء). الحلية ٨/ ٣٦٢ روض الرياحين الحكاية(٣٠٩)
(٣) في (أ): واعلم.

في تمامٍ، ومن الدُّنيا على رحيلٍ، ومن السَّاعات على تفقُّدٍ، فأيُّ وقتٍ أتاهمُ الموتُ لم تَلحقْهم حسرةٌ إلاَّ على ما فاتَهم من صحَّةِ الأعمال.

ورُويَ عن بعضِ جُلسائه أنَّه انصرفَ من عندِهِ في شهرِ رمضانَ بعد صلاةِ المغربِ، قال: فجئتُهُ من الغدِ، فقال لي: أيُّ وقتٍ بلغتَ مَنْزِلَكَ؟ قلتُ: لمَّا[1] دخلت أفطرت. فقال: من أين لك ما أفطرتَ عليه؟ فقلتُ: لا أدري. فقال: لا تُفطرْ على شيءٍ حتَّى تدري، وإلاَّ فافطرْ[2]، فهو خيرٌ لك.

وقال: يقولُ اللهُ تعالى في بعضِ الكتب: ابنَ آدم، ما أَجسرَكَ! تَسألني فأمنعُكَ، لعلمي بما يُصلحُكَ، ثمَّ تُلحُّ عليَّ في المسألةِ، فأَجودُ بكرمي عليك (وكم من جميلٍ أُعطيك! فأعطيك)[3] مَا سألتني، فتستعينُ بما أَعطيتُكَ على مَعصيتي، فأهمُّ بِهتْكِ سترِك، فتسألني فأَسترُ عليك، ثمَّ تُعاودُ المعصيةَ، فأسترُ عليك، فكم من جميلٍ أصنعُهُ بك! وكم من قبيحٍ تعملُهُ معي! يُوشكُ أن أَغضبَ عليك غضبةً لا أَرضى بعدها أبدًا.

وقال: رأيتُ بالباديةِ شابًا حسنَ الوجه، له ذؤابتان حَسنتان، وعلى رأسِهِ رداءُ قصبٍ، وعليه قميصُ كتَّان، وفي رجليه نعلُ طاق[4]، قال معروف: فتعجَّبتُ منه في مثلِ هذا المكان، ومن زِيِّه، فقلتُ له: السَّلامُ عليك ورحمةُ الله وبركاته. فقال: وعليكَ السَّلام ورحمة الله، يا عمُّ. فقلتُ له: يا فتى، من أَين؟ فقال: من مدينة دمشق. قلتُ: متى خرجتَ منها؟ قال: ضحوةَ النَّهار. قال معروف: فعجبتُ، وكان بينه وبينَ الموضع الذي رأيتُهُ فيه مراحلُ كثيرةٌ، فقلتُ له: وأين مقصودُكَ؟[5] فقال:

---

(١) في (أ): كما

(٢) كذا في الأصلين والمنتقى، ولعل الصواب: وإلا فلا تفطر.

(٣) ما بينهما ليس في (أ).

(٤) نعل طاق: نعل مصنوع من الطيلسان الأخضر. والطاق: ضرب من الملابس.

(٥) في (ب): القصد.

مكَّةَ، إن شاء الله تعالى. فعلمتُ أنَّه محمول، ثمَّ ذهبَ ولم أره حتَّى مضتْ ثلاثُ سنين.

فلمَّا كانَ ذاتَ يومٍ، وأنا جالسٌ في منْزلي، أتفكَّرُ في أمرِهِ، وما كان منه، إذا أنا بإنسانٍ يدقُّ البابَ، فخرجتُ إليه، فإذا بصاحبي، فسلَّمتُ عليه، وقلتُ له: أهلاً ومرحبًا. وأدخلته المنْزل، فرأيتُهُ مُنقطعًا، ذاهبًا، تالفًا، عليه زُرْمانِقَة[1]، حافيًا، حاسرَ الرَّأس، فقلتُ له: أيشٍ الخبر؟ فقال: يا أستاذ، لم يُخبرني بما يَفعلُهُ بمعامليه. فقلتُ له: فأَخبرني ببعضِ خبرك. قال: نعم، لاطفني حتَّى أَدخلني الشَّبكةَ، ثمَّ ضَربني، ورماني، فمرَّةً يُلاطفني، ومرَّةً يُهينني، ومرَّةً يُكرمني، ومرَّةً يُجيعني، فليتَهُ أوقفني على بعضِ أسرارِ أوليائه، ثمَّ ليفعلْ بي ما يشاء. قال معروف: فأَبكاني كلامُه، فقلتُ له: فحدِّثني ببعض ما جَرى عليك منذ فارقتني. فقال: هيهات أَنْ أُبديه، وهو يُريدُ أن يُخفيه، ولكن أُخبرُك بما فعلَ بي في طريقي إليك مولاي وسيِّدي. ثمَّ استفرغَهُ البكاء، فقلتُ: وما الذي فعلَ بك؟ قال: جوَّعني ثلاثين يومًا، ثمَّ جئتُ إلى قريةٍ فيها مَقْثَاةٌ[2]، قد نبذَ منها الدُّودُ وطرح، فقعدتُ آكلُ منه، فبصرني صاحبُ المَقْثَأةِ، فأقبل إليَّ يَضربُ ظهري وبطني، ويقول: يا لصُّ، ما خرَّبَ مَقثأَتي غيرُك، منذ كم أنا أرصدُكَ حتَّى وقعتُ عليك؟! قال: فبينما هو يَضربني إذ أقبلَ فارسٌ نحوه مُسرعًا إليه، وقلبَ السَّوطَ في رأسِهِ، وقال: تعمدُ إلى وليٍّ من أولياءِ الله تَضربُه، وتقولُ له: يا لص!؟ فأخذَ بيدي صاحبُ المَقْثَأةِ، فذهبَ بي إلى منْزلِهِ، فما تركَ شيئًا من الكرامةِ، إلاَّ عملَه معي، واستحلَّني، فبينا كنتُ عنده لصًّا إذ جعلني وليًّا، ثمَّ قال: إنَّ صاحبَ المَقْثَأَةِ قال: قد جعلتُ هذه المَقْثَأَةَ لله تعالى، ولأصحابِ معروف. فقلتُ له: صفْ لي معروفًا. فوصفَ لي الصِّفةَ، فعرفتُكَ بما كنتُ شاهدتُهُ من

(١) تقدم التعريف بها صفحة ٥٦.
(٢) المَقْثَأَة: وتضم ثاؤه: موضع القثَّاء، وهو الخيار. اللسان (قثأ).

صفتك. قال معروف: فما استتمَّ كلامَه حتَّى دقَّ صاحبُ المَقْثَأَةِ البابَ، ودخل إليَّ، وكان مُوسِرًا، فأخرجَ جميعَ ماله ودُنياه، وجعلَ الجميعَ للفقراء، وصحبَ الشَّابَّ سنةً، ثمَّ خرجا إلى الحجِّ، فماتا بالرَّبَذَةِ[1]، رحمهما الله[2]

وقال: إذا أرادَ اللهُ بعبدٍ خيرًا، استعملَه، صالحًا، وزوى عنه الخذلان، وأسكَنَهُ بين الفقراء، وإذا أرادَ اللهُ بعبدٍ سُوءًا، ابتلاه بالخذلان، وأسكنَهُ بين الأغنياء، فإذا نظرَ إليهم، استعظمَ غِناهم[3]

ورُوِيَ عنه أنَّه كان يقولُ لنفسه: أَخلصي وتخلَّصي[4]

* * *

---

(١) الرَّبذة: قرية من قرى المدينة، على ثلاثة أيام. معجم البلدان.

(٢) صفة الصفوة ٤/ ٢٨٩، المختار ٥/ ٣٤٧ ٣٤٩، روض الرياحين (الحكاية ٤٩٨).

(٣) تهذيب الأسرار ١٥٩

(٤) تهذيب الأسرار ١٨٣، وتقدم هذا القول بمعناه صفحة ١١٢.

(٥) بشر بن الحارث الحافي(*)

ومنهم: أبو نصر بشر بن الحارث الحافي، رحمه الله، أصلُه من مرو، ومن قرية يُقال لها بَكِرْد(١) أو مابَرْسَام(٢)، سكَنَ بغداد، وماتَ يوم الأربعاء عاشر المحرَّم سنة سبعٍ وعشرين ومئتين(٣).

وهو ابنُ أخت عليِّ بن خَشْرَم، صحبَ الفضيلَ بنَ عياض، وكان ورعًا، عالِمًا، كبيرَ الشَّأن، أوحد في وقته(٤).

وسَبَبُ توبته أنَّه أصابَ في الطَّريقِ كاغِدةً(٥) مَكتوبًا عليها اسم الله، وقد وَطئتها الأقدامُ، فأخذَها، وقبَّلها، واشترى بدرهمٍ كان معه غاليةً(٦)،

(*) طبقات ابن سعد ٧/ ٣٤٢، طبقات الصّوفية ٣٩، المعارف ٥٢٥، الجرح والتّعديل ٢/ ٣٥٦، الثقات لابن حبان ٨/ ١٤٣، حلية الأولياء ٨/ ٣٣٦، تاريخ بغداد ٧/ ٦٧، الرسالة القشيرية ٤٦، الأنساب ٤/ ٢٧، تاريخ ابن عساكر ١٠/ ٣٥، صفة الصفوة ٢/ ٣٢٥، المختار من مناقب الأخيار ١/ ٤٤٥، وفيات الأعيان ١/ ٢٧٤، مختصر تاريخ دمشق ٥/ ١٩١، تهذيب الكمال ٤/ ٩٩، سير أعلام النبلاء ١٠/ ٤٦٩، العبر ١/ ٣٩٩، مرآة الجنان ٢/ ٩٢، نفحات الأنس ٧١، الوافي بالوفيات ١٠/ ١٤٦، البداية والنهاية ١٠/ ٢٩٧، الكواكب الدرية ١/ ٥٥٧، شذرات الذهب ٢/ ٦٠

(١) بَكِرْد: قرية من قرى مرو، على ثلاثة فراسخ منها. معجم البلدان.

(٢) مابَرْسام: قرية من قرى مرو، ويقال لها ميم سام، على أربعة فراسخ منها. معجم البلدان.

(٣) طبقات الصوفية ٤٠، ٤١.

(٤) طبقات الصوفية ٤٠.

(٥) الكاغد: القرطاس، الورق.

(٦) الغالية: نوع من الطيب.

وطيَّبها، وجعلها في شَقِّ حائطٍ، فرأى في المنام كأنَّ قائلاً يقول: يا بشرُ، طيَّبتَ اسمي، لأُطيِّبنَّ اسمَك في الدُّنيا والآخرة[1]

وقيل: إنَّه مرَّ يومًا على بعضِ النَّاس، فقال: هذا الرَّجلُ لا ينامُ جميعَ اللَّيل، ولا يُفطرُ إلاَّ كلَّ ثلاثةِ أيام مرَّةً. فبكى بشرٌ، فقيل له في ذلك، فقال: إنِّي لا أذكرُ أنِّي سهرتُ ليلةً كاملة، ولا أنِّي صمتُ يومًا فلم أُفطر من ليلته، ولكنَّ اللهَ يُلقي في القلوبِ أكثرَ ممَّا نفعلُه لطفًا منه سبحانه، وكرمًا، ثمَّ ذكرَ ابتداءَ أَمرِهِ على ما سبقَ شرحُهُ[2]

ورُوِيَ أنَّ رجلاً سألَه أن يُوصيَهُ بوصيَّةٍ، فقال له بشر: عليكَ بلزومِ بيتك، وتركِ مُلاقاةِ النَّاس. فقال الرَّجلُ: بلغني عن الحسنِ أنَّه قال: لولا اللَّيلُ، وملاقاةُ الإِخوان، ما كنتُ أُبالي متى متُّ. فقال بشر: رحمَ اللهُ الحسنَ، لقد كان الظَّنُّ به خلافَ هذا. ثمَّ أنشد:

يـا مَـنْ يُسَـرُّ بـرؤيـةِ الإِخـوانِ   مَهْـلاً أَمِنْـتَ مَكـائِـدَ الشَّيطـانِ
خَلَتِ القلوبُ من المعادِ وذكرِهِ   وتَشَـاغلـوا بـالحِرْصِ والخُسـرانِ
صارتْ مجالسُ مَنْ يُرى وحَديثُهم   فـي هَتْـكِ مَسْتـورٍ وخَلْـقِ قُـرانِ

وقال بشر رأيتُ النَّبيَّ ﷺ في المنام، فقال لي: يا بشر، تَدري لِمَ رَفَعَكَ اللهُ من بين أقرانك؟ قال: قلتُ: لا، يا رسولَ الله. فقال: باتِّباعِكَ سُنَّتي، وحُرمتِكَ للصَّالحين[3]، ونُصحِكَ لإِخوانك، ومحبَّتِكَ لأصحابي وأهل بيتي، هو الذي بلغَكَ منازلَ الأبرار[4]

ورُوِيَ أنَّ رجلاً جاءه في ليلةِ عيد فطرٍ أو أضحى، فقال له: يا أبا نصر، رأيتُ في هذه اللَّيلةِ كأنَّ القيامةَ قد قامَتْ، والنَّاسُ في كَرْبٍ وشدَّةٍ،

---

(١) الرسالة القشيرية ٤٦

(٢) الرسالة القشيرية ٤٦، ٤٧.

(٣) في الرسالة: وخدمتك.

(٤) الرسالة القشيرية ٤٧.

حتَّى رأيتُ دموعَ النَّاسِ تجري دمًا، إذ خرجَ مُناديًا يُنادي: أين بشر؟ وأين أحمدُ بنُ حنبل؟ فأخذوكما، وأدخلوكما على الله، فقال أهلُ الموقفِ: إن حُوسِبَ هؤلاء هلكنا. وإذا قد خرجَ علينا مَلَكٌ من الملائكة، فقلنا له: ما فُعِلَ ببشر وأحمد؟ فقال: يُحاسبان بقيامِ الشُّكر، بما مَنَّ عليهما من سترِهما[1] فقال بشرٌ: أمَّا أحدُ الاثنين فالتَّقصيرُ قَرينُهُ، وأمَّا الآخرُ، فتشهدُ له الحقائقُ بقيامه بالشُّكر. ثمَّ بكى بشر، وقال: ويحك يا بشر، شدَّ حيازيمَكَ[2]؛ فإنَّك مطلوب[3]

وقال بلال الخواص: كنتُ في تيهِ بني إسرائيل، فإذا برجل يماشيني فتعجَّبتُ منه، ثم أُلهمتُ أنَّه الخضرُ عليه السَّلام، فقلتُ له: بحقِّ الحقِّ من أنت؟ فقال: أخوك الخضر فقلتُ له: أريدُ أن أسألَكَ. فقال: سل. فقلت: ما تقولُ في الشَّافعيِّ؟ قال: هو من الأوتاد. فقلتُ له: ما تقولُ في أحمدَ بنِ حنبل؟ فقال: رجلٌ صدِّيق. فقلتُ: ما تقولُ في بشرِ بنِ الحارث؟ فقال: لم يخلف[4] بعدَه مثلُه. فقلتُ: بأيِّ وسيلةٍ رأيتُكَ؟ فقال: ببرِّكَ لأُمِّك[5]

وقيل: أتى بشرُ بن الحارث باب المعافى بن عمران بالموصل، فدقَّ عليهم الباب، فقيل: من بالباب؟ فقال: بشر الحافي. فقالت بنتُهُ من داخلِ الدَّار: لو اشترى نَعلاً بدَانقين، لذهب عنه هذا الاسم[6]

---

(١) في المختصر من سرِّهما.

(٢) الحيازيم: جمع حيزوم، وهو الصدر، وقيل وسطه، وهذا كناية عن التشمير للأمر والاستعداد له. النهاية (حيزم).

(٣) المختار ١/ ٤٦٣.

(٤) في (أ): لم يعرف.

(٥) المختار ١/ ٤٦٤، تاريخ ابن عساكر ١٠/ ٤٨.

(٦) صفة الصفوة ٤/ ٤٤٢، المختار ٥/ ٤٨٤. وفي (ب): لو اشتريت نعلاً بدانقين لذهب عنك.

وقال أبو عبد الله ابن الجلاء: رأيتُ ذا النّون وكانت له العبارة، ورأيتُ سهلاً وكانت له الإشارة، ورأيتُ بشرَ بن الحارث وكان له الورع. فقيل له: فإلى مَنْ كنتَ تَميل؟ فقال: بشرُ بن الحارث أستاذُنا[١]

ورُويَ أنَّه اشتهى الباقلاَّء سنين عدَّة، فلم يأكلْه، فرُئي في المنام بعد موته، فقيل له: ما فعلَ اللهُ بك؟ فقال: غفرَ لي، وقال: كُلْ يا مَنْ لم يأكل، واشربْ يا مَنْ لم يشرب[٢]

وقال أبو بكر بن عفَّان: سمعتُ بشرَ بنَ الحارث يقول: إنِّي لأشتهي الشِّواءَ مقدار[٣] أربعين سنة، ما صفا لي ثمنُه[٣]

و: قيل له: بأيِّ شيءٍ تأكلُ الخبز؟ فقال: أذكرُ العافيةَ، وأَجعلُها إداماً[٤]

ورآه بعضُ الصَّالحين في المنام بعد موته، فقال له: ما فعلَ اللهُ بك؟ فقال: غفرَ لي، وأَباحني نصفَ الجنَّة، وقال لي: يا بشر، لو سجدتَ لي على الجمرِ ما أدَّيتَ شُكرَ ما جعلتُهُ لك في قلوبِ عبادي[٥]

وقال: لا يجدُ حلاوةَ الآخرةِ رجلٌ يُحبُّ أن يعرفَهُ النَّاس.

ثمَّ قال: لا يحتملُ الحلالُ السَّرَفَ.

وقال: يأتي على النَّاسِ زمانٌ لا تَقرُّ فيه عينُ حكيم[٦]، ويأتي على

---

(١) تاريخ بغداد ٧/ ٧٣، قال الخطيب: وأحمد بن يحيى الجلاء لم ير بشراً، ولم يدركه، وإنما أبوه يحيى أدركه وصحبه. وانظر المختار ١/ ٤٦٤

(٢) المختار ١/ ٤٦٤

(٣) في طبقات الصوفية ٤٥: منذ أربعين.

(٤) في طبقات الصوفية ٤٥: قال رجل لبشر لا أدري بأي شيء آكل خبزي؟ فقال: اذكرِ العافيةَ واجعلْها إدامك.

(٥) حلية الأولياء ٨/ ٣٣٦

(٦) في (أ): عين حليم.

النَّاسِ زمانٌ تَكونُ الدَّولةُ فيه للحمقى على الأكياس[١]

وقال: النَّظرُ إلى الأحمقِ سُخنةُ العين.

و: النَّظرُ إلى البخيل يُقسّي القلب[٢]

وقال: اعمَلْ في تركِ التَّصنُّع، ولا تعمل في التَّصنُّع.

وقال: الصَّبرُ الجميلُ الذي لا شكوى فيه إلى النَّاس[٣]

وقال: لا تَكونُ كاملاً حتَّى يَأمنَكَ عدوُّكَ، وكيف يكون فيك خيرٌ، وأنت لا يَأمنُكَ صديقُكَ؟![٤]

وقال: لا تَجدُ حلاوةَ العبادةِ حتَّى تجعلَ بينك وبين الشَّهواتِ حائطًا من حديدٍ[٥]

ثمَّ قال: الدُّعاءُ ترك الذُّنوب[٦]

وقال حسن المُسُوحيُّ[٧]: رآني بشرُ بنُ الحارث يومًا باردًا، وأنا أَرتعِدُ من البردِ، فنظرَ إليَّ وأنشدَ يقول:

قطعُ اللَّيالي معَ الأيامِ في خَلَقٍ ... والنَّومُ تحت رِواق الهَمِّ والقَلَقِ
أَحرى وأعذرُ[٨] بي من أَنْ يُقالَ غَدًا ... إنِّي التمَسْتُ الغِنى من كفِّ مختلقِ[٩]
قالوا رَضيتَ بذا؟ قلتُ القُنوعَ غنًى ... ليس الغِنَى كثرةَ الأَموالِ والوَرِقِ

---

(١) طبقات الصوفية ٤٢، المختار ١/ ٤٦٤.
(٢) الرسالة القشيرية ٣٦٣ (الجود).
(٣) طبقات الصوفية ٤٣، المختار ١/ ٤٦٤.
(٤) الحلية ٨/ ٣٥٤، المختار ١/ ٤٥٦
(٥) الحلية ٨/ ٣٥٣، المختار ١/ ٤٥٦.
(٦) طبقات الصوفية ٤٣، المختار ١/ ٤٥٦.
(٧) في (أ): السوجي.
(٨) في (أ): أحرى وأجدرُ.
(٩) في (أ): من كفِّ ذي ملق.

رضيتُ بالله في عُسْرِي وفي يُسْرِي فلستُ أَسْلُكُ إلاَّ أوضحَ[1] الطُّرُقِ[2]

وقال: هَبْ أَنَّكَ لا تَخافُ، أَمَا تَشْتاقُ؟[3]

ثمَّ قال: المُتقلِّبُ في جُوعِهِ كالمُتَشَحِّطِ بدمِهِ في سبيل الله، وثوابُهُ الجنَّةُ[3]

وقال: أربعة رفعَهُم اللهُ بطيبِ المَطعمِ: وُهَيْب بن الوَرْد، وإبراهيمُ بنُ أدهم، ويُوسف بن أَسْبَاط، وإبراهيم الخوَّاص[3]

وقال: شاطرٌ سخيٌّ أَحبُّ إليَّ[4] من قارِئٍ لَئيمٍ[5]

ثمَّ قال: أنا أكرَهُ الموتَ، ولا يَكرهُ الموتَ إلاَّ مُريب[6]

قال: إنَّ لم تُطِعْ فَلا تَعْصِ[7]

وقال: دخلتُ الدَّارَ يومًا، فإذا أنا برجلٍ، فقلتُ: من أنت، وكيف دخلتَ بغيرِ إذني؟ فقال: أخوك الخضر. فقلتُ: ادعُ اللهَ لي. فقال: هَوَّن اللهُ عليك طاعتَهُ. فقلتُ: زدني. قال. وستَرَها عليك[8]

وقال: بي داءٌ ما لم أُعالج نفسي لا أتفرَّغُ لغيري [فإذا عالجتُ نفسي، تفرَّغتُ لغيري] ما أَبصرَني بموضعِ الدَّاء [وموضعِ الدواء] إنْ أَعانني [منه] بمعونتِهِ. ثمَّ قال: أنتم الدَّاءُ، أرى وجوهَ قومٍ لا يَخافون، مُتهاونين بأمورِ الآخرة[9]

---

(١) في (أ): إلا واضح.
(٢) طبقات الصوفية ٤٤، المختار ١/ ٤٥٦
(٣) طبقات الصوفية ٤٤، تهذيب الأسرار ١٧٢
(٤) في (أ). أحبُّ إلى الله.
(٥) طبقات الصوفية ٤٥
(٦) طبقات الصوفية ٤٦
(٧) المختار ١/ ٤٤٨
(٨) الرسالة القشيرية ٥٢١ (كرامات الأولياء)، المختار ١/ ٤٥٦.
(٩) طبقات الصوفية ٤٦، وما بين معقوفين مستدرك منه.

وقال عباس بن دِهقان: كنتُ عند بشرِ بن الحارث وهو يتكلَّمُ في الرّضا والتَّسليم، فقال له رجلٌ من المُتصوّفة: يا أبا نصر، انقبضتَ عن أخذِ البرِّ من أيدي الخَلْقِ لإقامةِ الجاه؟ فإنْ كنتَ مُتحقِّقًا بالزُّهد مُنصرفًا عن الدُّنيا، فخذْ من أيديهم لينمحي[1] جاهُك عندهم، وأخرجْ ما يُعطونَكَ إلى الفقراء، وفَرِّقْه عليهم، وكنْ بعقدِ التَّوكُّلِ تأخذ قوتك[2] من الغيب. فاشتدَّ ذلك على أصحابِ بشر، فقال له بشر: اسمعْ أيُّها الرَّجلُ الجوابَ، اعلمْ أنَّ الفقراءَ ثلاثةٌ: فقيرٌ لا يَسألُ، وإنْ أُعطي لا يَأخذُ، فذلك من الرُّوحانيِّين إذا سألَ اللهَ أعطاه، وإنْ أقسمَ عليه أبرَّ قسمَهُ، وفقيرٌ لا يَسألُ، وإنْ أُعطِيَ أَخذ، فذلك أوسطُ القومِ، عقدُهُ التَّوكُّلُ والسُّكونُ إلى الله، وهو ممَّن تُوضع له الموائدُ في حَظيرةِ القُدْسِ يومَ القيامة، وفقيرٌ اعتقدَ الصَّبرَ، ومُدافعةَ الوقتِ، فإذا طرقَتْهُ الحاجةُ، خرجَ إلى عَبيدِ الله، وقلبُهُ إلى اللهِ بالسُّؤال، فكفَّارةُ مسألتِهِ صدقُه في السُّؤال. فقال الرَّجلُ: رضيتُ، رضي الله عنك[3]

وقال: بحسبِكَ أنَّ قومًا موتى تَحيا القلوبُ بذكرهم، وأنَّ قومًا أحياءٌ تَقسو القلوبُ برؤيتهم.

وقال: ليس أحدٌ يُحبُّ الدُّنيا إلاَّ كره الموت، وليسَ أحدٌ يزهدُ في الدُّنيا إلاَّ أحبَّ الموت؛ حتَّى يلقى مولاه تعالى.

وقال: مَنْ أرادَ أن يُلَقَّنَ الحكمةَ، فلا يَعْصي الله تعالى[4]

وقال: يا طالبَ العلم، إنَّما أنت مُتلذِّذٌ تَسمع وتحكي[5]، إنَّما يُرادُ

---

(١) في (أ): لتُنَحِّيَ، وفي طبقات الصوفية: ليمتحي.

(٢) في (أ): وكن بعقد توكل بأخذ قوتك.

(٣) طبقات الصوفية ٤٧، المختار ١/ ٤٦٥

(٤) حلية الأولياء ٨/ ٣٤٦.

(٥) في الحلية: وتملي.

من العلم العمل، فاستمعْ، وتعلَّمْ، واعملْ، [وعلِّم] واهرب[1]، ألم ترَ إلى سُفيان الثَّوري كيف طلب العلمَ، فتعلَّمَ، وعَمِلَ، وهربَ؟ فطلبُ العلمِ إنَّما يدلُّ على الهربِ من الدُّنيا، ليسَ على حبِّها[2].

وقال إبراهيم الحربي: حَمَلني أبي إلى بشرِ بن الحارث، فقال: يا أبا نصر، ابني هذا مستهتر[3] بكتابة الحديثِ والعلم. فقال لي: يا بُني، هذا العلمُ يَنبغي أن يُعملَ به، فإن لم يُعمل[4] به، فمن كلِّ مئتين خمسةٌ، مثلُ زكاةِ الوَرِق. فقال له أبي: ادعُ له، يا أبا نصر. فقال: دعاؤك أبلغ؛ فإنَّ دعاءَ الوالدِ لولده كدُعاءِ النَّبيِّ لأُمَّتِهِ. قال إبراهيم: فاستحليتُ كلامَه، واستحسنْتُهُ، فدخلتُ الجامعَ يومَ الجمعة، وإذا ببشرٍ يُصلِّي في قبَّة الشُّعراء[5]، فقمتُ أركعُ وراءه إلى أن نُودي بالأذان، فقامَ رجلٌ رثُّ الهيئة، فقال: يا قوم، احذروا أن أكونَ صادقًا، وليسَ مع الاضطرارِ اختيار[6]، ولا يسعُ السُّكوت مع العدم، ولا السُّؤال مع الوجود، وثمَّ فاقةٌ، رحمكم الله. قال: فرأيتُ بشرًا وقد أعطاهُ قطعةً قدرَ دانقٍ، قال إبراهيم: فقمتُ إليه وأعطيتُه دِرهمًا، فقلتُ: أعطني القطعة. فقال: لا أفعل. فقلتُ: هذان دِرهمان. فامتنع، قال: وكان معي عشرةُ دراهم صِحاحًا، فبذلتُها له، فأبى، ثمَّ قال: يا هذا، وما رغبتُكَ في دانقٍ تبذلُ فيه عشرةً صِحاحًا؟ قال: فقلتُ له: يا هذا، إنَّ هذا رجل صالح. قال: فقال: أنا في معروفِ هذا أرغبُ، وليسَ أستبدلُ بالنِّعم نِقمًا، وإلى أن آكلَ هذا فرجٌ عاجل أو منيَّةٌ قاضية. قال إبراهيم: فقلتُ: انظروا معروفَ مَنْ بيد

---

(1) في (أ): وارهب.
(2) حلية الأولياء ٨/ ٣٤٧، المختار ١/ ٤٦٥.
(3) مستهتر: مولع به، لا يبالي بما قيل فيه لأجله.
(4) في (ب): ينبغي أن تعمل به، فإن لم تعمل بكلِّه.
(5) في الحلية: قبة الشعر.
(6) في (ب): الاضرار اختيار

مَنْ! فقلتُ: يا شيخ دعوةً. فقال: أحيا اللهُ قلبَكَ، ولا أماتَهُ حتَّى يُميتَ جسمَكَ، وجعلَكَ ممن يَشتري نفسَه بكلِّ شيءٍ، ولا يبيعَها بشيءٍ[1]

وقال: مَنْ سألَ اللهَ تعالى الدُّنيا، فإنَّما يَسألُ طولَ الوقوف[2]

ثمَّ قال: الصَّدقةُ أفضلُ من الجهادِ والحجِّ والعمرةِ؛ لأنَّ ذلك يَركبُ ويرجع، فيراه النَّاس، وهذا يُعطي سرًّا، فلا يَراه إلاَّ اللهُ تعالى.

وقيل له: ألا تُخوِّفُ السلطان بالله؟ فقال: إنِّي لأُجلُّ اللهَ أن أذكرَهُ عند من لا يَعرفه[3]

وقال: أردتُ مرَّةً أن أكتبَ كتابًا، فعرض لي كلامٌ إن تكلَّمتُ به أو كتبتُهُ حَسُنَ الكتابُ وكان كذبًا، وإن تركتُهُ سمجَ الكتاب، وهو صدق، فعزمتُ على تركه، فناداني مُنادٍ من جانبِ البيت: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ﴾[3] [إبراهيم: ٢٧].

وقال: أمسُ قد مات، واليومُ في النَّزع، وغدًا لم يُولد.

وقال الحسنُ بن عمر[4] سمعتُ بشرًا ينشد:

ذهبَ الرِّجالُ المُقْتَدى بفعالِهم والمُنْكِرُونَ لكلِّ أَمْرٍ مُنكرِ
وبقيتُ في خَلْفٍ تَزَيَّنَ بعضُهم بعضًا ليدفَعَ مُعورٌ عن مُعورِ[5]

وقال: من أردَ أن يكونَ عزيزًا في الدُّنيا، سليمًا في الآخرة، فلا يُحدِّثْ، ولا يَشهدْ، ولا يَؤمَّ قومًا، ولا يأكلُ لأحدٍ طعامًا[6] وأنشد:

---

(١) حلية الأولياء ٨/ ٣٤٧، المختار ١/ ٤٤٨.
(٢) حلية الأولياء ٨/ ٣٣٧، المختار ١/ ٤٤٩
(٣) تهذيب الأسرار ٥٤، المختار ١/ ٤٦٦
(٤) في الحلية: بن عمران، وفي (أ): بن عَمرو.
(٥) تاريخ بغداد ٧/ ٧٧، تاريخ دمشق ١٠/ ٧٣، والخبر في المختار ١/ ٤٦٦. وفيه بيتان زيادة.
(٦) المختار ١/ ٤٥٢.

وليس مَنْ يبرق لي[1] دينُه يَغرُّني يا صَاحِ تَبريقُه
من حقَّقَ الإيمانَ في قَلبِهِ يُوشِكُ أن يَظْهَرَ تَحقيقُه[2]

وقال: ألا تُؤثِرنَّ على حذفِ العلائقِ شيئًا، فإنِّي لو كُلِّفْتُ أن أعولَ دجاجةً لخفتُ أن أكونَ شُرطيًّا في الحَشْر[3]

و: من لم يحتجْ إلى النِّساءِ فليتقِ الله ولا يألفْ أفخاذَهن، ولو أن رجلاً جمعَ أربعَ نسوة يحتاجُ إليهن ما كان مُسرفًا.

وقال عبد الله بن أحمد السَّاجي: سمعتُ بشرًا ينشد:

أقسمُ باللهِ لَرَضخُ النَّوى وشربُ ماءِ القُلُبِ[4] المالِحَهْ
أعزُّ للإنسانِ مِنْ حرصِهِ ومِنْ سُؤالِ الأوجهِ الكالِحَهْ
فاستغنِ باللهِ تَكُنْ ذا غنًى مُغتبطًا بالصَّفقةِ الرَّابِحَهْ
فاليأسُ عزٌّ والتُّقَى سُؤدُدٌ ورغبةُ النَّفسِ لَهَا فاضِحَهْ
مَنْ كانتِ الدُّنيا به برَّةً فإنَّها يومًا له ذابِحَهْ[5]

وقال جعفر النهرواني[6] سمعتُ بشرًا يقول. إنَّ عُوجَ بن عناق[7]

---

(١) في (أ): من يرق، وفي الحلية: من يروق
(٢) حلية الأولياء ١/ ٣٤٥.
(٣) المختار ١/ ٤٦٦ وفي (ب): شرطيًا في الجسر.
(٤) القلب: الآبار.
(٥) الحلية ٨/ ٣٤٥، تاريخ ابن عساكر ١٠/ ٧٣، المختار ١/ ٤٥٧
(٦) في (أ): بن داني، وفي (ب)، وحلية الأولياء ٨/ ٣٥١: البرداني، والمثبت من سير أعلام النبلاء ١٠/ ٤٧٥.
(٧) في الحلية ٨/ ٣٥١: عوج بن عنق. واسمه عوج بن عوق، قال الفيروزبادي: ومن قال عوج بن عناق فقد أخطأ. القاموس: (عوق).
قال العجلوني في كشف الخفا ٢/ ٥٥٨: ومما يُعرفُ به الحديثُ موضوعًا مما تقوم الشواهد الصحيحة على بطلانه كحديث عوج بن عنق الذي قصد واضعه الطعن في أخبار الأنبياء، فإن في هذا الحديث أن طوله ثلاثة آلاف ذراع، وثلاث مئة وثلاثة وثلاثون، وأن نوحًا لما خوفه الغرق، قال. احملني في قصعتك هذه؛ وأن الطوفان لم يصل إلى كعبه، وأنه خاض البحر، فوصل إلى حُجْزته، وأنه كان يأخذ الحوت من =

كان يأتي البحرَ يَخوضُهُ برجليه، فيَحتطبُ السَّاج[1]، وكان أولَ من دلَّ عليه وجلبَهُ، وكان يأخذُ حوتًا كبيرًا من حِيتان البحر بيده، ويرفعُهُ إلى عينِ الشَّمس، فيشويه، ثمَّ يأتي به مَشويًا، وكان التّجَّارُ يعدُّون له كُرَّيْنِ[2] من الدَّقيق، في كلِّ يومٍ يَخبز مَلَّتينِ[3]، فيأكلُ ذلك أجمعَ، ويدفعُ إليهم الحزمةَ من حطبِ السَّاج، فهذا كافرٌ كان يُطعمُهُ اللهُ في كلِّ يوم كُرَّيْنِ من طعام، وسمكةً يعجزُ عنها جميعُ دوابِّ البحر، فكيف يُضيِّعُكَ وأنتَ توحِّدُهُ، وقُوْتُكَ رغيفٌ أو رغيفان في كلِّ يومٍ؟! يا ويحَكَ، يقطعُ بينكَ وبين ربِّك رغيف!

وقال: قال مُوسى عليه السَّلام: يا ربِّ، أَرني وليًّا من أوليائك. فأوحى اللهُ إليه: اطلبْهُ في خربةِ كذا وكذا. قال: فطلبَهُ، فرأى فيها عظامَ رجلٍ أكلتْهُ السِّباع، فقال: يا ربِّ، ما أَرى غيرَ العظام! فقال: هي عظامُ وليٍّ. قال: يا ربِّ، وأرسلت عليه السِّباع؟! قال: نعم، وعزَّتي، ما أخرجتُهُ من الدُّنيا مع ذلك إلاَّ جائعًا ظمآن. قال: ولِمَ ذلكَ يا ربِّ؟ قال: لمنْزلته عندي، ولو رأيتَ منْزلتَهُ لزهقت نفسُكَ شَوقًا إليها، إنِّي لا أرضى الدُّنيا لوليٍّ من أوليائي[4]

= قرار البحر، فيشويه في عين الشمس، وأنه قطع صخرة عظيمة على قدر عسكر موسى، وأراد أن يرضخهم بها، فقوَّرها الله تعالى في عنقه مثل الطوق، قال القاري: وليس العجب من جرأة مثل هذا الكذاب على الله، وإنما العجب ممن يدخل هذا الحديث في كتب العلم ولا يبين أمره. اهـ.

قال ابن كثير في البداية والنهاية ١/ ١١٤ قصة عوج بن عنق لا أصل لها. وهو من مختلقات الزنادقة أهل الكتاب.

(١) السَّاج. شجر عظيم يعظم جدًا في الهند، ويذهب طولاً وعرضًا، وله ورق عظيم يتغطَّى الرَّجل بورقة منه، فتُكنه من المطر، وله رائحة طيبة. اللسان (سوج).

(٢) الكُرُّ: في المكيل يساوي ١٦٧٠ كيلوغرامًا متن اللغة (كرر)، وانظر حاشية ص ١٥٦

(٣) الملَّة الرماد الحار، والحجر. ويقال: أكلنا خبز مَلَّة ولا يقال: أكلنا مَلَّة، وملَّ الشيء في الجمر أدخله. اللسان (ملل) وفي (ب): يختبزه مليين.

(٤) الحلية ٨/ ٣٥١.

وقال المازني لبشرٍ رحمه الله: ما التَّوكُّلُ؟ فقال: اضطرابٌ بلا سكونٍ، وسكونٌ بلا اضطراب. فقال المازني: ليسَ نفقَهُ هذا. فقال: نعم، ليس هذا من أبزارِكم. قال: ففسِّرْه لنا حتَّى نفهمَهُ[1]، فقال: (اضطرابٌ بلا سكون) رجلٌ يضطربُ بجوارحِهِ، وقلبُهُ ساكنٌ إلى الله تعالى، لا إلى عملِهِ، و(سكونٌ بلا اضطراب) رجلٌ ساكنٌ إلى الله بلا حركةٍ، وهذا عزيزٌ، وهو من صفةِ الأبدال[2].

وقال الفتحُ بن شَخْرَف: تعلَّقَ رجلٌ بامرأةٍ في باب الشَّام[3]، وهو مُتعرِّضٌ لها، بيده سكِّينٌ، لا يدنو منه أحدٌ إلاَّ عقرَه، وكان الرَّجلُ شديدَ البدن، فبينما النَّاسُ كذلك، والمرأةُ تصيحُ في يده، إذ مرَّ بشرُ بن الحارث، فدنا منه وحكَّ كتفَهُ بكتفِ الرَّجلِ، فوقعَ الرَّجلُ إلى الأرض، ومضى بشرٌ، فدنوا من الرَّجل، وهو يَرشحُ عَرَقًا كثيرًا، ومضتِ المرأةُ لحالها، ولمَّا فاقَ سألوه: ما حالُكَ؟ فقال: ما أدري، ولكن حاكَّني الشَّيخ، وقال: إنَّ اللهَ ناظرٌ إليك وإلى ما تعمل. فضعفتْ لقوله قدماي وهِبتُهُ هيبةً شديدةً، فلا أدري مَنْ ذلك الرَّجل. فقالوا: ذلك بشر الحافي. فقال: واسوأتاه! كيف يَنظرُ إليَّ بعد اليوم. وحمَّ الرَّجلُ من يومه، ومات يومَ السَّابع[4].

وقال القاضي أبو عبد الله المحاملي: حدَّثني أبي، قال: كان عندنا ببغداد رجلٌ من التُّجَّارِ صديقًا لي، وكان يقعُ في الصُّوفية كثيرًا، قال: فرأيتُهُ بعدَ ذلك يَصحبُهم، ويُنفقُ عليهم مالَهُ، قال: فقلتُ له: أليس كنتَ تُبغضُهم؟ فقال: ليسَ الأمرُ على ما كنتُ أتوهَّمُه. فقلتُ له: كيف؟ قال: صلَّيتُ يومَ الجمعةِ وخرجتُ، فرأيتُ بشرَ الحافي يخرجُ من المسجدِ

---

(١) في المنتقى: حتى نفقهَهُ.

(٢) حلية الأولياء ٨/ ٣٥١، المختار ١/ ٤٥٣.

(٣) تقدم التعريف به صفحة ١١٥

(٤) المختار ١/ ٤٦٧، روض الرياحين ٤١٧ (الحكاية: ٣٨٥).

مُسرعًا، قالَ: فقلتُ في نفسي: لأنظرنَّ إلى هذا الرَّجلِ الموصوفِ بالزُّهد! قال: فرأيتُهُ تقدَّمَ إلى الخبَّازِ، واشترى خبز الماءِ بدرهم، وتقدَّمَ إلى الشَّوَّاء، فأعطاه دِرهمًا، وأخذ منه شواءً، قال: فزادني غيظًا، قال: ثمَّ تقدَّمَ إلى الحلاوي، فأعطاه دِرهمًا، وأخذ به فالوذجًا[1]، فقلتُ في نفسي: لأُنغصنَّ عليه حين يَجلسُ ويأكل، قال: فخرجَ إلى الصَّحراء، وأنا أقولُ: يُريدُ الخضرةَ والماء، فما زالَ يمشي إلى العصر وأنا خلفه، قال: فدخلَ إلى مسجدٍ في قريةٍ، وفيه رجلٌ مريض، فجلس عند رأسه، وجعلَ يلقِّمُهُ، قال: فقمتُ أنظرُ إلى القرية، فبقيتُ ساعةً، ثمَّ عُدتُ إلى المسجد، فقلتُ للمريض: أينَ بشر؟ قال: ذهبَ إلى بغداد. فقلتُ: وكم بيني وبين بغداد؟ قال: أربعون فرسخًا[2] فقلتُ: إنَّا لله وإنَّا إليه راجعون، أيش عملتُ بنفسي، وليس معي شيءٌ أكتري به، ولا أَقدرُ على المشي!؟ فقال: اجلسُ حتَّى يرجعَ. قال: فجلستُ إلى الجُمعةِ القابلة، قال: فجاءَ بشرٌ في ذلك الوقت، ومعه شيءٌ يُطعمُهُ للمريض، فلمَّا فرغَ قال له المريض: يا أبا نصر، هذا رجلٌ صحبَكَ من بغداد، وهو عندي منذ جمعةٍ. قال: فنظرَ إليَّ كالمُغضبِ، وقال: لِمَ صَحبتني؟[3] قلتُ: أخطأت. فقال: قم فامشِ. قال: فمشيتُ إلى المغربِ. قال: فلمَّا قربنا من بغداد قال: أينَ محلَّتُكَ من المدينة؟ قلت: موضعُ كذا وكذا. قال: اذهبْ ولا تَعُدْ. قال: فتبتُ إلى الله تعالى مما كنتُ أعتقدُه فيهم، ثمَّ آثرتُ صحبتَهم، وأنا على ذلك[4]

وقال محمد بن الهيثم: كنتُ أدخلُ على أختِ بشرِ بنِ الحارث وأنا

(١) الفالوذج: نوع من الحلوى الفارسية المركبة من طحين وسكر وليمون.
(٢) الفرسخ مقياس من مقاييس الأطوال يساوي ثلاثة أميال هاشمية، وهو ما يعادل ٥٧٦٠ متراً. متن اللغة.
(٣) في (أ): قال: صحبتني؟
(٤) حلية الأولياء ٨/ ٣٥٢، المختار ١/ ٤٥٤، روض الرياحين (الحكاية ٢٣٧).

صغيرٌ، فأعطتني يومًا كُبَّةً من غزلٍ، فقالت: بع هذه، واشترِ خبزًا وسمكًا. ففعلتُ، فدخلَ بشرٌ، والخبزُ والسَّمكُ موضوع، فقال بشر: ما هذا الطَّعام؟ فقالت له: رأيتُ أمَّكَ في المنام، فقالت: إنْ أردتِ فرحي[1] وإدخالك السُّرور علي، فبيعي من غزلِك، واشتري خبزًا وسمكًا؛ فإنَّ أخاك بشرًا يشتهيهما. قالت: فبكى، ثمَّ قال: رحمَها الله، تَغتمُّ لي وتُشفقُ عليَّ حيَّةً وميتة. ثمَّ قال: إنِّي لأشتهيه منذ خمسٍ وعشرين سنة، وما كان الله ليراني أرجعُ في شيءٍ تركتُهُ خالصًا لوجهه. ثمَّ لم يأكل[2]

وروى محمد بن يوسف الباقلاني عن أبيه قال: سمعتُ رجلًا يَسألُ بشرَ بن الحارث أن يُحدِّثَهُ، فأبى عليه، فجعلَ يتضرَّعُ إليه، ويلحُّ عليه، فلم يُجبه، فلمَّا أيسَ الرَّجلُ منه، قال له: يا أبا نصر، ما تَقولُ لله تعالى غدًا إذا لقيتَهُ وسألك: لِمَ لم تُحدِّث؟ فقال له بشر: أَقول: يا ربِّ، كانت نفسي تَشتهي الحديثَ، فخالفتُها، ولم أعطها شهوتها[3]

وقال: ما خلَّفَ رجلٌ في بيته أفضلَ من ركعتين يُصلِّيهما، وإذا ختمَ الرَّجلُ القرآنَ، قبَّلَ المَلَكُ بين عينيه.

وقال: أشدُّ الأعمالِ ثلاثةٌ: الجودُ في القلَّةِ، والورعُ في الخلوة، وكلمةُ حقٍّ عند من تَخافُ وترجو[4]

ورُويَ أنَّه دُعي إلى دعوةٍ، فوُضعَ بين يديه طعامٌ، فجهد أن يمدَّ يده إليه، فلم تمتدَّ، ففعل ذلك ثلاثَ مرَّاتٍ، فقال رجلٌ يَعرفُ ذلك منه: إنَّ يدَه لا تمتدُّ إلى طعامٍ فيه شبهةٌ، ما كان أغنى صاحب الدَّعوة أنْ يدعوه[5]

---

(١) في (ب): فرحتي.

(٢) حلية الأولياء ٨/ ٣٥٣، المختار ١/ ٤٥٥.

(٣) حلية الأولياء ٨/ ٣٥٥، المختار ١/ ٤٤٩.

(٤) المختار ١/ ٤٦٧.

(٥) الرسالة القشيرية ١٩٧ (الورع)، المختار ١/ ٤٦٧ وانظر الخبر صفحة ١٦٦ وحاشيته (١) والصفحة ٢٠١ (٣)، ٣١٥ (١).

وقال: إذا أعجبَكَ الكلامُ فاصمتْ، وإذا أعجبَكَ الصَّمتُ فتكلَّم[(١)]

ثمَّ قال: الخوفُ [من الله] مَلَكٌ لا يَسكُنُ إلاَّ في قلب مُتَّقٍ[(٢)]

وقال: يقولُ أحدُهم: توكَّلتُ على الله، ويكذبُ [على الله]، فإنَّه لو توكَّلَ عليه صادقًا لرضيَ بما يَفعله به[(٣)]

وقال بعضُهم: دخلتُ على بشرِ بنِ الحارث في يومٍ شديدِ البرد، وقد تعرَّى من الثِّياب، وهو يَنتفضُ، فقلتُ له: يا أبا نصر، النَّاسُ يَزيدون من الثِّياب في مثل هذا اليوم، وأنتَ قد نقصتَ! فقال: ذكرتُ الفقراء، وما هم فيه، ولم يكنْ لي ما أُواسيهم به، فأردت أن أُوافقهم بنفسي في مقاساةِ البرد[(٤)]

وقال الحُسين[(٥)] الخياط: كنتُ عند بشر، فأتاه قومٌ، فسلَّموا عليه، فقال: منْ [أين] أنتم؟ فقالوا: نحن من الشَّام، جِئنا إليك نُسلِّمُ عليك، ونريدُ الحجَّ. فقال: شَكَرَ اللهُ لكم. فقالوا: أَتخرجُ معنا؟ فقال: بثلاث شرائط: لا نَحملُ معنا شيئًا، ولا نَسألُ أحدًا شيئًا، وإن أعطانا أحدٌ شيئًا لا نَقبلُه. فقالوا: أما لا نحملُ فنعم، وأمَّا أن لا نسألَ فنعم، وأما أن لا نَقبلُ إذا أُعطينا، فهذا لا نَستطيعُ. فقال: أراكم خرجتم متوكِّلين على زادِ الحجيج. ولم يصحبهم[(٦)]

وقال: من أراد أن يذوقَ طعمَ الحريةِ، ويستريحَ من العبودية، فليطهِّرِ السَّريرةَ بينه وبين الله تعالى[(٧)]

---

(١) الرسالة القشيرية ٢٠٨ (الصمت).

(٢) الرسالة القشيرية ٢١٤ (الخوف) وما بين معقوفين مستدرك منها.

(٣) الرسالة القشيرية ٣٦٣ (التوكل) وما بين معقوفين مستدرك منها، تهذيب الأسرار ١٣٧.

(٤) تهذيب الأسرار ٥٣١، المختار ١/ ٤٦٧

(٥) في الرسالة القشيرية: الحسن.

(٦) الرسالة القشيرية ٢٧١ (التوكل). المختار ١/ ٤٦٨

(٧) المختار ١/ ٤٦٨.

وقال: صحبةُ الأشرارِ تُورثُ سوءَ الظَّنِّ بالأخيار[١]

وقال أحمد بن الهيثم المتطيِّب[٢] قال لي بشر: قل لمعروف الكَرخي: إذا صليت جئتُكَ. قال: فأدَّيتُ الرِّسالة، وانتظرتُهُ، فصلَّيتُ الظُّهر، والعصرَ، والمغرب، والعشاء فما جاءَ، فقلتُ في نفسي: سبحان الله، مثلُ بشرٍ يقولُ شيئًا ولا يَفي به؟! فاشتدَّ انتظاري له، وأنا فوق مسجدٍ على مَشْرعة[٣]، فإذا بشرٌ قد جاء بعد هُوِيٍّ[٤] من اللَّيل وعلى رأسه سجَّادةٌ، فتقدَّمَ إلى دجلة، فمشى على الماءِ، وعبر ومضى إلى معروف، وعاد وقتَ السَّحر وعَبَرَ على وجهِ الماء، فرميتُ بنفسي من السَّطحِ، وقبَّلتُ يديه ورجليه، وقلت: ادعُ الله لي. فدعا لي، وقال: استرْهُ عليَّ. فلم أتحدَّثْ به حتَّى مات[٥]

وقال: رأيتُ أميرَ المؤمنين عليَّ بن أبي طالب كرَّم الله وجهه في المنام، فقلتُ: عِظني يا أميرَ المؤمنين. فقال: ما أحسنَ عطفَ الأغنياءِ على الفقراء طلبًا لثوابِ الله! وأحسنُ من ذلك تيهُ الفقراءِ على الأغنياءِ ثقةً بالله! فقلتُ: زدني. فقال عليُّ بن أبي طالب:

قـد كنـتَ مَيْتًـا فصِـرْتَ حيًّـا ... وعـن قليـلٍ تَصيـرُ مَيْتـا

عـزَّ بـدارِ الفنـاءِ بيـتٌ ... فـابـنِ بـدارِ البقـاءِ بيتـا[٦]

ورآه بعضُ الصَّالحين في المنام بعد موته، فقال له: ما فعل الله بك؟ فقال: غَفَرَ لي، وقال: يا بشر، ما استحييتَ يا بشرُ منِّي كنت تخافني ذلك

---

(١) المختار ١/٤٦٨.

(٢) في تهذيب الأسرار: المتطبب.

(٣) على مشرعة: على طريق.

(٤) الهوي من الليل: بضم الهاء وفتحها: الساعة منه. القاموس.

(٥) تهذيب الأسرار ٣٧٧، الرسالة القشيرية ٥١١ (كرامات الأولياء). المختار ١/٤٦٨

(٦) تهذيب الأسرار ١٥٥، المختار ١/٤٦٩، والخبر معزو لفتح بن شخرف تاريخ بغداد ٦/٣٨٦، مختصر تاريخ ابن عساكر ٢٠/٢٥٨

الخوف؟! ثم قال: مرحبًا يا بشر، لقد تَوفَّيتُكَ يومَ تَوفَّيتُكَ وما على الأرض أحبُّ إليَّ منك[1].

وقال أبو نصر التَّمَّار: أتاني بشرٌ ليلةً، فقلتُ: الحمدُ لله الذي جاءَ بك؛ قد جاءَنا قطنٌ من خُراسان، وغَزَلَتْ منه البنتُ، وباعتْهُ، واشترتْ لنا منه لحمًا، فتفطرُ اللَّيلةَ عندنا؟ فقال: لو أكلتُ عند أحدٍ لأكلتُ عندكم. ثمَّ قال: إنِّي لأشتهي الباذِنجان منذ سنين لم يتَّفق [لي أكلُه]. فقلت: هذا الباذنجان فيها من الحلال. فقال: حتَّى يَصفو لي حبُّ الباذنجان[2].

وقال: الصّوفيةُ لم يُعرفوا إلاَّ به، ولم يُكرموا إلاَّ من أجله، وليظهرنَّ هذا المذهبُ حتَّى لا يكونَ الدِّينُ إلاَّ لله تعالى[3].

ورُويَ أنَّه قال قبل موته: إلهي، رَفعتني فوق قدري، ونوَّهتَ باسمي، وشَهرتني بين النَّاس، فأسألُكَ بوجهك[4] الكريم أن لا تَفضحني غدًا في القيامة[5].

وقال: غنيمةُ المؤمن غفلةُ النَّاس عنه، وإخفاءُ مكانِهِ عنهم[6].

ورُويَ أنَّ رجلاً ضحكَ عنده، فقال له: احذرْ، لا يأخذُكَ اللهُ على هذا.

وقال الحسين الخياط: دخلتُ على بشرٍ يومًا، فقال لي: يا حُسين، لا تقابلِ من حسَّنَ وجهَكَ إلاَّ بالحسن. ثمَّ قال لي: ويحك يا حُسين، بادرْ عبورَ الجسر، فقد عبرَ قومٌ عليه، لا (ينقطع، فتبقى، ثم قال: أوَّه،

---

(١) تهذيب الأسرار ٥٥٧، وهذا الخبر فيه خبران، الرسالة القشيرية ٥٣٨ (رؤيا القوم)، المختار ١/ ٤٧٢.

(٢) الرسالة القشيرية ٢٣٧ (الجوع)، صفة الصفوة ٢/ ٣٢٩

(٣) المختار ١/ ٤٦٩، وانظر تهذيب الأسرار ٢٦١

(٤) في (أ): باسمك.

(٥) المختار ١/ ٤٧١، وانظر تاريخ بغداد ٧/ ٧٨

(٦) صفة الصفوة ٢/ ٣٢٦، المختار ١/ ٤٥٧.

ليت لا يكون قطعٌ، فبقيت أنا وأنت[1]

وقال: وقد خرجتُ)[2] يومًا إلى الصَّحراء، فاستقبلني رجلٌ على رأسه حزمةُ حطبٍ، فسلَّمتُ عليه، فردَّ عليَّ السَّلام، فقلتُ: من أين أقبلتَ، رحمَك الله؟ قال: من عنده. فقلتُ: وأين تُريد؟ قال: إليه. قلتُ: يَرحمُكَ الله، ففيم النَّجاة؟ قال: في التَّقوى والمراقبة لمن أنت مُنّي. قلتُ: عِظني بموعظةٍ أحفظُها عنك. قال: وتفعل؟ قلتُ: أَرجو[3] ذلك إن شاء الله تعالى. فقال: فرَّ منهم، ولا تَستأنسْ بهم، واحذرِ الدُّنيا، فإنَّها تُعرِّضُكَ للمعاطب.

ثمَّ قال لي: من عرفَ الدُّنيا لم يَطمئنَّ إليها، ومن أَبصرَها عرفَ ضررَها، ومن أبصر ضررَها أعدَّ لها دواءَها، ومن عرف الآخرةَ، سارعَ في طلبها، ومن توهَّمها اشتاقَ إلى ما فيها. [وهان عليه العمل. ثم قال: فكيف لو توهّمتَ من يملكُها، ومن زخرفَها، ومن قال لها: كوني، فكانت، وتزيّني، فتزيّنت؟] ثمَّ تنفَّسَ وقال: الاشتياقُ إلى مالكِها أَوْلى بقلوبِ المشتاقين، وأطيبُ لعيشِ المُستأنسين.

ثمَّ قال: إذا كانَ الحالُ بينه وبينهم سليمًا صافوه بالمعاملة، فسقَاهم من كأسِ محبَّته شربةً، فظلُّوا في عطشهم رَاوين، وفي ريِّهم عطاشًا.

قال: ثمَّ تركني ومضى، فلقيتُ عيسى بن يونس، فحدَّثتُهُ بحديثِهِ، فقال: هذا رجلٌ لا يَنْزِلُ من موضعِهِ إلاَّ يومًا واحدًا في الجُمعة، يَجمعُ حطبًا يَبيعُه، يَكفيه إلى الجُمعة الأخرى، لا يُكلِّمُ أحدًا، ولا يُكلِّمُهُ أحدٌ، وإنِّي لأَعجبُ منه كيف كلَّمَكَ، فلقد سمعتَ منه كلامًا حسنًا[4]

---

(١) المختار ١/ ٤٦٩.

(٢) ما بين الهلالين ليس في (أ).

(٣) في (أ): قلت: نعم، أرجو.

(٤) صفة الصفوة ٤/ ٣٥٧، المختار ٥/ ٣٣١ وما بين معقوفين مستدرك منه. وفيه زيادات.

وقال: رأيتُ على جبلِ عرفة رَجلاً قد ولعَ به الولَهُ، وهو يقول:

سُبحانَ مَنْ لو سَجَدْنا بالعيونِ له ... على سَنا الشَّوكِ[1] والمُحْمَى من الإبَرِ
لم نبلغِ العُشْرَ من مِعْشارِ نعمتِهِ ... ولا العُشَيْرَ ولا عُشْرًا من العُشُرِ
هو الرَّفيعُ فلا الأبصارُ تُدركُهُ ... هو العَليُّ على العَلياءِ والقَدرِ[2]
سُبحانَ من هو أُنسي إذْ خَلَوتُ به ... في جوفِ ليلي وفي الظَّلماءِ والسَّحَرِ
أنتَ الحبيبُ وأنتَ الحِبُّ يا أمَلي ... مَنْ لي سِواكَ ومن أرجُوه يا ذُخري

وأنشد أيضًا

كم قد زَلَلْتُ فلم أذكرْكَ في زَلَلي ... وأنتَ يا واحدي[3] في الغيبِ تَذكرُني
كم أكشفُ السِّترَ جهلاً عندَ مَعصيتي ... وأنتَ تَلَطُفُ بي جُودًا وتَسترُني
لأَبكيـنَّ بـدمـعِ العَيْـنِ مِـنْ أَسَـفٍ ... لأبكيـنَّ بكـاءَ الـوالِـهِ الحَـزِنِ[4]

قال: ثمَّ غاصَ في خلالِ النَّاس، فلم أرَهُ بعد ذلك، فسألتُ عنه، فقيل لي: هذا أبو عُبيدة سالم الخوَّاص[5]، منذ سبعين سنة لم يرفعْ إلى السَّماءِ رأسَه حياءً من الله تعالى[6]

وقال داود بن رشيد: قلتُ لبشرٍ: أيشٍ خبرُك يا أبا نصر؟ وأيشٍ خبرُ أهلك؟ فقال: أمَّا خبري أنا فهذا اللَّيل والنَّهار يَنتهبانِ عُمري، وأمَّا أهلي فالماضي منهم لم يَرجعْ، والباقي لاحقٌ بهم. قال داود: فقلتُ له: عِظني. فقال: يا هذا، إنَّ اللَّيلَ والنَّهار حَثيثان يعملان فيك، فاعملْ فيهما[7]

---

(١) في صفة الصفوة ٤/ ٢٧٥، والمختار من مناقب الأخيار ٣/ ٣٦٥: شبا الشوك.
(٢) في المصدرين السابقين: سبحانه من مليك نافذ القدر.
(٣) في المصدرين السابقين: يا سيدي.
(٤) في (أ): الواله الحذري.
(٥) في (أ): أبو عبد الله، وفي (ب): أبو عبيد سلم. والمثبت من صفة الصفوة، والمختار. واسمه عباد بن عباد.
(٦) صفة الصفوة ٤/ ٢٧٦، والمختار ٣/ ٣٦٥.
(٧) المختار ١/ ٤٧٠.

وقال: كانت لي حُجرةٌ أُغلقُها إذا خرجت، وآخذُ المِفتاح معي، فجئتُ ذات يومٍ، وفتحتُ الحُجرةَ، فإذا شخصٌ طويلٌ قائمٌ يُصلي، فراعني؛ لأنَّ المِفتاحَ كان معي، فسلَّمَ من صلاته ثمَّ قال: يا بشر، لا تَفْزَعْ فأنا أخوك الخضر قال بشر: فقلتُ له: علِّمني إذًا شيئًا يَنفعُني اللهُ به فقال. قل. أستغفرُ اللهَ من كلِّ سببٍ تبتُ منه، ثمَّ عُدتُ إليه، وأسأله التَّوبةَ وأستغفرُ اللهَ من كلِّ عقدٍ عقدتُهُ لله على نفسي ففسختُهُ، ولم أفِ به، وأسأله التَّوبةَ. وأستغفرُ اللهَ من كلِّ نعمةٍ أنعمتَ بها عليَّ في طول عمري استعنتُ بها على معاصيك ومخالفتك، وأسألُكَ العصمةَ والحِميَةَ من ذلك كلِّهِ.

وقال: لا يضرُّ الثَّناءُ على مَنْ عرفَ نفسَهُ[1]

وقال: ما أُتي الخلقُ إلَّا من اعتمادهم على ما أعطاهم اللهُ من الصحَّةِ، والسَّلامة، والعافية[1]

وقال: لا يفلحُ من يقول: بأيِّ شيءٍ آكل خبزي؟[1]

وقال: بلغني أنَّه ما اغرورقتْ عينُ عبدٍ بمائها إلَّا حرَّمَ اللهُ سائرَ جسدِهِ على النَّار، وإنْ فاضتْ على وجهِهِ، لم يَرْهَقْ وجهَهُ قترٌ ولا ذلَّةٌ، وإنَّها تُطفئُ النِّيران، ولو أن عبدًا بكى في أُمَّةٍ من الأمم من خشيةِ الله، لرحمَ اللهُ تلك الأُمَّةَ ببكائه[1]

وقال: سكوتُ النَّفسِ إلى قَبولِ المدح، أشدُّ عليها من ذُلِّ المعاصي

وقال: كان العلماءُ يعتدون[2] بثلاثةِ أشياء: صدقِ اللِّسان، ومطعمٍ طيِّبٍ، ومَسكنٍ صالحٍ، وأنا اليوم لا أعرفُ في هؤلاء أحدًا فيه من هذه الخصال واحدةٌ، فكيف أعبأُ بهم؟ هؤلاء يتغايرون على الدُّنيا، ويتحاسدون، ويمشون إلى أصحابِ الدُّنيا، فيغتابُ بعضُهم بعضًا

---

(١) المختار ٩/ ٤٧٠. وانظر قول أبي سليمان الداراني صفحة ٢٣٧.

(٢) في (ب): يقتدون.

عندهم، ويقولون لصاحبِ الدُّنيا: أَدخلني، وأَخرجْ فلانًا، ويحكَ لا تُبالي أن لا يدخلَ عليه مثلُ هؤلاء، ويَحكُم أنَّ الأنبياءَ عليهمِ السَّلام لم يتركوا دينارًا ولا دِرهمًا، إنَّما ورَّثوكم العلمَ؟ فأنتم حملةُ العلمِ زعمتم، ثمَّ حملةُ القرآن، وما على أحدِكم أن لا يستكثرَ من الدُّنيا، فإنَّما هو فيها كعابر سبيل، وكأنَّه بالرَّسولِ قد أتاه، وأخذ نفسَهُ، وبقي الحسابُ، وجاءتِ الحسرةُ والنَّدامة، ما ظنُّكَ بمَلَكِ الموت والدُّنيا بين يديه كالطَّبق، يمدُّ يدَه من المشرقِ، فيتناولُ روحَ مَنْ بالمغرب؟ فليطلبْ أحدُكم من الدُّنيا معاشًا يبلغه، وقلَّةَ العيال، فما في الدُّنيا شيءٌ أبغضُ إليَّ من مُقرئٍ يسألُ[1] النَّاسَ، فيجعله كسبًا، ولا يَكادُ يسلمُ منه في هذا الزَّمان خاصَّةً.

وقال: إنِّي لأذكرُ المعافى بنَ عمران فأنتفعُ بذكره، وقد ذهبَ الذين كان لا يَسقطُ كلامُهم ولا حديثُهم، ولا أَعلمُ بقي اليومَ في شرقِ الأرض وغربها أحدٌ مثلُ أولئك، إنَّما بقي شيخٌ له حُسن سميتٍ، لا ينظر إلى مطعمِ[2]، أو شابٌ يتألَّفُ النَّاسَ لنفسِهِ، فمتى يُفلحُ هؤلاء؟ إنَّ ذكرَ هؤلاءِ كدنسٍ، فعليكم بالمطعم، فانظروا فيه؛ فإنَّه أنفعُ لكم من نَوافلِ الصَّلاة، وعليكم بالفروضِ فأدُّوها.

وقال منصور الصيَّاد: مرَّ بي بشر بن الحارث، وهو مُنصرفٌ من صلاةِ العيد، فقال لي: في هذا الوقت؟! فقلتُ له: يا أبا نصر، ما في البيتِ شيءٌ، لا دقيق ولا خبز فقال: اللهُ المُستعان، احمل شبكتَكَ، وتعالَ إلى الخندق. قال منصور: فحملتُ الشَّبكةَ، وجاء بشر، فقال لي: يا منصور، توضَّأ للصَّلاةِ، وصلِّ ركعتين. ففعلتُ ذلك، فقال لي: ألقِ شبكتَكَ، وقل: بسم الله. فألقيتُها، فوقع فيها شيءٌ ثقيل، ظننتُ أنَّه آجرٌّ، فقلتُ: يا أبا نصر، أَعنِّي؛ فإنِّي أخافُ أن تَنخرقَ الشَّبكةُ، فجذبنا جميعًا

---

(١) أبغض إليَّ ممن يسأل.

(٢) اي لا ينظره أحلال هو أم حرام.

الشَّبكةَ، فإِذا فيها سمكةٌ كبيرة، فقال: خذْها، وبعها، واشترِ لعيالِكَ ما يحتاجون إِليه. قال منصور: فدخلتُ من بابِ المدينة، فاستقبلني رجلٌ راكبٌ على حمارٍ، فقال: بكم السَّمكة؟ فقلت: بعشرةِ دراهم. فوزن لي عشرة دراهم، فاشتريتُ بها كلَّ ما أحتاجُ إِليه، وجئتُ إِلى البيتِ، فلمَّا فرغوا ممَّا يحتاجون إِليه، قلتُ لهم: خذوا رُقاقتين، واجعلوا لي عليها من الحَلواء، حتَّى أذهبَ به إِلى بشر. فجئتُ به إِلى بشر، فدققتُ عليه الباب، فقال: من هذا؟ فقلتُ: مَنصورُ الصَّياد. فقال: ادفعِ الباب، وضع ما معك في الدِّهليز، وادخُلْ أنت. قلتُ له: يا أبا نصر، قد سوَّيتُ للصبيان شيئًا، وقد أكلوا، وأكلتُ معهم، ومعي رقاقتان بينهما حلوى. فقال: يا منصور، لو ألهمنا أنفسنا هذا ما خرجتِ السَّمكةُ، اذهب فكلْهُ أنتَ مع عيالك(١)

وقال: مثلُ الذي يأكلُ الدُّنيا بالدِّينِ مثلُ الذي يَغسلُ يديه من الزُّهونة بالسَّمك، ويطفىء النَّار بالحلفا.

وقال: قِيل لمحمد بن واسع: كيفَ أَصبحتَ؟ فقال: أَصبحتُ سيِّئًا عملي، قريبًا أجلي، بعيدًا عملي.

وقال عمرُ ابنُ أخت بشر: سمعتُ خالي بشرًا يَقول لأمي: جوفي وجعٌ، وخواصري تَضربُ عليَّ. فقالت له أُمي: يا أخي، أتأذنُ لي حتَّى أُصلحَ لك قليل حساء، بكفٍّ دقيقٍ عندي، تتحسَّاه، يَرمُّ جوفَك. فقال لها: ويحك، أخافُ أن يقول لي: من أين لك هذا الدَّقيق؟ فلا أَدري أيشٍ أقول له! فبكت أُمي، وبكى، وبكيت معهما(٢)

قال عمر: ورأتْ أُمي ما بخالي من شدَّةِ الجوع، وهو يتنفَّسُ تَنفُّسًا

---

(١) المختار ١/ ٤٧١

(٢) صفة الصفوة ٢/ ٣٢٩، المختار ١/ ٤٦٠.

ضعيفًا، فقالت له: يا أخي، ليتَ أُمَّكَ لم تلدْني[1]، فقد واللهِ كادَ كبدي ينقطعُ عليك[2]؛ ممَّا أرى بك. فسمعتُه يقول لها: وأنا، فليتَ أُمي لم تلدني، وإذ ولدتني لم يدرَّ لها عليَّ ثديٌ. قال عمر: فكانتْ أُمي تَبكي عليه الليلَ والنَّهار[3]

وقال أبو بكر بن أبي داود: دخلتُ قريةَ بشر بن الحارث وهي من مرو على ستَّةِ أميال، يُقال لها مابَرْسَام، وأقمتُ بها ستَّةَ أشهرٍ، وكتبتُ بها عن عليِّ بن خَشرم، (وقال: هذه دار عبد الرَّحمن جدِّي وجدُّ بشر بن الحارث، أنا علي بن خشرم بن)[4] عبد الرَّحمن وبشر بن الحارث بن عبد الرَّحمن، وجهتُ إليه بثمنِ حصَّةِ أبيه منها، فأخرجَ إليَّ كتابًا، وقال: هذه رسالة بشرِ بنِ الحارث إليَّ، وإذا فيه:

من أبي نصر إلى أبي الحسن عليِّ بن خَشْرم: بسم الله الرَّحمن الرَّحيم، سلامٌ عليك، أمَّا بعد، فإنِّي أَحمدُ إليك الله الذي لا إله إلاَّ هو، وأسألُهُ أن يُتمَّ ما بنا وبكم من نعمة[5]، وأن يرزقَنَا وإيَّاكم الشُّكرَ على إحسانه، وأنْ يُحيينا وإيَّاكم، ويُميتنا وإيَّاكم على الإسلام، فقيه إن يسلم لنا ولكم خلفٌ من كلِّ تلف، وعِوضٌ من كلِّ رزيَّةٍ، وأُوصيكَ يا عليُّ بتقوى الله، ولزومِ أمره، والتَّمسُّكِ بكتابه، واتِّباعِ آثار القوم الذين سبقونا بالإيمان، وسهَّلوا لنا السَّبيل، فاجعلهم نُصبَ عينك، وأكثرْ ذكر عَرْض حالاتهم عليك، فالأُنس بهم في الخلا (يُعينك على مشاهدة الملا، ويعزِّونك في البلى، فمثِّلْ حالاتهم كأنَّكَ مُشاهدُهم)[6]، فمُجالسةُ

(١) في (أ): لم تلدك.
(٢) في (أ): ينقطع عليّ.
(٣) صفة الصفوة ٢/ ٣٣٠، المختار ١/ ٤٦٠.
(٤) ما بين الهلالين ليس في (أ).
(٥) في (أ): أن يتاويك من نعمة.
(٦) ما بين الهلالين ليس في (أ).

أصحابِ رسولِ الله ﷺ أوفقُ من مُجالسة الموتى، الذين يَنظرون في عيوبِ النَّاس، ويَبتغون عوراتهم، واعلمْ، علَّمَكَ الله الخيرَ، وجعلَكَ من أهله أنَّ أكثرَ عمرِكَ فيما أرى قد انقضى، ومن يرضى حاله قد مضى، وأنت لا حقٌ بهم ومَطلوبٌ، وصاحبُكَ قادرٌ، وأنت أسيرٌ في يديه، وكلُّ الخلقِ في كبريائه صغير، وجميعُهم إليه فقير، فلا يشغلُكَ كثرةُ من يُحيط بك، واضرعْ إليه تَضرُّعَ ذليلٍ إلى عزيز، وفقير إلى غنيٍّ، وضعيفٍ إلى قويٍّ، وأسير لا يجد منه مَلجأ، ولا عنه مَحيصًا، مقرٌّ بخطاياه، خائفٍ لما قدَّمتْ يداه، لا يقطعُ الرَّجاء، ولا يَدع الدُّعاء، ولا يأمن الفقرَ والبلاءَ، ولعلَّه إذا رآكَ كذلك عطَفَ عليك بعطفِهِ وفضلِه، وأَمدَّكَ بمعونته، وبلغَ بك ما تأملُهُ من عفوه ورحمته، فافزعْ إلى الله في نوائبك، واستعنْه على ما ضَعفتْ فيه قوَّتُكَ، فإنَّك إذا فعلتَ ذلك قرَّبَكَ لخضوعك، ووجدتَهُ أسرعَ إليك من أبويك، وأقربَ إليك من نفسك، وبالله التَّوفيق، وإيَّاهُ أسألُ خيرَ المواهب لنا ولكم

واعلم يا عليُّ، أنَّه من ابتُلي بالشُّهرةِ ومعرفةِ النَّاس فمصيبتُهُ جليلةٌ، فجبرَها اللهُ لنا ولكم بالخضوعِ والاستكانة والذُّلِّ لعظمته، وكفانا وإيَّاكَ فتنتَهما، وسوءَ عاقبتهما، فإنَّه يتولَّى ذلك من أوليائه، ومن أراد توفيقه.

ارجعْ يا عليُّ إلى أقربِ الأمرين، إلى رضا ربِّك، ولا ترجع إلى مَحمدةِ أهلِ زمانك ولا ذمِّهم، فإنَّه من كان يَتقي ذلك قد مات، إنَّما أنتَ في محلِّ الموتى ومقابرِ أحياءٍ، ماتوا عن الآخرةِ، ودرستْ عن طريقها آثارُهم، فبيوتُ أهلِ زمانك قبورٌ لا يُستضاءُ فيها بنورِ الله، ولا يُستعمل فيها كتابُه إلاَّ من عصم الله، واعلم أن حظَّك في بُعْدهم أقربُ من حظِّك في قُرْبهم، فلا تأسَ على بُعدهم، وحسبُكَ الله، واتَّخذه أنيسًا، ففيه الخلفُ منهم، وليسَ منهم خلفٌ في خلوة ساعةٍ، فاحذرْ أهلَ زمانك وما في العيشِ مع من تظنُّ به في زمانك الخير، ولا مع من يُساء به الظَّنُّ خير، [وما ينبغي أن تكونَ طلعةٌ أبغضَ إلى عاقلٍ تهمُّهُ نفسُه من طلعةِ

إنسانٍ في زمانك] لأنَّك منه على شرفِ غيبةٍ[1] إن جالستَه، ولا تأمنُ من بلائه إن جانبته، فالموتُ في العزلة خيرٌ من الحياةِ والسَّلامةِ، والعافيةُ في العزلةِ، وكفى بالسَّلامةِ فضلاً، اجعلْ أذنَكَ عمَّا يؤثمك صمَّاء، وعينَكَ عنه عمياء، واحذرْ سوءَ الظَّنِّ، فقد حذَّرَكَ اللهُ ذلك، والسَّلام[2]

وقال: لو تفكَّرَ النَّاسُ في عظمةِ الله لما عَصوه[3]

وقال جعفر المغازلي: رأيتُ على بشر بن الحارث قميصًا خَلَقًا، فقلتُ له: أعتقْ هذا القميص. فقال لي: حتَّى يعتقَ لصاحبه[4]

وقال الجوهري: سمعتُ بشرًا يقول في جنازةِ أُختِهِ: إذا قصَّرَ العبدُ فيما بينه وبين اللهِ تعالى، أخذَ منه من كان يُؤنسُهُ.

* * *

(١) في الحلية ٨/ ٣٤٣: فتنة.

(٢) حلية الأولياء ٨/ ٣٤٢، وما بين معقوفين مستدرك منه.

(٣) حلية الأولياء ٨/ ٣٣٧، المختار ١/ ٤٤٩

(٤) تهذيب الأسرار ٢٥٣، المختار ١/ ٤٧١.

(٦) السَّرِيُّ السَّقطي(*)

ومنهم: أبو الحسن السَّرِيُّ بن المُغَلِّس السَّقطي، خالُ الجُنيد وأستاذه، رحمهما الله تعالى، صحبَ معروفَ الكرخي.

كان أوحدَ زمانه في الورع والأحوال السَّنية، وعلومِ التَّوحيد، وهو أوَّلُ من تكلَّمَ فيها ببغداد، وإليه ينتمي أكثرُ المشايخ(١)

مات ببغداد في سنة إحدى وخمسين، وقيل: سبعٍ وخمسين ومئتين(٢)، وقبرُهُ بالشُّونيزيَّةِ(٣)، ظاهرٌ بها يُزار

وسببُ زهده أنَّه كان له دكَّانٌ في السُّوق، ويتردَّدُ إلى معروفٍ الكرخي، قال: فجاءه يومًا وهو في حانوته، ومعه صبيٌّ يتيمٌ، فقال. اكْسُ هذا اليتيم. قال السَّرِيُّ: فكسوتُهُ، ففرح معروفٌ بذلك، وقال لي: بغَّضَ اللهُ إليك الدُّنيا، وأراحَكَ ممَّا أنت فيه. فقمتُ من الحانوتِ، وليس

(*) طبقات الصوفية ٤٨، حلية الأولياء ١٠/١١٦، تاريخ بغداد ٩/١٨٧، الرسالة القشيرية ٤٣، صفة الصفوة ٢/٣٧١، المختار من مناقب الأخيار ٢/٤٧٥، وفيات الأعيان ٢/٣٥٧، مختصر تاريخ دمشق ٩/٢١٥، سير أعلام النبلاء ١٢/١٥٨، العبر ٢/٥، الوافي بالوفيات ١٥/ترجمة ١٩٣، مرآة الجنان ٢/١٥٨، البداية والنهاية ١١/١٣، طبقات الأولياء ٢٣٢، لسان الميزان ٣/١٣، النجوم الزاهرة ٢/٣٣٩، نفحات الأنس ٧٩، طبقات الشعراني ١/٧٤، طبقات المناوي ١/٦١٨، شذرات الذهب ٢/١٢٧، جامع كرامات الأولياء ٢/٢١

(١) انظر طبقات الصوفية ٤٨، والرسالة القشيرية ٤٣

(٢) وقيل سنة ثلاث وخمسين، وقيل: ست وخمسين. انظر تاريخ بغداد ٩/١٩٢، والمختار ٢/٤٩٢.

(٣) الشونيزية: مقبرة بالجانب الغربي من بغداد، دفن فيها جماعة من الصالحين.

شيءٌ أبغضَ إليَّ من الدُّنيا، وكلُّ ما أنا فيه من بركاتِ معروف[1]

وقال الجُنيد: ما رأيتُ أعبدَ من السَّريِّ! أتتْ عليه ثمانٌ وتسعون سنةً ما رُئي مُضجعًا إلَّا في علَّةِ الموت[2]

وقال السَّريُّ: التَّصوف اسمٌ لثلاثِ معانٍ، وهو الذي لا يطفئُ نورُ معرفته نورَ ورعه، ولا يَتكلَّمُ في علمِ الباطن ينقضُهُ عليه ظاهرُ الكتاب، ولا تحملُهُ الكراماتُ على هتكِ أستارِ محارمِ الله[3]

وقال الجُنيد: سألني السَّريُّ يومًا عن المحبَّةِ، فقلتُ له: قال قومٌ: هي الموافقة، وقالَ قومٌ: هي الإيثار، وقال قومٌ: كذا، وقال قومٌ: كذا. فأخذَ السَّريُّ جلدةَ ذراعه ومدَّها، فلم تمتدَّ، ثمَّ قال: وعزَّتِهِ، لو قلتُ: إنَّ هذه الجلدةَ يَبستْ على هذا العظمِ من محبَّتِهِ لصدقتُ. ثمَّ غُشي عليه، فدارَ وجهُهُ كأنَّه قمرٌ مُشرق، وكانَ السَّريُّ به أُدمة[4]

وقال: أنا في الاستغفارِ مُنذ ثلاثين سنة عن قولِ مرَّةٍ الحمدُ لله. قيل: كيف ذلك؟ قال: وقعَ حريقٌ ببغداد، فاستقبلني رجلٌ، وقال: نجا حانوتُكَ. فقلتُ. الحمدُ لله. فأنا مُنذ ذلك الوقت نادمٌ على قولي، حيثُ أردتُ لنفسي خيرًا دون المسلمين[5]

وقال: أنا أنظرُ في أنفي كلَّ يوم مِرارًا مخافةَ أن يكون قد اسودَّ، خوفًا من الله تعالى أنْ يُسوِّدَ صورتي لما أتعاطاه[6]

وقال: أعرفُ طريقًا مُختصرًا قصدًا إلى الجنة. فقيل له: ما هو؟ قال:

---

(١) الرسالة القشيرية ٤٣، وفيات الأعيان ٢/ ٣٥٨

(٢) الرسالة القشيرية ٤٤.

(٣) تهذيب الأسرار ٢٥، الرسالة القشيرية ٤٤، مختصر تاريخ دمشق ٩/ ٢٢٧

(٤) الرسالة القشيرية ٤٤، وانظر تهذيب الأسرار ٣٥١. والأدمة: السُّمْرة.

(٥) الرسالة القشيرية ٤٥.

(٦) الرسالة القشيرية ٤٥، في (أ): اتعطاه.

لا تَسألْ من أحدٍ شيئًا، ولا تأخذْ من أحدٍ شيئًا، ولا يكون معك شيءٌ تعطي أحدًا[1]

وقال: أَشتهي أن أموتَ ببلدٍ غيرِ بغداد. فقيل له: ولِمَ ذلك؟ قال: أخافُ أن لا يقبلني قبري، فأفتضح[2]

وقال الجُنيد. سمعتُ السَّريَّ يقولُ في بعضِ دُعائه: اللَّهُمَّ، ما عذَّبتني بشيءٍ، فلا تُعذِّبْني بذلِّ الحجاب[2]

وقال أيضًا: دخلتُ يومًا على السَّريِّ، وهو يَبكي، فقلتُ له ما يُبكيك؟ فقال: [كنت صائمًا] فجاءتني البارحةَ الصَّبية، فقالت: يا أَبتي، هذه ليلةٌ حارَّةٌ، فأعلِّقُ هذا الكوز؛ لعلَّه يبرد، فتُفطر عليه. ثمَّ حَملتني عيناي، فنمتُ، فرأيتُ في المنام جاريةً مِنْ أحسنِ الخلقِ، قد نزلتْ من السَّماء، فقلتُ: لمن أنتِ؟ قالت: لمن لا يشربُ الماءَ البارد في الكِيزان. فتناولتُ الكوزَ، فضربتُ به الأرض. قال الجُنيد: فرأيتُ الخَزَفَ المكسورَ لم يمسَّهُ ولم يرفعْه، حتَّى عفا عليه التُّراب[3]

وقال: من أرادَ أن يسلمَ له دينُهُ، ويستريحَ بدنُهُ، ويقلَّ غمُّه، فليعتزلِ النَّاس؛ لأنَّ هذا زمانُ عُزلةٍ ووحدةٍ[4]

وقال. كلُّ الدُّنيا فضولٌ إلاَّ خمسُ خصال: خبزٌ يُشبعه، وماءٌ يَرويه، وثوبٌ يَستره، وبيتٌ يُكنُّه، وعِلمٌ يَستعمله[5]

وقال: التَّوكُّلُ الانخلاعُ عن الحولِ والقوَّة[6]

---

(١) طبقات الصوفية ٤٩

(٢) تهذيب الأسرار ٤٠٨، الرسالة القشيرية ٤٥

(٣) طبقات الصوفية ٤٦، المختار ٢/ ٤٧٩.

(٤) طبقات الصوفية ٥٠

(٥) طبقات الصوفية ٥٠، المختار ٢/ ٤٨٤، وفي (أ): وبيت يسكنه.

(٦) المختار ٢/ ٤٨٤.

و: أربعٌ من أخلاقِ الأَبدال: استقصاءُ الورع، وتصحيحُ الإرادة، وسلامةُ الصَّدرِ للخلقِ، والنَّصيحةُ لهم(١)

و: أربعُ خصالٍ يَرفعُ اللهُ العبدَ بها: العِلم، والأدبُ، والدِّينُ، والأمانة(٢)

وقال: من لم يعرفْ قدرَ النِّعم، سلبَها اللهُ من حيث لا يعلم(٣)

و: من هانتْ عليه المصائبُ، أحرزَ ثوابَها(٣)

و: قليلٌ من العملِ في سُنَّةٍ خيرٌ من كثيرٍ في بدعةٍ، وكيف يَقِلُّ عملٌ مع تقوى؟!(٣)

وقال: الأمورُ ثلاثةٌ: أمرٌ بانَ لك رُشدُه فاتَّبعْه، وأمرٌ بانَ لك غَيُّه فاجتنبْهُ، وأمرٌ أَشكلَ عليك فقف عنده وكِلْهُ إلى الله تعالى، وليكنِ اللهُ دليلَكَ، واجعلْ فقرَكَ إليه تستغنِ به عمَّن سِواه(٣)

وقال: أَقوى القوَّةِ غلبتُكَ نفسك، ومَن عَجَزَ عن أدب نفسه، كانَ عن أدبِ غيره أَعجز، ومَن أطاعَ مَن فوقَهُ، أطاعَهُ مَنْ دونه(٤)

و: مَنْ خافَ اللهَ خافَه كلُّ شيءٍ(٤)

وقال: لسانُكَ تَرجُمانُ قلبِك، ووجهُكَ مرآةُ قلبك، فيبيِّنُ على الوجهِ ما يَضمرُ القلبُ(٤)

والقلوبُ ثلاثةٌ: قلبٌ مثلُ الجبل، لا يُزيلُه شيءٌ، وقلبٌ مثلُ النَّخلة، أَصلُها ثابتٌ والرِّيحُ تُميلها، وقلبٌ كالرِّيشة، يَميل مع الرِّيح يمينًا وشمالاً(٤)

---

(١) طبقات الصوفية ٥١.

(٢) في (أ) زيادة: الإرادة لتصبح خمس خصال. وفي طبقات الصوفية ٥١: العفة بدل الدين.

(٣) طبقات الصوفية ٥٢.

(٤) طبقات الصوفية ٥٣.

وقال. تُدعى الأممُ يومَ القيامةِ بأنبيائها، فيُقال: يا أُمَّةَ مُوسى، ويا أُمَّةَ عيسى، ويا أُمَّةَ محمد، غير المحبِّين لله، فإنَّهم يُنادون: يا أَولياء الله، هلمُّوا إلى الله، فتكاد قلوبُهم تتخلَّع فرحًا[1]

وقال: لا تَصرِمْ أخاكَ على ارتياب، ولا تَدعْه دونَ الاستعتاب[2]

و: إنِ اغتممتَ على ما يَنقُصُ من مالك، فابكِ على ما ينقُصُ من عمرك[2]

وقال: مِنْ علامةِ المعرفة بالله القيامُ بحقوقه، وإيثارُهُ على النَّفس فيما أَمكنتْ فيه القدرة[2]

و حسنُ الخلقِ كفُّ الأذى عنِ النَّاس، واحتمالُ الأذى منهم بلا حقدٍ ولا مكافأة[2]

و: من علامةِ الاستدراج العَمَى عن عيوب النَّفس[3]

وقال: خيرُ الرِّزق ما سَلَمَ [من خمسةٍ]: من الآثام في الاكتساب، والمذلَّةِ والخُضوعِ في السُّؤال، والغشِّ في الصَّناعة، وأثمانِ آلةِ المعاصي، ومُعاملةِ الظَّلمة[4]

و: أحسنُ الأشياءِ خمسةٌ: البكاءُ على الذُّنوب، وإصلاحُ العيوب، وطاعةُ علاَّمِ الغيوب، وجلاء[5] الرَّين من القلوب، وأنْ لا تكونَ لما تَهوى ركوبَ[6]

وقال: خمسةٌ أشياء لا يسكنُ في القلب معها غيرُها: الخوفُ من الله

---

(١) تهذيب الأسرار ٦٢، وفيه: تنخلع فزعاً.
(٢) طبقات الصوفية ٥٣.
(٣) طبقات الصوفية ٥٤.
(٤) طبقات الصوفية ٥٤، وما بين معقوفين مستدرك منها.
(٥) في (أ): وخلاء.
(٦) طبقات الصوفية ٥٤.

وحدَه، والرَّجاءُ للهِ وحدَه، والحبُّ لله وحدَه،والحياءُ من الله وحدَه، والأُنسِ بالله وحده[1]

و: إذا ابتدأَ الإنسانُ بالنُّسُكِ، ثمَّ كتبَ الحديثَ فتَرَ، وإذا ابتدأَ بكَتْبِ الحديثِ ثمَّ نَسَكَ نَفَذَ[2]

و: أجلدُ النَّاسِ من مَلَكَ غضبَهُ[3]

و: من تزيَّنَ للنَّاسِ بما ليس فيه سقطَ من عينِ الله[4]

وقال: لن يَكْمُلَ الرَّجلُ حتَّى يُؤثِرَ دينَه على شهوته، ولن يَهلِكَ حتَّى يُؤثِرَ شهوتَهُ على دينِه[5]

وقال الجُنيد: جاءَ رجلٌ إلى السَّريِّ، فقال له: كيفَ أنت؟ فأنشأ يقول:

من لم يَبِتْ والحُبُّ حَشْوُ فُؤادِهِ   لـم يـدرِ كيـفَ تفتُّـتُ الأكبـادِ[6]

وقال علي بن الحُسين بن الحرب: بعثني أبي إلى السَّريِّ بشيءٍ من حبِّ السُّعال لسعالٍ كان به، فقالَ لي: كم ثمنُهُ؟ قلتُ: لم يُخبرني بشيءٍ. فقال: اقرأْ عليه السَّلام، وقل له: نحن نُعلِّمُ النَّاسَ منذ خمسين سنة أن لا يَأكلوا بأديانهم، فترانا نأكلُ اليومَ بأدياننا؟! ولم يأخذه[7]

وقال: عجبتُ لمن غدا وراح في طَلَبِ الأرباح، وهو مثلُ نفسِهِ لا يَربحُ أبدًا[8]

---

(١) طبقات الصوفية ٥٤.
(٢) طبقات الصوفية ٥٥
(٣) طبقات الصوفية ٥٤
(٤) طبقات الصوفية ٥٤، الرسالة القشيرية ٣١٦ (الإخلاص).
(٥) تهذيب الأسرار ١٧٥، الرسالة القشيرية ٥٥.
(٦) حلية الأولياء ١٠/ ١١٩، المختار ٢/ ٤٨٤.
(٧) حلية الأولياء ١٠/ ١١٧، المختار ٢/ ٤٨٠.
(٨) حلية الأولياء ١٠/ ١١٨، المختار ٢/ ٤٨٨

و: لو أشفقتْ هذه النُّفوسُ على أبدانِها شفقتَها على أولادِها، للاقتِ السُّرورَ في معادها[1]

و: المَغبونُ من فنيتْ أيامُهُ في التَّسويف، والمَغْبُوطُ من تمنَّى الصَّالحونَ مقامَهُ[1]

وقال: لو أنَّ رجلاً دخلَ إلى بستانٍ فيه جميعُ ما خلقَ اللهُ من الأشجار، عليها كلُّ ما خلقَ اللهُ من الأطيار، يُخاطبُهُ كلُّ طيرٍ منها بلغتِهِ، وقال له: السَّلامُ عليك يا وليَّ الله. ثمَّ سكنتْ نفسُهُ إلى ذلك، لكان في يدي نفسِهِ أسيرًا[2]

وقال: صلَّيتُ وِردي ليلةً من اللَّيالي، ثمَّ مَددتُ رجلي في المحراب، فنُوديتُ: يا سريُّ، كذا تُجالس الملوك؟ قال: فضممتُ رجلي، ثمَّ قلتُ وعزَّتِكَ، لا مَددتُ رجلي أبدًا[3]

وقال: لا تركنْ إلى الدُّنيا، فينقطع عن الله حبلُكَ، ولا تَمشِ في الأرض مَرحًا، فإنَّها عن قليل قبرُكَ[4]

و: ينبغي أن تكونَ أخوفَ ما تكون من الله، آمَنَ ما تكونُ منه[4]

وقال: قلوبُ المقرَّبين مُعلَّقةٌ بالسَّوابق، وقلوبُ الأبرار مُعلَّقةٌ بالخواتيم، هؤلاء يقولون: بماذا يُختم لنا؟ وأولئك يقولون: ماذا سبقَ لنا؟[4]

و: مَنِ استعملَ التَّسويفَ طالَ حزنُهُ يومَ القيامة[5]

وقال أبو بكر النَّساج: سمعتُ السَّريَّ يقول: لو علمتُ أنَّ جلوسي في

---

(١) حلية الأولياء ١٠/ ١١٨، المختار ٢/ ٤٨٨

(٢) حلية الأولياء ١٠/ ١١٨، المختار ٢/ ٤٨٣

(٣) حلية الأولياء ١٠/ ١٢٠، المختار ٢/ ٤٧٦.

(٤) حلية الأولياء ١٠/ ١٢١، المختار ٢/ ٤٨٥.

(٥) المختار ٢/ ٤٨٦، وفيه: طالت حسرته.

البيتِ أفضلُ من خروجي إلى المسجد ما خرجتُ، ولو علمتُ أنَّ انفرادي عنكم أفضلُ من جلوسي معكم ما جالستُكم، ولكنّي إن دخلتُ اقتضانيَ العلم لكم، وإنْ خرجتُ نافَرَتْنيَ الحقيقةُ، فأنا عند مُنافرتي مُسْتَحْيٍ، وأنا عند اقتضاءِ العلم محجوج[1].

ورُوِيَ أنَّ السَّريَّ لمَّا تركَ التّجارة، كانت أختُهُ تُنفقُ عليه من ثمن غزلها، فأبطأتْ يومًا، فقال لها: لِمَ أبطأْتِ؟[2] فقالتْ: لأنَّ غزلي ما اشْتُرِي، وذكروا أنَّه مُخلَّطٌ. فامتنعَ من أكلِ طعامِها، فدخلتْ عليه أختُهُ يومًا، فرأتْ عجوزًا تَكنُسُ بيته، وقد حملتْ له رغيفين، فحزنتْ، وشكتْ إلى أحمدَ بنِ حنبل، فقال أحمد ذلك للسري، فقال: لمَّا امتنعتُ من أكلِ طعامِ أختي، قيَّضَ اللهُ لي الدُّنيا لتنفقَ عليَّ، وتخدمني[3].

وقال: اعتللتُ بطَرَسوس علَّةَ الذَّرب[4]، فدخلَ عليَّ ثُقلاءُ القرّاءِ يَعودوني، وجلسوا، فأطالوا، فآذاني جلوسُهم، ثم قالوا: إنْ رأيتَ أن تدعو الله تعالى. فمددتُ يدي، وقلت: اللَّهُمَّ، علِّمنا كيفَ نعودُ المرضى[5].

وقال أحمدُ بن خلف: دخلتُ يومًا على السَّريِّ، فقال لي: أُعجِّبُكَ[6] من عصفورٍ يَجيءُ، فيسقطُ على هذا الرُّواق، فأكون قد أعددتُ له لُقيمةً، فأفُتُّها في كفِّي، فيسقط على أطرافِ أناملي، فيأكلُ ويَنصرف، فلمَّا كان في وقتٍ من الأوقات سقطَ على الرُّواق، ففتتُّ له الخبز، فلم يَسقطْ كما

---

(١) حلية الأولياء ١٠/ ١٢٢، المختار ٢/ ٤٨٦ وفيه: ولو علمت أن جلوسي معكم أفضل من جلوسي في البيت ما جلست.
(٢) في (أ): ما أبطأك.
(٣) تهذيب الأسرار ٣٦٧، المختار ٢/ ٤٨٠.
(٤) الذرب: فساد المعدة. القاموس.
(٥) حلية الأولياء ١٠/ ١٢٢، المختار ٢/ ٤٨٦، نفحات الأنس ٨١.
(٦) في الحلية: ألا أعجبك.

كان، ففكَّرتُ في نفسي ما العلَّةُ في وحشتِهِ منّي؟ فوجدتني قد أَكلتُ مِلحًا مُطيَّبًا، فقلتُ في سِرِّي: اللَّهُمَّ، إنِّي تائبٌ إليك من المِلح المُطيَّبِ. فسقطَ على كفِّي كما كان، فأكلَ وذهب[1]

وقال. ثلاثٌ من أخلاق المؤمنين: القيامُ بالفرائض، واجتنابُ المحارم، وتَرْكُ الغفلة.

وثلاثٌ من أخلاقِ الأبرار يُبلِّغْنَ العبدَ رضوان الله: كثرةُ الاستغفار، وخفضُ الجناح، ومداومةُ الصّدقات[2]

وثلاثٌ من أبوابِ سَخَط الله: اللَّعبُ، والاستهزاءُ، والغِيبة، وأمَّا عمودُ الدِّينِ وذروةُ سَنَامه فحسنُ الظَّنِّ بالله[3]

وقال الجُنيد: سمعتُ السَّريَّ يقول: خفيتْ عليَّ علَّةٌ ثلاثين سنة، وذاك أنَّا كُنَّا جماعةً نُبكِّرُ إلى الجمعة، ولنا أماكنُ قد عُرفتْ بنا، لا يَكادُ نخلو عنها، فماتَ رجلٌ من جيراننا يومَ جمعةٍ، فأحببتُ أن أُشيِّعَ جنازتَهُ، فشيَّعْتُها وأضحيتُ عن وقتي، ثمَّ جئتُ أُريدُ الجمعة، فلمَّا قربْتُ من الجامع، قالتْ لي نفسي الآن يَرونك قد أَضحيتَ[4] وتخلَّفْتَ عن وقتك. فشَقَّ ذلك عليَّ، فقلتُ لنفسي: أراكِ مُرائيةً منذ ثلاثين سنة، وأنا لا أدري! فتركتُ ذلك المكانَ الذي كنتُ أُصلِّي فيه، وجعلتُ أُصلِّي في أماكنَ مختلفةٍ لئلا يُعْرَفَ مكاني، وقضيتُ صلاةَ الجمعةِ لمدَّةِ ثلاثين سنة[5]

وقال الجُنيد: كان يقول لنا السَّريُّ ونحن حولَه: أنا لكم عِبرةٌ يا معشرَ الشَّباب، اعملوا فإنَّما العملُ في الشَّبيبة. وكان إذا جنَّ عليه اللَّيلُ دافع

---

(١) حلية الأولياء ١٠/ ١٢٣، تهذيب الأسرار ٣٥٨، المختار ٢/ ٤٨٠

(٢) في المختار: وكثرة الصدقات.

(٣) الحلية ١٠/ ١٢٣، المختار ٢/ ٤٨٦.

(٤) في (أ): أصبحت.

(٥) حلية الأولياء ١٠/ ١٢٥، المختار ٢/ ٤٨٠

أوَّله، ثمَّ دافع، [ثمَّ دافع] فإذا غلبَهُ الأمرُ أخذَ في النَّحيبِ والبكاء[١]

وقال الجُنيد: دخلتُ يومًا على السَّريِّ، فرأيتُهُ مُتغيِّرًا، فقلت: ما لَكَ؟ فقال: دخلَ عليَّ شابٌ فسألني عن التّوبةِ، فقلتُ له: أن لا تَنسى ذنبَكَ. فعارضني، فقال لي: بل التَّوبةُ أن تنسى ذنبَكَ. فقلتُ: إنَّ الأمرَ عندي على ما قالَهُ الشَّابُ. فقال: ولِم؟ فقلتُ: لأنِّي إذا كنتُ في حال الجفاء، ثمَّ نقلني إلى حالِ الوفاء، فذكرُ الجفاءِ في وقت الوفاءِ جفاء. قال: فسكت[٢]

فقال: إيَّاكم وجيرانَ الأغنياء، وقرَّاءَ الأَسواق، وعلماءَ الأمراء[٣]

ثمَّ قال: إنَّ اللهَ سلبَ الدُّنيا عن أوليائه، وحماها من أصفيائه، وأَخرجها من قلوب أهلِ وداده، لأنَّه لم يرضها لهم[٤]

وقال: مارستُ كلَّ شيءٍ من أمرِ الزُّهد، فنلتُ[٥] منه ما أريد إلاَّ الزُّهدَ في النَّاس، فإنِّي لم أبلغه ولم أطقه[٦]

وقال الجُنيد: سمعتُ السَّريَّ يقول: إنَّ نفسي تُطالبني منذ ثلاثين سنة، أو أربعين سنة أن أَغمسَ جزرةً في دُبْسٍ، فلم أُطعْها[٧]

وقالَ له رجلٌ: ادعُ لي. فقال: جمعَ اللهُ بيني وبينك تحت شَجرة الطُّوبى؛ فإنَّه بلغني أنَّ أوَّلَ ما يدخلُ الأغنياءُ الجنَّةَ يَستريحون تحت شجرة طُوبى[٨]

---

(١) حلية الأولياء ١٠/ ١٢٦، المختار ٢/ ٤٩٠، وما بين معقوفين مستدرك منهما.

(٢) الرسالة القشيرية ١٧٣ (التوبة).

(٣) الرسالة القشيرية ١٨٢ (المجاهدة).

(٤) مختصر تاريخ دمشق ٩/ ٢٢١

(٥) في (أ): وقبلت.

(٦) المختار ٢/ ٤٩٠.

(٧) تاريخ بغداد ٩/ ١٩٠، المختار ٢/ ٤٧٨، وفي (ب): فما أطعمتها.

(٨) تهذيب الأسرار ٤٠٨.

وسُئلَ عن الصَّبر، فجعلَ يتكلَّمُ فيه، فدبَّ على رجلِهِ عقربٌ، وهي تضربُهُ بإبرتها ضرباتٍ كثيرةً، وهو ساكنٌ، فقيل له: لِمَ لم تُنحِّها عنك؟ فقال: استحييتُ من الله أن أتكلَّمَ في الصَّبرِ، ولم أصبر[١]

وقال: إن الحياءَ والأنس يطرقان[٢] القلب، فإنْ وجدا فيه الزُّهدَ والورعَ حطَّا، وإلاَّ رحلا[٣]

ورُوِيَ أنَّه قُرِئَ بين يديه: ﴿وَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْأَخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا﴾ [الإسراء. ٤٥]، فقال لأصحابه: أتدرونَ ما هذا الحِجاب؟ هو حِجابُ الغيرة، ولا أحدَ أغيَرُ من اللهِ تعالى. ومعنى حجاب الغيرة أنَّه لم يَجعلِ الكافرين أهلاً لمعرفة صدق الدِّين[٣]

وقال: كنتُ أطلبُ رجلاً صِدِّيقًا مدَّةً من الزَّمان، فمررتُ ببعض الجبال، فإذا بجماعةٍ زَمْنى[٤]، وعُميان، ومرضى، فسألتُ عن حالِهم، فقالوا: ههنا رجلٌ صِدِّيقٌ، يخرجُ في السَّنة مرَّةً واحدةً، فيدعو لهم، فيجدونَ الشِّفاءَ. فصبرْتُ حتَّى خرجَ، ودعا لهم، فوجدوا الشِّفاءَ، فقفوتُ أثرَهُ، فتعلَّقْتُ به، وقلتُ له. بي عِلَّةٌ باطنةٌ، فما دواؤها؟ فقال: خلِّ يا سريُّ عنّي؛ فإنَّه غيورٌ، لا يَراكَ تُساكنُ غيرَه، فتسقُطُ من عينه[٥]

وقال الجُنيد: دفعَ إليَّ السَّريُّ رُقعةً، وقال: هذه لك خيرٌ من سبعِ مئة قصَّة، أو حديثٍ تُعلِّقُهُ[٦] فإذا فيها يقول[٧]

ولمَّا ادَّعيتُ الحُبَّ قالتْ كَذبتَني ... فما لي أرى الأعضاءَ منك كَواسيا

---

(١) تهذيب الأسرار ١٢٤، الرسالة القشيرية ٢٩١ (الصبر).

(٢) في (أ). في الأنس يطوفان. وفي الكواكب الدرية ١/ ٦٢١ يرفرفان.

(٣) المختار ٢/ ٤٩٠

(٤) الزَّمْنى: أصحاب العاهات.

(٥) تهذيب الأسرار ٧٩، المختار ٢/ ٤٨١، وفيات الأعيان ١/ ٣٥٨

(٦) في الرسالة. حديث بعلو.

(٧) الأبيات لقيس بن ذريح المجنون. انظر ديوانه صفحة ٢٩٦.

فما الحبُّ حتَّى يَلصَقَ القلبُ بالحشا   وتذبلَ حتَّى لا تُجيبَ المُنادِيا
وتنحل حتَّى لا يُبقّي لك الهوى   سِوى مُقلةً تَبكي بها وتُناجيا[1]

ثمَّ قال: لا تَصحُّ المحبَّةُ بين اثنين حتَّى يقولَ أحدُهما للآخر: يا أنا[2]

وقال الجُنيد: دخلتُ يومًا على السَّريِّ، فأمرني بحاجةٍ، فقضيتُها سريعًا، ثمَّ رجعتُ إليه، فناولني رُقعةً، وإذا فيها: سمعتُ حاديًا يحدو في البادية، يقول:

أبكي وما يُدريكِ ما يُبكيني[3]
أبكي حذارَ أَنْ تُفارقيني
وتَقطعي حَبْلي وتَهجُريني[4]

وقال: قلتُ يومًا لديراني مرة: ما بالُكم، تُعجبُكم الخضرةُ؟ فقال: إنَّ القلوبَ إذا غاصت في بحارِ الفكرِ، غشيت[5] الأبصار، فإذا نظرتْ إلى الخضرةِ، عادَ عليها نسيمُ الحياة[6]

وقال: رأسُ الأعمال كلِّها الرِّضا عنِ الله، والورعُ عمودُ الدِّين، والجوعُ مخُّ العبادة، والحصنُ الحصين ضبطُ اللِّسان، ومن شكرَ اللهَ جرى في ميدان الزِّيادة[7]

وقال علاَّن الخياط: كنتُ يومًا جالسًا مع سريِّ السَّقَطي، فوافته

---

(١) تهذيب الأسرار ٤٩٨، الرسالة القشيرية ٤٥٢ (المحبة).
(٢) الرسالة القشيرية ٤٥١ (المحبة).
(٣) في الرسالة القشيرية: وهل يدريك.
(٤) الرسالة القشيرية ٤٦٤ (المحبة)، نفحات الأنس ٨١.
(٥) في الحلية: عشيت.
(٦) حلية الأولياء ١٠/ ١٢٦
(٧) في (أ): في ميدان النهاية.

امرأةٌ، فقالت له: يا أبا الحسن، أنا في جيرانك[1]، وقد أخذَ ابني الطَّائفُ[2] البارحة، [وكلِّمَ ابني الطَّائفَ] وأنا أخشى أن يُؤذيه، فإنْ رأيتَ أن تجيء معي، أو تبعثَ إليه. قال علاَّن: فتوقَّعتُ أن يبعث[3] إليه، فقامَ وكبَّرَ، وطوَّلَ في صلاته، فقالتِ المرأة: يا أبا الحسن، اللهَ، اللهَ فيَّ هو ذا أخشى[4] أن يُؤذيَه السُّلطان. فسلَّم وقال لها: أنا في حاجتك. قال علاَّن: فما بَرِحَتْ حتَّى جاءتِ امرأةٌ إليها، فقالت لها: الحقي ابنك، فقد خلّوه[5].

وقال علاَّن: ورأيتُ منه أعجبَ من هذا وذاك، أنَّه اشترى مرَّةً كُرَّ[6] لوزٍ بستين دينارًا، وكتبَ في رقٍّ[7] ربائحه: ثلاثةَ دنانير. فصارَ اللَّوزُ بتسعين دينارًا، فأتاه الدَّلاَّلُ، وقال له: إنَّ ذلك اللوزَ أُريدُهُ. فقال: خذه. قال: بكم؟ قال: بثلاثةٍ وستين دينارًا. فقال له الدَّلاَّلُ: إنَّ الكرَّ قد صارَ بتسعين دينارًا[8] فقال له: قد عقدتُ بيني وبين اللهِ تعالى عقدًا لا أُحِلُّهُ، ليس أبيعُه إلاَّ بثلاثة وستين. فقال له الدَّلاَّلُ: إنِّي قد عقدتُ بيني وبين اللهِ تعالى عقدًا أن لا أغشَّ مسلمًا، لستُ آخذُ منك إلاَّ بتسعين دينارًا فلا الدَّلاَّلُ اشترى منه، ولا سريٌّ باعه. قال علاَّن: فكيف لا يُستجابُ دعاءُ من كان هذا فعله؟![9]

---

(1) في المختار ٢/ ٤٧٧: من جيرانك

(2) الطائف: العسس. القاموس (عسس).

(3) في (أ): يبعثني.

(4) في (أ): موذي. وفي المختار: الله الله فيَّ. أخشى.

(5) المختار ٢/ ٤٧٧، مختصر تاريخ دمشق ٩/ ٢٢٢ وما بين معقوفين مستدرك منه.

(6) الكرُّ: مكيال لأهل العراق يبلغ بالوزن العشري تقريبًا ١٦٦٩ كيلاً، أو هو طن وثلثي الطن. متن اللغة (كرر)

(7) في (ب): في روزنامجه، والروزنامجه مصغر الروزنامه: الدفتر اليومي للتجار. المعجم الذهبي.

(8) في (ب): إن اللوز قد صار الكر بتسعين دينارًا.

(9) تاريخ بغداد ٩/ ١٨٩، المختار ٢/ ٢٧٧

وقال: لم أرَ شيئًا أحبطَ للأعمالِ، ولا أفسدَ للقلوبِ الحانية[1]، ولا أضرَّ بالحكمة، ولا أنجعَ في هَلَكِة العبد، ولا أدومَ للأضرار، ولا أبعدَ من الاتِّصال، ولا أقربَ من المقتِ، ولا أَلْزَمَ لمحجَّةِ الرِّياءِ والعُجْبِ والتَّزيُّن، من قلَّةِ معرفةِ العبدِ بنفسِهِ، ونظرِهِ في عيوبِ غيرِه، لا سيما إن كان مَعروفًا مشهورًا بالعبادة، وامتدَّ له الصَّوتُ[2]، وبلغَ من الثَّناء ما لم يكن يأمل، ويتربَّصُ بنفسِهِ في الأماكن الخفيَّةِ وسراديب الهوى، وانحنى مع الحداثة، وصمتَ بعد النُّطق، وأَظهرَ الخمولَ بعد الشُّهرة، والهَرَبَ من النَّاس بعد الخلطة، فلم يبرز إلاَّ للخواص. ونالتِ النَّفسُ مُناها[3]، كلُّ ذلك لجهلِهِ بنفسه، وعماه عن عيوبها، وقبول قوله[4] في إسقاط النَّاس، وقوله: فلان لا يُجالس، وفلان احذروه، ويأمر ويَنْهَى[5]، ويثني على مَنْ تَهواه نفسُه، فإنِ اغتبتَ عنده من لا يهواه، قال: اهتكوا سترَ الفجرة. وإنِ اغتبتَ مَنْ يَهواه، غضبَ ونَهى، وروى أحاديثَ النَّهي عن الغيبة، وقد شرب السُّموم القاتلة، ويُصيِّر غضبَهُ ورضاه لنفسه، ويَرى أنَّه مُحسنٌ، يلومُ أهل النَّقص والتَّقصير، ويتنزَّهُ عمَّن لا يَعرفه، ويقبلُ صِلةَ من يهواه، ويأنس به، فهلك. ونجا من صحَّتْ معرفتُهُ بنفسه، واشتغلَ بها، فلم يكن له صديقٌ ولا عدو، ولا يُخالطُ الأشرارَ، ولا يَشتغل[6] عن الله بالأخيار، ولا يمدحُ ولا يذمّ، وكيف له أن يسلمَ من صديقِهِ وعدوه؟ فكيف من جهلَ نفسَه، وأزرى على غيره؟![7]

---

(١) في (أ): الجافية. وفي (ب): الخامة، والمثبت من تاريخ دمشق ٩/ ٢٢٦

(٢) الصوت: الصيت.

(٣) في (أ): وقالت النفس.

(٤) في (أ) و(ب): وقيل قوله، والمثبت من مختصر تاريخ دمشق.

(٥) في (أ): فلان لا تجالسه وفلان احذروه، ويأمره وينهاه.

(٦) في (أ): ولا يُشغل.

(٧) مختصر تاريخ دمشق ٩/ ٢٢٦، ٢٢٧

وقال: ثلاثٌ من كنَّ فيه استكملَ الإيمان: من إذا غضبَ، لم يخرجْهُ غضبُهُ من الحقِّ، وإذا رضي، لم يُخرجْهُ رضاه إلى الباطل، وإذا قَدَرَ، لم يتناولْ ما ليس له[1]

وقال الجُنيد بنُ محمد[2] كنتُ يومًا عند سريٍّ أعودُهُ مِنْ علَّةٍ اعتلَّها، فقلتُ له: كيف تَجِدُكَ؟ فقال:

كيفَ أَشكو إلى طبيبيَ ما بي والذي قد أصابني من طبيبي

فأخذت المِرْوحة أُروِّحُه بها، فقال لي. كيف يجدُ رَوْحَ المِرْوحة مَنْ جوفُهُ يحترقُ من داخلٍ؟ ثمَّ قال:

القلبُ مُحترقٌ والدَّمعُ مُنْسَبِقٌ والكَربُ مُجتمعٌ والصَّبْرُ مُفترقُ
كيفَ القرارُ على مَنْ لا قرارَ له ممَّا جناه الهوى والشَّوقُ والقَلَقُ
يا ربُّ إنْ كان شيءٌ فيه لي فَرَجٌ فامْنُنْ عليَّ به مادامَ بي رَمَقُ[3]

وقال: صحبتُ رجلاً من أهل سُرَّ مَنْ رَأى يعرف بالوَالِهِ سَنَةً، فلم أسألْهُ عن مسألةٍ، ثمَّ قلتُ له يومًا: أَيشٍ المعرفةُ التي ليسَ فوقها معرفة؟ فقال. أَنْ تجعلَ[4] اللهَ أقربَ إليك مِنْ كلِّ شيءٍ، وأحبَّ إليك مِنْ كلِّ شيءٍ، وأَنْ يُمتحى من سرائرِكَ وظواهرِكَ كلُّ شيءٍ غيره. فقلتُ له بأيِّ شيءٍ يُوصلُ إلى هذا؟ فقال: بزهدِكَ فيك، ورغبتك فيه[5] قال سريٌّ وكان كلامُهُ سببَ انتفاعي بهذا الأمر

وقال. بتُّ ليلةً في بعضِ قُرى الشَّام، فسمعتُ طولَ اللَّيلِ طيرًا يصيح، ويقولُ: أَخطأتُ لا أَعودُ، أَخطأت لا أعود. فلمَّا أَصبحتُ، سألتُ أهلَ

---

(١) المختار ٢/ ٤٩١، مختصر تاريخ دمشق ٩/ ٢٢٨

(٢) في (أ) و(ب): الحسن بن محمد، والمثبت من مصادر الخبر

(٣) تاريخ بغداد ٩/ ١٩١، المختار ٢/ ٤٨٣، مختصر تاريخ دمشق ٩/ ٢٣٥.

(٤) في (أ): أن تجد.

(٥) في (أ): بزهدك فيه، وترغيبك.

القرية: أيش اسم هذا الطَّير؟ فقالوا: فاقد إلفه[1]

وقال علَّان الخيَّاط: سمعتُ سريًّا يقول: التَّوكُّلُ والتَّعفُّفُ يَمنعان من الذِّلَّةِ، والإحسانُ والكَرَمُ يَمنعان من دناءةِ الأخلاق، والزُّهدُ يمنعُ من التَّعبِ[2]

وقال: قلوبُ الأبرارِ مُعلَّقةٌ بالخواتيم، وقلوبُ المُقرَّبين مُعلَّقةٌ بالسَّوابق[3]

وقال: الدُّنيا أفاعي قلوبِ العلماء، وسحَّارةٌ تلعب بقلوبِ القرَّاء، كما يلعبُ الصِّبيان بالكرة[4]

وقال الخياط: استوصيتُ سريًّا[5] بوصيَّةٍ، فقال: أخافُ أُوصيك بوصيةٍ، يكونُ وبالُها عليك وعليَّ. فقلتُ: عليَّ ذلك. فقال لي: انظرْ بأيِّ بدنٍ توافي القيامة، وانظرْ مَنْ يُحاسبك، وبين يدي مَنْ تقف، واعلمْ أنَّكَ مَسؤولٌ لا محالة، فاستعدَّ للسُّؤالِ جوابًا، وللجوابِ صوابًا، والزمْ بيتك، وحاسبْ نفسَك، فإذا قدمتَ القيامةَ تقول: يا ربِّ، مازلتُ مُلازمًا لبيتي، مُحاسبًا لنفسي. فيقول اللهُ: صدقتَ. ثمَّ قال: هيهات، وأنَّى يقولُ: صدقتَ إلَّا للصدِّيقين؟![6] وانظرْ كلَّ خطرةٍ تَخطرُ ببالك تستحيي أن يعلمَ بها جليسُكَ، فاللهُ أحقُّ وأحرى أن يُستحيا منه.

وقال: إنَّ إبليسَ قال: إنِّي قد زيَّنتُ لأُمَّةِ محمدٍ الذُّنوبَ، فقطعوا ظهري بالاستغفار، فضربتُهم بالأهواء، فإنها ذنوب يُقاتلون عليها، ولا يَستغفرون منها.

---

(١) تهذيب الأسرار ٥٢٩، روض الرياحين (الحكاية ٢٧١) وفيه زيادة.

(٢) المختار ٢/ ٤٩١.

(٣) تقدم قبلُ صفحة ١٥٠

(٤) في (أ): بالاكره.

(٥) في (أ) و(ب): وقال: استوصيت بشرًا. والمثبت من المختصر.

(٦) في (أ): للصادقين.

وقال: بلغني أنَّ عيسى عليه السَّلام قال: الدُّنيا مزرعةُ إبليس، وأنتم عُمَّارُها.

وقال علّان: كان لسريٍّ تلميذةٌ، وكان لها ولدٌ عند المُعلّم في الكُتَّاب، فبعث به المعلمُ إلى الرَّحى[1]، فنَزلَ في الماءِ فغرقَ، فجاءَ المُعلِّمُ إلى سريٍّ، فأخبرَه بذلك. قال سريٌّ: قوموا بنا فذهبوا إلى أُمِّه، فجلسوا عندها، وتكلَّمَ عليها سريٌّ في علم الصّبر إلى حدٍّ ما، ثمَّ تكلَّمَ عليها في الرِّضا، فقالت له. يا أستاذ، وأيشٍ تُريدُ بهذا الكلام؟ فقال لها: إنَّ ابنك قد غرقَ. فقالت: ابني؟! قال لها: نعم. قالت: إنَّ ربِّي تعالى ما فعلَ هذا. ثمَّ عادَ سريٌّ في كلامه في الصَّبرِ والرِّضا مثل ذلك. فقالتْ: قوموا بنا. فقاموا معها حتَّى انتهوا إلى النَّهرِ، فقالتْ: أين غَرِقَ ابني؟ قالوا: ههنا فصاحت: ابني مُحمد. فأجابَها. لبَّيكِ يا أمَّاه. فنَزلتْ فأخذتْ بيده، ومضتْ به إلى منْزلها

قال علّان: فالتفت سريٌّ إلى الجُنيد، فقال: أَيشٍ هذا؟ فقال الجُنيد: أقول؟ فقال سريٌّ: قل. قال: إنَّ المرأةَ مُراعيةٌ لِما لله عزَّ وجلَّ عليها، وحُكْمُ من كان مُراعيًا لِمَا لله عليه أَنْ لا يُحدثَ حادثةً حتَّى يُعلمَه بذلك، فلمَّا لم تكن حادثةٌ لم يُعلِمْها بذلك، أنكرت، وقالت: إنَّ ربِّي ما فعلَ هذا. وكلام نحو هذا[2]

وقال: أربعُ خصالٍ تُقرِّبُ العبدَ من الله، وخَصلتان تبعدانه من الله، فالذي يُقرِّبُهُ إلى الله: النَّظرُ في الكبيرة، والتَّشميرُ في العبادة، وصيانةُ الكرامةِ، وتركُ الاشتغالِ بغيرِ الله تعالى، والخصلتان اللتان تبعدانه من الله: أداءُ النَّافلةِ بتضييع فريضةٍ، وعملٌ بالجوارح، من غيرِ صدقِ بالقلب[3]

---

(١) الرَّحى: الحجر المستدير يُطحن به. أي أرسله إلى طاحونة مائية.

(٢) صفة الصفوة ٢/ ٥٣٠، المختار ٥/ ٤٥١، روض الرياحين (الحكاية ٥٤).

(٣) انظر حلية الأولياء ١٠/ ١٢٠، وصفة الصفوة ٢/ ٣٨٠.

وقال: أشتهي أن آكل شهوة ليس لله عليَّ فيها تَبعةٌ، ولا للخلقِ فيها مِنَّةٌ، لم أجد إلى ذلك سبيلاً[1].

وقال: لا يكونُ الصَّابرُ صابرًا حتَّى يكونَ كالأرض، تحملُ بني آدم، وجميعَ ما عليها من الدَّوابِّ والجبالِ والأشجار، وسائرِ ذلك برضاها[2]، لا تأبى شيئًا، وكذلك العبدُ إذا حَمَلَ ما يردُ عليه من حوادثِ الحقِّ سبحانه وتعالى، حلوها ومرِّها بطيبِ نفسٍ، لا تأبى نفسُه من ذلك شيئًا، لتستحقَّ اسم[3] الصَّبر.

وقال الجُنيد: دخلتُ يومًا على سريٍّ، فقال لي: ما أَوائلُ أَحوال الصّدِّيقين؟ قلتُ: لا أدري. فقال: ثلاثةٌ من أحوال الصّدِّيقين: أن يَكونوا بما في أيديهم وإخوانهم فيه سواءً، ويطالبون[4] نفوسهم بما للنَّاسِ عليهم، وإذا عرضَ أمران للهِ فيهما رضًا له، حملوا أنفسَهم على أصعبِهما وأَشدِّهما، وإن كان فيه تلفُ نفوسهم.

وقال: اطلبْ حياةَ قلبك بمجالسةِ أهل الذِّكر، واستجلبْ نورَ القلبِ بدوام الحزن، والتمس وجودَ الفكرِ في مواطنِ الخوف، وأَلِحَّ في المسألةِ عند وجل القلوب، وتزيَّنْ لله بالصِّدق، وتحبَّبْ إليه بتعجيلِ الانتقال، وإيَّاكَ والتَّسويفَ، ونافسِ الأبرارَ في إقامةِ الفرض، ونافسِ المُقرَّبين في إخلاصِ النَّوافل، وتركِ فضول الحلال، واطلبْ حلاوةَ المُناجاة بفراغِ القلب وجمعِ الهمِّ، واستجلبْ زيادةَ النِّعمِ بعظيمِ الشُّكر، وأكثِرِ الحسناتِ الحديثاتِ تَمْحُ [السيئات] القديمات، واستبقِ الحسناتِ بقلَّةِ التَّبعات، وسارعْ في الخيرات، واحذرْ ما يُوجبُ عليك العقوبات[5]

---

(١) حلية الأولياء ١٠/ ١١٦، المختار ٢/ ٤٧٨.
(٢) في (أ): برضاه.
(٣) في (أ): استحق الصبر
(٤) في (أ): يطالون. وفي المنتقى: ويطلبون من.
(٥) المختار ٢/ ٤٩١.

وقال ابن أبي الوَرد: كان سريٌّ يأمرنا بالعُزلة والوحدة، وتركِ مُجالسةِ النَّاس، فاعتلَّ، فعدتُهُ عيادةَ السُّنَّة ـ يعني بين كلِّ ثلاثةِ أيام ـ فنظرتُ في وجههِ، فرأيتُ على لسانه شيئًا، فهملتْ عيناي وسقط من دموعي على وجهِهِ، ففتحَ عينيه، ونظر إليَّ، فقلتُ له: رحمك الله، أَوصني بشيءٍ أحفظُهُ عنك. فقال: احذرْ، ثمَّ احذرْ مُعاشرةَ الأشرار[١]، ولا تشتغلْ عن الله بمُجالسةِ الأخيار. وكان ذلك آخرَ كلامه[٢]

وقال ابنُ مسروق: سمعتُ سريًا يقول: بينا نحن نَسيرُ في بلاد الشَّام، إذ ملنا عن الطَّريقِ إلى ناحيةِ جبلٍ عليه عابدٌ، فجئنا إليه، فوجدناه يبكي، قال سريٌّ: فقلتُ له: ما أَبكي العابدَ؟ فقال: ما لي لا أَبكي وقد توعَّرتِ الطَّريقُ[٣]، وقلَّ السَّالكون فيها، وهُجرتِ الأعمالُ، وقلَّ الرَّاغبون فيها، ورُفضَ الحقُّ، ودُرِسَ هذا الأمر، فلا أراه إلاَّ في لسانِ كلِّ بطَّالٍ ينطق بالحكمة، ويُفارقُ الأعمال، قد افترشَ الرُّخصَ، وتمهَّدَ التَّأويل، واعتلَّ بذلك العاصون. ثمَّ صاحَ صيحةً، وقال: كيفَ سَكنتْ قلوبُهم إلى روحِ الدُّنيا، وانقطعتْ عن روحِ مَلكوت السَّماوات؟ ثمَّ ولَّى صارخًا وهو يقول: واغمَّاه من فتنةِ العلماء، واكرباه من حِيرة الأدلاَّء. وجالَ جولةً، ثمَّ قالَ: أين الأبرارُ من العُبَّاد؟ بل أينَ الأخيارُ من الزُّهَّاد؟ ثمَّ بكى، وقال: شغلَهم واللهِ طولُ الوقوف، وهمُّ الجوابِ عن ذكرِ الجنَّةِ والنَّار، وذكرِ الثَّواب. ثمَّ قال: أنا أَستغفرُ اللهَ من شهوةِ الكلام، تنحَّوا عنِّي. فجلس يبكي، وقد مُلئنا منه غمًّا وهمًّا[٤]

وقال: الدَّهرُ ثلاثةُ أيام: يومٌ مضى بؤسُهُ وشدَّتُهُ وغمُّه لم يبقَ منه شيءٌ، واليومُ الذي أنت فيه صديقٌ مُودِّعٌ لك، طويلُ الغيبةِ عنك، سريعُ

---

(١) في (ب): احذر أن تعرف الأشرار، وفي الحلية: لا تصحب الأشرار.

(٢) الحلية ١٠/ ١٢٥

(٣) في (ب): الطرق.

(٤) صفة الصفوة ٤/ ٣٥٩، المختار ٥/ ٣٢٩

الرِّحلةِ، وغدٌ، فإنَّما في يديك تأميله، ولعلَّكَ من غيرِ أهله، ثمَّ قال: أَمْسِ أَجَل، واليومَ عَمَل، وغدًا أَمَل[1].

وقال الجُنيد: سمعت سريًّا يقول: بدوت يومًا من الأيام وأنا حَدَثٌ، فطابَ وقتي، وجنَّ عليَّ اللَّيل، وأنا بفِناءِ جبلٍ لا أَنيسَ به، فناداني في جوفِ اللَّيل مُنادٍ: لا تدورُ القلوبُ في الغيوب، حتَّى تذوبَ النُّفوس من مخافةِ فوتِ المحبوب. قال: فتعجَّبْتُ، وقلتُ: أَجِنِّيٌّ يُناديني، أو إنسيٌّ؟ فقال: بل جِنِّيٌّ مُؤمنٌ بالله، ومعي إخواني. قلتُ: فهل عندهم ما عندك؟ قال: نعم، وزيادة. قال: فناداني الثَّاني منهم: لا تَذهبُ من البدنِ الفترةُ، إلَّا بدوام الغُربة. قال: فقلتُ في نفسي: ما أَبلغَ كلامَهم! فناداني الثَّالثُ منهم: مَنْ أَنِسَ به في الظَّلام، نشرَ له غدًا الأعلام. قال: فصُعقتُ، فما أفقتُ إلَّا برائحةِ الطِّيب، فإذا نرجسةٌ على صدري، فشممتُها، فأفقتُ، فقلتُ: وصيةً، رحمكم الله. فقالوا جميعًا: أبى الله عزَّ وجلَّ أن يحيي به إلَّا قلوب المُتَّقين، فمَنْ طمعَ في غيرِ ذلك، فقد طمعَ في غيرِ مَطمعٍ، ومَنِ اتَّبع طبيبًا مريضًا، دامت علَّتُهُ، ومَنِ اتَّبَعَ الدَّليلَ الحائر، رجعَ وهو كليل، وفَّقنا اللهُ وإيَّاك. وودَّعوني ومضوا، وقد أتى عليَّ حينٌ ولا أزالُ أرى بركةَ كلامهم موجودةً في خاطري.

وقال: تطربُ قلوبُ المُحبِّين عند السَّماع، وتخافُ قلوبُ المُذنبين، وتتلهَّبُ قلوبُ المُشتاقين[2].

ورُوِيَ أنَّه أنشدَ يومًا:

لا في النَّهارِ ولا في اللَّيلِ لي فَرَجٌ ... فما أُبالي أَطَالَ اللَّيلُ أَمْ قَصُرَا
لأنَّني طولَ ليلي هائمٌ دَنِفٌ ... وبالنَّهارِ أُقاسي الهمَّ والفِكَرَا[3]

---

(١) صفة الصفوة ٢/ ٣٨٣، المختار ٢/ ٤٩١ وتقدم قوله: أمس أجل. صفحة ١٨ منسوباً للفضيل.

(٢) تهذيب الأسرار ٣٣٣، المختار ٢/ ٤٩١.

(٣) البيت الأول في نفحات الأنس ٨٠.

ثمَّ قال: لولا خوف الشَّناعة لصحتُ. ثمَّ قال: أين شاهدُ هذا؟ قلنا: لا نعلم. فقال. حديثُ رسول الله ﷺ، حيث قال: «ليس عند ربِّكِم ليلٌ ولا نهار»[١] فمن كانَ عند ربِّه فليسَ في ليلٍ ولا نهار[٢]

وقال: تركُ الذُّنوبِ على ثلاثةِ أَوجهٍ: خوفُ النَّارِ، والرَّغبةُ في الجنَّة، والحياءُ من الله تعالى. والله أعلم[٣]

* * *

---

(١) رواه الطبراني في المعجم الكبير ٩/ ١٧٩ (٨٨٨٦) عن عبد الله بن مسعود، عن النبي ﷺ قال: «إن ربكم تعالى وتبارك ليس عنده ليل ولا نهار، نور السموات والأرض من نور وجهه». قال الهيثمي في مجمع الزوائد ١/ ٨٥ وفيه أبو عبد السلام، قال أبو حاتم: مجهول. وقد ذكره ابن حبان في الثقات. وعبد الله بن مكرز أو عبيد الله على شك لم أرَ من ذكره.

(٢) تهذيب الأسرار ٢٠٦

(٣) تهذيب الأسرار ٤١١، المختار ٢/ ٤٩٢

(٧) الحارث بن أسد المُحاسبي(*)

ومنهم: أبو عبد الله الحارث بن أسد المحاسِبي، من علماء مشايخ القوم بعلوم الظَّاهر، وعلوم الأُصول، وعلومِ المُعاملات والإشارات.

له التَّصانيفُ المشهورة، عديمُ النَّظير في زمانه، وهو أستاذ أكثرِ البغداديين، بصريُّ الأصل.

مات ببغداد سنة ثلاث وأربعين ومئتين(١)

قيل: إنَّه ورثَ من تَرِكَةِ أبيه سبعينَ ألفَ درهم، فلم يأخذْ منها شيئًا؛ لأنَّ أباه كان يقولُ بالقدر، فرأى من الورع أن لا يتناولها. وقال: صحَّتِ الرِّوايةُ عن النَّبِيِّ ﷺ، أنَّه قال: «لا يتوارث أهلُ ملَّتين»(٢)

(*) طبقات الصوفية ٥٦، حلية الأولياء ١٠/ ٧٣، تاريخ بغداد ٨/ ٢١١، الرسالة القشيرية ٤٩، الأنساب ١١/ ١٥١، طبقات الفقهاء لابن الصلاح ١/ ٤٣٨، صفة الصفوة ٢/ ٣٦٧، المختار من مناقب الأخيار ٢/ ١٤٤، الكامل لابن الأثير ٧/ ٨٤، وفيات الأعيان ٢/ ٥٧، تهذيب الكمال ٥/ ٢٠٨، سير أعلام النبلاء ١٢/ ١١٠، العبر ١/ ٤٤٠، ميزان الاعتدال ١/ ٤٣٠، مرآة الجنان ٢/ ١٤٢، الوافي بالوفيات ١١/ ٢٥٧، طبقات السبكي ٢/ ٢٧٥، طبقات الإسنوي ١/ ٢٦، البداية والنهاية ١٠/ ٣٠٣، طبقات الأولياء لابن الملقن ١٧٥، النجوم الزاهرة ٢/ ٣١٦، نفحات الأنس ٧٥، الطبقات الكبرى للشعراني ١/ ٧٥، الطبقات الكبرى للمناوي ١/ ٥٨٥، شذرات الذهب ٢/ ١٠٣، مفتاح السعادة ٢/ ١٧٢

(١) الرسالة القشيرية ٤٩

(٢) أخرجه أحمد في المسند ٢/ ١٧٨، وأبو داود (٢٩١١)، وابن ماجه (٢٨٢٩)، والدارقطني في السنن (٤/ ٧٢) كلهم عن عبد الله بن عمرو. والترمذي (٢١٠٨) عن جابر. وإسناده صحيح.

وقيل: إنَّه خلَّفَ عقارًا، وضياعًا، وأموالًا كثيرةً، فلم يتعرَّض لها، فرُويَ أنَّ الله عوَّضَهُ عن ذلك أنَّه كان إذا مدَّ يدَه إلى طعامٍ فيه شُبْهَةٌ، تحرَّك على أُصبعِهِ عرق، وكان يمتنعُ منه[1]

وقال [أبو] عبد الله ابن خفيف: اقتدوا بخمسةٍ من شيوخنا، والباقون سَلِّموا إليهم حالَهم: الحارثِ بنِ أسد المُحاسبي، والجُنيد بن محمد، وأبو محمد رُويم، وأبو العباس ابن عطاء، وعَمرو بن عثمان المكي، لأنَّهم جمعوا بين العلمِ والحقائق[2]

وقال الحارث: من صحَّحَ باطنَه بالمُراقبة والإخلاص، زيَّنَ اللهُ ظاهرَه بالمُجاهدة واتِّباعِ السُّنة[3]

وقال الجُنيد: مرَّ بي يومًا الحارثُ المُحاسبي، فرأيتُ فيه أثَرَ الجوع. فقلتُ له: يا عمّ، تدخلُ الدَّارَ وتتناولُ شيئًا؟ قال: نعم. فأدخلتُهُ الدَّار، وطلبتُ شيئًا أُقدِّمُهُ إليه، فلم يكن[4] لي إلَّا شيءٌ من طعامٍ حُملَ من عُرْسِ قوم، فقدَّمتُ ذلك إليه، فأخذَ لُقمةً، فأدارها في فمِهِ مرَّاتٍ، ثمَّ إنَّه قامَ وألقاها في الدِّهليز ومرَّ

فلمَّا رأيتُهُ بعد أيامٍ قلتُ له في ذلك. فقال: إنِّي كنتُ جائعًا، وأردتُ أن أَسرَّكَ بأكلي، وأحفظَ قلبك، ولكنْ بيني وبين اللهِ تعالى علامةٌ، أن لا يُسوغني طعامًا فيه شُبهةٌ، فلم يُمكِنِّي ابتلاعُهُ، فمن أين كان ذلك الطَّعام؟ فقلتُ: إنَّه حُمل من طعامِ عُرسٍ قريبٍ لي، ثمَّ قلتُ له: تدخلُ اليوم؟ قال: نعم. فقدَّمتُ إليه كِسَرًا [يابسةً] كانت لنا، فأكلَ، ثمَّ قال: إذا

[illegible]

= والخبر أخرجه القشيري في رسالته ٤٩.

(١) الرسالة القشيرية ٥٠. وانظر الحاشية (٥) صفحة ١٣٢

(٢) الرسالة القشيرية ٥٠، المختار ٢/ ١٤٤، نفحات الأنس ٧٦

(٣) الرسالة القشيرية ٥٠، المختار ٢/ ١٤٩

(٤) في (أ): فلم يمكن

قدَّمْتَ إلى فقيرٍ شيئًا، فقدِّمْ مثلَ هذا(١)

وقال: العِلمُ يُورثُ المخافة، والزُّهدُ يُورث الرَّاحة، والمعرفةُ تُورث الإنابة(٢)

و: خيارُ هذه الأُمَّةِ الَّذين لا تَشغلُهُم آخرتُهم عن دُنياهم، ولا دُنياهم عن آخرتِهم(٢)

و: مَنْ حسَّنَ معاملتَهُ في ظاهره، مع جُهْدِ باطنِهِ، ورَّثَهُ اللهُ الهدايةَ إليه لقوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ﴾(٣) [العنكبوت: ٦٩].

وقيل: أُنشدَ بين يديه:

أنـا فـي الغُـربَـةِ أَبكـي ... مـا بكَـتْ عَيْـنُ غَـريـبِ
لـم أكُـنْ يـومَ خُـروجـي ... مـن بـلادِي بمُصيـبِ
عجبًـا لـي ولِتـركـي ... وَطَنًـا فيـه حبيبِـي

فقام يتواجدُ ويبكي حتَّى رحمَه كلُّ من حضره(٤)

وقال: الذي يبعثُ العبدَ على التَّوبةِ تركُ الإصرار [والَّذي يَبعثُهُ على تركِ الإصرارِ] ملازمةُ الخوف(٥)

و: لا ينبغي أن يَطلُبَ العبدُ الورعَ بتضييعِ الواجب(٦)

و: صفةُ العبودية أن لا ترَى لنفسِكَ مِلْكًا، وتعلمَ أنَّك لا تملِكُ لنفسِكَ ضَرًّا ولا نفعًا(٦)

---

(١) الرسالة القشيرية ٥٠، وما بين معقوفين مستدرك منها، المختار ٢/١٤٥، وانظر تهذيب الأسرار ٣٦٠.
(٢) طبقات الصوفية ٥٨.
(٣) طبقات الصوفية ٥٨، تهذيب الأسرار ٥٢٦.
(٤) طبقات الصوفية ٦٠
(٥) طبقات الصوفية ٥٨ وما بين معقوفين مستدرك منه.
(٦) طبقات الصوفية ٥٩.

و: التَّسليمُ هو الثُّبوتُ عند نزولِ البلاء، من غير تَغيُّرٍ منه في الظَّاهرِ والباطن[1]

و: الرَّجاءُ هو الطَّمعُ في فضلِ الله ورحمته، وصِدقُ حُسْنِ الظَّنِّ به عند نزولِ الموت[1]

وقال: حُسنُ الخُلُقِ احتمالُ الأذى، وقلَّةُ الغضب، وبسطُ الوجه، وطِيبُ الكلام[1]

و: لكلِّ شيءٍ جوهرٌ، وجوهرُ الإنسانِ العقلُ، وجوهرُ العقلِ الصَّبْرُ[1]

و: العملُ بحركاتِ القلوب في مُطالعاتِ الغُيوبِ أشرفُ من العمل بحركاتِ الجوارح[1]

و: من طُبِعَ على البِدْعَةِ متى يشبع[2] فيه الحق؟

وقال: إذا أنت لم تَسمعْ نِداء الله، فكيفَ تُجيبُ داعيه؟[3]

و: من استغنى بشيءٍ دونَ الله جَهِلَ قدر الله[3]

و: الظَّالِمُ نادمٌ، وإنْ مدحَهُ النَّاس، والمَظلومُ سالِمٌ، وإنْ ذمَّهُ النَّاسُ، والقانعُ غنيٌّ، وإنْ جاع، والحريصُ فقيرٌ، وإن مَلَكَ[3]

و: من لم يَشْكرِ اللهَ على النِّعمةِ، فقد استدْعَى زوالها[3]

وقال: لم يزلِ العارفون يَحفرونَ خنادقَ الرِّضا، ويَغوصون في أَنْهارِ الرَّجا، ويَستخرجون جواهرَ الصَّفا، حتَّى وصلوا إلى الله في الجهر والخفا[4]

وقال: أصلُ الطَّاعةِ الورعُ، وأصلُ الورعِ التَّقوى، وأصلُ التَّقوى

---

(١) طبقات الصوفية ٥٩.

(٢) في (أ): متى يسمع. وفي (ب): متى يسغ. والمثبت من طبقات الصوفية ٥٩.

(٣) طبقات الصوفية. ٦٠

(٤) تهذيب الأسرار ١٣٠.

مُحاسبةُ النّفس، وأصلُ مُحاسبةُ النَّفس الخوفُ والرَّجاء، وأصلُ الخوفِ والرَّجاء معرفةُ الوَعْد والوعيد، وأصلُ الوَعد والوعيد ذكرُ عظيمِ الجزاء، وأصلُ ذلك الفِكْرَةُ والعِبْرَةُ، وأَصدقُ بيتٍ قالته العَرَبُ ما قاله حسّانُ بن ثابتٍ الأنصاري[1]

وما حَمَلتْ من ناقةٍ فوقَ كُورِها[2]   أَعفَّ وأَوفى ذِمَّةً من مُحمَّدِ[3]

وقال: أَوحى اللهُ إلى نبيٍّ من الأنبياء: بعيني ما يتحمَّلُ المتحمِّلون من أجلي، وما يُكابدُ المُكابدون في طلبِ مَرضاتي، فكيفَ إذا صاروا إلى جواري، وأسفرتُ لهم عن وجهي؟ فلْيبشرِ المُصَفُّون أعمالَهم بالنَّظرِ العجيب من الحبيب القريب، أَتراني أَنسى لهم عملاً؟! كيف وأنا ذو الفضلِ العظيم، أَجودُ على المُولِّينَ عنِّي، فكيف بالمُقبلين عليَّ؟ وما غضبتُ على شيءٍ كغضبي على من أخطأَ خطيئةً، ثمَّ استعظَمَها في جنب عفوي. فلو عاجلتُ أحدًا لعاجَلتُ القانطين من رحمتي، ولو يروني عبادي كيف أَستوهبُهم ممَّنِ اعتدوا عليهم بالظُّلمِ في دار الدُّنيا، ثمَّ أوجبتُ لمن وهبَهم النَّعيمَ المُقيم لما اتَّهموا فضلي وكرمي، ولو لم أَشكر عبادي إلاَّ على خوفهم من المقامِ بين يدي، لشكرتُهم على ذلك، ولو يَراني عبادي كيف أَرفعُ لهم قصورًا تَحارُ فيها الأبصار، فيُقال: لمن هذه؟ فأَقولُ: لمن عصاني، ولم يقطعْ رجاءَهُ منّي، وأنا الدَّيَّانُ الَّذي لا تحلُّ مَعصيتي، ولا حاجةَ بي إلى هوانِ من خاف مقامي[4]

---

(١) لم أجده في ديوان حسان، والبيت من الشعر المتنازع فيه، فهو في سيرة ابن هشام ٤/ ٤٢٤ والإصابة ١/ ١٢٣ ينسب لأنس بن زنيم الديلي، وفي الاستيعاب ١٦٠٥ ينسب لأبي إياس الديلي وفي معجم البلدان (قردد) ينسب لمالك بن نمط، وفي المعجم الكبير ٧/ ١٠٦ نسب إلى هاتف.

(٢) الكُور. بالضم الرحل. وقيل الرحل بأداته. وفي المختار: فوق رحلها.

(٣) الحلية ١٠/ ٧٦، المختار ٢/ ١٤٩

(٤) حلية الأولياء ١٠/ ٨٠، المختار ٢/ ١٥٣

وسُئل عن المتوكِّل: هل يلحقهُ طَمَعٌ؟ فقال: يلحقهُ طمعٌ من طريق الطّباع، خطراتٌ لا تَضرُّه شيئًا، ويقوّيه على إسقاطِ الطّمع اليأسُ عمَّا في أيدي النَّاس[1]

و: الرِّضا سكونُ القلب تحت مجاري الأحكام[2]

وسُئل عن علامةِ الصدق، فقال. الصَّادقُ الَّذي لا يُبالي لو خرجَ كلُّ قدرٍ له في قلوبِ النَّاس مِن أجلِ صلاح قلبه، ولا يُحبُّ اطلاعَ النَّاس على مثاقيل الذّرِّ من حسنِ عَمله، ولا يكرَهُ اطِّلاعَهم على السّيِّئِ من عمله؛ فإنَّ كراهته لذلك دليلٌ على أنَّه يُحبُّ الزّيادة عندهم، وليس هذا من أخلاق الصّدِّيقين[3]

وقال: الفتوَّةُ أن تَنصفَ ولا تَنتصف[4]

وقال: فقدنا ثلاثةَ أشياء: حُسنَ الوجه مع الصِّيانة، وحُسنَ القولِ مع الأمانة، وحسنَ الإخاء مع الوفاء[5]

وسُئل عن المحبّة، فقال. هو ميلُكَ إلى شيءٍ بكلِّيتك، ثمَّ إيثارُكَ له على نفسِكَ وروحك ومالك، ثمَّ موافقتك[6] للمحبوب جَهرًا وسرًّا، ثمَّ علمُكَ بتقصيرك في حبِّه[7]

وقال لرجلٍ يُوصيه: أُحذِّرُكَ ونفسي من يومٍ آلى[8] اللهُ على نفسِهِ أن لا يتركَ فيه عبدًا أمَرَه في الدُّنيا ونهاه حتَّى يَسأله عن عمله؛ دقيقِهِ وجليله،

(١) الرسالة القشيرية ٢٦٩ (التوكل)

(٢) الرسالة القشيرية ٣٠٠ (الرضا)، تهذيب الأسرار ١٢٩

(٣) الرسالة القشيرية ٣٢١ (الصدق)

(٤) الرسالة القشيرية ٣٣٨ (الفتوة)

(٥) الرسالة القشيرية ٣٥٥ (الخلق) و٤٧٢ (السماع، وفيه: وحسن الصوت مع الديانة). وانظر حلية الأولياء ١٠/ ٧٥

(٦) في (أ): موفقتك

(٧) الرسالة القشيرية ٤٥١ (المحبة).

(٨) آلى: أقسم.

سرِّه وعلانيته، فانظر بأيِّ بدنٍ تقفُ بين يديه، وبأي لسانٍ تُجيب، وأعدَّ للسُّؤالِ جوابًا، وللجواب[١] صوابًا.

وقال: عملتُ كتاب «المعرفة»[٢]، واستقصيتُهُ، وأُعجبتُ به، فبينا أنا ذاتَ يوم أَنظرُ فيه مُستحسنًا له إذ دقَّ إنسانٌ الباب، فقلتُ: من هذا؟ فقال: رجلٌ يَسألُ عن مسألةٍ. فقلتُ: ادخُلْ، فدخل عليَّ رجلٌ، وعليه ثيابٌ رثّةٌ، فسلَّمَ عليَّ، وقال لي: يا أبا عبد الله، المعرفةُ حقُّ الحقِّ في الخلق، أو حقٌّ للخلقِ على الحقِّ؟ فقلتُ له: حقٌّ للحقِّ في الخَلْق. فقال: هو أَوْلى بكشفها لمستحقِّها. فقلتُ: بل حقٌّ للخلق على الحقِّ. فقال: هو أعدلُ من أن يَظلِمَهم. ثمَّ سلَّم عليَّ وخرج، قال حارث: فأخذتُ الكتابَ وخرَّقتُهُ، وقلت: لا عدتُ أتكلَّمُ في المعرفة بعد ذلك[٣]

وقال: أوَّل بليَّةِ العبدِ تعطيلُ القلبِ من ذكرِ الآخرة، فحينئذ تحدثُ الغفلةُ في القلب.

وقيل له: ما حقيقةُ حذرِ العبد من الله تعالى؟ فقال: لا يُضيِّعُ واجبَ حقِّه، ولا يركبُ ما حُرِّمَ عليه.

وقال: الإخلاصُ إخراجُ الخلقِ من معاملة الله.

وقال: مَن أرادَ أن يذوقَ لذةَ طعم مُعاشرةِ أهلِ الجنَّةِ، فليصحبِ الفقراء الصَّادقين[٤]

وسُئل عن الأُنسِ بالله، فقال: الأُنسُ بالله التَّوحُّشُ من الخلقِ، وعلامةُ التَّوحُّشِ من الخلقِ الفرارُ إلى مواطنِ الخلوة، والتَّفرُّدُ بعذوبةِ الذِّكر،

---

(١) في (أ): وعلانيته، فانظر بأي لسان تجيب، وأعد للسؤال جوابًا وليكن الجواب.

(٢) كتاب «المعرفة وبذل النصيحة» قسّمه مؤلفه إلى أربعة أقسام: معرفة الله (وهي الأصل)، ومعرفة إبليس، ومعرفة النفس، ومعرفة العمل لله (الإخلاص)، والكتاب مطبوع في طنطا، مصر.

(٣) المختار ٢/١٤٩

(٤) تهذيب الأسرار ١٩٢.

فعلى قدرِ ما يدخلُ القلبَ من الأُنسِ بذلك فاللهُ يُخرجُ منه بقدر ذلك الأنس بالمخلوقين[1]

وقال: مَن لم يُهذِّبْ نفسه [بالرياضات]، لا يُفتَحُ له السَّبيلُ إلى سَنيِّ المقامات[2]

وقال [أبو] محمد بن خفيف[3]: دخلتُ يومًا على القاضي عليِّ بن أحمد، فقال لي: يا أبا عبد الله. قلت: لبَّيك، أيُّها القاضي. فقال: ههنا لكم حكايةٌ تحتاجُ تكتبُها بماءِ الذَّهب. فقلتُ: أيُّها القاضي، ماءُ الذَّهبِ لا نجدُه؛ بل نكتبُها بالحبرِ الجيِّد. فقال: بلغني أنَّه قيل لأبي عبد الله أحمد بنِ حنبل رحمه الله: إنَّ الحارث المُحاسبيَّ يَتكلَّمُ في علومِ الصّوفية، ويحتجُّ عليه بالآي والسُّننِ. فقال أحمد: أحبُّ أن أسمعَ كلامَه من حيثُ لا يَعلمُ بي. فقال رجلٌ: أنا أجمعُكَ معه. فاتَّخذَ دعوةً، ودعا الحارث وأصحابَه، ودعا أحمد بحيث لا يرى الحارث.

فدخل الحارث وأصحابُه، فحضرتِ الصَّلاة، فتقدَّمَ وصلَّى بهم المغرب، وأُحضر الطّعام، فجعلَ يأكلُ ويتحدَّثُ معهم، فقال أحمد هذا من السُّنة. فلمَّا فرغوا من الطّعام، غسلوا أيديهم، ثمَّ جلسَ الحارث، وجلس أصحابُه، فقال: مَن أرادَ منكم أن يسألَ عن شيءٍ فلْيسأل؟ فسُئل عن الإخلاص، وعن الرِّياء، ومسائل كثيرة، فأجابَ عنها، واستشهدَ عليه بالآي والحديث، وأحمدُ يسمعُ، ولا يُنكر من ذلك شيئًا، فلمَّا مرَّ هَوِيٌّ[4] من اللَّيل أمرَ الحارثُ قارئًا أن يقرأَ شيئًا من القرآن على الحذر[5]،

---

(١) حلية الأولياء ١٠/١٠٧، تهذيب الأسرار ٨٠، وفيه: يدخل القلب من الأنس بذكر الله

(٢) تهذيب الأسرار ١٠٠، وما بين معقوفين مستدرك منه، وفي (أ): لم يهرب.

(٣) في (أ): حفيظ.

(٤) الهَويُّ من الليل: بفتح الهاء، وضمها: الساعة منه. القاموس (هوي).

(٥) في (أ): على الحدر.

فبكى بعضُهم، وانتحب الآخرون، ثمَّ سكتَ القارئُ، فدعا الحارثُ بدعواتٍ خفاف، ثمَّ قامَ إلى الصَّلاة، فلمَّا أصبحوا، قال أحمدُ: قد كان يَبلغني أن ههنا مجالسَ الذِّكرِ يجتمعون عليها، فإن كان هذا من تلك المجالسِ، فلا أُنكرُ منها شيئًا[1]

وقال أبو العباس الهاشمي من ولد صالح بن المأمون: قال: دخلتُ على الحارث المُحاسبي، فقلتُ له: يا أبا عبد الله، حاسبتَ نفسَكَ؟ فقال: هذا كان مرة. قلتُ: فاليوم؟ فقال: أُكاتمُ حالي[2]، إنِّي لأقرأ آية من كتاب الله، فأضنُّ بها أن تَسمعَها نفسي، ولولا أن يَغلبني فيها فرحٌ ما أَعلنت بها، ولقد كنتُ ليلةً قاعدًا في محرابي، وإذا أنا بفتًى حسنِ الوجه، طيِّبِ الرَّائحة، فسلَّمَ عليَّ، ثمَّ قعدَ بين يدي، فقلتُ له: من أنت؟ فقال: أنا واحدٌ من السيَّاحين، أَقصدُ المتعبِّدين في مَحاربهم، ولا أَرى لك اجتهادًا، فأيُّ شيءٍ عملُكَ؟ قال: فقلتُ له: كتمانُ المصائب، واستجلابُ الفوائد. قال: فصاحَ صيحةً عظيمة، ثمَّ قالَ: ما علمتُ أنَّ أحدًا بين جنبي المشرقِ والمغرب هذه صفته. قال الحارث: فأردتُ أن أزيدَ عليه، فقلتُ له: أما علمتَ أنَّ أهلَ القلوبِ يحملون أحوالَهم، ويكتمونَ أسرارَهم، ويسألونَ الله كتمانَ ذلك عليهم؟ فمن أين تعرفُهم؟ قال: فصاحَ صيحةً غُشي عليه، فمكثَ عندي يومين لا يعقل، ثمَّ أفاقَ، وقد أحدثَ في ثيابه، فعلمتُ إزالةَ عقله، فأخرجتُ له ثوبًا جديدًا، وقلت له: هذا كفني، آثرتك به، فاغتسلْ، وأعدْ صلواتك[3] فقال: هاتِ الماء. فاغتسلَ وصلّى، ثمَّ التحفَ بالثَّوب، وخرج. فقلتُ له: أين تُريد؟ فقال لي: قم.

---

(١) المختار ٢/ ١٤٦

(٢) في (أ): أقول لك أَتمُّ حالي إلي إني.

(٣) في (أ): صلاتك.

فلم يزلْ يمشي حتَّى دخلَ على المأمون أميرِ المؤمنين، فسلَّمَ عليه، ثمَّ قالَ: يا ظالِم، وأنا ظالِم إن لم أقلْ لك يا ظالِم، أَستغفرُ الله، أَستغفرُ الله من تقصيري فيك، أما تتَّقي اللهَ فيما قد ملَّكَكَ؟! وتكلَّمَ بكلامٍ كثيرٍ، ثمَّ أقبلَ يُريد الخروج، وأنا جالسٌ بالباب، فأقبلَ عليه المأمون وقال: من أنت؟ قال: أنا رجلٌ من السيَّاحين، فكَّرتُ فيما عملَ الصِّديقون قبلي، فلم أجد لنفسي فيه حظًّا، فتعلَّقتُ بموعظتك؛ لعليِّ ألحقُهم. قال: فأمرَ بضرب عُنقه، فأُخرجَ وأنا قاعدٌ على الباب ملفوفًا في ذلك الثَّوب، ومنادٍ يُنادي: من وليُّ هذا، فليأخذْه؟ قال الحارث: فاختبأتُ عنه[1] فأخذَهُ أقوامٌ غرباء، فدفنوه، وكنتُ معهم لا أُعلمُهم حالَه، فأقمتُ في مسجدٍ في المقابر مَحزونًا على الفتى، فغلبتني عيناي، فإذا هو بين وصائف لم أرَ أحسنَ منهنَّ، وهو يقول: يا حارث، أتيتُ واللهِ الكاتمين الَّذين يُخفون أحوالهم، ويطيعون ربَّهم. قلتُ: وما فعلوا؟ قال. السَّاعةَ يتلقونك. فنظرتُ إلى جماعةٍ ركبان، فقلتُ: من أنتم؟ فقالوا: حرَّكَ هذا كلامُكَ له، فلم يكنْ في قلبه ممَّا وصفتَ شيءٌ، فخرجَ للأمرِ والنَّهي، فأنزلَهُ اللهُ معنا، وغضبَ لعبده[2].

* * *

(١) في (ب): فاجتنبتُ منه.

(٢) المختار ٥/ ٣١٤ـ٣١٦.

(٨) داود بن نُصير الطّائي(*)

ومنهم: أبو سُليمان داود بن نُصير الطَّائي، رحمه الله، وكان كبير[١] الشّأن في العلم والزّهد والورع.

قيل: إنَّه ورثَ عشرين دينارًا، فأكلها في عشرين سنة[٢]

وسببُ زهده أنَّه كان يمرُّ ببغداد يومًا، فنحّاه المطرِّقون[٣] بين يدي حُميد الطُّوسي[٤]، فالتفتَ داود، فرأى حُميدًا، فقال: أُفٍّ لدُنيا سبقك بها حُميد. فلزم البيتَ، وأخذ في الجهد والعبادة[٥]

(*) طبقات ابن سعد ٦/ ٣٦٧، التاريخ الكبير للبخاري ٣/ ٢٤٠، التاريخ الصغير ٢/ ١٣٦، المعارف ٥١٥، مشاهير علماء الأمصار ١٦٨، الثقات ٦/ ٢٨٢، حلية الأولياء ٧/ ٣٣٥، الرسالة القشيرية ٥١، تاريخ بغداد ٨/ ٣٤٧، الأنساب ٨/ ٣٠٦، صفة الصفوة ٣/ ١٣١، المختار من مناقب الأخيار ٢/ ٢٧٥، تهذيب الكمال ٨/ ٤٥٥، وفيات الأعيان ٢/ ٢٥٩، العبر ١/ ٢٣٨، سير أعلام النبلاء ٧/ ٤٢٢، ميزان الاعتدال ٢/ ٢١، مرآة الجنان ١/ ٣٥٠، الوافي بالوفيات ١٣/ ٤٩٥، طبقات الأولياء ٢٠٠، نفحات الأنس ٥٩، تهذيب التهذيب ٣/ ٢٠٣، الطبقات الكبرى للشعراني ١/ ٧٦، الطبقات الكبرى للمناوي ١/ ٢٧٢، شذرات الذهب ١/ ٢٥٦

(١) في (أ) و(ب): كثير، والمثبت من الرسالة القشيرية ٥١.

(٢) الرسالة القشيرية ٥١.

(٣) المطرِّقون: من يجعل للأمير طريقًا انظر أساس البلاغة.

(٤) حميد الطوسي: من كبار قواد المأمون العباسي، كان جبارًا، فيه قوّة وبطش، وكان المأمون يندبه للمهمات، توفي سنة ٢١٠هـ. الأعلام.

(٥) الرسالة القشيرية ٥١.

وقيل: سببُ زهدِهِ أنَّه سمعَ نائحةً تندبُ، وتقول:

بـــأيِّ خـــدَّيـــكَ تبـــدّى البلـــى وأيُّ عينيـــــك إذًا ســـــالا[1]

وقيل: كان سببُ زهدِهِ أنَّه كان يُجالسُ أبا حنيفة، ويتفقَّهُ عليه، فقال له أبو حنيفة يومًا: يا أبا سُليمان، أمَّا الأداةُ فقد أحكمناها فقال داود: فما بَقِي؟ قال: العملُ. قال: فنازعتني نفسي إلى العُزلةِ، فقلتُ لنفسي: حتَّى أجالسَهُم ولا أتكلَّمُ في مسألةٍ. قال: فجالستُهم سنةً، لا أتكلَّمُ في شيءٍ، وكانت المسألةُ تمرُّ بي، وأنا إلى الكلامِ فيها أشدُّ نزاعًا من العطشان إلى الماء ولا أتكلَّمُ، ثمَّ صارَ أمرُه إلى ما صار[1]

ورُوِيَ: أنَّ جُنيد الحجَّامَ حجمه، فأعطاه دينارًا، فقيل له: يا أبا سُليمان، هذا إسراف! فقال: لا عِبادةَ لمن لا مروءة له[2]

وكان يقول في جُملة دُعاته باللَّيل: إلهي، همُّكَ عطَّلَ عليَّ جميعَ الهموم، وحالَ بيني وبين الرُّقاد[3]

ورُوِيَ: أنَّه كانت له دايةٌ تُشفق عليه، فقالت له يومًا. أما تَشتهي الخبزَ؟ فقال لها: اعلمي أنَّ بين مضغِ الخبز وشرب الفتيت قراءةَ خمسين آية[4]

ورُوِيَ: أنَّه لمَّا مات، رآه بعضُ الصَّالحين في المنام وهو يعدو، فقال له: ما لك؟ فقال: السَّاعةَ تخلَّصتُ من السِّجن. فاستيقظَ الرَّجلُ، فإذا الصِّياحُ قد ارتفعَ بموتِ داود الطَّائي[5]

وقال له رجل: أَوصني. فقال: عسكرُ الموتى ينتظرونك[5]

---

(١) الرسالة القشيرية ٥١.

(٢) الرسالة القشيرية ٥٢.

(٣) الرسالة القشيرية ٢٣١ (الحزن).

(٤) الرسالة القشيرية ٥٢.

(٥) الرسالة القشيرية ٥٢.

ودخلَ عليه بعضُهم، فرأى جرَّةَ ماءٍ قد انبسطتِ الشَّمسُ عليها، فقال له: ألا تحوِّلُها [إلى الظلِّ]؟ فقال: حيث وضعتها لم تكن الشَّمسُ، وأنا أستحيي أن يراني الله ماشيًا لما فيه حظُّ نفسي[1]

ودخلَ عليه رجلٌ، فجعلَ ينظرُ إليه، فقال له: أما علمتَ أنَّهم كانوا يَكرهون فضولَ النَّظرِ كما يَكرهون فضول الكلام؟![1]

وقال أبو الرَّبيع الواسطي: قلت لداود الطَّائي: أَوصني. فقال لي: صُم عن الدُّنيا، واجعلْ فطرَكَ الموت، وفرَّ من النَّاس كفرارِكَ من السَّبع[1]

وقال عبد الله بن صالح بن مسلم العجلي: دخلتُ على داود الطَّائي في مرضِهِ الذي مات فيه، وليس في بيته إلاَّ دنٌّ مُقَيَّرٌ[2]، وفيه خبزٌ يابس، ومَطهرةٌ، ولَبِنَةٌ كبيرةٌ على التُّراب هي مَخدَّتُهُ، وما فيه شيءٌ غيرُ ذلك قليلاً ولا كثيرًا[3]

وقال قبيصة: حدَّثني صاحبٌ لنا أنَّ امرأةً من أهل داود صنعت ثريدةً بسمنٍ، ثمَّ بعثتْ بها إليه وقتَ إفطاره مع جاريةٍ لها، قال: وكان بينه وبينها رضاعٌ، قالتِ الجارية: فوضعتُ القصعةَ بين يديه. قال: فقامَ إليها ليأكلَ منها، فجاءَ السَّائلُ فوقفَ على الباب، فدفعها إليه، وجلس معه على الباب، حتَّى أكلَها، ثمَّ دخلَ فغسلَ القصعة، ثمَّ عمدَ إلى تمرٍ كان بين يديه، فوضعه في القصعة، فدفعه إليَّ، وقال: أقرئيها السَّلامَ. قالتِ الجاريةُ: وذلك التَّمرُ كان أعدَّهُ لفطوره، وما أظنُّه باتَ إلاَّ طاويًا[4]

ورُويَ: أنَّه كان يُخبزُ له في الشَّهر ستون رغيفًا، ثمَّ يعلقها بشريطٍ،

---

(١) الرسالة القشيرية ٥٢ وما بين معقوفين مستدرك منها.

(٢) الدن المقير: الجرة الكبيرة المطلية بالقار وهو الزفت. القاموس. (دنن. قير).

(٣) الحلية ٧/ ٣٤٨، المختار ٢/ ٢٨٣

(٤) الحلية ٧/ ٣٤٨.

يُفطِرُ كلَّ ليلةٍ على رغيفين بماءٍ وملحٍ، قال: فأخذ ليلةً فطورَه، وجعلَ يَنظرُ إليه، فقامت مولاةٌ له سوداء، فجاءته بشيءٍ من التَّمرِ على طبقٍ، فأفطر عليه، ثمَّ أحيا ليلته إلى الصَّباح، وأصبحَ صائمًا، فلمَّا كان وقتُ إفطارِهِ أخذ رغيفيه وملحًا وماءً، وجعلَ يُعاتبُ نفسَه، ويقولُ لها: اشتهيتِ البارحةَ تمرًا فأطعمتُكِ، واشتهيتِ اللَّيلة أيضًا تمرًا، لا ذاقَ داودُ الطَّائي تمرًا ما دامَ في دارِ الدُّنيا، قال محمد بن إسحاق في حديثِهِ. فما ذاقَهُ حتَّى مات[1]

وقال يومًا لمولاةٍ له كانت تخدمه: إنِّي أشتهي لبنًا، فخذي رغيفين، وقولي للبقَّال: تشتري به اللَّبن؟ ولا تُعرِّفيه لمن هو. قال: فذهبتْ به، وجاءت باللَّبن، فأكلَ منه، وعلم البقَّالُ أنَّها تُريده لداود، فطيَّبَهُ له. فقال لها: علمَ البقالُ لمن تُريدين اللَّبنَ؟ قالت: نعم، قد أعلمتُه. فقال: ارفعيه. وما عادَ فيه[2]

وقال عبد الله بن خُبَيْق: أتى الفضيلُ بنُ عياض داودَ الطَّائي يعوده. فقال له: أقللْ من زيارتي؛ فقد قليتُ النَّاس. ثم قال: ما أخرجَ اللهُ عبدًا من ذلِّ المعصيةِ إلى عزِّ التَّقوى إلاَّ أغناه بلا مالٍ، وأعزَّه بلا عشيرةٍ، وآنسَه بلا أنيسٍ[3]

وقال بكر بن محمد. قلتُ لداود الطَّائي: دلَّني على رجلٍ أَجلسُ إليه. فقال: تلك ضالةٌ لا تُوجد[4]

وعوتب على ترك التَّزويج، فقال: كيف بقلبٍ ضعيفٍ لا يقومُ بِهمِّهِ يجتمعُ عليه همَّان[5]

---

(١) الحلية ٧/ ٣٤٩، المختار ٢/ ٢٨٤

(٢) الحلية ٧/ ٣٥٣، المختار ٢/ ٢٨٥

(٣) الحلية ٧/ ٣٥٥، ٣٥٦، المختار ٢/ ٢٨٧

(٤) المختار ٢/ ٢٨٧

(٥) الحلية ٧/ ٣٥٦.

وقال إسحاقُ السّلولي: حدَّثتني أمُّ سعيدِ بن علقمة، وكان سعيد من نسَّاك النَّخع[1]، وكانت أمُّه طائية، فقالت: كان بيننا وبين داود جدارٌ قصيرٌ، فكنتُ أسمعه[2] عامَّة اللَّيل لا يهدأُ. قالت: وربَّما ترنَّمَ بشيءٍ من القرآن وقتَ السَّحر، فأَرى كأنَّ جميعَ لذَّاتِ الدُّنيا جمعت[3] في تَرنُّمه تلك السَّاعة[4]

وقال عبد العزيز بن محمد: رأيتُ في المنام، كأنَّ قائلًا يقول: من يحضرُ، من يحضر؟ فأتيتُه، فقال: ما تُريد؟ فقلتُ: سمعتُكَ تقول: من يحضر، من يحضر؟ فأتيتُكَ أَسألُكَ عن معنى كلامك. فقال: أما ترى القائمَ الَّذي يخطبُ النَّاسَ، ويخبر عن أَعلى المراتبِ للأولياء، فأدرك؛ لعلك تُدركُهُ، فتسمعُ كلامَه قبل انصرافه. فأتيتُهُ، وإذا النَّاسُ حوله، وهو يقول:

ما نالَ عبدٌ من الرَّحمنِ مِنْزِلَةً   أَعلى من الشَّوقِ إنَّ الشَّوقَ مَحمودُ

قال: ثمَّ سلَّمَ ونزل. فقلتُ لرجلٍ إلى جنبي: من هذا؟ فقال: أَما تعرفه؟ قلت: لا قال: هذا داود الطَّائي. فعجبتُ في منامي منه، فقال: أَتعجبُ ممَّا رأيت؟ واللهِ إنَّ الَّذي لداود الطَّائي من الزّلفى أكثرُ من هذا وأكبر[5]

وقال عبد الله الأعرج: أتيتُ داود الطَّائي، فصلَّيتُ معه المغربَ، وكان لا يَتطوَّعُ في المسجد، فتبعتُه إلى بيته، فصعَّدَ فيَّ النَّظرَ وصوَّتَ، فقلتُ له: أنا ضيفُكَ[6] اللَّيلة، فدخلَ ودخلتُ معه، فصلَّى ما شاءَ الله، ثمَّ

---

(١) في (أ): وكان سعيد بن سماك النجعي، وكانت أمه طائية.
(٢) في الحلية ٧/ ٣٥٦: أسمع حنينه عامة.
(٣) في (ب): فأرى كأن جميع نعيم الدنيا جمع.
(٤) الحلية ٧/ ٣٥٧.
(٥) الحلية ٧/ ٣٦٠
(٦) في الحلية ٧/ ٣٤٥، والمختار ٢/ ٢٨٣: أضيفك الليلة؟

أَخرجَ رغيفين يابسين، فجلسَ وقال: ادنُ فكُلْ. فأشفقتُ عليه أن أُزاحمَه، فأكلَ، ثمَّ قامَ إلى شَنٍّ[1] بجانب الدَّار في يوم صائف، فأخذ وشرب منه، فقلت له: يا أبا سُليمان، لو أمرتَ من يُبرِّدُ لك هذا الماء فقال: أَعلمتَ أنَّ الَّذي يُبرِّدُ له الماءُ في الصَّيف، ويُسخَّن له في الشّتاء لا يُحبُّ لقاءَ الله؟![2]

وقال له رجلٌ من عشيرته: أَوصني. فدمعتْ عيناه، ثمَّ قال: يا أخي، إنَّما اللَّيل والنَّهارُ مراحلُ[3] ينزلُها النَّاس، مرحلةً مرحلةً إلى آخرِ سفرِهم، فإن استطعتَ أن تقدِّمَ في كلِّ مرحلةٍ زادًا لما بين يديها فافعلْ، فإنَّ انقطاعَ السَّفر قريبٌ، والأمرُ أَعْجَلُ من ذلك، فتزوَّدْ لنفسك[4]، واقضِ ما أنت قاضٍ من أمرك، فكأنَّكَ بالأمرِ وقد بغتَكَ، وإنِّي مُوصيك هذا[5]، وما أعلم أحدًا أشدَّ تضييعًا لذلك منِّي، ثمَّ قام عنِّي[6]

ولما مات، قام ابنُ السَّمَّاك على قبره، فقال: يا داودُ، كنتَ تَسهرُ ليلك والنَّاسُ نائمون، فكنتَ تَربحُ والنَّاسُ يَخسرون، وكنت تَسْلَمُ إذا النَّاس يخوضون. حتَّى عدَّ أكثرَ فضائله، والنَّاسُ يُصدِّقونه على ذلك، فلمَّا فرغَ قام ليذهب، قام أبو بكر النَّهْشَلي فحَمِدَ الله وأثنى عليه، ثمَّ قال: يا ربِّ، إنَّ النَّاسَ قد قالوا ما عندهم، ومبلغَ ما علموه من حاله، اللَّهُمَّ فاغفرْ له برحمتك، ولا تَكِلْهُ إلى عمله[7]

ورُوِيَ: أنَّه خرجَ يتبعُ جنازةً بالكوفة، فجلس ناحية وهي تُدْفَنُ، فجاء

---

(١) في (أ): إلى بئرٍ.
(٢) الحلية ٧/ ٣٤٥، المختار ٢/ ٢٨٣ وللخبر تتمة فيهما.
(٣) في (أ): منازل.
(٤) في حلية الأولياء ٧/ ٣٤٦، والمختار ٢/ ٢٨٣: فتزود لسفرك.
(٥) في (ب): وإني أوصيك بهذا.
(٦) حلية الأولياء ٧/ ٣٤٥، المختار ٢/ ٢٨٣
(٧) الحلية ٧/ ٣٤٠، المختار ٢/ ٢٨٩

النَّاسُ وقعدوا قريبًا منه، فقال: من خافَ الوعيدَ قَصُرَ عليه البعيد، ومن طالَ أملُه ضَعُفَ عملُه، وكلُّ ما هو آتٍ قريب، وكلُّ ما شغلَكَ عن ربِّك فهو عليك مشؤوم، واعلم أنَّ أهلَ القبورِ[1] إنَّما يَفرحون بما يُقدِّمون، ويندمون على ما يخلفون[2]

وقال بعضُ الصَّالحين: رأيتُ اللَّيلةَ الَّتي مات فيها داود الطَّائي نورًا، وملائكةً صعودًا، وملائكةً نزولاً، فقلتُ: أيُّ ليلةٍ هذه؟ قالوا: هذه الليلة التي ماتَ فيها داود الطَّائي، فقد زُخرفتِ الجنَّةُ لقدوم روحِهِ[3]

وقال الحسن بن مُجاهد[4]: مرضَ داودُ الطَّائيُّ، فلمَّا خفَّ عنه المرضُ، قيل له: لو خرجتَ ليفرج عن قلبك[5]، فقال: إنِّي لأستحيي من الله أن أنقلَ قدمي إلى ما فيه راحةُ بدني.

وقال القاسمُ بن الضّحاك: قال داود الطَّائي لعُقبةَ بنِ موسى وكان صديقًا له، فقال له ذات يومٍ: يا عُقبة، كيف يتسلَّى من الحزنِ من تتجدَّدُ عليه المصائبُ في كلِّ وقتٍ؟ فخرَّ عقبةُ مَغشيًا عليه[6]

* * *

---

(١) في (أ): ألا إن أهل القبور إنما، وفي (ب): واعلم أن أهل القبور أن أهل القبور إنما. وفي الحلية: ألا إن أهل الدنيا جميعًا من أهل القبور إنما. والمثبت من المنتقى.

(٢) حلية الأولياء ٧/ ٣٥٧.

(٣) الرسالة القشيرية ٥٣٣ (رؤيا القوم).

(٤) في (أ)، والمنتقى: الحسين بن مجاهد، وفي الحلية: جبر بن مجاهد.

(٥) في (أ): لو خرجت لانفرج عنك قلبك، وفي المنتقى: لانفرج عن قلبك، وفي الحلية: لو خرجت إلى روح يفرح قلبك، وفي المختار: لو خرجت إلى الردم يفرح قلبك.

(٦) حلية الأولياء ٧/ ٣٥٦، الرسالة القشيرية ٢٣١ (الحزن).

(٩) شقيق بن إبراهيم البلخي(*)

ومنهم: أبو علي شقيقُ بن إبراهيم البلخي من مشايخ خراسان، له لسانٌ في التَّوكُّلِ حسنُ الكلام فيه، وهو أوَّلُ من تكلَّمَ في علوم الأحوال بكورة خُراسان(١)

صحب إبراهيمَ بن أدهم، وأخذَ عنه الطَّريقةَ، وهو أستاذُ حاتمٍ الأصم(٢)

وسببُ توبته أنَّه كان من أولاد الأغنياء، فخرجَ إلى التّجارة بأرضِ التُّرك وهو حَدَثٌ، فدخل بيتًا للأصنام، فرأى خادمها وقد حلقَ رأسَهُ ولحيته، ولبسَ ثيابًا أرجوانية، فقال له شقيق: إنَّ لك صانعًا حيًّا، عالمًا، قادرًا، فاعبدْهُ ولا تعبدْ هذه الأصنامَ التي لا تضرُّ ولا تنفع فقال: إن كان كما تقول فهو قادرٌ على أن يرزقَكَ ببلدك، فلِمَ تعنَّيتَ إلى ههنا للتجارة؟ فانتبَه شقيقٌ، وأخذ في طريقِ الزُّهد بعد التَّوبة(٣)

(*) الجرح والتعديل ٤/ ٣٧٣، طبقات الصوفية ٦١، حلية الأولياء ٨/ ٥٨، الرسالة القشيرية ٥٣، صفة الصفوة ٤/ ١٥٩، المختار من مناقب الأخيار ٣/ ١٠٨، وفيات الأعيان ٢/ ٤٧٥، مختصر تاريخ دمشق ١٠/ ٣٢٠، سير أعلام النبلاء ٩/ ٣١٣، ميزان الاعتدال ٢/ ٢٧٩، دول الإسلام ١/ ١٢٣، العبر ١/ ٣١٥، فوات الوفيات ٢/ ١٠٥، الوافي بالوفيات ١٦/ ١٧٣، مرآة الجنان ١/ ٤٤٥، نفحات الأنس ٧٣، الطبقات الكبرى للشعراني ١/ ٧٦، الطبقات الكبرى للمناوي ١/ ٣٢٠ شذرات الذهب ١/ ٤٣١.

(١) طبقات الصوفية ٦١ وفيها بكور خراسان.

(٢) طبقات الصوفية ٦١

(٣) الرسالة القشيرية ٥٣.

وقال شقيق: العاقلُ لا يخرجُ من هذه الثَّلاثة[١]: الأولى: أن يكونَ خائفًا لِمَا سَلَفَ منه من الذُّنوب، والثَّانية: لا يدري ما يَنْزِلُ به ساعةً بعد ساعة، الثَّالثة: يخافُ من إبهام العاقبة، لا يَدري بما يُختم له[٢]

وقال: احذرْ أن تَهْلَكَ بالدُّنيا، ولا تَهْتَمَّ أن رزقَكَ يُعطاه أحدًا سواك[٣]

و: التَّوكُّل أن يطمئنَ قلبُك بموعود الله.

وقال: تُعرفُ تقوى اللهَ الرَّجلِ في ثلاثةِ أشياء: في أخذِهِ، ومنعِهِ، وكلامِهِ.

و: الفقيرُ هو الَّذي يَخشى الغِنى، ويغتنمُ الفقرَ[٤]

وقال: عمِلْتُ في القرآن عشرينَ سنة، حتَّى ميَّزتُ الدُّنيا من الآخرة، فأصبتُهُ في حرفين، قوله: ﴿ فَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَىْءٍ فَمَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴾[٤] [الشورى: ٣٦].

و: الزَّاهدُ الَّذي يقيمُ زهدَه بفعله، والمُتزهِّدُ الَّذي يُقيم زهدَه بلسانه[٥]

وقال: من لم يعرفِ اللهَ بالقُدرة فإنَّه لا يعرفُهُ. فقيل: وكيف يَعرفُهُ بالقُدرة؟ قال: يعرفُ أنَّ الله قادرٌ، إذا كان معه شيءٌ أن يأخُذَهُ منه، فيعطيَه غيرَه، وإذا لم يكن معه شيءٌ أن يُعطيه[٦]

---

(١) في طبقات الصوفية: من هذه الأحرف الثلاثة.
(٢) طبقات الصوفية ٦٣
(٣) في طبقات الصوفية ٦٣ ألاّ تهلك.. فإن رزقك لن يُعطى لأحدٍ سواك.
(٤) طبقات الصوفية ٦٤
(٥) طبقات الصوفية ٦٤، تهذيب الأسرار ١٢٠
(٦) طبقات الصوفية ٦٤، وقوله: وإذا لم يكن معه. ليس في (أ).

و: مَن أرادَ أن يعلمَ كونه عارفًا بالله، فلينظرْ إلى ما وعدَهُ اللهُ ووعدَهُ النَّاس، بأيِّما قلبُهُ أوثق[1]

وقال: ميِّزْ بين ما تُعْطِي وتُعْطَى، إن كان من يُعطيكَ أحبَّ إليك، فإنَّكَ محبُّ الدُّنيا، وإن كان من تُعطِيهُ أحبَّ إليك؛ فإنَّكَ محبُّ الآخرة[1]

و: مَن خرجَ من النِّعمةِ، ووقع في القِلَّةِ ـ ولا تكون القلَّةُ عنده أعظمَ من النِّعمةِ ـ فإنَّه في غمَّيْنِ، غمٌّ في الدُّنيا، وغمٌّ في الآخرة، ومَن خرجَ من النِّعمةِ، ووقع في القِلَّةِ، وكانتِ القِلَّةُ عنده أعظمَ من النِّعمةِ التي خرج منها، كان في فرحَيْنِ: فرحٍ في الدُّنيا، وفرحٍ في الآخرة[2]

وقال: اتَّقِ الأغنياء؛ فإنَّك متى عقدْتَ قلبَك معهم، وطَمِعتَ فيهم، فقد اتَّخذتهم أربابًا من دونِ الله[3]

وسُئل: بأيِّ شيءٍ يُعرفُ أنَّ العبدَ اختارَ الفقرَ على الغِنَى؟ قال: يخافُ أن يصيرَ غنيًّا، فيحفظ الفقرَ بالخوف، كما كان من قبلُ يخافُ أن يصيرَ فقيرًا، فيحفظ الغِنَى بالخوف[2]

وقيل له: بأيِّ شيءٍ يُعرفُ أنَّ العبدَ واثقٌ بربِّه؟ قال: يُعرفُ بأنَّه إذا فاتَهُ شيءٌ من الدُّنيا، يحسبُه غنيمةً، وإذا أبطأت عليه الدُّنيا يكون أحبَّ إليه من أن تأتيه[2]

وقال: حفظُ الفقرِ أن ترى الفقرَ مِنَّةً من الله تعالى عليك، حيث لم يُضَمِّنْكَ في رزقِ غيرك، ولم ينقصْكَ ممَّا قَسَمَ لك[2]

وقال: ليس شيءٌ أحبَّ إليَّ من الضَّيف؛ لأنَّ رزقَهُ ومؤنَتَهُ على الله، وأجرَهُ لي[2]

---

(١) طبقات الصوفية ٦٤

(٢) طبقات الصوفية ٦٥

(٣) حلية الأولياء ٨/ ٧١، المختار ٣/ ١١٥

وقال: طهِّرْ قلبَك من حُبِّ عُروضِ الدُّنيا، حتَّى يَدخلَ فيه حبُّ الآخرةِ، وثوابُ الله[1]

وقـال: إذا أردتَ أن تكـونَ فـي راحـةٍ فكُـلْ مـا أصبـتَ، والبَسْ ما وجدتَ، وارضَ بما قضى الله عليك[1]

وقال: مَن دار حول العلو[2]، فإنَّما يَدورُ حولَ النَّار، ومَن دارَ حولَ الشَّهواتِ، فإنَّما يَدورُ بدرجاتِهِ في الجنَّةِ ليأكلَها، ويُنقصَها في الدُّنيا[3]

وقال حاتم الأصم: كان شقيق بنُ إبراهيم مُوسرًا [وكان يَتفتَّى] يُعاشر الفتيان، وكان عليُّ بنُ عيسى بن ماهان[4] أميرَ بلخٍ، وكان يُحبُّ كلابَ الصَّيدِ، ففقدَ كلبًا من كلابه، فسُعي برجلٍ أنَّه عنده، وكان الرَّجلُ في جوارِ شقيق، فطُلِبَ الرَّجل، فهربَ، ودخل دار شقيق مُستجيرًا، فمضى شقيقٌ إلى الأمير وقال: خلُّوا سبيلَه، فالكلبُ عندي، أردُّه إليكم بعد ثلاثة أيام. فخلُّوا سبيلَه، وانصرف شقيق مُهتمًّا بما يصنع، فلمَّا كان اليوم الثَّالث قدمَ من السَّفر رجلٌ من أهل بلخ كان غائبًا، فوجدَ الكلبَ في الطَّريق، وعليه قلادةٌ، فأخذه، وقال: أَهديه لشقيق؛ فإنَّه يَشتغلُ بالتَّفتِّي، فحمله إليه، فعرف شقيقٌ أنَّه كلبُ الأمير، فسُرَّ به، وحمله إليه، وتخلَّصَ من الضَّمان، فرزقه الله الانتباه، وتاب مما كان فيه، وسلكَ بعد ذلك طريقَ الزُّهد[5]

---

(١) طبقات الصوفية ٦٦

(٢) في (أ): حول العِلْق، والعِلْق: النفيس من كل شيء. القاموس.

(٣) طبقات الصوفية ٦٦

(٤) علي بن عيسى بن ماهان من كبار الأمراء في عصر الرشيد والأمين، سيّره الأمين لقتال المأمون، وولاه إمارة الجبل وهمذان وأصبهان، فلقي جيش المأمون، وانهزم أصحابه، وقتل سنة ١٩٥هـ.

(٥) الرسالة القشيرية ٥٤، مختصر تاريخ دمشق ١٠/٣٢١، وما بين معقوفين مستدرك منهما. المختار ٣/١٠٨

وقال حاتم الأصم: كنَّا مع شقيق في مَصافِ[1] نُحاربُ التُّركَ، وكان يومًا لا ترى فيه إلاَّ رؤوسًا تَندرُ[2]، أو رماحًا تقصف، وسيوفًا تتقطَّع، فقال لي شقيق: كيف تَرى نفسَك يا حاتم في هذا اليوم؟ تَراه مثلَ ما كنت في اللَّيلةِ الَّتي زُفَّتْ إليك امرأتُك؟ فقلتُ: لا واللهِ. فقال لكنِّي، واللهِ أرى نفسي في هذا اليومِ مثلَ ما كنتُ في تلك اللَّيلة. ثمَّ نامَ بين الصَّفين، ودَرَقَتُه[3] تحت رأسه، حتَّى سمعت غطيطَه[4].

وقال: لَمَّا رزقني اللهُ التَّوبةَ، خرجتُ من ثلاث مئةِ ألف درهم، وكنتُ مُرابيًا، ولبستُ الصُّوفَ عشرين سنة، وأنا لا أعلم، حتَّى لقيتُ عبد العزيز بن أبي روَّاد[5]، فقال: يا شقيقُ، ليس الشَّأنُ في أكلِ الشَّعير، ولا لبسِ الصُّوف، وإنَّما الشَّأنُ في المعرفة، فتعبد اللهَ ولا تُشرك به شيئًا، ثمَّ تكونُ راضيًا عن الله، ثمَّ تكونُ بما في يدِ الله أوثقَ منك بما في أيدي المخلوقين، ثمَّ يكونُ جميعُ ما تعمله لله خالصًا من صلاةٍ، وصيام، وحجٍّ، وغزوٍ[6]، إلى غير ذلك من أعمالِ البر، ثمَّ تلا قوله تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا﴾ [الكهف: ١١٠] من الأكدار، يعني خَالصًا لا يَشوبه شركٌ[7].

وقال: ثلاثٌ من أعلام الزُّهد، الأوَّل: أن يَميلَ عن الهوى[8] ولا يَميل معه، الثَّاني: ينقطعَ إلى الزُّهدِ بقلبه، الثَّالث: أن يذكرَ كلَّما خلا

---

(١) مصاف: جمع صف، واحد الصفوف التي تكون تلقاء وجه العدو في الحرب.

(٢) تندر: تسقط. القاموس.

(٣) الدرقة: ترس من جلد ليس فيه خشب.

(٤) الرسالة القشيرية ٥٤، المختار ٣/ ١١٠

(٥) عبد العزيز بن أبي روّاد زاهد عابد من أعيان المكيين وعلمائهم، أسند عن جماعة من التابعين. توفي سنة ١٥٩ للهجرة بمكة.

(٦) في (ب): وحج وعمرة.

(٧) انظر المختار ٣/ ١٠٩

(٨) في (أ): أن لا يميل على الهوى.

بنفسه كيف مدخله في قبره ومخرجه منه، ويذكر الجوع والعطش والعري، في طول القيام للحساب، ويذكر الصِّراط، والفضيحة البادية، فإذا ذكرَ ذلك شغلَهُ عن ذكرِ دارِ الغرور، فإذا فعلَ هذا كان من مُحبِّي الزُّهاد، ومَن أحبَّهم كان معهم[1]

وقال: مثلُ المؤمنِ كمثلِ رجلٍ غَرَسَ نخلةً، وهو يخافُ أن تحملَ شوكًا، ومَثَلُ المنافق مثلُ رجلٍ زرعَ شَوكًا، وهو يَطمعُ أن يحصدَ تمرًا، فهيهات هيهات، كلٌّ من عملَ حسنًا، فإنَّ اللهَ لا يجزيه إلاَّ حسنًا، ولا يُنْزِلُ الأبرارَ منازلَ الفُجَّار[2]

وقيل: سأل شقيقٌ جعفرَ بنَ محمَّد الصَّادق عن الفتوَّة. فقال: ما تقولُ أنتَ يا شقيق؟ فقال: إن أُعطينا شَكرنا، وإذا مُنعنا صَبرنا. فقال جعفر: الكلابُ عندنا بالمدينة كذلك تفعل. فقال شقيق: يا بنَ بنتِ رسولِ الله، ما الفتوَّةُ عندكم؟ فقال: إن أُعطينا آثرنا، وإن مُنعنا شكرنا[3]

وقال: لقيتُ إبراهيمَ بنَ أدهم بمكَّة في سوقِ اللَّيل عند مولد رسول الله ﷺ، وهو جالسٌ ناحيةً من الطَّريق يبكي، فعدلتُ إليه، وسلَّمتُ عليه، وقلتُ له: أيش هذا البكاء، يا أبا إسحاق؟ فقال: خيرٌ. فعاودتُهُ مرَّةً واثنتين وثلاثة، فلمَّا أكثرتُ عليه، قال لي: يا شقيق، إنْ أنا أَخبرتُكَ، تُحدِّثُ به أو تَستُرُهُ عليَّ؟ فقلتُ: يا أخي، قلْ ما شئتَ[4] فقال: اشتهت نفسي السّكباجَ[5] منذ ثلاثين سنة، وأنا أَمنعُها جَهدي، فلمَّا كان البارحةَ كنتُ جالسًا، وقد غلبني النُّعاس، إذا أنا بفتًى شابٍّ، وبيده

---

(١) حلية الأولياء ٨/ ٦٢

(٢) الحلية ٨/ ٧١، صفة الصفوة ٤/ ١٦٠

(٣) الرسالة القشيرية ٣٤١ (الفتوة)، وفي تهذيب الأسرار ٢٩١، الخبر بين إبراهيم بن أدهم بدلاً من شقيق، وشقيق بدلاً من جعفر بن محمد.

(٤) في (أ): قل ما اشتهيت.

(٥) السكباج: طعام يعمل من اللحم والخل مع توابل.

قدحٌ أخضرُ يعلو منه بخارٌ، ورائحةُ سكباج، قال: فاجتمعت بهمَّتي عنه، فقربَ مني، وقال: يا إبراهيمُ، كُلْ. فقلتُ: ما آكل شيئًا قد تركته لله تعالى. قال: وإن أطعمَكَ اللهُ، ما تأكلُ؟ فما كان لي جوابٌ إلاَّ أنَّني بكيت، فقال لي: كُلْ، يَرحمُكَ الله. قال إبراهيم بن أدهم: فقلتُ له: قد أُمرنا أن لا نطرحَ في وعائِنا إلاَّ من حيثُ نعلم. فقال لي: كلْ، عافاكَ الله، فإنَّما أُعطيت، وقيل لي: يا خضر، اذهبْ بهذا، وأَطعمْ نفسَ إبراهيمَ بن أدهم، فقد رحمَها اللهُ من طولِ صبرها على ما يُحمّلُها حين منعها، اعلمْ يا إبراهيم، أنّي سمعتُ الملائكةَ يقولون: من أُعطي فلم يأخذْ، طَلَبَ ولم يُعْطَ. فقلتُ: إن كان كذلك فها أنا بين يديك لا أُحلُّ[1] العقدَ مع الله. ثمَّ التفتُّ، فإذا أنا بفتًى آخرَ ناوله شيئًا، وقال: يا خضر، لقِّمْه أنت. فلم يزل يُلقّمني حتَّى نعستُ[2]، فانتبهتُ وحلاوتُهُ في فمي. قال شقيق: فقلتُ له: أرني كفَّكَ. فأخذتُ كفَّه بكفّي، وقبّلتُها، وقلتُ: يا مَنْ يُطعمُ الجياعَ الشَّهوات إذا صحَّحوا المنعَ، يا مَنْ يَقدحُ في الضَّمير اليقين، يا مَنْ سَقى قلوبَهم من محبَّتِهِ، أتَرى لشقيقٍ عندكَ حالٌ؟ ثمَّ رفعتُ يدَ إبراهيم إلى السَّماءِ، وقلتُ: بقدرِ هذا الكفِّ، وبقدرِ صاحبه، وبالجودِ الذي وجدَهُ منك، جُدْ على عبدِكَ الفقير بفضلِكَ وإحسانِك ورحمتك، وإن لم يستحقَّ ذلك منك. قال: فقامَ إبراهيمُ، ومشيتُ معه حتَّى دخلنا المسجدَ الحرام[3].

وقال: أدركتُ النَّاسَ في الفقر، فوجدتُ أهلَ خُراسان يقولون ويعملون، ووجدتُ أهلَ البصرة يتكلَّمون في الفقر، والخير معلَّقٌ كلَّ ليلة، ووجدتُ أهلَ دمشق يتكلَّمون، ويسمون الفكر به[4]، ولم أصلْ إلى

---

(١) في إحياء علوم الدين: ٣/ ٩٣ لأجل.
(٢) في (ب): حتى شبعتُ.
(٣) إحياء علوم الدين ٣/ ٩٣
(٤) في (ب): للمفكر به.

شيءٍ ممَّا كانوا يقولون، ورأيتُ بمصرَ طائفةً لم يُعجبني ما قالوا، ورأيتُ أهلَ بغداد يَقولون ويثبتون، ويصفونَ أحوالَ العارفين المُستأنسين، ولست أعلمُ أحدًا من الخلقِ يصلُ إلى ما يقولون.

وقال: دخلتُ البصرةَ، فسألتُ عن رجلٍ من المُنقطعين إلى الله، كان بَلغني ذكرُه، فصِرْتُ إليه، واستأذنتُ عليه، فأَذِنَ لي، فدخلتُ وسلَّمتُ عليه، فردَّ عليَّ السَّلام، ثمَّ قال: من أنت؟ قلتُ: أنا شقيق البَلْخي. فقال: أنتَ مؤدب[1] أهلِ الخراسان؟ قلتُ: نعم. فقال: ما بلغَ من توكُّلِكَ؟ قلتُ: استوى عندي الكَرْخُ والبرِّيَّةُ[2]، فنظر إليَّ كالمُنكرِ، ثمَّ قال: إنَّما يَشكُّ في الرِّزقِ، ويَشتغلُ به من يشكُّ في الخالق، ولو كنتُ طيرًا ما استحللتُ أن أطيرَ فوق دارٍ تَسكنُها أنت[3]

وقال حاتم الأصمُّ: قدِمَ شقيق البلخي الكوفةَ، يُريدُ مكَّةَ، فلقيه سُفيانُ الثَّوري، فقال له: أنت الَّذي تَدعو إلى التَّوكُّلِ، وتمنعُ المكاسب؟ فقال شقيق: ما قلتُ كذا! قال: فأَيشٍ قلتَ؟ قال شقيق: حلالٌ بيِّنٌ، وحرامٌ بيِّنٌ، ومُتشابهٌ فيما بين ذلك، ولكن دخلت الآفةُ من الخاصَّةِ على العامَّة، وهم[4] خمسُ طبقات: فأوَّلُهم العلماءُ (والثَّاني الزُّهاد، والثَّالث الغُزاة، والرَّابع التُّجار، والخامس السَّلاطين: فأمَّا العلماءُ)[5]: فهم ورثةُ الأنبياء، لأنَّ الأنبياءَ لم يُورِّثُوا دينارًا ولا درهمًا، وإنَّما ورَّثوا العلم، فإذا كان العالِمُ طامعًا جامعًا، فالجاهلُ بِمَنْ يقتدي؟

وأمَّا الزُّهاد: فهم مُلوكُ الأرض، فإذا كان الزَّاهدُ يَرغبُ فيما في أيدي النَّاس، فالرَّاغبُ بِمَنْ يقتدي؟

---

(١) في (أ): مؤذن أهل.
(٢) في (ب): الكوخ والبرية، وفي المختار: الكوخ والتربة.
(٣) المختار ٣/ ١١٦
(٤) في (أ): وهن.
(٥) ما بين الهلالين ليس في (أ).

وأمَّا الغزاةُ: فهم أَضيافُ الله عزَّ وجلَّ في أرضه، فإذا كان الغازي يُحبُّ الجمال[1] والتَّصُّدرَ في المجالس، فمتى يغزو؟

وأمَّا التُّجار: فهم أُمناءُ الله في أرضه، فإذا كان التَّاجرُ خائنًا، فَبِمَنْ يقتدي الخائن؟

وأمَّا السَّلاطين فهم الرُّعاة، فإذا كان الرَّاعي هو الذِّئبُ، فالذِّئبُ كلُّ ما يأخذُهُ يأكلُه[2]

يا سفيان، لا تجمعنَّ فيها إلاَّ على قَدْرِ مقامك فيها. فقامَ سفيان، ولم يَرُدَّ عليه شيئًا، وسلَّم عليه، ومضى[3]

ورُوِيَ أنَّه دخل الرَّيَّ، فأتاه قاضيها محمدُ بن مقاتل، وقال له: إن رأيتَ أن تجعلَ طعامَكَ عندي طُولَ مقامك بالرَّيِّ أنت وأصحابُك، فافعلْ. قال شقيق: ليس أفعلُ. قال: فلِمَ؟ قال: لأنِّي أخافُ أن تُشرِفَ منِّي على عيبٍ، فتُبعدُني، ثمَّ أرجعُ إليك فلا تَقبلني[4]، وأنا معه على العيوب، يَرزقني ويَسترُ عليَّ العيوب[5]

وقال: بينا أنا ذات ليلةٍ نائمٌ حِيالَ الكعبة في المسجدِ الحرام، إذ رأيتُ في منامي مَلَكَيْنِ أتياني، فوقفا عليَّ، فقال أحدُهما لصاحبِهِ: كم حجَّ العامَ؟ فقال له صاحبه: ثلاثةٌ؛ فلانٌ، وفلان، وفلان. فقال له: وشقيق؟ قال: لا، شقيقٌ عليه فَضْلُ ثوب. فلمَّا كان في العام القابلِ حَججتُ في عباءةٍ، فبينا أنا راقدٌ في المسجدِ الحرام رأيتُهما في منامي، فقال أحدُهما

---

(١) في (أ): يحب الحملان، وأصل المختار ٢/ ١١١، وفي مختصر تاريخ دمشق ١٠/ ٣٢٢: الخيلاء.

(٢) في (ب): هو الذئب، كل ما يجده يأكله.

(٣) المختار ٣/ ١١١

(٤) في (أ)، والمختار: ثم أرجع إليه فلا يقبلني.

(٥) المختار ٣/ ١١١، ١١٢

لصاحبه: كم حجَّ العامَ؟ فقال: ثلاثةٌ؛ فلان، وفلان، وشقيقٌ، إلاَّ أنَّ اللهَ شفَّعَهم في كلِّ مَنْ حجَّ[1].

وقال: لو أنَّ رجلاً عاش مئتي سنة، ولا يعرف هذه الأربعةَ الأشياء، استحقَّ إعراضَ الله عنه، إلاَّ أن يسمحَ له، ويتجاوزَ عنه برحمته: معرفةُ الله، ومعرفةُ نفسِهِ، ومعرفةُ عِلْمِ اللهِ، ومعرفةُ عدوِّه إبليس: فأمَّا معرفةُ الله: فبأن يعرفَهُ في السِّرِّ والعلانية، وأنَّه لا مُعطي غيرُه ولا مانعُ سواه.

ومعرفةُ نفسِهِ: أن يعرفَها في ضعفِها وعجزِها[2]، وأنَّه لا يستطيعُ أن يردَّ شيئًا ممَّا قضى اللهُ عليه به.

ومعرفةُ علم الله: أن يعرفَ أنَّ اللهَ لا يقبلُ من الأعمالِ إلاَّ ما كان له خالصًا، وعلامةُ الإخلاصِ أن لا يطمعَ في أحدٍ من الخلق، ولا يُريدَ محمدتَهم.

ومعرفةُ عدوِّ الله إبليس وعدوِّه: أن يعمل في السِّرِّ، فيحاربُهُ بالمعرفة حتَّى يسكنَ، ويكونَ النَّصرُ عليه[3].

وقال: الفقيرُ تقارنُهُ ثلاثةُ أشياء: فراغُ القلب، وخفَّةُ الحِساب، وراحةُ النَّفس، والغنيُّ تُقارنُهُ ثلاثةُ أشياء: تَعَبُ النَّفسِ، وشُغل القلبِ، وشدَّةُ الحساب[4].

وقال: العبادةُ عشرةُ أجزاء، تسعةٌ منها [في] الهربِ من النَّاس، وواحدةٌ في السُّكوت[5].

* * *

---

(1) المختار ٣/ ١١٠، مختصر تاريخ دمشق ١٠/ ٣٢٤

(2) في (أ): في ضعفه وعجزه.

(3) في الحلية ٨/ ٦١: وأما معرفة عدو الله أن تعلم أن لك عدوًا لا يقبل الله منك شيئًا إلاَّ بالمحاربة، والمحاربة في القلب أن تكون محاربًا مجاهدًا، متعبًا للعدو.

(4) تهذيب الأسرار ١٦٤، المختار ٣/ ١١٦

(5) تهذيب الأسرار ٣١٢، المختار ٣/ ١١٦

(١٠) أبو يزيد البسطامي (*)

ومنهم: أبو يزيد طيفور بن عيسى البسطامي، وكان جدُّه مجوسيًا اسمه سَرُوشان، فأسلمَ، وهم ثلاثة أخوة: آدم، وطيفور، وعلي، فكلُّهم كانوا زهَّادًا وعبَّادًا، وأبو يزيد كان أجلَّهم حالاً(١)

قيل: إنَّه مات سنة إحدى وستين ومئتين، وقيل: أربع وستين ومئتين(٢)

قال أبو يزيد: قعدتُ ليلةً في محرابي، فمددتُ رجلي، فهتفَ بي هاتفٌ: مَنْ يُجالسَ الملوك، ينبغي أن يُجالسَهم بحسن الأدب(٣)

وقال له رجلٌ. بماذا أَستعينُ على العبادة؟ فقال: بالله، إن كنتَ تَعرفُهُ(٤)

(*) طبقات الصوفية ٦٧، حلية الأولياء ١٠/ ٣٣، الرسالة القشيرية ٥٥، الأنساب ٢/ ٢١٣، المنتظم ٥/ ٢٨، صفة الصفوة ٤/ ١٠٧، المختار من مناقب الأخيار ٣/ ١٨٢، معجم البلدان ١/ ٤٢١، اللباب ١/ ١٥٢، وفيات الأعيان ٢/ ٥٣١، سير أعلام النبلاء ١٣/ ٨٦، ميزان الاعتدال ٢/ ٣٤٦، العبر ٢/ ٢٣، مرآة الجنان ٢/ ١٧٣، الوافي بالوفيات ١٦/ ٥١٤، البداية والنهاية ١١/ ٣٥، طبقات الأولياء ٣٩٨، النجوم الزاهرة ٣/ ٣٥، نفحات الأنس ٨٥، طبقات الشعراني ١/ ٧٦، الطبقات الكبرى للمناوي ١/ ٦٥١، شذرات الذهب ٢/ ١٤٣، جامع كرامات الأولياء ٢/ ٤٩.

(١) طبقات الصوفية ٦٧، الرسالة القشيرية ٥٥.

(٢) طبقات الصوفية ٦٧، الرسالة القشيرية ٥٥، وفيهما: وقيل سنة أربع وثلاثين ومئتين

(٣) طبقات الصوفية ٦٩

(٤) طبقات الصوفية ٧٠.

ورُويَ عنه: أنَّه أَذَّنَ مرَّةً، ثمَّ أرادَ أن يُقيم، فنظرَ في الصَّفِ، فرأى رجلاً عليه أَثرُ سفرٍ، فتقدَّمَ إليه، فكلَّمَهُ بشيءٍ، فقام الرَّجل، وخرجَ من المسجد، فسألَهُ بعضُ من حضر، فقال الرَّجلُ: كنتُ في السَّفرِ، فلم أجدِ الماء، فتيمَّمْتُ ونسيتُ، ودخلتُ المسجد، فقال لي أبو يزيد: لا يجوزُ التَّيمُّمُ في الحضر[١] فذكرت ذلك، وخرجتُ[٢]

وقال: عملْتُ في المجاهدةِ ثلاثين سنة، فما وجدتُ شيئًا أشدَّ عليَّ من العلم ومُتابعتِهِ، ولولا اختلافُ العلماءِ لبقيت، واختلافُ العلماءِ رحمةٌ إلاَّ في تجريدِ التَّوحيد[٣]

وقال: لا خطرَ للجنَّةِ عند أهلِ المحبَّة، وأهلُ المحبَّة مَحجوبون بمحبَّتهم[٤]

و: مَنْ سمعَ الكلام ليتكلَّمَ به مع النَّاس، رزقَهُ اللهُ فهمًا يُكلِّمُ به النَّاس، ومَنْ سمعَهُ ليعامله به في فعله، رزقَهُ اللهُ فهمًا يُناجي به ربَّه تعالى[٥]

وقال في بعض مناجاته: يا ربِّ، هذا فَرحي بك، وأنا أخافُكَ، فكيف فَرحي بك إذا أمنتُكَ؟[٥]

و: يا ربِّ، فهِّمني عنك فَإنِّي لا أَفهمُ عنك إلاَّ بك[٦]

وقال: عرفتُ اللهَ باللهِ، وعرفتُ مادونَ الله بنورِ الله[٦]

---

(١) في (أ): لا تجوز الصلاة بالتيمم في الحضر إلاّ لعذر.
(٢) طبقات الصوفية ٧٠
(٣) طبقات الصوفية ٧٠، الرسالة القشيرية ٥٥.
(٤) طبقات الصوفية ٧٠
(٥) طبقات الصوفية ٧١
(٦) طبقات الصوفية ٧٢.

وسُئل: بماذا نالوا المعرفة؟ فقال: بتضييعِ ما لهم، والوقوفِ مع ما له[١]

وقال أبو يزيد: اطَّلعَ اللهُ على قلوب أوليائه، فمنهم من لم يكن يصلُحُ لحملِ المعرفة صِرْفًا، فأشغلهم بالعبادة[٢]

وسُئل: ما علامةُ العارف؟ فقال: لا يفتُرُ من ذكره، ولا يَمَلُّ من حقِّه، ولا يستأنسُ بغيره[٣]

وقال: أمَرَ اللهُ العباد ونهاهم، فأطاعوه، فخلعَ عليهم من خِلَعِهِ، فاشتغلوا بالخلعِ عنه، وإنِّي لا أُريد من اللهِ إلاَّ الله[٣]

وقال: غلطتُ في ابتدائي في أربعة[٤] أشياء: توهَّمتُ أنِّي أذكرُهُ، وأعرفُهُ، وأحبُّه، وأطلبُه، فلمَّا انتهيتُ[٥]، رأيتُ ذكرَهُ سبقَ ذكري، ومعرفتَهُ تقدَّمت معرفتي، ومحبَّتَهُ أقدمَ من محبَّتي، وطلبني أوَّلاً حتَّى طلبته[٦]

وقال: كنتُ اثنتي عشرةَ سنة حدَّادَ نفسي، وخمس سنين مرآةَ قلبي، وسنةً أنظرُ فيما بينهما، فإذا في وسطي زُنَّارٌ ظاهر، فعملتُ في قطعه اثنتي عشرةَ سنة، ثمَّ نظرتُ فإذا في قلبي زُنَّارٌ، فعملتُ في قطعه خمسَ سنين، فلمَّا نظرتُ كيف أقطعُ كُشِفَ لي، فنظرتُ إلى الخلقِ، فرأيتُهم موتى، فكبَّرتُ عليهم أربعَ تكبيرات[٧]

وقال: اللَّهُمَّ، إنَّكَ خلقتَ هذا الخلقَ بغيرِ علمهم، وقلَّدتَهم أمانةً من

---

(١) طبقات الصوفية ٧١، الرسالة القشيرية ٤٤٢ (المعرفة بالله).
(٢) طبقات الصوفية ٧١
(٣) طبقات الصوفية ٧٢.
(٤) في (أ): ابتداء أربعة.
(٥) في (أ): فلما انتبهتُ.
(٦) طبقات الصوفية ٧٢
(٧) الرسالة القشيرية ١٧٧، ١٧٨ (المجاهدة)، المختار ٣/ ١٨٣.

غيرِ إرادتِهم، فإن لم تُعنهم فمن يُعينُهم؟![1]

وقال: إذا صحبَكَ إنسانٌ، وأساءَ عشرتَكَ، فادخُلْ عليه بحسنِ أخلاقك يطيبُ عيشُك، وإذا أنْعَمَ عليك، فابدأ بشكرِ الله؛ فإنَّه الَّذي عَطَفَ عليك القلوب، فإذا ابتُليتَ، فأسرع إليه الاستقالةَ؛ فإنَّه القادرُ على كشفِها دون سائرِ الخلق[1]

و: أبعدُ الخلق من الله أكثرُهم إشارةً إليه[2]

وقيل له: بأيِّ شيءٍ وجدتَ هذه المعرفة؟ فقال: ببطنٍ جائعٍ، وبدنٍ عارٍ[3]

و: العارفُ[4] همُّه ما يأملُهُ، والزَّاهدُ همُّه ما يأكلُهُ.

و: طُوبى لمن كان همُّه همًّا واحدًا، ولم يشغلْ قلبَه بما رأتْ عيناه، وسمعت أُذناه[5]

و: مَنْ عرفَ الله، فإنَّه يزهدُ في كلِّ شيءٍ يشغلُهُ عنه.

وسُئل عن السُّنَّةِ والفريضة، فقال: السُّنةُ تركُ الدُّنيا، والفَريضةُ الصُّحبةُ مع المولى؛ لأنَّ السُّنةَ كلَّها تدلُّ على تركِ الدُّنيا، والكتابُ كلُّه يدلُّ على صحبةِ المولى، فمن تعلَّمَ السُّنةَ والفريضةَ فقد كَمُلَ[6]

و: النِّعمُ أزليَّةٌ، يجبُ أن يكونَ لها شكرٌ أزلي[7]

وقال لبعضِ أصحابه: قمْ بنا إلى هذا الرَّجلِ الَّذي قد شهر نفسَه

---

(١) طبقات الصوفية ٧٣

(٢) في طبقات الصوفية ٧٤: قال: المعرفة في ذات الحق جهل، والعلم في حقيقة المعرفة حيرة، والإشارة من المُشير شرك في الإشارة، وأبعد الخلق.

(٣) طبقات الصوفية ٧٤

(٤) في (أ): فالعاري، والمثبت من طبقات الصوفية ٧٤

(٥) طبقات الصوفية ٧٤

(٦) طبقات الصوفية ٧٤ وقوله إلى (مع المولى) في تهذيب الأسرار ٥٢٩.

(٧) طبقات الصوفية ٧٤.

بالولاية، ننظرُ إليه، وكان رجلاً مقصودًا، مَعروفًا بالزُّهد، فمضينا إليه، فلمَّا خرجَ من بيته، ودخلَ المسجدَ، رمى ببُصاقهِ تُجاه القبلة، فانصرفَ أبو يزيد، ولم يُسلِّمْ عليه، وقال: هذا غيرُ مأمونٍ على أدبٍ من آداب رسولِ الله ﷺ، فكيفَ يكونُ مأمونًا على ما يدَّعيه من الزُّهد؟![1]

وقال: لقد هممتُ أن أسألَ الله أن يكفيني مَؤونة الأكلِ، ومَؤونة[2] النِّساء، ثمَّ قلتُ: كيف يَجوزُ لي أن أسألَ اللهَ مثلَ هذا، ولم يسألْه رسولُ الله ﷺ؟ ثمَّ إنَّ الله كفاني مَؤونةَ النِّساء، حتَّى لا أُبالي استقبلتني امرأةٌ أو حائط[3]

وسُئل عن ابتداء زهده، فقال: ليس للزُّهدِ مَنْزلةٌ، لأنَّني كنتُ ثلاثة أيَّامٍ في الزُّهد، فلمَّا كان اليومِ الرَّابع خرجتُ منه، فاليومُ الأوَّل: زهدتُ في الدُّنيا وما فيها، واليومُ الثَّاني: زهدتُ في الآخرةِ وما فيها، واليومُ الثَّالث: زهدتُ فيما سوى الله، فلمَّا كان اليومُ الرَّابع لم يبقَ لي سوى الله، فنِمتُ، فسمعتُ في المنام هاتفًا يقول: يا أبا يزيد، لا تَقوى معنا فقلتُ: هذا الذي أُريد. فسمعتُ قائلاً يقول: وجدتَ، وجدتَ[3]

وقيل: ما أَشدُّ ما لاقيتَ في سبيل الله؟ فقال: لا يُمكنُ وصفه. فقيل له: ما أشدُّ ما لَقيتْ منك نفسُك؟ فقال: أمَّا هذا فنعم، دعوتُها إلى شيءٍ من الطَّاعاتِ، فلم تُجبني، فمنعتُها الماءَ سنة[4]

وقال: مُنذ ثلاثين سنة أُصلِّي، واعتقادي في نفسي كلَّ صلاةٍ كأنِّي مَجوسيٌّ، أُريدُ أن أقطعَ زناري[5]

وقال: إذا نظرتم إلى رجلٍ أُعطي من الكراماتِ حتَّى تربَّعَ في الهواء،

---

(١) الرسالة القشيرية ٥٥، ٣٧٤ (الولاية).

(٢) في (أ): مؤنة.

(٣) الرسالة القشيرية ٥٥، المختار ٣/ ١٨٣

(٤) الرسالة القشيرية ٥٦، المختار ٣/ ١٨٣

(٥) الرسالة القشيرية ٥٦، المختار ٣/ ١٨٤

فلا تغترُّوا به حتَّى تنظروا كيف تَجدونَهُ عند الأمرِ والنَّهي، وحفظِ الحدود، وأداءِ الشَّريعة[١]

وقال رجلٌ لأبي يزيد: ما لك لا تُسافر؟ فقال: لأنَّ صاحبي لا يُسافر، وأنا مُقيم معه. فقال له السَّائلُ: إنَّ الماء القائم[٢] يتغيَّرُ، والوضوءُ والغُسل منه مكروه. فقال له أبو يزيد: لم يَروا بماءِ البحرِ بأسًا، وإنْ كان مُتغيِّرًا، هو الطَّهورُ ماؤه، الحلُّ ميتتُهُ. ثمَّ قال: ترى الأنهارَ تجري، ولها دويٌّ وخَرير، حتَّى إذا دنتْ من البحرِ، وامتزجتْ به، سكنَ خريرُها، ولم يُحِسَّ ماءُ البحر بها، ولا تَظهرُ فيه زيادةٌ بسببها، ولا إنْ خرجتَ منه استبانَ فيه نقصٌ[٣]

وجاءَهُ رجلٌ فقال: أَوصني. فقال أبو يزيد: انظرْ إلى السَّماء. فنظرَ إليها، فقال: تَدْري مَنْ خَلَقَها؟ قال: الله. فقال: إنَّ الَّذي خلقَها مُطَّلعٌ عليك حيث ما كُنتَ، فاحذرْه[٤]

وقال: أشدُّ المَحجوبين عن الله ثلاثةٌ بثلاثةٍ، فأوَّلُهم الزَّاهدُ بزُهدِهِ، والثَّاني العابدُ بعبادته، والثَّالثُ العالِمُ بعلمِهِ، ثمَّ قال: مُسكينٌ الزَّاهد، قد تلبَّسُ بزهدِهِ، وجرى في ميدان الزُّهَّادِ، وقد علمَ المسكينُ[٥] أنَّ الدُّنيا كلَّها سَمَّاها الله ﴿قليلاً﴾، فكم مَلَكَ من القليل؟ وفي كم زهدَ ممَّا مَلَكَ؟ [إنَّ الزَّاهد هو الَّذي يَلحظُ إليه بلحظِهِ، فيبقى عنده، ثم لا يرجعُ نظرُهُ إلى غيرِه، ولا إلى نفسِهِ]، وأمَّا العابدُ فهو الَّذي يرى مِنَّةَ الله عليه في العبادة أكثرَ من العبادة [حتَّى تغرقَ عبادتُهُ في المِنَّة]، وأمَّا العالِمُ فلو علم أنَّ جميعَ ما أَبدى اللهُ من العلمِ سطرٌ واحدٌ من اللَّوحِ المحفوظ، فكَمْ عَلِمَ

---

(١) الرسالة القشيرية ٥٦، المختار ٣/ ١٨٤

(٢) في (ب): الماء الدائم.

(٣) حلية الأولياء ١٠/ ٣٥، المختار ٣/ ١٩٥، وكلمة: نقص مثبة من المنتقى.

(٤) الحلية ١٠/ ٣٥، المختار ٣/ ١٨٩

(٥) في (أ): المسلمين، وفي (ب): ولو علم المسكين.

هذا العالِم من ذلك السَّطرِ؟ فكم عَمِلَ بما عَلِمَ؟[1]

وقال في مُناجاته: ليسَ العجبُ من حُبِّي لك، وأنا عبدٌ فقير، وإنَّما العَجَبُ من حبِّكَ لي، وأنت مَلِكٌ قدير[2]

وقال: رأيتُ ربِّي في المنام، فقلتُ: كيف أَجِدُكَ؟ فقال: فارِقْ نفسَكَ وتعالَ[3]

وقال: إنَّ في اللَّيل لشرابًا لقلوبِ أهلِ المعرفة، فإذا شَرِبوهُ، طارتْ قلوبُهم في الملكوتِ حبًّا لله وشوقًا إليه، فبذلك يَقطعون لياليهم إذا أظلمتْ عليهم، ألاَ وإنَّ النَّاظرين إليه لا إلى الدُّنيا ذهبوا بصفوِ الدُّنيا والآخرة. ثمَّ أنشد:

غرستَ الحبَّ غَرْسًا في فؤادي ... فلا أسلو إلى يومِ التَّنادِ
جرحتَ القلبَ[4] منِّي باتِّصالٍ ... فشوقي زائدٌ والحبُّ بادي
سقاني شربةً أَحيا فُؤادي ... بكأسِ الحبِّ من بحرِ الوداد
فلولا اللهُ يَحفظُ عارفيه ... لَهامَ العارفون بكلِّ[5] وادي[6]

قيل له: ما صفةُ العارف؟ فقال: صفةُ أهلِ النَّار: ﴿لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ﴾[7] [طه: ٧٤].

ورُوِيَ أنَّه غسلَ ثوبَه في الصَّحراء مع صاحبٍ له، فقال له صاحبُه: تُعلِّقُ الثِّيابَ على جدران الكروم؟ فقال: كيف نَغرِزُ الوتدَ في جدارِ النَّاس بغيرِ إذنِهم؟ فقال: تُعلِّقُهُ على الأشجار؟ فقال: يكسرُ الأغصان. فقال:

---

(١) الحلية ١٠/ ٣٦، ٣٧ وما بين معقوفين مستدرك منه، المختار ٣/ ١٨٩.
(٢) الحلية ١٠/ ٣٤، المختار ٣/ ١٨٨.
(٣) الرسالة القشيرية ١٨٤ (الخلوة)، ٥٣٠ (رؤيا القوم).
(٤) في (أ): أهجت القلب.
(٥) في (أ): في كل وادي.
(٦) تهذيب الأسرار ٤٨، ٤٩، المختار ٣/ ١٩٥ ولم يذكر أبيات الشعر.
(٧) تهذيب الأسرار ٥١.

تبسطُهُ على الإذْخِرِ؟ فقال: لا، إنَّه علفُ الدَّوابِّ، لا نستُرُهُ عنها. فولَّى ظهرَه إلى الشَّمسِ، وجعلَ القميصَ على ظهره حتَّى جفَّ جانبُهُ، ثمَّ قلبَهُ على الوجهِ الآخر حتَّى جفَّ جانبُه الثَّاني[1]

وقيل: إنَّه دخلَ يومًا الجامع، فغرزَ عصاه في الأرضِ، فسقطتْ، ووقعتْ على عصا شيخٍ بجنبِهِ، قد ركزَ عصاه في الأرض فألقتْها، فانحنى الشَّيخُ، وأخذَ عصاه، فمضى أبو يزيد إلى بيتِ ذلك الشَّيخِ، واستحلَّه، وقال: إنَّما احتاج ينحني بوقوعِ عصاي على عصاه[2]

وقيل له: متى يكونُ الرَّجلُ مُتواضعًا؟ فقال: إذا لم يرَ لنفسِهِ مَقامًا ولا حالاً، ولا يرى أنَّ في الخلقِ من هو شرٌّ منه[3]

وسألَهُ بعضُ الصَّالحين[4] عن التَّوكُّلِ، فقال له: ما تقولُ أنتَ؟ قال: إنَّ أصحابَنا يقولون: لو أنَّ السِّباعَ والأفاعي عن يمينك وعن يَسارك ما تحرَّكَ سرُّكَ لذلكَ. فقال أبو يزيد: نعم، هذا قريبٌ، ولكن لو أنَّ أهلَ الجنَّةِ في الجنَّةِ يتنعَّمون، وأهلَ النَّارِ في النَّارِ يُعذَّبون، ثمَّ وقعَ بك تمييزٌ عليهما لخرجتَ من جملةِ التَّوكُّلِ[5]

ورأى رجلاً فقال: ما حِرفتُكَ؟ فقال الرَّجلُ: خَرْبَنْده[6] فقال أبو يزيد: أماتَ اللهُ حمارَك؛ لتكونَ عبدَ الله لا عبدَ الحمار[7]

وقيل: أرسلَ ذو النُّون إلى أبي يزيد رجلاً، وقال له: قل لأبي

---

(١) الرسالة القشيرية ١٩١ (التقوى)، المختار ٣/ ١٨٤

(٢) الرسالة القشيرية ١٩١ (التقوى)، المختار ٣/ ١٨٤

(٣) الرسالة القشيرية ٢٤٢ (الخشوع)، المختار ٣/ ١٩٥، وانظر تهذيب الأسرار ٤٦٣

(٤) هو أبو موسى الديبلي. الرسالة.

(٥) الرسالة القشيرية ٢٦٢ (التوكل)، المختار ٣/ ١٩٦

(٦) خربنده: الحمّار. فارسية. أي مُكري الدواب.

(٧) المختار ٣/ ١٩٦ وفي تهذيب الأسرار ٣٠٦ أجابه أبو يزيد بالفارسية فقال: أكر خربنده بودن به بودن. معناه: لو كنت عبداً لله تعالى كان خيراً لك.

يزيد[1]: إلى متى هذا النَّوم والرَّاحة وقد جازتِ القافلةُ؟ فقال له أبو يزيد: قل لأخي ذي النُّون: الرَّجلُ من ينامُ اللَّيل كلَّه، ثمَّ يُصبحُ في المَنْزِلِ قبل القافلة. فقال ذو النُّون: هنيئًا له هذا الكلام، لا تبلغه أحوالُنا[2]

وقال: أولياءُ الله عرائسُ الله، وهم مُخدَّرون عنده في حِجالِ الأُنس، لا يَراهم أحدٌ لا في الدُّنيا ولا في الآخرة [إلاَّ مَنْ كان محرمًا لهم، وأمَّا غيرهم فلا، إلاَّ مُتنقبين من وراء حُجبهم][3]

وقال: حظوظُ كراماتِ الأولياء مع تبايُنها من أربعةِ أسماء، وقيامُ كلِّ فريقٍ منهم باسمٍ منها وهو: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّاهِرُ وَٱلْبَاطِنُ﴾ [الحديد: ٣]، فمَنْ فَنِي عنها بعد مُلابستها فهو الكاملُ التَّامُّ، فمَنْ كانَ حظُّه من اسمِه ﴿ٱلظَّاهِرُ﴾ لاحظَ عجائبَ قدرتِهِ، ومَنْ كانَ حظُّه من اسمِه ﴿ٱلْبَاطِنُ﴾ لاحظَ ما يجري في السَّرائرِ من أنوارِهِ، ومَنْ كان حظُّه من اسمِه ﴿ٱلْأَوَّلُ﴾ كان شغلُه بما سبق، ومَنْ كان حظُّه من اسمِه ﴿ٱلْآخِرُ﴾ كان مُرتبكًا[4] بما يَستقبله، وكلٌّ كُوشِفَ على قدر طاقته إلاَّ من تولاَّه الحقُّ سبحانه ببرِّه[5]

وسُئل عن المعرفة، فقال: ﴿إِنَّ ٱلْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا۟ قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوٓا۟ أَعِزَّةَ أَهْلِهَآ أَذِلَّةً﴾ [النمل: ٣٤] ثمَّ قال: للخَلْقِ أحوالٌ، ولا حالَ للعارف؛ لأنَّه مُحيتْ رسومُه، وفنيت هويَّتُهُ لهوية غيره، وغُيِّبَ أثرُهُ بآثارِ غيره[6]

فـ: العارفُ طيَّار، والزَّاهدُ سيَّار[7]

---

(١) في (أ): رجلاً قل لأخي يزيد.

(٢) الرسالة القشيرية ٣١٠ (الإرادة).

(٣) حلية الأولياء ١٠/ ٤٠، المختار ٣/ ١٩٣، وما بين معقوفين مستدرك منهما.

(٤) في (أ): كان مغتبطًا.

(٥) الرسالة القشيرية ٣٧٧ (الولاية).

(٦) الرسالة القشيرية ٤٣٩ (المعرفة)، المختار ٣/ ١٩٦

(٧) الرسالة القشيرية ٤٤١ (المعرفة)، المختار ٣/ ١٩٦

فـ: العارفُ لا يَرى في يقظته إلَّا اللهَ، ولا في نومه غير الله، ولا يوافق غير الله، ولا يُطالع غير الله[1]

وسُئل عن المحبَّةِ، فقال: استقلالُ الكثيرِ من نفسِكَ، واستكثارُ القليلِ من حبيبك[2]

وقال أبو موسى الدَّيْبُليُّ: سألت عبد الرَّحمن بن يحيى عن التَّوكُّلِ، فقال: لو أدخلتَ يدَكَ في فمِ التِّنين حتَّى تبلغ الرُّسغَ لا تخافُ مع الله غيره. قال: فخرجتُ إلى أبي يزيد لأسألَهُ عن التَّوكُّلِ، [فدخلت بِسطام] فدققتُ البابَ، فقال: أليس لك في قولِ عبد الرَّحمن كفاية؟ فقلتُ: افتحِ الباب. فقال: إنَّك ما جئتني زائرًا، وقد أتاكَ الجوابُ من وراء الباب. فلم يفتحْ لي، فمضيتُ [إلى ديبل]، ولبثتُ سنةً ثمَّ قصدتُهُ، فقال الرَّجلُ: مَرحبًا جئتني الآن زائرًا. وبقيتُ عنده شهرًا، فكانَ لا يخطرُ بقلبِي شيءٌ إلَّا أخبرني به، فعند وداعه قلتُ له: أَفِدني فائدةً. فقال: حدَّثتني أُمي أنَّها كانت حاملةً بي، وكان إذا قُدِّمَ إليها الطَّعامُ من الحلال امتدَّتْ يدُها إليه، وإن كان فيه شُبهةٌ انقبضت يدُها عنه[3]

ورُويَ أنَّ يحيى بنَ معاذ الرَّازي كتبَ إلى أبي يزيد: إنني سكرتُ من كثرةِ ما شَربتُ من محبَّته. فكتبَ إليه أبو يزيد: غيرُكَ شربَ بحورَ السَّماواتِ والأرض وما رُويَ بَعْدُ، ولسانُهُ خارجٌ، وهو يقول: هل مِنْ مَزيد؟ وأُنشِدَ في ذلك المعنى:

عَجِبْتُ لمن يَقولُ ذَكرتُ ربِّي[4]   وهـل أَنْسَـى فـأذكُـرُ مـا نَسِيـتُ

---

(١) الرسالة القشيرية ٤٤٣ (المعرفة).

(٢) تهذيب الأسرار ٥٧، الرسالة القشيرية ٤٤٨ (المحبة)، المختار ٣/ ١٩٦ وانظر قول ذي النون صفحة ٨٦.

(٣) تهذيب الأسرار ٣٢٦، وما بين معقوفين مستدرك منه، الرسالة القشيرية ٣٥١ (الفراسة)، المختار ٣/ ١٨٥، روض الرياحين (الحكاية: ٢٨٦). وانظر الحاشية (٥) صفحة ١٣٢

(٤) في الرسالة: ذكرت إلفي.

شَربتُ الحبَّ كأسًا بعد كأسٍ فما نَفِـدَ الشَّـرابُ ولا رَويـتُ[1]

وقال: إنَّ لله عبادًا لو حجَبَهم في الجنَّةِ عن رُؤيته، لاستغاثوا من الجنَّةِ كما يَستغيثُ أهلُ النَّارِ من النَّار[2]

ورُوِيَ أنَّ شقيقَ البلخي وأبا تُراب النَّخْشَبِي قَدِما على أبي يزيد، فقُدِّمتِ السُّفرةُ، وشابٌّ يخدمُ أبا يزيد، فقالا له: كُلْ معنا يا فتى. فقال: أنا صائم. فقال له أبو تُراب: كُلْ ولك أجرُ صوم شهرٍ. فأبى، فقال له شقيق: كُلْ ولك أجرُ صوم سنةٍ. فأبى، فقال أبو يزيد: دعوا من سقطَ من عينِ الله. فأُخِذَ ذلك الشَّابُّ في السَّرقة بعد سنة، فقُطعت يدُه[3]

وقال: إنَّ اللهَ خلقَ إبليسَ كلبًا من كلابه، وخلقَ الدُّنيا جيفةً لإبليس، ثمَّ أَقْعَدَ إبليسَ على آخر طريقِ الدُّنيا وأوَّلِ طريقِ الآخرة، وقيل له: انظر، كلَّما وجدتَ في عملِ عبدٍ من عبادي شيئًا من جيفتك، فقد سلَّطتُكَ عليه.

وقال عمِّي البسطامي: كُنَّا قُعودًا في مَسجد أبي يزيد[4]، فقال: قُوموا نستقبل وليًّا من أولياء الله. فقُمنا معه، فلمَّا بلغنا الدَّرْبَ، وإذا إبراهيم استنبة[5] الهروي، فقال له أبو يَزيد: وقعَ في خاطري أنْ أستقبلَكَ، وأشفعَ لك إلى ربِّي. فقال إبراهيمُ: ولو شفَّعَكَ في جميعِ المَخلوقين لم يكنْ كثيرًا؛ إنَّما هم قطعةٌ من طينٍ. فتحيَّرَ أبو يزيد من جوابه[6]

ورُوِيَ أنَّه كان في ناحيةِ أبي يزيد رجلٌ فقيه، وكان عالِمَ تلك النَّاحية،

---

(١) الرسالة القشيرية ٤٥٢ (المحبة)، المختار ٣/ ١٨٦

(٢) الرسالة القشيرية ٤٦٠ (الشوق).

(٣) الرسالة القشيرية ٤٦٤ (حفظ المشايخ، وترك الخلاف عليهم)، المختار ٣/ ١٨٥

(٤) في الرسالة: في مجلس أبي يزيد.

(٥) في (أ) و(ب): شيبة. وانظر ترجمته في الحلية ١٠/ ٤٣، وطبقات المناوي الكبرى ١/ ٥٠٦.

(٦) الرسالة القشيرية ٥٢٠ (كرامات الأولياء)، المختار ٣/ ١٨٥.

فقصدَ أبا يزيد، فقال له: قد حُكي لي عنك أعاجيب أتعجَّبُ منها[1] فقال أبو يزيد: وما لم تَسمعْ من عَجائبي أكثر. ثمَّ قال: عِلْمُكَ هذا عمَّن، وممَّن، ومِنْ أين؟ فقال أبو يزيد: عِلمي من عَطاءِ الله، وعن الله، ومن حيثُ قال رسولُ الله ﷺ: «مَنْ عَمِلَ بما يعلم، أورثَهُ اللهُ علمَ ما لم يعلم»[2] ومن حيثُ قالَ رسولُ الله ﷺ: «العِلمُ علمان: علمٌ ظاهرٌ، وهو حُجَّةُ اللهِ على خلقه، وعلمٌ باطنٌ، وهو العِلمُ النَّافع»[3] فعلمُكَ يا شيخ، نقلٌ من لسانٍ عن لسانٍ للتعليمِ لا للعمل، وعِلمي من علمِ الله إلهامًا ألَهمني من عنده. فقال الشَّيخُ: عِلمي بالتَّأكيد عن الثِّقاتِ أكابر عن أكابر، عن رسول الله ﷺ، عن جبريلَ عليه السَّلام، عن ربِّه عزَّ وجلَّ. فقال له أبو يزيد: يا شيخ، هل تعلمُ أنَّ للنبيِّ عليه السَّلام علمًا عن الله لم يطَّلعْ عليه جبريلُ ولا ميكائيل عليهما السَّلام؟ فقالَ: نعم، ولكنْ أريدُ أن يصحَّ لي علمُكَ الذي تقول هو من عند الله. فقال: نعم، أبيِّنُهُ لك بقدرِ ما يستقرُّ في قلبك[4] معرفتُهُ، ثمَّ قال: يا شيخ، علمتَ أنَّ الله تعالى كلَّمَ موسى تكليمًا، وكلَّمَ الله[5] مُحمدًا ورآه كفاحًا، وكلَّمَ الأنبياءَ وحيًا؟ فقال الشَّيخ: بلى. ثمَّ قال: أيُّها الشَّيخ، أمَا علمتَ أنَّ كلامَهُ للصدِّيقين والأولياء بالإلهام منه لهم، وإلقاء فوائده في قلوبهم وتأييده لهم حتَّى أنطقَهم بالحكمةِ، ونفعَ بهم الأمَّةَ، وممَّا يُؤكِّدُ ما قلتُهُ ما ألْهَمَ اللهُ أمَّ

---

(١) في (أ): عجائب العجب منها.

(٢) رواه أبو نعيم في الحلية ١٠/ ١٥ عن أنس بن مالك.

(٣) لم أجده بلفظه، وقد روى ابن أبي شيبة في مصنفه ٧/ ٨٢ (٣٤٣٦١) عن الحسن قال: قال رسول الله ﷺ: «العلم علمان؛ علم في القلب فذاك العلم النافع، وعلم في اللِّسان فتلك حجة الله على عباده». ورواه البيهقي في شعب الإيمان ٢/ ٢٩٤ عن الفضيل بن عياض. وانظر تاريخ بغداد ٤/ ٣٤٦، وكنز العمال (٢٨٦٦٧ و٢٨٩٤٦)

(٤) في (ب)، والمختار ٣/ ١٩٧: أثبته لك بقدر ما تستيقن.

(٥) في (أ): وحكم الله.

موسى أن تُلقيَهُ في التَّابوت، حتَّى أخذَتْهُ، فألقتْهُ في اليمِّ، وكما أَلْهَمَ الخَضِرَ أمرَ السَّفينة، وأَمْرَ الغلامِ والحائط، وقوله لموسى: ﴿ وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى﴾ [الكهف: ٨٢] إنَّما هو علم [عن] الله. قال اللهُ تعالى: ﴿ وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا﴾ [الكهف: ٦٥]، وكما أَلْهَمَ يُوسفَ في السِّجن، فقال: ﴿ ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِى رَبِّىٓ﴾ [يوسف: ٣٧]، وكما قالَ أبو بكر الصِّدِّيق لعائشة: إنَّ بنتَ خارجة حاملٌ ببنت. ولم يكنِ استبانَ حملُها، فولدتْ جارية كما قال[1]، وكما أَلْهَمَ اللهُ عمرَ الفاروقَ، وكانَ على المنبرِ بالمدينة: يا ساريةُ، الجبلَ، الجبلَ. وهو بنهاوند[2]، ومثلُ هذا كثير، وأهلُ الإلهامِ قومٌ اختصَّهم اللهُ بالفوائد فضلاً منه عليهم، وكرامةً لهم، وقد فضَّلَ اللهُ بعضَهم على بعض في الإلهام والفِراسة. فقامَ الشَّيخُ وقال: قد أعطيتني أصلاً، وشفيتَ صدري.

وقال: نظرتُ فإذا النَّاسُ في الدُّنيا متلذِّذون بالنِّكاحِ والطَّعام والشَّراب، وفي الآخرةِ بالمَنكوحِ والمَلذوذِ، فجعلت لذَّتي في الدُّنيا ذكرَ الله، وفي الآخرةِ النَّظرَ إلى الله.

---

(١) قال أبو بكر رضي الله عنه موصٍ ابنته عائشة رضي الله عنها، ولم يكن له من يرثه يومئذ إلاها وابناه وأسماء: إنَّما هو اليوم مال وارث، وإنَّما هما أخواك وأختاكِ، فاقتسموا على كتاب الله. قالت عائشة: فقلت يا أبت، والله لو كان كذا وكذا لتركته، إنَّما هي أسماء، فمن الأُخرى؟ فقال أبو بكر: ذو بطن بنت خارجة، أراها جارية. رواه مالك في الموطأ (١٤٣٨)، والبيهقي في سننه (٦/ ١٦٩).

(٢) قال عمر بن الخطاب، وهو يخطب يوم الجمعة: يا سارية الجبل الجبل، من استرعى الذئبَ ظلم. حيث وقع في خاطره أنَّ الجيش الذي أرسله مع سارية إلى نهاوند بفارس لاقى العدو، وهم في بطن وادٍ، وقد هموا بالهزيمة، وبالقرب منهم جبل، فقال ذلك، ورفع بها صوته، فألقاه الله في سمع سارية، فانحاز بالناس إلى الجبل، وقاتلوا العدو من جانب واحد، ففتح الله عليهم. رواه الواقدي، وأخرجها سيف، والبيهقي في الدلائل، واللالكائي في شرح السنة، وابن الأعرابي في كرامات الأولياء. كشف الخفا ٢/ ٥١٤ (٣١٧٢).

وقال: حججتُ أوَّلَ مرَّةٍ فرأيتُ البيتَ، ولم أرَ صاحبَ البيت، ثمَّ حججتُ الثَّانيةَ فرأيتُ صاحبَ البيتِ، ولم أرَ البيتَ، ثمَّ حججتُ الثَّالثةَ فما رأيتُ البيتَ ولا صاحبَ البيتِ ولا النَّاس[1]

* * *

---

(١) تهذيب الأسرار ٢٤٦.

(١١) سهل بن عبد الله التُّستري(*)

ومنهم: أبو محمد سهل بن عبد الله بن يونس بن عيسى بن عبد الله بن رفيع التُّستري رحمه الله، أحدُ أئمَّةِ القوم، ومن أكابر علمائهم، والمتكلِّمين في علومِ الإخلاص والرِّياضات وعيوبِ الأفعال.

صحب خاله محمد بن سوَّار، وشاهد ذا النُّون المصري سنةَ خروجه إلى مكَّة.

تُوفِّي سنةَ ثلاثٍ وسبعين ومئتين، وأظنُّ أنَّ الأصح ما حكاه الشَّيخُ العارفُ أبو عبد الرَّحمن السُّلمي في كتاب «الطَّبقات»[١]، أنَّه ماتَ سنة ثلاثٍ وثمانين ومئتين.

وكان كبيرَ الشَّأنِ في باب المعاملات والورع، مشهورًا بالكرامات.

قال سهل: كنتُ أقومُ اللَّيلَ وأنا ابنُ ثلاثِ سنين، أنظرُ إلى صلاةِ خالي محمد بن سوَّار، وكان يقومُ اللَّيلَ، وربَّما يقولُ في بعضِ اللَّيالي: يا سهل، اذهبْ فنمْ، فقد شغلتَ قلبي[٢].

(*) طبقات الصوفية ٢٠٦، حلية الأولياء ١٠/ ١٨٩، الرسالة القشيرية ٥٧، الأنساب ٣/ ٥٥، المنتظم ٥/ ١٦٣، صفة الصفوة ٤/ ٦٤، المختار من مناقب الأخيار ٣/ ٥١، اللباب ١/ ١٧٦، وفيات الأعيان ٢/ ٤٢٩، سير أعلام النبلاء ١٣/ ٣٣٠، العبر ٢/ ٧٠، مرآة الجنان ٢/ ٢٠٠، الوافي بالوفيات ١٦/ ١٦، طبقات الأولياء ٢٣٢، نفحات الأنس ١٠٢، طبقات الشعراني ١/ ٧٧، الطبقات الكبرى للمناوي ١/ ٦٣٣، شذرات الذهب ٢/ ١٨٢

(١) طبقات الصوفية ٢٠٦

(٢) الرسالة القشيرية ٥٧، المختار ٣/ ٥١ وفيه: وأنا ابن ست سنين.

وقال لي يومًا: يا سهلُ، أَلاَ تذكرُ اللهَ الذي خلقك؟ فقلتُ: كيف أذكره؟ فقال: قلْ بقلبك عند تقلُّبكَ في ثيابك ثلاثَ مرَّات من غير أن تُحرِّكَ به لسانك: الله معي، الله ناظر إليَّ[1]، الله شاهدي. فقلتُ ذلك ليالي، ثمَّ أَعلمتُهُ، فقال: قلْ في كلِّ ليلةٍ سبعَ مرَّاتٍ. فقلتُ ذلك، ثمَّ أَعلمتُهُ. فقال: قلْ في كلِّ ليلةٍ إحدى عشرة مرَّة. فقلتُ ذلك، فوقعَ في قلبي حلاوةٌ. فلمَّا كان بعد سنةٍ، قال لي خالي: احفظْ ما علَّمتُكَ، ودُمْ عليه حتَّى تدخلَ القبر؛ فإنَّه ينفعُكَ في الدُّنيا والآخرة. فلم أزلْ على ذلك سنين، فوجدتُ له حلاوةً في سرِّي، فقال لي يومًا: يا سهل، من كان اللهُ معه، وهو ناظرٌ إليه، وشاهدُهُ يَعصيه؟ إيَّاك والمعصيةَ.

فكنتُ أخلو، فبعثوني إلى الكُتَّاب، فقلتُ: إنِّي لأخشى أن يتفرَّقَ عليَّ همِّي، ولكن شارطوا المعلِّم أنِّي أذهبُ إليه ساعةً، فأتعلَّم وأَرجع. فمضيتُ إلى الكُتَّابِ، وحفظتُ القرآن وأنا ابنُ ستِّ سنين أو سبعِ سنين، وكنتُ أَصومُ الدَّهر، وقوتي خبزُ الشَّعير، حتَّى بلغتُ اثنتي عشرَة سنة، فوقعَ لي بعد ذلك مسألَةٌ، وأنا ابنُ ثلاثَ عشرةَ سنة، فسألتهم أن يَبعثوا بي إلى البصرة، أَسألُ عنها، فجئتُ البصرة، وسألتُ علماءَها، فلم يشفِ عنِّي أحدٌ شيئًا، فخرجتُ إلى عَبَّادان، إلى رجلٍ يُعرفُ بأبي حبيب حمزةَ بنِ عبد الله العبَّاداني، فسألته عنها، فأجابني، وأقمتُ عنده مُدَّةً، أنتفعُ بكلامه، وأتأدَّبُ بأدبه، ثمَّ رجعتُ إلى تُستر، فجعلتُ قُوتي اقتصارًا على أن أشتري لي بدرهمٍ من شعيرِ الفرق[2]، فيُطحن ويُخبز لي، فأُفطر عليه كلَّ ليلةٍ على أُوقيَّةٍ واحدةٍ بحتًا بغيرِ ملحٍ ولا أُدمٍ، فكانَ يكفيني ذلك الدِّرهمُ سنةً، ثمَّ عزمتُ على أَنْ أطوي ثلاث ليالٍ، ثمَّ أُفطرُ ليلةً، ثمَّ خمسًا، ثمَّ سبعًا، ثمَّ خمسًا وعشرين ليلة، وكنتُ على ذلك عشرينَ سنة،

---

(١) في (أ): الله ناظري. وفي الرسالة: الله شاهد عليَّ.
(٢) الفَرق: مكيال لأهل المدينة يسع ستة عشر رطلاً. القاموس.

ثمَّ خرجتُ وسحتُ في الأرض سنين، ثمَّ عُدتُ إلى تُستر، وكنتُ أقومُ اللَّيلَ كلَّه[1]

وقال: إذا لم يفتحِ اللهُ تعالى على العبدِ ثلاثًا فهو مُضطربٌ في حاله، وهنَّ من عيون اليقين: إصلاحُ الباطن لمُراد الحقِّ، وإسقاطُ الخلقِ لرؤيةِ القُربِ، والاعتمادُ على الله لرفعِ الحُجُبِ[2]

وقال: كلُّ الأحوالِ لها وجهٌ وقفا إلاّ التَّوكُّلَ فإنَّه وجهٌ بلا قفا[3]

وقال: كلُّ فعلٍ يفعلُهُ العبدُ بغيرِ اقتداءٍ؛ طاعةً كان أو معصيةً فهو عيشُ النَّفس، وكلُّ فعلٍ يَفعلُه بالاقتداءِ فهو عذابٌ على النَّفس[4]

و: النَّاسُ نيام، فإذا انتبَهوا ندموا، وإذا ندموا لم تَنفعْهم ندامتُهم[5]

و: لا طلعتْ شمسٌ ولا غربتْ على أحدٍ من أهلِ الأرض إلاَّ وهم جهَّالٌ بالله، إلاَّ من يُؤثِر اللهَ على نفسه وروحه ودنياه وآخرته[5]

و: أَدنى الأدبِ أن تقفَ عند الجهلِ، وآخر الأدبِ أن تقفَ عند الشُّبهة[5]

وقال: شكرُ العلم العملُ، وشكر العمل زيادةُ العلم[5]

و: ما من قلبٍ ولا نَفَسٍ إلاّ واللهُ مُطَّلعٌ عليهما في ساعاتِ اللَّيل والنَّهار، فأيُّهما رأى فيه حاجة إلى سواه سلَّطَ عليه إبليس[6]

وقال: الذي يلزمُ الصُّوفي ثلاثةُ أشياء: حفظُ سرِّه، وأداءُ فرضه، وصيانةُ فقره[6]

---

(١) الرسالة القشيرية ٥٧، ٥٨، المختار ٣/ ٥١، ٥٢، مرآة الجنان ٢/ ٢٠٠

(٢) تهذيب الأسرار ٧٢، المختار ٣/ ٦٠ وفي (أ): وهي من عيون.

(٣) تهذيب الأسرار ١٣٩، المختار ٣/ ٦٦

(٤) الرسالة القشيرية ٥٨

(٥) طبقات الصوفية ٢٠٧

(٦) طبقات الصوفية ٢٠٨.

و: اللهُ تعالى قبلةُ النِّيةِ، والنِّيةُ قبلةُ القلب، والقلبُ قبلةُ البدن، والبدنُ قِبلةُ الجوارح، والجوارحُ قبلةُ الدُّنيا(١)

و: ليس في الضَّرورة تدبير، فإذا صارَ إلى التَّدبيرِ خرجَ من الضَّرورة(١)

و: من لم تكنْ ضرورتُهُ ربَّه فهو مُدَّعٍ لنفسه(١)

و: مَنْ أرادَ أن يَسْلَمَ من الغِيبة، فليسدَّ على نفسِهِ بابَ الظُّنون، فمَنْ سلمَ مِن الظَّنِّ سلمَ مِن التَّجسس، ومَنْ سلمَ من التَّجسس سلمَ من الغيبة، ومَن سلمَ من الغِيبة سلمَ من الزُّور، ومن سلمَ من الزُّور سلمَ من البُهتان(١)

وقال: لا يستحقُّ الإنسانُ الرِّئاسةَ حتَّى [يجتمعَ فيه أربع خصال]: يصرفَ جهلَه عن النَّاس، ويحملَ جهلَهم، ويتركَ ما في أيديهم، ويَبذلَ ما في يده لهم(٢)

و: من أخلاق الصِّدِّيقين أن لا يَحلفوا بالله لا صادقين ولا كاذبين، ولا يَغتابون، ولا يُغتابُ عندهم، ولا يُشبعون بطونَهم، وإذا وعدوا لم يُخلفوا، ولا يتكلَّمون إلاّ والاستثناءُ في كلامهم، ولا يَمزحون أصلاً(٢)

وقال: ذروا التَّدبيرَ والاختيار، فإنَّهما يُكدِّران على النَّاس عيشَهم(٢)

و: اعلموا أنَّ هذا زمانٌ لا يَنالُ أحدٌ فيه النَّجاةَ إلاّ بذبحِ نفسه بالجوعِ والصَّبر والجهد لفسادِ ما عليه أهلُ الزَّمان(٣)

و: أعمالُ البرِ يَعملها البرُّ والفاجر، ولا يَجتنبُ المعاصي إلاّ صديق(١)

---

(١) طبقات الصوفية ٢٠٨

(٢) طبقات الصوفية ٢٠٩، وما بين قوسين مستدرك منه.

(٣) طبقات الصوفية ٢٠٩.

و: من ظنَّ حُرِمَ اليقين، ومن تَكلَّمَ فيما لا يعنيه حُرم الصِّدقَ، ومن شغلَ جوارحَه بغيرِ ما أمر الله حُرم الورع[1]

وقال: الفتنُ ثلاثةٌ: فتنةُ العامَّةِ من إضاعة العلم، وفتنةُ الخاصَّةِ من الرُّخص والتّأويلات، وفتنةُ أهل المعرفة من أن يلزمَهم حقٌّ في وقتٍ، فيؤخِّروه إلى وقتٍ ثانٍ[2]

و: أُصولنا سبعةُ أشياء: التَّمسُّكُ بكتاب الله، والإقتداءُ بسُنَّةِ رسولِ الله، وأكلُ الحلال، وكفُّ الأذى، واجتنابُ الآثام، والتَّوبةُ، وأداءُ الحقوق[2]

و: مَنْ أحبَّ أن يطَّلعَ الخلقُ على ما بينه وبين الله فهو غافلٌ[2]

و: قد أيس العلماء والحكماء من هذه الثَّلاث خصال: ملازمةُ التَّوبة، ومُتابعةُ السُّنة، وتركُ أذى الخلق[2]

و: البلوى من الله على وجهين: بلوى رحمةٍ، وبلوى عقوبةٍ، فبلوى الرَّحمة تَبعثُ صاحبَها على إظهارِ فقرِه إلى الله، وترك التَّدبير، وبلوى العقوبة تَبعثُ صاحبَها على اختياره وتدبيره[2]

وقال: من خلا قلبُهُ من ذكر الآخرة، تعرَّضَ لوساوس الشَّيطان[3]

و: لا معين إلَّا الله تعالى، ولا دليلَ إلَّا رسولُ الله، ولا زاد إلَّا التَّقوى، ولا عملَ إلَّا الصَّبر عليه[3]

و: الآياتُ لله، والمُعجزات للأنبياء، والكراماتُ للأولياء، والمعونات للمريدين، والتَّمكينُ لأهل التَّخصيص[4]

---

(١) طبقات الصوفية ٢١٠، تهذيب الأسرار ٩١

(٢) طبقات الصوفية ٢١٠

(٣) طبقات الصوفية ٢١١

(٤) طبقات الصوفية ٢١١، وفيه: والمعونات للمريدين، تهذيب الأسرار ٣٧٣، وفيه والكرامات للأولياء وخيار المسلمين.

وقال: لا يصحُّ للإنسان حقيقة التَّوبة حتَّى يتركَ أربعةَ أخلاق: أخلاقَ الأبالسة، وأخلاقَ السَّحرة، وأخلاقَ البهائم، وأخلاق الشَّياطين[1]

وقال: العيشُ على أربعةِ أوجهٍ: عيشُ الملائكة في الطَّاعة، وعيشُ الأنبياء في العلم وانتظار الوحي، وعيشُ الصِّدِّيقين في الاقتداء، وعيشُ سائر النَّاس عالمًا كان أو جاهلاً، زاهدًا كان أو عابدًا في الأكل والشُّرب[2]

و: الضَّرورة للأنبياء، والقوامُ للصدِّيقين، والقوتُ للمؤمنين، والمعلومُ للبهائم[2]

وقال: أيُّما عبدٍ قامَ بشيءٍ ممَّا أمرَ الله به من أمرِ دينه، فعملَ به، واجتنبَ ما نَهى اللهُ عنه عند فسادِ الأمور وتشويشِ الزَّمان، واختلافِ النَّاس والرَّأي، إلاَّ جعله اللهُ إمامًا يُقتدي به هاديًا مهديًا، قد أقامَ الدِّينَ في زمانه، وسارعَ إلى الأمر بالمعروف والنَّهي عن المنكر، فهو الغريبُ في الزَّمان الذي قال فيه رسولُ الله ﷺ: «بدأ الإسلام غَريبًا، وسيعودُ كما بَدَأَ غريبًا»[3]

وقال: الدُّنيا كلُّها جهلٌ إلاَّ العلم منها، والعلمُ كلُّه وبالٌ إلاَّ العمل به، والعملُ كلُّه هباءٌ مَنثور إلاَّ الإخلاص فيه، والإخلاصُ أنتَ منه على وجلٍ حتَّى تعلمَ هل قُبِلَ أم لا؟[4]

و: تربةُ المعاصي الأملُ، وبذرُها الحِرصُ، وماؤها الجهل، وصاحبُها الإصرارُ، وتربة الطَّاعةُ المعرفةُ، ويذرُها اليقين، وماؤها العلمُ،

---

(١) انظر حلية الأولياء ١٠/ ٢٠٦، ٢٠٧

(٢) طبقات الصوفية ٢١١

(٣) الحلية ١٠/ ١٩٠، والحديث رواه مسلم (١٤٥) في الإيمان، باب بيان أن الإسلام بدأ غريبًا عن أبي هريرة.

(٤) حلية الأولياء ١٠/ ١٩٤، المختار ٣/ ٦٠

وصاحبُها السَّعيد المُفوِّضُ أمرَه إلى الله[١]

وقال: استجلبْ حلاوةَ الزُّهدِ بقصرِ الأمل، واقطعْ أسبابَ الطَّمع بصحَّة اليأس، وتعرَّضْ لرقَّةِ القلبِ بمُجالسةِ أهلِ الذِّكر، واستجلبْ نورَ القلبِ بدوامِ الحذر[٢]، واستفتحْ بابَ الحذرِ بطولِ الفكرة، وتزيَّنَ لله بالصِّدق في جميع الأحوال، وتحبَّبْ إليه بتعجيلِ الانتقال، وإيَّاكَ والتَّسويفَ؛ فإنَّه يَغرقُ فيه الهلكى، وإيَّاك والغفلةَ؛ فإنَّ فيها سوادَ القلب، وإيَّاكَ والتَّواني فيما لا عذرَ فيه، فإنَّه ملجأُ النَّادمين، واسترجعْ سالفَ الذُّنوب بشدَّةِ النَّدمِ، وكثرةِ الاستغفار، وتعرَّضْ لعفوِ الله بحُسن المراجعة، واستجلبْ زيادةَ النِّعم بعظيم[٣] الشُّكرِ، واستدم تعظيم الشُّكر بخوفِ زوال النِّعمة[٤]

ودخل عليه بعضُ أصحابه[٥] يومًا، فرآه مَهمومًا، فقال: أيُّها الشَّيخ، (أراكَ مشغول القلب. فقال: كنت بالأمس في الجامع، فوقف عليَّ شابٌّ، فقال لي: أيُّها الشَّيخ)[٦]، أيعلمُ العبدُ أنَّ اللهَ قد قَبِلَه؟ فقلتُ: لا يعلم. فقال: بلى يعلم. فقلتُ: لا يَعلمُ. فقال لي ثانيًا: بلى يعلمُ. فقلتُ له. من أَين يعلم؟ قال: إذا رأيتُ اللهَ قد عَصمني من كلِّ فتنةٍ، ووفَّقني لكلِّ طاعةٍ، علمتُ أنَّ الله قد قبلني[٧]

وقال: لا تصحُّ العزلةُ إلاَّ بأكلِ الحلال، ولا يصحُّ أكلُ الحلال إلاَّ بأداء حقِّ الله[٨]

---

(١) حلية الأولياء ١٠/ ١٩٦

(٢) في الحلية، والمختار: بدوام الحزن.

(٣) في (أ): زيادة النعيم بتعظيم.

(٤) الحلية ١٠/ ١٩٩، ٢٠٠، المختار ٣/ ٦٤

(٥) هو الجنيد بن محمد. انظر الحلية ١٠/ ٢٧٤

(٦) ما بين الهلالين ليس في (أ).

(٧) الحلية ١٠/ ٢٧٤

(٨) الرسالة القشيرية ١٨٥ (الخلوة والعزلة).

و: مَنْ أراد أن تصحَّ له التّقوى فليتركِ الذُّنوبَ كلَّها[1]

و: الحلالُ [الصّافي] هو الذي لا يُعصى اللهُ فيه ولا يُنسى[2]

و: لا يصحُّ لأحدٍ الصَّمتُ حتَّى يُلزِمَ نفسَه الخلوةُ، ولا تَصحُّ له التَّوبةُ حتَّى يُلزِمَ نفسَه الصَّمتَ[3]

ورُوِيَ: أنَّه كان لا يأكلُ الطَّعامَ إلاَّ في كلِّ خمسةَ عشرَ يومًا، وإذا دخلَ شهرُ رمضان كان لا يأكلُ حتَّى يرى هلالَ شوَّال، وكان يُفطرُ كلَّ ليلةٍ على الماءِ القَرَاح[4]

وكان يقول: لمَّا خلقَ اللهُ الدُّنيا جعلَ المعصيةَ والجهلَ في الشِّبع، وجعلَ في الجوعِ العلمَ والحكمةَ[4]

وقيل: إنَّه كان إذا جاعَ قوي، وإذا أكلَ ضعف[5]

وقال: من لم يصحبْهُ الورعُ إنْ أكلَ رأسَ الفيلِ لم يشبع[6]

وقال: ما عُبِدَ اللهُ بشيءٍ مثل مُخالفة النَّفس والهوى[7]

و: من خشعَ قلبُه لم يقربْه الشَّيطان[8]

و: علامةُ المتوكِّلِ ثلاثٌ: لا يسألُ، ولا يردُّ، ولا يَحبسُ[9]

و: أوَّلُ مقام في التَّوكُّل أن يكونَ العبدُ بين يدي الله كالميت بين يدي

---

(١) الرسالة القشيرية ١٨٩ (التقوى).

(٢) الرسالة القشيرية ١٩٧ (الورع) وما بين معقوفين مستدرك منه.

(٣) الرسالة القشيرية ٢٠٨ (الصمت)، تهذيب الأسرار ٤٥٦.

(٤) الرسالة القشيرية ٢٣٤ (الجوع)، تهذيب الأسرار ٢٤٠

(٥) الرسالة القشيرية ٢٣٥ (الجوع)، تهذيب الأسرار ٥٣١.

(٦) الرسالة القشيرية ١٩٧ (الورع). وفي (أ): رأس العير.

(٧) الرسالة القشيرية ٢٤٧ (مخالفة النفس).

(٨) تهذيب الأسرار ١٧٢، وفيه: من جوّع نفسه.

(٩) الرسالة القشيرية ٢٦١ (التوكل)، تهذيب الأسرار ١٣٦

الغاسل، يُقلِّبُهُ كيف يُريد، لا يكون له حركةٌ ولا تدبير[١]

و: حقيقةُ التَّوكُّلِ الاسترسالُ مع الله تعالى على ما يُريد[٢]

فـ: التَّوكُّلُ حالُ النَّبيِّ ﷺ، والكسبُ سُنَّته، فمن لم يبلغ حالَه، فلا يتركنَّ سُنَّته[٣]

فـ. مَنْ طَعَنَ في الحركةِ، فقد طعنَ في السُّنة، ومن طعنَ في التَّوكُّلِ فقد طَعَنَ في الإيمان[٤]

و: اليقينُ شعبةٌ من الإيمان، وهو دون التَّصديق[٥]

و. ابتداءُ اليقينُ المكاشفةُ، ولذلك قال بعضُ السَّلفِ[٦]: لو كُشِفَ الغِطاءُ ما ازددْتُ يقينًا، ثمَّ المعاينة والمُشاهدة[٧]

و: حرامٌ على قلبٍ أن يشمَّ رائحةَ اليقين، وفيه سكونٌ إلى غيرِ الله[٨]

وقال: لا يصحُّ لأحدٍ التَّعبُّدُ حتَّى لا يجزعَ من أربعةِ أشياء: الجوعِ، والعُري، والفقرِ، والذّلِّ[٩]

و: لا يصحُّ للعبد التَّعبُّدُ حتَّى يكونَ بحيث لا يَرى أثرَ المسكنةِ في العدم، ولا في الغِنى أثرَ الوجود[١٠]

---

(١) الرسالة القشيرية ٢٦٢ (التوكل)، تهذيب الأسرار ١٣٥

(٢) الرسالة القشيرية ٢٦٤ (التوكل).

(٣) الرسالة القشيرية ٢٦٥ (التوكل) وفيها: فمن بقي على حاله.

(٤) الرسالة القشيرية ٢٦٦ (التوكل)، تهذيب الأسرار ١٣٣، ٢٩٨

(٥) الرسالة القشيرية ٢٨٢ (اليقين).

(٦) هو علي بن أبي طالب رضي الله عنه وأرضاه.

(٧) الرسالة القشيرية ٢٨٢ (التوكل).

(٨) الرسالة القشيرية ٢٨٢ (اليقين)، تهذيب الأسرار ٩٠

(٩) الرسالة القشيرية ٣٠٣ (العبودية).

(١٠) الرسالة القشيرية ٣٠٤ (العبودية).

و: لا يعرف الرِّياءَ إلاَّ مُخلصٌ[1]

وقال بعضُهم: دخلتُ على سهلِ بنِ عبد الله يومَ الجمعةِ قبل الصَّلاةِ، فرأيتُ في البيت حيَّةً، فجعلتُ أُقدِّمُ رِجلاً وأُؤخِّرُ أُخرى، فقال لي: ادخل، لا يبلغُ أحدٌ حقيقةَ الإيمانِ وعلى وجهِ الأرض شيءٌ يَخافُه. ثمَّ قالَ: هل لَكَ في صلاةِ الجمعة؟ فقلتُ: بيننا وبين المسجدِ مسيرةُ يومٍ وليلة. فأخذَ بيدي، فما كان بأسرعَ من أنْ رأيتُ المسجدَ، فدخلنا وصلَّينا الجمعة، ثمَّ خرجنا، فوقفَ ينظرُ إلى النَّاس وهم يَخرجون، فقال: أهلُ لا إله إلاَّ الله كثيرٌ، والمُخلصون منهم قليلٌ[2]

وقال: لا يشمُّ رائحةَ الصِّدقِ عبدٌ دَاهنَ نفسَه، أو داهن غيرَه[3]

وقال: ما من يومٍ إلاَّ والباري تعالى يُنادي: عبدي، ما أنصفتني، أذكُرُكَ وتنساني، وأدعوك إليَّ وتذهبُ إلى غيري، وأُذهبُ عنك البلايا، وأنت معتكفٌ على الخطايا، يا بن آدم، ما تقولُ غدًا إذا جئتني؟[4]

وقيل: كان جالسًا يومًا في الجامع، فوقعَ في المسجدِ حَمَامٌ من شدَّةِ ما لحقَهُ من شدَّةِ الحرِّ والمشقَّة، فقال سهلٌ: إنَّ شاهَ الكرماني قد ماتَ في هذه السَّاعةِ. فكتبوا الوقت، فكان كما قال[5]

وسُئل عن الوليِّ، فقال: الوليُّ الذي تَوالت أفعالُهُ على المُوافقة[6]

وسُئل عن الفتوة، فقال: الفتوة إتِّباعُ السُّنة[7]

---

(١) الرسالة القشيرية ٣١٥ (الإخلاص)، تهذيب الأسرار ١٨٤ وسيذكره ثانية في آخر الترجمة صفحة ٢٣٣

(٢) الرسالة القشيرية ٣١٦ (الإخلاص)، تهذيب الأسرار ١٨٢، المختار ٣/ ٥٣.

(٣) الرسالة القشيرية ٣١٩ (الصدق).

(٤) الرسالة القشيرية ٣٣٥ (الذكر).

(٥) الرسالة القشيرية ٣٤٧ (الفراسة).

(٦) المختار ٣/ ٦٧، طبقات الشعراني ١/ ٧٨.

(٧) الرسالة القشيرية ٣٣٨ (الفتوة).

وقال: أقربُ الدُّعاءِ إلى الإجابةِ دعاءُ الحال، ودعاءُ الحالِ أن يكون صاحبُهُ مضطرًا إليه، لا بدَّ له ممَّا يَدعو لأجله[1]

ورُوِيَ أنَّه ظهرَ بيعقوبَ بن اللَّيث[2] علَّةٌ أعيتِ الأطباء، فقيل له: في ولايتِكَ رجلٌ وليٌّ يُسمَّى سهل بن عبد الله، لو دَعا لك لعلَّ اللهَ أن يستجيب له فيك. فاستحضرَ سَهلاً، وقال: ادعو الله لي. فقال سهلٌ: كيف يُستجاب دُعائي فيك، وفي حبسكَ مظلومون؟ فأطلقَ كلَّ من كان في حَبسه، فقال سهل: اللَّهُمَّ، كما أريتَهُ ذلَّ المعصيةِ، فأره عزَّ الطَّاعة، وفرِّجْ عنه. فعُوفي من علَّته، فعرض مالاً جزيلاً على سهل، فأبى أن يقبلَه، فقيل له: لو قبلتَهُ ودفعتَهُ إلى الفقراء. فنظرَ إلى الحصى في الصَّحراء، فإذا هي جواهرُ، فقال لأصحابه: من يُعطى مثلَ هذا، يحتاجُ إلى مالِ يعقوب بن اللَّيث؟[3]

وقال: خمسةُ أشياء من جَوْهر النَّفس: فقيرٌ يُظهر الغنى، وجائعٌ يُظهر الشِّبع، ومَحزونٌ يُظهر الفرحَ، ورجلٌ بينه وبين رجل عداوةٌ فيظهر المحبَّةَ، ورجلٌ يصومُ النَّهار ويقومُ اللَّيل، ولا يُظهر ضعفًا[4]

وسُئل عن الصُّوفي، فقال الصَّوفيُّ الذي يَرى دمَهُ هدرًا، ومالَه مُباحًا[5]

و: الصُّوفيةُ قومٌ استعانوا بالله على أمرِ الله، وصبروا على آدابِ الله[6]

---

(١) المختار ٣/ ٦٧

(٢) يعقوب بن اللَّيث الصفار من أبطال العالَم، وأحد الأمراء الدهاة الكبار، كان يعمل الصفر (النحاس)، امتلك أقاليم سجستان وهراة، قتل ملوك الترك، وقضى على الدولة الطاهرية، وتم له ملك خراسان، توفي بجنديسابور في عربستان، سنة ٢٦٥هـ.

(٣) الرسالة القشيرية ٣٨٣ (الدعاء)، تهذيب الأسرار ٣٦٨

(٤) الرسالة القشيرية ٣٩٢ (الفقر).

(٥) الرسالة القشيرية ٤٠١ (التصوف)، تهذيب الأسرار ٢٨

(٦) تهذيب الأسرار ٢١٣.

و: من قَهَرَ نفسَهُ بالأدب، فهو يَعبدُ اللهَ بالإخلاص[1]

وقالَ له رجلٌ: أُريدُ أن أصحبَكَ يا أبا محمد. فقال: إذا ماتَ أَحدُنا فمن يَصحبُ الباقي؟ قال: الله. قال: فليصحبْهُ الآن[2]

ثمَّ قال لرجلٍ آخرَ: إن كُنتَ ممَّن يخافُ السِّباع فلا تصحبْني[3]

وسُئل عن ذات الله، فقال: ذاتُ الله تعالى موصوفةٌ بالعلم، غيرُ مُدركَةٍ بالإحاطة، ولا مَرئيةٍ بالأبصار في دار الدُّنيا، وهي موجودةٌ بحقائقِ الإيمان من غيرِ حدٍّ ولا إحاطةٍ، ولا حلول، وتراه العيونُ في العُقبى ظاهرًا في مُلكه وقدرته، قد حَجَبَ الخلقَ عن معرفة كُنْهِ ذاته، ودلَّهم عليه بآياته، فالقلوبُ تعرفُهُ، والعقولُ لا تُدركُهُ، ينظرُ إليه المؤمنون بالأبصار من غيرِ إحاطةٍ، ولا إدراكِ نهاية[4]

وقال: أوَّلُ ما رأيتُ من العجائب والكرامات أنِّي خرجتُ يومًا إلى موضعٍ خالٍ، وطابَ لي المقام فيه، وكأنِّي وجدتُ من قلبِي قُربًا إلى الله، وحضرت الصَّلاة، وأردتُ الطُّهور، وكان عادتي في صِباي تجديدُ الوضوء لكلِّ صلاةٍ، فكأنِّي اغتممتُ لفقدِ الماء، فبينا أنا كذلك إذا دبٌّ يَمشي على رجليه كأنَّه إنسان، ومعه جرَّةٌ خضراء، قد أمسكَ يديه عليها، قال سهل: فلمَّا رأيتُهُ من بعيدٍ، توهَّمتُ أنَّه آدمي، حتَّى دنا منِّي وسلَّم عليَّ، ووضعَ الجرَّةَ بين يدي، قال سهل: فجاءَ اعتراضُ العلم، فقلتُ في نفسي: هذه الجرَّةُ والماءُ لا أَدري من أين هو؟ فنطقَ الدُّبُّ وقال: يا سهل، إنَّا قومٌ من الوحوش، قد انقطعنا إلى الله بعزمِ المحبَّةِ والتَّوكُّل، فبينا نحن نتكلَّمُ مع أصحابنا في مسألةٍ إذ نُودينا: أَلاَ إِنَّ سهلاً يُريدُ ماءً

---

(1) الرسالة القشيرية ٤٠٨ (الأدب)، تهذيب الأسرار ٢١٣

(2) الرسالة القشيرية ٤١٨ (الصحبة)، تهذيب الأسرار ٢٦٥

(3) الرسالة القشيرية ٤٢٠ (الصحبة)، تهذيب الأسرار ٢٦٥

(4) الرسالة القشيرية ٤٢٥ (التوحيد).

ليُجدِّدَ الوضوء. فوضِعَتْ هذه الجرَّةُ في يدي، وبجنبي ملكان، حتَّى دنوتُ منهما، فصبَّا فيها هذا الماء من الهواء، وأنا أسمعُ خريرَ الماء. قال سهل: فغُشي عليَّ، فلمَّا أفقتُ، وإذا بالجرَّةِ موضوعة، ولا علمَ لي بالدُّبِّ أين ذهب، وأنا مُتحسِّرٌ إذ لم أُكلِّمه، فتوضَّأتُ، فلمَّا فرغتُ، أردتُ أن أشربَ منها، فنُوديتُ من الوادي: يا سهل، لم يأنِ لك أن تشربَ هذا الماء بَعْدُ. فبقيتِ الجرَّةُ تضطرب، وأنا أنظرُ إليها، فلا أدري أين ذهبت![1]

وقيل: لمَّا ماتَ أكبَّ النَّاسُ على جنازته، وكان في البلدِ شيخٌ يهوديٌّ قد أنافَ على السبعين، فسمعَ الصَّيحةَ، فخرجَ لينظرَ ما كان، فلمَّا نظرَ إلى الجنازة صاح، وقال: تَرونَ ما أرى؟ فقالوا: لا، وما الذي تَرى؟ فقال: أرى أقوامًا يَنْزلون من السَّماء، يتمسَّحون بالجنازة. ثمَّ إنَّه أسلمَ في الحال، وحَسُنَ إسلامه[2].

وقال: مَن زَهِدَ في الدُّنيا أربعين يومًا، صادقًا من قلبه، مُخلصًا في ذلك، ظهرتْ له الكرامات، وإن لم تظهرْ فلأنَّه عُدِمَ الصِّدقَ في زُهده. فقيل: كيف تَظهر له الكرامات؟ فقال: يأخذُ ما يشاء، كما يَشاء، من حيثُ يشاء[3].

وقال محمد بن أحمد البصري[4]: خدمَ أبي سهلَ بن عبد الله سنين، فقال: ما رأيتُهُ تغيَّرَ عند سماعِ شيءٍ كانَ يسمعُهُ من القرآن، والذِّكرِ وغيرهما، قال: فلمَّا كانَ في آخرِ عمره قُرئَ بين يديه: ﴿فَٱلْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنكُمْ فِدْيَةٌ﴾ [الحديد: ١٥] رأيتُهُ قد تغيَّرَ وارتعدَ، وكادَ يسقط، فلمَّا أفاقَ،

---

(١) المختار ٣/٥٣، ٥٤، روض الرياحين (الحكاية: ١٩٨).
(٢) الرسالة القشيرية ٤٣٧ (أحوالهم عند خروج أرواحهم).
(٣) الرسالة القشيرية ٤٩٥ (كرامات الأولياء).
(٤) في الرسالة القشيرية. سمعت علي بن الحسين بن محمد بن أحمد بالبصرة.

سألتُهُ عن ذلك، فقال: يا حبيبي ضعفنا[1]

وسُئل عن السَّماع، فقال: هو علمٌ استأثرَ الله به، لا يعلمُ حقيقتَهُ إلَّا هو[2]

وقال أبو نصر السَّراج[3]: دخلنا تُستر، فرأينا في قصرِ سهلِ بن عبد الله بيتًا يُسمّونه بيت السِّباع، فسألنا النَّاسَ عن ذلك، فقالوا: كانت السِّباعُ تجيء إلى سهل، فيُدخلُها في هذا البيت فيضيفها، ويطعمها[4] اللَّحم. وقال أبو نصر: رأيتُ أهلَ تُستر جميعَهم مُتَّفقين على ذلك. وهم الجمُّ الغفير، والعددُ الكثير الذي لا يُتصوَّرُ منهم التَّواطؤ على الكذب.

وكان يصحبه رجلٌ يُقال له عبد الرَّحمن بن أحمد، فقال لسهلٍ يومًا: رُبَّما أتوضَّأُ للصلاة، فيسيلُ بين يدي قضبانُ ذهبٍ، وقضبان فضَّةٍ. فقال له سهل: أمَا علمتَ أنَّ الصِّبيانَ إذا بكوا يُعطونَ خشخاشة يَشتغلون بها عن البُكاء[5]

وكان قد أصابه زَمَانةٌ[6] في آخر عمره، فإذا حضرتِ الصَّلاةُ انتشرتْ يداه ورجلاه، وإذا فَرَغَ من الفرضِ، عاد إلى حال الزَّمانة.

وقال: أكبر الكرامات أن تبدّلَ خُلقًا مذمومًا من أخلاقك بخُلُقٍ محمود[7]

وقال أبو علي بن وصيف المؤدِّب: تكلَّمَ سهلُ بنُ عبد الله يومًا في

---

(١) الرسالة القشيرية ٤٨٠ (السماع)، المختار ٣/ ٦٨

(٢) الرسالة القشيرية ٤٧٦ (السماع)، تهذيب الأسرار ٣٣٥

(٣) اللمع صفحة ٣١٦ كتاب الآيات والكرامات. والخبر في الرسالة القشيرية ٤٩٦ (كرامات الأولياء)، والمختار ٣/ ٥٤.

(٤) في (أ) و(ب): فيدخلهم.. فيضيفهم، ويطعمهم. والمثبت من اللمع.

(٥) الرسالة القشيرية ٥٠٠ (كرامات الأولياء)، المختار ٣/ ٥٥، سير أعلام النبلاء ١٣/ ٣٣٢.

(٦) الزَّمانة: العاهة، والمرض.

(٧) الرسالة القشيرية ٥٠٠ (كرامات الأولياء) والخبر ليس في (أ).

الذِّكر، فقال: إنَّ الذَّاكرَ لله على الحقيقةِ لو همَّ أن يُحيي الموتى لفعل. ثمَّ مَسَحَ بيده على عليلٍ بين يديه، فبرئ وقام[1]

وقال: صلاحُ الخُلُقِ في ثلاثة أشياء: رفضُ الدُّنيا من حلالها، ثمَّ الرِّضا بما قَسَم الله له من الرِّزق، ثمَّ الاشتغالُ بالآخرة.

و ما أَخَذَ عبدٌ شهوةً من الدُّنيا إلاَّ بعقوبةٍ.

وقال: أجمعَ العُلماءُ أنَّ تفسيرَ العافية أن لا يَكِلَ العبدَ إلى نفسه، وأن يتولاَّه، وهو قولُ النَّبيِّ ﷺ: «لا تكلني إلى نفسي»[2]

وقال: النَّاسُ ثلاثةُ أَصنافٍ: صنفٌ منهم مَضروبٌ بسوط المحبَّةِ، مَقتولٌ بسيفِ الشَّوق، مُضطجعٌ على بابه يَنتظرُ الكرامة، وصنفٌ منهم مَضروبٌ بسوطِ التَّوبة، مَقتولٌ بسيفِ النَّدامة، مُضطجعٌ على بابه يَنتظرُ العفو، وصنفٌ منهم مضروبٌ بسوطِ الغفلة، مقتولٌ بسيفِ الشَّهوة، مُضطجعٌ على بابه، ينتظرُ العقوبة[3]

وقال: التَّائبُ يتَّقي المعصيةَ، ويلزمُ الطَّاعة، والمُطيعُ يَتَّقي الرِّياءَ، ويلزمُ الذِّكر، والذَّاكرُ يَتَّقي العُجْبَ، ويلزمُ نفسَه التَّقصيرَ في كلِّ حالٍ[4]

وقال: أصولُ السُّنة إِيثارُ الله أوَّلاً على نفسك، وإيثارُ الآخرةِ على الدُّنيا، وتضييقُ ما وسَّع عليك بما أُبيح لك[4]

وقال: في مقبرة المِرْبَد[5] أقوامٌ يَرونَ السَّماء، ويأتيهم رزقُهم من

---

(١) الرسالة القشيرية ٥١٥ (كرامات الأولياء)، المختار ٣/ ٦٨

(٢) رواه أبو نعيم في الحلية ٧/ ٢٣٨، والقزويني في أخبار قزوين ٣/ ١٤٠ في ترجمة عبد الحميد بن محمد، قال الهيثمي في مجمع الزوائد ١٠/ ١٨١: رواه البزار عن ابن عمر، وفيه إبراهيم بن زيد الخوزي وهو متروك.

(٣) انظر الحلية ٨/ ٣٧.

(٤) المختار ٣/ ٦٨

(٥) المِرْبَد: من أشهر محالِّ البصرة، كانت به مفاخرات الشعراء ومجالس الخطباء. معجم البلدان.

الجنَّةِ بكرةً وعشيًّا، وفيهم من الغمِّ ما لو وُضع بين الظُّهر والعصر على أهلِ البصرة لماتوا. قيل له: يا أبا محمد، أليسَ هم مُسلمين مُؤمنين؟ قال: بلى، ولكنَّهم كانوا إذا أصبحوا قالوا: أيشٍ نأكل اللَّيلة؟ وإذا أَمسوا قالوا: أيشٍ نأكل غدًا؟

وقال: لله تعالى فوائدُ، وللشَّيطان فوائد، فأمَّا فوائدُ الله فالخوفُ والرَّجاء، وأمَّا فوائدُ الشَّيطان فأماني وغرور.

وقال: تعلموا النِّيَّةَ الصَّالحة عند الشُّروع في أعمالِ الخير، وأكلِ الحلال، وتركِ أذى الخلق، كما تتعلَّمون فاتحةَ الكتاب، ليصفو إيمانُكم وقلوبُكم وجوارحُكم، وتزكو أعمالُكم[1]

وقال: مَنْ زَهِدَ في الدُّنيا، فقد نبَّهَ عن قدرِها في نفسه، واستحى[2] من الله أن يتَّخذَ عنده يدًا لما لا قدرَ له عنده، وقد قالَ ﷺ: «لو كانتِ الدُّنيا تعدلُ عند الله جناحَ بعوضةٍ ما سقى كافرًا شربةَ ماءٍ»[3] ومَنْ زَهِدَ في نفسه إيثارًا لله تعالى فقد نبَّه عن قدرِ إيمانه في قلبه، واعترفَ برقِّ العبودية لربِّه تعالى، إذ لا نفسَ له، قال الله تعالى: ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ﴾ [التوبة: ١١١]، أي: عيشهم الفاني بالعيش الباقي.

وقال: يتفاضلُ النَّاسُ يومَ القيامة على قدرِ يقينهم، فمَنْ كان أوزنَ يقينًا كان مَنْ دُونه في ميزانه.

و: أدنى اليقينِ ثقةُ العبدِ بالله، وأدنى التَّوكُّلِ تركُ الاختيارِ، وأعلاه ليس له غاية[4]

---

(١) المختار ٣/ ٦٩

(٢) في (ب): واستحقَّ.

(٣) رواه الترمذي (٢٣٢١) في الزهد، باب ما جاء في هوان الدنيا على الله، وابن ماجه (٤١١٠) في الزهد، باب مثل الدنيا.

(٤) المختار ٣/ ٦٩، وفيه: ليس له غلبة.

وقال: إنَّ الله منعَ الغافلين لذاذةَ مُناجاته، فلم يرضَ عقولَهم لمعرفته، ولا أبدانهم لخدمته، فاستذلَّهم، فجعلهم عَبيدًا للدنيا[١]

وقال أبو العباس الخوَّاص: كنتُ عند سهلِ بنِ عبد الله، وكنتُ أُحبُّ أن أعرفَ شيئًا من أمره الذي كان يُسِرُّه، وكنتُ سألتُ جماعةً من أصحابه: من أين يَقتاتُ سهل؟ فلم يقف أحدٌ منهم على شيءٍ، فيخبرني به، فخرجتُ من الحصن وجئتُ إلى مسجدِهِ، فرأيتُهُ قائمًا يُصلّي، فوقفتُ بعيدًا طويلاً وهو لا يركع، حتَّى جاءتْ شاةٌ زحمتْ باب المسجد، وأنا أراها، فلمَّا سمعَ سهلٌ حركةَ الباب ركعَ وسجدَ وسلَّمَ، وخرجَ إلى باب المسجد، ففتحَهُ، وقدَّمَ الشَّاة إليه، ومسحَ يده عليها، وقد كان أخرجَ معه قدحًا أخذه من طاقٍ في المسجدِ، فحلبَ، وشرب، ومسحَ يده عليها، وكلَّمها بالفارسية، فذهبتْ في الصَّحراء، ودخلَ هو إلى المسجدِ، وقامَ في محرابه[٢]

وقال: خلقَ الله الدُّنيا لهذه النَّفس، وخلقَ النَّفسَ للطَّاعةِ، فمن كان في دنياه مُطيعًا لربِّه، فله الدُّنيا والآخرة، ومن كانَ على غيرِ ذلك، فلا دنيا له ولا آخرة.

ورُوِيَ أنَّه قالَ له بعضُ أصحابه: أُريدُ أن أخرجَ إلى بيتِ المقدس، وقد أحببتُ أن يكونَ لي من آنسُ إليه، فدُلَّني على رجلٍ إذا كانت لي حاجةٌ سألتُه، يدعو لي. قال: فدلَّه على رجلٍ، وأعطاه علامتَهُ، وعرَّفَه مَوضعه في المسجد، قال: فجئتُ إلى بيتِ المقدس، ودخلتُ المسجدَ، وطلبتُ الرَّجلَ فوجدته بالعلامةِ التي وصفَها لي سهلٌ، فسألتُهُ أن يدعو لي، فقال: تعرفني؟ فقلتُ: دلَّني عليك سهلُ بن عبد الله التُّستري. فقال لي: تحبُّ أن تَرى سهلاً؟ فقلتُ: إنَّ سهلاً في بلده. فقال: قم، فإنَّ سهلاً خلفَ ذاك العمود قائم. قال. فقمتُ إلى الأُسطوانةِ التي ذكرَها، فوجدتُ سهلاً واقفًا

---

(١) المختار ٣/ ٦٩

(٢) صفة الصفوة ٤/ ٦٥، المختار ٣/ ٥٥، ٥٦.

يُصلّي، فأبصرتُهُ، ولم أتقدَّم إليه، ولا كلَّمتُهُ، ووقعت عليَّ رِعْدةٌ شديدةٌ، فنمتُ من ساعتي حتَّى نبَّهوني للصَّلاة[1]

وقيل له: يا أبا محمد، هذا الذي يقولون: يكونُ الرَّجل بالغداةِ بالبصرة، وبالعشيّ بمكَّة؟ فقال: نعم، لله عبادٌ هم على جَنْبٍ يَنامون، يقولون: لا تحرّكْ جنبًا إلاَّ لمصر، أو إلى موضعِ كذا حيثُ يُريدون. وسكتَ ساعةً، ثمَّ قال: أليس ترى الملوك لهم وزراءٌ ووكلاء، فإذا عَرفَ واحدًا منهم بالصحّةِ والنَّصيحةِ وصدقِ النيَّةِ، دفعَ إليه بمفاتيحِ خزائنِهِ، وقال له: اعملْ ما شئت. فهو يعملُ في مملكة صاحبِهِ ما يُريدُ، كذلك العبدُ إذا أطاعَ الله فيما أمرَهُ به، وفيما نهاه عنه، واجتهدَ فيما يُقرِّبُهُ إليه من طاعته. ثمَّ قال: إنَّكم غافلون، وإنَّ الدُّنيا راحلةٌ عنكم، وأنتم مُنقلونَ عنها، فتيقَّظوا من رقدتكم؛ فإنَّ الأمرَ قريبٌ، ولعلَّ القليلَ من أمرِكم إذا استقبلتم يُزيلُ الكثير.

وقال: إنَّ الله اصطنعَ إلى أوليائه ثلاثَ خصال: لا يُطعمهم من حيث يطعمون، ويشوِّشُ عليهم تدبيرَهم لأنفسهم، ولا يُظفرُ بهم عدوهم، يُريدُ بذلك أن لا يرجوا غيرَه، ولا يَخافوا سواه، لأنَّه البارُّ بهم اللَّطيفُ الكريم.

وقال: أيُّها الناس، ما لكم لا تَقبلون حقًّا، ولا تَكرهون باطلاً؟! قد اصطلحتم على المعاصي، إنَّ لله يومًا لا يقبلُ فيه إلاَّ الحقَّ، ولا يَسمعُ فيه من مُستغيثٍ غياثَهُ[2]، فارغبوا إلى الله قبل الموت، وراقبوه، وتُوبوا إليه، واستغفروه، إنَّه قريبٌ مُجيب، إنَّه كان فيمن كان قبلكم رجلٌ أَسرفَ على نفسه في أمرِه، ثمَّ وافقَ الله، فأذِنَ له الله في الخروجِ طَلبًا للتوبة، فلمَّا كان في الطَّريقِ لقيه مَلَكٌ في صُورة رجلٍ، فقال له: يا عبد الله[3]، أين تُريد؟ فقال: أُريدُ مَنْ أَستشفعُ به إلى ربِّي، ليقبلَ توبتي. فقال له الملك: وأيشٍ

---

(١) المختار ٣/ ٥٦.

(٢) في المختار: من مستعتب عتابه.

(٣) في (أ): يا أبا عبد الله.

تصنع بشفيع؟ ابدأ بمن هو أرحمُ من الشَّفيع. فقال له الرَّجل: إنَّ الذي أستشفعُ به له عند الله جاهٌ، وإنه لا جاهَ لي عند الله. فأرسلَ اللهُ إلى المَلَكِ أن: صَدَقَ عبدي، لا تردَّهُ ودلَّه على وليٍّ لله يَستشفعُ به إلي، فإنَّه أمَّلَ رحمتي، ورحمتي وسعتْ كلَّ شيءٍ. فدلَّه الملكُ على وليٍّ من أولياء الله، فلمَّا جاءَ سلَّمَ عليه، فردَّ عليه السَّلام، فقال له: مَرحبًا بحبيبِ الله، مَرحبًا بالمُتعذرِ من ذنبِهِ وجنايته، مَرحبًا بالمستقيل من عثرته، اعلمْ أنَّ الله ما رزقَ أحدًا التَّوبةَ إلاَّ وقد علمَ منه خيرًا ساقَهُ إليه، وإنَّ الله قد قَبِلَ توبتَكَ، فأصلِحْ باقِي عمرك؛ فإنَّ الله يغفرُ لك الأوَّلَ بالآخر. فقال له التَّائب: كيف لي بعلمِ صحَّة عملي؟ فقال له وليُّ الله: أن تَدعو ذلك الجبلَ فيجيبَكَ. فقال التَّائبُ: أيُّها الجبلُ، أقبلْ إلينا. فما استتمَّ كلامَه حتَّى جاءَهُ الجبلُ مُسرعًا، ثمَّ قال له: ارجعْ. فعادَ، فقال التَّائب: أشهدُ أنَّ الله على كلِّ شيءٍ قدير، وأنَّ اللهَ قد أحاطَ بكلِّ شيءٍ علمًا، وأحصى كلَّ شيءٍ عددًا. ولم يزلْ مُواظبًا على التَّوبة حتَّى مات، فتوبوا إلى الله توبةَ مَنْ نَدِمَ على فعله[١]

وقال: إنَّ الله خلقَ الخلقَ ولم يَحجبْهم عنه، وحجابُهم تدبيرهم لأنفسهم بأنفسهم. ثمَّ قال: دعِ التَّدبيرَ؛ فإنَّ التَّدبيرَ والاختيارَ الذي كدَّرَ على الخلقِ عيشَهم.

وقال: مخالطةُ الوليِّ للنَّاسِ ذلٌّ، وتفرُّدُه عزٌّ، وقلَّما رأيتُ وليًّا لله إلاَّ مُنفردًا، إنَّ عبدَ الله بن صالح كان رجلاً له سابقةٌ جليلة، ومَوهبةٌ جزيلة، وكان يفرُّ من النَّاسِ من بلدٍ إلى بلد، حتَّى أتى مكَّةَ، فطالَ مقامُهُ بها، فقلتُ له: لقد طالَ مقامُكَ بها! فقال: ولِمَ لا أُقيمُ بها؟ ولم أرَ بلدًا تَنْزلُ فيه من الرَّحمةِ والبركةِ أكثر من هذا البلد، فأحببتُ أن أكونَ فيه مُقيمًا، وإنَّ الملائكةَ تغدو فيه وتروح، وأرى عجائبَ[٢] كثيرةً، أرى ملائكة

(١) المختار ٣/ ٦٩، ٧٠

(٢) في (أ): أعاجيب.

يَطوفون بالبيتِ الحرام على صُورٍ شتّى، لا يقطعون ذلك، ولو أخبرتُ بكلِّ ما رأيتُ لصغرتْ عنه عقولُ قومٍ ليسوا بمؤمنين. فقلتُ: أَسألُكَ إلاَّ أَخبرتني بشيءٍ من ذلك. فقال: ما من وليٍّ لله صحَّتْ ولايتُهُ إلاَّ وهو يحضر في هذا البلد، في كلِّ ليلةِ جمعةٍ، لا يتأخَّرُ عنه، فمقامي ههنا لأجلِ من أرى منهم، ولقد رأيتُ رجلاً يُقال له مالك بن القاسم جبلي، فسألتُهُ عن حالِهِ، ورأيت يدَه غَمِرةً[1]، فقلت له: إنَّكَ قريبُ عهدٍ بالأكل؟ فقال: أَستغفرُ الله، فإنِّي منذ أسبوعٍ ما أكلتُ شيئًا، ولكنْ أَطعمتُ والدي، وأسرعتُ لألحقَ صلاةَ الفجرِ جماعةً، وبينه وبين البلدِ الذي جاءَ منه سبعُ مئة فرسخٍ، فهل أنتَ مُؤمنٌ بذلك؟ قلت: نعم. قال: الحمدُ لله الذي أَراني مُؤمنًا موقنًا[2]

وقال أبو سعيد صاحبُ سهل: بلغ أبا عبد الله الزُّبيري، وزكريا السَّاجي، وابنَ أبي أوفى أنَّ سهلاً يقول: أنا حُجَّةُ الله على الخلق، وأنا حُجَّةٌ عليكم، فاتصل ذلك بهم، وتواعدوا أن يَخرجوا إليه، فاجتمعوا عنده، فأَقبلَ عليه أبو عبد الله الزُّبيري، وكان جَسُورًا، لأنَّه كان ضَريرًا، فقال له: يا أبا محمد، بلغنا أنَّكَ قلتَ: أنا حُجَّةُ الله على الخلقِ، فبماذا؟ أنت نبيٌّ، أَو أنت صدِّيق، فبماذا استجزتَ[3] أن تقول هذا؟! فقال سهل: لم أذهبْ حيثُ يظنُّ أنا نبيٌّ[4]، ولكنْ إنَّما قلتُ هذا لأخذي الحلالَ، فتعالوا كلُّكم بأجمعكم حتَّى نُصحِّحَ الحلال، فلا نأكلُ إلاَّ الحلالَ. فقال له الزُّبيري: يا أبا محمد، فأنت قد صحَّحتَ الحلال؟ قال: نعم، أنا قد صححتُهُ، فلا آكل إلاَّ حلالاً. فقال له الزُّبيري: كيف صحَّحتَ الحلال؟ فقال: قسمتُ عقلي ومعرفتي وقوَّتي على سبعةِ أجزاء، فأترك الأكل حتَّى

---

(١) الغُمرة: زنخ اللحم، وما يعلق باليد من دسمه. القاموس.

(٢) المختار ٣/ ٧٠، ٧١، طبقات الشعراني ١/ ٧٨

(٣) في (أ): استجرأتَ.

(٤) في (أ): حيث يظن، ليس أنا نبي، وفي المختار: حيث تظن، ليس أنا نبيًا.

يذهبَ منها ستَّةُ أجزاء، ويبقى منه جزءٌ واحد، فإذا خفتُ أن يذهبَ ذلك الجزءُ، وتتلفَ معه نفسي، خفتُ أن أكونَ قد أعنتُّ على نفسي وقتلتها، فيقع إثمُها في عنقي، دفعتُ إليها من البُلغةِ قدرَ ما تردُّ عليَّ السَّتَّةَ أجزاء، فبهذا صحَّ لي. فقال الزُّبيري: فنحن لا نقدرُ على هذا ولا نعرفُهُ، ولا نُحسِنُ أن نُقسِّمَ عقلَنا ومعرفتنا وقوَّتنا على سبعةِ أجزاء. ثمَّ قال له الزُّبيري: يا أبا محمد، ما تقولُ في القَدَر؟ فقال سهل: سرُّ الله، فألحَّ عليه، فقال: هو سرُّ الله، لا يطَّلع على سرِّ الله أحد. فسأله الثَّالثة، وألحَّ عليه بالسُّؤال، فقال: يا حبيبي، لا تَسألني عن شيءٍ سألَ عنه الأنبياءُ، فأُسقطوا من ديوان النُّبوَّة. قال: ومن أُسقطَ من ديوان النُّبوة؟ قال: العُزير. قال له الزُّبيري: اشرح لنا أصلاً في السُّنة نعرفُهُ ونعتقده. فقال سهلٌ: إنَّ الله تعالى خلقَ الخلقَ على معرفتِهِ، وأجراهم على مَشيئته[1]، ودعاهم[2] إلى التَّوحيد، وحاطَهم بعلمه، وقَهرهم بقُدرته، ثمَّ قال: اللهُ تعالى عالِمٌ في الأصل، عادلٌ في الفرع، لا يستغنى عن الله طَرفةَ عين[3]

وقال أبو عبد الله بن دُرُسْتُويه: كنتُ مع سهلٍ بن عبد الله وهو خارجٌ من القصر في يوم باردٍ، وعليه إزاران، وعليَّ جُبَّةٌ وقميصٌ وبَرَّكان[4] وكساءٌ، وأنا أجدُ البردَ، وكان يومَ ريحٍ عاصفٍ، فجعلتُ أتجافى[5]، وأرفعُ الكساءَ لأسترَهُ من الرِّيح، فقال: يا دُوسْت[6]، لا تُتعبْ نفسَكَ، واهدأ؛ فإنِّي لا أَجدُ البردَ[7]

---

(١) في (ب): وأجرى فيهم مشيئته.

(٢) في (أ): ودعا لهم.

(٣) المختار ٣/ ٧١، ٧٢، طبقات الشعراني ١/ ٧٨.

(٤) البَرَّكان: القماش الغليظ والكساء المصنوع من الصوف العادي. المعجم المفصل لدوزي.

(٥) في (أ): فجعلت إلحافًا.

(٦) دوست: كلمة فارسية تعني صديق، محب، رفيق. المعجم الذهبي.

(٧) المختار ٣/ ٥٧.

وقال: وصحبتُهُ سنين كثيرةً، ما رأيته قطُّ إلَّا بإزارٍ، وما رأيتُ عليه قميصًا ولا جُبَّةً ولا صدرةً إلَّا يومًا واحدًا، أَظنُّه غَسلوا إزارَهُ، فلبس في ذلك اليوم قَميصًا[1].

وقال: يأتي على النَّاس زمانٌ يذهبُ الحلالُ من أيدي أغنيائهم، وتكونُ أموالُهم في غيرِ وجهها، ويُسلَّطُ بعضُهم على بعضٍ، فيذهب عيشُهم، ويلزمُ قلوبَهم فقرُ الدُّنيا، وخوفُ شماتة الأعداء، وتجدُ لذَّةَ العيشِ عبيدُهم ومماليكُهم، ويكونوا هم في بلاءٍ وعناءٍ وشقاء. وأمَّا من دونهم فيكونون في فقرٍ وخوفٍ من الظَّالمين وكدٍّ في المعاش، إلَّا المنافق لا يُبالي من أين أَخَذَ، وفيمَ أنفقَ، ولا كيفَ أَهْلَكَ نفسَه، فتكون زينتُهم زينةَ الجُهَّال، وعيشُهم عيشَ الفُجَّار، وموتُهم موتَ أهلِ الخسارة والضَّلال.

وقال: كنتُ يومًا بناحيةِ ديارِ عاد، إذ رأيتُ مدينةً من حَجَرٍ منقورٍ، منقورٌ في وسطها[2] قصرٌ من حجارة منقورة، سقوفُهُ وأبوابُه تأويه الجنُّ، فدخلتُهُ مُعتبرًا، وإذا فيه شيخٌ عظيمُ الخَلْقِ، يُصلِّي نحو الكعبةِ، وعليه جُبَّةُ صوفٍ فيها طراوةٌ، قال سهلٌ: فلم أتعجَّبْ من عظيمِ خلقه كتعجُّبي[3] من طراوةِ جُبَّته، فسلَّمْتُ عليه، فردَّ عليَّ السَّلام، وقال لي: يا سهل، إنَّ الأبدانَ لا تُخْلِقُ الثِّيابَ، وإنَّما يُخْلِقُها روائحُ الذُّنوبِ، ومطاعمُ السُّحت، وإنَّ هذه الجُبَّةَ عليَّ من سبعِ مئةِ سنة، وفيها لقيتُ المسيحَ عيسى بنَ مريم، ومحمدًا ﷺ، وآمنتُ بهما. فقلتُ له: ومن أنتَ؟ قال: أنا الذي نَزَلَتْ فيَّ: ﴿قُلْ أُوحِىَ إِلَيَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ﴾ [الجن: ١].

وقال: في الأرضِ عبرةٌ، لو عاينها أهلُ الجهلِ لاعتبروا بها فقيل له:

---

(١) المختار ٣/ ٥٧.

(٢) في المنتقى: من صخرٍ منقورٍ في وسطها.

(٣) في (أ): من عظيم خلقته لتعجّبي.

كيفَ؟ وما هي؟ فقال: هذا الماءُ الذي جعله اللهُ حياةً، يزيدُ فلا يَشكرون، وينقصُ فلا يَستغفرون.

وقال: من أطالَ اللهُ عمرَهُ، فقد أحسنَ إليه، فينبغي أن يُقابَلَ الإحسانُ بمثله من الإحسان. قيل له: وكيف ذلك، يا أبا محمد؟ فقال: إنَّ اللهَ قد أَمهلَهُ، وبسطَ له في التَّوبة، فارتفعَ العُذر، فإنْ عَمِلَ صالحًا كان من الأخيار، وإنْ عَمِلَ سيئًا كان من الأشرار.

وقال: كم من عظيمةٍ فزعَ منها صاحبها، فأدَّاهُ فزعُهُ إلى الجنَّة، وكم من صغيرةٍ أَمِنَ صاحِبُها منها، فأدَّاه أمنُهُ إلى النَّار، فاتَّقوا الله، وعليكم بالخوفِ؛ فإنَّه يعقبُ الأمن، وإيَّاكم والأمنَ؛ فإنَّه يُخافُ على صاحبه من المكر[1].

وقال: أيُّها النَّاس، اتَّقوا الله، واتَّقوا العداوة، ولا يقصدْ بها أحدُكم وليًّا لله، فيجعل الله له النُّصرةَ، لأنَّه كان لله وليٌّ بالبصرة، فعاداه قومٌ، وآزروا عليه وحقَّروه، فغضبَ الله عليهم، فأهلكهم أجمعين.

ورُويَ أنَّ رجلاً مُعتزليًّا[2] جاءَه يومًا، فسألَهُ عن مسائلَ من باب كرامات الأولياء، فقال سهل: لولا أنَّه ليس بموجودٍ في السُّنة، لجعلتُ تنُّورًا على هذا الماء الجاري، وأخرجتُ منه خبزًا يأكلُ منه المارُّ والجائي[1].

وقال: طوبى لمن عرفَ الحقَّ وعرفَ أهلَه؛ فإنَّه إنْ عرفَهم استدركَ، وإن ضَعُفَ عن ذلك كانوا له شُفعاء[3].

وقال: العصمةُ بالله تمنعُ الشَّيطانَ أن يلوذَ بصاحبها، والاتِّكالُ على الله يورثُ النَّجاة[3].

---

(١) المختار ٣/ ٧٢

(٢) أنكرت المعتزلة الكرامات، واحتجوا بأمور، انظر الكواكب الدرية للمناوي ١/ ٦ وما بعدها.

(٣) المختار ٣/ ٧٣.

وقال: الدُّنيا حرامٌ على صفوة الله أنْ يَنالوا منها شيئًا، كما حَرَّمَ الحَرَمَ على الخلقِ أن يَنالوا من صيدِهِ شيئًا، ومن أخذَ منه شيئًا وجبَ عليه الفِديةُ، كذلك الدُّنيا حرَّمها اللهُ على صفوته، فمن نالَ منها شيئًا وجبَ عليه أن يفديه بتركه والعمل الصَّالح.

قال: في المُخالفةِ فقدوا أنفسَهم، وفي المُكابدة فقدوا أهواءَهم، فصارت شهواتُهم في الطَّاعة، فكلٌّ من أقامَ على أدنى معصيةٍ، وهو يطلبُ من ذلك طاعةً فقد مُنع المعرفةَ من الله، وكان مُدَّعيًا بالطَّاعة، ويأتي تلك المعصيةَ، ومن أتى معصيةً من أيِّ معصيةٍ فقد حُرِمَ المزيدَ من عند الله، ويُخافُ عليه في العواقب.

وقال: لا تصحُّ التَّوبةُ لأهلِ التَّوبةِ حتَّى يتركوا كثيرًا من الحلال الذي أحلَّه اللهُ لهم، ويمنعوا أنفسهم مُهنَّأها من الحلال[١] مخافةَ أن يُخرجهم إلى غيره.

و: التَّائبُ الذي يتوبُ من عمله في الطَّاعات في كلِّ ساعةٍ مخافةَ أن يُخرجهم طرفةً ولمحةً.

وقال: إذا قامَ العبدُ بما عليه، فحقيقٌ على الله أن يقومَ له بما كان العبدُ قائمًا به لنفسه.

وقال: من نَظَرَ إلى الله وعلم أنَّه قَريب منه[٢]، بَعُدَ عن قلبِهِ كلُّ شيءٍ سوى الله، ومن طلبَ مَرضاته أرضاه اللهُ، ومن أَسْلَمَ قلبَه تولَّى اللهُ جوارحه.

وقال: إنْ علمتُ من إذا لقيتُهُ انتفعتُ به لقصدتُهُ، ولو علمتُ رجلاً إذا رأيتُهُ سلمتُ منه لحافظتُ عليه.

وقال أبو سعيد صاحبُ سهلٍ: رأيتُ يومًا السَّبُعَ وقد دخلَ إلى الدَّار،

---

(١) في (أ): مهيأ لهم، وفي المنتقى: مُناها.

(٢) في (أ): من نظر إلى الله قريبًا منه.

ففزعنا كلُّنا، فقامَ إليه سهلٌ، وأدخله إلى بيتٍ، وأمرني، فاشتريتُ له لحمًا ثلاثةَ أيام، ثمَّ جاءَ إليه سهلٌ بعد ثلاثة أيام، فقال له: الضّيافةُ ثلاثةُ أيام، فانصرفْ عنَّا فقامَ السَّبُعُ، وخَرَجَ من الدَّار، ونحن ننظر إليه[١]

وقال: من حفظ للهِ جوارحَه، حفظَ اللهُ له قلبَه، ومن حفظ قلبَه أعطاه اللهُ مُناه، وعرفَ من الله مقامه، ومن عرفَ مَقامَه من الله صيَّرَهُ اللهُ أمينًا من أمنائه، ومن صيَّرَهُ اللهُ أمينًا من أُمنائه فهو خليفةُ الأنبياءِ من بعدهم، وكلٌّ من لم يكن أمينًا لم يطَّلعْ على ما في الخزائن[٢]

وقال: لا يبلغُ العبدُ حقيقةَ الإيمان حتَّى يكونَ فيه أربع خصال[٣]: أداءُ الفرائض بالسُّنَّة، وأكلُ الحلالِ بالورع، واجتنابُ النَّهي في الظَّاهر والباطن، والصَّبرُ على ذلك إلى الموت[٤]

وقال: من لم يكن مطعمُهُ من الحلال، لم يُكشف الحجابُ عن قلبه، ولم تُرفعِ العقوبةُ عنه، وما يُبالي بصلاته ولا صيامه، إلاَّ أن يَعفوَ الكريمُ عنه.

وقال: من أحبَّ أن يَرى خَوفَ الله في قلبه، ويُكاشفَ بآيات الصّدِّيقين، فلا يأكلْ إلاَّ حلالاً، ولا يعملْ إلاَّ في سُنَّةٍ أو ضَرورةٍ، وإنَّما حُرموا مشاهدةَ الملكوت، وحُجبوا عن الوصول بشيئين: سوء المطعم، وأذى الخلق[٥]

وقال: من أرادَ أن ينظرَ إلى مجالس الأنبياء عليهم السَّلام، فلينظرْ إلى مجالس العُلماء، يجيءُ الرَّجلُ فيقول: يا فلان، أَيشٍ تقول في رجلٍ حلفَ

---

(١) المختار ٣/ ٥٤، ٥٥

(٢) المختار ٣/ ٧٣

(٣) في (أ): هذه الأربع خصال.

(٤) المختار ٣/ ٧٣

(٥) المختار ٣/ ٧٣ وفيه: سوء الطعمة.

على امرأته بكذا وكذا؟ فيقول: طُلِّقتِ امرأتُه. وهذا مقام الأنبياء، فاعرفوا لهم ذلك[1]

وقال: من كان له في الدُّنيا سببٌ يَتعلَّقُ به غير الله تعالى، أو ما يأوي[2] إليه غير الله، فقلبُهُ مَحجوب عن الله، ومن ثَقُلتْ عليه الوحدةُ، فهو مُباعدٌ عن باب الله، ومن أحبَّ أن يطَّلعَ الخلقُ فيما بينه وبين الله فهو غافلٌ عن الله[3]

وقال: أدِّبُوا أنفسَكم بثلاثة أشياء: لا تتركوها تُجالس الغافلين الذين يَخوضون في حديثِ الدُّنيا، ولا تَتركوها تأخذُ مهناها من النّوم، وامنعوها من الإسرافِ في الأكل والشّرب، وكلُّ هذا إذا أرادتْ منكم المعصية، فإذا لم تَرد منكم ما ليسَ لله فيه معصيةٌ، فأطعموها من الحلال ما شاءت، واتركوها تَـنَمْ من اللّيل ما أحبَّت[4]

وسُئل عن الصَّبر، فقال: الصَّبر على أربعةِ أوجهٍ: صبرٌ على المصائب، وصبرٌ على الفرائض، وصبرٌ على أذى النَّاس، وصبرٌ على الفقرِ، فأمَّا الفرائضُ فمتى ما صَبرتَ عليها، رأيتَ حُسنَ المعونة من الله، وأمَّا المصائبُ فمتى ما صبرتَ عليها وجبَ لك (الأجرُ من الله، وأمَّا أذى النَّاسِ، فمتى ما صبرتَ عليه وجب لك)[5] حبُّ النَّاس، وأمَّا الفقرُ إذا صبرت عليه وجبَ لك رضوان الله[6]

وقال: المؤمنون في الكافرين قليل، والصَّالحون في المؤمنين قليل، والصَّادقون في الصَّالحين قليل، والصَّابرون في الصَّادقين قليل،

---

(١) المختار ٣/ ٧٣، صفة الصفوة ٤/ ٦٥

(٢) في المختار: أو مأوى يأوي إليه.

(٣) المختار ٣/ ٧٣

(٤) تهذيب الأسرار ٢١٤، المختار ٣/ ٧٣

(٥) ما بين الهلالين ليس في (أ).

(٦) تهذيب الأسرار ١٢٧، المختار ٣/ ٧٤

والرَّاضون في الصَّابرين قليل، والعَارفون في الرَّاضين قليل[١]

وقيل له: هل للعُصاة أُنسٌ؟ فقال: لا، ولا لمن يَهمُّ بالمعصية[٢]

وقال: لمَّا خلقَ الله الخَلْقَ حكمَ لنفسه بالغنى، وحكَمَ لخلقه بالفقر[٣]

وسُئل عن الذي لا يأكلُ الطَّعام أيامًا كثيرةً، أين يذهبُ لَهَبُ الجوع؟ فقال: يُطفئهُ النُّور[٤]

وقال: إنَّ لله في كلِّ يومٍ وليلةٍ [وساعة] عطايا، وأعظمُ العطايا أن يُلهِمَكَ ذكرَه[٥]

وسُئل عن حياةِ القلوب، فقال: حياتُها بذكرِ الله تعالى فيها، [وموتها بموت ذكر الله تعالى عنها] والله حيٌّ لا يموت[٦]

وقال: الأنفاسُ مَعدودةٌ، فكلُّ نفَسٍ يَخرجُ بغيرِ ذكرِ الله فهو ميِّتٌ، وكلُّ نفَسٍ يَخرجُ بذكرِ الله فهو حيٌّ مَوصولٌ بالله[٧]

وقال الدُّنيا كلُّها لإبليس، والمساجدُ لله[٨]

وقال: للخائفِ ثلاثُ علاماتٍ: يجتزئُ باليَسيرِ من الأكل، وباليسيرِ من النَّوم، ويقلُّ خطرُ الدُّنيا عنده[٩]

---

(١) تهذيب الأسرار ١٣١، المختار ٣/ ٧٤.
(٢) تهذيب الأسرار ٨١.
(٣) تهذيب الأسرار ١٦٥ وتتمة الخبر فيه: فمن ادعى الغِنى حجب عن الله، ومن أظهر فقره إليه وصل فقره بغناه.
(٤) تهذيب الأسرار ١٧١
(٥) تهذيب الأسرار ٣١٥، المختار ٣/ ٧٤.
(٦) تهذيب الأسرار ٣١٥، وما بين معقوفين مستدرك منه.
(٧) تهذيب الأسرار ٣١٧، المختار ٣/ ٧٤.
(٨) تهذيب الأسرار ٤٩٠، وفيه: إلا المساجد.
(٩) تهذيب الأسرار ١٤١.

وقال: دخلتُ الباديةَ، فرأيتُ شخصًا هائلاً مُنكرًا، فخفتُهُ، وارتعدتْ فرائصي منه، فقلتُ له: أَجنيٌّ أنت أم إِنسيٌّ؟ فأجابني: أَمؤمنٌ أنت، أم كافر؟ فقلت: مؤمنٌ. فقال: إِنَّ المؤمنَ لا يخافُ شيئًا سوى الله تعالى(١)

وقال: أعلى مقاماتِ الخوفِ أن يخافَ العبدُ على نفسه سابقَ علمِ الله فيه، ويحذرَ مع ذلك أن يَحدُثَ منه حَدَثٌ يَجرُّهُ إِلى الكُفر(٢)

وقال: الرَّجاءُ والخوف لا يَسكنان قلبًا فيه كِبْر(٣)

وقيل له: أيُّ شيءٍ أَشدُّ على هذه النّفس؟ فقال: الإِخلاص؛ لأنَّه ليس لها فيه نَصيبٌ(٤)

وقال: خِيارُ النَّاسِ المؤمنون، وخيارُ المؤمنين العلماء، وخيارُ العلماء الخائفون، وخيارُ الخائفين المُخلصون، وخيارُ المُخلصين الذين وصلوا إِخلاصهم بالموت(٥)

و: لا يعرفُ الرِّياءَ إِلاَّ المخلص(٦)

وقيل له: ما أَصلُ هذا الأمر الذي نحن عليه؟ فقال: الصِّدقُ، والسَّخاءُ، والشَّجاعة. فقيل له: زِدنا. فقال: التُّقى، والحياء، وطيب الغذاء(٧)

* * *

---

(١) تهذيب الأسرار ١٤٢، المختار ٣/ ٥٧.
(٢) تهذيب الأسرار ١٤٣
(٣) تهذيب الأسرار ١٥٠، المختار ٣/ ٥٧.
(٤) تهذيب الأسرار ١٨٠
(٥) تهذيب الأسرار ١٨٤
(٦) تقدم صفحة ٢١٥، وانظر الحاشية (١).
(٧) تهذيب الأسرار ١٩٢.

(١٢) أبو سليمان الدّاراني[*]

ومنهم: أبو سليمان عبد الرحمن بن عطية الدّاراني[١]، وداريا[٢] قرية من قُرى دمشق، ويقال عبدُ الرَّحمن بن أحمد بن عطية، وهو عَنْسيُّ القبيلة[٣]، وكان كبيرَ الشَّأنِ في علوم الحقائق والورع.

مات سنة خمسَ عشرة ومئتين، رحمه الله[٣]

وقال أحمدُ بن أبي الحواري صاحبُه: سمعتُ أبا سُليمان يقول: ليتَ قلبِي في القلوبِ كثوبي في الثّياب. وكانت ثيابُه وسطًا[٤]

(*) الجرح والتعديل ٥/ ٢١٤، تاريخ داريا للخولاني ٥١، طبقات الصوفية ٧٥، حلية الأولياء ٩/ ٢٥٤، تاريخ بغداد ١٠/ ٢٤٨، الرسالة القشيرية ٥٩، تاريخ ابن عساكر ٤٠/ ٧٧، الأنساب ٥/ ٢٤٣، صفة الصفوة ٤/ ٢٢٣، المختار من مناقب الأخيار ٣/ ٣٦٩، وفيات الأعيان ٣/ ١٣١، مختصر تاريخ دمشق ١٤/ ١٨٧، سير أعلام النبلاء ١٠/ ١٨٢، العبر ١/ ٣٤٧، فوات الوفيات ٢/ ٢٦٥، مرآة الجنان ٣/ ١٣١، البداية والنهاية ١٠/ ٢٥٥، طبقات الأولياء ٣٨٦، النجوم الزاهرة ٢/ ١٧٩، نفحات الأنس ٥٧، طبقات الشعراني ١/ ٩٢، الطبقات الكبرى للمناوي ١/ ٦٦٩، شذرات الذهب ٢/ ١٣

(١) الداراني بفتح الدال المهملة، وبعد الألف راء مفتوحة، وبعد الألف الثانية نون، هذه النسبة إلى داريا، وهي قرية بغوطة دمشق، والنسبة إليها على هذه الصورة من شواذ النسب. انظر الأنساب ٥/ ٢٤٤، ووفيات الأعيان ٣/ ١٣١

(٢) في (أ)، والرسالة القشيرية: وداران.

(٣) طبقات الصوفية ٧٥

(٤) طبقات الصوفية ٧٧، وفي تهذيب الأسرار ٢٦٠: قميصه أبيض، وفي (أ): وسطه.

وقال: إذا غلبَ الرَّجاءُ على الخوف فسدَ القلب[1]

و: من صارعَ الدُّنيا صرعته[2]

و: من أحسنَ في ليله كُوفئ في نهاره، ومن أحسنَ في نهاره كُوفئ في ليله. ومن صَدَقَ في تركِ شهوةٍ أذهبَ الله بها من قلبه، واللهُ أكرمُ من أن يُعذِّبَ قلبًا بشهوةٍ تُركت له[3]

وقال: إذا سكنتِ الدُّنيا في القلبِ ترحَّلتْ منه الآخرة[4]

و: الواردُ الصَّادق أن يصدق ما في قلبه ما نطقَ لسانُهُ[4]

و: خيرُ السَّخاء ما وافقَ الحاجة[4]

و: من صدقَ كُوفي، ومن أَحسنَ عُوفي[4]

وقال: رُبَّما يقعُ في قلبي النُّكتةُ من نُكتِ القوم أيامًا، فلا أَقبلُ منه إلاَّ بشاهدين عدلين؛ الكتاب والسّنة[5]

و: كلُّ عملٍ ليس له ثوابٌ في الدُّنيا، ليس له جزاءٌ في الآخرة[6]

و: إذا جاعَ القلبُ وعطش، صفا ورقَّ، وإذا شبع ورويَ عَمي [وبار][7]

وقال أحمد بن أبي الحواري: قلتُ لأبي سُليمان: صلَّيتُ صلاةً في خلوةٍ، فوجدتُ لها لذَّةً. فقال لي: وأيُّ شيءٍ أَلَذَّكَ منها؟ فقلتُ: حيث لم يرني أحد. فقال: إنَّك لضعيفٌ، حيث خَطَرَ بقلبك ذكرُ الخلق[8]

---

(١) في طبقات الصوفية ٧٦: فسد الوقت، وفي تهذيب الأسرار ١٤٢: أفسد القلب.
(٢) طبقات الصوفية ٧٧.
(٣) طبقات الصوفية ٧٧، تهذيب الأسرار ١٧٥ وفيه: كفي في نهاره. كفي في ليله.
(٤) طبقات الصوفية ٧٧.
(٥) طبقات الصوفية ٧٨، الرسالة القشيرية ٥٩.
(٦) طبقات الصوفية ٧٨.
(٧) طبقات الصوفية ٧٩، تهذيب الأسرار ١٦٧، وما بين معقوفين منه.
(٨) طبقات الصوفية ٧٩.

قال: فقلتُ له: إذا خرجتِ الشَّهواتُ من القلب، أيُّ اسمٍ يقعُ عليه اسم زُهد أو ورع؟ فقال: إذا سلا عن الشَّهواتِ فهو راضٍ[1]

وقال: اجعلْ ما طلبتَ من الدُّنيا ولم تظفرْ به بمَنْزِلةِ ما لم يَخطرْ ببالك ولم تَطلبْه[2]

و. اعلم أنَّ العيالَ يُضعفون يقين صاحبِ اليقين، لأنَّه إذا كان وحده فجاعَ فرح، وإذا كان له عيالٌ فجاعوا طلبَ لهم، وإذا جاءَ الطَّلبُ فقد ضَعفَ اليقين[2]

و: آخرُ أقدامِ الزَّاهدين أوَّلُ أقدام المتوكلين[2]

و: من لطائفِ المعاريض قولُه تعالى: ﴿ أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ ﴾ [الزمر: ٣] تهديدٌ بلطفٍ[2]

و: لكلِّ شيءٍ مهرٌ، ومهرُ الجنَّة تركُ الدُّنيا بما فيها[3]

و: إذا تركَ الحكيمُ الدُّنيا فقد استنارَ بنورِ الحكمة[3]

وقال: لكلِّ شيءٍ حِليةٌ، وحِليةُ الصِّدقِ الخشوع[3]

و: لكلِّ شيءٍ معدنٌ، ومعدنُ الصِّدقِ قلوبُ الزَّاهدين[3]

و: لكلِّ شيءٍ عَلَمٌ، وعَلَمُ الخُذلانِ تركُ البكاء[3]

و: من توسَّلَ إلى الله بتلفِ نفسه، حفظَ عليه نفسَهُ وحكَّمَهُ في جنَّته[3]

و: أفضلُ الأعمالِ خلافُ هوى النَّفس[3]

---

(١) طبقات الصوفية ٧٩

(٢) طبقات الصوفية ٨٠.

(٣) طبقات الصوفية ٨١.

و: من أرادَ واعظًا بيِّنًا، فلينظرْ إلى اختلافِ اللَّيل والنَّهار[١]

وقال: علِّموا النُّفوسَ الرِّضا بمجاري المَقدور، فنعمَ الوسيلةُ إلى درجات المعرفة[١]

و: إذا سَكَنَ الخوفُ القلبَ، أحرقَ الشَّهوات، وطردَ الغفلةَ عن القلب[١]

و: لكلِّ شيءٍ صَدَأٌ، وصَدَأُ نورِ القلب شِبعُ البطن[١]

و: من أظهرَ الانقطاعَ إلى الله، فقد وجبَ عليه خلعُ ما دونه من رَقَبته[٢]

و: من كان الصِّدقُ وسيلتَه، كان الرِّضا عن الله جائزته[٢]

و: لكلِّ شيءٍ صدقٌ، وصدقُ اليقين الخوفُ من الله[٢]

و: لو أنَّ مَحزونًا بكى في أُمَّةٍ لرحمَ اللهُ تلك الأُمةَ ببكائه[٣]

و: أبلغُ الأشياء فيما بين الله وبين العبد المُحاسبة[٤]

و: كلُّ ما شغلَكَ عن الله من أهلٍ أو مالٍ أو ولدٍ فهو عليك مَشؤوم[٥]

وقال: كنتُ ليلةً باردةً في المحراب، فأَقلقني البردُ، فخبَّأْتُ إحدى يدي من البرد، وبقيتِ الأُخرى مَمدودةً، فغلبتني عيناي، فهتفَ بي هاتفٌ: يا أبا سليمان، قد وضعنا في هذه ما أَصابها، ولو كانتِ الأُخرى لوضعنا فيها. فآليتُ على نفسي أنْ لا أدعو إلَّا ويداي خارجتان، حرًّا كان أو بردًا[٥]

وقال: نمتُ ليلةً عن وِردي، فإذا أنا بحوراءَ تقول لي: تنامُ وأنا أُربَّى

---

(١) طبقات الصوفية ٨١.

(٢) طبقات الصوفية ٨٢.

(٣) طبقات الصوفية ٨٠، وانظر قول بشر بن الحارث صفحة ١٣٨

(٤) طبقات الصوفية ٨٠.

(٥) الرسالة القشيرية ٥٩.

لك في الخدور منذ خمس مئة عام؟![1]

وقال أحمدُ بن أبي الحواري: دخلتُ يومًا على أبي سُليمان وهو يبكي، فقلتُ له: ما يُبكيك؟ فقال: يا أحمد، ولِمَ لا أبكي، إذا جنَّ اللَّيلُ، ونامتِ العيون، وخلا كلُّ حبيبٍ بحبيبه. افترشَ أهلُ المحبَّةِ أقدامَهم، وجرتْ دموعُهم على خدودهم، وقطرت في محاريبهم[2]، أشرفَ الجليلُ سبحانه وتعالى، فنادى: يا جبريل، بعيني من تلذَّذَ بكلامي، واستراحَ إلى ذِكري، وإنِّي لَمُطَّلعٌ عليهم في خلواتهم، أَسمعُ أنينَهم، وأرى بكاءَهم، فلِمَ لا تُنادي فيهم يا جبريل: ما هذا البُكاء؟ هل رأيتُم حبيبًا يُعذِّبُ أحبَّاءَه؟ أم كيفَ يجملُ بي أن آخذَ قومًا إذا جنَّهُمُ اللَّيل تَملَّقوني؟ فبي حلفتُ إذا وردوا عليَّ يوم القيامة، لأكشفنَّ لهم عن وجهي الكريم، حتَّى يَنظروا إليَّ، وأنظرَ إليهم[3]

وسأله رجلٌ عن أقربِ ما يتقرَّبُ به العبد إلى الله تعالى، فقال: أن يطَّلعَ على قلبك، وأنتَ لا تُريدُ في الدُّنيا والآخرةِ غيرَه[4]

وقال: من وثقَ بالله في رزقه زيدَ في حُسْنِ خلقه، وأعقبَه الحلمُ، وسخت نفسُهُ في نفقته، وقلَّتْ وساوسُهُ في صلواته[5]

و: من أصابَ شهوةً فندم، ارتفعتْ عنه العقوبة، وإن اغتبطَ وَحدَّثَ[6] نفسَه بالمعاودة دامتْ عليه العقوبة.

وقال: لا يجيءُ الوسواسُ إلاَّ في كل قلب عامر، رأيت لصًّا قطُّ يأتي

---

(١) الرسالة القشيرية ٦٠

(٢) في (أ): في محاسنهم.

(٣) الرسالة القشيرية ٦٠

(٤) تهذيب الأسرار ٧٦، والسائل هو أحمد بن أبي الحواري، وانظر الحلية ٩/ ٢٥٦، ٢٥٧، المختار ٣/ ٣٧٧.

(٥) المختار ٣/ ٣٧٨، وفي (أ): وأعقبه العلم، وسخت نفسه.

(٦) في (أ): وجدّت نفسه.

الخربةَ ينقبها؟ [وهو يدخل من أيِّ الأبواب شاء]، إنَّما يأتي إلى بيتٍ فيه رزمٌ [وقد أقفل، ينقبُهُ ليستلَّ منه الرِّزمة][1]

وقال: اختلفَ أهلُ العراق في الزُّهد، فمنهم من قال: الزُّهدُ في تركِ لقاءِ النَّاس. ومنهم من قال: في تركِ الشَّهوات. ومنهم من قال: في تركِ الشِّبع، وكلامُ بعضهم يقربُ من بعضٍ، وأنا أذهبُ إلى أن الزُّهدَ في تركِ ما يَشغلُكَ عن الله تعالى[2]

وقال: الدُّنيا تطلبُ الهاربَ منها، وتهربُ من الطَّالبِ لها، فإن أدركتِ الهاربَ منها جرحتْهُ، وإن أدركَها الطَّالبُ قتلته[3]

وقال أحمد بن أبي الحواري: شكوتُ إلى أبي سليمان الوسواس، فقال: إذا أردتَ أن ينقطعَ عنك، فأيُّ وقتٍ أحسستَ به فافرحْ؛ فإنَّك إذا فرحتَ به انقطعَ عنك؛ لأنَّه ليس شيءٌ أبغضَ إلى الشَّيطان من سُرورِ المؤمن، وإن اغتممتَ به زادك[4]

وقال: يلبسُ أحدُهم عباءةً قيمتُها ثلاثةُ دراهم، وفي قلبه شهوةٌ بخمسة دراهم، فما يستحيي أن تُجاوز شهوته لباسه؟ وإذا لم يبقَ في قلبه شيءٌ من الشَّهوات جازَ أن يتدرَّعَ عباءةً ويلزمَ الطَّريق؛ لأنَّ العباءةَ عَلَمٌ من أعلام الزُّهد، ولو أنَّه سترَ زهدَهُ بثوبين أبيضين مختلطًا بين النَّاس كان أسلم له[5]

وقال أحمدُ بنُ أبي الحواري: كنْ كوكبًا، فإنْ لم تكن كوكبًا فكنْ قمرًا، فإن لم تكن قَمرًا فكنْ شمسًا. فقلت: يا أبا سليمان، القمرُ أضوأُ من الكوكب، والشَّمسُ أضوأُ من القمر. فقال: يا أحمد، كنْ مثلَ

---

(١) الحلية ٩/ ٢٥٧، المختار ٣/ ٣٧٨، وما بين معقوفين مستدرك منهما.

(٢) الحلية ٩/ ٢٥٨، المختار ٣/ ٣٨٣

(٣) الحلية ٩/ ٢٥٩، المختار ٣/ ٣٧٩

(٤) الحلية ٩/ ٢٦٠

(٥) الحلية ٩/ ٢٦٠، تهذيب الأسرار ٢٦١

الكوكب يطلعُ من أوَّلِ اللَّيل إلى إسفار الصّبح، فقمْ من أوَّلِ اللَّيل إلى آخره، فإن لم تقدرْ على قيامِ اللَّيل كلِّه، فكنْ مثلَ القمر يطلعُ بعضًا ويغيبُ بعضًا، قمْ بعضَ اللَّيلِ ونمْ بعضَه، فإن لم تقدر على قيامِ اللَّيل [فكنْ مثلَ الشَّمس، تطلعُ أوَّلَ النَّهارِ إلى آخره، فإنْ لم تقدر على القيام] فلا تعصِ الله بالنَّهار(١)

و: إذا فاتك شيءٌ من التَّطوع فاقضِهِ، فهو أجدرُ أن لا تعودَ إلى تركِهِ(٢)

وقال: لا ينبغي للعبدِ أن يُعجب بعملِهِ، بل يعدُّ العملَ نعمةً من الله، وإنَّما سبيلُه أن يشكرَ الله ويتواضعَ، وإنَّما يَعجبُ بعمله القدريَّةُ الذين يَزعمون أنَّهم يَعملون، فأمَّا من زعمَ أنَّه مُستعمل فبأيِّ شيءٍ يعجب؟!(٣)

وقال: طُوبى لمن حذرَ سكراتِ الهوى، وسُورةِ الغضب، والفرحِ بشيءٍ من أمرِ الدُّنيا، فصبرَ على مرارة التَّقوى. طُوبى لمن لزمَ الجادَّةَ بالانكماشِ والحذر، وتخلَّصَ من الدُّنيا بالهربِ كهربه من السَّبُعِ والكلب. طُوبى لمن استحكمَ أمورَه بالاقتصاد، واعتقدَ الخيرَ للمعاد، وجعلَ الدُّنيا مزرعةً، وتنوَّقَ(٤) في البذرِ ليفرحَ غدًا بالحصاد. طوبى لمن انتقلَ بقلبه من دارِ الغرور، ولم يسعَ لها سعيها فيبور. ومَنْ خطرتِ الدُّنيا وأهلها منه على بالٍ، اضطربتْ عليه الأحوالُ، ومن تركَ الدُّنيا للآخرة ربحهما، ومن تركَ الآخرةَ للدنيا خسرهما(٥)

وقال: اختلفت إلى مجلس قاصٍّ، فأثَّرَ كلامُه في قلبي، فلمَّا فارقتُهُ لم يبقَ في قلبي من كلامه شيءٌ، فعدتُ ثانيًا إليه، فسمعتُ كلامَه، فبقي في قلبي كلامُهُ إلى بعضِ الطَّريق، ثمَّ زالَ عنِّي، ثمَّ عُدتُ إليه ثالثًا، فبقي أثرُ

---

(١) الحلية ٩/ ٢٦١، وما بين معقوفين مستدرك منها
(٢) الحلية ٩/ ٢٦١، وفيها: أحرى أن لا تعود.
(٣) الحلية ٩/ ٢٦٣
(٤) في (ب): يتوق.
(٥) الحلية ٩/ ٢٧٨.

كلامِهِ في قلبِي حتَّى عدت مَنْزِلي، وكسرتُ آلات المخالفات، ولزمتُ الطَّريق[1]

وقال: مفتاحُ الدُّنيا الشِّبَعُ، ومفتاحُ الآخرة الجوع[2]

و: لو اجتمعَ النَّاسُ على أن يَضعوني كاتِّضاعي عند نفسي ما قدروا عليه[3]

و: من رأى لنفسه قيمةً، لم يذق حلاوةَ الخدمة[4]

وقال: القناعةُ من الرِّضا بمَنْزِلة الورعِ من الزُّهد، هذا أوَّل الرِّضا، وهذا أولُ الزُّهد[5]

وقال: لو أنَّ المعرفةَ نُقِشتْ على شيءٍ، لكان كلُّ من نظرَ إليها ماتَ من حُسنها وجمالها، ولأَظلمَ كلُّ شيءٍ من الضَّوءِ في ضوئها[6]

وقال أحمدُ بن أبي الحواري: قال لي أبو سليمان: يا أحمد، ما أنجبَ مَنْ أنجبَ إلاَّ بالقبول من المعلمين، وأنا أقولُ لك: لا تفتحْ أصابعَكَ في القصعة وأنت لا تَقبلُ منِّي، يا أحمد، عهدتُ ناسًا، ورأيتُ طوائفَ يعدُّونَ الجوعَ فيهم غنيمةً، كما تَعدُّ أنت وأصحابُك الصُّوفيةُ الشِّبعَ غنيمةً، يا أحمد، كيف تستنيرُ قلوبُهم وكلُّ شيءٍ يجدونه من الشُّبهات يأكلونه؟ إنِّي لآكلُ الشَّهدَ أنقاه[7] من غير حِلِّهِ، فأجدُ على قلبِي رانَها من جمعةٍ إلى جمعة أخرى[8]

---

(١) الرسالة القشيرية ١٧٠ (التوبة).
(٢) الرسالة القشيرية ٢٣٥ (الجوع)، تهذيب الأسرار ١٦٧
(٣) الرسالة القشيرية ٢٤٠ (الخشوع)، تهذيب الأسرار ٤٦٣.
(٤) الرسالة القشيرية ٢٤٣ (الخشوع).
(٥) الرسالة القشيرية ٢٥٧ (القناعة)، وانظر تهذيب الأسرار ١١٤
(٦) تهذيب الأسرار ٤٨.
(٧) في (ب): اتقه.
(٨) انظر المختار ٣/ ٣٧٢.

ورأى أبو سليمان رجلاً من الصَّالحين بمكَّة لا يتناول شيئًا إلاَّ شربةً من ماء زمزم، ويبقى على ذلك أيامًا، فقال أبو سُليمان يومًا: أرأيتَ لو غارتْ زمزمُ، ماذا كُنتَ تشرب؟ فقام إليه الرَّجلُ، وقبَّلَ رأسَه، وقال: جزاكَ اللهُ خيرًا، حيث أرشدتني، فإنِّي كنتُ أعبدُ زمزمَ منذ أيامٍ ولا أعلم. ثمَّ مضى[1]

وقال: أرجو أنْ أكونَ عرفتُ طريقًا من الرِّضا، ولو أنَّه أدخلني النَّارَ، لكنتُ بذلك راضيًا[2]

وقال: إذا أخلص العبدُ، انقطعَ عنه كثرةُ الوساوس والرِّياء[3]

و: لو أرادَ الصَّادق أن يصفَ ما في قلبه، ما نطقَ به لسانُهُ[4]

وقال: قال الله تعالى في بعض كتبه: عبدي، إنَّكَ ما استحييتَ منِّي، فإنِّي أُنسي النَّاسَ عيوبَكَ، وبقاعَ الأرضِ ذنوبَكَ، وأمحي من الكتابِ زلأَّتِك، ولا أُناقشُكَ يومَ القيامة في الحساب[5]

وقال: إن في الجنَّة قيعانًا، فإذا أخذَ الذَّاكرُ في الذِّكر، أخذتِ الملائكةُ في غرسِ الأشجار، فرُبَّما يقفُ بعضُ الملائكة فيُقال له: لِمَ وقفتَ؟ فيقولُ: إنَّ صاحبي فَتَرَ[6]

وقال أحمد بن أبي الحواري. قلتُ لأبي سُليمان: إنَّ فلانًا لا يقعُ من قلبي. فقالَ أبو سُليمان: وليس يقعُ أيضًا من قلبي؛ ولكن يا أحمد لعلَّنا أُوتينا من قِبَلِنا، لسنا من جُملة الصَّالحين؛ فليسَ نحبُّهم[7]

---

(١) الرسالة القشيرية ٢٦٨ (التوكل)، المختار ٣/ ٣٨٣.

(٢) الرسالة القشيرية ٣٠٠ (الرضا) وبها: طرفًا من الرضا.

(٣) الرسالة القشيرية ٣١٧ (الإخلاص).

(٤) الحلية ٩/ ٢٦٦، الرسالة القشيرية ٣١٨ (الصدق).

(٥) الرسالة القشيرية ٣٢٤ (الحياء)

(٦) الحلية ٩/ ٢٧٦، الرسالة القشيرية ٣٣٥ (الذكر). المختار ٣/ ٣٨٤.

(٧) الحلية ٩/ ٢٦٢، الرسالة القشيرية ٤١٨ (الصحبة).

وقال: إنَّ اللهَ يفتحُ للعارفِ على فراشه ما لا يفتحُ له وهو قائمٌ يُصلّي[1]

وسُئل عن السَّماع، فقال: كلُّ قلبٍ يريدُ الصَّوتَ الحسنَ فهو ضعيف، يُداوى كما يُداوى الصَّبيُّ إذا أُريد أن ينوّم[2]

وقال: الصَّوتُ [الحسن] لا يُدخلُ في القلب شيئًا، إنَّما يُحرِّكُ من القلب ما فيه. وقال أحمد بن أبي الحواري: صدقَ واللهِ أبو سليمان[2]

وقال أحمد بن أبي الحواري: حججتُ أنا وأبو سُليمان، فبينا نحن نسير، إذ سقطتِ السَّطيحةُ[3] منِّي، فقلتُ لأبي سليمان: فقدتُ السَّطيحةَ، وبقينا بلا ماء. وكان البردُ شديدًا، فقال أبو سليمان: اللّٰهُمَّ يا رادَّ الضَّالةِ، ويا هادي من الضَّلالة، ارْدُدْ علينا الضَّالة. قال: وإذا واحد يُنادي: من ذهبتْ له سَطيحةٌ؟ قال أحمد: فقلتُ: أنا. وأخذتُها، فبينا نحن نَسير، وقد تدرَّعنا الفراءَ من شدَّةِ البرد، إذا نحن بإنسانٍ عليه طِمْران، وهو يرشحُ عرقًا، فقال له أبو سليمان: تعالَ، ندفعْ إليك شيئًا ممَّا علينا من الثِّياب. فقال الرَّجل: يا أبا سُليمان، أتشيرُ إلى الزُّهد وتجدُ البرد؟! أنا أَسيحُ في هذه البريَّةِ منذ ثلاثين سنة ما انتفضْتُ ولا ارتعدْتُ، يُلبسني في البردِ فيحًا من محبَّتِهِ، ويُلبسني في الصَّيفِ مذاق بردِ محبَّتِه. ثمَّ ذهبَ عنَّا[4]

ورآه بعضُ الصَّالحين في المنام بعد موته، فقالَ له: ما فعلَ اللهُ بك؟ فقال: غفرَ لي، وما كان شيءٌ أضرَّ عليَّ من إشاراتِ القومِ إليَّ[5]

---

(١) الرسالة القشيرية ٤٤٢ (المعرفة بالله) وبها: ما لا يفتح لغيره وهو قائم.

(٢) الرسالة القشيرية ٤٨١ (السماع)، تهذيب الأسرار ٣٣٥

(٣) السطيحة: الزادة التي من أديمين، وهي من أواني الماء. انظر اللسان.

(٤) الرسالة القشيرية ٥١٩ (كرامات الأولياء) صفة الصفوة ٤/ ٣٧٩، المختار ٥/ ٣٧٦، روض الرياحين (الحكاية: ١٠٣).

(٥) الرسالة القشيرية ٥٣٦ (رؤيا القوم)، تهذيب الأسرار ٥٥٧، المختار ٣/ ٣٨٦.

وقال: النَّاس في الدُّنيا رجلان: رجلٌ أحبَّ اللهَ، فأحبَّ الموتَ شوقًا إلى لقائه، ورجلٌ أحبَّ البقاءَ لإقامة حقِّ الله. فوثب إليه غلامٌ لم يحتلم، فقال: ورجلٌ ثالثٌ. قال: ومن هو؟ قال: من لا يختارُ هذا ولا هذا؛ بل اختارَ ما اختاره الله له، فقال أبو سليمان: احتفظوا بالغلام؛ فإنَّه صدِّيق[1]

وقال: المجتهدون بالبصرة، والفقهاء بالعراق، والزُّهَّاد بخراسان، والأبدال[2] بالشَّام.

وقال أحمد بنُ أبي الحواري: رأيتُ سُليمان يُلْقِمُ العوامَ الزُّبد والعسل، وكنتُ آتيه بالزُّبدِ والعسل إلى مَنْزله مرَّتين، فلم يذُقْه، فقلتُ: تُطعمنا ولا تأكلُ منه؟! فقال. أنا أعرف منكم أنَّكم تشتهونه، فأنا أُحبُّ أن أُطعمَكم شهوتكم، والزُّبدُ والعسلُ إسرافٌ، وأنا أَخافه، ولو جاءني من يعرفُ ما زِدْتُهُ على الملحِ مع الخبز[3]

ثمَّ بتُّ أنا وهو عند أحمد بن سباع، فجاءه بسُكُرُجَةٍ فيها زُبْدٌ وعسل، ورغيف دَرْمَكَ[4]، فجعل يأكلُ، فقلت: تأكلُ هذا، وفي بيتك مثلُهُ لِمَ لا تأكلُه؟! فقال لي: يا أحمد، من أكَلَ ليُسِرَّ أخاه لم يضرَّهُ أكلُه، إن عامل الله لا يخيب على كلِّ حالٍ، وإنَّما يَضرُّهُ إذا أكلَ بشهوةٍ نفسِهِ[3]

وقال: من أعرضَ عن اللغو، وأرادَ بذلك اللهَ جُمِعَ بالخشيةِ، وأُيِّدَ بالحكمة، ومن أعرض عن الدُّنيا مُحتسبًا صابرًا أُريَ الآخرة، وأغني بها، ومن زادَ زاده الله، ومَنْ حفظَ سمعه من كلِّ طَارقٍ هوًى أَسمعَهُ اللهُ كتابَه، فإن اجتمع في سماع الكتاب، وصل إلى الفلاح، وهو حالٌ من أحوال أهل

---

(١) المختار ٣/ ٣٨٤

(٢) في (أ): والبدلاء.

(٣) المختار ٣/ ٣٨٤

(٤) درمك: الدقيق الحُوَّاري (الأبيض). اللسان.

المعرفة، وتَنَزَّلُ عند ذلك الرَّحمة، وهذه الطَّريقةُ سلكها أهلُ الرَّغبة إلى الله، فوصلوا إلى عطاء شافٍ، وحالٍ كاف.

وقال: العيالُ تضعفُ يقينَ صاحبِ اليقين، لأنَّه إذا كان وحدَهُ فجاعَ فرحَ، وإذا كان له عيالٌ طلبَ لهم، وإذا جاء الطلبُ فقد ضعفَ اليقين[١]

وقال أحمد بنُ أبي الحواري: قلتُ لأبي سليمان: كيف تقوى قلوبُهم على ما يَردُ عليهم من فكرِ الآخرة؟ فقال: هو أكرمُ من أن يُبلِّغَهم مَنْزلةً لا تَقوى عليها قلوبهم.

وقال أحمدُ بن أبي الحواري: قلتُ لأبي سليمان: أَيجوزُ للرَّجلِ أن يُخبرَ عن نفسه بالشيءِ يكون منه؟ فقال: إذا كان في موضعِ الأدب ليُقتدى به جاز له ذلك.

وقال: خطبَ رجلٌ امرأةً من أهل الموصل، يقال لها ألوف، وبذلَ لها مالاً كثيرًا، فقالتْ للرسول: قل له: ما يسرُّني أنَّك لي عبدٌ، وجميعَ ما تملكه لي، وأنَّكَ شغلتني عن اللهِ طرفةَ عين[٢]

وقال: لمَّا كلَّمَ اللهُ موسى عليه السَّلام قالَ: يا ربِّ، إنَّ اللَّعينَ يُوسوسُ إليَّ أنَّ الذي كلَّمني غيرُكَ. فأوحى الله تعالى إليه: يا موسى، ارفعْ رأسَك. فرفع رأسه، فإذا بالسَّماءِ قد كُشطت، وإذا بالعرشِ بارزٌ، وإذا بالملائكة قيامٌ في الهواء[٣]

وقال أحمدُ بن أبي الحواري: خرجتُ مع أبي سليمان إلى جُبِّ يوسف[٤] عليه السَّلام، فلمَّا صِرنا في بعضِ الطَّريق لقيْنا شابٌّ ناحلُ

---

(١) تقدم الخبر مع تخريجه صفحة ٢٣٦

(٢) صفة الصفوة ٤/ ١٩٠

(٣) حلية الأولياء ١٠/ ١٩ في ترجمة أحمد بن أبي الحواري، ولا دخل لصاحب ترجمتنا في الخبر.

(٤) جب يوسف عليه السلام الذي ألقاه فيه إخوته هو في الأردن بين بانياس وطبرية، وقيل هو في نابلس من أرض فلسطين. معجم البلدان.

الجسم، كثيرُ الهمِّ، فسلَّمَ على أبي سليمان سلامَ عارفٍ، ثمَّ قال له: يا أبا سليمان، أنت المذكورُ بالشَّام، الموصوفُ بين الضُّخام[1]، إنَّ الله قد أفادَكَ دواءً وقد انتفعَ به أقوامٌ، فهل لك أن تكتسبَ فيَّ، وتطلبَ ما عند الله؟ قال أحمد: فاتَّكأَ أبو سليمان على عكَّازته، ثمَّ قال: سَلْ ما بدا لك. فقال: يا أبا سليمان، ما علامةُ المُريد؟ قال: إقبالُهُ على ما يريد، وتركُهُ كلَّ خليطٍ لا يُريد. قال: فصاحَ صيحةً، وخرَّ مَغشيًّا عليه، فرقَّ له أبو سليمان وجلسَ، فلمَّا أفاقَ من غشيته، قال: يا أبا سليمان، أنا ميِّتُ القلبِ، قليلُ الفهم، فارفقْ بي قليلاً. قال له أبو سليمان: قل ما شئت. فقال: يا أبا سليمان، متى يَعلمُ المُريدُ أنَّه مُريد؟ قال أبو سليمان: إذا أنزلَ الدُّنيا من نفسِهِ مَنْزلةَ ربَّانٍ قد أرسى في غيرِ مرساةٍ، فهو يتوقَّعُ ريحًا تدمِّرُه أو موجًا يُغرقُه، أو حوتًا يبتلعه، أو يفنى زادُه فيموت مكانه. فصرخَ صرخةً، ورمى بنفسِهِ إلى الأرض حتَّى خرجَ الدَّمُ من منخره مَغشيًّا عليه، فلمَّا أفاقَ، قال له أبو سليمان: قمْ، صلِّ ما فاتك من صلواتك. فاستوى جالسًا، ثمَّ قال: يا أبا سُليمان، أنا ممَّن كلُّه فائت. قال أحمد: فغمزني أبو سليمان، وقال: قمْ بنا. فقمنا وتركناه، فسمعتُهُ يقول: سيِّدي، عبادُكَ خلَّفوني، وبحسرتي تركوني، وإلى الهُمومِ والأَحزانِ أَسلموني، سيِّدي ومولايَ ومُؤمِّلي، أنا مُستجيرٌ بعفوك، فاعفُ عنِّي[2].

وقال أحمدُ بن أبي الحواري: سمعتُ أبا سليمان يقول: تدري لِمَ أزالَ العاقلُ[3] اللائمةَ عمَّنْ أساءَ إليه؟ قلتُ: لا أدري. قال: لأنَّه علمَ أنَّ الله ابتلاه بذلك[4].

---

(١) في (ب): الصحابة الضخام.

(٢) المختار ٥/ ٣٧٧.

(٣) في (ب): لم أزال الله عن العاقل.

(٤) الحلية ٩/ ٢٥٨، المختار ٣/ ٣٧٤.

وقال: احذرْ صغيرَ الدُّنيا؛ فإنَّ صغيرَها يجرُّ إلى كبيرها[1]، ومن أرادَ منها شيئًا، فهو يُريدها كلَّها.

وقال: بينا أنا مارٌّ في طريقِ بيت المقدس، إذ رأيتُ امرأةً، عليها جُبَّةُ شَعَرٍ[2]، وعلى رأسها خمارُ صوفٍ، وهي جالسةٌ ورأسُها بين ركبتيها، وهي تبكي، فقلتُ لها: ممَّ بكاؤك يا جارية؟ فقالت: يا أبا سليمان، وكيفَ لا أبكي وأنا أحبُّ لقاءه! فقلتُ لها: لقاء مَنْ تُحبين؟ فقالت: وهل يحبُّ المُحبُّ غيرَ لقاء المَحبوب؟! فقلتُ لها: ومن مَحبوبُك؟ فقالت: علاَّمُ الغيوب. قلتُ: يا جارية، وكيف تُحبِّينَ علاَّمَ الغيوب؟ قالت: إذا صَفَّيْتَ نفسَك من العيوب، وجالتْ روحُكَ في الملكوت، عند ذلك تصلُ إلى محبَّةِ المحبوب. فقلتُ: يا جارية، فكيفَ يَكونون في محبَّتهم لله تعالى؟ قالت: يا أبا سليمان، أبدانُهم نحيلةٌ، وألوانُهم مُتغيِّرةٌ، وعيونُهم هاطلة، وقلوبُهم واجفةٌ، وأرواحُهم ذائبةٌ، وألسنتُهم بذكرِ محبوبهم لَهِجةٌ. قلتُ: يا جاريةُ، من أين لك هذه الحكمة التي تَنطقين بها؟ فقالت: يا أبا سليمان، الحكمةُ لا تَجيءُ بطولِ العمر قلتُ: فبماذا تَجيءُ؟ قالت: بصفاء الودِّ، وحسنِ المعاملة. ثمَّ قالت: أوَّاه. وأنشأتْ تقول:

قد كتمتُ الهوى فباحَ بسري عبراتٌ من الجُفونِ تَسيلُ

ثم قالت: أوّه أوّه، وأنشأت تقول:

كَتَبَ الدَّمعُ فوق خدَّيَّ سطرًا كلُّ وجدٍ بمن هَويتُ قليلُ
فاعذروني إذا بَكيتُ من الوجـ ـدِ فمَا لي إلى العَزاءِ سَبيلُ
إنَّ دمعي لشَاهِدٌ لي على الحبْـ ـبِ دليلٌ بأنَّ حُزني طَويلُ

ثمَّ قامت فدخلتْ بين الجبال في وادٍ، وأنا أنظرُ إليها.

---

(١) الحلية ٩/ ٢٦١

(٢) في (ب): جبة مسح، وفي المنتقى: جبة صوف مُنسخٍ.

وقال أحمدُ بن أبي الحواري: اشتهى أبو سليمان رغيفًا حارًّا[1] بملحٍ، فجئتُ به إليه، فعضَّ منه عضّةً، ثمَّ طرحَهُ، وأقبلَ يبكي، ويقول: يا ربِّ، عجَّلتَ لي شَهوتي، لقد أطلت جهدي وشِقوتي، وأنا تائبٌ، فاقبلْ توبتي. قال أحمد: ولم يذقِ الملحَ حتَّى لَحِقَ بالله تعالى[2]

وقال: مَنْ لا يَستصغرُ الدّنيا، لا يستعظمُ الآخرة، ومَنْ صغّرَ المؤمنَ في عينه، استخفَّ بحُرمته، ومن لا يتلاشى في قلبِهِ ذكرُ كلِّ شيءٍ بصفاءِ ذكر الله، لم يجد صفوةَ لذّة ذكرِ الله، ولا يجدُ سبيلاً إلى طريقِ المُحبِّين الذين عقلوا عن الله.

وقال: لو لم يبكِ العاقلُ فيما بقي من عمره إلاَّ على ما فاته من لذَّةِ الطَّاعة في عمره، لكان ينبغي أن يُبكيَه ذلك حتَّى يخرجَ من الدُّنيا[3]

وقال أحمدُ بن أبي الحواري سمعتُ أبا سليمان يقول: مررتُ في جبلِ اللُّكَام باللَّيلِ، فسمعتُ رجلاً يقول: سيِّدي وأملي ومُؤمِّلي، ومَنْ به تمامُ عملي، أعوذُ بك من بَدَنٍ لا يَنتصبُ بين يديك، وأعوذُ بك من قلبٍ لا يَشتاقُ إليك، وأعوذُ بك من دُعاءٍ لا يَصلُ إليك، وأعوذُ بك من عينٍ لا تبكي عليك. فلمَّا سمعتُهُ يقول: من عينٍ لا تبكي عليك، علمتُ أنَّه عارفٌ، فقلتُ له يا فتى، إنَّ للعارفين مقاماتٍ، وللمُشتاقين علامات. قال: ما هي؟ قلتُ. كِتمانُ المُصيبة، وصِيانةُ الكرامة. فقال عِظني. قال أبو سليمان: فقلت له: اذهبْ فلا تُرِدْ غيرَه، ولا تَرْجُ سواه، ولا تَرُدَّ خيرَه، ولا تَبخلْ بشيئه عنه. فقال: زِدني. قلتُ: لا تُرِدِ الدُّنيا، واتَّخذِ الفقرَ غنىً، والبلاءَ من الله شِفاءً، والتَّوكُّلَ معاشًا، والله لكلِّ شدَّةٍ عُدَّةً. ثمَّ تركته ومَضيت، فإذا برجلٍ نائمٍ، فركضْتُهُ برجلي، وقلتُ له: قمْ، فإنَّ

---

(١) في (أ): حلوًا

(٢) المختار ٣/ ٣٧١

(٣) المختار ٣/ ٣٧٦.

الموتَ لم يمت. فرفعَ رأسَهُ وقال: يا أبا سُليمان، ما بعدَ الموتِ أشدُّ من الموت. فقلتُ له: من أيقنَ بالموتِ شدَّ مِئزرَ الحذر، ولم يكنْ للدُّنيا عنده خطر، ولم يقضِ منها وَطَرا[1]

وكان يقول في دعائه: يا من لا يأنسُ بشيءٍ أبقاه، ولا يَستوحشُ لشيءٍ أفناه، ويا أَنيسَ كلِّ غريبٍ، ارحمْ في القبرِ غُربتي، وآنسْ فيه وحشتي ووحدتي[2]

وقال: الجوعُ مخُّ العبادة، والحصنُ الحصين ضبطُ اللِّسان، وحبُّ الدُّنيا رأسُ كلِّ خطيئةٍ[3]

وقال: عليكم بالجوع؛ فإنَّه مذلَّةٌ للنفوس، ورقَّةٌ للقلوب، ويُورثُ العلم السَّماوي[3]

وقال: الجوعُ عنده في خزائن مُدَّخَرٌ، لا يُعطيه إلاَّ لمن يُحبُّه خاصَّةً[4]

وقال: إذا أردتَ حاجةً من حوائجِ الدُّنيا والآخرة، فلا تأكلْ حتَّى يقضيَها، فإنَّ الأكلَ يغيِّرُ العقل[5]

وقال: عوِّدوا أعينكم البكاء، وقلوبَكُم التفكُّر[6]

* * *

(١) المختار ٣/ ٣٨٥

(٢) تهذيب الأسرار ٤٠٦

(٣) تهذيب الأسرار ١٦٧، المختار ٣/ ٣٨٥.

(٤) تهذيب الأسرار ١٦٨

(٥) تهذيب الأسرار ١٧٢، وفي (أ): حتى تقضيها فإن الأكل مُغيِّر.

(٦) تهذيب الأسرار ٤٦٠، المختار ٣/ ٣٨١.

(١٣) الفتح الموصلي(*)

ومنهم: أبو محمد الفتح بن سعيد المَوصلي، ويُعرفُ ببلده بفتحِ الكاري رحمه الله، والكار قريةٌ بشرقي دجلة(١)

وهو من أقران بشرِ بن الحارث الحافي، وسريّ السَّقطي.

وكان كبيرَ الشَّأنِ(٢) في بابِ الورع والمعاملات(٣)

قال إبراهيم بنُ عبد الله: صُدِعَ فتحُ الموصلي، ففرحَ بذلك، وقال: يا ربِّ، ابتليتني ببلاءِ الأَنبياء عليهم السَّلام، فشُكْرُ هذا أن أُصلّي اللَّيلةَ أربع مئةِ ركعة(٤)

وقال: أهلُ المعرفةِ الذين إذا نَطقوا، فبه ينطقون، وإذا عَملوا، فله يعملون، وإذا طَلبوا، فمنه يطلبون، وإذا رغبوا، فإليه يَرغبون، أولئك خواصُّ الله السَّابقون المقرَّبون(٥)

(*) الثقات لابن حبان ٧/ ٣٢٢، حلية الأولياء ٨/ ٢٩٢، تاريخ بغداد ١٢/ ٣٨١، صفة الصفوة ٤/ ١٨٣، معجم البلدان ٤/ ٤٢٨، المختار من مناقب الأخيار ٤/ ١٧٥، سير أعلام النبلاء ٧/ ٣٥٠، طبقات الأولياء ٢٧٦، النجوم الزاهرة ٢/ ٢٣٥، نفحات الأنس ٤٢، الطبقات الكبرى للشعراني ١/ ٨٠، الطبقات الكبرى للمناوي ١/ ٤٠٣، جامع كرامات الأولياء ٢/ ٢٣٣

(١) الكار: قرية مقابل الموصل، من شرقيها، قرب دجلة. معجم البلدان.

(٢) في (ب): كثير الشأن.

(٣) المختار ٤/ ١٧٥

(٤) الحلية ٨/ ٢٩٢، المختار ٤/ ١٧٨

(٥) تهذيب الأسرار ٤٩، المختار ٤/ ١٨١

وقال بشر بن الحارث: بلغني أنَّ بنتًا لفتحِ الموصلي عَرِيتْ، فقيل له: ألا تطلبُ من يَكسوها؟ فقال: لا، بل أَدعُها حتَّى يرى الله عُريها، وصبري عليها[1]

وكان في وقتٍ لِيالي الشِّتاء يَجمعُ عيالَه، ويمدُّ كساءً عليهم، ثمَّ يقول: أَفقرتني، وأَفقرتَ عيالي، وجوَّعتني، وجوَّعت عيالي، وأَعريتني، وأَعريتَ عيالي، بأيِّ وسيلةٍ توسَّلتُ[2] بها إليك؟ وإنَّما تفعلُ هذا بأوليائك وأحبَّائك، فترى هل أنا منهم حتَّى أفرح؟[3]

وسُئل فتحُ الموصلي عن الصِّدق: ما هو؟ فأدخلَ يدَه في كيرِ حدَّادٍ، فأخرجَ الحديدةَ المُحمَّاة، ثمَّ وضعَها على كفِّه، وقال: هذا هو الصِّدق[4]

وروى بعضُ أصحابه، قال: دخلتُ يومًا على الفتح الموصلي، وقد رفعَ يديه وهو يَبكي، حتَّى رأيتُ الدُّموعَ تَنحدرُ من بين أصابعه، فدنوتُ منه لأنظرَ إليه، وإذا قد خالطَ دموعَهُ صُفرةٌ، فقلتُ: بالله عليك يا فتح، بكيتَ الدَّمَ؟! فقال: لولا أنَّكَ حلَّفتني بالله ما أَخبرتُكَ، نعم، بكيتُ دمًا. فقلتُ: على ماذا بَكيتَ الدّموعَ؟ وعلى ماذا بَكيتَ الدَّم؟ فقال: بكيتُ الدّموعَ على تَخلُّفي عن واجبِ حقِّ الله تعالى، وبكيتُ الدَّمَ على الدموع خوفًا على أن لا تكونَ صحَّتْ لي[5]

قال ذلك الرَّجل: فرأيتُهُ في المنامِ بعد موتِهِ، فقلتُ له: ما صنعَ الله بك؟ فقالَ: غفرَ لي. فقلتُ له: فما صنعَ في دموعِك؟ قال: قرَّبني إليه.

---

(١) المختار ٤/ ١٧٧

(٢) في (أ): أتوسل.

(٣) حلية الأولياء ٨/ ٢٩٢، المختار ٤/ ١٧٨

(٤) الرسالة القشيرية ٣٢١ (الصدق)، المختار ٤/ ١٨١

(٥) المختار ٤/ ١٨٠.

وقالَ لي: يا فتح، الدُّموعُ! على ماذا بكيت؟ فقلتُ. يا ربِّ، على تخلُّفي عن واجبِ حقِّكَ. قال: فالدَّم لِمَ بكيتَهُ؟ قلتُ: يا ربِّ، خوفًا على دموعي أن لا تصحَّ لي. فقال: يا فتح، ما أردتَ بهذا كلِّه؟ وعزَّتي وجلالي لقد صَعِدَ إليَّ حافظاك أربعين سنةً، وليس في صحيفتِكَ خطيئةٌ واحدةٌ[1].

وقال: صحبتُ ثلاثين شيخًا، كانوا يُعدُّونَ جميعًا من الأبدال، وكلُّهم أَوصوني عند فراقي إيَّاهم، فقالوا: إيَّاكَ ومعاشرةَ الأحداث ومخالطتهم[2].

وقال أبو عبد الله بن الجلاء: كنَّا في غُرفةٍ عند سريِّ السَّقطي ببغداد، فلمَّا ذهبَ بعضُ اللَّيل، لبسَ قميصًا نظيفًا وسراويلَ ورداءً، وقامَ ليخرج، فقلتُ: إلى أين في هذا الوقت؟ فقالَ: أَعودُ فتحَ الموصلي. فلمَّا مشى في طُرقاتِ بغداد أخذَهُ العَسَسُ وحَبسوه، فلمَّا أَصبحَ، أمروا بضربِهِ مع المحبوسين، فلمَّا رفعَ الجلادُ يدَه، وقفَتْ، فلم يقدرْ أن يُحرِّكَها، فقيل للجلاَّد: اضربْ. فقال: حذائي شيخٌ واقفٌ، يقولُ: لا تضربْه. فتقفُ يدي لا تتحرَّكُ. فنظروا من الرَّجل إذا هو فتحُ الموصلي، فأطلقوه، واعتذروا إليه؛ لأنَّهم لم يعرفوه[3].

وقال: من أَدامَ الذِّكرَ بقلبه، أورثَهُ ذلك الفرحَ بالمحبوب، ومن آثرَهُ على هواه، أورثَهُ ذلك حبَّه إيَّاه، ومن اشتاقَ إليه، زهدَ فيما سواه[4].

ورُوِيَ أنَّه قيل له: إنَّكَ تُحسنُ الصَّيدَ بالشَّبكة، فلِمَ لا تصطادُ لعيالك؟

---

(١) صفة الصفوة ٤/ ١٨٨، المختار ٤/ ١٨٠

(٢) الرسالة القشيرية ٥٤٩ (الوصية للمريدين)، تهذيب الأسرار ٤٠٣، المختار ٤/ ١٨١

(٣) الرسالة القشيرية ٥١٣ (كرامات الأولياء)، المختار ٤/ ١٧٥

(٤) تهذيب الأسرار ٦٧، ٦٨، وفي حلية الأولياء ٨/ ٢٩٣، والمختار ٤/ ١٨٠ تتمة الخبر: وزهد فيما سواه، ورعى حقَّه، وخافه بالغيب، ورثَّهُ ذلك النظرَ إلى وجهه الكريم.

قال: أخافُ أن أصطادَ مُطيعًا لله جوفَ الماء، فأُطعمه عاصيًا لله على وجه الأرض[١]

وقال أحمدُ بن أبي الحواري: سمعتُ شيخًا من أهلِ الموصل يقول: كان لفتحِ الموصلي بضاعةٌ تعمل له مع أخٍ له في البرِّ، فبعثَ إليه الفتح: ردَّ علينا بضاعتَنا. فقال: أنكرتَ منَّا شيئًا؟ قال: لا، ولكن رأيتُ قلبي يَميلُ إليها، فكرهتُ أن يكون لي ثقةٌ غيرَ الله. فأخذَها منه، وأنفقها[٢]

وقال: سمعتُ امرأةً مُتعبِّدةً عندنا بالموصل تقول: إلهي وسيِّدي، لو أنَّكَ عذَّبتني بعذابك كلِّه، فالذي فاتني من قُربكَ أعظمُ عندي من العذاب، ولو نعَّمتني بنعيم أهل الجنَّة كلِّهم، لكانَ لذَّةُ حبِّك في قلبي أعظمَ[٣]

وقال إبراهيمُ بن نوح الموصلي: رجعَ فتحُ الموصلي إلى أهله بعد العَتَمة، وكان صائمًا، فقال: عشُّوني. فقالوا: ما عندنا شيءٌ نُعشِّيك به. قال: فما لكم جُلوسٌ في الظُّلمة؟ قالوا: ما عندنا شيءٌ نُسرجُ به. فجلسَ يَبكي من الفرح، ويقولُ: إلهي، مِثلي يُترَكُ بلا عشاءٍ ولا سراجٍ! فأيُّ يدٍ كانت منِّي؟ فما زالَ يَبكي إلى الصَّباح[٤]

وقال سالِم الحداد: جاءني يومًا فتحُ الموصلي بمسحاةٍ، فقال لي: بِعْها؛ فإنَّ الصِّبيان ليسَ لهم شيءٌ. قال: فنظرتُ إليه نظرةً مُنكرةً، ثمَّ قلتُ: يا فتح، تَدري من شَكوتَ؟ قال: فتركَ المِسحاةَ بين يدي، ومرَّ باكيًا، ولم يَعُدْ إليَّ، ولا سألني عنها، قال سالم: فبعتها بعد ذلك، وبعثتُ بثمنها إلى عيالِهِ.

وكان يُقال: إنَّ هذا سالِم من الأبدال. وكان إذا سمعَ الأذانَ، اصفرَّ

---

(١) تاريخ بغداد ١٢/ ٣٨٣، المختار ٤/ ١٨١

(٢) صفة الصفوة ٤/ ١٨٥، ١٨٦

(٣) صفة الصفوة ٤/ ١٩٠ واسم العابدة: رقية.

(٤) صفة الصفوة ٤/ ١٨٤، المختار ٤/ ١٧٨

واضطرب، ثمَّ وثبَ وتركَ الحانوتَ مفتوحًا، ويأتي المسجدَ، فإذا قَضَى صلواته، يرجعُ إلى حانوته، وقد سُرِقَ له السّكةُ، أو الفأس، أو المسحاة، هكذا دائمًا، فعاتبَهُ بعضُ إخوانه، وقالوا: لو اتَّخذتَ غلامًا يحفظُ عليك الحانوتَ إذا قمتَ إلى الصَّلاة. فقال: ليسَ على ما حفظَ الله ضيعةٌ.

وكان كثيرًا يقول سالِمُ الحدَّاد لخشيش: ما تشتهي؟ فيقول خشيش: أشتهي أن لا يكونَ بأرضِ الموصل أهلُ بيتٍ أفقرَ منَّا، ونُرزقَ الصَّبرَ على ذلك، فنموتَ كرامًا، ونحن عن اللهِ راضون. فقال له سالِم: تدري أيَّ شيءٍ اشتهيتَ!؟ ولايةَ الجبَّار، ومرافقةَ الأبرار، ومَنْ لا يشتهي الفقرَ يا خشيش والصَّبر عليه؟ فقال: ويحكَ يا سالِم، ربَّما أصابنا من خفضِ العيشِ شيءٌ، فيبكي عيالنا، ويقولون: يا أبةِ، ما نرى هذا الخيرَ يُراد بنا ولا بك.

وكان خشيش صيادًا، فربَّما مكثَ الأيامَ لا يصيدُ شيئًا، فيروح من العشيّ، وبه من السُّرورِ الظَّاهر كأنَّ قد جُبِي له خراجُ الجزيرة.

وكانوا يطوون اللَّيالي الكثيرةَ بلا عشاء.

فاجتمعت أنا وهو مرَّةً وسالم بِنِينَوى[1]، فقلتُ له: أبا محمد، بلغني أنَّكم ربَّما طويتم اللَّيالي الكثيرةَ بلا عشاءٍ. فسكتَ خشيش، ولم يردَّ علينا شيئًا، وغضبَ سالِم فقال: مه، وما عسى أن يكونوا يَبيتوا طَاويين، فقد باتَ من هو خيرٌ منهم اللَّيالي الكثيرةَ طاويًا النَّبيُّ ﷺ وأزوجُه وأولاده، فهل ذلك إلاَّ مدحٌ لهم في الآخرةِ؟ ثمَّ قال: يا بنَ أخي، فتريدُ أن يكونَ خشيشٌ وأهلُه وعيالُه مثلَ البهائم، همَّتُهم بطونُهم وفروجُهم؟!

وقال شُعيبُ بن حرب: دخلتُ على فتحِ الموصلي أَعودُهُ وهو مَريض، فقلتُ له: يا أبا محمد، أَوصني. فقال: أليسَ الإنسانُ إذا مُنِعَ من

---

(١) نينوى: قرية يونس بن متى عليه السلام بالموصل. معجم البلدان.

الطَّعامِ والشَّرابِ يموتُ؟ قلتُ: نعم. قال: فكذلك القلبُ إذا مُنِعَ الذِّكرَ ماتَ[1]

ورُوِيَ أنَّ رجلاً قال للمُعافى بن عمران: هل كان لفتحٍ الموصلي كثير عَمَلٍ؟ فقال: كفاك بعمله تركُ الدُّنيا[2]

ورُوِيَ أنَّه دخلَ يومًا على بشر بن الحارث الحافي، فقال له: يا أبا نصر، ابعثْ إلى السُّوق، واشترِ لنا خُبزًا جيِّدًا وتمرًا جيدًا. ففعلَ بشرٌ ذلك، فأكلَ فتحُ منه وأكثرَ، وحملَ الباقي، فقال بشرٌ لمن كان حوله: تدرونَ لِمَ قال: اشترِ لنا خبزًا جيدًا وتمرًا جيدًا؟ قالوا: لا فقال: لأنَّ الطَّعامَ الصَّافي الجيدَ يصفو لصاحبه عليه الشُّكر. ثمَّ قالَ: تدرونَ لم أكثرَ الأكلَ؟ قالوا: لا قال: لأنَّه عَلِمَ أنِّي أفرحُ بأكله، فأرادَ أن يزيدني سرورًا وفرحًا. ثمَّ قال: أتدرون لِمَ حملَ ما بقي؟ قالوا: لا قال: لأنَّ التَّوكُّلَ إذا صحَّ لم يضرَّ صاحبَه الحملُ معه[3]

وقال: لأنا أفرح[4] بما منعني من الدُّنيا، بما يؤتيني منها! وما الدُّنيا؟ وهل في الدُّنيا من خيرٍ إلاَّ ما تصل به إلى الآخرة؟ إنَّ الفقرَ ليغشى المؤمنَ، فيستبشرُ لذلك قلبُهُ، ويفرحُ به فؤادُه، ولهو أشدُّ فرحًا به منه بكلِّ ما له من غرورِ الدُّنيا ومتاعها، وذلك أنَّ اللهَ تعالى قال: ﴿وَمَا الْحَيَوٰةُ الدُّنْيَآ إِلَّا مَتَـٰعُ الْغُرُورِ﴾ [الحديد: ٢٠] وأيُّ نفسٍ تَطمئنُّ إليها بعد ما ذكرَهُ اللهُ تعالى عنها؟!

* * *

(١) تهذيب الأسرار ٣١٤، المختار ٤/ ١٨٢

(٢) تهذيب الأسرار ٤٩٣، وفيه: كثير علم. كفاك بعلمه. المختار ٤/ ١٨٢. .

(٣) تهذيب الأسرار ٢٥١

(٤) في (أ): لأني أفرح.

(١٤) حاتم بن عنوان الأصم[*]

ومنهم: أبو عبد الرَّحمن حاتمُ بن عُنوان الأصم رحمه الله، ويقال: حاتمُ بن يوسف، ويقال: حاتم بن عُنوان بن يوسف[١]

وهو من قُدماء مشايخ خراسان، من أهل بلخ[١]

صحب شقيقَ بنَ إبراهيم البلخي، وكان أستاذ أحمدَ بن خَضرويه[١]

وهو مولى المثنى بن يحيى المُحاربي

وله ابن يقال له: خَشْنَام بنُ حاتم.

مات بواشَجَرْدَ[٢] سنة سبعٍ وثلاثين ومئتين عند رباطٍ يُقال له: رأس سَروند، على جبل فوق واشَجَرْد.

قيل: إنَّه لم يكن أصمَّ، وإنَّما جاءته امرأةٌ تسأله عن مسألةٍ، فاتَّفَق أنَّه خرج منها صوتُ ريحٍ في تلك الحال، فخجلتْ، فقال لها حاتم: ارفعي

(*) الجرح والتعديل ٣/ ٢٦٠، طبقات الصوفية ٩١، حلية الأولياء ٨/ ٧٣، تاريخ بغداد ٨/ ٢٤١، الرسالة القشيرية ٦٠، الأنساب ١/ ٢٩٨، صفة الصفوة ٤/ ١٦١، المختار من مناقب الأخيار ٢/ ١٢٩، وفيات الأعيان ٢/ ٢٦، سير أعلام النبلاء ١١/ ٤٨٤، العبر ١/ ٤٢٤، الوافي بالوفيات ١١/ ٢٣٣، مرآة الجنان ٢/ ١١٨، طبقات الأولياء ١٧٨، النجوم الزاهرة ٢/ ٢٩٠، نفحات الأنس ٩٨، طبقات الشعراني ١/ ٨٠، الكواكب الدرية ١/ ٥٨٩، شذرات الذهب ٢/ ٩٣

(١) طبقات الصوفية ٩١

(٢) واشَجَرْد: قرية من قرى ما وراء النهر نحو ترمذ، وهي مشهورة بالزعفران. معجم البلدان.

صوتَك. فأرى من نفسه أنّه أصمُ، فسُرّتِ المرأةُ بذلك، وقالت في نفسها: إنّه لم يسمعِ الصّوتَ. فغلبَ عليه اسمُ الصَّمَم[1]

وقال: من دخلَ في مذهبنا هذا، فليجعلْ في نفسه أربعَ خصالٍ من الموت: موتٌ أبيضُ، وموتٌ أسود، وموتٌ أحمر، وموتٌ أخضر، فالموتُ الأبيض الجوعُ، والموتُ الأسود احتمالُ أذى النّاسِ، والموتُ الأحمر مُخالفةُ النّفْس، والموتُ الأخضر طرح الرّقاعِ بعضِها على بعض[2]

وقال: العجلةُ من الشّيطان إلاّ في خمسٍ: إطعامُ الطّعام إذا حضرَ ضيفٌ، وتجهيزُ الميِّتِ إذا ماتَ، وتزويجُ البِكر إذا بلغتْ، وقضاءُ الدَّين إذا وَجَبَ، والتَّوبةُ من الذّنبِ إذا أذنب[3]

وقال: من أصبحَ وهو مُستقيمٌ في أربعةِ أشياء، فهو يتقلّبُ في رضا الله: أوّلُها الثّقةُ بالله، ثمَّ التّوكُّلُ، ثمَّ الإخلاصُ، ثمَّ المعرفةُ، والأشياءُ كلُّها تتمُّ بالمعرفة[3]

فـ: الواثقُ برزقه من لا يفرحُ بالغنى[4]، ولا يهتمُّ بالفقر، ولا يُبالي أَصبحَ في عُسْرٍ أو يُسر[5]

وقال: أصل الطّاعة ثلاثة أشياء: الخوف، والرَّجاء، والحبّ، وأصلُ المعصيةِ ثلاثةُ أشياء: الكِبْرُ، والحِرصُ، والحسد[6]

فـ: ما يأخذُهُ المُنافق في الدُّنيا يأخذُهُ بالحِرصِ، ويمنعُهُ بالشّكّ،

---

(١) تاريخ بغداد ٨/ ٢٤٤، الرسالة القشيرية ٦١

(٢) طبقات الصوفية ٩٣، الرسالة القشيرية ٦١

(٣) طبقات الصوفية ٩٣

(٤) في (أ): أم لا يفرح.

(٥) طبقات الصوفية ٩٤

(٦) طبقات الصوفية ٩٥.

ويُنفقُهُ بالرِّياء، والمؤمنُ يأخذُ بالخوف، ويُمسكُ بالشِّدَّةِ[1]، ويُنفقُ في الطَّاعة خالصًا لله تعالى[2].

وقال: النَّصيحةُ للخَلْقِ إذا رأيتَ إنسانًا في الحَسَنَةِ أن تخشى عليه[3]، وإذا رأيتَهُ في المَعصية أن ترحمَهُ[4].

و: عجبتُ ممَّن يعملُ الطَّاعات ويقول: إنِّي أَعملُها ابتغاءَ مَرضاةِ الله. ثمَّ تَراه أبدًا ساخطًا على الله، رادًّا لحُكمِهِ، أتُريدُ أن تُرضِيَهُ، ولستَ عنه براضٍ، كيف يَرضى عنك، وأنتَ لم ترضَ عنه؟[4]

و: إذا أمرتَ النَّاسَ بالخيرِ فكنْ أنتَ أَوْلى به وأحقَّ، واعملْ بما تأمرُ، وكذا بما تنهى[4].

وقال: الجهادُ ثلاثةٌ: جهادٌ في سرِّكَ مع الشَّيطان حتَّى تكسرَهُ، وجهادٌ في العلانية في أداءِ الفرائضِ حتَّى تُؤدِّيَها كما أمرَ الله، وجهادٌ مع أعداءِ الله في عزِّ الإسلام[4].

و: الشَّهوةُ ثلاثةٌ: شهوةٌ في الأكلِ، وشهوةٌ في الكلامِ، وشهوةٌ في النَّظر، فاحفظِ الأكلَ بالثِّقة، واحفظِ اللِّسان بالصِّدقِ، واحفظِ النَّظرَ بالعِبرة[5].

وقال: اطلبْ نفسَكَ في أربعةِ أشياء: العملِ الصَّالح بغيرِ رياء، والأخذِ بغيرِ طمعٍ، والعطاءِ بغيرِ منَّةٍ، والإمساكِ بغيرِ بخل[6].

وقال: ما من صباحٍ إلاَّ والشَّيطانُ يقول لي: ما تأكلُ؟ وما تلبسُ؟

---

(1) في طبقات الصوفية: ويمسك بالسُّنة.
(2) طبقات الصوفية ٩٥.
(3) في طبقات الصوفية: أن تحثَّه عليها.
(4) طبقات الصوفية ٩٥.
(5) طبقات الصوفية ٩٦ وفيه: النظر بالعين.
(6) طبقات الصوفية ٩٥.

وأين تَسكن؟ فأقول: آكلُ الموت، وألبسُ الكَفَنَ، وأسكن القبر[1]

وقال له رجلٌ: ما تَشتهي؟ فقال: أشتهي عافيةَ يومٍ وليلةٍ. فقيل له: أليستِ الأيامُ كلُّها عافيةً؟ فقال: إنَّ عافيةَ يومي أن لا أعصي اللهَ فيه[1]

وقال: أربعةٌ يَندمون على أربعٍ: المُقصِّرُ إذا فاتَهُ العملُ، والمُنقطعُ عن أصدقائه إذا نابتْهُ نائبةٌ، والمُمَكِّنُ منه عدوَّه بسوءِ رأيه، والجريءُ على الذّنوب[2]

وقال: إذا رأيتَ المُريدَ يُريدُ غيرَ مراده، فاعلمْ أنَّه أَظهرَ بذالته[3]

وقال: الزمْ خدمةَ مولاك، تأتكَ الدُّنيا راغمةً، والجنَّةُ عاشقةً[4]

و: تعهَّدْ نفسَكَ في ثلاثةِ مواضع: إذا عملتَ، فاذكرْ نظرَ الله إليك، وإذا تكلَّمتَ، فاذكرْ سمعَ الله إليك، وإذا سكتَّ، فانظرْ علمَ الله فيك[4]

وقال رجلٌ له: عِظْني. فقال له: إن كنتَ تُريدُ أن تعصي مولاك، فاعصِهِ في موضعٍ لا يراك[4]

وقال: من ادّعى ثلاثًا بغيرِ ثلاثٍ فهو كذّاب: من ادَّعى حبَّ الله من غيرِ ورعٍ عـن محارمه، فهو كذّاب، ومن ادَّعى حبَّ الجنَّةِ من غيرِ إنفاقِ ماله في طاعةِ الله، فهو كذّابٌ، ومن ادَّعى حبَّ النَّبيِّ ﷺ من غيرِ محبَّةِ الفقراء، فهو كذّاب[4]

وقال: كنتُ في بعضِ الغزوات، فأخذني تركيٌّ، وأضجعني للذبح، فلم يَشتغل به قلبي، بل كنتُ أَنظرُ ماذا يحكمُ الله فيَّ، فبينا هو يطلبُ

---

(١) طبقات الصوفية ٩٥، الرسالة القشيرية ٦١

(٢) طبقات الصوفية ٩٧

(٣) الرسالة القشيرية ٣٠٨ (الإرادة) قال محققه: وفي نسخة: أظهر نذالته. أي خبث باطنه.

(٤) طبقات الصوفية ٩٧.

السِّكينَ من خفِّه أصابَهُ سهمٌ غَرَبٌ[1]، فقتلَهُ وطرحَهُ عنِّي، فقمتُ[2]

وقيل له: على ماذا بَنيتَ أمرَكَ في هذا؟ فقال: على أربعِ خصالٍ: علمتُ أنَّ رزقي لا يأكلُهُ غيري، فاطمأنَّتْ به نفسي، وعلمتُ أنَّ عملي لا يَعملُهُ غيري، فأنا مَشغولٌ به، وعلمتُ أنَّ الموتَ يأتيني، فأنا أُبادرُهُ، وعلمتُ أنِّي لا أَخلو من غيرِ الله حيث كنتُ، فأنا أستحيي منه[3]

ورُويَ أنَّ عصام[4] بن يوسف مرَّ بحاتم وهو يَتكلَّمُ في مجلسِهِ، فقال له: يا حاتم، تُحسنُ تُصلِّي؟ قال: نعم. قال: كيفَ تُصلِّي؟ قال حاتم: أقومُ بالأمر، وأَقِفُ[5] بالخشية، وأَدخلُ بالنيَّة، وأُكبِّرُ بالعظمة، وأَقرأُ بالتَّرتيل [والتَّفكّر]، وأَركعُ بالخشوعِ، وأَسجدُ بالتّواضع، وأَجلسُ للتشهُّدِ بالتَّمام، وأُسلِّمُ بالوقار والسُّنة، وأُسلِّمُها إلى الله بالإخلاص، وأرجعُ إلى نفسي بالخوف أن لا تُقبلَ منِّي، وأحفظ بالجهد إلى الموتِ. فقال له. تكلَّمْ، فأنت تُحسن أن تُصلِّي[6]

ورُويَ أن شقيقَ البلخي قال لحاتم الأصم: ما الذي تعلَّمتَ منِّي منذ صَحبتني؟ فقال: ستَّةَ أشياء:

الأوّلُ: رأيتُ النَّاسَ كلَّهم في شكٍّ من أمرِ الرّزق، فتوكَّلتُ على اللهِ، لقوله تعالى: ﴿ ۞ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزۡقُهَا﴾ [هود: ٦] فعلمتُ أنِّي من جملةِ الدَّوابِّ، فلم أُشغلْ نفسي بشيءٍ قد تكفَّلَ لي به ربي. قال: أحسنت.

---

(١) سهم غَرَب: سهم لا يدرى راميه. القاموس.
(٢) الرسالة القشيرية ٦١، وسيأتي الخبر مطولاً صفحة ٢٦٢
(٣) انظر تاريخ بغداد ٨/ ٢٤٣، تهذيب الأسرار ٥١٦، المختار ٢/ ١٣١
(٤) في (أ): عاصم بن يوسف.
(٥) في الحلية والمختار وأمشي.
(٦) حلية الأولياء ٨/ ٧٤، المختار ٢/ ١٣٩، وانظر تهذيب الأسرار ٢٣٥.

والثَّاني: رأيتُ لكلِّ إنسانٍ صديقًا يُفشي إليه سرَّه، ويَشكو إليه أمرَه، فاتَّخذتُ لي صديقًا يكونُ لي بعد الموتِ، وهو فعلُ الخير، فصادقتُهُ ليكونَ لي عونًا عند الحساب، ويجوزَ معي على الصِّراط، ويُثبِّتَني بين يدي الله تعالى. قال: أحسنت.

والثَّالث: رأيتُ لكلِّ أحدٍ من النَّاس عدوًّا، فقلتُ: أنظرُ من عدوّي، فرأيتُ من اغتابني، أو أخذ مالي، أو ظَلمني فليس عدوّي، ولكنَّ عدوي الذي إذا كنتُ في طاعةِ اللهِ أمرني بمعصيتِهِ، فرأيتُ أنَّ ذلك إبليسُ وجنوده، فاتَّخذتُهم أعداءً ووضعتُ الحربَ بيني وبينهم، ووترتُ قوسي، وفوَّقْتُ سهمي[1]، فلا أَدعُ أحدًا منهم يَقربني. قال: أحسنت.

والرَّابع: رأيتُ كلَّ واحدٍ من النَّاس له طالبٌ، فرأيتُ أنَّ ذلك الطَّالبَ ملكُ الموت، ففرَّغتُ نفسي له، حتَّى إذا جاءَ بادرتُ معه بلا علاقةٍ. قال: أحسنت.

والخامس: نظرتُ في هذا الخلق فأحببتُ واحدًا، وأبغضت واحدًا؛ فالذي أحببتُهُ لم يُعطني شيئًا، والذي أبغضْتُهُ لم يأخذ منِّي شيئًا، فقلتُ: من أَين أُتيتُ؟ فنظرتُ فإذا هو الحسدُ، فنفيتُهُ عنِّي، وأحببتُ النَّاسَ كلَّهم، فكلُّ شيءٍ ما رضيتُهُ لنفسي، لم أرضَهُ لهم. قال: أحسنت.

والسَّادسُ: رأيتُ كلَّ واحدٍ من النَّاس له بيتٌ يَسكنه، ويأوي إليه، فرأيتُ مسكني القبرَ، وكلُّ شيءٍ قدرت عليه من الخيرِ، قدَّمتُهُ[2] لنفسي حتَّى أُعمِّرَ قبري؛ فإنَّ القبرَ إذا كان خرابًا، لا يُمكنُ المُقامُ فيه.

فقال له شقيق: يكفيك هذا، ولستَ تحتاجُ إلى غيره[3]

---

(١) فوَّقت سهمي: جعلت الوتَرَ في فوقِهِ عند الرمي. والفُوق: موضع الوتَرِ من السهم. متن اللغة (فوق).

(٢) في (أ): فقدّمت.

(٣) حلية الأولياء ٨/ ٧٩، المختار ٢/ ١٣٧

وقال: الزَّاهدُ يذيبُ كيسَهُ قبل نفسه، والمُتزهِّدُ يُذيب نفسَه قبل كيسه[١]

و: لكلِّ شيءٍ زينةٌ، وزينةُ العبادة الخوفُ، وعلامةُ الخوفِ قِصَرُ الأمل[٢]

وقال: لا تغترَّ بموضع صالح، فلا مكانَ أصلحُ من الجنَّة، ولقي آدم فيها ما لقي، ولا تغترَّ بكثرةِ العبادة؛ فإنَّ إبليسَ بعد طولِ تعبُّدِهِ لقي ما لقي، ولا تغترَّ بكثرةِ العلم؛ فإنَّ بَلْعَام[٣] كان يُحسنُ اسمَ الله الأعظم، فانظرْ ماذا لقي، ولا تغترَّ برؤيةِ الصَّالحين، فلا شخص أكبرُ ولا أصلحُ من المصطفى ﷺ، لم ينتفعْ بلقائه أقاربُهُ وأعداؤه[٤]

وقيل: وجَّه عصامُ[٥] بن يوسف البلخي شيئًا إلى حاتم الأصم، فقبلَهُ، فقيل له: لِمَ قَبلتَهُ؟ فقال: وجدتُ في أخذه ذُلِّي وعِزَّه، وفي ردِّه عِزِّي وذلَّه، فاخترتُ عزَّه على عِزّي، وذُلِّي على ذلِّه[٦]

وقال له رجل: من أين تأكل؟ فقال: ﴿وَلِلَّهِ خَزَآئِنُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ﴾[٧] [المنافقون: ٧].

وقال: لقينا التُّرك، وكان بيننا جَولةٌ، فرماني تركيٌّ بوَهَقٍ[٨]، فقلبني عن فرسي، ونزلَ عن دابَّته، فقعدَ على صدري، وأخذ بلحيتي هذه

---

(١) الرسالة القشيرية ٢٠٥ (الزهد).

(٢) الرسالة القشيرية ٢١٥ (الخوف)

(٣) بلعام بن باعور الذي قال الله تعالى عنه في سورة الأعراف ١٧٥-١٧٦ ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ . ﴾ انظر خبره في البداية والنهاية ١/ ٣٢٢.

(٤) الرسالة القشيرية ٢١٩ (الخوف)، المختار ٢/ ١٤٢، الكواكب الدرية ١/ ٥٩٠

(٥) في (أ): عاصم بن يوسف.

(٦) الرسالة القشيرية ٢٤٩ (مخالفة النفس)، المختار ٢/ ١٤٢

(٧) الرسالة القشيرية ٢٦٢ (التوكل)، المختار ٢/ ١٤٢

(٨) الوهق: الحبل محكم الفتل، يرمى فيه أنشوطة، فتؤخذ فيه الدابة والإنسان.

الوافرة، وأَخرجَ من خُفِّه سكِّينًا ليذبحني بها، فوحقِّ سيدي ما كانَ قلبِي عنده ولا عند سكِّينه، إنَّما كان قلبِي عند سيِّدي، أَنظرُ ماذا يَنْزِلُ بي من القضاء منه، فقلتُ. يا سيدي، إنْ كنتَ قضيتَ على أن يَذبحني هذا فعلى الرَّأْسِ والعين، إنَّما أنا لك ومُلكك. فبينا أنا أُخاطبُ سيدي، وهو قاعدٌ على صدري آخذٌ بلحيتي ليذبحني إذ رماه بعضُ المُسلمين بسهمٍ، فما أَخطأ حلقَهُ، فسقطَ عنِّي، فقمتُ إليه، فأخذتُ السكِّينَ من يده، فذبحتُهُ، فما هو إلاَّ أن تكون قلوبُكم عند سيِّدكم، حتَّى تروا من عجائب لُطفه ما لا ترون من الآباءِ والأمهات[1]

وقال: وقفتُ براهبٍ، فسألتُهُ عن نفسهِ مسألةً، فقال لي: مكانَك. وأدخلَ رأسَه في صومعته، فلمَّا كان بعد أُسبوعٍ أَخرجَ رأسَهُ، فقال: أنتَ ههنا؟! فقلتُ: للوعد، فما الذي حبسَكَ عنِّي؟ قال: كنتُ على غيرِ طُهرٍ، فتطهَّرْتُ، فعرضَ على قلبي شيءٌ، فلم أزلْ أُفكِّرُ إلى اليوم، ثمَّ قال لي: من أينَ أنت؟ قلتُ: من أَهلِ بَلْخ. فقال: إلى من كنتَ تَجلس؟ فقلتُ: إلى شقيق. فقال: أيشٍ سمعتَهُ يقول؟ قلت: سمعتُهُ يقول: لو أنَّ السَّماءَ من نُحاسٍ، والأرضَ من حديدٍ، فلا السَّماءُ تُقطر، ولا الأرضُ تُنبتُ حبَّةً، وكان عيالي ما بين الخافقين لم أُبالِ. قال الرَّاهبُ: هذا رجلُ سوءٍ، فلا تَجلسْ إليه. قلتُ: ولِمَ؟ قال: لأنَّه تفكَّرَ فيما لم يكن. كيفَ لو كان. إنَّما كان يَنبغي له أن يُفكِّر فيما كان كيف كان، لا تُجالسْه، فإنَّه فاسدُ الفكر.

وقال: يُصبحُ النَّاسُ كلَّ صباحٍ على ثلاثِ فِرَقٍ: فرقةٌ قد طُردوا من باب الله، وفرقةٌ طُردوا من خدمته وعبادته، ولم يُطردوا عن بابه، وفرقةٌ أُكرموا بالخدمة، وجُعلوا في ستره وكنفه. فالواجبُ على العبدِ أن يقولَ كلَّ صباحٍ: الحمدُ لله الذي لم يَجعلني من المَطرودين عن بابه، وهم

---

(١) تاريخ بغداد ٨/ ٢٤٤، المختار ٢/ ١٣٢ وتقدم الخبر مختصراً صفحة ٢٦٠.

الكفار، ولا من المَطرودين عن خدمته، وهم الفُسَّاق. واجعلني من المكرمين بخدمته، وهم أهل المساجد[(١)]

ورُوِيَ أنَّ رجلاً جاءَهُ فقال له: يا أبا عبد الرَّحمن، أيُّ شيءٍ رأسُ الزُّهد ووسطه وآخره؟ فقال: رأسُ الزُّهد الثِّقةُ بالله، ووسطُهُ الصَّبر، وآخره الإخلاص[(٢)]

وقال: إذا وقفتَ في الصَّلاة، فاعلمْ أنَّ اللهَ مُقبلٌ عليك، فأَقبِلْ على من هو مقبلٌ عليك، واعلمْ بقلبك أنَّه قريبٌ منكَ، قادرٌ عليك، فإذا ركعتَ فقل: لا أرفعُ من طريق تقصير العمل. وإذا سجدتَ فقل: لا أرفعُ من طريق تقصير الأمل. وأَغلقْ بابَ الدُّنيا عليك، ولا تأملِ الرَّجعةَ فتكونَ مُشتغلاً بالأمل عن تصحيحِ العمل، ثمَّ انظرْ في تسليمِكَ إلى حالك، فانظرْ عن يمينك إلى جنَّتِك التي تُجزى بها عن صالحِ العمل، وانظرْ عن شمالك إلى النَّار التي تُجزى بها على فسادِ عملك، وانظرْ إلى الصِّراطِ تحت قدميك، والميزانِ بين يديك، واللهِ مُقبلٍ عليك. واعلمْ أنَّك لا تنجو إلاَّ بالسَّماحِ[(٣)]، فاسألْهُ أن يحفظَ عليك ما ابتدأك به بمنِّه تفضُّلاً[(٤)]

وقال أبو عبد الله الخوَّاص: دخلتُ مع أبي عبد الرَّحمن حاتم الأصم إلى الرَّيِّ، ومعه ثلاثُ مئةٍ وعشرون رجلاً يُريدون الحجَّ[(٥)]، وعليهم الصُّوفُ والزَّرْمانِقَات[(٦)] ليس فيهم من معه طعامٌ ولا جِرابٌ، فنَزَلنا على رجلٍ من التُّجَّارِ متنسِّكٍ يُحبُّ الصَّالحين، فأضافنا تلك اللَّيلة، فلمَّا كان من الغدِ قال لحاتم: يا أبا عبد الرَّحمن، أَلَكَ حاجةٌ؟ فإنِّي أُريدُ أن أَعُودَ

---

(١) المختار ٢/ ١٤٢

(٢) حلية الأولياء ٨/ ٧٥، تاريخ بغداد ٨/ ٢٤٥، المختار ٢/ ١٤٠

(٣) في (ب): إلاَّ بالله.

(٤) المختار ٢/ ١٤٣

(٥) في (ب): يريد الحجَّ بهم.

(٦) الزَّرْمانِقة جبة من الصوف. وهي لفظة أعجمية معربة. اللسان (زرمق).

فقيهًا لنا هو مريض. فقال حاتم: إن كان لكم فقيهٌ عليلٌ، فعيادةُ الفقيه فيها فضلٌ كثير، والنَّظرُ إلى الفقيه عبادة، وأنا أيضًا أجيءُ معك. وكان المريض محمد بن مُقاتل قاضي الرَّيّ[1]، فقال له: مرَّ بنا يا أبا عبد الرَّحمن. فجاؤوا إلى بابِ داره، فإذا [باب مشرف حَسَنٌ وإذا] البوابُ كأنَّه أميرٌ مسلَّط، فبقي حاتمٌ مُتفكّرًا يقول: بابُ دار عالِمٍ على هذه الحال!؟[2] ثمَّ أُذِنَ لهم بالدّخول، فدخلوا، فإذا بدارٍ قوراء[3]، وآلةٍ حسنةٍ وبزَّةٍ وفُرُش وستور، فبقي حاتم مُتفكِّرًا، ينظرُ حتَّى دخلوا إلى المجلس الذي فيه محمد بن مقاتل، وإذا بفراشٍ حسنٍ وطيءٍ مُمهَّدٍ، وهو راقدٌ عليه، وعند رأسه [غلامٌ و]مِذبَّةٌ، وناسٌ وقوفٌ، فقعدَ الرّازيُّ، وسألَ عن حاله، وبقي حاتمٌ قائمًا، فأومأ إليه محمدُ بن مقاتل بيده: اجلس. فقال حاتم: لا أجلسُ. فقال له ابنُ مقاتل: فلكَ حاجةٌ؟ قال: نعم. قال: وما هي؟ قال: مسألةٌ أسألُكَ عنها. قال: سَلْني. قال حاتم: قمْ فاستوِ جالسًا حتَّى أسألَكَ عنها. فأمرَ غِلمانَه، فأسندوه، فقال له حاتم: علمُكَ هذا من أينَ جئت به؟ فقال: حدَّثني به الثِّقاتُ. قال: عمَّن؟ قال: عن الثِّقاتِ من الأئمة. قال: عمَّنْ أخذوه؟ قال: عن التَّابعين. فقال: والتَّابعون عمَّن أخذوه؟ قال: عن أصحابِ رسولِ الله ﷺ. قال: وأصحابُ الرَّسولِ ﷺ عمَّن أخذوه؟ قال: عن رسولِ الله ﷺ. قال: ورسولُ الله من أينَ جاءَ به؟[4] قال: عن جبريل، عن الله. قال له حاتم: ففيمَ أدَّاهُ جبريلُ عن الله إلى النَّبيِّ ﷺ، وأدَّاه النَّبيُّ إلى أصحابه، وأدَّاهُ أصحابُه إلى تابعيهم، وأدَّاهُ التَّابعون إلى الأئمة، وأدَّاهُ الأئمةُ إلى الثِّقات،

---

(١) محمد بن مقاتل الرازي محدث، مات سنة ٢٤٨، له ترجمة في ميزان الاعتدال. تهذيب التهذيب ٣/ ٧٠٨.

(٢) في (ب): يا ربِّ، عالمٌ على هذه الحال؟!

(٣) القوراء: الواسعة. القاموس.

(٤) في (ب): عمن أخذه.

وأدّاهُ الثّقات إليك؟ هل سمعتَ في هذا العلم مَنْ كانت دارُهُ في الدُّنيا أحسَنَ، وفراشُه أجملَ، وزينتُهُ أكثرَ، [وكان في داره أميرًا، ومنعته أكثر] كانت له المنْزلةُ عند الله أعظم؟ فقال: لا قال: فكيفَ سمعتَ؟ قال: سمعتُ مَنْ زهد في الدُّنيا، ورغبَ في الآخرة، وأحبَّ المساكين، وقدَّمَ لآخرته، كان عند الله له المنْزلةُ أكثر، وإليه أقرب. قال حاتم: فأنتَ بمَنِ اقتديتَ بالنَّبيِّ ﷺ، أو بأصحابه، أو بالتّابعين بعدهم، أو الصَّالحين على إثرهم، أو بفرعون ونُمْرُود أوّل من بنى بالجصِّ والآجر؟ يا عُلماءَ السُّوء، مِثلُكم مثل الجاهل[1] المُتكالبِ على الدُّنيا، الرّاغب فيها يقول: إذا كان هذا العالِمُ على هذه الحالة لا أكون أنا شرًّا منه[2] قال: ثمَّ خرجَ من عنده، وازدادَ محمدُ بن مقاتل مَرَضًا على مرضٍ من كلامه.

وبلغَ أهلَ الرَّيِّ ما جرى بين حاتم وبين ابن مقاتل، فقالوا لحاتم: يا أبا عبد الرَّحمن، إنَّ محمد بن عُبيد الطَّنافسي[3] بقَزْوين أكبرُ سنًّا من هذا[4]، وهو غريقٌ في الدُّنيا. قال: فصارَ حاتم إليه مُتعمِّدًا، فدخلَ عليه وعنده الخلقُ مُجتمعون يُحدِّثهم، فقال له حاتم: رحمَكَ اللهُ، أنا رجلٌ عجمي، جئتُكَ لتُعلِّمني مبتدأ ديني، ومفتاحَ صلاتي، كيف أتوضَّأُ للصَّلاة؟ فقال: نعم وكرامة، ياغلامُ ائتني بإناءٍ فيه ماء. قال: فجاءَهُ بالإناءِ، فقعدَ محمد بن عُبيد، فتوضَّأَ ثلاثًا ثلاثًا، ثمَّ قال: هكذا فاصنع. قال حاتم: مكانَكَ، رحمَك الله حتَّى أتوضَّأَ بين يديك؛ ليكون أوكدَ لِمَا أريد. فقام الطَّنافسيُّ، وقعدَ حاتم مكانَهُ يتوضَّأُ، فغسلَ وجهَه ثلاثًا حتَّى إذا بلغَ الذِّراع غسلَ أربعًا، قال له الطَّنافسي: يا هذا، أسرفتَ! فقال له حاتم: فبماذا أسرفتُ؟ قال: غسلتَ ذراعَكَ أربعًا. فقال له حاتم:

(١) في المختار ٢/ ١٣٤ مثلكم يراه الجاهل.
(٢) في (أ): لا أكون أنا أكثر منه.
(٣) محمد بن عبيد الطنافسي محدث ثقة صدوق. تهذيب التهذيب ٣/ ٦٣٩.
(٤) في (أ): أكثر شيئًا من هذا.

سُبحان الله، أنا أسرفتُ في كفٍّ من الماء، وأنتَ في جميع هذا الذي أراه كلِّه لم تُسرف!؟ فعلم الطَّنافسيُّ أنَّه قصدَ منه ذلك، ولم يُرِدْ أن يتعلَّمَ منه شيئًا، فدخلَ إلى البيت ولم يخرجْ إلى النَّاسِ أربعين يومًا، وكتب تجارُ الرَّيِّ إلى بغداد بما جرى بين حاتم وبين مُحمد بن مقاتل، ومحمد بن عُبيد الطَّنافسي.

ورحل حاتمٌ إلى العراق، فلمَّا دخلَ بغداد، اجتمعَ إليه جماعةٌ، فقالوا: يا أبا عبد الرَّحمن، أنت رجلٌ عجمي، وليسَ يُكلِّمُكَ أحدٌ إلاَّ غلبته، لأيِّ سبب؟ فقال لهم حاتم: لأنَّ معي ثلاثُ خصالٍ أظفرُ بها. قالوا: فما هي؟ فقال: أفرحُ إذا أصابَ خصمي، وأَحزنُ له إذا أخطأ، وأحفظُ نفسي من الجهل عليه. فبلغ ذلك أحمدَ بن حنبل، فقال: سبحان الله العظيم ما أَعقله! قوموا بنا إليه. فلمَّا دخلوا عليه وسلَّموا، قال حاتم لأحمد: يا أبا عبد الله، مَجيئك إليَّ من الإيمان. فبقي أحمدُ ساكتًا ساعةً، ثمَّ قال له: يا أبا عبد الرَّحمن، ما السَّلامةُ من الدُّنيا؟ فقال له: يا أبا عبد الله، لا تَسلمُ من الدُّنيا حتَّى يكونَ معك أربعُ خصالٍ. فقال أحمد: فما هي، يا أبا عبد الرَّحمن؟ قال: تغفرُ للقوم جهلَهم، وتمنعُهم جهلَكَ، وتَبذلُ لهم سَيْبَكَ[1]، وتكون من سَيْبِهم آيسًا[2]، فإذا عملتَ هذا سلمتَ.

ثمَّ خرجَ حاتم إلى الحجاز، فلمَّا وصلَ مدينةَ الرَّسولِ عليه السَّلام أحبَّ أن يُناظرَ علماءَ المدينة، فقال لهم: يا قوم، أيُّ مدينةٍ هذه؟ قالوا: مدينةُ الرَّسولِ عليه السَّلام. قال: فأين قصرُ رسولِ الله ﷺ، حتَّى أذهبَ إليه، فأُصلّي فيه ركعتين؟ قالوا ما كان لرسولِ الله ﷺ قصرًا، إنَّما كان له بيتٌ لاطِئٌ. قال: فأين قصورُ أهلِهِ، وقصورُ أصحابه؟ قالوا: ما كانَ لهم

---

(١) السيب: العطاء.

(٢) في (ب): وتبذل لهم شيئك وتكون من شيئهم.

قصورٌ، إنَّما كانت لهم بيوتٌ لاطئة. فقال حاتم: يا قوم، فهذه مدينةُ فرعون؟ قال. فلبَّبوه، وذهبوا به إلى الوالي، فقالوا: هذا العجمي يقول: هذه مدينةُ فرعون! فقال له الوالي: لِمَ قلتَ ذلك؟ قال له حاتم: لا تعجلْ عليَّ أيُّها الأمير، أنا رجلٌ غريبٌ، دخلتُ هذه المدينة، فسألتُ أيُّ مدينةٍ هذه؟ فقالوا: مدينةُ الرَّسولِ عليه السَّلام. فقلتُ: وأين قَصْرُ رسولِ الله ﷺ لأُصلِّي فيه ركعتين؟ قالوا: ما كان له قصرٌ، إنَّما كان له بيتٌ لاطئٌ. قلتُ: فبيوتُ أهلِهِ وأزواجِهِ وأصحابه بعده؟ قالوا: ما كانَ لهم إلاَّ بيوتٌ لاطئة. وسمعت الله يقول: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ ﴾ [الاحزاب: ٢١] فأنتم بمن تَأَسَّيتُم، برسول الله وأصحابه، أو بفرعونَ أوَّلِ من بنى بالجصِّ والآجُرّ؟ فخلُّوا عنه، وعرفوا أنَّه حاتم، وعلموا قصده.

وكان ـ كلَّما دخلَ المدينة ـ له مجلسٌ عند قبرِ رسولِ الله ﷺ، يُحدِّثُ ويدعو، فاجتمعَ إليه علماءُ المدينة، وقالوا: تعالوا حتَّى نُخجلَه في مَجلسه، كما فعلَ بنا عند الوالي. فحضروا عنده، وقد اجتمعَ إليه خلقٌ عظيم، فقال له واحدٌ منهم: يا أبا عبد الرَّحمن، مسألةٌ. قال: سَلْ. فقال: ما تقولُ فيمن قال: اللَّهُمَّ ارزقني. فقال حاتم: متى طلبَ هذا العبدُ الرِّزقَ من ربِّه في الوقت، أو قبلَ الوقتِ، أو بعدَ الوقت؟ فقالوا: يا أبا عبد الرَّحمن، ليسَ نَفْهمُ عنك هذا! فقال حاتم: أنا أضربُ لكم مثلاً حتَّى تفهموه، مَثَلُ العبدِ الذي طلبَ الرِّزقَ من ربِّهِ كمثلِ رجلٍ، كان له على رجلٍ دينٌ، فطالبه، وقعد يُلازمه، فاجتمعَ جيرانُه وقالوا له: هذا رجلٌ مُعدمٌ لا شيءَ له، فأجِّلْهُ في هذا الحقِّ حتَّى يَحتالَ ويُعطيك. فقال لهم: كم تُريدون أن أؤجِّلَه؟ قالوا: شهرًا. فتركَهُ وانصرفَ، فلمَّا كان بعد عشرةِ أيامٍ جاءَهُ، فاقتضاه، فقامَ جيرانه فقالوا: سبحان الله، أجَّلْتَهُ بين أيدينا شهرًا، ثمَّ جئتَ تقتضيه بعد عشرةِ أيام؟! فتركَهُ وانصرف، فلمَّا كان محلُّ الشَّهر جاءَهُ، فاقتضاه، فقال الجيران: إنَّما حلَّ لك اليوم، دعْه إلى بعدِ

المحلِّ ثلاثًا. فهذا مثالُ العبدِ الذي طلبَ الرِّزقَ من ربِّه.

ثمَّ قال: عندكم حرثٌ[1]، وأثاثٌ، ودراهمُ في أكياسكم، وطعامٌ في بيوتكم، وأنتم تقولون: اللَّهُمَّ ارزقنا. فقد رزقَكُم، كلوا وأطعموا إخوانكم المؤمنين، حتَّى إذا فَني، أقيموا بعده ثلاثًا، ثمَّ سلوا ربَّكم، عسى أن يموتَ أحدُكم غدًا وعنده ما يُخَلِّفُ على الأعداء، وهو يَسألُ أن يزيدَهُ في رزقه، ما هذه الغفلة؟! فقالوا: نستغفرُ الله، ما أردنا بالمسألةِ إلاَّ إعناتَكَ. ثمَّ انصرفوا عنه[2].

وقال: من العبرةِ يَزِيدُ العلم، ومن الذِّكرِ يزيدُ الحبُّ، ومن الفكرِ يَزِيدُ الخوف[3].

* * *

(١) المثبت في المختار ٢/ ١٣٧: عندكم خُرْثِيٌّ. والخرثي: أثاث البيت، أو أردأ المتاع. القاموس.

(٢) حلية الأولياء ٨/ ٨٠ـ٨٣، المختار ٢/ ١٣٣ـ١٣٧.

(٣) تهذيب الأسرار ٤٦١.

(١٥) يحيى بن معاذ الرَّازي(*)

ومنهم: أبو زكريا يحيى بنُ معاذ بن جعفر الرَّازي الواعظ، رحمه الله. أوحدُ وقته في فنِّه، له لسانٌ في الرَّجاء خصوصًا، وكلامٌ حَسَنٌ في المعرفة.

وكانوا ثلاثة إخوة: يحيى، وإسماعيل، وإبراهيم؛ أكبرُهم سنًّا إسماعيل، وأوسطُهم يحيى، وإبراهيم أصغرُهم، وكلهم كانوا زهَّادًا[١]

وخرجَ يحيى إلى بلخ، ومعه أخوه إبراهيم، فماتَ فيما بين نَيْسابور وبلخ، وقيل: إنَّه مات في بعضِ بلاد جُوزْجان[٢] ثمَّ أقام يحيى ببلخ مُدَّةً، ثمَّ عاد إلى نيسابور، ومات بها سنة ثمانٍ وخمسين ومئتين[٣]

قال رحمه الله: من استفتحَ بابَ المعاش بغير مَفاتيح الأقدار، وُكِلَ إلى المخلوقين[٤]

(*) طبقات الصوفية ١٠٧، حلية الأولياء ١٠/ ٥١، تاريخ بغداد ١٤/ ٢٠٨، الرسالة القشيرية ٦٢، المنتظم ٥/ ١٦، صفة الصفوة ٤/ ٩٠، المختار من مناقب الأخيار ٥/ ١٤٥، وفيات الأعيان ٦/ ١٦٥، سير أعلام النبلاء ١٣/ ١٥، العبر ٢/ ١٧، مرآة الجنان ٢/ ١٦٩، البداية والنهاية ١١/ ٣١، طبقات الأولياء ٣٢١، نفحات الأنس ٨٣، النجوم الزاهرة ٣/ ٣٠، الكواكب الدرية ١/ ٧٢٦، طبقات الشعراني ١/ ٨١، شذرات الذهب ٢/ ١٣٨

(١) طبقات الصوفية ١٠٧

(٢) جوزجان: كورة واسعة من كور بلخ بخراسان. معجم البلدان.

(٣) طبقات الصوفية ١٠٧

(٤) طبقات الصوفية ١٠٩.

وقال: العبادةُ حِرفة، وحَوانيتُها الخَلْوة، ورأسُ مالها الاجتهادُ بالسُّنَّةِ، وربُحها الجنَّة[1]

و: الصَّبرُ على الخلوة من علاماتِ الإخلاص[1]

وقال: الدُّنيا دارُ أشغالٍ، والآخرةُ دارُ أهوال، ولا يزالُ العبدُ بين الأشغالِ والأهوال حتَّى يستقرَّ به القرار، إمَّا إلى الجنَّةِ وإما إلى النَّار[2]

وقال: كيف يكونُ زاهدًا من لا ورعَ له؟! تورَّعْ عمَّا ليس لك، ثمَّ ازهدْ فيما لك[3]

وقال: جوعُ التَّوَّابين تجربة، وجوعُ الزَّاهدين سياسة، وجوعُ الصِّدِّيقين تَكْرِمة[4]

وقال: طلبُ العاقل للدُّنيا أَحسنُ من تركِ الجاهل لها[4]

و: لا يزالُ العَبدُ مَقرونًا بالتَّواني، ما دام مُقيمًا على وعد الأماني[4]

وقال: على قَدْرِ حبِّك لله يُحبُّكَ الخلقُ، وعلى قَدْرِ خوفك من الله يَهابُكَ الخلق، وعلى قَدْرِ شُغْلك بالله يَشتغلُ في أمرِكَ الخلقُ[4]

و: جميعُ الدُّنيا من أَوَّلها إلى آخرها لا تَسوِّي غمَّ ساعةٍ، فكيف تغمُّ عمرَك فيها مع قليلِ نصيبك منها؟[5]

وقال: ثلاثُ خصالٍ من صفة الأولياء: الثِّقةُ بالله في كلِّ شيء، والغِنَى به عن كلِّ شيءٍ، والرُّجوعُ إليه في كلِّ شيءٍ[3]

فـ: أولياؤه أُسراءُ نعمِهِ، وأصفياؤه رهائنُ كرمه وأحباؤه عبيد منَّته؛

---

(١) طبقات الصوفية ١٠٩

(٢) طبقات الصوفية ١١٠ . وفي (أ): دار الاشتغال. بين الاشتغال.

(٣) طبقات الصوفية ١١٠

(٤) طبقات الصوفية ١١١

(٥) طبقات الصّوفية ١١٠، وفيه: لا يساوي غمَّ.. مع قليلٍ يُصيبك منها.

فهم عبيد محبَّةٍ لا يعتقون، ورهائن كرمٍ لا يفكّون، وإسراءُ نعمٍ لا يُطلقون[1]

وقال: الفوتُ أشدُّ من الموت، لأنَّ الفوتَ انقطاعٌ عن الحقِّ، والموتَ انقطاعٌ عن الخلق[2]

ف: ليسَ من تاه فيه كَمَنْ تاهَ بعجائِبِ ما ورد عليه[2]

و: الوحدة مُنيةُ الصّدِّيقين، والأُنسُ بالنَّاس وحْشَتهم[2]

و: الزَّاهدُ الصَّافي مُخلَّطُ الباطنِ، والعارفُ مُخلَّطُ الظَّاهر صافي الباطن[2]

ف: أهلُ المعرفة وَحْشُ اللهِ في الأرض، لا يَأنسونَ إلى أحدٍ، والزَّاهدون غرباءُ في الدُّنيا، والعارفون غُرباء في الآخرة[2]

وقال: ما لَكَ تأسفُ على مفقودٍ، لا يَردُّه عليك الفوت؟! وما لَكَ تفرحُ بموجودٍ لا يَتركُهُ في يديك الموت؟![2]

وقال له رجل: أخبرني عن الله، ما هو؟ فقال: إلهٌ واحدٌ. قال: فكيف هو؟ قال: ملكٌ قادر. قال: أين هو؟ قال: بالمرصادِ. فقال: ليس عن هذا أسألُكَ. قال له يحيى: فذاك صِفةُ المَخلوقين، فأمّا صفةُ الخالق تعالى فما أخبرتُكَ به[2]

وقال: من سُرَّ بخدمةِ الله، سُرَّتِ الأشياءُ كلُّها بخدمته، ومن قرَّتْ عينُهُ بالله، قرَّتْ عيونُ كلِّ شيءٍ بالنّظر إليه[3]

و: الزُّهد ثلاثةُ أشياء: القِلَّةُ، والخلوةُ، والجوع[3]

و: عند نزولِ البلاء، تَظهرُ حقائقُ الصَّبر، وعند مُكاشفة المَقدورِ، تظهر حقائقُ الرِّضا[3]

---

(١) طبقات الصوفية ١١٠

(٢) طبقات الصّوفية ١١٢

(٣) طبقات الصوفية ١١٣.

و: محبوب اليومِ يُعقبُ المكروهَ غدًا، ومكروهُ اليومِ يُعقب المحبوبَ غدًا[1]

وقال له رجلٌ: متى أدخلُ حانوت[2] التَّوكُّلِ، وأَلبسُ رداءَ الزُّهدِ، وأَقعدُ مع الزَّاهدين؟ فقال: إذا صرتَ من رياضتك لنفسك في السَّيرِ إلى حدٍّ لوْ قطعَ اللهُ عنك الرِّزقَ ثلاثةَ أيام، لم تضعفْ في نفسِك، فأمَّا ما لم تبلغْ هذه الدَّرجةَ فجلوسُكَ مع الزَّاهدين جهلٌ، ولا آمنُ عليك أن تفتضحَ[3]

وقال: اجتنبْ صحبةَ ثلاثةِ أصنافٍ من النَّاس: العلماءِ الغافلين، والقُرَّاء المُداهنين، والمُتصوفة الجاهلين[4]

و: من لم يعتبرْ بالمعاينة، لم يتَّعظ بالموعظة، ومن اعتبرَ بالمُعاينة استغنى عن المواعظ[4]

و: العبرةُ بالأوقار، والمُعتبرُ بالمثقال[3]

وقال: أبناءُ الدُّنيا تخدمُهم الإماءُ والعبيد، وأبناءُ الآخرة يخدمُهم الأَحرارُ والأبرار[5]

وقال: لا تَربحُ على نفسك بشيءٍ أجلّ من أن تَشغلَها في كلِّ وقتٍ بما هو أَولى بها[6]

وقال: من خانَ الله في السِّرِّ، هَتَكَ اللهُ سرَّه في العلانية[7]

---

(١) طبقات الصوفية ١١٣

(٢) في (أ): الحانوت.

(٣) الرسالة القشيرية ٢٠٤ (الزهد).

(٤) طبقات الصوفية ١١٣

(٥) طبقات الصوفية ١١٤، الرسالة القشيرية ٣٣٠ (الحرية).

(٦) طبقات الصوفية ١١٤

(٧) الرسالة القشيرية ٦٣.

وقال: تزكيةُ الأشرار [لك] هُجنةٌ بك، وحبُّهم لك عَيبٌ عليك، وهانَ عليك من احتاجَ إليك[1]

وقال: لستُ أَبكي على نفسي إنْ ماتت، إنَّما أَبكي على حاجتي إنْ فاتت[2]

وقال: إلهي، إن لم ترحمني رحمةَ الكرامةِ عليك، فارحمني رحمةَ الانقطاع إليك[3]

وقال: يا بن آدم، لا يزال دينُكَ مُتمزِّقًا ما دامَ قلبُكَ بحبِّ الدُّنيا مُتعلِّقًا، اتركِ الدُّنيا قبلَ أن تَتركَكَ، واسترضِ ربَّكَ قبل مُلاقاته، واعمرْ بيتَكَ الذي تَسكنُهُ قبل انتقالك إليه[3]

وقال: مفاوزُ الدُّنيا تُقطعُ بالأقدام، ومفاوزُ الآخرة تُقطعُ بالقلوب[3]

وقال: إن وضعَ عليهم عدلَه، لم تَبقَ لهم حسنةٌ، وإن أنالهم فضلَه، لم تَبقَ عليهم سيئة[4]

و: الدُّنيا أَميرُ من طلبها، وخادمُ من تركها. الدُّنيا طالبةٌ ومَطلوبةٌ، فمن طلبَها رفضتْه، ومن رفضها طلبته. الدُّنيا قنطرةُ الآخرة، فاعبروها ولا تَعْمُروها، فليس من العقلِ بنيان القصورِ على الجسور. [الدُّنيا عروسٌ، وطالبُها ماشِطتُها، والزَّاهد ينتف شعرها، ويسوّد وجهها ويمزّق ثيابها]. من طلَّقَ الدُّنيا فالآخرةُ زوجته، فهي مُطلَّقةُ الأكياسِ [لا تنقضي عدَّتُها أبدًا]، فخلِّها ولا تذكرْها، واذكرِ الآخرةَ ولا تنسها، وخذْ من الدُّنيا ما يُبلِّغُكَ الآخرة، ولا تأخذْ منها ما يَمنعك من الآخرة[5]

وقال: النَّاسُ ثلاثةٌ: رجلٌ شغلَهُ معادُهُ عن معاشه، فتلك درجةُ

---

(١) الرسالة القشيرية ٦٣

(٢) حلية الأولياء ١٠/ ٥٢، المختار ٥/ ١٤٧

(٣) حلية الأولياء ١٠/ ٥١، المختار ٥/ ١٤٧، وسيأتي الخبر صفحة ٧٢٥ (٤).

(٤) حلية الأولياء ١٠/ ٥١، المختار ٥/ ١٤٧

(٥) حلية الأولياء ١٠/ ٥٣، ٥٤، وما بين معقوفين مستدرك منها، والمختار ٥/ ١٤٧، وانظر الرسالة القشيرية ٢٠٤ (الزهد).

الفائزين، ورجلٌ شغلَهُ معاشُهُ لمعادِهِ، فتلك درجةُ الصَّالحين، ورجلٌ شغلَهُ معاشُهُ عن معادِهِ، فتلك درجةُ الهالكين[١]

فـ: لا تجعلِ الزُّهدَ حرفتَكَ لتكسبَ به الدُّنيا، ولكنِ اجعلْه عبادتَكَ لتنالَ به الآخرة[٢]

فقيل له: كيف يعبدُ الرَّجلُ من غيرِ بضاعةٍ تعينُهُ على العبادة؟ فقال: أولئك قومٌ بضاعتُهُم مولاهم، وزادهم تَقواهم وشغلُهم ذكراهم، ومن اهتمَّ بعشائه لم يَتَهنَّأ بغدائه، ومن أرادَ تسكينَ قلبه بشيءٍ دون مولاه لم يزدْه استكثارُهُ من ذلك إلاَّ اضطرابًا[٣]

وقال: طُوبى لعبدٍ أصبحت العبادةُ حِرفتَهُ، والفقرُ مُنيتَهُ، والعزلةُ شَهوتَهُ، والآخرةُ همَّتَهُ، والقناعةُ بُلغتَهُ، والموتُ فكرتَهُ، والزُّهدُ نيَّتَهُ، وأماتَ بالذُّلِّ عزَّتَهُ، وجعلَ إلى الرَّبِّ حاجته، وذكرَ في الخلواتِ خَطيئتَهُ، وأَرسلَ على الوجنةِ عَبرتَهُ، وشكا إلى الله غُربتَهُ، وسألَ بالتَّوبةِ رحمتَه، طُوبى لمن كان ذلك صفتَهُ، وعلى الذُّنوبِ نَدامتُهُ، وجأرَ باللَّيلِ والنَّهار، وبكى في وقتِ الأسحار، يُناجي الرَّحمنَ خوفًا من النِّيران، وطلبًا للجنان[٤]

وقال: من سعادةِ المرءِ أن يكونَ خصمُهُ فهمًا، وخَصمي لا فهمَ له. قيل له: ومَنْ خَصمُكَ؟ قال: نفسي لا فهم لها؛ لأنَّها تبيعُ الجنَّةَ بما فيها من النَّعيمِ المُقيم بشهوةِ ساعةٍ في دار الدُّنيا[٥]

وقال: الدُّنيا سُمُّ الله القاتل لعباده، فخذوا منها حسب ما يُؤخذ من السُّمِّ في الأدوية، لعلَّكم تَسلمون[٦]

---

(١) حلية الأولياء ١٠/ ٥٦، صفة الصفوة ٤/ ٩٣، المختار ٥/ ١٤٨

(٢) حلية الأولياء ١٠/ ٥٧، صفة الصفوة ٤/ ٩٣، المختار ٥/ ١٤٨

(٣) حلية الأولياء ١٠/ ٥٧، المختار ٥/ ١٤٨

(٤) حلية الأولياء ١٠/ ٥٨، المختار ٥/ ١٤٨

(٥) حلية الأولياء ١٠/ ٥٩

(٦) حلية الأولياء ١٠/ ٦٠.

وقال: الدِّرهمُ عقرب، فإنْ لم تُحسن رقيتَهُ، فلا تأخذه بيدك؛ فإنّه إنْ لدغَكَ قتلك[1]

وأنشدَ لنفسه:

سلِّمْ على الخَلْقِ وارحلْ نحو مولاكا | واهجرْ على الصِّدقِ والإخلاصِ دُنياكا
عَسَاكَ في الحَشْرِ تُعطى ما تُؤمِّلُهُ | ويُكْـرِمُ اللهُ ذو الآلاءِ مَثْـواكـا[2]

وله أيضًا:

أمـوتُ بـدائـي لا أُصيـبُ دوائيـا | ولا فـرجًـا ممَّـا أَرى مـن بـلائيـا
إذا كـان داءُ العبـدِ حُـبَّ مَليكِـهِ | فمَنْ دُونَهُ يرجو طَبيبًا مُداويا[3]

وقال: عفوُهُ يَستغرقُ الذُّنوبَ، فكيفَ رِضوانُهُ؟ ورضوانُهُ يستغرقُ الآمال، فكيف حبُّهُ؟ وحبُّهُ يُدهشُ العقول، فكيف ودُّه؟ وودُّهُ يُنسي ما دونه، فكيف لطفه؟[4]

وأنشد:

دَعيني أُداري الحبَّ من كلِّ جانبٍ | فليـس لـه منِّـي سَبيـلٌ ومَهـربُ
وحمَّلتِني ما لَمْ تُطقْهُ جَوارحي | فسِرُّكِ في الأحشاءِ منِّي مُغيَّبُ[5]

وقال: لا تكنْ ممَّن يَفضحُهُ يومَ موته مِيراثُهُ، ويومَ حشرِهِ ميزانُهُ[6]

و: مَنْ أكثرَ ذكر الموت لم يَمتْ قبلَ أجلِهِ، ويدخلُ عليه ثلاثُ خصال من الخير أوّلها المبادرةُ إلى التَّوبة، والثّانية: القناعةُ برزقٍ يسير، والثّالثةُ: النَّشاطُ في العبادة. ومَنْ حَرِصَ على الدُّنيا فإنَّه لا يأكلُ فوقَ

---

(١) حلية الأولياء ١٠/ ٦٠، المختار ٥/ ١٤٨
(٢) الحلية ١٠/ ٦٣
(٣) حلية الأولياء ١٠/ ٦٢، تهذيب الأسرار ٥١٢.
(٤) تهذيب الأسرار ٦٤، المختار ٥/ ١٤٨
(٥) طبقات الأولياء ٣٢٦، وفيه: دعني أداري.. فليس لها.
(٦) حلية الأولياء ١٠/ ٦٣، المختار ٥/ ١٤٩

ما كُتِبَ له من الرِّزق، ويدخلُ عليه من العيوب ثلاثُ خصال: أوَّلها تراه غيرَ شاكرٍ لله على ما أعطاه، والثَّانية: لا يُواسي أحدًا بشيءٍ ممَّا أُعطي، والثَّالثة: أن يتعبَ في طلبِ الرِّزق ممَّا لم يُرزق، حتَّى يفوتَهُ عملُ الآخرة(١)

وقال: زلَّةٌ واحدةٌ بعد التَّوبة أقبحُ من سبعين قبلَه(٢)

و: الورعُ الوقوفُ على حدِّ العلمِ من غيرِ تأويل(٣)

و: الورع على وجهين: أَحدُهما ورعٌ في الظَّاهر، وهو ألاَّ يتحرَّكَ إلاَّ لله. والثَّاني ورعُ الباطن، وهو أن لا يدخلَ قلبَك سواه(٣)

و: من لم ينظرْ في الدَّقيقِ من الورع، لم يصلْ إلى الجليلِ من العطاء(٣)

و: الزُّهدُ يُورثُ السَّخاءَ بالملك، والحبُّ يُورثُ السَّخاء بالرُّوح(٤)

و: لا يبلغُ أحدٌ حقيقةَ الزُّهدِ حتَّى تكونَ فيه ثلاثُ خصال: عملٌ بلا علاقة، وقولٌ بلا طمع، وعزٌّ بلا رئاسة(٥)

وقال: مسكين ابنُ آدم، لو خافَ من النَّارِ كما يخاف من الفقر لدخلَ الجنَّة(٦)

وقال في بعضِ مُناجاته: يكادُ رجائي لك مع الذُّنوب يغلبُ رجائي لك مع الأعمال؛ لأنِّي أَجِدُني أعتمدُ في الأعمال على الإخلاص، كيف أُحرزُها وأنا بالعذرِ معروف؟ وأَجدُني في الذُّنوبِ أَعتمِدُ على عفوك،

---

(١) حلية الأولياء ١٠/٦٦

(٢) الرسالة القشيرية ١٧٦ (التوبة)، المختار ٥/١٤٩

(٣) الرسالة القشيرية ١٩٥ (الورع)، المختار ٥/١٤٩

(٤) الرسالة القشيرية ٢٠١ (الزهد)، وفي تهذيب الأسرار ١١٧ الزهد يورث السخاء بالمال، والحب يورث السخاء بالنفس والمال والروح. وانظر الخبر صفحة ٢٨٦.

(٥) المختار ٥/١٤٩، وفي ب: علم بلا علاقة.

(٦) الرسالة القشيرية ٢١٤ (الخوف)، تاريخ بغداد ١٤/ ٢١٢، المختار ٥/ ١٤٩.

فكيفَ لا تَغفرُها وأنتَ بالجودِ موصوف؟[١]

و: إلهي، أحلى العطايا في قلبي رجاؤك، وأعذبُ الكلامِ على لساني ثناؤك، وأحبُّ السّاعات إليَّ ساعةٌ يكونُ فيها لقاؤك[٢]

وقال: الجوعُ نورٌ، والشِّبعُ نارٌ، والشّهوةُ مثلُ الحطبِ، يتولَّدُ منه الاحتراق، فلا تَنطفِئُ نارُه حتّى يُحرِقَ صاحبَه[٣]

وقال: ليكنْ حظُّ المؤمنِ منك ثلاثَ خصال: إنْ لم تنفعْهُ، فلا تضرَّه، وإن لم تُسرَّه، فلا تُغمَّه، وإنْ لم تَمدحْهُ، فلا تذمَّه[٤]

وقيل له: متى يكونُ الرَّجلُ متوكِّلاً؟ فقال: إذا رضي بالله وكيلاً[٥]

وقال: لبسُ الصُّوفِ حانوتٌ، والكلامُ في الزُّهدِ حِرفةٌ، وصحبةُ القوافلِ تعرُّضٌ، وهذه كلُّها علاقات[٦]

وقال: صبرُ المحبِّين أشدُّ من صبرِ الزَّاهدين، واعجبًا! كيف يصبرون؟ ثمَّ أنشد:

الصَّبرُ يُحمدُ في المواطنِ كلِّها ... إلاَّ عليكَ فإنَّه لا يُحمدُ[٧]

وقال: أشدُّ شيءٍ على المُريدين معاشرةُ الأضداد[٨]

وقال: من استحيا من اللهِ تعالى مُطيعًا، استحيا اللهُ منه وهو مُذنبٌ[٩]

---

(١) الرسالة القشيرية ٢٢٣ (الرجاء)، الكواكب الدرية ١/ ٧٢٧

(٢) الرسالة القشيرية ٢٢٣ (الرجاء)، تهذيب الأسرار ١٥١

(٣) الرسالة القشيرية ٢٣٥ (الجوع)، المختار ٥/ ١٤٩

(٤) الرسالة القشيرية ٢٥٥ (الغيبة)، طبقات الأولياء ٣٢٢ وانظر صفحة ٤٠٨ (٢).

(٥) الرسالة القشيرية ٢٦٣ (التوكل).

(٦) الرسالة القشيرية ٢٦٦ (التوكل).

(٧) الرسالة القشيرية ٢٨٨ (الصبر)، المختار ٥/ ١٤٩، طبقات الأولياء ٣٢٦، وفي (أ): الصبر يَجملُ. لا يجملُ.

(٨) الرسالة القشيرية ٣٠٩ (الإرادة).

(٩) الرسالة القشيرية ٣٢٦ (الحياء)، تهذيب الأسرار ٤٤٧، وسيكرره المؤلف ثانية صفحة ٢٨٨.

فـ: سبحانَ من يُذنبُ العبدُ، فيستحيي هو منه[1]

وقال في صفةِ الأولياء: هم عِبادٌ تسربلوا بالأُنس بعد المُكابدة، واعتنقوا الرَّوحَ بعد المجاهدة بوصولهم إلى مقامِ الولاية[2]

و: الوليُّ لا يُرائي ولا يُنافق، وما أقلَّ صديق من كان هذا خلقه![3]

و: الوليُّ ريحانُ اللهِ في الأرض، يشمُّه الصِّدِّيقون، فتصل رائحتُهُ إلى قلوبهم، فيشتاقون به إلى مولاهم، ويزدادون عبادةً على اختلاف أخلاقهم[2]

وسُئل عن الفقر، فقال: حقيقةُ الفقرِ أن لا تَستغني إلاَّ بالله، ورسمُهُ عدم الأسبابِ كلِّها[4]

وقيل له: ما الفقر؟ فقال: خوفُ الفقر. قيل: فما الغِنى؟ فقال: الأَمنُ بالله[5]

وقال: لا يُوزن غدًا لا الفقر ولا الغِنى؛ وإنَّما يُوزنُ الشُّكرُ والصَّبر، فتعالوا نشكر ونصبر[6]

وقال: من تأدَّبَ بآدابِ الله، صارَ من أهلِ محبَّةِ الله[7]

وقال: العارفُ يخرجُ من الدُّنيا ولا يَقضي وطَرَهُ من شيئين: بكاؤه على نفسِهِ، وثناؤه على ربِّه[8]

وقال: حقيقةُ المحبَّةِ ما لا ينقصُ بالجفاء، ولا يَزيدُ بالبرِّ[9]

---

(١) الرسالة القشيرية ٣٧٦ (الحياء).

(٢) الرسالة القشيرية ٣٧٦ (الولاية).

(٣) الرسالة القشيرية ٣٧٧ (الولاية).

(٤) الرسالة القشيرية ٣٨٩ (الفقر).

(٥) الرسالة القشيرية ٣٩١ (الفقر)، تهذيب الأسرار ١٦٤

(٦) الرسالة القشيرية ٣٩٦ (الفقر)، وفيه: فيقال يشكر ويصبر، تهذيب الأسرار ١٦٥

(٧) الرسالة القشيرية ٤٠٧ (الأدب)، تهذيب الأسرار ٢١٣

(٨) الرسالة القشيرية ٤٤٢ (المعرفة)، طبقات الأولياء ٣٢٤.

(٩) الرسالة القشيرية ٤٥٠ (المحبة)، طبقات الأولياء ٣٢٦، تهذيب الأسرار ٥٨.

وأنشد:

لم أُسلِمِ النَّفسَ للأسقامِ تُتلفُها ... إلاَّ لعلمي بأنَّ الوصلَ يُحييها
نَفْسُ المُحبِّ على الأَسقامِ صابرةٌ ... لعلَّ مُسقمَها يوماً يُداويها[1]

و: ليسَ بصادقٍ من ادَّعى محبَّةَ اللهِ، ولم يحفظْ حدودَهُ[2]

و: مثقالُ خردلةٍ من الحبِّ، أحبُّ إليَّ من عبادة سبعين سنة بلا حبٍّ[2]

و: من نَشَرَ المحبَّةَ عند غيرِ أهلها، فهو في دَعواه دَعِيٌّ[3]

وقال: علامةُ الشَّوقِ فطامُ الجوارحِ عن الشَّهوات[4]

و: كلُّ موجودٍ من الدُّنيا لم يكنْ لك عوناً على تركها، فهو عليك لا لَكَ[5]

و: من فرَّ إلى اللهِ بذنبه، وهو يتَّهِمُهُ في رزقِهِ، فهو يفرُّ منه لا إليه[5]

وقال: التَّوكُّلُ ثلاثُ درجاتٍ: فأولُها تركُ الشِّكاية، والثَّانية الرِّضا، والثَّالثة المحبَّةُ، فأمَّا تركُ الشِّكايةِ فلا يشكو ربَّه، والرِّضا أن يَرضى بما قُسِمَ له، والمحبَّةُ أن تَكونَ محبَّتُهُ في قضاء الله، فالأُولى للصَّالحين، والثَّانية للأَبدال، والثَّالثة للأنبياء عليهم السَّلام.

وقال: لو لم يكنْ من فضله علينا وإحسانِهِ إلينا إلاَّ أنَّه ركَّبَ فينا عُقولاً نعلمُ بها ما لنا وما علينا

وقال: الذي حجَبَ النَّاسَ عن التَّوبة طولُ الأمل، وعلامةُ التَّائبِ إسبالُ الدَّمعةِ، وحبُّ الخلوة، والمحاسبةُ للنفس عند كلِّ همَّة[6]

---

(١) طبقات الأولياء ٣٢٦

(٢) الرسالة القشيرية ٤٥٠ (المحبة) المختار ٥/ ١٥٠

(٣) الرسالة القشيرية ٤٥٤ (المحبة)، المختار ٥/ ١٥٠

(٤) الرسالة القشيرية ٤٥٩ (الشوق)، المختار ٥/ ١٥٠

(٥) المختار ٥/ ١٥٠

(٦) صفة الصفوة ٤/ ٩٠.

وقال: بئس الأخُ أخٌ يحتاج أن يقولَ له: ادعُ لي. وبئس الأخُ أخٌ يحتاجُ أن تعتذرَ إليه عند زلَّتِكَ[(١)]

وقال: الدُّنيا حانوتُ المؤمنين، واللَّيلُ والنَّهار رؤوسُ أموالهم، وصالحُ الأعمال بضاعتُهم، وجنَّةُ الخُلد أرباحُهم، ونارُ الأبد خسرانهم.

وقال: الدُّنيا خمرُ الشَّيطان، من سَكِرَ منها لم يفقْ إلَّا في عَسكر الموتى، نادمًا بين الخاسرين[(٢)]

وقال: العلماءُ أرأفُ بأُمَّةِ محمدٍ ﷺ، وأشفقُ عليهم من آبائهم وأمَّهاتهم. قيل له: وكيف ذلك؟ قال: لأنَّ آباءَهم وأمَّهاتِهم يَحفظونَهم من نارِ الدُّنيا وآفاتها، والعلماءُ يَحفظونَهم من نار الآخرة وشدائدها.

وقال: من هجرَ الأقرباء في الله، عوَّضَهُ اللهُ صُحبةَ الأولياء.

و: جلوسُك مع الأولياء يُلهيكَ عن الأهلِ والمال، ويُشغلُك عن جميع الأشغال.

وقال: ابنَ آدم، إذا علمتَ أنَّ ذكرَكَ له من علامة ذكرِهِ لك، فاستكثرْ من ذكره، وإذا علمتَ أنَّ اكتسابَكَ الطَّاعات من علامةِ التَّوفيق، فاستكثرْ منها، وإذا علمتَ أنَّ وقوعَكَ في المعاصي من علامةِ الخذلان، فاجتنبها، وإذا علمتَ أنَّ الزُّهدَ في الدُّنيا يُريحك، فاطلبه، وإذا وجدتَ التَّوكُّلَ شرفَ الدُّنيا والآخرة، فالزمه، وإذا علمتَ أنَّ الدُّنيا حانوتُ الشَّيطان، فاخرجْ منه، وإذا علمتَ أنَّ مخالطةَ النَّاس فتنةٌ، فافزعْ إلى الخلوة، وإذا علمتَ أنَّ اللَّذةَ في الذِّكرِ، فاشغلْ قلبَك به، وإذا علمتَ أنَّ لك إلهًا قادرًا، فأرْضِهِ، وإذا علمتَ أنَّ لك يومًا تلقاه فيه، فاعملْ له؛ لعلَّكَ تنجو من النَّار.

---

(١) انظر تهذيب الأسرار ٢٦٤، وطبقات الأولياء ٣٢٢.

(٢) تهذيب الأسرار ٤٩٢، صفة الصفوة ٤/ ٩٨

وقال: من تشاغلَ بأسباب المعاش عن عبادة ربِّه، فقد أمكنَ فُوق الشيطان[1] من قلبه[2]

وقال: من تشاغلَ بالله عن المعاشِ، دخلتْ أسبابُ المعاش في دَرَجِ عبادته[2]

وقال: إنَّ أهلَ العلم يُحتاجُ إليهم في الجنَّةِ كما كان يُحتاجُ إليهم في الدُّنيا فقيل له: وكيفَ يُحتاج إليهم؟ فقال: لأنَّه يُقال لهم: تمنَّوا. ولا يدرون ما يقولون، فيقولون: نرجعُ إلى أهلِ العلم، فنسألهم. فيسألونهم، فيقولون لهم: تمنَّوا النظرَ إلى وجهه الكريم، فيكونُ ذلك تكرمةً من الله لأهلِ العلم وإتمامًا عليهم.

وقال: أيُّها المُريدون، إنِ اضطُررتم إلى طلبِ الدُّنيا، فاطلبوها، ولا تدَّخروها. أَشغلوا بها أبدانَكم، وعلِّقوا بغيرها قلوبَكم، فإنَّها دارُ ممرٍّ، وليستْ بدارِ مقرٍّ. الزَّادُ منها، والمَقيلُ في غيرها[3]

وقال: لو أنَّ رجلاً في علمِ ابن عباس رضي الله عنه، ثمَّ رأيتَهُ يُطري الدُّنيا، أو يُرغِّبُ النَّاسَ فيها بقولِهِ أو فعله، علمتَ أنَّه محجوبُ القلب عن الله، ولا يزده عليه شاهدًا أعدل[4] من رغبته في الدُّنيا

و: لا يَصلُ إلى نُصحك من قد خانَ نفسه.

وقال: إنَّ من أعظم الاغترار عندي التَّمَادي في الذّنوب على رجاءِ العفوِ من غير ندامةٍ، وتوقُّعُ القربِ من الله بغيرِ طاعة، وانتظارُ زَرعِ الجنَّةِ ببذرِ النَّار، وطلبُ دار المطيعين بالمعاصي، وانتظارُ الجزاء بغيرِ عمل، والتَّمنِّي على الله مع الإفراط[5]

---

(١) تقدم شرحها انظر صفحة (٢٦١) الحاشية (١).

(٢) المختار ٥/ ١٥٠

(٣) صفة الصفوة ٤/ ٩٥، المختار ٥/ ١٥٠

(٤) في (أ): ولا ترد عليه شاهدًا عدل.

(٥) المختار ٥/ ١٥٠.

وقال: مثلُ الحكيم مثلُ الصّياد، يصيدُ العبادَ من أفواه الشّياطين، فالأولياءُ بحره، والحكمةُ شبكتُهُ، والنَّاسُ صيدُه، فلو لم يَصد في عُمرِهِ إلاّ واحدًا، لكان قد أتى خيرًا كثيرًا.

وقال: إذا أحبَّ القلبُ خلوةً، فقد أوصلَهُ حبُّ الخلوةِ إلى الأُنس بالله، ومن أَنِسَ بالله استوحشَ من غيره(١)

وقال: ثمرةُ البكاء الضَّحكُ في الجنان، وثمرة الضّحك في الدُّنيا البكاءُ في الميزان(٢)

و: مجالسُ الذِّكرِ معادنُ الثَّواب(٣)

و: مُجالسةُ الفقراء علامةُ الإرادة(٤)

و: إظهارُ التَّوكُّلِ بغيرِ صدقٍ عناء(٥)

و: طلبُ الزُّهدِ فرارًا من العمل بطالةٌ(٦)

و: لبسُ الصُّوف من قبل إماتةِ شهوةِ النَّفس جَهالةٌ(٦)

و: تركُ المَكاسبِ مع الحاجةِ إليها كَسَلٌ(٦)

و: الكَسْبُ مع وجود الاستغناء عنه كُلْفة(٦)

و: الصَّبرُ على العزلةِ علامةُ وجودِ الطَّريق(٦)

و: التَّعبُّدُ مع تضييع العيالِ جهلٌ(٦)

وقال: من ظنَّ أنَّه ينالُ ما نالَ القومُ بغيرِ مقاساة الجهدِ، والصُّدقِ،

---

(١) طبقات الأولياء ٣٢٣

(٢) المختار ٥/ ١٥٠، قوله: وثمرة الضحك. ليس في (أ).

(٣) المختار ٥/ ١٥٠

(٤) في المختار ٥/ ١٥٠، وفي (أ): علامة الزيادة.

(٥) المختار ٥/ ١٥٠

(٦) المختار ٥/ ١٥١.

والإيثار، واستقامةِ الصِّدق من القلوب، فقد ادَّعى على الله ما ليس من صفته.

و: من أرادَ الوصولَ إلى الله من غيرِ أبوابِ النَّبيين والملائكةِ والأولياء والصِّدِّيقين فهذا مَعْدوم.

وقال: كم بينَ من يُريد حضورَ الوليمةِ للوليمة، وبين من يُريدُ حضورَ الوليمة ليلقى الحبيبَ في الوليمة![1]

وقال: أَشتهي القيامةَ لثلاثة أشياء: لدولةِ الحقِّ، ورحمةِ الخَلْقِ، وقرَّةِ عين المؤمن[2]

وقال: إن كنتَ تُذنبُ ولا تُبالي، فإنَّ لك ربًّا يغفرُ ولا يبالي[2]

وقال: لا تتخذْ من القُرناءِ إلاَّ من فيه ثلاثُ خصال: من حذَّرَكَ غَوائل الذّنوب، وعرَّفَكَ مَدانسَ العيوب، وسايرَكَ إلى علاَّمِ الغيوب[2]

وقال: من أوحشَ[3] من الدُّنيا أُنسه، وصنعَ من الذّنوب غرسَه، لو عَقَلَ ما يعقله لتركَ ما يَجهلهُ.

وقال: جاءتِ العلومُ صافيةً لتمام الحُجَّةِ علينا من الله، وجاءتِ الأَعمالُ منَّا كَدرةً لتمام الفاقةِ مِنَّا إلى ربِّنا

وقال: لو لَطمني واحدٌ، فلم أقدرْ على الانتصارِ منه، كان أحبَّ إليَّ من أن يَبرَّني واحدٌ، فلم أَقدر على مُكافأته.

وقال: أَوحى اللهُ تعالى إلى نبيِّه داودَ عليه السَّلام: من رفضَ الدُّنيا، وجميع ما فيها، ولم يُفكِّر في شيءٍ منها، ولم يشغلْ قلبَه بها ولا ذَكَرَها، وفرَّغَ قلبَه لذكري، واختارني على جميعِ خلقي، وانقطعَ إلى عبادتي إلاَّ

(١) المختار ٥/ ١٥٢

(٢) المختار ٥/ ١٥١

(٣) في (أ): ما أوحش.

كشفتُ الحجابَ بيني وبينه، فإذا كشفتُ الحجابَ بيني وبينه نظرَ بقلبه إليَّ نظرَ النَّاظرين، فأدنيتُهُ منِّي، وأريتُهُ كرامتي في كلِّ ساعةٍ، إنْ مَرِضَ مرَّضْتُه كما تُمرِّضُ الوالدةُ الشَّفيقةُ ولدها[١]، وإنْ جاعَ أشبعتُهُ، وإن عطشَ أرويته، فإذا فعلتُ ذلك به، أعميتُ نفسَهُ عن الدُّنيا وأهلها، فما شيءٌ أسرَّ إليه ولا أقرَّ لعينه من النَّظرِ إليَّ، يَستعجلني القدومَ عليَّ، وإنِّي أكرَهُ أن أُميتَهُ؛ لأنَّه موضعُ نظري من خلقي.

يا داود، أنا حبيبُ من أحبَّني، وجليسُ من جالسني، ومُؤنس من أَنِسَ بذكري، فارفضوا الدُّنيا، وهلمُّوا إلى كرامتي.

وقال: إلهي، طاعتي وإنْ قلَّتْ، فإنَّ فيها رضاك، ومَعصيتي وإنْ عَظمتْ فإنَّها لا تَضرُّكَ، فاقبلْ منِّي ما يُرضيك عنِّي وإنْ قلَّ، واغفرْ لي ما لا يَضرُّكَ وإن جلَّ، إلهي، إلهي، دليلي عليك نعمُكَ، ووسيلتي إليك كرمُك، فأنلني غدًا من كرمك حسب ما أوليتني اليومَ من نعمك[٢]

وقال: مُحاربةُ الصِّدِّيقين مع الخطرات، ومُحاربةُ الأَبدالِ مع الفكرات، ومُحاربةُ الزُّهاد مع الشَّهوات، ومُحاربةُ التَّائبين مع الزَّلَّات[٢]

وقال يومًا لأهلِ مجلسه: لا يَحضرُ مجلسَ الذِّكر إلاَّ ثلاثةٌ: راغبٌ، وطالبٌ، وعائب، فالرَّاغبُ يُريدُ بحضوره ما عندَ الله، والطَّالبُ يُريد بحضورِه العلمَ والأدب، والعائبُ يُريد بحضورِهِ إصابةَ عيبٍ فيذيعه، فلُبابُ المجلس للرَّاغبُ، وفؤادُه للطَّالب، ووبالُه للعائب.

وكان يقول في جملة دُعائه: إلهي، حبُّكَ عطَّشَ كبدي، وأَوحشني من أهلي وولدي، وضاقَ بي بلدي[٣]

---

(١) في (أ): بولدها.

(٢) المختار ٥/١٥١

(٣) طبقات الأولياء ٣٢٤.

وقال: الزُّهدُ يُورثُ السَّخاءَ بالمال، والحبُّ يُورث السَّخاءَ بالنَّفس[1]

وكان يقول في دعائه: إلهي، لا أقوى على شروطِ التَّوبة، فاغفرْ لي بلا توبة[2]

و: إلهي، حُجَّتي حاجتي، ووسيلتي فاقتي، إلهي، أدعوك اضطرارًا، وأنتَ تُجيبني اختيارًا[3]

وقال: من كان غِناه بربِّه، لم يَزل غنيًا، ومن كان غِناه بكسبِهِ لم يزلْ فقيرًا[4]

وقال: لا يكونُ الرَّجلُ حكيمًا حتَّى تجتمعَ فيه ثلاثُ خصال: يلحظُ الأغنياءَ بعين النَّصيحةِ لا بعين الحسد، ويلحظُ النِّساءَ بعينِ الشَّفقة لا بعين الشَّهوة، ويلحظُ الفقراءَ بعين التَّواضع لا بعينِ التَّكبُّرِ[5]

وقال: أطعْ مولاك تَنْجُ من كلِّ آفةٍ، وتباعدْ من قَرين السُّوءِ تَنْجُ من الملامة، ولا تَحلفْ بالله تَنْجُ من الكفَّارة، واحفظْ لسانك تَنْجُ من المعذرة[6]

وقال: من تكلَّمَ قبلَ أن يتفكَّرَ نَدِمَ، ومن تفكَّرَ قَبْلَ أن يتكلَّمَ سَلِمَ[7]

وقال: من وصفَ فقد شبَّه، ومن لم يَصفْ فقد نفى وصفه أنَّه سميع، ولا صفةَ لسمعه، لم يُوحِّدْ من خالقه، ولا عَرَفَ من شبَّهَهُ، ولا آمن به من جحد أمره، إنْ قلتَ: متى؟ فقد سبقَ الوقتَ كونُهُ، وإنْ قلتَ: قبل.

---

(١) انظر الحاشية (٤) صفحة ٢٧٧

(٢) تهذيب الأسرار ٤٠٦، المختار ٥/ ١٥١

(٣) تهذيب الأسرار ٤٠٧، المختار ٥/ ١٥١

(٤) تهذيب الأسرار ١٥٤، المختار ٥/ ١٥١، وانظر طبقات الأولياء ٣٢٣

(٥) تهذيب الأسرار ١٦٥

(٦) تهذيب الأسرار ٤٥٥، المختار ٥/ ١٥١

(٧) تهذيب الأسرار ٤٦١.

فالقبلُ بعده، وإنْ قلتَ: كيفَ؟ احتجبَ عن الوصف ذاته، وإن قلتَ: أين؟ فقد تقدَّمَ المكانَ وجودُهُ، وإن قلتَ: ما هو؟ فقد باين الأشياءَ هويَّتُهُ، وإن قلتَ: الهواءُ يمسُّه. فالهواء صنعُهُ[1]، وبصنعِهِ يُستدلُّ عليه، وبالعقولِ تُفقَهُ معرفته، وبالفطرةِ تثبتُ حجَّتُهُ، ليس مُنذ خَلَقَ الخلقَ استحقَّ اسمَ الخالق، ولا بإحداثِهِ البرايا استفادَ معنى الباري، وليس في مجال القولِ حجَّةٌ، ولا في المسألةِ عنها جواب، ولا في معناه له تعظيم، ولو وجِدَ له وراء، أو وجِدَ له أمام، أو التُمِسَ له التّمامُ إذًا للزمه النّقصان، كذبَ العادلونَ بالله[2]، وضلُّوا ضلالاً بعيدًا، وخَسروا خسرانًا مبينًا.

وقال: اختلافُ النَّاسِ كلِّهم راجعٌ إلى ثلاثة أصول، ولكلٍّ واحدٍ منها ضِدٌّ، فمن سقطَ عنه وقعَ في ضدِّهِ: التَّوحيدُ وضدُّهُ الشِّرك، والسُّنَّةُ وضدُّها البدعة، والطَّاعةُ وضِدُّها المعصية[3]

وقال: الخوفُ شجرةٌ في القلب، وثمرتُهُ الدُّعاءُ والتَّضرُّعُ، فإذا خافَ القلبُ، أجابتِ الجوارحُ إلى الطَّاعات، وتناهتْ عن المعاصي[4]

وقيل له: من آمَنُ الخلقِ غدًا؟ قال: أشدُّهم خوفًا اليوم[5]

وقال: ليس من لزِمَ بابَ المَلِكِ لحاجتِهِ إليه كمن ألزمَهُ الملكُ مجلسَه لكرامتِهِ عليه. فقيل له: من هؤلاء، ومن هؤلاء؟ فقال: العاملون والذَّاكرون[6]

وقال له رجلٌ: من أُجالسُ؟ فقال: الذين لا يغيبونِ عن ذكر الله. قال

---

(١) في (ب): الهوى يمسه فالهوى صنعه.

(٢) العدل هنا الإشراك. قال تعالى: ﴿ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ أي يشركون. اللسان.

(٣) المختار ٥/ ١٥٢

(٤) تهذيب الأسرار ١٤٣، المختار ٥/ ١٥٢

(٥) تهذيب الأسرار ١٤٧، المختار ٥/ ١٥٢

(٦) تهذيب الأسرار ٣١٥، المختار ٥/ ١٥٢

له: فبماذا أتلذَّذُ؟ فقال: بذكرِ الله[1]

وسُئل عن الدُّنيا، فقال: رُويَ عن رسولِ الله ﷺ أنَّه قال: «الدُّنيا مَلعونةٌ، ملعونٌ ما فيها إلاَّ ما كان لله»[2] ثمَّ قال: ما يُحبُّ الملعونُ إلاَّ مَنْ هو ألعنُ منه. وأنشدَ في هذا المعنى:

دَعِ الدُّنيا لناكِحِها ... سيُصبحُ من ذَبائحِها
أرَى الدُّنيا وإنْ صلَحَتْ ... تَدلُّ على فَضائحِها
مُصدِّقةٌ لعائبِها ... مُكذِّبةٌ لمادِحِها[3]

وسُئل عن تركِ المكاسب، فقال: كيفَ لا يتركُها، وفي ملازمتها انصرافُ قلبه عن حبِّ الموت، وفي كراهيةِ الموتِ حبُّ البقاء، وفي حبِّ البقاءِ امتدادُ الأمل، وفي امتدادِ الأملِ وقوعُ الحِرصِ، وفي الوقوع في الحرصِ حبُّ الجمع، وفي حبِّ الجمعِ كراهيةُ الموت، وفي كراهيةِ الموت الفرارُ من الله، لأنَّه تعالى يقولُ: ﴿فَتَمَنَّوُا۟ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ﴾ [البقرة: ٩٤]، وحبُّ الموتِ من صفات الصِّدِّيقين، والجمَّاعُ المكبُّ على الدُّنيا، لا يُحبُّ الموتَ أبدًا[4]

وقال: من استحيا من الله مُطيعًا، استحيا اللهُ من عذابه مُذنبًا[5]

وقال: من استمعتْ أُذُنُهُ لربِّه، صُمَّتْ عن خلقِهِ[6]

* * *

(١) تهذيب الأسرار ٣١٧
(٢) رواه الترمذي (٢٣٢٢) في الزهد، باب (١٤)، وابن ماجه ٢/ ١٣٧٧ في الزهد، باب مثل الدنيا كلاهما عن أبي هريرة، والدارمي في سننه ١/ ٩٤، عن كعب، وأبو نعيم في الحلية ٣/ ١٥٧، ٧/ ٩٠ عن جابر.
(٣) تهذيب الأسرار ٤٩٧، المختار ٥/ ١٥٢
(٤) تهذيب الأسرار ٣٠٦
(٥) تقدم القول مع تخريجه صفحة ٢٧٨
(٦) تهذيب الأسرار ٣٣٣، المختار ٥/ ١٥٢

(١٦) أحمد بن خضرويه البلخي (*)

ومنهم: أبو حامد أحمد بن خَضْرَوَيْه البلخي رحمه الله، من كبارِ مشايخِ خُراسان[١]

صحب: أبا تُراب النَّخشبِي، وحاتمًا الأَصم[١]

ورحل إلى أبي يَزيد البِسطامي، وزار أبا حفص النَّيسابوري رحمهما الله.

وهو من المشهورين بالفتوَّةِ، مات سنة أَربعين ومئتين[١]

قيل لأبي حفص النَّيسابوري: مَنْ أَجلُّ مَنْ رأيتَ من هذه الطَّبقة؟ فقال: ما رأيتُ أحدًا أكبرَ همَّةً ولا أصدقَ حالًا من أحمد بن خضرويه[١]

قال رحمه الله: وليُّ اللهِ لا يُوسمُ نفسَه بسيماء، ولا يكونُ له اسمٌ يتسمَّى به[١]

وقال: القلوبُ جوَّالةٌ، فإمَّا أن تجولَ حولَ العرشِ، وإمَّا أن تَجولَ حول الحشِّ[٢]

(*) طبقات الصوفية ١٠٣، حلية الأولياء ١٠/ ٤٢، تاريخ بغداد ٤/ ١٣٧، الرسالة القشيرية ٦٣، صفة الصفوة ٤/ ١٦٣، المختار من مناقب الأخيار ١/ ٢٩٩، سير أعلام النبلاء ١١/ ٤٨٧، الوافي بالوفيات ٦/ ٣٧٣، طبقات الأولياء ٣٧، نفحات الأنس ٨٢، النجوم الزاهرة ٢/ ٣٠٣، الكواكب الدرية ١/ ٥٣٢، طبقات الشعراني ١/ ٨٢.

(١) طبقات الصوفية ١٠٣

(٢) طبقات الصّوفية ١٠٤ والحش مثلثة الحاء المخرج، لأنهم كانوا يقضون حوائجهم في البساتين.

وقال: في الحريَّةِ تمامُ العبودية، وفي تحقيقِ العُبودية تمامُ الحريةِ[١]

وقال: لا تتمُّ مُعاشرةُ مُتضادَّين في دينٍ أو دنيا[١]

ورُوِيَ أنَّه استقرضَ من رجلٍ مئة ألف درهم، فقال له الرَّجلُ: ألَيسَ أنتم الزُّهادُ في الدُّنيا؟! فما تصنعُ بهذه الدَّراهم؟ فقال: أَشتري بها لقمةً، وأضعُها في فمِ مُؤمنٍ، ولا أَجترئُ أن أسألَ ثوابًا[٢] من الله تعالى. فقال: لِمَ؟ قال: لأنَّ الدُّنيا كلَّها لا تَزِنُ عند الله جناحَ بعوضة، فما مئةُ ألفِ درهم من الدُّنيا في جناح بعوضةٍ، وما قَدْرُها؟![٣]

وقال: الصَّبرُ زادُ المُضطرِّين، والرِّضا درجةُ العارفين[١]

قـ: من صبرَ على صبره فهو الصَّابر، لا من صَبَرَ وشكا[١]

وقال: كنتُ في طريقِ مكَّةَ، فوقعَتْ رجلي في شِكالٍ[٤]، فكنتُ [أمشي] فرسخين، وهو متعلّقٌ بها، إذ رآني بعضُ النَّاسِ، فنَزعهُ[٥] عنِّي، فقدمتُ بِسطام، فابتدأني أبو يزيد وقال: الحالُ الذي وردَ عليك في طريق مكَّةَ، كيفَ كانَ حكمُكَ مع الله فيه؟ فقلتُ: أردتُ أن لا يكونَ لي في اختيارِهِ اختيارٌ. فقال لي: يا فُضُولي، قد اخترتَ كلَّ شيءٍ حيثُ كانت لك إرادةٌ[٦]

وقال: من خدمَ الفُقراءَ أُكرمَ بثلاثة أشياء: بالتَّواضعِ، وحُسنِ الأدب، وسَخاوةِ النَّفس[٦]

---

(١) طبقات الصوفية ١٠٤

(٢) في (ب): ثوابه.

(٣) طبقات الصوفية ١٠٤، وتتمة الخبر فيه: جناح بعوضة؟ لو أخذتَها فطلبتَ بها شيئًا، ما الذي تُعطى بها؟ والدنيا كلُّها لها هذا القدر.

(٤) الشُّكال: الحبل الذي تُربط به الدَّابة، أو تشدُّ قوائمها فيه. اللسان.

(٥) في (أ). فنَزعته.

(٦) طبقات الصّوفية ١٠٥.

و: الطّريقُ واضح، والحقُّ لائح، والدّاعي قد أسمع، فما التّحيُّرُ بعد هذا الأمرِ إلاّ من العمى[1]

و: قُرِئ بين يديه: ﴿ فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ ﴾ [الذاريات: ٥٠]، فقال: قد أعلمَهم بهذا أنّه خيرُ مَفرٍّ[1]

وقال: حقيقةُ المعرفةِ المحبّةُ له بالقلب، والذِّكرُ له باللِّسان، وقطعُ الهمَّةِ عن كلِّ شيءٍ سواه[1]

و: القلوبُ أوعيةٌ، فإذا امتلأتْ من الحقِّ، أظهرتْ زيادةَ أنوارِها على الجوارح، وإذا امتلأتْ من الباطل أظهرتْ زيادةَ ظلمُها على الجوارح[1]

وقال له رجلٌ: أوصني. فقال: أَمِتْ نفسَك حتّى تحيا[2]

و: أقربُ الخلقِ إلى الله أوسعُهم خُلقًا[3]

وقال: بلغني أنّه استأذنَ بعضُ الأغنياء على بعض الزُّهاد، فأذنَ له، فرآه[4] يُفطرُ في رمضان على الخُبزِ اليابس والمِلح، فعادَ إلى منزلِهِ، وبعثَ إليه بألفِ دينار، فردَّها عليه، وقال له: هذا جزاءُ من أفشى سرَّه إلى مِثلِك[5]

وقال: لا نومَ أثقلُ من الغَفلة، ولا رقَّ أملكُ من الشَّهوة، ولولا ثقلُ الغَفلة، لم تظفرْ بك الشَّهوة[5]

و: ليس من يُطالبه الحقُّ بآلائه كمَنْ يُطالبُ الحقَّ بنعمائه[6]

---

(١) طبقات الصوفية ١٠٥

(٢) طبقات الصوفية ١٠٥، وفيها: حتى يحييها.

(٣) طبقات الصوفية ١٠٦

(٤) في (ب): فأذن له، فزاره، فرآه.

(٥) طبقات الصّوفية ١٠٦

(٦) طبقات الصّوفية ١٠٦، وفيه: كمن طالبَهُ الحقُّ. وفي (ب): كمن طالب الحق بنعمائه.

وقيل له: أيُّ الأعمالِ أفضلُ؟ فقال: رعايةُ السِّرّ عن الالتفات إلى شيءٍ سوى الله(١)

وقال محمد بن حامد: كنت جالسًا عند أحمدَ بن خضرويه وهو في النَّزْع، وكان قد أتى عليه خمسٌ وتسعون سنة، فسأله بعضُ أصحابه عن مسألةٍ، فدمعتْ عيناه، وقال: يا بُني، بابٌ كنتُ أَدُقُّهُ منذ خمسٍ وتسعين سنة، هو ذا يُفتحُ لي السَّاعةَ، ولا أدري بالسَّعادة [يُفتح] أم بالشَّقاوة؟ أنّى لي أوان الجواب(٢)

قال: وكان عليه سبعُ مئة دينار ديناً(٣)، وغرماؤه عندَه، فنظر إليهم وقال: اللَّهُمَّ، إنَّكَ جعلتَ الرُّهون وثيقةً لأربابِ الأموال، وأنت تأخذ عنهم وثائقهم، فأدِّ عنهم(٤) قال. فدقَّ البابَ داقٌّ، وقال: أين غرماءُ أحمد؟ فأخذهم، وقضى عنه الدَّينَ، ثمَّ خرجتْ روحُهُ رحمه الله(٥)

وقال: من أرادَ أن يكونَ اللهُ معه، فليلزمِ الصِّدقَ؛ فإنَّ الله تعالى مع الصَّادقين(٦)

وقال: رأيتُ ربِّي عزَّ وجلَّ في المنام، فقال لي: يا أحمد، النَّاسُ كلُّهم يَطلبون منِّي إلاَّ أبا يَزيد فإنَّه يَطلبني(٧)

* * *

---

(١) طبقات الصوفية ١٠٦

(٢) حلية الأولياء ١٠/ ٤٢، الرسالة القشيرية ٦٣، المختار ١/ ٣٠١

(٣) في (أ): سبع مئة ألف.

(٤) في الرسالة القشيرية: فأدِّ عني.

(٥) الرسالة القشيرية ٦٤، تهذيب الأسرار ٥٤٧، المختار ١/ ٣٠٢

(٦) حلية الأولياء ١٠/ ٤٢، الرسالة القشيرية ٣١٨ (الصدق)، تهذيب الأسرار ١٩١، في (أ) و(ب): لقوله تعالى ﴿إن الله مع الصادقين﴾. والمثبت من الحلية، وتهذيب الأسرار.

(٧) الرسالة القشيرية ٥٣٠ (رؤيا القوم).

(١٧) أحمد بن أبي الحواري(*)

ومنهم: أبو الحسن أحمدُ بن أبي الحوَاري، واسم أبي الحَواري مَيمون من أهل دمشق.

صحبَ: أبا سُليمان الدَّاراني، وسفيانَ بن عُيينة، ومروانَ بن معاوية الفَزَاري، ومضاءَ بن عيسى، وبشرَ بن السَّري، وأبا عبد الله النِّباجي، وغيرَهم من المشايخ رحمهم الله[١].

وله أخٌ يقال له محمد بن أبي الحواري، يَجري مجراه في الزُّهدِ والورع، وابنُه عبد الله بن [أحمد بن] أبي الحواري من الزُّهاد، وأبوه أبو الحواري كان أيضًا من العارفين الورعين، فبيتُهم بيتُ الورعِ والزُّهد[٢].

مات سنة ثلاثين ومئتين[١].

وكان الجُنيدُ يقول: أحمدُ بن أبي الحواري ريحانةُ الشَّام[٣].

(*) الجرح والتعديل ٢/ ٤٧، الثقات لابن حبان ٨/ ٢٤، طبقات الصوفية ٩٨، حلية الأولياء ١٠/ ٥، الرسالة القشيرية ٦٤، طبقات الحنابلة ١/ ٧٨، صفة الصفوة ٤/ ٢٣٧، المختار من مناقب الأخيار ١/ ٢٩١، مختصر تاريخ دمشق ٣/ ١٤٢، تهذيب الكمال ١/ ٣٦٩، سير أعلام النبلاء ١٢/ ٨٥، مرآة الجنان ٢/ ١٥٣، البداية والنهاية ١٠/ ٣٤٨، طبقات الأولياء ٣١، تهذيب التهذيب ١/ ٤٩، نفحات الأنس ٩٩، طبقات الشعراني ١/ ٨٢، الكواكب الدرية ١/ ٥٣٤، شذرات الذهب ٢/ ١١٠.

(١) طبقات الصوفية ٩٨

(٢) طبقات الصوفية ٩٩.

(٣) الرسالة القشيرية ٦٤.

قال رحمه الله: من نظرَ إلى الدُّنيا نظرَ إرادةٍ وحبٌّ لها، أخرجَ اللهُ نورَ اليقينِ والزُّهد من قلبه[١]

و: أفضلُ البكاءِ بكاءُ العبدِ على ما فاته من أوقاته على غير المُوافقة، أو بكاءٌ على ما سلفَ له من المُخالفة[١]

و: من عملَ عملًا بلا اتِّباع سُنَّةٍ فباطلٌ عمله[٢]

و: علامةُ حبِّ الله حبُّ طاعته[٣]

و. إذا أحبَّ اللهُ العبدَ أحبَّه، ولا يستطيعُ العبدُ أن يُحبَّ الله حتَّى يكونَ الابتداءُ من الله بالحبِّ له، وذلك حين عَرف منه الاجتهادَ في مرضاته[٣]

وقال: من عَرَفَ الدُّنيا زَهِدَ فيها، ومن عَرَفَ الآخرةَ رغبَ فيها، ومن عرفَ الله آثرَ رضاه[٣]

و: من لم يعرفْ نفسَه، فهو من دِينه في غُرور[٣]

و: ما ابتلى اللهُ العبدَ بشيءٍ أشدَّ من الغفلةِ والقسوة[٣]

و: إذا أحبَّ اللهُ قومًا أفادهم في اليقظة والمنام؛ لأنهم طلبوا رضاه في اليقظةِ والمنام[٣]

و: كلَّما ارتفعتْ منْزلةُ القلبِ، كانتِ العقوبةُ إليه أسرع[٣]

وقال: إنَّما كره الأنبياءُ الموتَ لانقطاعِ الذِّكرِ عنهم[٣]

وقال. إذا مَرِضَ قلبُكَ بحبِّ الدُّنيا وكثرةِ الذُّنوب فداوِهِ بالزُّهد فيها وترك الذُّنوب[٤]

---

(١) طبقات الصوفية ١٠٠، الرسالة القشيرية ٦٤

(٢) طبقات الصوفية ١٠١، الرسالة القشيرية ٦٤

(٣) طبقات الصوفية ١٠١

(٤) طبقات الصوفية ١٠٢.

و: إذا حدَّثتْكَ نفسُك بتركِ الدُّنيا عند إدبارها فهو خُدعةٌ، وإذا حدَّثتك نفسُك بتركها عند إقبالها فذاك[١]

و: إذا رأيتَ من قلبك قسوةً، فجالسِ الذَّاكرين، واصحبِ الزَّاهدين، وأَقللْ مَطعمَكَ، واجتنبْ مُرادَك، وروِّضْ نفسَك على المكاره[١]

وقال: الدُّنيا مَزبلةٌ ومَجْمَعُ الكلاب، وأقلُّ من الكلاب من عَكَفَ عليها، فإنَّ الكلبَ يأخذُ منها حاجتَهُ وينصرف، والمحبُّ لها لا يُزايلُها بحالٍ[١]

و: من أحبَّ أن يُعرفَ بشيءٍ من الخيرِ، أو يُذكرَ به فقد أشركَ في عبادته، لأنَّ من عَبَدَ على المحبَّةِ لا يُحبُّ أن يرى خدمتَه سوى محبوبه[١]

وقال: إنِّي لأقرأُ القرآنَ فأنظرُ في آيَةٍ آيةٍ فيَحار عقلي فيها، وأعجبُ من حُفَّاظِ القرآن كيف يَهنيهم النَّومُ! ويَسعُهم أن يشتغلوا بشيءٍ من الدُّنيا، وهم يَتلون كلامَ الرَّحمن! أما لو فَهموا ما يَتلون، وعَرفوا حقَّه وتلذَّذوا به، واسْتَحْلوا المُناجاة به، لذهبَ عنهم النَّومُ فرحًا بما رُزقوا ووفِّقوا[١]

وقال: بينا أنا ذاتَ يومٍ في بعضِ بلاد الشَّام في قُبَّةٍ من قباب المقابر وإذا الحائطُ يُدَقُّ، فقلت: من هذا؟ قالت: امرأةٌ ضالَّةٌ[٢]، دُلَّني على الطَّريق، يَرحمك الله. فقلتُ لها: عن أيِّ الطَّريقِ تَسألين؟ فبكتْ، ثمَّ قالت: يا أحمد، عن طريقِ النَّجاة. قلتُ: هيهات، إنَّ بيننا وبين طريقِ النَّجاة عِقَابًا، وتلك العِقابُ لا تُقطع إلاَّ بالسَّير الحَثيث، وتصحيح المعاملة، وحذفِ العلائق الشَّاغلةِ من أمرِ الدُّنيا والآخرة. قال: فبكتْ بُكاءً شديدًا، ثمَّ قالت: يا أحمد، سُبحانَ من أمسكَ عليك جوارحَكَ فلم تتقطَّعْ، وحفظَ عليك فؤادَكَ فلم يتصدَّع. ثمَّ خرَّتْ مَغشيًّا عليها، فقلتُ

---

(١) طبقات الصوفية ١٠٢

(٢) في (أ): امرأة ضائعة.

لبعض النِّساء: انظُرنَ أيُّ شيءٍ حالُ هذه الجارية؟ فقمنَ إليها يُفتِّشْنَها، وإذا وصيَّتُها مكتوبةٌ في جيبها، وفيها: كفِّنوني في أثوابي هذه، فإنْ كان لي عند الله خيرٌ، فهو أَسعدُ لي، وإن كانَ غير ذلك فبُعدًا لنفسي. ثمَّ حرَّكوها، فإذا هي ميتة، فقلتُ: لمن هذه الجارية؟ قالوا: جاريةٌ قُرشيَّةٌ مُصابة، وكانت تمتنعُ من الطَّعام والشَّراب، وكانتْ تشكو إلينا وجعًا بجوفها، فكُنَّا نصفُ حالَها لمُتطبِّبي الشَّام، وهي تقولُ لنا: خلُّوا بيني وبين الطَّبيبِ الرَّاهب أحمد بن أبي الحواري، أشكو إليه بعضَ ما أجد من بلائي، يكونُ عنده شفائي قال: فعملنا ما يجبُ في حقِّها ودفنَّاها رحمة الله عليها[1]

ورُويَ أنَّه كان بين أبي سليمان الدَّاراني وبين أحمد بن أبي الحواري[2] عقدٌ بأنْ لا يُخالفَهُ في شيءٍ يأمرُهُ به، فجاءَهُ يومًا وأبو سُليمان يتكلَّمُ في مجلسه، فقال: إن التنُّورَ قد سُجِرَ، فما تأمرُ؟ فلم يُجبه، فقال مرَّتين أو ثلاث، فلمَّا ألحَّ عليه، كأنَّه ضاقَ قلبُه، فقال. اذهبْ، فاقعد فيه. ثمَّ تَغافلَ أبو سليمان، واشتغلَ عنه ساعة، ثمَّ ذكرَ وقال: اطلبوا أحمدَ؛ فإنَّه في التَّنور، لأنَّه على عقدٍ لا يُخالفني. فذهبوا إليه، وإذا به جالسٌ في التنُّورِ لم تحترقْ منه شعرة[3]

وقال: اشتكى محمدُ بن السَّمَّاك، فأخذنا ماءَهُ وانطلقنا به نحو طبيبٍ نصرانيٍّ، فبينا نحن بين الحيرةِ والكوفة استقبَلَنا رجلٌ، حسنُ الوجه، طيِّبُ الرَّائحة[4]، نقيُّ الثِّياب، فقال لنا: إلى أين تَمرُّون؟ قلنا: نُريد فلانًا

---

(١) حلية الأولياء ١٠/ ١١، المختار ١/ ٢٩٢، وقوله. قال: فعملنا ما يجب في حقها. ليس في (أ)، ولا في مصادر الخبر

(٢) في (أ): كان بينه وبين أبي سليمان الداراني وأحمد بن أبي الحواري.

(٣) الرسالة القشيرية ٣٠٧ (الإرادة)، المختار ١/ ٢٩٢، مختصر تاريخ دمشق ٣/ ١٤٣. قال الذهبي في سير أعلام النبلاء ١٢/ ٩٣: حكاية منكرة.

(٤) في (ب): طيب الريح.

الطّبيب، نُريه ماءَ ابن السَّمَّاك. فقال: سبحان الله، تَستعينون على وليِّ اللهِ بعدوِّ الله! اضربوا به الأرضَ، وارجعوا إلى ابن السَّمَّاك، وقولوا له: ضعْ يدك على موضع الوجع، وقل: ﴿وَبِٱلْحَقِّ أَنزَلْنَٰهُ وَبِٱلْحَقِّ نَزَلَ﴾ [الإسراء: ١٠٥]. ثمَّ غابَ عنَّا، فلم نره، فرجعنا إلى ابنِ السَّمَّاك، فأخبرناه بذلك، فوضعَ يده على موضعِ الوجعِ، وقالَ ما قال الرَّجلُ، فعُوفي في الوقت، وقال لنا: ذاك الخَضِرُ عليه السَّلام(١)

وقال: مررتُ براهبٍ، فوجدتُه نحيفًا، فقلتُ له: أَنت عليل؟ فقال: نعم. فقلتُ: مُنذُ كم؟ فقال: منذُ عرفتُ نفسي. قلت له: فتداوَ. فقال: قد أَعياني الدَّواءُ، وقد عزمتُ على الكَيِّ. قلت له: ما الكيُّ؟ قال: مُخالفةُ الهوى(٢)

وقال: رأيتُ في المنامِ جاريةً ما رأيتُ أحسنَ منها، يتلألأُ وجهُها نورًا، فقلتُ لها: ما أَنورَ وجهَكِ!؟ فقالت: تذكرُ اللَّيلةَ التي بكيتَ فيها؟ قلتُ: نعم. قالت: حُملتْ إليَّ دمعتُكَ، فمسحتُ بها وجهي، فصارَ وجهي هكذا(٣)

وقال: حدَّثني عبد الله بن السَّريِّ، قال: قال مُحمد بن سيرين: إنِّي لأعرفُ الذَّنبَ الذي حمل عليَّ الدَّينَ ما هو؛ وذاك أنني قلتُ لرجلٍ منذ أربعين سنة: يا مُفلس. قال أحمد: فحدَّثتُ بذاك أبا سُليمان الدَّاراني، فقال لي: يا أحمد، قلَّتْ ذنوبُهم، فعرفوا من أين يُؤتونَ، وكَثرتْ ذُنوبي وذنوبُكَ فليسَ ندري من أَين نُؤتى(٤)

قال: ولقي رجلٌ راهبًا، فقال له: ما أَفضلُ العبادةِ يا راهب؟ قال:

---

(١) الرسالة القشيرية ٥٢٠ (كرامات الأولياء)، المختار ١/ ٢٩٥

(٢) المختار ١/ ٢٩٣، وانظر الكواكب الدرية ١/ ٥٣٦.

(٣) الرسالة القشيرية ٥٣٦ (رؤيا القوم)، تهذيب الأسرار ٥٥٥، المختار ١/ ٢٩٣

(٤) حلية الأولياء ٢/ ٢٧١، المختار ٤/ ٣٨٠، وفي (ب): وكثرت ذنوبُك فلست تدري من أين تؤتى.

ما رضيتْ به الأبدان، واستراحتْ[١] به المفاصلُ من المداومة. قال: فما أَحسنُها؟ قال. رِقّةُ القلوب عند التّذكرة. قال فما أعدَلُها؟ قال: الاستكانةُ للحقِّ. قال: فما حقُّها؟ قال: تركُ الشّهواتِ، ولزومُ الخلوات[٢]

وقال: كان من دُعاء بعضِ التّابعين: اللّٰهُمَّ، أَمتْ قلبي بخوفِكَ وخشيتك، وأحيه بحبِّك وذكرِك.

وقال: سمعتُ أبا سُليمان الدّاراني يقول: حدثني شيخٌ[٣] بساحلِ دمشق يُقال له علقمة بن يزيد بن سُويد الأزدي، قال: وكان من المريدين، قال: حدَّثني أبي، عن جدّي سُويد بن الحارث، قال: وفدنا على رسولِ الله ﷺ في سبعةٍ من قومي، فلمَّا دخلنا عليه وكلَّمناه، أعجبَه ما رأى من سمتنا وزينتنا، فقال لنا: «ما أنتم؟» قلنا: مُؤمنون. فتبسَّمَ رسولُ الله ﷺ، وقال. «لكلِّ قولٍ حقيقةٌ، فما حقيقةُ قولكم وإيمانكم؟» قال سويد: فقلتُ: خمس عشرة خصلة، خمسٌ منها أَمرتنا رسلُكَ أن نُؤمن بها، وخمسٌ منها أَمرتنا رسلُكَ أن نعملَ بها، وخمسٌ منها تخلَّقنا بها في الجاهلية، ونحن على ذلك إلاَّ أن تكرَهَ منها شيئًا. فقال رسولُ الله ﷺ: «ما الخمسُ خصالِ التي أَمرَتْكم بها رُسلي أن تؤمنوا بها؟» قلنا: أَمرَتْنا رسلُك: أن نُؤمنَ بالله، وملائكتِهِ، وكتبِهِ، ورسلِهِ، والبعثِ بعد الموت[٤] قال: «فما الخمسُ التي أَمرَتْكم بها رُسلي أن تَعملوا بها؟» قلنا: أَمرَتْنا رسلُك: أن نقولَ جميعًا لا إله إلاَّ الله وأنَّ محمدًا رسولُ الله، وأن نُقيمَ الصَّلاة، ونُؤتي الزَّكاة، ونصومَ شهرَ رمضان، ونحجَّ البيتَ إن استطعنا إليه سبيلاً، فنحن على ذلك. قال: «فما الخمسُ خصال

(١) في المختار ٢/ ٢٩٥: ما نضيت به الأبدان واسترخَتْ، وفي (أ): ما نصبت به الأبدان.

(٢) المختار ٢/ ٢٩٥

(٣) في (أ): خدمني شيخ

(٤) في تهذيب الأسرار ٣٩٧: ورسله، والقدر خيره وشرّه.

التي تَخلَّقتم أنتم بها؟» قلنا: الشُّكرُ عند الرَّخاء، والصَّبرُ عند البلاء، والصِّدقُ عند اللِّقاء، ومناجرةُ[1] الأعداء، والإحسانُ إلى من أساء. فتبسَّمَ رسولُ الله ﷺ، وقال: «كادوا من فقهِهم أن يَكونوا أنبياء، يا لها من خصالٍ ما أشرفَها وأزينها وأعظمَ ثوابها!» ثمَّ قال رسولُ الله ﷺ: «وإنِّي مُوصيكم بخمسٍ ليكملَ لكم عشرون خصلة». قلنا: أَوصنا يا رسول الله. فقال: «إن كنتم كما تَقولون فلا تجمعوا ما لا تأكلون، ولا تَبنوا ما لا تسكنون، ولا تَنافسوا فيما عنه غدًا تزولون، وارغبوا فيما عليه غدًا تقدمون وفيه تخلدون، واتَّقوا الله الذي إليه تُحشرون، وعليه تُعرضون»[2] قال علقمة: فانصرفَ القومُ من عند رسولِ الله ﷺ وقد حَفظوا وصيَّتَهُ، وعملوا بها، ولا واللهِ يا أبا سليمان ما بقيَ من أبناء أولئك القوم غيري. ثمَّ قال: اللَّهُمَّ، اقبضني إليكَ غيرَ مُبدِّلٍ ولا مُغيِّرٍ. قال أبو سليمان: فماتَ واللهِ بعد أيامٍ قلائل.

ورُوِيَ أن رجلاً جاءَهُ يومًا، فقال له: يا أبا الحسن، ولِدَ لي البارحةَ مَولودٌ، وما عندنا شيءٌ نُنفقُه. فقال له أحمد: ما أَصبحتُ أَملِكُ شيئًا غيرَ هذين القميصين، فخذْ أَحدَهما. ثمَّ نظرَ أيُّهما أَجدُّ، فقال: السُّفلاني أجدُّ من الفوقاني، وهذا يبلغ لك ثمنًا جيدًا[3] ثمَّ اعتزلَ إلى حائطِ المسجد، فنَزعَ القميص السُّفلاني، ولبسَ الفوقاني، فأخذَهُ الرَّجلُ ومضى، وخرج أحمد من باب جَيْرُون[4]، فلمَّا صارَ إلى الدَّرجِ، لقيه رجلٌ، فسلَّم عليه،

---

(١) في (ب)، وكتاب الزهد للبيهقي: ومناجزة.

(٢) أخرجه أبو نعيم في الحلية ٩/ ٢٧٩، والبيهقي في الزهد ٣٥٣ (٩٧٠)، وابن الجوزي في صفة الصفوة ٤/ ٢٣٣، وعبد الكريم الرافعي القزويني في التدوين في أخبار قزوين ٢/ ٧٤ قال العراقي في تخريج الإحياء ١/ ٣٢: إسناده ضعيف. وقال الذهبي في الميزان: علقمة بن يزيد بن سويد عن أبيه عن جده، لا يعرف، وأتى بخبر منكر لا يحتج به.

(٣) في (ب): وهذا يباع لك بثمن جيد.

(٤) باب جيرون: هو الباب الشرقي للجامع الأموي، وفيه فوّارة ينْزل عليها بدُرجٍ كثيرة في=

وقال له: عُمير بن جَوْصا يقرأُ عليه السَّلام، ويقولُ لك: هذه ثلاثون دينارًا انتفعْ بها. فقال أحمد: أَعطيتُ قميصًا وجَّهَ إليَّ ثلاثين دينارًا، ما هذه الغفلةُ!؟. ثمَّ صرخَ صرخةً عظيمةً، ورمى بنفسه، فلو لم يُمسكوه لتهشَّمَ وجهُهُ[1]

* * *

= حوض من رخام، وقُبَّة خشبٍ يعلو ماؤها نحو رمح. معجم البلدان (جيرون).

(١) المختار ٢/٢٩٣، طبقات الأولياء ٣٤.

(١٨) أبو حفص عمرو بن سلمة الحداد(*)

ومنهم: أبو حفص عمرو بن سلم(١)، والأصحُّ أنَّه عمرو بن سَلَمة الحدَّاد النَّيسابوري، من أهلِ قريةٍ يُقال لها كُورْدَاباذ(٢) بباب مدينة نَيسابور على طريق بُخارى(٣)

صحب: عبد الله(٤) بن مهدي الأَبيوَرْدي وعليًّا النَّصراباذي، ورافق أحمدَ بن خَضْرَويه البلخي، وإليه يَنتمي شاهُ بن شجاع الكرماني.

وكان أحدَ الأئمة والسَّادة من كبارِ المشايخ المُشار إليهم في هذا الفن.

مات سنة سبعين ومئتين، ويقال: سنة سبعٍ وستين، ويقال: أَربعٍ وستين ومئتين(٥)

وقال: المعاصي بَريدُ الكفر، كما أنَّ الحُمَّى بَريد الموت(٥)

وقال مُخَمِّش الجلاَّب: صحبتُ أبا حفص اثنتين وعشرين سنةً،

(*) طبقات الصوفية ١١٥، حلية الأولياء ١٠/ ٢٢٩، الرسالة القشيرية ٦٥، صفة الصفوة ٤/ ١١٨، المنتظم ٥/ ٥٣، المختار من مناقب الأخيار ٤/ ١٢٠، سير أعلام النبلاء ١٢/ ٥١٠، العبر ٢/ ٣١، مرآة الجنان ٢/ ١٧٩، البداية والنهاية ١١/ ٣٨، طبقات الأولياء ٢٤٨، النجوم الزاهرة ٣/ ٤١، ٦٦، نفحات الأنس ٨٧، طبقات الشعراني ١/ ٨٢، الكواكب الدرية ١/ ٦٨٥، شذرات الذهب ٢/ ١٥٠

(١) في (أ): سالم.

(٢) انظر مراصد الاطلاع ٢/ ٥٢٠.

(٣) طبقات الصوفية ١١٥

(٤) وفي طبقات الصوفية ١١٥ عبيد الله، وانظر المختار ٤/ ١٢٠، نفحات الأنس ٩١

(٥) طبقات الصوفية ١١٦.

ما رأيتُهُ ذكرَ الله على حَدِّ الغفلةِ والانبساط، وما كان يَذكر إلاَّ على سبيلِ الحضور والتَّعظيمِ والحُرمة، وكان إذا ذكرَ الله تغيَّرَ عليه حالُه، حتَّى كان يَرى ذلك منه جميعُ من حضره[1]

وقال مرَّةً وقد ذكرَ اللهَ وتغيَّر حاله، فلمَّا رجعَ قال: ما أَبعد ذكرَنا عن ذكرِ المُحقِّقين! وما أظنُّ مُحقِّقًا يذكرُ الله على غيرِ غفلةٍ، ثمَّ يبقى بعد ذلك حيًّا إلاَّ الأنبياء عليهم السَّلام؛ فإنَّهم أُيِّدوا بقوَّةِ النُّبوَّةِ، وخواصَّ الأولياء بقوةِ ولايتهم[1]

وقال أبو عثمان: كنَّا مع أستاذنا أبي حفص خارجَ نيسابور، فتكلَّمَ علينا الشَّيخُ، فطابتْ نفوسُنا، فإذا بأَيِّلٍ[2] قد نزلَ الجبل، وبركَ بين يدي الشَّيخ، فأبكاه ذلك بُكاءً شديدًا، وذهب الأَيِّل، فلمَّا سكنَ الشَّيخ، سألناه: فقلنا له: يا أستاذ، ما الذي أَزعَجك، وأيشِ الخبر؟ قال: لمَّا رأيتُ اجتماعَكم حولي، وقد طابتْ نفوسُكم[3]، وقعَ في نفسي: لو أنَّ لي شاةً ذبحتُها لكم، ودعوتُكم عليها، فما استقرَّ هذا الخاطرُ في نفسي حتَّى جاءَ هذا الأيِّلُ، فبَركَ بين يديّ، وقال بلسانِ الإشارة: احكمْ فيَّ بما شئتَ. فخُيِّلَ إليَّ أنني مثلُ فرعون الذي سألَ الله أن يُجري له النِّيلَ، فأجراه له مع حافر فرسه. فقلتُ: ما يُؤمِنُني أن يكونَ الله مُوفِّيني كلَّ حظٍّ في الدُّنيا، وأبقى في الآخرةِ فقيرًا لا شيءَ لي، فهو الذي أَزعجني[4]

وقال: مِنْ هوانِ الدُّنيا عليَّ أنِّي لا أبخلُ بها على أحدٍ، ولا أَبخلُ بها على نفسي لاحتقارها واحتقارِ نفسي عندي[5]

---

(١) طبقات الصوفية ١١٦

(٢) الأيِّل: الذكر من الأوعال. اللسان (أول).

(٣) في (ب): طابت نفسي.

(٤) صفة الصفوة ٤/ ١٢١، طبقات الأولياء ٢٥٠، المختار ٤/ ١٢١.

(٥) طبقات الصوفية ١١٧.

وقال محمد بنُ بَحر السُّحيني[1]: كنتُ أخافُ الفقرَ، مع ما كنت أَملِكُ من المال، فقال لي يومًا أبو حفص: إنْ قضى اللهُ عليك الفقرَ لا يَقدرُ أَحدٌ أن يُغنيك[2] فذهب خوفُ الفقر من قلبي رأسًا[3]

وقال: الفقيرُ الصَّادق الذي يكونُ في كلِّ وقتٍ بحُكْمِهِ، فإذا وردَ عليه واردٌ يَشغلُهُ عن حُكم وقته، فيستوحش منه وينفيه[4]

و: الفقرُ إلى الله عزٌّ، والفقرُ إلى الأشكالِ ذلٌّ[5]

و: ما أحسنَ الاستغناءَ بالله!، وأقبحَ الاستغناءَ باللِّئام![6]

وكان أبو حفص إذا غضبَ، تكلَّمَ في حُسنِ الخلق حتَّى يَسكُنَ غضبُهُ، ثمَّ يرجعُ إلى حديثه[6]

ورُويَ أنَّه اجتمعَ عنده مشايخُ بغداد وقتَ قدومِهِ إليها، وسألوه عن الفتوَّةِ، فقال: تكلَّموا أنتم، فإنَّ لكم العبارةَ واللِّسان. فقال الجُنيد: الفُتوَّةُ إسقاطُ الرُّؤية، وتركُ النِّسبةِ. فقال أبو حفص: ما أحسنَ ما قلتَ! ولكنَّ الفُتوَّة عندي أداءُ الإنصاف، وتركُ مطالبةِ الانتصاف. فقال الجُنيد: قوموا يا أصحابَنا، فقد زادَ أبو حفص على آدم عليه السَّلام وذُرِّيته[6]

فـ: لمَّا أرادَ الخروجَ من بغداد، شيَّعه مشايخُها وفتيانُها، فلمَّا أرادوا أن يُفارقوه، قال له بعضُهم: دُلَّنا على الفُتوَّة، ما هي؟ فقال: الفُتوَّةُ تُؤخذُ استعمالاً ومُعاملةً لا نُطقًا. فعجبوا من كلامه[7]

---

(١) في طبقات الصوفية ١١٧: الشُّجيني.
(٢) في (أ): يعينك.
(٣) طبقات الصوفية ١١٧
(٤) طبقات الصوفية ١١٧، تهذيب الأسرار ١٦٠، وفي التهذيب و(أ): ويتقيه.
(٥) في طبقات الصوفية ١١٧ ما أعزَّ الفقرَ إلى الله، وأذلَّ الفقر إلى الأشكال.
(٦) طبقات الصوفية ١١٧
(٧) طبقات الصوفية ١١٨.

فـ: قيل له: ما علامةُ الفتى؟ قال: من يرى الفتيانَ، ولا يَستحيي منهم في شمائله وأفعاله[١]، فهو فتى[٢]

وقال: ما دخلَ قلبِي حقٌّ ولا باطلٌ منذ عرفت الله[٣]

و: تركتُ العملَ، فرجعتُ إليه ثم تركني العمل، فلم أرجع إليه[٤]

وقال: الكرمُ طرحُ الدُّنيا لمن يَحتاجُ إليها، والإقبالُ على الله لاحتياجك إليه[٥]

وقال: من تجرَّعَ كأسَ الشَّوق، يَهيمُ هُيامًا، لا يفيقُ إلاَّ عند المشاهدةِ واللُّقاء[٥]

وقال رجلٌ: إنَّ فلانًا من أصحابك أبدًا يدُورُ حولَ السَّماع، فإذا سمعَ بكَى وصاح، ومزَّقَ ثيابَه. فقال: أيشٍ يعملُ الغريق؟ يتعلَّقُ بكلِّ شيءٍ يظنُّ فيه نجاته[٥]

وقال المُرتعش: دخلنا مع أبي حفص على مريضٍ نَعودُه، ونحن جماعةٌ، فقال للمريضِ: أتحبُّ أن تَبْرأَ؟ فقال: نعم. فقال لأصحابه. تحمَّلوا عنه. فقام المريضُ وخرج معنا، وأصبحنا أصحابَ فُرشٍ نُعاد[٦]

وقال: حرستُ قلبِي عشرين سنةً، ثمَّ حَرسني قلبِي عشرين سنةً، ثمَّ وردتْ حالةٌ، فصرنا فيها جميعًا محروسَيْنِ[٧]

---

(١) في (أ): شمائلهم وأفعالهم.
(٢) طبقات الصوفية ١١٨
(٣) طبقات الصوفية ١١٨، الرسالة القشيرية ٤٣٩ (المعرفة).
(٤) طبقات الصوفية ١١٨، الرسالة القشيرية ١٧٠ (التوبة).
(٥) طبقات الصوفية ١١٩
(٦) المختار ٤/ ١٢١، طبقات الأولياء ٢٥١، وفي (أ): وخرج، وأصحابنا كلهم أصحاب فرشٍ يعادون.
(٧) طبقات الصوفية ١١٩، المختار ٤/ ١٢٢، وفي (أ): عشرين ليلةً.

وقال: إذا رأيتَ المُحبَّ ساكنًا هادئًا، فاعلم أنَّه قد وردَت عليه غَفلةٌ؛ فإنَّ المُحَبَّ لا يَتركُ صاحبَهُ يهدأ؛ بل يُزعجُه في الدُّنوِّ والبُعد، واللِّقاءِ والحجاب[1].

وقال: التَّصوُّفُ كلُّه أدب، ولكلِّ وقتٍ أدبٌ، ولكلِّ حالٍ أدبٌ، ولكلِّ مقامٍ أدب، فمن لزم آدابَ الأوقاتِ، بلغَ مَبلغَ الرِّجال، ومن ضيَّعَ الأدب، فهو بعيدٌ من حيثُ يظنُّ القُربَ، ومردودٌ من حيثُ يظنُّ القبولَ[2].

وقال: حُسنُ أدبِ الظَّاهر عنوانُ حُسنِ أدبِ الباطن؛ لأنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: «لو خشعَ قلبُهُ، لخشعتْ جوارحُهُ»[3].

وقال: قال بعضُ الحكماء: إنِّي لأعدُّ كلامي فيما لا بدَّ لي منه مُصيبةً واقعةً بي، أستعين الله على أداء تكفيرها، إذ علمت[4] أن من وراء كلِّ كلمةٍ رقيبًا عتيدًا.

وقال: من يأخذُ ويُعطي فهو رجل، ومن يُعطي ولا يأخذ فهو نصفُ رجلٍ، ومن لا يأخذُ ولا يُعطي فهو هَمَجٌ لا خير فيه. فسُئل عن معنى هذا الكلام، فقال: من يأخذ من اللهِ ويُعطي للهِ فهو رجلٌ؛ لأنَّه لا يَرى فيه نفسَه بحالٍ، ومن يُعطي ولا يأخذ فهو نصفُ رجلٍ؛ لأنَّه يَرى نفسَه في ذلك [فيرى أنّ له بأنْ لا يأخذَ فضيلة]، ومن لا يأخذُ ولا يُعطي فهو هَمَجٌ؛ لأنَّه

---

(١) طبقات الصوفية ١١٩، وفيه، وفي (ب): فإن الحبَّ.

(٢) طبقات الصوفية ١١٩

(٣) روى الحكيم الترمذي في النوادر عن أبي هريرة قال: رأى رسول الله ﷺ رجلاً يعبث بلحيته في الصَّلاة، فقال: «لو خشع...» قال الزين العراقي في شرح الترمذي عن رواية الحكيم: وفيه سليمان بن عمر متفق على ضعفه، وإنما يعرف هذا عن ابن المسيب. فيض القدير ٥/ ٣١٩

وروا البيهقي في السنن الكبرى ٢/ ٢٨٥ عن سعيد بن المسيب. وانظر الخبر في طبقات الصوفية ١٢٢، الرسالة القشيرية ٤٠٧ (الأدب)، المختار ٤/ ١٢٤.

(٤) في (أ): إذا علمت. رقيب عتيد.

يَظنُّ أنَّه الآخذَ والمُعطي دون الله تعالى[1]

وقال: ما استحقَّ اسمَ السَّخاءِ من ذَكَرَ العطاءَ أو لَمَحَهُ بقلبه[1]

وسُئل عن قوله تعالى: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ [النساء: ١٩]، فقال: المُعاشرةُ بالمعروف حُسنُ الخلقِ مع العيالِ فيما أساءَكَ، ومن كرهتَ صحبتَها[1]

وسُئل عن البخل، فقال: تركُ الإيثارِ عند الحاجة إليه[1]

وسُئل عن الوَليِّ، فقال: من أُيِّد بالكراماتِ، وغُيِّبَ عن البدعةِ[2]

وسُئل عن البدعة، فقال: التَّعدِّي في الأحكام، والتَّهاونُ بالسُّنن، واتِّباعُ الآراء والأهواء، وترك الاتِّباعِ والاقتداء[3]

و: ما ظهرت حالةٌ عَاليةٌ إلاَّ من ملازمةِ أصلٍ صحيح[4]

وسُئل عن أحكامِ الفقر، وآداب الفقراء[5]، فقال: حفظُ حرمات المشايخ، وحسنُ العِشرة مع الإخوان، والنَّصيحةُ للأصاغر، وتركُ الخصومات في الإرفاق[6]، وملازمةُ الإيثار، ومُجانبةُ الادِّخار، وتركُ صُحبةِ من ليس من طبقتهم، والمعاونةُ في أمرِ الدِّين والدُّنيا[7]

وسُئل عن التَّوبة، فقال: ليس للعبد في التَّوبة شيءٌ، لأن التَّوبةَ إليه، لا منه[8]

وقال: العاقلُ من طالبَ نفسَهُ بالإخلاص.

---

(١) طبقات الصوفية ١٢٠، وما بين معقوفين مستدرك منه.
(٢) في (أ)، وطبقات الصوفية ١٢١ وغُيِّب عنها.
(٣) طبقات الصوفية ١٢٢
(٤) في (أ): حالة غالية، وانظر طبقات الصوفية ١٢١
(٥) في (ب): وأكابر الفقراء.
(٦) في طبقات الصوفية: في الأرزاق.
(٧) طبقات الصوفية ١٢١
(٨) الرسالة القشيرية ١٧٥ (التوبة). وفي (ب): إليه منه.

و: العبوديةُ تركُ ما لَكَ، والالتزامُ بما أُمرتَ به[1]

و: من رأى فضلَ الله عليه في كلِّ حالٍ، أَرجو أن لا يَهلكَ[2]

وسُئل عن الرِّجال، فقال: هم القائمون مع الله بوفاءِ العهد؛ قال الله تعالى: ﴿رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ﴾[3] [الأحزاب: ٢٣].

وقال: الإيثارُ أن تُقدِّمَ حظوظَ الإخوان على حظِّك، في أَمرِ آخرتك ودنياك[3]

وقال: لا أدَّعي الخُلُقَ؛ فإنِّي أُحسُّ من نفسي سُرعةَ الغضبِ، وإن لم أُظهرْه، ولا أدَّعي السَّخاءَ؛ لأنِّي لستُ آمنُ من نفسي أن تُلاحظَ فعله، أو تلتفتَ إليه، أو تذكرَ عطاءهُ وقتًا ما[4]

وقال: إذا رأيتَ المُريدَ يُحبُّ السَّماع، فاعلم أنَّ فيه بقيةً من البطالة[5]

وقال: من لم يَزنْ أفعالَه وأحوالَه في كلِّ وقتٍ بالكتابِ والسُّنة، ولم يتَّهم خواطرَه، فلا تَعُدَّه في ديوان الرِّجال[6]

وقيل له: لِمَ يُبغضُ التَّائبُ الدُّنيا؟ فقال: لأنَّها دارٌ باشرَ فيها الذُّنوب. فقيل له: قد مَحاها بالتَّوبة، وهي أيضًا دارُ الكرامة، أكرمَهُ الله[7] فيها بالتَّوبة. فقال: إنَّه من الذَّنبِ على يقين، ومن قَبولِ التَّوبةِ على خطر[8]

وقال: النَّفسُ ظُلمةٌ كلُّها، وسِراجُها سِرُّها، ونورُ سِراجها التَّوفيقُ،

---

(١) طبقات الصوفية ١٢١، حلية الأولياء ١٠/ ٢٣٠، صفة الصفوة ٤/ ١٢٠

(٢) طبقات الصوفية ١٢١

(٣) طبقات الصوفية ١٢٢

(٤) طبقات الصوفية ١٢٢، وفي (أ): تلاحظ فعلها. عطاءه وقياماً.

(٥) الرسالة القشيرية ٦٥، طبقات الأولياء ٢٤٩

(٦) حلية الأولياء ١٠/ ٢٣٠، الرسالة القشيرية ٦٥

(٧) في (ب): أيضًا دارٌ أكرمَهُ الله فيها.

(٨) تهذيب الأسرار ٩٩، المختار ٤/ ١٢٦

فمن لم يَصحبْهُ التَّوفيقِ في سرِّه من ربِّه، كان في ظُلمةٍ كلّه[1]

و: ما أسرعَ هلاكَ مَنْ لا يَعرفُ عَيبَ نفسه![2]

وقال: التَّقوى في أكلِ الحلال المَحض لا غير[3]

وقال: الخوف سَوطُ الله، يُقوّمُ به الشّاردين عن بابه[4]، وهو سِراجُ القلب، به يُبصِرُ ما فيه من الخيرِ والشَّر[5]

وقال: من لم يتّهم نفسَه على دوامِ الأوقات، ولم يُخالفْها في جميعِ الأحوال، ولم يجرّها إلى مكروهها في سائر أيامه، كان مَغرورًا، ومن نظرَ إليها باستحسانِ شيءٍ منها، فقد أهلَكَها، وكيف يصحُّ لعاقلٍ الرّضا عن نفسه؟! والكريمُ ابنُ الكريم [ابن الكريم ابن الكريم يوسف بنُ يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم] يقول: ﴿۞ وَمَآ أُبَرِّئُ نَفۡسِيٓۚ إِنَّ ٱلنَّفۡسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓۚ﴾[6] [يوسف: ٥٣].

وقال: العبوديةُ زينةُ العبدِ، فمن تركَها تَعطَّلَ من الزّينة[7]

وقال: ليس لأحدٍ أن يدَّعي الفِراسة؛ ولكنْ يتَّقي الفِراسةَ من الغير، لأنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: «اتقوا فِراسةَ المؤمن؛ فإنَّه يَنظرُ بنورِ الله»[8] ولم يقلْ: تفرّسوا. وكيف تَصحُّ دعوى الفِراسة لمن هو في محلِّ اتِّقاءِ الفِراسة؟![9]

(١) الرسالة القشيرية ١٨١ (المجاهدة)، المختار ٤/ ١٢٦

(٢) المختار ١/ ١٢٦ الكواكب الدرية ١/ ٦٨٧

(٣) الرسالة القشيرية ١٩٠ (التقوى)، المختار ٤/ ١٢٦

(٤) في تهذيب الأسرار. من عباده.

(٥) تهذيب الأسرار ١٤٢، المختار ٤/ ١٢٦، وانظر الرسالة القشيرية ٢١٣ (الخوف).

(٦) الرسالة القشيرية ٢٤٧ (مخالفة النفس).

(٧) الرسالة القشيرية ٣٠٤ (العبودية).

(٨) انظر تخريج الحديث صفحة ٣٥٣

(٩) الرسالة القشيرية ٣٤٧ (الفراسة)، تهذيب الأسرار ٣٢٤.

ورُويَ أنَّه دخلَ مكَّةَ، فرأى جماعةً، فأراد أن يبرَّهم بشيءٍ، فلم يكن يُفتحُ له بشيءٍ، فلمَّا جنَّ اللَّيلُ، أخذ كفًّا من حجارةِ المسجدِ، وقال: وعزَّتِكَ، إن لم تَفتحْ لي بشيءٍ لأكسرنَّ القناديل. قال: وأَخَذَ في الطَّواف، فناوله إنسانٌ صُرَّةً، فقضى بها حاجتَهُ[1]

وسُئل عن الخُلُق، فقال: ما اختاره اللهُ لنبيِّهِ عليه السَّلام في قوله: ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾[2] [الأعراف: ١٩٩].

وقيل له: بماذا يَقدمُ الفقيرُ على ربِّه؟ فقال: وما للفقيرِ أن يَقدمَ به سوى فقره؟!![3]

و: أحسنُ ما يتوسَّلُ به العبد إلى مولاه دوامُ الفقرِ إليه في جميعِ الأحوال، ومُلازمةُ السُّنة في كلِّ الأفعال، وطلبُ القوتِ من وجهٍ حلال[4]

وقال: لا يصحُّ لأحدٍ الفقرُ حتَّى يكونَ العطاءُ أحبَّ إليه من الأخذ، وليس السَّخاءُ أن يُعطيَ الواجِدُ المُعْدَمَ، إنَّما السَّخاءُ أن يُعطي المُعْدَمُ الواجدَ[5]

وقيل: لمَّا دخلَ أبو حفص بغدادَ قال له الجُنيد: لقد أدَّبتَ أصحابَكَ أدبَ السَّلاطين. فقال له أبو حفص: حُسنُ الأدبِ في الظَّاهرِ عنوانُ حُسنِ الأدبِ في الباطن[6]

وقال الجُنيد: لمَّا دخلَ أبو حفص بغدادَ، كان معه رجلٌ أصلعُ،

---

(١) تهذيب الأسرار ٤١٠، المختار ٤/ ١٢١، وذكر القصة بنحوها الجامي في نفحات الأنس ٣٢٨. عن جعفر الخلدي قال: كنت في بيت المقدس فرأيت رجلاً..

(٢) الرسالة القشيرية ٣٥٧ (الخلق).

(٣) الرسالة القشيرية ٣٩١ (الفقر)، تهذيب الأسرار ١٥٦

(٤) الرسالة القشيرية ٣٩٣ (الفقر).

(٥) الرسالة القشيرية ٣٩٥ (الفقر)، المختار ٤/ ١٢٧

(٦) الرسالة القشيرية ٤٠٧ (الأدب)، طبقات الأولياء ٢٥٠، وفي تهذيب الأسرار ٢١٤: لا يا أبا القاسم، ولكن حسن الأدب.

لا يتكلَّمُ بشيءٍ، فسألتُ أصحابَهُ عن حاله، فقالوا: هذا رجلٌ أَنفقَ عليه مئةَ ألف درهم، واستدانَ مئة ألف أخرى أنفقَها عليه، لا يُرخِّصُ له أبو حفص أن يتكلَّمَ بحرف[1]

وقال له بعضُ أصحابهِ عند موته: ما الذي تَعظِنا به؟ فقال: لستُ أَقوى على القول. ثمَّ رأى من نفسهِ قوَّةً، فقلتُ له: قلْ، حتَّى أحكي عنك. فقال: الانكسارُ بكلِّ القلبِ على التَّقصير[2]

وقال أبو عثمان الحِيري. سمعتُ أبا حفصٍ كثيرًا يقول: [أكثر] فساد الأحوالِ من ثلاثةٍ: فِسقُ العارفين، وخيانةُ المُحبِّين، وكَذِبُ المريدين. قال أبو عثمان: فِسقُ العارفين إطلاقُ الطَّرفِ واللِّسان، والسَّمع إلى أسبابِ الدُّنيا ومنافعها، وخيانةُ المُحبِّين اختيارُ هواهم على رضا اللهِ فيما يستقبلُهم، وكَذِبُ المريدين أن يكونَ ذكرُ الخلقِ ورؤيتُهم أَغلبَ عندهم على ذكرِ الله تعالى ورؤيته[3]

وسُئل: أيُّ الحالين للوليِّ أفضلُ، الصَّمتُ أو النُّطق؟ فقال: لو علمَ النَّاطقُ ما آفةُ النُّطقِ، لصمتَ إن استطاعَ عُمْرَ نوحٍ، ولو علمَ الصَّامتُ ما آفةُ الصَّمتِ، لسألَ الله تعالى ضعفي عُمْر نوح حتَّى يَنطق[4]

وقال: إنَّ اللهَ دعا الخلقَ إليه من أربعةِ أبوابٍ، دعاهم من بابِ الرِّضا، فما أجابوه إلَّا قليلًا، ثمَّ دَعاهم من باب الصَّبر، فما أَجابوه إلَّا قليلًا، ثمَّ دعاهم من بابِ الذِّكر، فقال: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾ [البقرة: ١٥٢]. يعني على دائمِ الوقت، فكاعوا[5] عن ذلك أن يذكروه على دائمِ الوقت، فما أجابوه إلَّا قليلًا، ثمَّ دعاهم من باب رابعٍ وهو حُسنِ الظَّنِّ بالله، فقال: «لا يَموتنَّ

---

(١) الرسالة القشيرية ٤٢٠ (الصحبة)، المختار ٤/ ١٢٢

(٢) الرسالة القشيرية ٤٣٧ (أحوالهم عند الخروج من الدنيا).

(٣) الرسالة القشيرية ٤٥٦ (المحبة).

(٤) تهذيب الأسرار ٤٥٥.

(٥) كاعوا: جبنوا

أحدُكم إلاَّ وهو يُحسنُ الظَّنَّ بالله»[1] فأجابوه[2]

ورُوِيَ أنَّ الجُنيد ذكرَ أبا حفصٍ يومًا، فقال: لقد كانَ رجلاً من أهل الحقائق، ولو رأيتَهُ لاستغنيتَ به، فإنَّه كان يتكلمُ من غورٍ بعيد؛ لأنَّه كان من أهلِ العلم البالغين، وأهلُ خراسان شيوخهم، وأحوالهم، وأمورهم، وحقائقهم بالغةٌ جدًا، فكذلك أتباعُهم أيضًا أشباهٌ لهم في الحال.

ولقد قال له يومًا رجلٌ من أصحابه: كان مَنْ مضى من المشايخ لهم الآياتُ الظَّاهرة، وليسَ لك من ذلك شيئًا! فقال له: تعالَ. فجاء به إلى سوقِ الحدَّادين، إلى كُورٍ عظيمٍ مُحمّى، فيه حديدةٌ عظيمة، فأدخلَ يدَه، فأخذها حتَّى بردتْ في يده، ثمَّ قال له: أَيجزِئُك هذا؟ قال: فأعظمَ ذلك وأكبره، ثمَّ مضى[3]

وقال: إذا رأيتَ ضوءَ الفقيرِ في ثوبه، فلا يُرجى خيرُه.

* * *

---

(١) رواه أحمد في المسند ٣/ ٢٩٣، ومسلم (٢٨٧٧) في الجنَّة وصفتها، باب الأمر بحسن الظن بالله عند الموت، وأبو داود (٣١١٣)، وابن ماجه (٤١٦٧).

(٢) المختار ٤/ ١٢٧

(٣) صفة الصفوة ٤/ ١١٨، والمختار ٤/ ١٢٢

(١٩) أبو تراب النَّخْشَبي (*)

ومنهم: أبو تُراب عَسْكَر بن حُصين، ويقال له عَسْكر بن محمد بن حُصين النَّخْشَبي، رحمه الله.

صَحِبَ: حاتم الأصمّ، وأبا حاتم العطَّار البصري، رحمه الله.

وهو من جِلَّةِ[1] مشايخ خُراسان المذكورين، وكبارِهم المشهورين بالعلم والفتوَّة، والتَّوكُّل، والزُّهد، والورع.

مات بالباديةِ، فنهشتهُ السِّباع، سنةَ خمسٍ وأربعين ومئتين[2].

قال ابن الفَرَجي: رأيتُ حول أبي تُراب من أصحابِه عشرين ومئة أصحابِ ركوة، قعودٌ حول الأساطين، ما مات منهم على الفقرِ إلاَّ أبو عُبيد البُسري، وابن الجلاء، رحمهما الله[2].

وقال أبو عبد الله ابن الجلاَّء: لقيت ستَّ مئة شيخٍ، ما لقيتُ فيهم مثلَ أربعةٍ، أوَّلُهم أبو تُراب النَّخْشَبي[3].

(*) طبقات الصوفية ١٤٦، تاريخ أصبهان ٢/١٤٦، حلية الأولياء ١٠/٤٥ و٢١٩، تاريخ بغداد ١٢/٣١٥، الرسالة القشيرية ٦٥، طبقات الحنابلة ١/٢٤٨، الأنساب ١٢/٦٠، صفة الصفوة ٤/١٧٢، المختار من مناقب الأخيار ٢/٧، مختصر تاريخ ابن عساكر ١٧/٥٠، سير أعلام النبلاء ١١/٥٤٥، العبر ١/٤٤٥، طبقات السبكي ٢/٣٠٦، طبقات الأولياء ٣٥٥، النجوم الزاهرة ٢/٣٢١، نفحات الأنس ٧٦، طبقات الشعراني ١/٨٣، الكواكب الدرية ١/٥٤٢، شذرات الذهب ٢/١٠٨

(١) في (أ): من جملة.

(٢) طبقات الصوفية ١٤٧

(٣) والثلاثة الآخرون: أبو يحيى الجلاء، وأبو عبيد البُسري، وذو النُّون المصري. طبقات=

وقال: أيُّها النَّاس، أنتم تحبُّون ثلاثةً، وليستْ لكم: النَّفْسَ، والرُّوحَ، وهما لله، والمالَ، وهو للورثة، وتَطلبون اثنين ولا تجدونهما، الفرحَ والرَّاحة، وهما في الجنَّة[1]

وقال: أشرفُ القلوبِ قلبٌ حيٌّ بنورِ الفَهْم عن الله.

و: سببُ الوصولِ إلى الله سبع عشرة درجة، أدناها الإجابة، وأعلاها التَّوكُّلُ على الله بحقيقته[2]

و: ليس من العبادات شيءٌ أنفعَ من إصلاحِ خواطر القلوب[2]

و: التَّوكُّلُ طمأنينةُ القلبِ إلى الله[3]

وقال له رجلٌ: أَلَك حاجةٌ؟ فقال له: يومَ يكونُ لي إليكَ حاجةٌ وإلى أمثالِكَ لا يكونُ لي إلى اللهِ حاجةٌ[4]

وقال: الفقيرُ قوتُهُ ما وجد، ولباسُهُ ما ستر، ومَسكنُهُ حيث نزل[5]

وقال: حقيقةُ الغِنى أنْ تستغني عمَّن هو مِثْلُكَ، وحقيقةُ الفقرِ أنْ تفتقرَ إلى من هو مِثْلُكَ[6]

وقال: الذي منع الصَّادقين الشَّكوى إلى غيرِ الله، الخوفُ من اللهِ[6]

وقال: إن اللهَ يُنطقُ العلماءَ في كلِّ زمانٍ بما يُشاكلُ أعمالَ أهلِ ذلك الزَّمان[7]

= الشَّافعية ٢/ ٣٠٧. وانظر طبقات الصوفية ١٤٧، تاريخ بغداد ١٢/ ٣١٦.

(١) طبقات الصوفية ١٤٨

(٢) طبقات الصوفية ١٤٩

(٣) طبقات الصوفية ١٥٠، تهذيب الأسرار ١٣٥

(٤) طبقات الصوفية ١٥٠

(٥) طبقات الصوفية ١٤٩

(٦) طبقات الصوفية ١٥٠

(٧) طبقات الصوفية ١٥١.

وقال: احفظْ همَّكَ؛ فإنَّه مقدِّمةُ الأشياء، فمن صحَّ له همُّهُ صحَّ له ما بعد ذلك من أفعاله وأحواله[١]

و: القناعةُ أخذُ القوتِ من الله[١]

وقال: من استفتحَ أبوابَ المعاشِ بغيرِ مَفاتيحِ الأقدار، وُكِلَ إلى حَوْله وقوَّته. فسُئل: ما مفاتيحُ الأقدار؟ قال: الرِّضا بما يَرِدُ عليه في كلِّ وقتٍ من أسبابِ الغيب[١]

وقال: إذا صدقَ العبدُ في العملِ، وجد حلاوتَهُ قبلَ أن يعملَهُ[٢]

و: إذا أخلصَ فيه، وجدَ حلاوتَهُ وقتَ مُباشرة العمل[٣]

وقال: مَنْ شغلَ مَشغولاً بالله عن الله، أدركه المَقْتُ من ساعتِهِ[٤]

وكان أبو تُراب إذا رأى من أصحابِهِ ما يكره، زادَ في اجتهاده، وجدَّدَ توبتَهُ، ثمَّ يقول: لشؤمي دُفعوا إلى ما دُفعوا إليه، لأنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ يقول: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾[٥] [الرعد: ١١].

وقال لأصحابه: مَنْ لبس منكم مرقَّعةً، فقد سألَ النَّاسَ، ومَنْ قَعَدَ في المسجدِ أو خانكاه[٦]، فقد سألَ، ومَنْ قرأَ القرآنَ من مُصحفٍ، أو كيما يُسمع النَّاس، فقد سألَ النَّاسَ[٧]

---

(١) طبقات الصوفية ١٥١
(٢) طبقات الصوفية ١٤٩
(٣) حلية الأولياء ١٠/ ٥٠، الرسالة القشيرية ٦٦
(٤) طبقات الصوفية ١٤٩، المختار ٢/ ١٥
(٥) الرسالة القشيرية ٦٦، المختار ٢/ ٩
(٦) الخانكاه، الخانقاه: بقعة يسكنها أهل الصلاح والخير، وقد أحدثت في حدود سنة الأربع مئة للهجرة، انظر تاج العروس.
(٧) حلية الأولياء ١٠/ ٤٦، الرسالة القشيرية ٦٦

وقال: بيني وبين اللهِ عهدٌ أن لا أمدَّ يدي إلى طعامِ حرامٍ إلاَّ قصَرت يدي عنه[1]

ونظر يومًا إلى بعض أصحابِهِ، وقد مدَّ يدَه إلى قشرِ بِطِّيخٍ، وكان قد طوى ثلاثةَ أيام، فقال له: تمدُّ يدكَ إلى قِشرِ بِطِّيخٍ؟! أنتَ لا يَصلحُ لك التَّصوف، الزمِ السّوقَ[2]

وقال: ما تمنَّتْ عليَّ نفسي قطُّ إلاَّ مرَّة، تمنَّتْ عليَّ خبزًا وبيضًا، وأنا في السَّفر، فعدلتُ عن الطَّريقِ إلى القرية، فوثبَ رجلٌ، فتعلَّقَ بي، وقال: كان هذا مع اللُّصوص. فبَطحوني وضَربوني سبعين خشبةً، فوقفَ علينا رجلٌ، فصرخَ وقال: هذا أبو تُرابِ النَّخْشَبِي. فخلُّوني، واعتذروا إليَّ، وأَدخلني الرَّجل منْزلَهُ، وقدَّمَ إليَّ خبزًا وبيضًا، فقلت: كُلْها بعد سبعين جلدةً[3]

وحكى ابنُ الجلاء، قال: دخلَ أبو تُراب مكَّةَ طيِّبَ النَّفس، فقلتُ له: أين أكلتَ، أيُّها الأستاذ؟ فقال: أكلتُ بالبصرة، وأكلتُ بالنُّبَاج[4]، وأكلةً ههنا[5]

وقال: لا أعلمُ شيئًا أضرَّ بالمُريدين من أَسفارهم على متابعةِ قلوبِهم ونفوسِهم، وما فسدَ مَنْ فَسَدَ من المُريدين إلاَّ بالأسفار الباطلة[6]

وقال: شرطُ التَّوكُّلِ طرحُ البدن في العبودية، وتعلُّقُ القلبِ بالرُّبوبية، والطَّمأنينةُ إلى الكفاية، فإن أُعطي شَكَرَ، وإنْ مُنع صَبَرَ[7]

---

(١) حلية الأولياء ١٠/ ٤٨، الرسالة القشيرية ٦٦ وانظر الحاشية (٥) صفحة ١٣٢

(٢) حلية الأولياء ١٠/ ٤٩، الرسالة القشيرية ٦٦

(٣) حلية الأولياء ١٠/ ٤٨، الرسالة القشيرية ٦٦، ٢٣٧ (الجوع)، المختار ٢/ ٩

(٤) النباج: منزل لحجاج البصرة، بينها وبين مكة. انظر معجم البلدان.

(٥) تاريخ بغداد ١٢/ ٣١٧، الرسالة القشيرية ٦٧، ٢٣٥ (الجوع)، تهذيب الأسرار ٢٦٣

(٦) الحلية ١٠/ ٤٨، تهذيب الأسرار ٢٦٣، المختار ٢/ ١٣

(٧) الرسالة القشيرية ٢٦٣ (التوكل)، المختار ٢/ ١٥، مختصر تاريخ دمشق ١٧/ ٥٢.

و: ليسَ ينالُ الرِّضا من للدُّنيا في قلبه مِقدار[1]

وقال: الصُّوفيُّ لا يُكدِّرُهُ شيءٌ، ويَصفو به كلُّ شيءٍ[2]

وقال أبو عِمران الإصْطَخْري: رأيتُ أبا تراب في البادية قائمًا مَيتًا، لا يُمسكُهُ شيء[3]

وقال محمد بن يوسف البَنَّاء: كان أبو تُراب النَّخْشَبي صاحبَ كرامات، فسافرتُ معه سنةً، وكان في صحبته أربعون نفسًا، فأصابتنا فاقةٌ في بعضِ الأيام، فعدلَ أبو تراب عن الطَّريق، وجاء بِعِذْقِ موز، فتناولنا، وكان معنا شابٌ فلَمْ يأكل، فقال له أبو تُراب: كلْ. فقال: الحالُ التي أَعتقدها تركُ المعلومات، وصرتَ أنتَ مَعلومي، فلا أصحبُكَ بعد هذا. فقال أبو تُراب: كنْ ما وقعَ لك[4]

وقال أبو العباس الشَّرْقي: كنَّا مع أبي تُراب النَّخْشَبي في طريقِ مكَّة، فعدلَ عن الطَّريق إلى ناحيةٍ، فقال له بعضُ أصحابه: أنا عطشان. فضربَ برجله الأرضَ، وإذا بعينِ ماءٍ زلالٍ، فقال الفتى: أُحبُّ أن أشربَهُ في قدحٍ. فضربَ بيده إلى الأرض، فناوله قدحًا من زُجاجٍ أبيضَ كأحسنِ ما يكون، فشربَ وسقانا، وما زالَ القدحُ معنا إلى مكَّة، فقال لي أبو تُراب يومًا: ما يقولُ أصحابُكَ في هذه الأمور التي يُكرمُ اللهُ بها عباده؟ فقلتُ: ما رأيتُ أحدًا إلاَّ وهو مؤمنٌ بها. فقال: من لم يُؤمنْ بها فهو كافر. ثمَّ قال: إنَّما سألتُكَ من طريقِ الأحوال. فقلتُ: ما أعرفُ لهم قولاً فيه. فقال: بلى، وقد زعمَ أصحابُكَ أنَّها لخدعٌ من الحق[5]، وليسَ الأمرُ

---

(١) الرسالة القشيرية ٣٠١ (الرضا).

(٢) الرسالة القشيرية ٤٠٢ (التصوف)، تهذيب الأسرار ٣١، طبقات الأولياء ٣٥٦.

(٣) حلية الأولياء ١٠/٤٩، المختار ٢/١٥

(٤) الرسالة القشيرية ٤٩٩ (كرامات الأولياء) المختار ٢/٩، مختصر تاريخ دمشق ١٧/٥٣.

(٥) في صفوة الصفوة: من الجن.

كذلك، إنَّما الخدعُ في حالِ السُّكونِ إليها، فأمَّا من لم يقترح ذلك[1]، ولم يُساكنْها فتلك مرتبةُ الرَّبانيين[2].

وقال: من استبطأَ ورودَ السَّبب واقتضى تعجيلَه، فقد اعترضَ بإرادتِهِ في إرادة الحقِّ تعالى، ومن اعترضَ فقد تسخَّطَ، ومن تسخَّطَ، حُرِمَ بركةَ الاختبار، ولم يكن له من ذلك إلاَّ ما أرادَهُ الله.

وقال: إذا تواترتْ على أحدِكم النِّعمُ، فليبكِ على نفسه، فقد سُلِكَ به غير سبيلِ الصَّالحين[3].

وقال: كنت أنا وجماعةٌ من أصحابي قد خرجنا إلى مكَّةَ، فلمَّا بلغنا المَعْدِن[4] قلتُ لأصحابي: امضوا أنتم على طريقِ المدينة، ومضيتُ أنا على طريق الجادَّةِ، وقد كان أصابنا جوعٌ شديد، فلمَّا افترقنا صادَ أصحابي ظَبيًا، فذبحوه وشووه، فلمَّا جلسوا ليأكلوه، إذا بنسرٍ قد انقضَّ عليهم، فاحتملَ من الظَّبي رُبُعَهُ، قال: فأقبلنا ننظرُ إليه، ولا نقدرُ عليه، قال أبو تراب: فلمَّا اجتمعنا بمكَّةَ قلتُ لهم: أَيشٍ كان خبرُكم بعدي؟ فأخبروني خبرَهم، وما كان من قصَّة الظَّبي، فقلت لهم: إنِّي كنتُ سائرًا، فإذا بنسرٍ قد ألقى إليَّ رُبُعَ ظَبيٍ مشويٍّ، فأكلتُ. ثمَّ تحدَّثنا، فكان أكلُنا جميعًا في وقتٍ واحد[5].

وقال: عُرِضَ عليَّ طعامٌ، فامتنعْتُ منه، فضُرِبتُ بالجوعِ أربعةَ عشرَ يومًا، فعلمتُ أنِّي عُوقبت، فتبتُ[6].

---

(١) في صفة الصفوة، والمختار: من لم يعرج على الملك في اعتناق الحقائق.

(٢) الرسالة القشيرية ٥١٣ (كرامات الأولياء)، صفة الصفوة ٤/ ١٧٣

(٣) مختصر تاريخ دمشق ١٧/ ٥٣.

(٤) المعدن: اسم لعدة مواضع؛ أقربها هنا معدن بني سليم، وهو من أعمال المدينة، على طريق نجد، انظر معجم البلدان.

(٥) المختار ٢/ ١٠، وهذه القصة شبيهة بقصة أبي تراب الرملي انظر الحلية ١٠/ ١٦٤.

(٦) تهذيب الأسرار ٢٥١، ٥٢٨.

و: لقد صحبتُ مئةَ شيخٍ، ما نفعني شيءٌ مثلُ شدِّ رأسِ الجِراب. يعني القناعة والتَّقلُّل[1]

وقال: القناعةُ أَخذُ القوتِ من الله[2]

وقال يوسف بن الحسين. صحبتُ أبا تُراب النَّخْشَبِي خمسَ سنين وحججتُ معه على غير الطَّريق الجادَّةِ، ورأيتُ منه في السَّفرِ عجائب يَقصُرُ لساني عن شرحِ جميعِ ما شاهدته، غير أنَّا كنَّا مارّين، فنظر إليَّ يومًا وأنا جائع، وقد تورَّمتْ رجلايَ، وأنا أَمشي بجهدٍ، فقال لي: ما لَكَ؟ لعلَّك جعتَ؟ قلتُ: نعم. فقال: لعلَّكَ أسأتَ الظَّنَّ بربِّكَ؟ قلتُ: بلى. فقال: ارجعْ إلى ربِّك. قلتُ: وأين هو؟ فقال: حيثُ خلَّفتَهُ. قلت: هو معي. فقال: إنْ كنت صادقًا فما هذا الهمُّ الذي أراه عليك؟ قال: فرأيتُ الورمَ قد سكنَ، والجوعَ قد ذهب، ونَشِطْتُ حتَّى كدتُ أتقدَّمُهُ، فقال أبو تُراب: اللَّهُمَّ، إنَّ عبدَكَ قد أَقرَّ بالآفة[3]، فأطعمْهُ. ونحن بين جبالٍ ليس فيها مخلوقٌ، ثمَّ انتهينا إلى رابيةٍ، فإذا كوزُ ماءٍ، ورغيفٌ موضوع، فقال أبو تراب: دُونك، دونك. فجلستُ فأكلتُ، فقلتُ: ليس تأكلُ منه أنت؟ فقال: يأكل من اشتهاه[4]

وقال: دخلتُ البادية، ومعي ثلاثُ مئة تلميذ لي على التَّوكُّل، ومعنا جمالٌ، فلمَّا صرتُ في الطَّريق، أقامَ الله لي بالكفاية حتَّى انتهيتُ إلى فَيْد[5]، فعرفتُ نفسي بحُسن الكلاءَة[6]، فلمَّا وقعَ الخاطرُ بذلك، وقعَ بي المنعُ، ووقعَ الموتُ في الجمال، وضعفَ أصحابي عن المشي، وعن

---

(١) تهذيب الأسرار ٢٥٠، الكواكب الدرية ١/ ٥٤٤.
(٢) طبقات الصوفية ١٥١
(٣) في المختار: بالفاقة.
(٤) المختار ٢/ ١٠
(٥) فيد: منزل بطريق مكة معجم البلدان.
(٦) الكلاءة: الحفظ والحراسة. اللسان.

صدقِ ما قصدوا له، ووقع بي النُّقارُ: أين صولتُكَ[1]؟ فالتجأتُ إلى الله في ذلك، فهتفَ بي هاتفٌ: يا أبا تراب، المنعُ بك واقعٌ إلى مكَّة، حتَّى لا تَرى لك قَدَمًا إلاَّ واللهُ مُقدِّمُكَ فيها، ولا تَرى لك حالاً، ألم ترَ إلى موسى عليه السَّلام حيثُ قال: ﴿هِيَ عَصَايَ﴾ [طه: ١٨]. فلمَّا ادَّعى مُلْكًا، ورأى نفسَه قال له سبحانه: ﴿أَلْقِ عَصَاكَ﴾ [القصص: ٣١]، فلمَّا قلبَ العين فيها لجأ وهرب، فقيل له: ﴿أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ﴾[2] [القصص: ٣١]. فقال أبو تُراب: أيُّها الهاتف، لقد شرحتَ وبيَّنتَ، فأَنْشُدُكَ الله من أنت؟ قال: أنا الخَضِر المُوكَّلُ بأولياء الله، أُردُّ قلوبَهم إذا شردتْ عنهم، يا أبا تراب، التَّلفُ في أوَّلِ قَدَمٍ، والنَّجاةُ في آخرِ قدمٍ. قال أبو تُراب: فأخذني الاستقلال من وقتي وحمل أصحابي، فلا أدري سائرًا كنتُ أم طائرًا!؟[3]

* * *

(١) في (أ): وعن صدق الخاطر بذلك، . أين وصولك.
(٢) في الأصل: ارجع ولا تخف.
(٣) المختار ٢/ ١١.

(٢٠) عبد الله بن خُبَيْق الأنطاكي (*)

ومنهم: أبو محمد عبد الله بن خُبَيْق بن سابق الأنطاكيّ.

صحب يوسفَ بن أسباط.

وهو من زُهَّادِ الصُّوفية، والآكلين من الحلال، والوَرِعين في جميعِ الأحوال.

أصله من الكوفة، ولكنَّه من النَّاقِلةِ إلى إنطاكية، وطريقتُهُ في التَّصوف طريقةُ الثَّوري(١)، رحمه الله؛ فإنَّه صحبَ أصحابَهُ.

قال رحمه الله: من أرادَ أن يعيش حيًّا في حياته، فلا يُسْكِنِ الطَّمعَ قلبَه(٢)

وقال الفتح بن شَخْرَف: أوَّلُ ما لقيتُ عبدَ الله بن خُبيق بأَذَنَة(٣)، فقال لي: يا خُراسانيُّ، [إنَّما هي] أَربعٌ لا غير: عينُكَ، ولسانُكَ، وقلبُكَ، وهواك، فانظرْ عينَكَ لا تنظر بها إلى ما لا يَحِلُّ، وانظرْ لسانَكَ لا تقلْ به شيئًا يعلمُ اللهُ خلافَهَ من قلبك، وانظرْ قلبَكَ لا يكنْ(٤) فيه غِلٌّ ولا حِقدٌ

(*) طبقات الصوفية ١٤١، حلية الأولياء ١٠/١٦٨، الرسالة القشيرية ٦٧، صفة الصفوة ٤/ ٢٨٠، المختار من مناقب الأخيار ٣/ ٤٤٥، طبقات الأولياء ٣٣٨، تبصير المنتبه ٢/ ٥٢٤، نفحات الأنس ١٠١، الطبقات الكبرى للشعراني ١/ ٨٣، الكواكب الدرية ١/ ٦٧٦

(١) في طبقات الصوفية ١٤١ النُّوري.

(٢) المختار ٣/ ٤٤٥، وفي طبقات الصوفية ١٤٤ من أراد أن يعيش غنيًّا.

(٣) أذنة ـ على وزن خشبة ـ: بلد من ثغور الشام قرب المصيصة. معجم البلدان.

(٤) في (أ): لا يكون.

على أحدٍ من المسلمين، وانظرْ هواكَ لا تَهوَ شيئًا من الشَّرِّ، فإذا لم تكن هذه الخصالُ الأربعُ فيك، فاجعلِ الرَّمادَ على رأسِكَ، فقد شَقيت[1]

وقال: إذا دنا الرَّجلُ القارئُ من المعصية، يقولُ القرآنُ في صدرِهِ: ما لهذا حَملتني؟ ![2]

وقال: خلقَ اللهُ القلوبَ مساكنَ للذِّكر، فصارتْ مَساكنَ للشهوات، ولا يَمحو الشَّهواتِ من القلوب إلاَّ خوفٌ مُزعِجٌ، أو شَوقٌ مُقلق[3]

وقال: لكلِّ تاجرٍ رأسُ مالٍ، ورأسُ مالِ صاحبِ الحديث الصِّدقُ[4]

و: لا يَستغني حالٌ من الأحوالِ عن الصِّدقِ، والصِّدقُ مستغنٍ عن الأحوالِ كلِّها، ولو صدقَ عبدٌ فيما بينه وبين اللهِ حقيقةَ الصِّدقِ، لاطَّلعَ على خزائنَ من خزائنِ الغيب كلها، ولكان أَمينًا في السَّمواتِ والأرض[5]

وقال: إن استطعت أن لا يَسبقكَ أحدٌ إلى مولاك فافعَلْ، ولا تُؤثر على مولاك شيئًا[6]

وقال: لا تَغتمَّ إلاَّ من شيءٍ يضُرُّك غدًا، ولا تفرحْ إلاَّ بشيءٍ يسرُّك غدًا[7]

وقال: علامةُ الأُلفةِ قلَّةُ الخلافِ، وبذلُ المعروف[8]

---

(١) طبقات الصوفية ١٤٣، الرسالة القشيرية ٦٧، المختار ٣/ ٤٤٧، طبقات الأولياء ٣٣٩

(٢) طبقات الصوفية ١٤٣

(٣) طبقات الصوفية ١٤٤، المختار ٣/ ٤٤٥.

(٤) طبقات الصوفية ١٤٤، المختار ٣/ ٤٤٧.

(٥) طبقات الصوفية ١٤٤، حلية الأولياء ١٠/ ١٦٩، المختار ٣/ ٤٤٦.

(٦) طبقات الصوفية ١٤٤، المختار ٣/ ٤٤٥.

(٧) طبقات الصوفية ١٤٥

(٨) طبقات الصوفية ١٤٥، المختار ٣/ ٤٤٦.

و: أنفعُ الخوفِ ما حَجَزَكَ عن المعاصي، وأطالَ منك الحُزنَ على ما فاتك، وألزمَكَ الفِكرةَ في بقية عُمرك[1]

وقال: وَحْشَةُ العباد عن الحقِّ أَوحشَ منهم القلوب، ولو أَنِسوا بربِّهم ولزموا الحقَّ، لاستأنَسَ بهم كلُّ أَحدٍ[2]

و: أنفعُ الرَّجاءِ ما سهَّلَ عليك العملَ لإدراكِ ما تَرجو[3]

و: إخلاصُ العملِ أَشدُّ من العمل، والعملُ يَعجَزُ عنه الرِّجال[4]

و: طولُ الاستماعِ إلى الباطل، يُطفئُ حلاوةَ الطَّاعةِ من القلب[4]

وقال: الرِّجالُ ثلاثةٌ: رجلٌ عملَ حَسَنَةً فهو يَرجو قبولَها، ورجلٌ عَمِلَ سيِّئةً، ثمَّ تابَ، فهو يَرجو المغفرة، والثَّالثُ رجلٌ كاذبٌ، يَتمادى في الذُّنوبِ ويقول: أَرجو المغفرة[5]

وقال: قال لي يوسف بن أَسباط: إيَّاكَ أن تكونَ من قُرَّاءِ السُّوق[6]

وقال لي حُذيفةُ المَرعشي: كيف تفلحُ والدُّنيا أحبُّ إليك من أحبِّ النَّاس إليك؟![7]

وقال لي: إن لم تخشَ أن يُعذِّبَكَ اللهُ على أفضلِ عملِكَ، فأنت هالك[8]

---

(١) طبقات الصوفية ١٤٥، المختار ٣/ ٤٤٦

(٢) طبقات الصوفية ١٤٥، الرسالة القشيرية ٦٧، وفيهما: أوحشت منهم.

(٣) طبقات الصوفية ١٤٥، المختار ٣/ ٤٤٦.

(٤) طبقات الصوفية ١٤٥، الرسالة القشيرية ٦٧

(٥) تهذيب الأسرار ١٥١

(٦) حلية الأولياء ١٠/ ١٦٨، وفي (ب): قراء الأسواق.

(٧) حلية الأولياء ١٠/ ١٦٨

(٨) حلية الأولياء ١٠/ ١٦٨، المختار ٣/ ٤٤٦.

وقال: قال لي الفُضيل بنُ عِياض: رأسُ الأدبِ عندنا أن يعرفَ الرَّجلُ قدرَهُ[1].

وقال: قال لي حُذيفةُ المرعشي: ما ابتُلي أَحدٌ بمصيبةٍ أَعظم [عليه] من قسوةِ قلبه[2].

وقال عبدُ الله: بلغنا أنَّ حَبرًا من أَحبارِ بني إسرائيل كان يقولُ: يا ربِّ، كم أَعصيكَ ولا تُعاقبني!؟. فأوحى الله إلى نبيٍّ من أنبياءِ بني إسرائيل: قل له: كم أُعاقبُكَ وأنت لا تدري! ألم أَسلبْكَ حلاوةَ مُناجاتي؟[4]

وقال: من عاتبَ نفسَهُ في مرضاةِ الله آمنه اللهُ من مقته[3]

وأنشدَ:

أُفٍّ لــدنيــا أبــتْ تُــواتينــي ... إلَّا بنقضــي لهــا عُــرى دِينــي[4]

عينــي لحينــي تُــديــرُ مُقلتَهــا ... تطلــبُ مــا ســاءهــا لتُــرديــنــي[5]

وقال: أنتَ لا تُطيعُ من أحسنَ إليك، فكيفَ تُحسنُ إلى من يُسيءُ إليك؟![6]

* * *

---

(١) حلية الأولياء ١٠/ ١٦٨، وفيه وفي (ب): قال لي الفضل.

(٢) حلية الأولياء ١٠/ ١٦٨

(٣) حلية الأولياء ١٠/ ١٦٩

(٤) في (أ): أف لدنيا لا تواتيني.. بنقضٍ من عرى.

(٥) الحلية ١٠/ ١٦٩، وفيها: تطلب ما سرَّها

(٦) حلية الأولياء ١٠/ ١٦٩، المختار ٣/ ٤٤٦.

(٢١) أحمد بن عاصم الأنطاكي(*)

ومنهم: أبو علي أحمدُ بنُ عاصم الأنطاكي رحمه الله، ويُقالُ كنيته أبو عبد الله، وهذا الأصحُّ[1]

وهو من أقران بِشر بنِ الحارث، والسَّريّ، والحارث المُحاسبِي[1]

ويقال: إنَّه رأى الفُضيلَ بن عياض[1]

وكان أبو سُليمان الدَّاراني يُسمِّيه جاسوسَ القلوب؛ لحدَّةِ فِراسته[2]

وقال الجُنيد: قال ابنُ مَسروق[3] الجَريريُّ: قال أبو عبد الله أحمدُ بن عاصم الأنطاكي: قُرَّةُ العينِ، وسَعَةُ الصَّدرِ، وروحُ القلبِ، وطيبُ النَّفس من أمورٍ أربعةٍ: الاستبانةُ للحجَّةِ، والأُنسُ بالأحبَّة، والثِّقةُ بالعِدَة، والمُعاينة للغاية[4]

(*) الجرح والتعديل ٢/ ٦٦، الثقات لابن حبّان ٨/ ٢٠، طبقات الصوفية ١٣٧، حلية الأولياء ٩/ ٢٨٠، الرسالة القشيرية ٦٨، صفة الصفوة ٤/ ٢٧٧، المختار من مناقب الأخيار ١/ ٣٠٢، مختصر تاريخ دمشق ٣/ ١٢٧، سير أعلام النبلاء ١٠/ ٤٨٧، ١١/ ٤٠٩، ميزان الاعتدال ١/ ١٠٦، البداية والنهاية ١٠/ ٣١٨، طبقات الأولياء ٤٦، نفحات الأنس ٩٥، ١٤٠، الطبقات الكبرى للشعراني ١/ ٨٣، الكواكب الدرية ١/ ٥٣٠.

(١) طبقات الصوفية ١٣٧

(٢) الرسالة القشيرية ٦٨

(٣) في (أ): وابن مسروق.

(٤) طبقات الصوفية ١٣٧، المختار ١/ ٣٠٦.

وقال: أنفعُ العقلِ ما عرَّفَكَ نِعَمَ الله عليك، وأعانَكَ على شُكرِها، وأقام بخلافِ الهوى[1]

وسُئل عن الإخلاص، فقال: إذا عمِلْتَ عملاً صالحًا، فلم تحبَّ أن تُذكَرَ به، وتُعظَّمَ من أجلِهِ، ولا تطلب ثوابَه من أحدٍ سواه، فذلك إخلاصُ عملك[1]

و: أنفعُ الإخلاصِ ما نفى عنك الرِّياء والتَّزيُّنَ والتَّصنُّع[1]

و: أنفعُ الفقرِ ما كنتَ به مُتحمِّلاً[2] راضيًا[3]

و: أنفعُ الأعمالِ ما سَلِمْتَ من آفاتها، وكانت مقبولةً منك[3]

و: أنفعُ التَّواضعُ ما نفى الكِبْر، وأماتَ منك الغضب[3]

و: أضرُّ المعاصي عملُكَ الطَّاعاتِ بالجهل، وهو أضرُّ من المعاصي بالجهل[3]

وقال: من علامةِ قلَّةِ معرفةِ العبد بنفسه، قلَّةُ الحياءِ، وقلَّةُ الخوف[3]

و: العدلُ عدلان: عدلٌ ظاهرٌ فيما بينك وبين النَّاس، وعدلٌ باطنٌ بينك وبين الله تعالى، وطريقُ العدلِ طريقُ الاستقامة، وطريقُ الفضل طلب الفضيلة[4]

و: اليقينُ نورٌ يجعلُهُ اللهُ في قلبِ العبد حتَّى يُشاهدَ به أمورَ آخرته، ويخرقَ بقوَّتِهِ كلَّ حجابٍ بينه وبين ما في الآخرة، حتَّى يُطالعَ أمورَ الآخرة كالمُشاهد لها[5]

---

(١) طبقات الصوفية ١٣٨

(٢) في طبقات الصوفية ١٣٨ متجملاً.

(٣) طبقات الصوفية ١٣٨، المختار ١/ ٣٠٤.

(٤) طبقات الصوفية ١٣٨، وفيه: طريق الفضل طريق الفضيلة.

(٥) طبقات الصوفية ١٣٩.

وقال: إذا طلبتَ صلاحَ قلبك، فاستعنْ عليه بحفظِ لسانك[1]

و: اعمل على أنْ ليسَ في الأرضِ أحدٌ غيرك، ولا في السماء أحدٌ غيره[1]

و. العاقلُ من عَقَلَ عن الله مواعظَه، وعرفَ ما يَضُرُّه مما ينفعُهُ[1]

وقال: إمامُ كلِّ عملٍ عِلمٌ، وإمامُ كلِّ عِلم عنايةٌ[1]

وقال: هذه غنيمةٌ باردةٌ: أَصلِحْ ما بقي، يُغفرْ لك ما مضى[2]

وقال: قال اللهُ تعالى: ﴿أَنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ [الأنفال: ٢٨] ونحن نستزيدُ من الفتنةِ[3]

وقال: إنَّ أقلَّ اليقين إذا وصلَ إلى القلب يَملأُ القلبَ نورًا، وينفي عنه كلَّ ريبٍ، ويَمتلئُ به القلبُ شكرًا، ومن الله خوفًا.

وقال: إنّي أدركتُ من الأزمنة زمانًا عاد فيه الإسلامُ غريبًا كما بدأ، وعاد وصفُ الحقِّ فيه غريبًا كما بدأ، إن ترغبَ[4] فيه إلى عالِمٍ، وجدتَهُ مَفتونًا بالدُّنيا، يُحبُّ الرِّئاسة والتَّعظيم، وإنْ ترغبَ[4] فيه إلى عابدٍ، وجدتَه جاهلاً في عبادته، مَخدوعًا[5]، صريعَ عدوِّه إبليس، قد صَعِدَ به إلى أعلى درجةِ العبادةِ، وهو جاهلٌ بأدناها، فكيف له بأعلاها؟ فهم[6] سِباعٌ ضارية، وذئابٌ مُختلسة، فهذا وصف أعيان أهلِ زمانك من حملةِ العلم والقرآن، ورعاة الحكمة، ﴿فَٱعْتَبِرُوا۟ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ﴾ [الحشر ٢] و﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾[7] [الطلاق: ١٠].

---

(١) طبقات الصوفية ١٣٩

(٢) طبقات الصوفية ١٤٠

(٣) طبقات الصوفية ١٤٠، الرسالة القشيرية ٦٨

(٤) في الحلية ٩/ ٢٨٦ نزعتَ.

(٥) في الحلية ٩/ ٢٨٦ مجذوعًا.

(٦) في الحلية ٩/ ٢٨٦ وسائر ذلك من الرعاع فقبيح أعوج وسباع ضارية.

(٧) الحلية ٩/ ٢٨٦، وفيه زيادات مطولة.

وقال: إذا جالستم أهلَ الصِّدقِ، فجالسوهم بالصِّدقِ؛ فإنَّهم جواسيسُ القلوبِ، يدخلون في قلوبِكم، ويخرجونَ منها من حيث لا تُحسُّون[١]

وقال: عرضَ للخلائقِ عارضٌ من الهوى، أقعدَ المُريد، وألهى العاقل، فلا العاقلُ عرفَ داءَه، ولا المُريدُ طلبَ دواءه[٢]

و: من استعصمَ بالله عُصم، ومن عُصِمَ حُجب عن المعاصي، ومن توقَّى وقي، ومن التمسَ العافيةَ عُوفي، ومن استسلم إلى نفسِهِ، حُجب عن الطَّاعة، وغلبه الهوى فسلَكَ به[٣] سبيلَ الرَّدى، واستحوذَ عليه الشَّيطان، فكان من الغاوين[٤]

و: المحرومُ من حُرِمَ السُّؤال، والسُّؤالُ مفتاحُ الإجابة، والكريمُ يُعطي قبل السُّؤال، وأكثرُ مِننِ اللهِ على عبده قَبْلَ السُّؤال.

و: التَّدبيرُ دليلٌ على عقلِ العاقل[٤]

و: صحَّةُ الورعِ من علامةِ الخوف[٤]

و: حُسنُ الخلق من كريم الحسب[٥]، وسوءُ الخُلقِ يَمحقُ مروءاتِ ذوي الأحساب[٦]

و: من عَقَلَ أيقن، ومن أَيقنَ خاف، ومن خافَ صَبر، ومن صبر ورع، ومن ورعَ أَمْسَكَ عن الشُّبهات، ونفى الحرص والرَّغبة، فعند ذلك دارت رَحى العبدِ بأعمال الطَّاعات لله تعالى[٦]

---

(١) الرسالة القشيرية ٣٤٦ (الفراسة)، طبقات الأولياء ٤٧، الكواكب الدرية ١/ ٥٣١.
(٢) حلية الأولياء ٩/ ٢٩٠
(٣) في (أ): ومن غلبه الهوى سلك به.
(٤) حلية الأولياء ٩/ ٢٩٠
(٥) في الحلية ٩/ ٢٩٠: وحسن الخلق يجتلب كرم الحسب.
(٦) حلية الأولياء ٩/ ٢٩٠.

و: من سخف عقلُه ضعفَ يقينه، ومن ضَعُفَ يقينه فُقِدَ منه خوفُه، وظهرَ أمنه، ومن ظهرَ أمنه كثرت منه غفلتُه، ومن كثرتْ غفلتُهُ قسا قلبه، ومن قَسا قلبه لم تنجعْ فيه موعظةٌ، وغلبَ عليه حبُّ دنياه وكثرتْ فيه أعمالُه بغيرِ حقيقة خوفٍ، والله المستعان[1]

وسُئل عن الرَّجاء، وما علامتُهُ في العبد؟ فقال: أن يكونَ إذا أحاطَ به الإحسانُ، أُلهم الشُّكرَ راجيًا لتمامِ النِّعمةِ من الله تعالى عليه في الدُّنيا، وتمام عفوه في الآخرة[2]

وقال: من كانَ بالله أعرفَ، كان له أخوف[3]

* * *

(١) حلية الأولياء ٩/ ٢٩١

(٢) الرسالة القشيرية ٢٢٢ (الرجاء).

(٣) الرسالة القشيرية ٤٤٠ (الخوف)، طبقات الأولياء ٤٧.

(٢٢) منصور بن عمَّار(*)

ومنهم: أبو السَّريّ منصورُ بن عمَّار رحمه الله، من أهل مَرْو، وأصلُه من قرية دَنْدانَقَان(١)، ويقال: إنَّه من أهلِ أَبِيوَرْد، ويقالُ: إنه من أهل بُوشَنج.

أقامَ في البصرةِ، وكان من أحسنِ الواعظين كلامًا في الوعظ، ومن حكماء المشايخ، كبيرُ الشَّأنِ في التَّقلُّلِ والورع.

وسببُ توبته أنَّه وجدَ في الطَّريقِ رقعةً فيها: بسم الله الرَّحمن الرَّحيم. فرفعها، فلم يجدْ لها موضعًا، فأكلَها، فرأى في المنام كأنَّ قائلاً يقول له: فُتح عليك بابُ الحكمة لاحترامك لتلك الرّقعة(٢)

وقال: سرورُكَ بالمعصية إذا ظفرتَ بها، شرٌّ من مُباشرتك لها(٣)

(*) التاريخ الكبير ٧/ ٣٥٠، الضعفاء للعقيلي ٤/ ١٩٣، الجرح والتعديل ٨/ ١٧٦، الثقات لابن حبّان ٩/ ١٧٠، الكامل في الضعفاء ٦/ ٣٩٣، طبقات الصوفية ١٣٠، حلية الأولياء ٩/ ٣٢٥، تاريخ بغداد ١٣/ ٧١، الرسالة القشيرية ٦٨، صفة الصفوة ٢/ ٣٠٨، المختار من مناقب الأبرار ٥/ ٦١، مختصر تاريخ دمشق ٢٥/ ٢٥٩، سير أعلام النبلاء ٩/ ٩٣، ميزان الاعتدال ٤/ ١٨٧، طبقات الأولياء ٢٨٦، النجوم الزهرة ٢/ ٢٤٤، نفحات الأنس ٩٤، طبقات الشعراني ١/ ٨٣، الكواكب الدرية ١/ ٧٢٠.

(١) دندانقان: بلدة من نواحي مرو الشاهجان، على عشرة فراسخ منها. معجم البلدان. وفي (أ): ديرانقاني، وفي الرسالة القشيرية: يرانقان.

(٢) الرسالة القشيرية ٦٨، طبقات الأولياء ٢٨٦

(٣) طبقات الصوفية ١٣٤، المختار ٥/ ٦٥

وقال لرجل عَصَى بعد توبته: ما أراكَ رجعتَ عن طريقِ الآخرة إلاَّ مِنَ الوَحْشة؛ لقلَّةِ سالكيها[1]

وقال لرجل: اتركْ نَهمَةَ الدُّنيا، تَسترحْ من الغَمِّ، واحفظْ لسانك، تسترحْ من المَعذرة[1]

وقال: إنَّ الحكمةَ تَنطقُ في قلوب العارفين بلسانِ التَّصديق، وفي قلوبِ الزَّاهدين بلسانِ التَّفضيل، وفي قلوبِ العُبَّادِ بلسان التَّوفيق، وفي قلوب المُريدين بلسانِ التَّفكُّر، وفي قلوبِ العلماء بلسانِ التَّذكُّر[1]

وقال: من جَزِعَ من مصائبِ الدُّنيا، تحوَّلتْ مُصيبتُه في دينه[2]

و: من اشتغلَ بذكرِ النَّاس، اشتغلَ عن ذكرِ الله[3]

وقال: النَّاسُ رجلان: رجل مُفتقرٌ إلى الله، فهو في أعلى الدَّرجاتِ على لسانِ الشَّريعة، وآخرُ لا يرى الافتقار؛ لِمَا عَلِمَ من فراغِ الله من الخَلْق، والرِّزق، والأجلِ، والسَّعادةِ، والشَّقاوة، فهو في افتقاره إليه واستغنائه به[4]

وقال: سُبحانَ من جعلَ قلوبَ العارفين أوعيةَ الذِّكرِ، وقلوبَ أهلِ الدُّنيا أوعيةَ الطَّمعِ، وقلوبَ الزَّاهدين أوعيةَ التَّوكُّلِ، وقلوبَ الفقراء أوعيةَ القناعة، وقلوبَ المتوكِّلين أوعيةَ الرِّضا[5]

وقال: النَّاسُ رجلان: عارفٌ بنفسه، فشُغلُهُ المُجاهدةُ والرِّياضة، وعارفٌ بربِّه، فشغلُهُ بخدمتِهِ وعبادته ومرضاته[6]

---

(١) طبقات الصوفية ١٣٥، المختار ٥/ ٦٥

(٢) حلية الأولياء ٩/ ٣٢٧، المختار ٥/ ٦٤

(٣) طبقات الصوفية ١٣٤، وفيه: انقطع عن ذكر الله.

(٤) طبقات الصوفية ١٣٥

(٥) طبقات الصوفية ١٣٥، حلية الأولياء ٩/ ٣٢٧، المختار ٥/ ٦٤.

(٦) طبقات الصوفية ١٣٦، المختار ٥/ ٦٥

وقال: أحسنُ لباسِ العبدِ التَّواضعُ والانكسار، وأحسنُ لباسِ العارفين التَّقوى. قال الله تعالى: ﴿وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ﴾[1] [الأعراف: ٢٦].

وقال: سلامةُ النَّفسِ في مُخالفتها، وبلاؤها في مُتابعتها[2]

وقال أبو الحسن الشّعراني[3]: رأيتُ منصورَ بنَ عمَّار في المنام بعد مَوته، فقلتُ: ما فعل اللهُ بك؟ فقال: قال لي: أنتَ مَنصورُ بنُ عمَّار؟ فقلت: بلى، يا ربِّ. فقال: أنت الذي تُزهِّدُ النَّاسَ في الدُّنيا، وتَرغَبُ فيها؟[4] فقلتُ: قد كان ذلك، ولكنِّي ما اتَّخذتُ مَجلسًا إلاَّ بدأتُ بالثَّناءِ عليك، وثنيَّتُ بالصَّلاةِ على نبيِّك عليه السَّلام، وثلَّثْتُ بالنَّصيحةِ لعبادك. فقال: صدقَ، ضعوا له كُرسيًّا يُمجِّدُني في سمائي بين ملائكتي، كما مجَّدني في أرضي بين عبادي[5]

وقال سُليمانُ بنُ مَنصور بنِ عمَّار: كنتُ في مجلس أبي منصورٍ، فوقعتْ في المجلسِ رُقعةٌ فيها: بسم الله الرّحمن الرّحيم، يا أبا السَّري، أنا رجلٌ من إخوانك، تُبتُ على يديك، وإنِّي اشتريتُ من الله حوراءَ على صَداقِ ثلاثين ختمة، فختمتُ منها تسعًا وعشرين، وأنا في ثلاثين إذ غلبتني[6] عيناي، فرأيتُ كأنَّ حوراءَ قد خرجت عليَّ من المِحراب، فلمَّا رأتني أنظرُ إليها، أنشأتْ تقول:

أَتخطُبُ مِثلي وعَنِّي تَنامُ ونومُ المُحبِّينَ عَنِّي حرامُ

---

(١) طبقات الصوفية ١٣٦، الرسالة القشيرية ٦٨

(٢) حلية الأولياء ٩/ ٣٢٧، المختار ٥/ ٦٤

(٣) في صفة الصفوة ٢/ ٣٠٨، والمختار ٥/ ٦٦: أبو الحسين السعداني. وفي روض الرياحين ٥٢٥ (الحكاية ٤٨٣): أبو الحسن الدمشقي.

(٤) في (ب): وترغب في الآخرة.

(٥) حلية الأولياء ٩/ ٣٢٦، الرسالة القشيرية ١/ ١١٢، صفة الصفوة ٢/ ٣٠٨، المختار ٥/ ٦٦، روض الرياحين (الحكاية: ٤٨٣).

(٦) في الحلية: حملتني عيناي.

لأنّــــا خُلقنــــا لكُــــلِّ امــــرئٍ   كثيــــرِ الصَّــــلاةِ بَــــراه الصِّيــــامُ

فانتبهتُ مَذعورًا[1]

وقال: خرجتُ ليلةً من اللَّيالي، ظننتُ أنَّ الصُّبحَ قد طلع، وإذا هو ليلٌ، فقعدتُ في دِهليز مُشرفٍ، وإذا أنا بصوتِ شابٍّ يَدعو ويبكي، ويقول: وجلالِكَ، ما أردتُ بمعصيتِكَ مُخالفتَكَ، ولقد عصيتُكَ إذ عَصيتُكَ بجهلي، وما أنا بنكالِكَ جاهلٌ، ولا بنظرِكَ مُستخِفٌّ، ولكن سولَّتْ لي نفسي، وأعانتني عليها شِقوتي، وغرَّني سترُكَ المَرخيُّ عليَّ، فعصيتُكَ وخالفتُكَ بجهلي، فمِنْ عذابِكَ من يُنقذني؟ ومن أيدي زبانيتِكَ مَـنْ يُخلِّصني؟ وبحبـلِ مَـنْ أتّصـلُ، إنْ أنـتَ قطعـتَ حبلَـكَ عنِّـي؟[2] واسوأتاه، إذا قِيلَ للمُخفِّين: جُوزوا. وللمُثْقلين: حطُّوا! فيا ليتَ شِعري مع المُثْقلين أَحطُّ، أم مع المُخفِّين أجوز؟ ويحي، كلَّما طالَ عُمري، كثرتْ ذُنوبي، ويحي، كلَّما كَبُرَ سنِّي، كثرتْ خطاياي، فيا ويلي، كم أتوبُ، وكم أعودُ ولا أستحيي من ربي! قال: فلمَّا سمعتُ كلامَ الشَّابِّ وضعت فمي على باب داره، وقلتُ: أعوذُ باللهِ من الشَّيطانِ الرَّجيم: ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ﴾ [الأنفال: ٦١]. بسم الله الرَّحمن الرَّحيم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ﴾ [التحريم: ٦]، قال: فسمعتُ للصَّوتِ[3] اضطرابًا شديدًا، ثمَّ سكنَ الصَّوتُ، فقلت: إنَّ ههنا بليةً. فعلَّمتُ على الباب علامةً، ومضيت [لحاجتي]، وعدتُ من الغدِ، وإذا أنا بجنازةٍ مَنصوبةٍ، وأكفان تصلحُ، وعجوزٍ تَدخلُ الدَّارَ وتخرجُ وهي باكيةٌ، فقلتُ لها: يا أَمَةَ الله، من هذا[4] الميتُ منك؟ فقالت: إليكَ عنِّي [لا

(١) حلية الأولياء ٩/ ٣٢٦.

(٢) في (ب): إن كنت قطعت حبلي عنك.

(٣) في (أ): فسمعت لصاحب الصوت.

(٤) في (أ): ما هذا.

تجدِّد عليَّ أحزاني]. فقلت: إنِّي رجلٌ غَريبٌ، أَخبريني. فقالت: واللهِ لولا أنَّكَ غريبٌ ما أخبرتُكَ، هذا ولدي ومَنْ نزلَ من كبدي[1]، وكنتُ أرجو أنْ سيَدعو لي بعد موتي، وهو من مَوالي رسولِ الله ﷺ، كان إذا جنَّ اللَّيل قامَ في مِحرابه يَبكي على ذُنوبِهِ ويدعو، وكان يعمل الخُوصَ، فيُقسمُ عملَه أثلاثًا، يُطعمُني ثُلثَهُ، ويُطعمُ المساكينَ ثُلثَهُ، وثُلثُهُ يُفطر عليه، فمرَّ بنا البارحةَ رجلٌ لا جزاهُ اللهُ خيرًا، فقرأ عند ولدي آياتٍ فيها ذِكرُ النَّارِ، فسمع ولدي ذلك، فلم يزلْ يَضطربُ ويَبكي حتَّى مات، رحمه الله. [قال منصور: فهذه صفةُ الخائفين إذا خافوا السَّطوة][2]

ورُويَ أنَّ رجلاً كان يشربُ الخمرَ، فجمع قومًا من نُدمائه، ودفعَ إلى غلامٍ له أربعةَ دراهم، وأمرَهُ أن يشتريَ شيئًا من الفواكِهِ لِمَجلسهم، فمرَّ الغلامُ بمجلسِ منصورِ بنِ عمَّار وهو يَسألُ لفقيرٍ شيئًا، ويقول: مَنْ دفعَ إليه أربعةَ دراهم دعوتُ له أربعَ دعوات. قال: فدفعَ الغلامُ الدَّراهم، فقال له منصور: ما الذي تُريدُ أن أدعو لك؟ فقال: لي سيِّدٌ أُريدُ أن أتخلَّصَ منه. فدعا منصور، ثمَّ قال: والأُخرى؟ قال: أن يُخلفَ اللهُ عليَّ دراهمي. فدعا، ثمَّ قال: والأُخرى؟ قال: يَتوبُ اللهُ على سيِّدي. فدعا، ثمَّ قال: والأُخرى؟ فقال: أَنْ يغفرَ اللهُ لي، ولسيِّدي، ولكَ، وللقوم. فدعا منصور، ثمَّ رجعَ الغلامُ إلى سيِّده، فقال له: أبطأتَ. فقصَّ عليه القِصَّةَ، فقال له: بم دعا؟ فقال: سألتُ لنفسي العِتقَ. فقال له: اذهبْ، فأنت حرٌّ لوجهِ الله تعالى. وأَيشٍ الثَّاني؟ فقال: أن يُخلِفَ اللهُ عليَّ دراهمي. فقال له: لك عِوضُها أربعة آلاف درهم، ثم قال: فأيشٍ الثَّالث؟ قال: أن يتوبَ اللهُ عليك. قال: تُبتُ إلى الله، قال: وأَيشٍ الرَّابع؟ قال: أن يغفرَ اللهُ لكَ، وليَ، وللمذكِّرِ، وللقوم. قال: هذا الواحد ليس إليَّ.

---

(١) في المختار: ومنزل كبدي، وفي (ب): ومن نزل عند كبدي.

(٢) حلية الأولياء ٩/٣٢٨، ٣٢٩، المختار ٥/٢٩٩، ٣٠٠، وما بين معقوفين مستدرك منهما.

قال: فلمَّا باتَ، أُوتي في المنامِ، فرأى كأنَّ قائلاً يقولُ له: أنتَ فعلتَ ما كان إليك، أتُراني لا أَفعلُ ما هو إليَّ! قد غفرتُ لك، وللغلامِ، ولمنصورِ بن عمَّار، وللقومِ الحاضرين[1]

* * *

(١) الرسالة القشيرية ٢٢٦، ٢٢٧ (الرجاء)، المختار ٥/٦٥، ٦٦، روض الرياحين الحكاية ٢٠٦.

(٢٣) حمدون بن أحمد القصار(*)

أبو صالح حَمدون بن أحمد بن عِمارةَ القصَّار النَّيسابوري، شيخ الملامتية(١) بنيسابور، ومنه انتشر مذهب الملامتية(٢)

صَحبَ: أبو تُراب النَّخشبِي، وسَلْمَ بن الحسن البارُوسي، وعلي النَّصراباذي رضي الله عنهم(٣)

وكان فقيهًا، عالمًا، يذهب مذهب الثَّوريِّ(٣)، وطريقتُهُ يَختصُّ بها،

(*) طبقات الصوفية ١٢٣، حلية الأولياء ١٠/ ٢٣١، الرسالة القشيرية ٦٩، صفة الصفوة ٤/ ١٢٢، المنتظم ٥/ ٨٢، المختار من مناقب الأخيار ٢/ ٢٢٦، سير أعلام النبلاء ١٣/ ٥٠، الوافي بالوفيات ١٣/ ١٦٥، طبقات الأولياء ٣٥٩، نفحات الأنس ٩١، طبقات الشعراني ١/ ٨٤ الكواكب الدرية ١/ ٥٩١

(١) الملامتية: فرقة صوفية، اشتقت اسمها من الملامة، التي هي بخع النفس وتأنيبها.
قال أبو حفص النيسابوري: أهل الملامة قوم قاموا مع الحق تعالى على حفظ أوقاتهم، ومراعاة أسرارهم، فلاموا أنفسهم على جميع ما أظهروا من أنواع القُرب والعبادات، وأظهروا للخلق قبائح ما هم فيه، وكتموا عنهم محاسنهم، فلامهم الخلق على ظواهرهم، ولاموا أنفسهم على ما يعرفونه من بواطنهم.
انظر كتاب الملامتية وأهل الصوفية وأهل الفتوة لأبي العلا عفيفي. دار إحياء الكتب العربية بمصر ١٣٦٤هـ ـ ١٩٤٥م.

(٢) طبقات الصوفية ١٢٣

(٣) أقام سفيان الثوري (٩٧ـ١٦١هـ) مذهباً فقهياً مستقلاً، لم يتابع فيه أهل الرأي كل المتابعة، كما لم يتابع فيه أهل الحديث كل المتابعة؛ بل كان وسطاً بين هؤلاء وهؤلاء، ولذلك كانت له مكانته في كلا المدرستين، وكان لمذهبه علماء أتباع في العراق والمغرب، عاش مذهبه وعمل به الناس مدة ثلاثة قرون. انظر موسوعة فقه سفيان الثوري تأليف د. محمد رواس قلعة جي صفحة ٦٠ دار النفائس ١٤١٠ـ١٩٩٠.

ولم يأخذ عنه طريقتَهُ أحدٌ من أصحابه رحمة الله عليه، كأخذِ عبد الله بن مُنازل[1] صاحبه[2]

مات أبو صالح حَمدون سنة إحدى وسبعين ومئتين بنيسابور، ودُفن في مقبرة الحيرة[2]

وسُئل حمدونُ فقيل له: مَتى يجوز للرَّجل أن يتكلَّمَ على النَّاس؟ فقال: إذا تعيَّنَ عليه أداء فرضٍ من فرائضَ الله في علمه، أو خافَ هلاكَ إنسانٍ في بدعةٍ، يرجو أن ينجيه اللهُ منها [بعلمه][3]

وقال: من ظنَّ أنَّ نفسَه خيرٌ من نَفْسِ فرعونَ، فقد أظهر الكِبر[3]

وقال: منذ علمتُ أنَّ للسُّلطانِ فِراسةً في الأشرار، ما خرجَ خوفُ السُّلطانِ من قلبِي[4]

وقال: إذا رأيتَ سَكرانَ، فتمايل؛ لئلا تبغي عليه، فتُبتلي بمثل ذلك[5]

وقال عبدُ الله بن المُنازل[6]: قلتُ لأبي صالح: أوصني. فقال: إنِ استطعتَ ألاَّ تغضبَ لشيءٍ من الدُّنيا، فافعل[7]

وسُئل عن التَّوكُّلِ فقال: إنْ كان لك عشرةُ آلاف درهم، وعليك

---

(١) في (أ): عبد الله بن مبارك.
(٢) طبقات الصوفية ١٢٣
(٣) طبقات الصوفية ١٢٥
(٤) في طبقات الصوفية ١٢٦، والرسالة القشيرية ٧٠، وفي (أ): أن للشيطان فراسة. خوف الشيطان.
(٥) طبقات الصوفية ١٢٦، وفيه: لئلا تنعي عليه. الرسالة القشيرية ٧٠
(٦) في طبقات الصوفية ١٢٦: محمد بن أحمد بن مُنازل.
(٧) طبقات الصوفية ١٢٦، حلية الأولياء ١٠/٢٣١، الرسالة القشيرية ٧٠، المختار ٢/٢٢٩.

دانقٌ[1] دينٍ لم تأمنْ أن تموتَ، ويَبقى ذلك في عُنقك، وإن كان عليك عشرةُ آلافِ درهم دين، من غيرِ أن تتركَ لها وفاءً، فلا تَيئسْ من الله أن يَقضيها عنك[2].

وقال: شكرُ النِّعمة أن ترى نفسك فيه طُفَيليًا[3].

ورُويَ أنَّه ماتَ صديقٌ له، وهو عند رأسه، فحين ماتَ أطفأ أبو صالح السِّراجَ، فقالوا له: في مثل هذا الوقت يُزادُ في السِّراج. فقال: إلى هذا الوقت كان الدُّهن له، ومنذ ماتَ صارَ الدُّهن للورثة[4].

وقال: من نَظَرَ في سِير السَّلف، عرف تقصيرَه وتخلُّفَهُ عن درجات الرِّجال[5].

وقال: لا تُفشِ على أحدٍ ما تحبُّ أن يكون مَستورًا منك[5].

وقيل له: ما بالُ كلامِ السَّلفِ أنفعُ من كلامنا؟ فقال: لأنَّهم تكلَّموا لعزِّ الإسلام، ونجاةِ النُّفوس، ورضا الرَّحمن، ونحن نتكلَّمُ لعزِّ النُّفوس، وطلبِ الدُّنيا، وقبول الخلقِ[6].

وقال: أصلُ رفع الأُلفةِ بين الإخوان حُبُّ الدُّنيا[6].

ورُويَ أنَّ قومًا تكلَّموا يومًا بين يديه في حفظِ الأمانات، فقال: قد حُمِّلْتَ من الأمانة ما لو اشتغلتَ بها لشغلَكَ عن كلِّ أمانةٍ بعدها[6].

وقال له رجلٌ من أصحابه: كيف أَعملُ؟ لا بدَّ لي من مُعاملةِ هؤلاء الجند، فماذا ترى لي؟ فقال: إن كنتَ تعلمُ يَقينًا أنَّكَ خيرٌ منهم، فلا تعامِلْهم[6].

---

(١) الدانق سدس الدرهم.

(٢) الرسالة القشيرية ٢٦٤ (التوكل)، المختار ٢/ ٢٢٧

(٣) الرسالة القشيرية ٢٧٦ (الشكر)، المختار ٢/ ٢٢٧

(٤) الرسالة القشيرية ٧٠، المختار ٢/ ٢٣٠

(٥) الرسالة القشيرية ٧٠، المختار ٢/ ٢٢٧

(٦) طبقات الصوفية ١٢٥، الحلية ١٠/ ٢٣١

ورُويَ أنَّ أبا القاسم المُنادي سألَهُ يومًا عن مسألةٍ، فقال: أرى في سُؤالك قوَّةً، وعزَّةَ نفسٍ، تظنُّ أنَّك بلغتَ بهذا السُّؤالِ الحالَ الذي تُخبر عنه؟! أين طريقةُ الضَّعفِ، والفقرِ، والتَّضرُّع، والالتجاء؟[1]

وقال: من ضيَّعَ عهودَ الله عنده، فهو لآدابِ الشَّريعة أضيعُ؛ لأنَّ الله يقول: ﴿وَأَوْفُوا۟ بِٱلْعَهْدِ ۖ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا﴾[2] [الإسراء: ٣٤].

وقال: استغاثةُ المخلوقِ بالمخلوق كاستغاثةِ المسجونِ بالمسجون[2]

وقال له رجل: أَوصني. فقال: إن استطعتَ أن تُصبحَ مُفوّضًا لا مُدبِّرًا فافعل[3]

وقال: قُعُود المرءِ عن الكَسْبِ إلحافٌ في المسألة[3]

وقال: من شغلَهُ طلبُ الدُّنيا عن الآخرة ذَلَّ، إمَّا في الدُّنيا، وإمَّا في الآخرة[3]

وقال: من تَحقَّقَ في حالٍ لا يُخبر عنه[3]

وقال لأصحابه: أُوصيكم بشيئين: صُحبةِ العلماء، والاحتمالِ عن الجُهَّال[3]

وقال: تهاونْ بالدُّنيا حتَّى لا يعظُمَ في عينكَ أهلُها، ومَنْ يَملكُها[4]

وقال: جمالُ الفقيرِ في تواضعِه، فإذا تكبَّر بفقره فقد أَربى على الأغنياء في التَّكبُّر[4]

وقال: من رأيتَ فيه خصلةً من الخير، فلا تفارقْه، فإنَّه يُصيبُكَ من بركاته[4]

---

(١) طبقات الصوفية ١٢٥، الحلية ١٠/ ٢٣١

(٢) طبقات الصوفية ١٢٦

(٣) طبقات الصوفية ١٢٧

(٤) طبقات الصوفية ١٢٨، المختار ٢/ ٢٢٨

وقال: كفايتُك تُساقُ إليك باليُسْرِ من غيرِ تعب، وإنَّما التَّعبُ في طلب الفضول[1]

وقال: التَّواضعُ أن لا ترى لأحدٍ إلى نفسِكَ حاجةً في الدُّنيا، ولا في الآخرة[2]

وقال: من استطاعَ منكم أن لا يَعمى عن نُقْصان نفسه، فلْيَفعلْ[3]

وسُئل عن الزُّهدِ فقال: الزُّهدُ عندي أن لا تكونَ بما في يدك أَسكنَ قلبًا منك بضمانِ سيِّدِك[4]

وقال: من غَفْلةِ العبد أن يتفرَّغَ من أمرِ ربِّه إلى سياسةِ نفسه[4]

وقال: لا يَجزعُ من المُصيبة إلاَّ من يتَّهمُ ربَّه عزَّ وجلَّ[4]

وقال: لا أحدَ أَدْوَنُ ممَّن يتزيَّنُ لدارٍ فانيةٍ، ويتجمَّلُ إلى من لا يَملكُ ضرّه ولا نفعه[5]

وقال: إذا اجتمعَ إبليسُ وجنودُه لم يفرحوا بشيءٍ كفرحِهم بثلاثةِ أشياء: رجلٍ مُؤمنٍ قتلَ مُؤمنًا، ورجلٍ ماتَ على الكُفر، وقلبٍ فيه خوفُ الفقرِ[6].

وقال: اصحبِ الصُّوفيةَ؛ فإنَّ للقبيحِ عندهم وجوهًا من المعاذير، وليس للحسن عندهم كبير مَوضعٍ يَعظِّمونك به[7]

وقيل له: مَنِ العلماء؟ قال: المستعملون لعلمهم، والمهتمُّونَ[8]

---

(١) طبقات الصوفية ١٢٧، الحلية ١٠/ ٢٣١

(٢) المختار ٢/ ٢٢٨

(٣) طبقات الصوفية ١٢٩

(٤) طبقات الصوفية ١٢٨

(٥) الكواكب الدرية ١/ ٥٩١.

(٦) الرسالة القشيرية ٣٩٠ (الفقر)، الكواكب الدرية ١/ ٥٩٢.

(٧) الرسالة القشيرية ٤٠١ (التصوف)، تهذيب الأسرار ٢٦، الكواكب الدرية ١/ ٥٩٢.

(٨) في (ب): المُتَّهمون لدينهم.

لدينهم، والمُقتدونَ بسائرِ السَّلف، والمُتَّبعون لكتابِ اللهِ وسُنَّة نبيه ﷺ، لباسُهم الخشوع، وزينتُهم الورع، وحِليَتُهم الخشيةُ، وكلامُهم ذِكرُ الله، وأمرٌ بالمعروف، ونَهي عن المُنكر، وصمتُهم تفكُّرٌ في نعم الله وآلائِهِ، نصيحتُهم للخلق مَبذولة، وعيوبُهم عندهم مَستورة، يُزهّدون الخلقَ في الدُّنيا بالإعراض عنها، ويرغِّبونَهم في الآخرة بالحِرص عليها[1]

ورُوِيَ أنَّ رجلًا سبَّ أبا صالح، فسكتَ عنه، ثمَّ قال: يا أخي لو نقّصتني كلَّ نَقْصٍ لم تُنقصني كنقصي عند نفسي. ثمَّ قال: سَفِهَ رجلٌ على أبي إسحاق الحَنظلي، فاحتمله، وقال: لأيِّ شيءٍ تعلَّمنا العلم؟[1]

وقال: أنت عبدٌ ما لم تَطلبْ مَنْ يَخدمُكَ، فإذا طلبتَ خادمًا خرجتَ من حُكم العُبوديه[2]

وقال: للخلقِ في يوسفَ آياتٌ، وليوسفَ في نفسِه آيةٌ، وهي أعظمُ الآياتِ معرفتُهُ بمكرِ النَّفس، حين قال: ﴿إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ﴾[3] [يوسف: ٥٣].

وقال. إنَّ اللهَ أخبرَ عن حقيقةِ طباعِ الخلق، فقال: لو ملكتُم ما أَملكُهُ من فنونِ الرَّحمة في خزائنِ الخير، لغلَبَ عليكم سوءُ طباعكم [في الشُّحِّ و]البخل وذلك في قوله تعالى: ﴿قُل لَّوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَآئِنَ رَحْمَةِ رَبِّىٓ إِذًا لَّأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ ٱلْإِنفَاقِ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ قَتُورًا﴾[4] [الإسراء: ١٠٠].

* * *

(١) المختار ٢/ ٢٢٩

(٢) المختار ٢/ ٢٢٨

(٣) حلية الأولياء ١٠/ ٢٣٢، وفيها: بمكر النفس وخدعها. المحققون من المفسرين يقولون: إن هذا القول لامرأة العزيز لا ليوسف عليه السلام.

(٤) في حلية الأولياء ١٠/ ٢٣٢: وخزائن الخير

(٢٤) الجُنيد أبو القاسم(*)

أبو القاسم الجُنيد بنُ محمد بن الجُنيد الخزَّاز. وكان أبوه يَبيعُ الزُّجاج، فبذلك يُقالُ له القَواريري. أصلُه من نهاوند، ومولدُهُ ومنشؤه بالعراق.

وكان فقيهًا، تفقَّهَ على أبي ثور(١) وكان يُفتي في حَلْقَتِهِ(٢)

صحبَ: السَّريَّ السَّقطي، والحارثَ المُحاسبي، ومحمد بنَ عليٍّ القصَّاب البغداديَّ رضي الله عنهم(٢)

وهو من كبارِ أئمة القوم وساداتِهم، ومقبولٌ على جميع الألسنة(٢)

مات يومَ السبت، وكان نوروز الخليفة سنة سبع وتسعين ومئتين. وقيل ماتَ في آخرِ ساعةٍ من يومِ الجمعة، ودُفِنَ يومَ السبت(٣)، وقبرُهُ

(*) طبقات الصوفية ١٥٥، حلية الأولياء ١٠/ ٢٥٥، تاريخ بغداد ٧/ ٢٤١، الرسالة القشيرية ٧٠، طبقات الحنابلة ١/ ١٢٧، الأنساب ١٠/ ٢٥٤، صفة الصفوة ٢/ ٤١٦، المنتظم ٦/ ١٠٥، المختار من مناقب الأخيار ٢/ ٥٦، وفيات الأعيان ١/ ٣٧٣، سير أعلام النبلاء ١٤/ ٦٦، دول الإسلام ١/ ١٨١، العبر ٢/ ١١٠، مرآة الجنان ٢/ ٢٣١، طبقات الشافعية للسبكي ٢/ ٢٦٠، الوافي بالوفيات ١١/ ٢٠١، البداية والنهاية ١١/ ١١٣، طبقات الأولياء ١٢٦، النجوم الزاهرة ٣/ ١٦٨، نفحات الأنس ١٢١، طبقات الشعراني ١/ ٨٤، الكواكب الدرية ١/ ٥٧٠، شذرات الذهب ٢/ ٢٢٨

(١) أبو ثور إبراهيم بن خالد بن اليمان الكلبي الفقيه البغدادي، أحد الأئمة المجتهدين، ثقة، ورع، خيِّر، صنف الكتب، توفي سنة ٢٤٠ انظر تهذيب التهذيب ١/ ٦٤.

(٢) طبقات الصوفية ١٥٥

(٣) طبقات الصوفية ١٥٦ وانظر معنى نوروز صفحة ٣٥٧.

ظاهرٌ ببغداد في الشُّونيزية، يزورُهُ الخاصُّ والعام.

وسُئل عن العارف، فقال: مَنْ نطقَ عن سرِّكَ، وأنت ساكتٌ[1]

وقال: ما أخذنا التَّصوفَ عن القيلِ والقال، لكنْ عن الجوع، وتركِ الدُّنيا، وقطعِ المألوفات والمستحسنات[2]

وقال له رجل: أَهلُ المعرفةِ بالله تعالى يَصلونَ إلى تركِ الحركاتِ من باب البرِّ والتَّقوى إلى الله. فقال الجُنيد: إنَّ هذا قولُ قومٍ تكلَّموا بإسقاطِ الأعمال، وهي عندي عظيمة، والذي يَزني ويَسرقُ أَحسنُ حالاً من الذي يقولُ هذا؛ بل إنَّ العارفين بالله أخذوا الأعمالَ عن اللهِ، وإليه رجعوا فيها، ولو بقيتُ ألفَ عامٍ لم أُنقِصْ من أعمالِ البرِّ ذرةً إلاَّ أن يُحالَ بي دونها[3]

وقال. لو أمكنَكَ ألاّ تكونَ آلةُ بيتك إلاَّ من الخزف، فافعل[4]

وقال: الطُّرقُ إلى الله كلُّها مَسدودةٌ على الخَلْقِ إلاَّ على من اقتفى أثرَ الرَّسولِ ﷺ، [واتبع سُنَّتَهُ، ولزم طريقتَهُ، فإن طُرُقَ الخيراتَ كلَّها مفتوحةٌ عليه][5]

وقال: لو أقبلَ صادقٌ على اللهِ ألفَ ألف سنةٍ، ثمَّ أعرض عنه لحظةً، كان ما فاتَهُ أكثرَ ممَّا ناله[6]

وقال: مَنْ لم يحفظِ القرآنَ، ولم يكتبِ الحديثَ لا يُقتدى به في هذا الأمر؛ لأنَّ علمَنَا مُقيَّدٌ بالكتابِ والسُّنة[7]

وقال أبو الحسين عليُّ بن إبراهيم الحدَّاد: حَضرتُ مجلسَ [القاضي]

---

(١) طبقات الصوفية ١٥٧، الرسالة القشيرية ٧١، وفيهما: سُئل: من العارف؟.
(٢) طبقات الصوفية ١٥٨، الرسالة القشيرية ٧١.
(٣) طبقات الصوفية ١٥٩، الرسالة القشيرية ٧١، ٤٤١ (المعرفة).
(٤) طبقات الصوفية ١٥٩، وفي (أ): أن تكون آلة بيتك من الخزف.
(٥) طبقات الصوفية ١٥٩، وما بين معقوفين مستدرك منه، الرسالة القشيرية ٧١.
(٦) طبقات الصوفية ١٦١، الرسالة القشيرية ٧٢
(٧) الرسالة القشيرية ٧٢.

أبي العباس بن شُريح، فتكلَّمَ في الأُصول والفروع كلامًا حسنًا أُعجبتُ به، فلمَّا رأى إعجابي قال: أتدري من أين هذا؟ قلتُ: يقولُ القاضي. فقال: هذا بركةُ مُجالسة أبي القاسم الجُنيد[1]

وقال له رجلٌ: ممَّنِ استفدتَ هذا العلم؟ فقال: من جلوسي بين يدي الله ثلاثين سنة تحت تلك الدَّرجة. وأومأ إلى درجةٍ في داره[2]

وقيل: إنَّه رُئي وفي يده سبحةٌ، فقيل له: أنتَ مع شرفك تأخذُ بيدك سبحةً؟! فقال: طريقٌ وصلتُ به إلى الله تعالى لا أُفارقُه[3]

وكان يدخلُ في كلِّ يومٍ حانوته، ويُسبلُ السّترَ، ويُصلّي أربع مئة ركعة، ثمَّ يعود إلى بيته[4]

وقال أبو بكر العطوي[5]: كنتُ عند الجُنيد، وقد احتُضرَ، فختمَ القرآن، ثمَّ ابتدأ يقرأ من سورة البقرة سبعين آية، ثمَّ ماتَ رحمه الله[6]

وقال: بابُ كلِّ علمٍ نفيسٍ جليلٍ بَذْلُ المجهود، وليسَ من طَلَبَ اللهَ ببذلِ المجهودِ، كمن طلبَهُ من طريق الجود[7]

وقال: إنَّ الله يَخلُصُ إلى القلوبِ من بِرِّه، حَسْبَ ما خلصتِ القلوبُ به إليه من ذِكره، فانظرْ ماذا خالطَ قلبَكَ[7]

وقال جعفر الخُلدي: سمعتُ الجُنيد يقولُ: يا ذاكرَ الذَّاكرين بما به ذكَروه، ويا باديَ العَارفين بما به عَرَفوه، [ويا موفقَّ العابدين لصالح

---

(١) الرسالة القشيرية ٧٢، تاريخ بغداد ٧/ ٢٤٣، المختار ٢/ ٥٧.

(٢) الرسالة القشيرية ٧٢، تاريخ بغداد ٧/ ٢٤٥، صفة الصفوة ٢/ ٤١٧، المختار ٢/ ٥٨

(٣) تاريخ بغداد ٧/ ٢٤٥، الرسالة القشيرية ٧٢، المختار ٢/ ٧٥ وفي (أ): مسبحة.

(٤) الرسالة القشيرية ٧٢

(٥) في (أ): العطري.

(٦) تاريخ بغداد ٧/ ٢٤٨، الرسالة القشيرية ٧٢.

(٧) طبقات الصوفية ١٥٧.

ما عملوه] من ذا الذي يَشفعُ عندك إلَّا بإذنك؟ ومن ذا الذي يَذكرُكَ إلَّا بفضلك[1]

وقال: التَّصوفُ هو صفاءُ المُعاملةِ مع الله، وأصلُهُ التَّعزُّفُ عن الدُّنيا كما قال حارث: عَزَفَتْ نفسي عن الدُّنيا، فأسهرتُ ليلي، وأظمأتُ نهاري[2]

وقال: إنَّما هذا الاسمُ ـ يعني التَّصوف ـ نعتٌ أُقيمَ العبدُ فيه. فقلت: يا سيِّدي، نعتٌ للعبد، أم نعتٌ للحقِّ؟ فقال: نعتٌ للحقِّ حقيقةً، ونعتٌ للعبد رسمًا[3]

وقال: إنَّك لن تكونَ على الحقيقةِ له عبدًا، وشيءٌ ممَّا دونه لك مُسْتَرِقٌ، وإنَّك لن تصلَ إلى صريحِ الحريَّةِ، وعليك من حقيقةِ عبوديَّته بقيةٌ، فإذا كنتَ له وحدَه عبدًا، كنت ممَّا دونه حرًّا[4]

وقال: الغفلةُ عن اللهِ أشدُّ من دخولِ النَّار[5]

وقال: حاجةُ العارفين إلى كلاءَته ورعايته. قال الله: ﴿ قُلْ مَن

---

(١) طبقات الصوفية ١٥٧، وما بين معقوفين مستدرك منه.

(٢) قال الحارث بن مالك الأنصاري: مررت بالنبي ﷺ فقال: «كيف أصبحت يا حارث؟» قلت: أصبحت مؤمنًا حقًّا. فقال. «انظر ما تقول، فإن لكلِّ شيءٍ حقيقةً، فما حقيقة إيمانك؟» قلت: قد عزفت نفسي عن الدنيا، وأسهرت لذلك ليلي، وأظمأت نهاري، وكأني أنظر إلى عرش ربي بارزًا، وكأني أنظر إلى أهل الجنة يتزاورون فيها، وكأني أنظر إلى أهل النار يتضاغون فيها. فقال: «يا حارث، عرفت فالزم». قالها ثلاث.
ذكر في كنز العمال برقم (٣٦٩٨٨) وعزاه إلى الطبراني، وأبي نعيم. وابن حجر في الإصابة ١/ ٢٨٩، وقال: رواه ابن المبارك في الزهد، قال الهيثمي في مجمع الزوائد ١/ ٥٧ رواه البزار، وفيه يوسف بن عطية لا يحتج به. وفي الأصل: كما قال حارثة. والمثبت من مصادر الخبر
طبقات الصوفية ١٥٨

(٣) طبقات الصوفية ١٥٨ وفيه: وقال أبو بكر الملاعقي: سمعت الجُنيدَ يقول. . .

(٤) طبقات الصوفية ١٥٨

(٥) طبقات الصوفية ١٥٩.

﴿يَكْلَؤُكُم بِالَّيْلِ وَالنَّهَارِ مِنَ الرَّحْمَٰنِ﴾[1] [الأنبياء: ٤٢].

وقال: بكى يُونسُ عليه السَّلام حتَّى عَمي، وقامَ حتَّى انحنى، وصلَّى حتَّى أُقعد، ثمَّ قال: وعزَّتك وجلالِكَ، لو كان بيني وبينك بحرٌ من نارٍ لخضتُهُ شوقًا إليك[2]

وقال: نجحُ قضاءِ كلِّ حاجةٍ من الدُّنيا تركُها[3]

وقال: إذا لقيتَ الفقيرَ فلا تبدَأْه بالعلم، وابدأْهُ بالرِّفق؛ فإنَّ العلمَ يُوحشُهُ، والرِّفقَ يُؤنسه[3]

وقال: لا تقومُ بما عليك حتَّى تتركَ ما لك، ولا يقوى على ذلك إلاَّ نبيٌّ أو صدِّيق[4]

وقال: الأُنسُ بالمواعيد، والتَّعويلُ عليها خللٌ في الشَّجاعة[4]

و: الوقتُ إذا فاتَ لا يُستدركُ، وليسَ شيءٌ أعزَّ من الوقت[5]

وقال جعفر الخُلدي: رأيتُ الجُنيد في المنام، فقلتُ: أليس كلامُ الأنبياءِ عليهم السَّلام إشاراتٍ عن مُشاهداتٍ؟ فتبسَّمَ، وقال: كلامُ الأنبياء عليهم السَّلام نَبَأٌ عن حضور، وكلامُ الصِّدِّيقين إشاراتٌ عن مشاهدات[6]

ورُوِيَ أنَّه كتبَ إلى بعض إخوانه: من أشارَ إلى الله، وسكنَ إلى غيره، ابتلاه اللهُ عزَّ وجلَّ، وحَجَبَ عن قلبه ذِكرَهُ، وأجراه على لسانه، فإن انتبَهَ وانقطعَ ممن سَكَنَ إليه، ورجعَ إلى من أشارَ إليه كشفَ اللهُ ما به من المِحَنِ والبلوى، وإن دامَ على سُكونه[7]، نزعَ اللهُ من قلوب الخلقِ

---

(١) طبقات الصوفية ١٦٠

(٢) تهذيب الأسرار ٦٩، الكواكب الدرية ١/ ٥٨٠.

(٣) طبقات الصوفية ١٦٠

(٤) طبقات الصوفية ١٦١. وانظر تهذيب الأسرار ٢٦٦

(٥) طبقات الصوفية ١٦١

(٦) طبقات الصوفية ١٦٢

(٧) في طبقات الصوفية: سكوته.

الرَّحمةَ عليه، وأُلبسَ لباسَ الطَّمعِ، فتزدادُ مُطالبتُهُ منهم، مع فقدانِ الرَّحمة في قلوبهم، فتصيرُ حياتُه عجزًا، وموتُه كَمَدًا، ومعادُهُ أسفًا، ونحن نعوذُ بالله من السُّكونِ إلى غير الله عزَّ وجل[1]

وقال: أكثرُ النَّاسِ علمًا بالآفات أكثرُهُم آفات[2]

وقال له رجلٌ: مَنْ أصحبُ؟ فقال: من تَقْدرُ أن تُطلِعَهُ على ما يَعلمُهُ الله منك[2]

وقال له مرَّةً أُخرى: مَنْ أَصحبُ؟ فقال: من يَقدِرُ أن يَنْسى ما له، ويقضي ما عليه[2]

وقال: قد مَشى رجالٌ على الماءِ باليقين، وماتَ بالعطشِ من هو أَفضلُ منهم يقينًا[3]

وقال: مَنْ عرفَ الله لا يُسرُّ إلاَّ به[4]

و: الحياءُ من اللهِ أزالَ عن قلوبِ أوليائه سرورَ المنَّة[5]

وقال أبو بكر الزُّجَاجي: سألتُ الجُنيد عن المحبَّة، فقال. تُريدُ الإشارة؟ قلتُ: لا فقال: تُريدُ الدَّعوى؟ قلتُ: لا قال: فأَيش تُريد؟ فقلتُ: عينَ المحبَّةِ. فقال: أن تحبَّ ما يُحبُّ اللهُ في عباده، وتكرَهُ ما يكرَهُ الله في عباده[6]

وقال له رجلٌ: على ماذا يتأسَّفُ المحبُّ من أوقاته؟ قال: على زمانِ بسطٍ أورثَ قبضًا، أو زمانِ أُنسٍ أورثَ وَحشةً، ثمَّ أنشأ يقول:

---

(١) طبقات الصوفية: ١٦٢
(٢) طبقات الصوفية: ١٦١
(٣) طبقات الصوفية ١٦٣، الرسالة القشيرية ٢٨٤ (اليقين).
(٤) طبقات الصوفية ١٦٣
(٥) طبقات الصوفية ١٦٢، المختار ٢/٧٦
(٦) طبقات الصوفية ١٦٣.

قد كانَ لي مَشربٌ يَصْفُو برؤيَتِكُم فكَدَّرَتْهُ يَدُ الأيَّامِ حينَ صفا[1]

وقال جعفر الخُلدي: رأيتُ الجُنيد بعد موتِهِ في المنام، فقلتُ له: ما فعلَ اللهُ بك؟ فقال: طاحَتْ تلك الإشارات، وغابت تلك العبارات، وفَنِيَتْ تلك العلومُ، ونفدَتْ تلك الرُّسوم، وما نفعنا إلاَّ رَكعاتٌ كنَّا نَركعها في الأسحار[2]

وقال: العبادةُ على العارفين أحسنُ من التِّيجانِ على رؤوس الملوك[3]

و: سُئل عن العارف، فقال: لونُ الماء لونُ إنائه. ومعناه: أي هو بحكم وقته[4]

و: سُئل عن قربِ الله، فقال: قريبٌ لا بالتزاق، بعيدٌ لا بافتراق[5]

وقال: التَّوبةُ على ثلاثة معاني: أوَّلُها النَّدم، والثَّاني العزمُ على تركِ المعاودةِ إلى ما نهى اللهُ عزَّ وجلَّ عنه، والثَّالث السَّعيُ في أداء المظالم[6]

وقال: مكابدةُ العزلةِ، أيسرُ من مداراةِ الخِلطة[7]

وقال: من أرادَ أن يَسلمَ له دينُهُ، ويستريحَ بدنُهُ وقلبه، فليعتزلِ النَّاسَ؛ فإنَّ هذا زمانُ وحشةٍ، والعاقلُ من اختارَ فيه الوحدة[8]

---

(١) طبقات الصوفية ١٦٣، تهذيب الأسرار ٧٩.
(٢) حلية الأولياء ١٠/ ٢٥٧، المختار ٢/ ٨٤، وفي (أ): وخابت تلك العبارات.
(٣) الكواكب الدرية ١/ ٥٧٦.
(٤) الرسالة القشيرية ٤٤٣ (المعرفة)، الكواكب الدرية ١/ ٥٧٣
(٥) تهذيب الأسرار ٧٣، المختار ٢/ ٧٦
(٦) الرسالة القشيرية ١٧٢ (التوبة).
(٧) الرسالة القشيرية ١٨٥ (الخلوة)، المختار ٢/ ٧٧
(٨) الرسالة القشيرية ١٨٦ (الخلوة)، المختار ٢/ ٧٧.

وقال. ما نجا من نجا إلاَّ بصدقِ اللجا، قال الله تعالى: ﴿وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ﴾[1] [التوبة: ١١٨].

وقال: الزُّهدُ خلوُّ القلب عمَّا خلتْ منه اليدُ[2]، واستصغارُ الدُّنيا ومحو آثارها من القلب[3]

و: الخوف توقعُ العقوبةِ مع مَجاري الأنفاس[4]

وسُئل عن الخشوعِ، فقال: تذلُّلُ القلوب لعلاَّمِ الغيوب[5]

وسُئل عنِ التَّواضع، فقال: خفضُ الجناح، ولينُ الجانب[6]

وقال: النَّفسُ الأمَّارة بالسُّوءِ هي الداعيةُ إلى المهالك، والمُعينةُ للأعداء، المُتَّبعةُ للهوى، المُتَّهمة بأصناف السّوء[7]

وقال رضي الله عنه. أرقتُ ليلةً، فقمتُ إلى وِردي فلم أجدْ ما كنتُ أَجدُه من حلاوةٍ، فأردتُ أن أنامَ، فلم أقدرْ عليه، فأردتُ القعودَ فلم أُطق، ففتحتُ البابَ وخرجتُ، فإذا رجلٌ مُلتفٌّ في عباءةٍ مَطروحٌ على الطَّريق، فلمَّا أحسَّ بي، رفعَ رأسَهُ فقال: يا أبا القاسم، إلى السَّاعةِ؟! فقلتُ: يا سيِّدي، من غيرِ مَوعدٍ؟ فقال: بلى، سألتُ مُحرِّكَ القلوبِ أن يُحرِّكَ لي قلبَكَ. فقلتُ: ما حاجتُك؟ فقال: متى يَصيرُ داءُ النَّفس دواءها؟ فقلتُ: إذا خالفتِ النَّفسُ هواها، صار داؤها دواءَها. فأقبلَ على نفسه، وقال: اسمعي، قد أجبتُكِ بهذا الجواب سبعَ مرَّاتٍ، فأبيتِ إلاَّ أن تسمعيه

---

(١) الرسالة القشيرية ١٩٣ (التقوى).

(٢) الرسالة القشيرية ٢٠٢ (الزهد).

(٣) الكواكب الدرية ١/ ٥٨٢

(٤) الرسالة القشيرية ٢١٥ (الخوف)، تهذيب الأسرار ١٤٦

(٥) الرسالة القشيرية ٢٣٩ (الخشوع).

(٦) الرسالة القشيرية ٢٤١ (الخشوع).

(٧) الرسالة القشيرية ٢٤٦ (مخالفة النفس).

من الجُنيد، فقد سمعتِ. وانصرفَ عنّي، ولم أعرفه، ولا وقفتُ عليه[1]

وقال رضي الله عنه: كنتُ جالسًا في مسجد الشُّونيزيّة انتظرُ جنازةً أُصلّي عليها، وأهلُ بغداد على طبقاتهم جلوسٌ يَنظرون الجنازة، فرأيتُ فقيرًا عليه أثر النُّسكِ يَسألُ النَّاس، فقلتُ في نفسي: لو عملَ هذا عملاً يَصونُ به نفسَه، كان أجملَ به. فلمَّا انصرفتُ إلى مَنْزلي وكان لي شيءٌ من الوِرْد باللَّيل من الصَّلاةِ والقراءةِ والبُكاء، فثَقُلَتْ عليَّ جميعُ أورادي، فسهرتُ وأنا قاعدٌ، فغلبتني عيناي، فرأيتُ ذلك الفقيرَ وقد جاؤوا به على خِوانٍ، وقالوا لي: كُلْ لحمَهُ؛ فقد اغتبتَهُ. فكُشِف لي عن الحالِ، فقلتُ: ما اغتبتُه! إنَّما قلتُ شيئًا في نفسي. فقيل لي: ما أنتَ ممّن يُرضى منك بمثل هذا، اذهبْ إليه، واستحلَّه، فأصبحتُ ولم أزلْ أتردَّدُ حتَّى رأيتُهُ في موضعٍ يَلتقطُ من ترادِّ الماء أوراقًا مما يتساقط من غسل البقل، فسلَّمتُ عليه، فقال: تعودُ يا أبا القاسم؟ فقلتُ: لا فقال: غَفَرَ اللهُ لنا ولك[2]

وقال عبد الوهاب: كنتُ جالسًا عند الجُنيد أيَّامَ الموسم، وعنده جماعةٌ كثيرون من العجمِ والمولَّدين، فجاءَ إنسانٌ بخمسِ مئة دينار، ووضعَها بين يديه، وقال: تُفرِّقُها على هؤلاء. فقال: ألك غيرُ هذا المال؟ فقال: نعم، دنانيرُ كثيرةٌ. قال: تريدُ غيرَ ما تملك؟ قال: نعم. فقال الجُنيد: خذْها؛ فإنَّك إليها أحوجُ منَّا. ولم يقبلها[3]

ودخل جماعةٌ على الجُنيد، فقالوا: نطلبُ الرِّزقَ؟ فقال لهم: إن علمتم في أيِّ موضعٍ هو، فاطلبوه. قالوا: فنسألُ الله؟ فقال: إن علمتم أنَّه يَنساكم فذكِّروهُ. قالوا: فندخل البيتَ، ونتوكَّلُ عليه؟ فقال: التَّجربةُ

---

(١) الرسالة القشيرية ٢٤٧ (مخالفة النفس)، طبقات الشافعية للسبكي ٢/ ٢٦٢، المختار ٢/ ٥٩، الكواكب الدرية ١/ ٥٨٣

(٢) الرسالة القشيرية ٢٥٦ (الغيبة).

(٣) الرسالة القشيرية ٢٦٠ (القناعة)، المختار ٢/ ٦٠

شكٌّ. قالوا: فما الحيلةُ؟ قال: تركُ الحيلة[1]

وقال: الشُّكرُ فيه علَّةٌ؛ لأنَّه طالبٌ لنفسه المزيد، فهو واقفٌ مع الله على حظِّ نفسه[2]

و: الشُّكرُ أن لا ترى نفسَكَ أهلاً للنعمة[2]

وقال: كنتُ أَلعبُ بين يدي خالي السَّريِّ، وأنا ابنُ سبعِ سنين، وبين يديهِ جماعةٌ يتكلَّمون في الشُّكر، فقال: يا غلام، ما الشُّكر؟ فقلتُ: أن لا تَعصي اللهَ بنعمةٍ. فقال: يوشك أن يكونَ حظُّك من اللهِ لسانَكَ. فلا أزالُ أبكي على هذه الكلمةِ التي قالها السَّريُّ[3]

وقال: اليقينُ هو استقرارُ العلمِ الذي لا يَنقلبُ ولا يَحولُ ولا يتغيَّرُ في القلب[4]

وقال: اليقينُ ارتفاعُ الرَّيبِ في مَشهد الغيب[5]

وقال: المسيرُ من الدُّنيا إلى الآخرة سهلٌ هيِّنٌ على المؤمن، وهجرانُ الخلقِ في جنبِ الحقِّ شديد، والمسيرُ من النَّفسِ إلى الله صعبٌ شديد، والصَّبرُ مع الله أشدُّ[6]

وقال: الصَّبرُ تَجرُّعُ المرارة من غير تعبيس[7]

---

(١) الرسالة القشيرية ٢٦٩ (التوكل)، روض الرياحين ٣٧٨ (الحكاية ٣٣٣)، الكواكب الدرية ١/ ٥٨٢.

(٢) الرسالة القشيرية ٢٧٦ (الشكر)، المختار ٢/ ٧٧

(٣) تاريخ بغداد ٧/ ٢٤٤، الرسالة القشيرية ٢٧٧ (الشكر)، المختار ٢/ ٥٧

(٤) الرسالة القشيرية ٢٨٣ (اليقين).

(٥) الرسالة القشيرية ٢٨٤ (اليقين)، المختار ٢/ ٧٧

(٦) الرسالة القشيرية ٢٨٦ (الصبر)، الكواكب ١/ ٥٨١، وسيذكر هذا القول ثانية صفحة ٣٦٣.

(٧) الرسالة القشيرية ٢٨٦ (الصبر)، المختار ٢/ ٧٧.

وقال: من تحقَّقَ في المراقبة، خافَ على فوتِ حظِّه من ربِّه عزَّ وجلَّ لا غير[1]

ورُوِيَ أنَّ الشِّبليَّ قال يومًا بين يدي الجُنيد: لا حولَ ولا قوَّةَ إلاَّ بالله العليِّ العظيم. فقال الجُنيد: قولك ذا ضيقُ صدرٍ، وضيقُ الصَّدرِ لتركِ الرِّضا بالقضا، فالرِّضا رفعُ الاختيار[2]

وقال: المريدُ الصَّادقُ غنيٌّ عن علم العلماء[3]

و: إذا أرادَ اللهُ بالمُريدِ خيرًا، أوقعَهُ إلى الصُّوفية، ومنعَهُ صحبةَ القرَّاء[4]

وقيل له: ما للمُريدين في مُجاراة الحكايات؟[5] فقال: الحكاياتُ جندٌ من جنودِ الله، يُقوِّي بها قلوبَ المُريدين. فقيل له: فهل في ذلك شاهدٌ؟ قال: قولُه تعالى: ﴿ وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ ﴾[6] [هود: ١٢٠].

وقيل له: ما الفرقُ بين المُريد والمُراد؟ فقال: المُريدُ تتولاَّه سياسة العلم، والمراد تتولاَّه رعايةُ الحقِّ؛ لأنَّ المُريدَ يَسير، والمُرادَ يَطير، فمتى يلحقُ السَّائرُ الطَّائر؟[7]

وقال: رأيتُ شابًّا من المُريدين في الباديةِ تحت شجرةٍ من أشجارِ أُمِّ غَيْلان[8] فقلت له: ما أجلسك ههنا؟ فقال حال فقدته. فمضيتُ وتركتُهُ،

---

(١) الرسالة القشيرية ٢٩٥ (المراقبة).
(٢) الرسالة القشيرية ٢٩٩ (الرضا)، المختار ٢/ ٧٧
(٣) الرسالة القشيرية ٣٠٩ (الإرادة).
(٤) الرسالة القشيرية ٣٠٨ (الإرادة).
(٥) في (أ): مجازات الحكايات.
(٦) الرسالة القشيرية ٣٠٩ (الإرادة)، المختار ٢/ ٧٧، طبقات الشافعية للسبكي ٢/ ٢٦٥
(٧) الرسالة القشيرية ٣١٠ (الإرادة).
(٨) شجر أم غيلان: هو شجر السَّمر، صغار الورق، قصار الشوك؛ أجود العضاه خشبًا. انظر اللسان.

فلمّا انصرفت من الحجِّ، فإذا أنا بالشابِّ قد انتقل إلى موضعٍ آخرَ قريبٍ من الشَّجرةِ، فقلت: ما جلوسُك ههنا؟ فقال: وجدت ما كنتُ أطلبُه ههنا في هذا الموضع، فلزمته. قال الجُنيد: فلا أدري أيُّهما كان أشرف، لزومُه لفقدِ حاله، أو لزومُه للوضع الذي نال فيه مراده؟(١)

وقال: الإخلاص سرٌّ بين العبدِ وبين الله، لا يعلمُهُ مَلَكٌ فيكتبَهُ، ولا شيطانٌ فيُفسدَه، ولا هوًى فيميله(٢)

وقال: الصَّادقُ يتقلَّبُ في اليوم أربعين مرّة، والمُرائي يثبتُ على حالةٍ واحدةٍ أربعين سنة(٣)

و: حقيقةُ الصِّدق أَنْ تَصدُقَ في موطنٍ لا يُنجيك منه إلاَّ الكذب(٤)

وسُئل عن الحياءِ، فقال: رؤية الآلاء، ورؤيةُ التّقصير، فيتولَّدُ بينهما حالةٌ تُسمى الحياء(٥)

وسُئل عمَّن لم يبقَ عليه من الدُّنيا إلاَّ مقدار مصِّ نواة. فقال: «المُكَاتَبُ عبدٌ ما بقي عليه درهم»(٦)

وقال: إنَّكَ لا تصلُ إلى صريحِ الحريّة، وعليك من حقيقةِ عبوديته بقيّة(٧)

---

(١) الرسالة القشيرية ٣١٣ (الاستقامة)، المختار ٢/ ٦٠

(٢) الرسالة القشيرية ٣١٦ (الإخلاص)، المختار ٢/ ٧٧، وفي (أ): عز الإخلاص سرٌّ.

(٣) الرسالة القشيرية ٣١٨ (الصدق).

(٤) تاريخ بغداد ٧/ ٢٤٥، الرسالة القشيرية ٣٢٠ (الصدق)، المختار ٢/ ٧٨.

(٥) الرسالة القشيرية ٣٢٦ (الحياء)، تهذيب الأسرار ٤٤٨

(٦) الحديث رواه أبو داود (٣٩٢٦) والترمذي (١٢٦٠) وابن ماجه (٢٥١٩) وذكره البخاري تعليقًا ٥/ ١٤٣ في العتق، باب بيع المكاتب.
والمكاتَب: العبد يشتري نفسه من مالكه بمالٍ معلوم وانظر الخبر في الرسالة القشيرية ٣٢٩ (الحرية)، والمختار ٢/ ٧٨ وفي (أ): الدنيا بقية إلا مقدار مص.

(٧) الرسالة القشيرية ٣٢٩ (الحرية)، المختار ٢/ ٧٨

وقال: الفتوَّةُ بالشَّام، واللِّسان بالعراق، والصِّدقُ بخُراسان[1]

وقال: الفتوَّةُ كفُّ الأذى، وبذلُ النَّدى[2]

ورُوِيَ أنَّ شابًّا كان يَصحبُ الجُنيد يتكلَّمُ على خواطر النَّاسِ، فقال الجُنيد يومًا: أَيش هذا الذي يُذكرُ عنك؟ فقال له الشَّابُّ: اعتقدْ شيئًا بقلبك. فقال له الجُنيد: اعتقدتُ. فقال الشَّابُّ: اعتقدتَ كذا وكذا. فقال الجُنيد: لا فقال: اعتقدْ ثانيًا. ففعل، فقال: اعتقدتَ كذا وكذا. فقال الجُنيد: لا فقال ثالثًا. فقال مثله، فقال الشَّابُّ: هذا عجبٌ، أنت صدوقٌ، وأنا أعرف قلبي! فقالَ له الجُنيد: صدقتَ في الأوَّل، والثَّاني، والثَّالث، ولكنِّي أردتُ أن امتحنَك هل يتغيَّرُ قلبك[3]

وقال: كان يقولُ لي السَّريُّ: تكلَّمْ على النَّاس، وكان في قلبي حِشْمةٌ من الكلام على النَّاس، فإنِّي كنتُ أتَّهِمُ نفسي في استحقاق ذلك، فرأيتُ ليلةً في المَنام النَّبيَّ ﷺ وكانت ليلةَ جُمعةٍ، فقال لي: تكلَّمْ على النَّاس. فانتبهتُ، وأتيتُ باب السَّريّ قبل أن أُصبحَ، فدققتُ عليه الباب، فقال لي: لم تُصِدِّقْنا حتَّى قيل لك. فقعدتُ في غدٍ بالجامع، وانتشرَ في النَّاسِ أنَّ الجُنيد قعد يتكلَّمُ على النَّاس، فوقفَ عليَّ غلامٌ نصرانيٌّ مُتنكرٌ، وقال لي: أيُّها الشَّيخ، ما معنى قولِ رسولِ الله ﷺ: «اتَّقوا فِراسةَ المؤمن، فإنَّه يَنظرُ بنورِ الله»؟[4] قال: فأطرقتُ رأسي، ثمَّ رفعتُهُ، وقلت له: أسلمْ؛ فقد حانَ وقتُ إسلامك. فأسلم الغلام[5]

---

(١) الرسالة القشيرية ٣٣٧ (الفتوة)، تهذيب الأسرار ١٨٨

(٢) الرسالة القشيرية ٣٣٨ (الفتوة)، المختار ٢/ ٧٨

(٣) الرسالة القشيرية ٣٤٩ (الفراسة)، المختار ٢/ ٦٠

(٤) أخرجه الترمذي ٥/ ٢٩٨ (٣١٢٧) في التفسير، باب ومن سورة الحجر، والطبراني في الكبير ٨/ ١٠٢، وأبو نعيم في الحلية ٦/ ١١٨، والخطيب في تاريخ بغداد ٥/ ٩٩. وحسّنه الهيثمي في مجمع الزوائد ١٠/ ٢٦٨

(٥) الرسالة القشيرية ٣٥٣ (الفراسة)، المختار ٢/ ٦١

وقال أبو عبد الله المكانسي: كنتُ عند الجُنيد يومًا، فأتته امرأة[1] فقالت: إنَّ ابنًا لي قد ضاعَ، فادعُ الله لي. فقال: اذهبي، اصبري. فمضتْ، ثمَّ عادتْ وقالتْ مثلَ ذلك، فقال لها الجُنيد: اذهبي واصبري. فمضت ثمَّ عادت، وقالت مثلَ ذلك مِرارًا، والجُنيدُ يقول: اذهبي واصبري. فقالت له: عِيل صبري، ولم يبقَ لي طاقةٌ، فادعُ لي. فقال الجُنيد: إنْ كان كما قلتِ، فاذهبي فقد رجعَ ابنُك. فمضتْ وعادت تَشكره، وأخبرته بعوده، فقيل له: بِمَ عرفتَ ذلك؟ فقال: لأنَّ الله تعالى يقول: ﴿ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ ﴾[2] [النمل: ٦٢].

وقال جعفر بن نصير الخُلدي: دفع إليَّ الجُنيد درهمًا، وقال: اشترِ به لي التين الوزيري. فاشتريتُه، فلمَّا أفطرَ، أخذ واحدةً ووضعها في فمه، ثمَّ ألقاها وبكى، وقال لي: احملْه. فقلتُ له في ذلك، فقال: هتفَ بي هاتفٌ في قلبي. أما تستحيي، تركتَ هذا من أجلي ثمَّ تعود إليه؟ وأنشد:

نونُ الهوانِ من الهوى مَسروقةٌ وصريعُ كلِّ هوًى صريعُ هوانِ[3]

وسُئل عن التَّصوُّف، فقال: أن تكونَ مع الله بلا علاقة[4]

وقال مرَّةً أُخرى: هو أن يُميتَك الحقُّ عنك، ويُحييك به[4]

وقال مرَّةً: هو عنوةٌ لا صُلحَ فيها[5]

وقال مرَّةً أخري: هم أهلُ بيت واحدٍ، لا يدخلُ فيهم غيرُهم[5]

وقال مرَّةً أُخرى: التَّصوُّفُ ذكرٌ مع اجتماع، ووجدٌ مع استماع، وعملٌ مع اتباع[5]

---

(١) في (أ): فرأيته وأتته امرأة.

(٢) الرسالة القشيرية ٣٧٩ (الدعاء)، المختار ٢/ ٦١

(٣) الرسالة القشيرية ٢٥٠ (مخالفة النفس)، المختار ٢/ ٦٢، طبقات الأولياء ١٢٩. وانظر تهذيب الأسرار ١٧٧

(٤) الرسالة القشيرية ٤٠٠ (التصوف)، المختار ٢/ ٧٨.

(٥) الرسالة القشيرية ٤٠١ (التصوف)، تهذيب الأسرار ٢٦ و٢٧.

وقال مرّةً أُخرى: الصُّوفيُّ كالأرضِ، يُطرحُ عليها كلُّ قبيحٍ، فلا يخرجُ منها إلاَّ كلُّ مليح[1]

وقال مرّةً أُخرى: الصُّوفيُّ كالأرض يطؤها البرُّ والفاجر، وكالسَّحابِ يُظلُّ كلَّ شيءٍ، وكالقَطرِ يَسقي كلَّ شيء[1]

وقال: إذا رأيت الصُّوفي يُعنى بظاهره فاعلمْ أنَّ باطنَه خرابٌ[1]

وسُئل عن التَّوحيد، فقال: إفراد[2] الموحِّد بتحقيق وحدانيته بكمال أَحديَّته، إنَّه الذي ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾، بنفي[3] الأضداد والأنداد والأشباه بغير تشبيهٍ ولا تكييفٍ ولا تصوير ولا تمثيل ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾[4] [الشورى: ١١].

وقال: إذا تناهتْ عقولُ العقلاء في التَّوحيد، تناهتْ إلى الحيرة[5]

وقال: التَّوحيدُ معنًى تَضمحلُّ فيه الرّسوم، وتندرجُ فيه العلوم ويكون اللهُ عزَّ وجلَّ كما لم يزل[6]

وقال الجُنيد: جاءني بعضُ الصَّالحين يومَ جمعةٍ، فقال لي: ابعثْ معي فقيرًا يُدخلُ عليَّ سرورًا، ويأكل معي شيئًا. فالتفتُّ فإذا أنا بفقيرٍ شهدتُ فيه الفاقةَ، فدعوتُه، وقلتُ له: امضِ مع هذا الشَّيخ، وأَدخلْ عليه سرورًا. فمضى، فلم ألبثْ[7] أن جاءَ الرَّجلُ، فقال: يا أبا القاسم، لم يأكلْ ذلك الفقيرُ إلاَّ لقمةً، وخرج. فقلتُ له: لعلَّكَ قلتَ له كلمةً جفتَ

---

(١) الرسالة القشيرية ٤٠١ (التصوف)، تهذيب الأسرار ٢٦ و٢٧

(٢) في (أ): إقرار.

(٣) في (أ): ينفي.

(٤) الرسالة القشيرية ٤٢٣ (التوحيد)، روض الرياحين ٥٦٩، ٥٧٠ فصل بيان عقيدة المشايخ.

(٥) حلية الأولياء ١٠/ ٢٦٨، الرسالة القشيرية ٤٢٣ (التوحيد)، المختار ٢/ ٧٨.

(٦) الرسالة القشيرية ٤٢٣ (التوحيد)، المختار ٢/ ٧٨

(٧) في (أ): فما ألبث.

عليه. فقال: لم أقلْ شيئًا. فالتفتُّ فإذا بالفقيرِ جالسٌ، فقلتُ له: لِمَ لم تتمَّ عليه السُّرور؟ فقال: يا سيِّدي، خرجتُ من الكوفة، وقدمتُ بغداد ولم آكلْ شيئًا، وكرهتُ أن يبدو سوءُ الأدبِ مني من جهةِ الفاقة في حضرتك، فلمَّا دعوتني، سررتُ إذ جرى ذلك ابتداءً منك، فمضيتُ وأنا لا أرضى له الجنان، فلمَّا جلستُ على مائدته سوَّى لقمةً، وقال: كلْ؛ فهذا أحبُّ إليَّ من عشرة آلاف درهم. فلمَّا سمعتُ هذا منه، علمتُ أنَّه دَنيء الهِمَّةِ، فتطرَّفتُ[1] أن آكل طعامَه. فقال الجُنيد: ألم أقل لك إنكَ أَسأتَ الأدب معه؟! فقال: يا أبا القاسم، التَّوبة. فسأله أن يَمضي معه ويُفرحه[2]

وقال: رأيتُ إبليسَ بمنامي يَمشي في السُّوق عريانًا، وبيده كِسرةُ خبزٍ يأكل، فقلتُ له: ويحك، تَمشي في السُّوق عريانًا، ولا تستحيي من النَّاس!؟ فقال لي: يا أبا القاسم، وهل بَقي على وجه الأرض مَنْ يُستحيا منه؟ من كان يُستحيا منه تحتَ التُّراب، أكلهم الثَّرى[3]

وسُئل عن التَّوحيد الخاصِّ، فقال: أن يكونَ العبدُ شبحًا بين يدي الله عز وجل، تجري عليه تصاريفُ تدبيره في مَجاري أحكامِ قدرته في لججِ بحارِ تَوحيده بالفناءِ عن نفسه، وعن دعوةِ الخلق له، وعن استجابته بحقائق وجوده ووحدانيته في حقيقةِ قربه بذهاب حسِّه وحركته، لقيام الحقِّ له فيما أرادَ منه، وهو أن يرجعَ آخر العبدِ إلى أوَّله، فيكون كما كان قبل أن يكون[4]

وقال: أشرف كلمة في التَّوحيد ما قاله أبو بكر الصِّديق رضي الله عنه:

---

(١) تطرفت: تجنبتُ، وفي (أ): فتظرَّفتُ وفي الرسالة والمختار. تطرقت.

(٢) الرسالة القشيرية ٤٠٩ (الأدب)، المختار ٢/ ٦٢

(٣) المختار ٢/٦٣، وجاء بعده في (أ) خمسة أخبار عن رويم، كررت في ترجمته، فلم نذكرها هنا. وأولها: وسئل عن نعت الفقير فقال: إرسال. وآخرها: إن المولى صمد يبقى.

(٤) الرسالة القشيرية ٤٢٤ (التوحيد).

سبحان مَنْ لم يجعل لخلقه سبيلاً إلى معرفتِهِ إلاَّ بالعجزِ عن معرفته[1]

وقال: التَّوحيدُ الذي انفرد به الصّوفية هو إفرادُ القِدم عن الحدثِ، والخروجُ عن الأوطان، وقطع المحابّ، وتَرْكُ ما عُلم وجُهل، وأن يكون الحقُّ مكانَ الجمع[2]

وقال: علمُ التَّوحيد مُباينٌ لوجوده، ووجودُهُ مُفارقٌ لعلمه[3]

وقال: علمُ التَّوحيد قد طُويَ بساطُهُ منذ عشرين سنة، والنَّاسُ يتكلَّمون في حَواشيه[3]

وقال القنَّاد: سألَ رجلٌ الجُنيدَ عن التَّوحيد، فقال: سمعتُ قائلاً يقول:

وغنّى لي من قلبي وغنّيتُ كما غنّى
وكنَّا حيثُما كانوا وكانوا حيثُما كنَّا[4]

فقال السَّائلُ: هلك القرآن[5] والأخبار؟ فقال: لا، ولكنَّ الموحِّدَ يأخذُ على التَّوحيدِ من أدنى الخطاب [وأيسره][6]

وقال أبو محمد الجَريري: كنتُ عند الجُنيد حالَ نزعه، وكان يوم الجمعة، ويوم نيروز[7]، وهو يقرأُ القرآن، فختم، فقلتُ: في هذه الحالة يا أبا القاسم؟ فقال: ومن أولى منّي بذلك؟ وهو ذا تُطوى صحيفتي[8]

---

(١) الرسالة القشيرية ٤٢٥ (التوحيد)، تهذيب الأسرار ٢٢٥، المختار ٢/٧٨.
(٢) الرسالة القشيرية ٤٢٥ (التوحيد)، الكواكب الدرية ١/ ٥٧٥.
(٣) الرسالة القشيرية ٤٢٦ (التوحيد)، المختار ٢/ ٧٨
(٤) البيتان في ديوان أبي بكر الشبلي ١٢٥، وفيه: تغنّى العود فاشتقنا.
(٥) في طبقات الأولياء ١٣٥ وأين القرآن.
(٦) الرسالة القشيرية ٤٢٨ (التوحيد)، وما بين معقوفين مستدرك منها، طبقات الأولياء ١٣٥
(٧) النيروز أول يوم من السنة، معرب نوروز. ويقع في ٢١ آذار.
(٨) تاريخ بغداد ٧/ ٢٤٨، الرسالة القشيرية ٤٢٩ (الخروج من الدنيا)، المختار ٢/ ٨٢. تهذيب الأسرار ٥٤٣.

وقال: إذا صحّتِ المحبّةُ، سقطَ شرطُ الأدب[1]

و: كلُّ محبّةٍ كانت لغرضٍ، فإذا زالَ الغرضُ، زالت تلك المحبّة[2]

وقال أبو بكر الكتاني: جرتْ مسألةٌ في المحبّةِ بمكّةَ أيامَ الموسم، فتكلّمَ المشايخُ فيها، وكان الجُنيدُ أصغرَهم سنًّا، فقالوا له: هاتِ ما عندَك منها يا عراقي. فأطرقَ رأسَه، ودمعتْ عيناه، ثمَّ قال: عبدٌ ذاهبٌ عن نفسه، مُتّصلٌ بذِكر ربِّه، قائمٌ بأداءِ حقوقه، ناظرٌ إليه بقلبه، أحرقَ قلبَه أنوارُ هويّته، وصفا شربُه من كأسِ وِدِّه، وانكشفَ له الجبّارُ من أستارِ غيبه، فإن تكلّمَ فبالله، وإن نطقَ فمن الله[3]، وإن تحرّكَ فبأمرِ الله، وإن سكنَ فمع الله، فهو بالله، ولله، ومع الله، فبكى الشُّيوخُ، وقالوا: ما على هذا مزيد، جبركَ الله يا تاجَ العارفين[4]

وقيل له: لأيِّ شيءٍ يبكي المحبُّ إذا لقي المحبوب؟ فقال: إنّما يكونُ ذلك سرورًا به، ووجدًا من شدّةِ الشَّوقِ إليه، ولقد بلغني أنَّ أخوين تعانقا، فقال أحدُهما: واشوقاه! وقال الآخر واوجداه![5]

وقيل: ما بالُ الإنسان يكونُ هادئًا، فإذا سمعَ السَّماع اضطرب؟ فقال: إنَّ الله لمّا خاطبَ الذرَّ في الميثاقِ الأوّلِ بقوله: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ [الأعراف: ١٧٢] استفرغتْ عذوبة سماعِ الكلام الأرواح، فإذا سمعوا السَّماع، حرَّكهم ذكرُ ذلك[6]

وقال: تنْزِلُ الرَّحمةُ على الفقراءِ في ثلاثةِ مواطن: عند السَّماع، فهم

---

(١) الرسالة القشيرية ٤٥٠ (المحبة).

(٢) الرسالة القشيرية ٤٥٢ (المحبة)، المختار ٢/ ٧٩

(٣) في الرسالة: فعن الله.

(٤) الرسالة القشيرية ٤٥٥ (المحبة)، طبقات الأولياء ١٣٥

(٥) الرسالة القشيرية ٤٦٢ (المحبة)، المختار ٢/ ٨٢.

(٦) تهذيب الأسرار ٣٣٦، الرسالة القشيرية ٤٧١ (السماع)، روض الرياحين ٣٢٦ (الحكاية: ٢٧٥)، الكواكب الدرية ١/ ٥٧٦.

لا يَسمعون إلاَّ عن حقٍّ، ولا يَقومون[1] إلاَّ عن وجدٍ، وعند أكلِ الطَّعام، فهم لا يأكلون إلاَّ عن فاقةٍ، وعند مُجاراة العلم؛ فإنَّهم لا يذكرون إلاَّ صفة الأولياء[2].

وقال: السَّماعُ فتنةٌ لمن طلبه، وترويحٌ لمن صادفه[2].

وقال: السَّماعُ يحتاجُ إلى ثلاثة أشياء [وإلاَّ فتركه أولى]: الزَّمان، والمكان، والإخوان[3].

وقال: إذا رأيتَ المُريد يحبُّ السَّماعَ، فاعلم أن فيه بقيةً من البطالة[4].

وقال: دخلتُ يومًا على السَّريِّ، فرأيت عنده رجلاً مَغشيًّا عليه، فقلتُ: ما له؟ فقال: سمعَ آيةً من كتابِ الله. فقال: تُقرأُ عليه الآيةُ مرَّةً أُخرى. فقرأ، فأفاقَ، فقال لي: من أين علمتَ هذا؟ فقلتُ: إن قميص يوسف ذهب بسببِهِ عينُ يعقوب عليهما السَّلام، ثمَّ به عادَ بصرُه. فاستحسنَ ذلك منِّي[5].

ورُويَ أنَّ شابًّا كان يَصحبُ الجُنيد، فإذا سمع شيئًا من الذِّكر يزعقُ، فقال له الجُنيد يومًا: إنْ فعلتَ هذا مرَّةً أُخرى لم تصحبني. فكانَ إذا سمعَ بعد ذلك شيئًا تغيَّرَ، وضبطَ نفسَه، حتَّى كان يقطرُ كلُّ شعرةٍ في بدنه دمًا، فيومًا من الأيام صاحَ صيحةً تلفتْ بها نفسُه[6].

وسُئل عن العارف: هل يزني؟ فأطرقَ مليًّا، ثمَّ رفع رأسَه وقال:

---

(١) في الرسالة: ولا يقولون.

(٢) تهذيب الأسرار ٣٣٣، الرسالة القشيرية ٤٧٢ (السماع)، المختار ٢/ ٧٩

(٣) تهذيب الأسرار ٣٣٤، وما بين معقوفين مستدرك منه، الرسالة القشيرية ٤٧٢ (السماع).

(٤) الرسالة القشيرية ٤٧٦ (السماع)، تهذيب الأسرار ٣٣٥، المختار ٢/ ٧٩

(٥) الرسالة القشيرية ٤٧٧ (السماع). وانظر تهذيب الأسرار ٣٤١، ٣٤٢

(٦) الرسالة القشيرية ٤٧٨ (السماع)، روض الرياحين ٣٢٤ (الحكاية: ٢٧٣).

﴿وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا﴾[1] [الأحزاب: ٣٨].

وقال أبو عمرو الزَّجَّاجي: دخلتُ على الجُنيد، وكنتُ أريدُ الخروجَ إلى الحجِّ، فأعطاني درهمًا صحيحًا، فشددتُهُ على مئزري، فلم أدخلْ مَنْزلاً إلاَّ وجدتُ رفقاء، ولم أحتجْ إلى شيءٍ من الدِّرهم، فلمَّا حججتُ وعدتُ إلى بغداد، دخلتُ عليه، فمدَّ يدَه إليَّ، وقال: هاتِ. فناولته الدِّرهمَ، فقال: كيف كان؟ قلت: كان الختم نافذًا؟[2]

وقال: جئتُ يومًا مسجد الشُّونيزيَّة[3]، فرأيتُ فيه جماعةً من الفقراء يتكلَّمون في الآيات[4]، فقال واحدٌ منهم: أعرفُ رجلاً لو قال لهذه الأُسطوانة: كوني ذهبًا نصفك، ونصفك فضةً، كانت. قال الجُنيد: فنظرتُ إلى الأُسطوانة، فإذا نصفُها فضةٌ، ونصفُها ذهب[5]

وقال: كان معي أربعةُ دراهم، فدخلتُ على السَّريّ وقلت له: هذه أربعةُ دراهم حملتُها إليك. فقال لي: ابشرْ يا غلام؛ فإنَّك تُفلح، كنتُ أحتاجُ إلى أربعةِ دراهم، فقلتُ: اللَّهُمَّ ابعثْها على يدَيْ مَنْ يُفلحُ عندك[6]

وقال: رأيتُ إبليسَ في المنام وهو عُريان، فقلت: ألا تستحيي من النَّاس؟ فقال: هؤلاء ناس؟ النَّاسُ أقوامٌ في مسجدِ الشُّونيزية أضنوا جسدي، وأحرقوا كبدي. فلمَّا انتبهتُ، غدوتُ[7] إلى المسجد، فرأيتُ

---

(١) الرسالة القشيرية ٤٨٩ (كرامات الأولياء).

(٢) الرسالة القشيرية ٥٠٦ (كرامات الأولياء)، المختار ٢/ ٦٣، روض الرياحين ٣٦٣ (الحكاية: ٣١٥).

(٣) الشونيزية: مقبرة ببغداد، بالجانب الغربي. معجم البلدان.

(٤) الآيات: الكرامات. انظر روض الرياحين الحكاية ٣١٤

(٥) الرسالة القشيرية ٥٠٨ (كرامات الأولياء)، تهذيب الأسرار ٣٦٧، روض الرياحين ٣٦٢ (الحكاية: ٣١٤)، الكواكب الدرية ١/ ٥٨٠.

(٦) حلية الأولياء ١٠/ ٢٧٠، الرسالة القشيرية ٥١٦ (كرامات الأولياء)، المختار ٢/ ٦٧.

(٧) في (أ): عدوت.

جماعةٌ وقد وضعوا رؤوسَهم على ركبهم يتفكَّرون، فلمَّا رأوني قالوا: لا يَغرنَّكَ حديثُ الخبيث[1]

وقال: رأيتُ في المنام كأنّي أتكلَّمُ على النَّاس، فوقف عليَّ مَلَكٌ، وقال: أَقربُ ما يتقرَّبُ به المتقرِّبون إلى الله عزَّ وجلَّ ماذا؟ فقلتُ: عملٌ خفيٌّ، بميزانٍ وفيّ. فولّى المَلَكُ عنّي، وهو يقول: كلامٌ مُوفَّقٌ واللهِ[2]

وقال: ورأيتُ مرَّةً أُخرى في المنام كأنني واقفٌ بين يدي الله تعالى، فقال: يا أبا القاسم، من أَين لك هذا الكلامُ الذي تَقولُه؟ فقلتُ: لا أَقولُ إلاَّ حقًّا. قال: صدقتَ[3]

ورُويَ أنَّ أبا العباس بن شُريح [الفقيه] اجتازَ بمجلس الجُنيد، فسمعَ كلامَه، فقيل له: ما تَقولُ في هذا؟ فقال: لا أَدري ما يقولُ، ولكنْ أرى لهذا الكلامِ صولةً ليستْ بصولةِ مُبطلٍ[4]

وقال: التَّصوُّفُ مبنيٌّ على ثماني خصال: السَّخاءُ، والرِّضا، والصَّبر، والإشارة، والعُزبة، ولبسُ الصُّوف، والسِّياحةُ، والفقر فالسَّخاءُ لإبراهيم الخليل عليه السَّلام، والرِّضا لإسحاق عليه السَّلام، والصَّبرُ لأيوب عليه السَّلام، والإشارةُ لزكريا عليه السَّلام، والعُزبة ليحيى عليه السَّلام، ولبسُ الصُّوف لموسى عليه السَّلام، والسِّياحة لعيسى عليه السَّلام، والفقرُ لمحمد ﷺ[5]

وقيل لعبد الله بن سعيد بن كُلاَّب: أنتَ تتكلَّمُ على كلامِ كلِّ أحدٍ، وههنا رجلٌ يُقال له الجُنيد، فانظرْ هل تَعترضَ عليه أم لا؟ فحضرَ حَلْقته، فسألَ الجُنيد عن التَّوحيد، فأجابَهُ، فتحيَّرَ عبدُ الله، وقال: أَعدْ عليَّ

---

(١) الرسالة القشيرية ٥٣١ (رؤيا القوم)، المختار ٢/ ٦٣

(٢) الرسالة القشيرية ٥٣٥ (رؤيا القوم)، تهذيب الأسرار ٥٥٢، المختار ٢/ ٦٣

(٣) الرسالة القشيرية ٥٣٧ (رؤيا القوم)، تهذيب الأسرار ٥٥٨، المختار ٢/ ٦٤

(٤) الرسالة القشيرية ٥٤٠ (الوصية للمريدين)، الطبقات الصغرى للمناوي ٨، ١٢.

(٥) تهذيب الأسرار ٢٧، المختار ٢/ ٧٩

ما قلت. فأعادَ، ولكنْ لا بتلك العبارة. فقال عبدُ الله: هذا شيءٌ آخرُ لم أحفظْه، تعيدُه عليَّ مرةً أُخرى؟ فأعادَ بعبارةٍ أُخرى، فقال عبد الله: ليس يمكنني حفظُ ما تقول، أَملِهِ عليَّ[1] فقال: إنْ كنتُ أُجريه[2] فأنا أُمليه. فقامَ عبدُ الله، وقال بفضلِهِ، واعترف بعلوِّ شأنه[3]

وقال: لو علمتُ أنَّ لله علمًا تحت أَديم السّماء أشرفُ من هذا العلم الذي نتكلَّمُ فيه مع أصحابنا وإخواننا، لسعيتُ إليه ولقصدتُهُ[4]

ورُوِيَ عنه أنَّه لما حضرته الوفاةُ، أوصى بدفنِ جميع ما هو منسوب إليه من علمه، فقيل له: ولِمَ ذلك؟ فقال: أحببتُ أن لا يراني الله وقد تركتُ شيئًا منسوبًا إليَّ، وعلمُ رسول الله ﷺ بين ظهرانيكم[5]

وقال: كُنْ مُتعبِّدًا في باطنك مع الله روحانيًا، وكُنْ مُتعبِّدًا في ظاهرِكَ مع الخلقِ جسمانيًا، لأنَّ من فارقَ الخلقَ بجسمه، فارقَ الجماعة، ومَنْ فارقَ الجماعةَ وقعَ في الضّلالة، ومَنْ خالطَهُم بسرِّه افتتنَ بهم، ومن افتتنَ بهم حُجِبَ عن الحقِّ للطَّمع في الخلق، فإذا تخلَّى العبدُ بسرِّهِ عن الدُّنيا والخلقِ والنَّفسِ، كُشفَ له أبوابُ المُشاهدة، فأوَّلُ ما يُكشف له التَّقوى، فيظفر العبدُ بالصّدق والإخلاص، ويستريحُ من غُموم الدُّنيا وبلائها، ويَسيرُ بضياء عقله بين عباد الله، فلا يتأذّى به أحدٌ من خلق الله، ثمَّ يُكشف له بابُ الورع، فيتمكَّنُ من السَّبب، ويموتُ فيه الطَّمع، ويحظى بالعلم، ثمَّ يُكشف له بابُ الزُّهد، فلا يُبالي من أَكَلَ الدُّنيا، ولا يُنازعُ أهلَها فيها، ويتركُ ما فيها على من فيها، ثمَّ يُكشف له بابُ القناعة، فيطيب عيشُهُ لغنى

---

(١) في (أ): أمله عليَّ ما تقول. فقال.

(٢) في الرسالة: أجزته.

(٣) الرسالة القشيرية ٥٤٠ (الوصية للمريدين)، المختار ٢/ ٦٤، وانظر سير أعلام النبلاء ١٤/ ٦٩

(٤) تاريخ بغداد ٧/ ٢٤٢، المختار ٢/ ٥٦.

(٥) تاريخ بغداد ٧/ ٢٤٨.

قلبه، ثمَّ يُكشف له بابُ الصبرِ، فتخمدُ نيرانُ الشَّهواتِ، فيستريح ويزولُ عنه الهوى، ثم يُكشف له بابُ التَّوكُّل، فيكتفي بمولاه عمَّن سواه، ويطمئنُ قلبُه عن ذكرِ الكفاية، وينقطع سرُّه عن التَّقاضي.

وقال: اشتدَّ البلاءُ برجلٍ من الصَّالحين، حتَّى جُرَّ برجلِهِ إلى المزبلة، فرفع طرفَه إلى السَّماء، وقال: أنا بعينك وقد ترى، فافعلْ ما شئتَ، وحسبي ما تَشاء، ثمَّ قال:

إذا المُستهامُ شكا شجوَهُ ... فقد زالَ عن سُننِ المستهام
وَأينَ الكُلومُ التي في الحشا ... وأينَ تبرُّمُه بالكلام

وقال: من عرفَ اللهَ أطاعه، ومن عرفَ نفسَه ساءَ بها ظنُّه، وخافَ على حسناته أن لا تُقبلَ منه أشدَّ ممَّا يخافُ غيرُه على سيِّئاته[1]

وقال: السَّيرُ من الدُّنيا إلى الآخرة سهلٌ هيِّنٌ على المؤمن، متى ما غمض عينه عن الدُّنيا أبصر الآخرة، ومن أبصر الآخرة هان عليه ترك الدُّنيا، وهجرانُ الخلقِ في جنبِ الحقِّ مرٌّ شديد، والسَّيرُ من النَّفس إلى الله صعبٌ شديد، والصَّبر مع اللهِ أشدُّ وأصعب[2]

وأنشد يقول:

وَجْدي عليك على أنِّي أُمجمجُها[3] ... وجدُ السَّقيمِ لبُرْءٍ بعد إدنافِ
أو وجدُ ثَكلي إذا ماغابَ واحدها ... أو وجدُ مُختلسٍ من بين أُلاَفِ[4]

وقال: كنتُ في بذءِ أمري[5] أَرى في منامي باللَّيلِ ما يجري عليَّ في يقظتي ونهاري، فأتصفَّحُ ذلك كلَّه حالاً بعد حال، فأكون مُرتقبًا لما قد

---

(١) المختار ٢/ ٨٠.
(٢) تقدم هذا القول مع تخريجه صفحة ٣٥٠
(٣) مجمج في خبره: لم يُبينه. القاموس (مجج).
(٤) تهذيب الأسرار ٤٩٨
(٥) في (ب): في بدو إرادتي.

رأيتُه في منامي، وقد كنتُ أُحبُّ أن أرى الأبدال، وسألتُ اللهَ أن يُريني الأبدالَ، فرأيتُ ليلةً كأنّي جالسٌ على بابنا، إذ مرَّ ثلاثةُ نفرٍ عليهم ثيابُ خُلْقان، وزِيٌّ رثٌّ دَنِسٌ، وعليهم ظاهرُ بلوى، فوقعَ في قلبي أنَّهم الأبدال، فقمتُ واتَّبعتُهم حتَّى جاؤوا إلى مسجدٍ، فدخلوه، ودخلتُ خلفهم، فلمَّا رأوني انتفضوا، فإذا زِيُّهم أحسنُ زِيٍّ، وأبدانُهم كأحسنِ الأبدان، وخَلْقُهم كأحسنِ الخَلْق، فقلتُ: ما هذا؟ فقالوا: هذا خَلْقُنا، وزِيُّنا، وحالنا. فقلتُ لهم: فما بالُ الحالةِ الأوَّلةِ؟ فقالوا: ذاك شيءٌ يستُرنا الله به عن الخَلْق. ثمَّ قالوا لي. يجزيك[1]؟ قلتُ نعم. ثمَّ انتفضُوا، وعادوا إلى صورهم التي كانت أولاً، ثمَّ خرجوا من المسجد يَمشون، حتَّى جاؤوا إلى دكان بقَّالٍ، فيها قَصَبٌ وحطب، فتناول أحدُهم من القصبِ قصبةً، فصارت في يدِه حَطبًا، وتناول من الحطبِ، فصار في يده قصبًا، ثمَّ قال لي: يُجزيك؟ فقلتُ: أجزاني. ثمَّ مضوا، وانتبهتُ، فلمَّا أصبحتُ جلستُ على بابنا أَنتظرُ ما رأيتُ في ليلتي، فإذا الثَّلاثةُ بأعيانهم دخلوا إلى المسجدِ، فدخلتُ خلفَهم، فكان منهم مثل ما رأيت، ثمَّ خرجوا من المسجدِ، واتَّبعتُهم حتَّى جاؤوا إلى دكان البقَّال، فكان مثل ما رأيتُ أيضًا، فلمَّا أرادوا أن يُفارقوني، قُلتُ لهم: مَنْ ببغدادَ من الأبدال؟ قالوا: فلان وفلان. لقومٍ أعرفُهم، قال الجُنيد: فكأنِّي أَزرَيْتُ على واحدٍ منهم بقلبي، فقلتُ لهم: وفلان من الأبدال؟! قالوا: نعم، هو من أهلِ الأُنس بالله. فما زال الجُنيد يقول: هم ثلاثةٌ، فسُئل عنهم، فلا يُخبرنا[2]، ولكنْ يقول: قد ماتَ منهم، وبقي منهم. وما زال يقول بقي واحدٌ إلى أن مات. فكُنَّا نرى أنَّ الذي أخبرَ أنَّه من أهلِ الأُنسِ بالله عزَّ وجلَّ أَحمدُ بن مسروق، والذي أَزرى عليه عَنَى به نفسَه، واللهُ أعلم[3]

---

(١) يجزيك: يكفيك. اللسان (جزي).

(٢) في (ب): فيسأل عنهم، فلا يُخبر.

(٣) المختار ٢/ ٦٤، ٦٥.

وقال: إنَّ القلوبَ إذا تجرَّدتْ من الدُّنيا، صحتْ وصَفتْ لعلم الآخرة، فاعملْ في ابتداءِ أمرك على إخراج الدُّنيا من سرِّكَ، واحذرْ أن لا يبقى عليك منها دَقيقُ هوًى قد كمن فيك، فيوقفُكَ ذلك عن النَّفاد، ويعترضُ عليك في صحَّةِ المُراد. واعلمْ أنَّك إن صدقتَ في إرادتك أدركتَ (إرادتَه لك، فكنتَ بصدقك فيما عاملت في صحة إرادتك واصلًا إلى ملاطفة إرادته[1] لك)[2] واعلمْ أنَّه إذا أرادَكَ تولَّاكَ وكفاكَ وأغناكَ، فتعرَّضْ لطلبِ إرادتِهِ منك؛ ليعينَكَ على إرادتِكَ له.

وقال أبو محمد الجَريري: سألتُ الجُنيد فقلتُ له: ما بالُ الإنسان تَخفُّ عليه بعضُ الأعمال، ويثقلُ عليه البعضُ؟ فقال: ربَّما كان ذلك اختبارًا من الحقِّ تبارك وتعالى له، يهبُ له شيئًا من الأحوالِ العالية[3]، لينظرَ كيف حفظه لها، وكيف تَمسُّكه بها. فإن رآه مراعيًا لها مُتمسِّكًا بها على دائمِ أوقاته، زاده منها، وفتح له في غيرها، ونقله إلى ما هو أعلى منها. وإن رآه مُضيِّعًا لها، سلبه إيَّاها، إذا كان لا يعرفُ قدرَ الموهبة. فينبغي لمن وهب اللهُ عزَّ وجلَّ له شيئًا أن يعرفَ قدرَ موهبته له.

وقال: احتقارُ الفقر، وسرعةُ الغضب، وحبُّ المَنْزلة كلُّ ذلك من مَزلَّةِ[4] النَّفس، وهو خلعُ العبودية، ومُنازعةُ الرُّبوبية[5]

وقال: ينبغي للعاقل أن يعرفَ أمرَ الله عزَّ وجلَّ من فعله، ويُميِّزَ بين فعلِ الله وفعل نفسه، كما أنَّه لا بدَّ أن يكونَ في المعرفة اسمان: عارفٌ ومَعروف. فكذلك لا بدَّ أن يكون في المعاملة فعلان: فعل الله عزَّ وجلَّ،

---

(١) في المنتقى: واصلًا إلى مصادفة إرادته.
(٢) ما بين الهلالين ليس في (أ)
(٣) في (أ): العلية.
(٤) في (أ): من منْزلة.
(٥) المختار ٢/ ٨٠.

وفعلُ العبد، ففعلُ الله تامٌّ كامل، وفعلُ العبد مُقيَّدٌ بإذن الله وتوفيقه، والإذنُ من الله قد تقدَّمَ، فمن استقبلَ الإذنَ بحُسنِ النِّيَّة، أمدَّه الله بحسن التَّوفيق، فيصير سعيدًا في الدُّنيا، سعيدًا في الآخرة، ومن لم يستقبلِ الإذن بحسنِ النيَّة، أمدَّه الله بالخذلان، فيصيرُ شقيًّا في الدُّنيا شقيًا في الآخرة.

وقال عبد الرَّحمن بن إسماعيل: كنتُ ببغداد ووافى الحاج من خراسان، فلقيني بعضُ أصحابنا الذين عاشرناهم ممَّن له فضلٌ وإفضال على هذه الطَّائفة، فسألني أن أُعرِّفَهُ بجماعةٍ، ليصلَهم بشيءٍ قد حمله معه برسمهم، فقلتُ له: ابدأ بأبي القاسم الجُنيد. فحملَ إليه دراهمَ كثيرةً، وثيابًا كثيرة، فلمَّا رآه الجُنيد، أعجبَهُ أدبُه في رفقه، فقال له: اجعل بعضَه لفقراء أذكرُهم لك. فقال الخُراساني: أنا أعرفُ الفقراءَ أيُّها الشَّيخ! فقال له الجُنيد: فأنا أُؤمِّلُ أن أعيشَ حتَّى آكلَ هذا؟ فقال: إنِّي لم أقلْ لك يا أبا القاسم أَنفقْه في الخلِّ والبقل والكامخ، والجبنِ والمالح، إنَّما أريدُ أن تُنفقَه[1] في الطَّيباتِ وألوانِ الحلاوات، فكلَّما كان أسرع، كان أحبَّ إليَّ. فتبسَّمَ الجُنيدُ، وقال له: مثلُكَ لا يُحلُّ أن يُردَّ عليه. فقَبِلَ ذلك منه، فقال الخراساني: ما أعلمُ أحدًا ببغداد أعظمَ مِنَّةً عليَّ منك. فقال الجُنيد: ولا ينبغي لأحدٍ أن يرتفقَ إلاَّ ممن كان مثلَكَ.

وقال أبو جعفر الفرغاني: كنَّا عند الجُنيد جلوسًا في المسجد، فجرى ذكر ناسٍ يَجلسون في المساجد، فيتشبَّهون بالصُّوفية، ويقصِّرون فيما يجبُ عليهم في حقِّ الجلوس، ويعيبون على مَنْ يدخلُ السُّوق، فقال الجُنيد: كم ممّن هو في السُّوق حكمُهُ أن يدخلَ المسجد، فيأخذ ببعضِ مَنْ فيه بإذنِهِ[2]، فيخرجَه إلى السُّوق، ويقعدَ مكانه. ثمَّ قال: إنِّي لأعرف رجلاً يدخل السُّوق منذ أربعين يومًا ما كسبَ حبَّةً واحدةً، وكان في سُوقه

---

(١) في (ب): أنفقه

(٢) في (ب): فيأخذ بإذنِ بعضٍ من فيه، فيخرجه.

ووِردُهُ في كلِّ يومٍ ثلاث مئة ركعة، وثلاثين ألفَ تَسبيحة، وسبقَ إليَّ أنَّه عنى عن نفسه بذلك[1]

ورُويَ أنّ أبا العباس بن عطاء كتب إلى الجُنيد يقول:

تضايقتِ الأَحوالُ بي في محلِّها ... ومـا ذاكَ مَفهـومٌ لأنّـي مُنْقَـلُ
فلا الرِّيحُ في أبراجِها مُستقِرّةٌ ... ولا الوجدُ في قلبي يقرُّ ويَمهلُ[2]

فكتب إليه الجُنيد جواب هذين البيتين:

ولو نَطقتْ لي ألسنُ الدَّهرِ خبّرت ... بـأنّـي فـي ثـوبِ الصَّبـابـة أَرفُـلُ
وما أن لها علمٌ بقدري[3] وموضعي ... ومـا ذاك مَفهـومٌ لأنّـيَ مُثقـلُ

وقيل له: متى يجب هجرُ الرَّجلِ لله؟ فقال: يهجره إذا رآه يعملُ بمعصيةِ الله، ويكون قبلَ هجرانِهِ[4] له تقدّمَ إليه برفقٍ وإقبال عليه برأفةٍ، ومعاودة له في ذلك الوقت والوقتين والثّلاثة، فإنْ أبى ذلك، وأقامَ على ما لا يَجوزُ فعلُه، هجرَه بعد الموعظةِ والتّقدمة في كلِّ أمرٍ قد نهاه الله عنه.

وقال: الدُّنيا لحظةٌ، إن صَدمْتَها ذهبتَ بها، وإن صدمَتْكَ أعمتْكَ[5]

وقال الخُلدي: قال لي الجُنيد: إن صدقتَ اللهَ، فاصدقْهُ في سرِّكَ؛ فإنَّ الله جعلَ على كلِّ شيءٍ لإبليس طريقًا إلاَّ على صدقِ الأسرار[2]

وقال محمد بن إبراهيم بن يوسف: سألتُ جُنيدًا وأنا أُريدُ الحجَّ: ماذا أسألُ اللهَ بالموقف، إذا وصلتُ؟ فقال: سَلْهُ العفو، ولا تجاوزْ عن سؤال العفو قال: فسألتُه عن سؤالِ العفو؟ فقال: نعم، من سألَ العفو، وَجب

---

(١) المختار ٢/ ٦٥
(٢) في (أ): يقر ويهمل.
(٣) في (أ) علم بعذري.
(٤) في (ب): هجرته.
(٥) المختار ٢/ ٨٠.

عليه[١] قبول الحقِّ والحكم حتَّى يصحَّ سؤال العفو، لأنَّه جعل الحقَّ والحكمَ جميعًا في الدُّنيا سببًا لعذرنا، فإن لم يقبل السبب الذي[٢] جعله لنا، لم يُعذر بقبوله، ولم يقبل سؤاله له العفو إلاَّ بقبول حقِّه علينا وحكمه، حتَّى تكون الحجَّةُ به علينا في جميع أحوالنا، كما قال عزَّ وجلَّ. ﴿ لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ﴾ [الحج: ٧٨]. فجعلَ الرَّسولَ ﷺ حُجةً علينا، وجعل المؤمنين الذين يقبلون حقَّه وحكمه حجةً على من لا يقبل حقَّه وحكمه.

وقال: من عجزَ عن معرفةِ سبعةِ أشياء، لم تصفُ له العبوديةُ: فأوَّلُها معرفةُ الله، والثَّانيةُ معرفةُ نفسه، والثَّالث معرفة عدوّه وهو إبليس[٣]، والرَّابعة معرفةُ الخلوة، والخامسة معرفة دنياه، والسَّادسة معرفةُ آخرته، والسَّابعة معرفةُ الوقتِ، وبه كمالُ المعرفة، لأنَّ من لم يعرف وقتَه، فاتَهُ وقتُه، والالتفاتُ إلى ما مضى، يُشغلُ عمَّا هو آتٍ.

وسُئل عن معرفةِ الله: هل هي كسبٌ، أو ضرورةٌ؟ فقال: رأيتُ الأشياءَ تُدركُ بشيئين، فما كان حاضرًا منها فبحسٍّ، وما كان غائبًا منها فبدليل؛ فلمَّا كان الله تعالى غيرَ بادٍ لحواسنا، كانت معرفتُهُ بالدَّليل والفحص، إذ كنَّا لا نعلمُ الغيبَ والغائبَ إلاَّ بدليلٍ ولا نعلمُ الحاضر إلاَّ بحسٍّ.

وقال: ما رأيتُ أحدًا عظَّم الدُّنيا، فقرَّتْ عينُه فيها، ولم يحقِّرْها أحدٌ إلاَّ انتفعَ بها، وأتته الدُّنيا وهي رَاغمةٌ؛ فإن تركها وُردَ، وإنْ قبلَها طُرد[٤].

وقال أبو بكر العطَّار: حضرتُ وفاةَ الجُنيد مع جماعةٍ من أصحابه،

---

(١) في (أ): وجب له.
(٢) في (ب): لسبب الذي.
(٣) في (ب): وهو الشيطان.
(٤) المختار ٢/ ٨٠، وقوله فإن تركها ورد. ليس في (أ) ولا في المختار.

وفيهم أبو محمد الجَريري، فنظرَ إلى الجُنيد، وهو مُشتغلٌ بما هو فيه من درسِ القرآن والرُّكوعِ والسُّجود، فقال له الجَريري: يا أبا القاسم، لو رفقتَ بنفسك! فقال: يا أبا محمد، حالةٌ وصلتُ بها إلى الله في بدءِ أَمري، لا أُفارقُها حتَّى أَلحقَ بالله عزَّ وجلَّ. ثمَّ قال له الجُنيد: يا أبا محمد، لي إليكَ حاجةٌ، إذا متُّ، فاغسلني وكفِّني وصلِّ عليَّ. قال: فبكى الجَريري، وبكينا، ثمَّ قال: وحاجةٌ أُخرى، تتَّخذُ لأصحابنا طعامَ الوليمة، فإذا انصرفوا من الجنازة، رجعوا إلى ذلك حتَّى لا يقعَ بهم التَّشتُّتُ. قال: فبكى الجَريري بكاءً شديدًا، ثمَّ قال: واللهِ، لئن فقدنا هاتين العينين ما اجتمع[1] منَّا اثنان أبدًا. قال أبو جعفر الفرغاني: فكانَ واللهِ كذلك، ما اجتمع منَّا اثنان بعد وفاته، وإنَّما كان ذلك ببركة الشَّيخ ورؤيته[2].

وقال أبو علي الرُّوذباري: كان الجُنيد قد تركَ السَّماعَ، وشغلَهُ العلمُ والعملُ، وكان إذا فرغَ من أورادِهِ وضعَ رأسَه بين ركبتيه، فلا يرفعُ رأسَه حتَّى يجتمعَ عليه أصحابُهُ، فيُشغلوه بالعلمِ والمسائل[3].

ورُوِيَ أنَّ أبا محمد الجَريري سأل الجُنيد عن رجلٍ حلَّ به أمرٌ من الأمور، فهو يُكاتم سرَّه، ولا يسأل ربَّه كشفَه، وآخرَ إذا وقعَ له شيءٌ من ذلك يجأرُ إلى الله عزَّ وجلَّ بالدُّعاء والتَّضرُّع، فأيُّهما عندك أعلى حالًا؟ فقال: بل الذي يَكتمُ سرَّه في نفسه ولا يُبديه، ويعلمُ أنَّ علَّامَ السَّرائرِ عالمٌ عارفٌ بما هو فيه، فيوافق بذلك علمه بما هو فيه، فيكره أن يعترضَ عليه بشيءٍ لا يأمنه عليه.

وقال: من فتحَ على نفسِهِ بابَ نيَّةٍ حسنةٍ، فتحَ الله عليه سبعين بابًا من

---

(١) في (أ): لا اجتمع.
(٢) المختار ٢/ ٨٢، ٨٣.
(٣) المختار ٢/ ٦٥، ٦٦.

التَّوفيق، ومَنْ فتحَ على نفسه باب نيَّةٍ سيِّئةٍ، فتحَ الله عليه سبعين بابًا من الخِذلان من حيث لا يشعر.[1]

وقال: فرضُ الشُّكرِ الاعترافُ لله بالنعم بالقلوب، والثَّناءُ عليه بالألسن.[2]

وقال: إن بدتْ عينٌ من عيون الكرم، ألحقتِ المُسيءَ بالمُحسن. فقال ابنُ عطاء: متى تبدو؟ قال الجُنيد: هي باديةٌ، فإنَّ اللهَ يقول: «رحمتي سبقت غضبي».[3]

ورُويَ أنّ الشّبليَّ سألَ الجُنيد، فقال له: يا أبا القاسم، ما حَسناتُ الأبرار؟ فقال: سيئات المقربين[4] ثمَّ أنشأ يقول:

طَـوراقُ أَنـوارِ تَلـوحُ إذا بـدَتْ فتُظهِرُ كِتمانًا وتُخبِرُ عن جَمعِ
وتِبيـانُ إشكـالٍ وإفصـاحُ مُهمـلٍ وإعلانُ وجدٍ شاهدَ القربَ بالمنعِ[5]

وقال أبو محمد الجَريري: كان في جوارِ الجُنيد رجلٌ مُصابٌ في خَرِبةٍ، فلمَّا ماتَ الجُنيد ودفنّاه، ورجعنا من جنازته، تقدَّمنا ذلك المُصابُ، وصَعِدَ موضعًا رفيعًا وقال: يا أبا محمد، تراني أَرجعُ إلى تلك الخربة، وقد فقدتُ ذلك السَّيِّد؟ ثمَّ أنشأ يقول:

---

(١) المختار ٢/ ٨٠..

(٢) المختار ٢/ ٨١.

(٣) رواه البخاري ١٠/ ٤٤٠ (٧٤٥٣) في التوحيد، باب ﴿لقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين﴾ عن أبي هريرة، أن رسول الله ﷺ قال: «لمَّا قضى الله الخلق، كتب عنده فوق العرش: إن رحمتي سبقت غضبي». ومسلم (٢٧٥١)، والترمذي ٥/ ٥٤٩ (٣٥٤٣). والخبر في الحلية ١٠/ ٢٦٣، والمختار ٢/ ٧١، والكواكب الدرية ١/ ٥٧٦.

(٤) حسنات الأبرار سيئات المقربين: عدَّه بعضهم حديثًا، وليس كذلك، ورواه ابن عساكر من قول أبي سعيد الخراز، وعزاه الزركشي في لقطته إلى الجنيد. كشف الخفا ١/ ٣٥٧.

(٥) المختار ٢/ ٨١، الكواكب الدرية ١/ ٥٨١.

وا أسفـي مـن فـراقِ قـومٍ هُـمُ المصـابيـحُ والحصـونُ
والمُـدْنُ والمُـزنُ والـرَّواسـي والخيـرُ والأَمـنُ والسُّكـونُ
لـم تتغيَّـرْ لنـا اللَّيـالـي حتَّـى تـوفَّتْهُـم المَنـونُ
فكـلُّ جمـرٍ لنـا قلـوبٌ وكـلُّ مـاءٍ لنـا عيـونُ

ثمَّ غابَ عنَّا، فكان ذلك آخرَ العهد به(١)

وكان يومًا جالسًا متفكِّرًا مَهمومًا، فقيل له: ما الذي أَحزنَكَ يا أبا القاسم؟ فقال: فقدتُ أُنسي في الخلوة، وفقدتُ الإخوان الذين كنتُ آنس بهم، ودون هذا مما يهدُّ البدنَ، ويُشغل القلب، وأنشد:

ذمَّ المنـازلَ بعـد مَنْزلـةِ اللِّـوَى والعيـشَ بعـد أولئـك الأقـوامِ(٢)

وقال يومًا لأصحابه: أتدرون أين يُذهبُ بكم؟ أتدرون لِمَ خُلقتم؟ وإلى ماذا تَصيرون؟ فاتقوا(٣)، واحفظوا ساعاتِكم وأوقاتكم؛ فإنَّها زائلةٌ عنكم، غيرُ راجعةٍ إليكم، والحسرةُ في فوتِها على الغفلة [واقعةٌ]، فلو بذلَ أحدُكم ما بذلَ لم يردَّ وقتًا من أوقاته(٤)، فأوصلوا أورادكم بأخراكم(٥)، تجدوا منفعتَها في دار الإقامة، ولا يشغلنَّكم عن اللهِ عزَّ وجلَّ قليلُ الدُّنيا؛ فإنَّ قليلَ الدُّنيا يُشغل عن كثير الآخرة(٦)

وقال: كلَّمتُ يومًا رجلاً من القَدَرية، فلمَّا كان في اللَّيل نمتُ، فرأيتُ في المنام كأنَّ قائلاً يقول: ما ينكر هؤلاء القوم أن يكونَ اللهُ قبل خلقِهِ للخلق علم أَنْ لو خلقَ الخلقَ، ثمَّ ملَّكهم أمورَهم، ثمَّ ردَّ إليهم الاختيار،

---

(١) تاريخ بغداد ٧/ ٢٤٩، تهذيب الأسرار ٥١٤، المختار ٢/ ٨٣، طبقات الأولياء ١٣٥
(٢) المختار ٢/ ٦٦
(٣) في (أ): فافهموا.
(٤) في (أ): من الأوقات.
(٥) في (ب): بأخرايكم واللفظة ليست في (أ)، والمثبت من المنتقى.
(٦) الكواكب الدرية ١/ ٥٧٧، وما بين معقوفين مستدرك منه.

فألزم كلَّ امرئٍ منهم بعد أن خلقهم ما علم فيهم أنه له مُختارون.

وقال: صحبتُ خمسَ طبقاتٍ من النَّاس الأكابرِ

أوَّلُهم: أبو الحسن السَّريُّ، وحارثُ المُحاسبِي أبو[1] عبد الله، وأبو جعفر الخصَّاف، وأبو يعقوب محمد بن الصَّبَّاح ونظراؤهم في السِّنِّ والمكان.

والطَّبقةُ الثَّانية: أبو عثمان الورَّاق، وأبو الحسن بن الكرنبِي[2]، وأبو حمزة محمد بن إبراهيم، وحسنُ المُسوحي، ومحمد بن أَبي الورد، وإبراهيم البنَّا، ونظراؤهم في السِّنِّ والمكان.

والطَّبقةُ الثَّالثة: محمد بن وهب أبو جعفر[3]، ويعقوب الزَّيَّات، وسعد الدِّمشقي البزار، وحُبيش[4] النّجّار ونظراؤهم في السِّنِّ والمكان.

والطَّبقةُ الرَّابعة: أبو القاسم الواسطي، وأبو عبد الله الجيلي، وأبو العباس الأَدَمي، وأبو أحمد المَغازلي، ومحمد بن السَّمَّاك[5]، وأبو بكر المخرَّمي[6]، وجماعة من نظرائهم في السِّنِّ والمكان.

والطَّبقةُ الخامسة: هي هذه التي نحن فيها، ما رأيتُ منهم أحدًا زحمتْهُ حاجةٌ عند صاحبه ـ إلى حيث انتهينا ـ يحتشمُ صاحبَه إلاَّ لنقصٍ كان في أحدهما، وعلى ذلك مضى أكابرُ أهلِ هذه القصة[7]

وقال علي بن منصور الدِّينوري: خرجتُ إلى بغداد، ومعي شيءٌ من

---

(١) في (أ): وأبو عبد الله.
(٢) في المختار ٢/ ٦٦: الكريني.
(٣) في (أ): وأبو جعفر.
(٤) في (ب): حبش.
(٥) في (أ): محمد بن السمان.
(٦) في (أ): أبو بكر المخزومي.
(٧) المختار ٢/ ٦٦، وفي (ب): هذه القضية.

الدَّنانير[١] أريدُ تفرقتَهُ على أصحاب الجُنيد وسائر الفقراء، فوافينا بغداد، ونزلنا في مكانٍ أحرزنا ما كان معنا، فقصدتُ جنيدًا لأُسلِّمَ عليه، وأقضي حقَّه، فوجدتُهُ في مَنْزله[٢]، فباسطني بكلامِهِ وحُسنِ خُلُقه، وكنتُ أختلف إليه على دائمِ الوقت أجالسه، فلمَّا كانَ ذاتَ ليلةٍ رأيتُ في المنامِ كأنَّ الخليفة قد جاءني يَدعوني إلى ضيافتِهِ، فانتبهتُ، وحدّثتُ بما رأيتُ صاحبًا لي، فقال: تَنظرُ تأويلَ رؤياك هذه. فلمَّا أصبحنا، وصلَّينا الصُّبح ونحن جلوسٌ إذا بالبابِ يُدقُّ، فقام صاحبِي وفتحَ البابَ، فإذا نحن بأبي القاسم الجُنيد، فقمنا إليه، وسلَّمنا عليه، وجلس عندنا ساعةً يُحادثنا ويُذاكرُنا بالعلم، ثمَّ دعانا إلى دَعوته في مَنْزله، قال عليُّ بن منصور: فتبسَّمتُ إلى صاحبي[٣]، فقال لي الجُنيد: ممَّ تبسُّمُكَ؟ فقلت: رأيتُ البارحةَ في النَّومِ كأنَّ الخليفةَ جاءني يَدعوني إلى ضيافته، وحدَّثتُ به صاحبِي هذا حين انتبهت، فصلَّينا الغداةَ، وجلسنا ننتظرُ ما يكونُ من تأويلِ الرُّؤيا، حتَّى طرقتَ الباب، فلمَّا دخلتَ وجلستَ ودعوتني تبسَّمتُ لذلك. فقال الجُنيد: لقد رأيتُ البارحةَ رسولَ الله ﷺ وأبا بكر الصِّدِّيق عن يمينه، وعمرَ عن شماله، وعليًّا بين يديه، فسلَّمتُ على النَّبيِّ، وجلستُ بين يديه، فإذا رجلان قد دخلا وجلسا بين يديه، فادّعى أحدُهما على الآخرِ دعوى في مطالبةٍ بحقٍّ، فالتفتَ إليَّ النَّبيُّ ﷺ وقال لي: يا أبا القاسم، احكم بينهما. فسكتُّ إعظامًا لرسول الله ﷺ، واحتشامًا له ومن صاحبيه، فأعادَ القولَ، فاحتشمتُ ولم أُجبْ، فأعاد الثَّالثة، فاحتشمتُ هيبةً له وإجلالاً، فقال لي في الرَّابعة: يا أبا القاسم، احكمْ بينهما، فقد ولَّيْتُكَ الحكمَ بين الخلق. فانتبهتُ، فأنا مذعورٌ، فجئت إليكم أتسلّى[٤]

---

(١) في (ب): من الدنيا.

(٢) في (ب): في مزبلة.

(٣) في (ب): فتبسمت لذلك.

(٤) المختار ٢/ ٦٦، ٦٧.

وقيل له: متى تَصفو المعاملةُ لله عزَّ وجلَّ؟ فقال: إذا لم تُمازِجْهُ الأدناس، ولم تُخالطْه ملاحظة[1] النَّاس. قيل له: فمتى تَصحُّ الوحدةُ؟[2] فقال: إذا اعتزلتَ عن نفسِكَ، ودخلت في حبسِك، وأخذت من درسكْ ما جنيت في أمسك. فقيل له: فمتى تَطيبُ الخلوة؟ فقال: إذا كان لك جليسًا، وكان الجليسُ في الجلوس أنيسًا[3]

وقال: إن للعلم ثمنًا، فلا تُعطوه حتَّى تأخذوا ثمنَه. فقيل له: وما ثمنُهُ؟ قال: تضعُهُ عند من يُحسن حملَه ولا يُضيّعه[3]

وقيل له: ما بالُ أصحابِكَ يأكلونَ كثيرًا؟ قال: لأنَّهم يَجوعون كثيرًا. قيل له: فما بالُهم لا تَهمُّهم قوَّةُ شهوةٍ؟ قال: لأنَّهم لا يزنون، ولا يَدخلون تحت محظور. قيل له: فما بالُهم إذا سمعوا القرآن لا يَطربون؟ قال: وأيُّ شيءٍ في القرآن ممَّا يُطربُ في الدُّنيا؟ القرآنُ حقٌّ، نزل من عند حقٍّ، لا يليق بصفاتِ الخلقِ، تحت كلِّ حرفٍ منه على الخلقِ واجبٌ، لا يخرجهم منه إلاَّ الوفاءُ لله عزَّ وجل بها، فإذا سمعوه في الآخرة من قائله، أطربَهم. قيل له: فما بالُهم إذا سمعوا (القصائد يطربون؟ قال: هي ممّا عملتْ أيديهم. قيل له: فما بالهم إذا سمعوا)[4] الغناءَ يطربون؟ قال: هو كلام المُحبّين. قيل له: فما بالُهم محرومين من النَّاس؟[5] قال: قال أستاذنا أبو جعفر القصَّاب في هذا إشارة، سُئل: ما بالُ[6] أصحابك محرومين من النَّاس؟ فقال: لثلاثِ خِلال: أحدُها: أنَّ الله لا يَرضى لهم

(١) في (أ): بملاحظة.
(٢) في (ب): تصلح الوحدة.
(٣) المختار ١/ ٨١. وانظر تهذيب الأسرار ٣١٢
(٤) ما بين الهلالين ليس في (أ).
(٥) في (ب): محرومون.
(٦) في (أ): في هذا شيئًا، وسئل: ما بال.

ما في أيديهم، ولو رضي لهم ما لهم لتركَ ما لأنفسهم عليهم. والثّانيةُ: أنَّ الله عزَّ وجلَّ لا يَرضى أن يجعلَ حسناتِهم في صحائفهم، ولو رضي لهم لخلطهم لهم. والثّالثةُ: أنَّهم قومٌ لم يسيروا إلاَّ إلى الله، فمنعهم كلَّ شيءٍ سواه، وأفردهم به[(١)]

وقال له رجلٌ: يا أبا القاسم، العنايةُ قبلَ البداية؟ فقال: نعم، قبل الماء والطِّين[(٢)]

وقال: أشرفُ المجالس وأعلاها الجلوسُ مع الفكرة في ميدانِ التّوحيد، والتّنسُّمُ بنسيم المعرفة، والشُّربُ بكأس المحبَّةِ من بحر الوداد، والنَّظرُ بحسنِ الظّنِّ بالله عزَّ وجلَّ. ثمَّ قال: يا لها من مجالسَ ما أجلَّها! ومن شَرابٍ ما ألذَّه! طوبى لمن رُزقه[(٣)]

وقال أبو العباس بن مَسروق: مررتُ مع الجُنيد في بعضِ دروبِ بغداد، وإذ مُغنٍّ يُغني:

منـازلٌ كنـتَ تَهـواهـا وتَـألفُهـا   أيـامَ أنـتَ علـى الأيـامِ مَنصـورُ

فبكى الجُنيد بكاءً شديدًا، ثمَّ قال لي: يا أبا العباس، ما أطيبَ منازلَ الأُلفةِ والأُنس! وأوحشَ مقاماتِ المُخالفةِ! لا أَزالُ أحنُّ إلى حالِ بدايتي، وجدَّةَ سعيي[(٤)]، وركوبي الأهوالَ طمعًا في الوصول، وهأنا ذا في أيام الفترةِ أتأسَّفُ على أوقاتي الماضية[(٥)]

---

(١) تاريخ بغداد ٣/ ٦٢، طبقات الأولياء ١٣٦

(٢) المختار ٢/ ٧٢.

(٣) تهذيب الأسرار ٤٦١، وأول الخبر في روض الرياحين ٥٦٩ (فصل عقيدة المشايخ) والكواكب الدرية ١/ ٥٧٧.

(٤) في (ب): وحدَّة سعيي.

(٥) طبقات الصوفية ٢٤٠، تهذيب الأسرار ٧٩، روض الرياحين ٢٦٦ (الحكاية ٢٠٣)، الكواكب الدرية ١/ ٥٨١

وقال: من لم يصلْ علمَه باليقين، ويقينَهُ بالخوف، وخوفَه بالعمل، وعملَه بالورع، وورعَه بالإخلاص، وإخلاصَهُ بالمشاهدة فهو من الهالكين[1]

وقال: اليقينُ أن لا تهتمَّ لرزقِكَ، وقد كُفيتَهُ، وتُقبلَ على عملِكَ الذي قدرته، فإنَّ اليقينَ يَسوقُ الرِّزقَ إليك سوقًا[2]

وقيل له: ما علامةُ العبدِ؟ فقال: أن لا يشكو أحدًا، ولا يُؤذي أحدًا حتَّى يشكوه، وتركُ التَّقصيرِ في الخدمة، والتَّدبير في التَّقدير[3]

وسُئل عن معنى قول النَّبيِّ ﷺ: «حبُّكَ الشَّيءَ يُعْمي ويُصِمُّ»[4] فقال: حبُّكَ للدُّنيا يُعمي ويُصمُّ عن الآخرة[5]

وقيل له: كيف الطَّريقُ إلى الله؟ فقال: اتركِ الدُّنيا وقد نلتْ، وخالفْ هواك وقد وصلتْ[6]

وقال: أوَّلُ ما يبدو من الإخلاص في حالِ الأولياء خُلوصُ سرائرِهم وهممِهم وإرادتهم، ثمَّ خُلوصُ أفعالهم، فمن لم يخلُصْ سرُّه لا يَنالُ الصَّفاءَ فعلُه[6]

وسُئل عن الإخلاص، فقال: فرضٌ في فرضٍ، وفرضٌ في نفل[7] قيل[8] معناه والله أعلم: أنَّ الإخلاص فرضٌ في الأعمال [المفروضة]، ثمَّ

(١) تهذيب الأسرار ٨٩.
(٢) المختار ٢/ ٨١.
(٣) تهذيب الأسرار ١٩٦
(٤) أخرجه أحمد في المسند ٥/ ١٩٤، وأبو داود (٥١٣٠)، والطبراني في الأوسط (١٤٥٤) و(٤٣٥٦)، والبيهقي في الشعب (٤١١). وإسناده ضعيف.
(٥) تهذيب الأسرار ٢٠٥
(٦) تهذيب الأسرار ١٧٦، المختار ٢/ ٨٢.
(٧) في (أ): في فعل.
(٨) القائل أبو سعد الواعظ. انظر تهذيب التهذيب.

النَّوافل غيرُ مفروضةٍ، فإذا دخل العبدُ فيها، فُرض عليه الإخلاصُ فيها، وإلاَّ فقد أشرك. وأنشدوا في المعنى:

وإنَّ امـرءًا لـم يَصـفُ للهِ قلبُـهُ ... لفي وحشةٍ[1] من كلِّ نظرةِ ناظرِ
وإنَّ امـرءًا لـم يَـرتحلْ ببضـاعـةٍ ... إلـى داره الأخـرى فليـسَ بتـاجـرِ
وإنَّ امـرءًا يبتـاعُ دنيـا بـدينـه ... لمنقلبٌ فيها[2] بصفقةِ خاسرِ[3]

وقال: ما من أحدٍ طلبَ أمرًا بصدقٍ وجدٍّ إلاَّ أدركَهُ، وإن لم يدركِ الكلَّ أدركَ البعضَ. وأنشدوا في المعنى:

وإذا الأمـورُ تَنـاتجـتْ ... فـالصِّـدقُ أكـرمُهـا نتـاجـا
والصِّـدقُ يعقـدُ فـوقَ رأ ... سِ حليفـه بـالصِّـدقِ تـاجـا
والصِّـدقُ يَقـدحُ زنـدَه ... فـي كـلِّ نـاحيـةٍ سِـراجـا[4]

وسُئل عن الخوف، فقال: إخراجُ الحرامِ من الجوف، وتركُ العمل بعسى وسوف[5].

وقال: لو علم منك التَّحقيقَ، لوسَّعَ عليك الطَّريق، ولو أشرتَ إليه في أوَّلِ المصائب، لأبرزَ إليك لطائف العجائب[6].

وقال: أبت الحقائق أن تدعَ في القلوب مقالةً للتأويلات. والحقائقُ اللازمة، والقصودُ[7] القوية المُحكمة لم تُبقِ على أهلها شيئًا إلاَّ قطعته،

---

(1) في (ب): لفي وحشةً.
(2) في (ب): لمنقلبٍ منها.
(3) تهذيب الأسرار ١٨٤، وما بين معقوفين مستدرك منه. طبقات الأولياء ١٣٥
(4) تهذيب الأسرار ١٨٧ والأبيات فيه لمحمد بن إسحاق الواسطي.
(5) المختار ٢/ ٨٢.
(6) في (أ): لطفه العجائب، والمثبت من المختار ٢/ ٨٢.
(7) في (أ): والمقصود.

ولا مُعترضًا إلاَّ منعته، ولا تأويلاً من همِّ الضَّجرِ والمُراد[1] إلاَّ كشفته.

وسُئل عن الفقرِ، فأنشأ يقول:

لا الفقـرُ عـارٌ ولا الغنـى شَـرَفٌ   ولا سخـاءٌ فـي طـاعـةٍ سَـرَفُ[2]

* * *

---

(١) في (ب): من همِّ الصحة والمراد.

(٢) تهذيب الأسرار ١٥٩، طبقات الأولياء ١٣٦ وفيه: ولا شيء في طاعة.

(٢٥) أبو عثمان سعيد الحيري(*)

أبو عثمان سعيد بن إسماعيل بن سعيد بن منصور الحِيري النَّيسابوري رحمه الله. وأصلُهُ من الرَّيِّ.

صَحب قديمًا: يحيى بن مُعاذ الرَّازي، وشاه بنَ شجاع الكرماني[١]

ثمَّ رحلَ إلى نيسابور، وقصد أبا حفص الحدَّاد، وزوَّجه ابنتَهُ، وأخذَ منه طريقتَهُ[١] وكان في وقته أوحدَ المشايخ في سيرته، ومنه أخذ طريقةَ التَّصوُّف بنيسابور[١] مات سنةَ ثمانٍ وتسعين ومئتين بنيسابور[١]

وقيل: إنَّه عاشَ بعد أبي حفص ثلاثين سنةً ونيف عليها[٢]

وقال عبد الله بن محمد بن عبد الرَّحمن الرَّازي: لقيتُ الجُنيدَ، ورويمًا، ويوسفَ بن الحسين، ومحمد بن الفضل، وأبا علي الجوزجاني وغيرَهم من المشايخ، فلم أرَ أحدًا أعرفَ بالطَّريق إلى الله من أبي عثمان رحمه الله[٣]

(*) طبقات الصوفية ١٧٠، حلية الأولياء ١٠/ ٢٤٤، تاريخ بغداد ٩/ ٩٩، الرسالة القشيرية ٧٣، الأنساب ٤/ ٢٨٩، المنتظم ٦/ ١٠٦، صفة الصفوة ٤/ ١٠٣، المختار في مناقب الأخيار ٢/ ٤٩٥، وفيات الأعيان ٢/ ٣٦٩، سير أعلام النبلاء ١٤/ ٦٢، العبر ٢/ ١١١، الوافي بالوفيات ١٥/ ٢٠٠، مرآة الجنان ٢/ ٢٣٦، البداية والنهاية ١١/ ١١٥، طبقات الأولياء ٢٣٩، النجوم الزاهرة ٣/ ١٧٧، نفحات الأنس ١٣٠، طبقات الشعراني ١/ ٨٦، الكواكب الدرية ١/ ٦٢٣، شذرات الذهب ٢/ ٢٣٠.

(١) طبقات الصوفية ١٧٠

(٢) الرسالة القشيرية ٧٣

(٣) طبقات الصوفية ١٧٠.

وقال: لا يَكْمُلُ الرَّجلُ حتَّى يستوي في قلبه أربعةُ أشياء: المنعُ، والعطاء، والعزُّ، والذُّلُّ[1]

وقال: صحبتُ أبا حفص، وأنا شابٌ، فطردني مرَّةً، وقال: لا تجلسْ عندي. فقمتُ ولم أولِهِ ظهري، وانصرفتُ إلى وراء، ووجهي إلى وجهه حتَّى غبتُ عنه، وجعلتُ على نفسي أن أحفرَ على بابه حُفيرةً ولا أخرج منها إلاَّ بأمره، فلمَّا رأى ذلك أدناني، وجعلني من خواصِّ أصحابِهِ[2]

وكان يُقال. في الدُّنيا ثلاثةٌ لا رابع لهم: أبو عثمان بنيسابور، والجُنيدُ ببغداد، وأبو عبد الله بن الجلاَّء بالشَّام[3]

وقال: منذ أربعين سنةً ما أقامني اللهُ عزَّ وجلَّ في حالٍ فكرهته، ولا نقلني إلى غيرِهِ فسخطته[4]

وقيل له: لمَّا تغيَّرَ الحالُ[5] على أبي عثمان، مزَّقَ ابنُه أبو بكر قميصًا على نفسه، ففتحَ أبو عثمان عينَهُ وقال: يا بُنَيَّ، خلافُ السُّنة في الظَّاهر علامةُ رياءٍ في الباطن[6]

وقال: الصُّحبةُ مع الله بحُسنِ الأدب ودوامِ الهيبةِ والمراقبة، والصُّحبةُ مع الرَّسول ﷺ باتِّباع سُنَّته ولزوم ظاهر العلم، والصُّحبة مع أولياء الله بالاحترام والخدمة، والصُّحبة مع الأهلِ بحُسن الخُلق، والصُّحبة مع الإخوان بدوامِ البشرِ ما لم يكن إثمًا، والصُّحبة مع الجُهَّال بالدُّعاء لهم والرَّحمة عليهم[7]

---

(١) طبقات الصوفية ١٧٢، الرسالة القشيرية ٧٣

(٢) الرسالة القشيرية ٧٣، ٧٤

(٣) الرسالة القشيرية ٧٤.

(٤) تهذيب الأسرار ١٣١، الرسالة القشيرية ٧٤

(٥) أي حينما غشي عليه في مرض موته.

(٦) الرسالة القشيرية ٧٤

(٧) الرسالة القشيرية ٧٤.

وقال: من أَمَّرَ السُّنة على نفسه قولاً وفعلاً نطق بالحكمة، ومن أَمَّرَ الهوى على نفسه [قولاً وفعلاً] نطقَ بالبدعة. قال الله تعالى: ﴿وَإِن تُطِيعُوهُ تَهۡتَدُواْۚ﴾[1] [النور: ٥٤].

وقال في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ إِلَيۡنَآ إِيَابَهُمۡ﴾ [الغاشية: ٢٥] قال: رجوعُهم، وإن تمادى بهم الجَوَلان في ميدان المخالفات[2]

وقال: أصلُ العداوةِ من ثلاثةِ أشياء: الطَّمعُ في المال، والطَّمعُ في إكرامِ النَّاس، والطَّمعُ في قبولِ النَّاس[3]

وقال: صلاحُ القلبِ في أربع خصال: في التَّواضعِ لله، والخوفِ من الله، والفقرِ إلى الله، والرَّجاء لله[3]

وقال: الموفَّقُ من لا يخافُ غير الله، ولا يرجو غيرَهُ، ويؤثرُ رضاه على هوى نفسه[3]

وقال: العُجبُ يتولَّدُ من رؤيةِ النَّفسِ وذكرها، ورؤيةِ الخَلْق وذكرِهم[3]

وقال له رجلٌ: كنتُ أَجدُ في قلبِي حلاوةً عند إقبال اللَّيل، وأنا لا أجدُهُ السَّاعةَ، فقال: لعلَّكَ سُررتَ بشيءٍ من الدُّنيا، فذهب بحلاوةِ ذلك من قلبك، فربَّما يعرِّفُكَ اللهُ ضعفَكَ، ويُريك قدرَكَ، فيسلبُكَ حلاوةَ مُناجاةِ اللَّيل حتَّى تتضرَّعَ إليه، فيردُّهُ عليك لئلا تأمنَ من مكره[4]

وقال: الخوفُ من الله يُوصلُكَ إلى الله، والكِبرُ والعُجب في نفسك يقطعُكَ عن الله، واحتقارُ النَّاس في نفسك مرضٌ عظيمٌ لا يُداوى[5]

---

(١) الرسالة القشيرية ٧٤.
(٢) الرسالة القشيرية ١٧٦ (التوبة).
(٣) طبقات الصوفية ١٧٢
(٤) طبقات الصوفية ١٧٢
(٥) طبقات الصوفية ١٧٢، حلية الأولياء ١٠/ ٢٤٥، تهذيب الأسرار ١٤٥.

وقال: النَّاسُ على أخلاقهم ما لم يُخالفْ هواهُم، فإذا خُولف هواهُم بانَ ذوو الأخلاقِ الكريمةِ من ذوي الأخلاق اللئيمة[1]

وقال: من جلَّ مقدارُهُ في نفسه جلَّ أقدارُ النَّاس عنده، ومن صَغُرَ مقدارُهُ في نفسه صَغُرَ أقدارُ النَّاسِ عنده[1]

وقال: تعزَّزُوا بعزِّ الله كي لا تَذِلّوا[1]

وقال: سُرورُكَ بالدُّنيا أذهبَ سُرورَكَ بالله من قلبك، ورجاؤك لمن دونَه أذهبَ رجاءَكَ به عن قلبك، وخوفُكَ من غيره أذهبَ بخوفك منه عن قلبك[2]

وقال: العاقلُ من تأهَّبَ للمخاوف قبلَ وقوعها[3]

وقال: حقٌّ لمن أعزَّهُ اللهُ بالمعرفة أن لا يُذلَّه بالمعصية[4]

وقال: قطيعة الفاجر غنم[5]

وقال: كان يقال: الأدبُ سَنَدُ الفقراء، وزينُ الأغنياء[5]

وقال: أوجبَ اللهُ على نفسه عفوَهُ عن المقصِّرين من عباده، فلذلك كتبَ على نفسه الرَّحمة[6]

وقال: الزُّهدُ في الحرام فريضةٌ، وفي المُباح فضيلةٌ، وفي الحلال قُربةٌ[7]

---

(١) طبقات الصوفية ١٧٣

(٢) المختار ٢/ ٥٠٠، وانظر طبقات الصوفية ١٧٣

(٣) طبقات الصوفية ١٧٣، وفي (أ): ما تأهَّبَ.

(٤) طبقات الصوفية ١٧٣

(٥) طبقات الصوفية ١٧٣

(٦) في طبقات الصوفية ١٧٤ ...من عباده، لذلك قال: ﴿ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ أَنَّهُۥ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوٓءًۢا بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُۥ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [الأنعام: ٥٤].

(٧) طبقات الصوفية ١٧٤.

وقال: التَّفويضُ ردُّ علمِ ما جهلتَ إلى عالمه، والتَّفويضُ مُقدِّمةُ الرِّضا، والرِّضا بابُ الله الأعظم[1]

وقال: الصَّبرُ على الطَّاعة حتَّى لا تفوتَكَ الطَّاعةُ، والصَّبرُ على المعصية حتَّى تَنجوَ من الإصرار على المعصية[1]

وقال: الفِراسةُ ظنٌّ وافق الصَّواب، والظَّنُّ يخطئُ ويُصيب، فإذا تحقَّقَ في الفِراسة تحقَّقَ في حكمِها؛ لأنَّه إذ ذاك يحكمُ بنورِ الله لا بنفسه[1]

وقال: أنت في سجنٍ ما تبعتَ مُرادَك وشهواتِكَ، فإذا فوَّضتَ وسلَّمتَ استرحتَ[1]

وقال: أصلُ التَّعلُّقِ بالخيرات قصورُ الأمل[1]

وقال: الذِّكرُ الكثيرُ أن تذكرَهُ في ذِكرِكَ له، إنَّكَ لم تصل إلى ذِكره إلاّ به وبفضله[1]

وقال: اصحبِ الأغنياء بالتَّعزُّزِ، والفقراءَ بالتَّذلُّلِ، فإنَّ التَّعززَ على الأغنياء تواضع، والتذلُّلَ للفقراء شرفٌ[2]

وقيل له: كيف يُمكن للعاقلِ أن يُزيلَ اللائمةَ عن ظالمه؟ فقال: أن يعلمَ أنَّ الله سلَّطَه عليه[2]

وقيل له: ما علامةُ السَّعادة والشَّقاوة؟ فقال: علامةُ السَّعادة أن تُطيعَ اللهَ، وتخافَ أن تكونَ مَردودًا، وعلامةُ الشَّقاوة أن تَعصيَ اللهَ، وتَرجو أن تكونَ مَقبولاً[2]

وقال: مَنْ صحبَ نفسَه صحبَ العُجْبَ، ومَنْ صحبَ أولياءَ الله وفّق للوصولِ إلى الطَّريق إلى الله[2]

ورُوي أنَّ أبا عمرو بن نُجيد كان يَختلفُ إلى مجلسِ أبي عثمان، فأثّر

(١) طبقات الصوفية ١٧٤

(٢) طبقات الصوفية ١٧٥ .

كلامُه في قلبه فتاب، ثمَّ إنَّه وقعتْ له فترةٌ، فكانَ يهربُ من أبي عثمان إذا رآه، ويتأخَّرُ عن مجلسِه، فاستقبله أبو عثمان يومًا، فحادَ أبو عمرو عن طريقه، وسلَكَ طريقًا آخر، فتبعَهُ أبو عثمان، فما زال يَقفو أثرَهُ حتَّى لحقه، ثمَّ قال: يا بُنيّ، لا تصحبْ مع من يصحبُكَ إلاَّ معصومًا[1]، إنَّما ينفعُكَ أبو عثمان في هذهِ الحال. قال: فتابَ أبو عمرو بن نُجيد، وعاد إلى الإرادة ونفذ[2]

وقال: لا يرى أحدٌ عيبَ نفسِهِ وهو يَستحسنُ من نفسه شيئًا، وإنَّما يرَى عيوبَ نفسه من يتَّهمُها في جميع الأحوال[3]

وقال: الزُّهدُ أن تترك الدُّنيا، ثمَّ لا تُبالي بمن أخذها[4]

وقال: إنَّ الله يُعطي الزَّاهدَ فوق ما يُريد، ويُعطي الرَّاغبَ دون ما يُريد، ويُعطي المستقيمَ موافقةَ ما يُريد[5]

وقال: عيبُ الخائفِ في خوفه السُّكونُ إلى خوفه؛ لأنه أمرٌ خفيٌّ[6]

و: صدقُ الخوف هو الورع عن الآثام ظاهرًا وباطنًا[7]

وقال: ثوابُ الورع خفَّةُ الحساب[8]

وسُئل يومًا عن الحُزن، فقال: الحزين لا يتفرَّغُ إلى سؤال الحزن،

---

(١) في (أ): مع من يصحب معك إلا معصومًا، وفي الرسالة القشيرية: من لا يُحبُّك إلا معصومًا.

(٢) الرسالة القشيرية ١٧١ (التوبة)، المختار ٢/ ٤٩٦.

(٣) الرسالة القشيرية ١٨٢ (المجاهدة)، المختار ٢/ ٥٠١

(٤) الرسالة القشيرية ٢٠١ (الزهد)، المختار ٢/ ٥٠١.

(٥) الرسالة القشيرية ٢٠٣ (الزهد)، المختار ٢/ ٥٠١.

(٦) الرسالة القشيرية ٢١٤ (الخوف)، المختار ٢/ ٥٠١، وفيه: لأنه أمْنٌ خفي، تهذيب الأسرار ١٤٥

(٧) الرسالة القشيرية ٢١٥ (الخوف)، تهذيب الأسرار ١٤٧، المختار ٢/ ٥٠١.

(٨) الرسالة القشيرية ١٩٥ (الورع)، المختار ٢/ ٥٠١.

فاجتهد في طلب الحزن، ثم سلْ عن الحزن[1]

قال: الحزنُ بكلِّ وجهٍ فضيلةٌ، وزيادةٌ للمؤمن ما لم يكنْ بسببِ معصيةٍ؛ لأنه إن لم يُوجب تخصيصًا، فإنَّه يُوجبُ تمحيصًا[2]

وسُئل عن التَّوكُّلِ، فقال: هو الاكتفاء بالله، مع الاعتماد عليه[3]

و: الشُّكرُ معرفةُ العجزِ عن الشُّكر[4]

و: شكرُ العوام على المطعمِ والمشربِ والملبس، وشكرُ الخَواص على ما يردُ على قلوبهم من المعاني[4]

و: اليقينُ قلَّةُ الاهتمام لغدٍ[5]

وقال: الصبَّار الذي عوَّدَ نفسَه الهجومَ على المكاره[6]

و: أحسنُ الجزاءِ على عبادةٍ الجزاءُ على الصَّبرِ، ولا جزاءَ فوقه. وقال الله تعالى: ﴿ وَلَنَجْزِيَنَّ ٱلَّذِينَ صَبَرُوٓا۟ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾[6] [النحل: ٩٦].

وسُئل عن قولِ النَّبيِّ ﷺ: «أسألُكَ الرِّضا بعد القضا»[7] فقال: لأنَّ الرِّضا قبل القضاء عزمٌ على الرِّضا، والرِّضا بعد القضاء هو الرِّضا[8]

و: من لم تصحَّ إرادتُه بداءً[9] لا يزيدُهُ مرورُ الأيام عليه إلاَّ إدبارًا[10]

---

(١) الرسالة القشيرية ٢٣٢ (الحزن).

(٢) الرسالة القشيرية ٢٣١ (الحزن)، المختار ٢/ ٥٠١.

(٣) الرسالة القشيرية ٢٦٥ (التوكل)، المختار ٢/ ٥٠١.

(٤) الرسالة القشيرية ٢٧٧ (الشكر)، المختار ٢/ ٥٠١.

(٥) الرسالة القشيرية ٢٨٢ (اليقين)، تهذيب الأسرار ٩٠، المختار ٢/ ٥٠١.

(٦) الرسالة القشيرية ٢٨٧ (الصبر).

(٧) رواه أحمد في المسند ٥/ ١٩١

(٨) الرسالة القشيرية ٣٠٠ (الرضا)، المختار ٢/ ٥٠١.

(٩) في (ب): بذا. وفي الرسالة: بدارًا. وفي المختار: ابتداءً

(١٠) الرسالة القشيرية ٣٠٩ (الإرادة)، المختار ٢/ ٥٠١.

و: المُريدُ إذا سمعَ شيئًا من علوم القوم، فعملَ به، صارَ حكمَةً[١] في قلبه إلى آخر عمره، ينتفعُ به، ولو تكلَّمَ به انتفعَ به مَنْ سمعه، ومن سمعَ شيئًا من علومهم ولم يعملْ به، كان حكايةً يحفظها أيامًا ثمَّ ينساها[٢]

وقيل له: ما بالُنا نذكرُ الله، ولا نجدُ في قلوبنا حلاوةً؟ فقال: احمدوا اللهَ على أن زيَّنَ جارحةً من جوارحكم بطاعته[٣]

وقيل: كان بين زكريا النَّخشبيِّ وبين امرأةٍ سببٌ قبل توبته، فكان يومًا واقفًا على رأسِ أبي عثمان بعدما صار من خواصِّ تلامذته، فتفكَّرَ في شأنها، فرفع أبو عثمان رأسَه إليه وقال: أما تستحيي؟[٤]

ورُوي أنَّ الفرغاني كان يخرجُ كلَّ سنةٍ إلى الحجِّ، ويمرُّ بنيسابور، ولا يَدخلُ على أبي عثمان، قال: فدخلتُ عليه مرَّةً، وسلَّمتُ عليه، فلم يردَّ عليَّ السَّلام، فقلتُ في نفسي: مسلمٌ يدخلُ عليه ويسلِّم، فلا يردُّ عليه سلامه؟!. فقال أبو عثمان: مثلُ هذا يحجُّ ويدع أمَّهُ لا يَبرُّها قال: فرجعت إلى فرغانة، ولزمتها إلى أن ماتت، ثمَّ قصدتُ بعد ذلك أبا عثمان، فلمَّا دخلتُ عليه، استقبلني وأجلسني. قال: ثمَّ لازمتُهُ وسألتُهُ سياسةَ دابتِهِ، فولاَّني ذلك إلى أن مات رحمه الله[٥]

وحُكي أنَّ أبا عثمان دَعاه رجلٌ إلى ضيافته، فلمَّا وافى باب داره قال له: يا أستاذ، ليس لي وجهٌ في دُخولك، وقد ندمتُ. فانصرفَ أبو عثمان[٦]، فلمَّا أتى مَنْزِلَهُ عادَ إليه الرَّجل، وقال: [يا أستاذ، ندمتُ،

---

(١) في (أ)، والمختار: صار حكمُهُ.

(٢) الرسالة القشيرية ٣٠٩ (الإرادة)، المختار ٢/ ٥٠١.

(٣) الرسالة القشيرية ٣٣٢ (الذكر)، المختار ٢/ ٥٠٢.

(٤) الرسالة القشيرية ٣٤٥ (الفراسة)، المختار ٢/ ٤٩٧

(٥) الرسالة القشيرية ٣٥١ (الفراسة)، تهذيب الأسرار ٣٢٨، المختار ٢/ ٤٩٦.

(٦) في الرسالة القشيرية: ليس الآن وقت دخولك، وقد ندمتُ فانصرفْ، فرجع أبو عثمان.

وأخذ يعتذر إليه، وقال:] احضرِ السَّاعة. فقام أبو عثمان، ومضى معه، فلمَّا وافى باب داره، قال له مثلَ ما قال في النَّوبةِ الأُولى، ثمَّ فعلَ به كذلك ثالثًا، ورابعًا، وأبو عثمان يحضرُ وينصرف، فلمَّا كان بعد ذلك اعتذرَ إليه وقال: يا أستاذ، أردتُ اختبارَكَ، وأخذَ يَمدحُهُ ويُثني عليه، ويَدعو له، فقال أبو عثمان: لا تَمدحْني على خُلقٍ تجدُ مثلَه مع الكلاب، الكلبُ إذا دُعي حضرَ، وإذا زُجر انزجر(١)

وقيل: إنَّه اجتازَ بسكَّةٍ في وقت الهاجرة، فأُلقي عليه من سطحٍ طَسْتُ رماد، فتغيَّرَ أصحابُهُ، وبسطوا ألسنَتَهم في المُلقي، فقال أبو عثمان: لا تَقولوا شيئًا، من استحقَّ أن يُصبَّ عليه النَّار فصُولِحَ على الرَّمادِ، لم يجزْ له أن يغضب(٢)

وقال: إذا صحَّتِ المحبَّةُ، تأكدَّتْ على المُحبِّ ملازمةُ الأدب(٣)

وقال في قوله تعالى: ﴿فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ لَأٓتٍۚ﴾ [العنكبوت: ٥]: هذه تعزيةٌ للمشتاقين، معناه: أنِّي أعلمُ أنَّ اشتياقَكم إليَّ غالبٌ، وأنا أجَّلتُ للقائكم أجلاً، عن قريبٍ يكونُ وصولُكم إلى من تشتاقون إليه(٤)

وقال: السَّماعُ على ثلاثةِ أوجهٍ: فوجهٌ منه للمُريدين والمبتدئين، يستدعون بذلك الأحوالَ الشَّريفة، ويُخشى عليهم من ذلك الفتنة والمراءاة. والثَّاني: للصَّادقين يطلبون الزِّيادةَ في أحوالهم، ويسمعونَ من ذلك ما يوافق أوقاتهم. والثَّالثُ: لأهلِ الاستقامة من العارفين، فهؤلاء

---

(١) الرسالة القشيرية ٣٥٨ (الخلق)، وما بين معقوفين مستدرك منه، تهذيب الأسرار ٢١٩، المختار ٢/ ٤٩٦، طبقات الأولياء ٢٤١

(٢) الرسالة القشيرية ٣٥٨ (الخلق)، تهذيب الأسرار ٢١٩، المختار ٢/ ٤٩٧، طبقات الأولياء ٢٤٢

(٣) الرسالة القشيرية ٤٠٩ (الأدب)، تهذيب الأسرار ٢١٥، المختار ٢/ ٥٠٢.

(٤) الرسالة القشيرية ٤٦١ (الشوق).

لا يَختارون على الله فيما يردُ على قلوبهم من الحركة والسُّكون[١]

وقال: الإخلاصُ نسيانُ رؤيةِ الخلق بدوامِ النَّظرِ إلى الخالق[٢]

وقال الفرغاني: كنتُ يومًا أمشي خلفَ دابَّةِ أبي عثمان، وكان يومًا وحلاً، فوقعَ في خاطري وقلت: هذا الرَّجلُ على هذه الدَّابة لا يَعلمُ أنَّا نجدُ البردَ، ويشقُّ علينا المشيُ في هذه الأوحال؟ قال: فنَزل أبو عثمان في الوقت عن دابته، وقال لي: اركبْ. فركبتُ، وجعلَ أبو عثمان يَمشي خلفَ الدَّابة، وأنا راكبٌ، وفي قلبي ما فيه، فلمَّا بلغتُ بابَ الدَّار ونزلتُ قال لي: يا فرغاني، أنت إذا مشيتَ خلفَ الدَّابة وأنا راكبٌ، يكون في قلبي مثلُ الذي يكون في قلبك وأنا أمشي وأنت راكب أو أشدّ[٣]

وقال: من تفكَّرَ في فناءِ الدُّنيا وزوالها أورثَهُ الفكرُ الزُّهدَ فيها، ومن تفكَّرَ في الآخرة وبقائها أورثَهُ الرَّغبةَ فيها[٤]

وقال: مَنْ أضرَّ به الرَّجاءُ حتَّى قاربَ الأمنَ، فالخوفُ له أفضل، ومَنْ أضرَّ به الخوف حتَّى قاربَ الأياس فالرَّجاءُ له أفضل. وأنشدَ في المعنى:

أسأتُ ولم أُحسنْ وجئتُك هاربًا ... وأين لعبدٍ من مَواليه مَهْرَبُ
يُؤمِّلُ غُفرانًا فإنْ خابَ ظنُّهُ ... فما أحدٌ منه على الأرضِ أخيبُ[٥]

* * *

---

(١) الرسالة القشيرية ٤٧٤ (السماع)، وانظر تهذيب الأسرار ٣٣٢

(٢) تهذيب الأسرار ١٨٠

(٣) تهذيب الأسرار ٣٢٦، المختار ٢/٤٩٧، طبقات الأولياء ٢٤١

(٤) تهذيب الأسرار ٤٦٠، وفيه من تفكر في الدنيا وفنائها.

(٥) تهذيب الأسرار ١٥٢ دون إيراد الشعر، طبقات الأولياء ٢٤٠.

(٢٦) أحمد بن محمد النُّوري (*)

ومنهم: أبو الحسين أحمد بن محمد النُّوري، ويقال: محمد بن محمد، وأحمد أصح[١]

بغداديُّ المولدِ والمَنشأ، خراسانيُّ الأصلِ، يُعرف بابن البَغَوي[١]

وكان من جلَّةِ المشايخ وعلماءِ القوم، لم يكن في وقته أحسنُ طريقةً منه، ولا ألطفُ كلامًا منه[١]

صحبَ: السَّريَّ السَّقطي، ومحمدَ بن عليّ القصَّاب، ورأى أحمدَ بن أبي الحَواري، وكان من أقرانِ الجُنيد[١]

مات ببغداد سنة خمسٍ وتسعين ومئتين[١]

وقال: التَّصوُّفُ تركُ كلِّ حظٍّ للنفس[٢]

وقال: أعزُّ الأشياء في زماننا شيئان؛ عالِمٌ يعملُ بعلمه، وعارفٌ يَنطقُ عن حقيقته[٣]

(*) طبقات الصوفية ١٦٤، حلية الأولياء ١٠/ ٢٤٩، تاريخ بغداد ٥/ ١٣٠، الرسالة القشيرية ٧٥، الأنساب ١٢/ ١٥٥، صفة الصفوة ٢/ ٤٣٩، المنتظم ٦/ ٧٧، اللباب ٣/ ٢٤١، المختار من مناقب الأخيار ١/ ٣٥٦، سير أعلام النبلاء ١٤/ ٧٠، البداية والنهاية ١١/ ١٠٦، طبقات الأولياء ٦٢، النجوم الزاهرة ٣/ ١٦٣، نفحات الأنس ١١٩، طبقات الشعراني ١/ ٨٧، الكواكب الدرية ١/ ٥٢٢

(١) طبقات الصوفية ١٦٤

(٢) طبقات الصوفية ١٦٦، الرسالة القشيرية ٧٥، تهذيب الأسرار ٢٨.

(٣) طبقات الصوفية ١٦٩، الرسالة القشيرية ٧٥

وقال: من رأيتَهُ يدّعِي مع الله حالةً تُخرجُه عن حدِّ العلمِ الشَّرعي، فلا تقتربنَّ منه[1]

وقال الجُنيد: منذ مات النُّوري لم يُخبرْ عن حقيقةِ الصّدقِ أحدٌ[1]

وقال أبو أحمد المَغازلي: ما رأيت أعبدَ من النُّوري. قيل: ولا الجُنيد؟ قال: ولا الجُنيد[1]

وقال: كانتِ المرقَّعات غطاءً على الدُّرِّ، فصارت مثلَ المزابلِ على الجيف[2]

وقيل: كان يخرجُ كلَّ يومٍ من داره، ويحمل معه الخبزَ، ويتصدَّقُ به في الطَّريق، ويدخلُ المسجدَ يُصلِّي فيه إلى قريبٍ من الظُّهر، ثمَّ [يخرج منه، و]يفتح بابَ حانوته ويصوم، فكان أهلُه يتوهَّمون أنَّه يأكلُ في السُّوق، وأهلُ السُّوق يتوهَّمون أنَّه يأكلُ في بيته، وبقي في بدايته على هذا عشرين سنة[3]

وقال: الجمعُ بالحقِّ تفرِقَةٌ عن غيره، والتَّفرقةُ عن غيرِهِ جمعٌ به[4]

وقال: مَنْ وصلَ[5] إلى ودِّه أنِسَ بقربه، ومن توصَّل بالوداد فقد اصطفاهُ من بين العباد[6]

وأنشد الفَرغَانيُّ لأبي حسين النُّوري رضي الله عنه:

كَمْ حَسرةٍ لي قد غصَّتْ مرارتُها ... جَعلتُ قلبي لها وَقْفًا لبلواكَا
وحقِّ ما منكَ يُبليني ويُتلفني[7] ... لأَبكينَّك أَو أَحظى بلقياكَا[8]

---

(١) الرسالة القشيرية ٧٥ وسيُذكر ثانية، انظر الصفحة ٣٩٣.

(٢) الرسالة القشيرية ٧٦ وفيها: فصارت اليوم مزابل على جيف.

(٣) الرسالة القشيرية ٧٦ وانظر الصفحة ٣٩٩

(٤) طبقات الصوفية ١٦٦

(٥) في (أ): ومن ترحَّلَ

(٦) طبقات الصوفية ١٦٦، وفيه: ومن توسَّل، بالوداد.

(٧) في (ب). يبليني ويقبلني.

(٨) طبقات الصوفية ١٦٦.

وسُئل: عن الحبيب، والخليل، فقال: ليس مَنْ طُولبَ بالتَّسليم كمَن بادرَ بالتَّسليم.

وأنشدَ:

وكم رُمْتُ أمرًا خرْتَ لي في انصرافِهِ   فـلا زلـتَ بـي منّـي أَبـرَّ وأرحمَـا
عَزَمْتُ على أن لا أُحِسَّ بخاطرٍ   على القلبِ إلاّ كنتَ أنت المُقدَّمَا
وأن لا تَراني عند ما قد كرهتَهُ   لأنَّكَ في قلبِي الكبيرَ المعظَّمَا(١)

وقال: رأيتُ غلامًا جميلاً ببغداد، فنظرتُ إليه ثمَّ أردتُ أن أُردِّدَ النَّظرَ، فقلت له: تلبسونَ النِّعالَ الصّرَّارة، وتمشون في الطُّرقات! قال: أحسنت! أتَجَمَّشُ(٢) بالعلم؟ ثمَّ أنشأ يقول:

تأمَّلْ بعينِ الحقِّ إن كنتَ ناظرًا   إلـى صِفَـةٍ فيهـا بـدائـعُ فـاطـرِ
ولا تُعطِ حظَّ النَّفس منها لِما بها   وكنْ ناظرًا بالحقِّ قُدرةَ قادرِ(٣)

وسُئل عن التَّصوُّف فقال: ليس التَّصوُّف رسومًا ولا علومًا، ولكنَّها أخلاق(٤)

وقال: أهلُ الدِّيانة موقوفون، وأهلُ التَّوحيد يسيرون، وأهل الرِّضا يستروحون، وأهل الانقطاعِ يتحيّرون. ثم قال: إنَّ الحقَّ إذا ظهر تلاشى كلُّ ما ستر وحجب(٥)

وقال: من لم يعرفِ اللهَ في الدُّنيا لم يعرفْه في الآخرة(٦)

---

(١) طبقات الصوفية ١٦٩

(٢) النعال الصرارة: النعال المسواة، المنصوبة المقدم، أو النعال التي تحدث صوتًا أثناء السير.

(٣) التجميش: المغازلة، وهو الكلام الخفي، والملاعبة.

(٤) طبقات الصوفية ١٦٦

(٥) طبقات الصوفية ١٦٧

(٦) تهذيب الأسرار ٥٤، المختار ١/ ٣٦٧

وقال: حِيلَ بيني وبين قلبِي منذ أربعين سنة، وما اشتهيتُ شيئًا، ولا تمنيّتُ شيئًا، ولا استحسنتُ شيئًا منذ عرفتُ ربِّي عزَّ وجلَّ[٢]

وأنشد لنفسه:

ذكـرتُ ولـم أذكـرْ حقيقـةَ ذِكـرِهِ ولكنْ بَداوي[١] الحقِّ تبدو فأَنطقُ
إذا مـا بـدا ذِكـرٌ لـذِكـرِ ذكـرتُـهُ يُغيِّبُنـي عـن ذِكـرِ ذِكـري فـأغـرقُ
وأغرقُ بالذِكرِ الذي قد ذكرتُهُ عن الذِكر بالذِكرِ الذي هو أَشيقُ[٢]

ورُوِيَ أنّه أصابته علّةٌ، وأصابتِ الجُنيد علّةٌ أيضًا، فالجُنيد أخبرَ عن حاله، والنُّوريّ كتمَ، فقيل له: لِمَ لم تُخبر كما أخبر صاحِبُكَ؟ فقال: ما كنا نبتلي ببلوى، نوقع[٣] عليها اسمَ الشَّكوى. ثمَّ أنشأ يقول:

إنْ كنـتُ للسُّقْـمِ أهـلا فـأنـتَ للشُّكـرِ أهـلا
عـذِّبْ فلـم يبـقَ قلـبٌ يقـولُ للسُّقْـمِ مَهـلا

فأُعيد ذلك على الجُنيد، فقال: ما كنَّا شاكين، ولكن أردنا أن نكشفَ عينَ القُدرةِ فينا. ثمَّ بدأ يقول:

أُجـلُّ مـا منـكَ يبـدو لأنّـه عنـكَ جـلاَ
وأنـتَ يـا أُنـسَ قلبِـي أجـلُّ مـن أن تجـلاَّ
أفنيتنـي عـن جميعـي فكيـفَ تَـرعـى المحـلاَّ

قال: فبلغ ذلك الشّبليَّ، فأنشأ يقول:

مِحنتـي فيـكَ أنّـي لا أُبـالـي بمِحنتـي

---

(١) في تهذيب الأسرار ولكن بوادي.
(٢) تهذيب الأسرار ٤٩٩، في (ب): الذي هو أسبق.
(٣) في طبقات الصوفية: لنبتلي ببلوى، فتُوقعَ عليها.

يـــا شِفــائـــي مـــن السَّقـــا م ويـــا بـــروَ علَّتـــي[1]
تبـــتُ دهـــرًا فمـــذ عـــرفـ ـــتُكَ ضيّعـتُ فيـك تـوبتـي
قُـــربُكـــم مثـــلُ بعـــدِكـــم فمتـــى وقـــتُ راحتـــي؟[2]

وقال: مقاماتُ أهلِ النَّظر شتى في النّظر، فمنهم من نظرُهُ نظَرُ التَّسلّي، ومنهم من نَظَرُه نظرُ استفادةٍ، ومنهم من نظره نظرُ عِيان المُكاشفة، ومنهم من نظره نظرُ المُنافسةِ في المُشاهدة، ومنهم من نظرُهُ نظرُ المشاكلة والمُماثلة، ومنهم من نظرُه نظرُ طيبةٍ ومُلاحظة، ومنهم من نظرُه نظرُ إشرافٍ ومطالعة، وكلٌّ واحدٍ من هؤلاء أهل النَّظر[3]

وقال: من عَقَلَ الأشياء بالله، فرجوعُهُ في كلِّ شيءٍ إلى الله[3]

وسُئل عن الفقيرِ الصَّادق، فقال: الذي لا يَتَّهمُ الله في الأسباب، ويسكنُ إليه في كلِّ حال[4]

ورُويَ أنّه أُحضر مجلسًا للسلطان، فقيل له: من أين تأكلون؟ فقال: لسنا نعرفُ الأسبابَ التي تُستجلبُ بها الأرزاق، نحن قومٌ مدبَّرون[5]

وقال أبو محمد المُرتعش: سمعتُ أبا الحسين النُّوري يُوصي بعضَ أصحابه ويقول له: عشرةٌ وأيُّ عشرةٍ! احتفظْ بهنَّ، واعملْ عليهنَّ جهدك:

فأوّلُ ذلك: من رأيتَهُ يَدَّعي مع الله حالةً تُخرجُهُ عن حدِّ علمِ الشَّريعة، فلا تقربنَّ منه[6]

والثَّانية: مَنْ رأيتَهُ يركَنُ إلى غيرِ أبناء جنسِهِ ويخالطهم، فلا تَقربنَّ منه.

---

(١) في طبقات الصوفية، وحلية الأولياء: وإن كنت علتي.

(٢) طبقات الصوفية ١٦٨، حلية الأولياء ١٠/ ٢٥٢

(٣) طبقات الصوفية ١٦٩

(٤) طبقات الصوفية ١٦٩، تهذيب الأسرار ١٦٦

(٥) طبقات الصوفية ١٦٩

(٦) ذكر هذا القول مع تخريجه صفحة ٣٩٠

والثَّالثة: مَنْ رأيتَهُ يَسكنُ إلى الرِّئاسةِ والتَّعظيم، فلا تَقربنَّ منه، ولا ترجُ فلاحَهُ.

والرَّابعة: فقيرٌ رجعَ إلى الدُّنيا، إن مِتَّ جوعًا فلا ترتفقْ منه، وإن أرفقَكَ؛ فإنَّ رفقَهُ يقسِّي قلبَكَ أربعين صباحًا.

والخامسة: مَنْ رأيتَهُ مُستغنيًا بعلمه، فلا تأمَنْ جهلَه.

والسَّادسة: مَنْ رأيتَهُ مُدَّعيًا حالةً باطنَهُ لا يَدلُّ عليها، ولا يَشهدُ لها حفظُ ظاهره، فاتَّهِمْهُ في دينه.

والسَّابعة: مَنْ رأيتَهُ يرضى عن نفسه، ويَسكنُ إلى وقته، فهو مَخدوعٌ، فاحذرْهُ.

والثَّامنة: مُريدٌ يَسمع القصائد، ويَميلُ إلى الرَّفاهية، فلا ترجُ خيرَهُ.

والتَّاسعة: فقيرٌ لا تراه حاضرًا عند السَّماع فاتَّهِمْه، واعلم أنّه مُنع بركاتِ ذلك لتشويشِ سرِّهِ وتبديد همِّه[1]

والعاشرة: مَنْ رأيتَهُ مُطمئنًا إلى أصدقائه وإخوانه، مُدَّعيًا لكمالِ الخلق بذلك، فاشهدْ بسخافةِ عقله، ووهن ديانته[2]

وحكى أبو جعفر بن الزُّبير الهاشمي أنَّ أبا الحسين النُّوري دخلَ يومًا إلى الماء، فجاء لصٌّ، وأخذ ثيابه، فبقي في وسط الماء، فلم يلبث أن جاء اللِّصُّ، ومعه ثيابُه، فوضعها بين يديه، وقد جفَّتْ يمينُه، فقال النُّوري: ربِّ، قد ردَّ عليَّ ثيابي، فردَّ عليه يده. فرَدَّ الله عليه يمينه ومضى[3]

ورُوِيَ أنَّه خرجَ ليلةً إلى شاطئِ الدِّجلة، فوجدَ الجانبين قد التزقا،

---

(١) في (أ): سره وتدبيره.

(٢) حلية الأولياء ١٠/ ٢٥٢، المختار ١/ ٣٦٧.

(٣) حلية الأولياء ١٠/ ٢٥١، وفيه: جعفر بن الزبير، وفي الرسالة القشيرية ٥٢٢ (كرامات الأولياء)وتهذيب الأسرار ٤١٢ جعفر الدبيلي.

فانصرفَ، وقال: وعزَّتِكَ، لا أَجوزُها إلاَّ في زورقٍ[(١)]

وقال أبو العبَّاس بن عطاء: سمعتُ أبا الحسين النُّوري يقول: كان في نفسي من هذه الآيات شيءٌ، فأخذتُ من الصِّبيان قصبةً، وقمتُ بين زورقين، وقلت: وعزَّتِكَ، لئن لم تُخرجْ لي سمكةً فيها ثلاثة أرطال لأُغرقَنَّ نفسي. قال: فخرجتْ له سمكةٌ فيها ثلاثةُ أرطال، فبلغ ذلك الجُنيد فقال: كان من حكمِهِ أن يُخرجَ له أفعًى تلدغُهُ[(٢)]

وقال عليُّ بن عبد الرَّحيم: دخلت على النُّوري ذات يومٍ، فرأيتُ رجليه مُنتفختين، فسألتُهُ عن أمره، فقال: طالبتني نفسي بأكلِ التَّمر، فجعلتُ أمنعها فتأبى، فاشتريتُ لها تمرًا، فلمَّا أن أكلتُ قلتُ لها: قومي حتَّى نُصلِّي. فأبت، فقلتُ: لله عليَّ لا قَعدتُ[(٣)] على الأرضِ أربعين يومًا. فما قعدتُ[(٤)]

وقال: التَّوبةُ أن تتوبَ عن كلِّ شيءٍ سوى الله عزَّ وجلَّ[(٥)]

وقال: الخائفُ يهربُ من ربِّه إلى ربِّه عزَّ وجلَّ[(٦)]

وقال: الرِّضا سرورُ القلب بِمُرِّ القضا[(٧)]

وقال: لكلِّ شيءٍ عقوبةٌ، وعقوبةُ العارفِ انقطاعُهُ عن الذِّكر[(٨)]

ورُوِيَ أنَّه لما سُعي بالصُّوفية إلى الخليفة، أمرَ بضربِ أعناقِهم، فأمَّا الجُنيد فإنَّه انتمى إلى الفقه، وكان يُفتي على مذهبِ أبي ثور، وأمَّا الشَّحامُ

---

(١) الرسالة القشيرية ٤٩٩ (كرامات الأولياء)، المختار ١/ ٣٦١

(٢) حلية الأولياء ١٠/ ٢٥١، الرسالة القشيرية ٤٩٨ (كرامات الأولياء).

(٣) في (أ): لله علي إن قعدت.

(٤) حلية الأولياء ١٠/ ٢٥١

(٥) الرسالة القشيرية ١٧٣ (التوبة)، المختار ١/ ٣٦٨.

(٦) الرسالة القشيرية ٢١٥ (الخوف)، المختار ١/ ٣٦٨.

(٧) الرسالة القشيرية ٣٠٠ (الرضا)، المختار ١/ ٣٦٨.

(٨) الرسالة القشيرية ٣٣٥ (الذكر)، المختار ١/ ٣٦٨

والرَّقّام والنُّوري وغيرُهم فقُبض عليهم، وبُسط النِّطعُ لضرب أعناقهم، فتقدَّمَ النُّوريُّ فقال له السَّيّاف. تدري إلى ماذا تُبادر؟ فقال: نعم. قال: وما الذي يُعجلُك؟ قال: أوثرُ أَصحابي عليَّ بحياةِ ساعةٍ. فتحيَّرَ السيَّافُ، وأنهى الخبرَ إلى الخليفة، فَردَّ أمرَهم إلى القاضي ليتعرّفَ حالَهم، فألقى القاضي على أبي الحسين النُّوري مسائلَ فقهية، فأجابَ عن الكلِّ، ثمَّ قال: وبعد، فإنَّ لله عبادًا إذا قاموا قاموا بالله، وإذا نطقوا نطقوا بالله، وسردَ ألفاظًا أبكى القاضي، فأرسلَ القاضي إلى الخليفةِ وقال: إن كان هؤلاء زنادقة، فما على وجه الأرض مسلم[١]

وقال: نعتُ الفقير السُّكونُ عند العدم، والإيثارُ عند الوجود[٢]

و: الصّوفي من سمعَ السَّماع، وآثر الأسباب[٣]

وقال: من لم يتأدَّبَ للوقت، فوقتُهُ مقتٌ[٤]

وقال أبو نصر السَّراج[٥] كان سببُ موتِ أبي الحسين النُّوري أنَّه سمعَ هذا البيت:

لا زلتُ أَنزلُ في وِدادِك مَنْزلاً ... تتحيَّرُ الألبابُ عند نزولِهِ

فتواجدَ وهام في الصّحراء، فوقع في أَجَمةِ قصبٍ قد قُطعتْ، وبقي أصلُها مثلَ السُّيوف، فكان يمشي عليها، ويُعيدُ البيتَ إلى الغداة، والدَّمُ يَسيلُ من رجليه، ثمَّ وقعَ مثلَ السَّكران، وقد ورمتْ قدماه ومات رحمه الله.

---

(١) الرسالة القشيرية ٣٦١ (الجود)، تاريخ بغداد ٥/ ١٣٥، تهذيب الأسرار ٢٨٦، المختار ١/ ٣٥٩

(٢) الرسالة القشيرية ٣٩٤، ٣٩٧ (الفقر)، وفي ٤٠١ (التصوف) وقال: نعت الصوفي السكون، تهذيب الأسرار ١٥٧

(٣) الرسالة القشيرية ٤٠٣ (التصوف)، ٤٧٣ (السماع).

(٤) الرسالة القشيرية ٤٠٩ (الأدب)، تهذيب الأسرار ٢١٦

(٥) اللمع ٢١٠ (ذكر آدابهم عند الموت). الرسالة القشيرية ٤٣٣ (أحوالهم عند خروجهم من الدنيا)، المختار ١/ ٣٦٨

وقيل له عند النَّزع: قلْ لا إله إلاَّ الله. فقال: أَليسَ إليه أعود؟[1]

وقال: المحبّةُ هتكُ الأستار، وكشفُ الأَسرار[2]

ورُوِيَ أنَّ زيتونةَ خادمةَ أبي الحسين النُّوري، وكانت تخدمُ الجُنيد أيضًا، وأبا حمزة قالت: كان يومًا باردًا، فقلتُ للنُّوري: أحملُ إليك شيئًا؟ قال: نعم. فقلتُ: أيش تُريد؟ قال: خبزٌ ولبنٌ، فحملتُ ذلك إليه، وكان بين يديه فحمٌ يُقلِّبُهُ بيده، وهو مُشتغلٌ، فأخذ يأكلُ الخبزَ باللبن، وهو يَسيلُ على يديه، وفيه سوادُ الفحم، فقلتُ في نفسي: يا ربِّ، ما أقذرَ أولياءك! ما فيهم أحدٌ نظيف! قالت: ثم خرجت من عنده، فتعلّقت بي امرأةٌ، وقالت: سرَقْتِ منِّي رِزمة[3] ثياب، وجرّوني إلى الشّرطي، فأُخبِرَ النُّوري بذلك، فخرجَ، وقال للشّرطي: لا تتعرّضْ لها؛ فإنها وليّةٌ من أولياء الله. فقال الشّرطيُّ: كيف أصنع، والمرأة تدّعي ذلك؟ قال: فجاءت جاريةٌ، ومعها الرزمةُ المطلوبة، فاستطلقَ النُّوريُّ زيتونة، وقال لها: تقولين بعد هذا: ما أقذرَ أولياءك؟ قالت: قد تبت[4]

ورُوِيَ أنّه جاعَ بالبادية أيامًا، فهتفَ به هاتفٌ: أيُّما أحبُّ إليك: سببٌ أو كفاية؟ فقال: كفايةٌ ليس فوقها نهاية. فبقي سبعةَ عشر يومًا لم يأكلْ شيئًا[5]

وقال: هذا زمانٌ المعروفُ فيه زَلَلٌ، والصَّوابُ فيه خَطَل، والوداد دَخَل[6]

---

(١) الرسالة القشيرية ٤٣٣ (أحوالهم عند خروجهم من الدنيا)، المختار ١/ ٣٦٨، تهذيب الأسرار ٥٤٩، المختار ١/ ٣٦٨.

(٢) الرسالة ٤٥١ (المحبة).

(٣) الرِّزمة: ما شُدَّ في ثوبٍ واحدٍ من ضروب الثياب. القاموس.

(٤) تاريخ بغداد ٥/ ١٣٤، الرسالة القشيرية ٥١٧ (كرامات الأولياء)، المختار ١/ ٣٥٩.

(٥) الرسالة القشيرية ٢٦٩ (التوكل)، المختار ١/ ٣٦١

(٦) الدَّخَلُ: الريبة والغدر والمكر والخديعة.

قال أحمد بن إبراهيم المُقرئ: كان أبو الحسين النُّوري لا يَسأل أبدًا عمّا لا يعنيه، ولا يُفتِّشُ عمّا لا يحتاج إليه، غير أنَّه كان إذا رأى مُنكرًا غيَّرَهُ، ولو كان فيه تلفُه، فنَزَلَ ذات يومٍ إلى مَشرعةٍ تُعرفُ بمشرعةِ الفحّامين ليتوضَّأ للصَّلاة، إذ رأى زورقًا فيه ثلاثون دنًّا مكتوبٌ عليها بالقار (لَطَف)، فقرأه وأنكرَه؛ لأنَّه لم يعرفْ شيئًا يعبّر عنه بلطف، فقال للملاَّح: أيشٍ في هذه الدِّنان؟ فقال له: وأيشٍ عليك؟ امضِ لشغلك. فلمَّا سمعَ النُّوريُّ من الملاحِ هذا القولَ ازدادَ تعطُّشًا إلى معرفته، فقال له: أُحبُّ أن تُخبرني ما في هذه الدِّنان. فقال له الملاَّحُ: وأيشٍ عليك؟ امضِ لشغلك، أنت واللهِ صوفيٌّ فضولي، هذا خمرٌ للمُعتضد بالله، يُريد أن يتمَّ به سرورَ مجلسه. فقال النُّوري: وهذا خمر؟ قال: نعم. فقال: أُحبُّ أن تُعطيني ذلك المُرديّ[1] فاغتاظَ الملاحُ عليه، وقال لغلامه: أعطِهِ المُرِدي حتَّى أنظرَ ماذا يصنع. فلمَّا صارَ المرديُّ في يده، صَعِدَ إلى الزُّورق، فلم يزلَ يكسرها دنًّا دنًّا حتَّى أتى على آخرِها إلاَّ دنًّا واحدًا، والملاحُ يَستغيثُ إلى أن ركبَ صاحبُ الجسرِ، وهو يومئذٍ مُؤنس بن أفلح، فقبضَ على النُّوري وأشخصَهُ إلى حضرةِ المُعتضد. وكان المُعتضدُ سيفُه قبل كلامه، ولم يشكَّ أحدٌ أنَّه سيقتله.

قال أبو الحسين. فأُدخلتُ عليه، وهو جالسٌ على كرسيٍّ من حديد، وبيده عمودٌ يُقلّبه، فلمَّا رآني قال: من أنت؟ قلت: مُحتسِبٌ[2] فقال: من ولاَّك الحسبة؟ قلت: الذي ولاَّك الخلافةَ ولاَّني الحسبة. قال: فأطرقَ ساعةً إلى الأرضِ، ثمَّ رفعَ رأسَه إليَّ وقال: ما الذي حملَكَ على ما صنعت؟ فقلتُ: شفقةً منِّي عليك، فبسطتُ يدي إلى صرفِ مكروهٍ عنك. فأطرقَ مُفكِّرًا من كلامي، ثمَّ رفعَ رأسَه إليَّ وقال لي: كيف تخلّص

(١) المردي: خشبة تُدفع بها السفينة، تكون في يد الملاح اللسان.

(٢) المحتسب: من يتولّى ضبط الموازين والمكاييل، ويده مطلقة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولا يُحال بينه وبين مصلحةٍ أرادها.

هذا الدَّنُّ الواحد من جملة هذه الدِّنان؟ فقلتُ: في خلاصِهِ سرٌّ أُخبرُ به أميرَ المؤمنين إن أَذِنَ لي. فقال: أَخبرني. فقلتُ له: يا أميرَ المؤمنين، إنِّي أَقدمتُ على الدِّنان كلِّها بمطالبة الحقِّ سبحانه لي بذلك، ولمَّا غمرَ قلبي من شاهد الإجلال للحقِّ سبحانه، وخوف المطالبة، فغابت هيبةُ الخلقِ عنِّي، فأقدمتُ عليها بهذه الحال إلى أن صرتُ إلى هذا الدَّنِّ، فامتلأتْ نفسي كِبرًا وفخرًا، كيف أقدمْتُ عليك يا أمير المؤمنين، فامتنعتُ لذلك من الدَّنِّ الباقي، ولو أقدمتُ بالخاطر الأول حتَّى يكونَ ملءَ الدُّنيا لكسرتها، ولم أُبالِ. فقال المُعتضد: اذهب، فقد أطلقنا يدك، وغيِّرْ ما أَحببتَ أن تُغيِّرَه من المنكر. فقلتُ: يا أمير المؤمنين، تَبغَّضَ عليَّ[1] التَّغير. [قال: لِمَ؟ قلتُ:] لأنِّي كنت أُغيِّرُ عن الله، وأنا الآن أُغيِّرُ عن شرطي. ثمَّ قال لي: ما حاجتُك؟ فقلت: حاجتي أن تأذنَ لي بالخروج. فأذن له، فانحدرَ إلى البصرة، فأقامَ بها إلى أن مات المعتضد خوفًا أن يسألَ الشَّفاعة إليه في حاجةٍ، ثمَّ عادَ إلى بغداد[2]

وقال الفرغاني: كان الجُنيد وأبو الحسين النُّوري يُسمَّيان ببغداد طاووسا العبَّاد.

مكثَ أبو الحسين النُّوري عشرين سنةً يأخذُ من بيته كلَّ يومٍ رغيفين، ويخرجُ بمضي إلى السُّوق، فيتصدَّقُ بالرَّغيفين، ويدخلُ إلى مسجدٍ، فلا يزالُ يركعُ ويسجدُ حتَّى يجيءَ وقتُ سوقه، فإذا جاء الوقتُ دخلَ السُّوقَ، فيظنُّ أستاذُه أنَّه قد تغدّى في مَنْزله، وأهلُهُ يظنُّون أنَّه قد أخذ معه غداءه، وهو صائم[3]

قال المغازلي. ما رأيتُ قطُّ أحسن منهما.

---

(١) في (أ): تُغضُّ.

(٢) المختار ١/ ٣٦١.

(٣) تاريخ بغداد ٥/ ١٣١، المختار ١/ ٣٥٧ وانظر الصفحة ٣٩٠.

وقال المغازلي أيضًا: ما رأيتُ قطُّ أحدًا أعبدَ من النُّوري. قيل له ولا الجُنيد؟ فقال: ولا الجُنيد. وكانت له قِنِّينةٌ تَسَعُ خمسةَ أرطال ماء، يشربُها في خمسة أيام وقتَ إفطاره[١]

وقال أبو أحمد بشارة: جئتُ يومًا إلى أبي الحسين النُّوري، وقد جعتُ أربعةَ أيام، ما أكلتُ فيها شيئًا، فلمَّا رآني قال لي: ولدٌ مشؤوم، يجوعُ أحدُكم أربعةَ أيام، يُنادي الجوعُ عليه، ثمَّ أدخلَ رأسَه في جيبه، وأعطاني جبَّةً كانت عليه سابوري[٢]، وقال لي: خُذِ الظِّهارة، وأعطني البطانةَ والقطنَ، وبِعِ الظِّهارة، ولا ترجع إليَّ حتَّى تأكلَ شيئًا طيِّبًا فأخذتُها وبعتُها بنيِّفٍ وأربعين درهمًا، واشتريتُ كلَّ ما أردتُ وحملتُهُ إلى الفقراء[٣]

وقال الحسين بنُ الفضل: حضرتُ أبا الحسين النُّوري وهو في الموتِ، فقلتُ له: يا أبا الحسين، إنْ أردتَ شيئًا، أو كانَ في نفسِكَ شهوةٌ، أو ما أحببت، فقل لي. فرفعَ رأسه، وقد انكسرَ لسانُهُ فقال إي واللهِ أَشتهي شهوةً كبيرةً كبيرة. قلتُ: وما هي؟ قال: أَشتهي أن أرى الله تعالى. ثمَّ تنفَّسَ صعدًا كالواجدِ بحاله، وفارقَ الدُّنيا[٤]

ورُوِيَ أن سائلاً[٥] سأله، فقال له:

إذا كان منّي الكلُّ بالكلِّ فانيًا[٦] أبِنْ لي عن أيِّ الوجودَيْنِ أُخبرُ

---

(١) تاريخ بغداد ٥/ ١٣١، المختار ١/ ٣٥٧

(٢) السابري: ثوب رقيق جيد، منسوب إلى سابور، وكلُّ ثوب رقيق فهو سابري (التاج) وفي (ب): بنابوزي.

(٣) المختار ١/ ٣٦٢

(٤) المختار ١/ ٣٦٩.

(٥) السائل هو أبو الحسن القناد. حلية الأولياء.

(٦) في الحلية: إذا كان كل الكل في النور فانيًا.

فأجابه النُّوري رحمه الله فقال:

إذا كنتَ فيما لستَ بالوصف فانيًا وقوفك[1] في الأوطان عندي تخبر[2]

ورُوِيَ أنَّ جماعةً من الشُّيوخ اجتمعوا في مَنْزل يونس بن أبي حليمة ببغداد على سماعٍ، وفيهم الجُنيدُ، والنُّوري، ورُويم، وابنُ وَهْبٍ، وغيرُهم، إلى أن مضى بعضُ اللَّيل أو أكثره، فلم يتحرَّكْ منهم أحدٌ، ولا أثَّرَ فيه القول، فقال النُّوري للجُنيد: يا أبا القاسم، هذا السَّماعُ يمرُّ مرًّا ولا أرى وجدًا يظهر. فقال الجُنيد: يا أبا الحسين ﴿وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ﴾ [النمل: ٨٨] فأنت يا أبا الحسين ما أثَّرَ عليك؟ فقال النُّوري: ما بلغتَ مقامي في السَّماع. فقال الجُنيد: وما مقامك في السَّماع؟ فقال: الرَّمزُ إليه بالإشارة دون الإفصاح، والكناية دون الإيضاح. ثمَّ وثبَ وصفَّقَ بيده وأنشأ يقول:

ربَّ ورقاءَ هَتُوفٍ في الضُّحَى ذاتِ شجوٍ صَدَحتْ في فَنَنِ
ذكرتْ إلفًا وخِلًّا صالحًا فبكتْ شجوًا فهاجت شجني
فبُكائي رُبَّما أرَّقَها وبُكاها ربَّما أرَّقني
ولقد أَشكو فما أُفهِمُها ولقد تَشكو فما تُفهمني
غير أنّي بالجوى أَعرفُها وهي أيضًا بالجَوى تعرفني[3]

فقامَ من حضر بقيامه ساعةً من اللَّيل[3]

وسُئل عن أدبِ المعرفة، فقال: لا تصلُ إلى أوائلِ مبتدإِ حواشي

(١) في الحلية: فوقتك في الأوصاف.
(٢) حلية الأولياء ١٠/ ٢٥٣ ٢٥٤، وفي (ب): عندي تحيّرٌ
(٣) المختار ١/ ٣٦٣ وانظر الخبر مختصرًا في الرسالة القشيرية ١٣١ (التواجد والوجد)، وطبقات الأولياء ٦٨، والأبيات ذكرها الذهبي لبعض الصوفية في سير أعلام النبلاء ١٩/ ١١٣.

المعرفة حتَّى تخوض إلى الله عزَّ وجلَّ سبعَ بحارٍ من نيران، بحرًا بعد بحر، فعسى بعد ذلك يقعُ لك [أوائلُ] بدء علمِ المعرفة. ثمَّ أنشد لنفسِهِ:

إلى الله أَشكو طولَ شوقي وحيرتي ... ووجدي بما طالتْ عليَّ مطالبُهْ
ومن قد برى جِسمي وكدَّرَ عيشتي ... ويَمنعني الماءَ الذي أنا شاربُهْ
فيا ليت شِعري ما الذي فيه راحتي ... وما آخرُ الأمرِ الذي أنا طالبُهْ[(١)]

ورُوِيَ أنَّه وقف على رجلٍ يُضربُ بالسِّياط، فعدَّ عليه ألفًا وهو ساكتٌ، فاستحسن صبرَه مع كبر سنِّه، فلمَّا دخلَ عليه الحبسَ، فسأله عن صبرِهِ مع علوِّ سنِّه، فقال: يا أخي، الهمم تحملُ البلاءَ لا الأجسام. قال: فقلتُ له: فما الصَّبرُ عندكم؟ فقال: الخروج من البلاءِ على حسب الدّخول فيه[(٢)]

وقال إبراهيم القصَّار الرَّقيّ: جاءني فقيرٌ من أهل بغداد يسألُني عن أبي الحسين النُّوري، فقلتُ له: تَسألُني عن رجلٍ قد أدهشنا؟! له عندنا ثلاثُ سنين؛ لم يُكلِّمْ أحدًا من النَّاس سنةً، وسنةً يدورُ حول البلد، وسنةً اكترى بيتًا لم يخرج منه إلاّ لصلاةِ الفرض. فقال: نعم، إيّاه أُريد. فدللْتُهُ عليه، فلقيه النُّوريُّ، فقال له: مَنْ صَحبتَ؟ فقال: أبا حمزة. فقال له النُّوري: الذي يشير إلى[(٣)] القرب؟ فقال: نعم. فقال النُّوري: إذا أنت لقيتَهُ، فأقرئهُ منّي السَّلام، وقل له: يقول لك أبو الحسين النُّوري: قربُ القرب فيما أشير إليه بعد البعد[(٤)]

ورُوِيَ أنَّه خرجَ ليلةً من بيته، فوجد حارسًا، وقد تعلَّقَ برجلٍ وامرأة

---

(١) المختار ١/ ٣٦٥، والأبيات ذكرها ابن الملقن في طبقات الأولياء ٦٣.
(٢) المختار ١/ ١٦٣
(٣) في (أ): يشير إليه.
(٤) المختار ١/ ٣٦٤.

خلف الدَّرب، وهو يقولُ لهما: لا بُدَّ أن أرفعكُما إلى الوالي. فدنا منهم النُّوريُّ، وقال للحارس: خلِّ عنهما. فأبى، فضمنَ له شيئًا، فأبى، فأخرجَ له منديلاً من كمِّهِ فيها دراهم، ونزعَ رداءَه، ودفع الجميعَ إليه، وقال له: خلِّ عنهما، وخذ هذا كلَّه لك، وأنا أجيءُ معك إلى الوالي، فسلِّمني إليه بما شئتَ. فقال الحارسُ: على شرطِ أن لا تُنكرَ ما أقولُ فيك. فقال له النُّوري: نعم. فأخذَ ذلك منه، وخلاّ عنهما، وكتَّفَ النُّوريّ، وجعل كمَّه في عنقه، وهو يقودُهُ حتَّى بلغَ باب دارِ صاحب الشّرطة[1]، فأدخله عليه، وقال له: إنِّي رأيتُ هذا البارحةَ مع امرأةٍ خلف الدَّرب. فقال الوالي لأبي الحسين: ماذا يقولُ الحارس؟ فقال: صدق، كنتُ أنا وهو وامرأةٌ. فقال الوالي: ليس وجهُكَ وجهَ من يفعل هذا. ثمَّ قالَ للحارس: اصدُقْني وإلاَّ عاقبتُكَ. فحدّثه الحديث وصدقَهُ، فتاب الوالي، وتنسَّكَ الحارس، ومضى النُّوريُّ إلى المسجد[2]

وكان كثيرًا ما يشتهي الجهادَ ودخولَ الثَّغر، وكان يسألُ اللهَ أن يرزقَهُ ذلك كثيرًا، فرأى ذات ليلةٍ في المنام مَلَكًا يقول له: إنَّكَ لو دخلتَ الثَّغرَ، فغزوتَ أُسرتَ، ولو أُسرتَ لارتددتَ، فإذا سألتَ فاسألِ الله العافية[3]

وقال أبو أحمد المَغَازلي: صحبتُ جُنيدًا ثلاثين سنةً، ما سمعتُ منه لفظةً غلطًا. وصحبتُ أبا الحسين النُّوري ثلاثين سنةً، ما سمعتُ منه لفظةً غلطًا[4]

و: سمعتُ النُّوريَّ يقول: اشتهتْ عليَّ الصَّبيةُ شيئًا من التّفاح، فجئتُ إلى باب مسجدٍ بباب التّبن[5]، فدخلتُ إليه، وصلَّيتُ ركعتين، ووضعتُ

---

(١) في (ب): دار الوالي صاحب الشرطة.
(٢) المختار ١/ ٣٦٤، روض الرياحين ٤١٨ (الحكاية: ٣٨٦).
(٣) المختار ١/ ٣٦٥
(٤) المختار ١/ ٣٦٤.
(٥) باب التبن: اسم محلة كبيرة كانت ببغداد على الخندق بإزاء قطيعة أم جعفر. معجم البلدان.

رأسي ونمتُ، فانتبهتُ فإذا المسجدُ مليْ تفاحًا[1] داخله وخارجه، فملأتُ كُمّي، وخرقةَ معي[2]، وشددتُها وحملتُها على رأسي، ومضيت[3]

وقال التَّفليسيُّ: كان أبو الحسين النُّوريُّ إذا دخل مسجدَ الشُّونيزية انقطعَ ضوءُ السِّراج، وإذا حضر معنا لا تُؤذينا البراغيث[4]

وقال عليُّ بن عبد الرَّحيم: رأيتُ النُّوري قائمًا حِيالَ الكعبة، يُحرِّكُ شفتيه كأنَّه يسأل شيئًا، ثمَّ أنشأ يقول:

كفى حَزَنًا أنّي أُناديك دائبًا ... كأنّي بعيدٌ أو كأنَّكَ غائبُ

وأسألُ منك الفضلَ من غير رغبةٍ ... ولم أرَ مثلي زاهدًا فيك راغبُ[5]

وسُئل عن الإشارة، فقال: تغني الإشارةُ عن العبارة[6]، ووجدانُ الإشارةِ إلى الحقِّ استغراقُ السَّرائر بالصِّدق[7]

وقال: إذا امتزجتْ نارُ التَّعظيم مع نورِ الهيبة في السِّرِّ، هاجتْ ريحُ المحبَّةِ من حجب العطف[8] على النَّار والنُّور، فيظهرُ فيه الاشتياق، وتتلاشى البشريةُ، فيتولَّد من ذلك المشاهدة. وأنشدَ لنفسه:

أشارَ قلبي إليكَ كيما ... يرى الذي لا تَراهُ عيني

---

(١) في (ب): ملآن تفاح، وفي المختار: ملؤه تفاح.
(٢) في (أ): فملأت كمي وخرجت، وخرقة معي.
(٣) المختار ١/ ٣٦٤، ٣٦٥
(٤) المختار ١/ ٣٦٥، وفي (أ): مسجد الشونيزي.
(٥) حلية الأولياء ١٠/ ٢٥٣، المختار ١/ ٣٦٥، والأبيات في تهذيب الأسرار ٥١٠.
(٦) في (أ): عن العبادة.
(٧) تهذيب الأسرار ٣٢٢، وفيه: ووجل الإشارة إلى الحق.
(٨) تهذيب الأسرار ٨٥، وفيه: المحبة من حجر العطف.

وأنتَ تُلقي على ضميري حلاوةَ السُّؤلِ والتَّمنِّي
تريدُ منّي اختبارَ سرِّي وقد علمتَ المرادَ منّي
وليس لي في سِواكَ حظٌّ فكيفَ ما شئتَ فاختبرني[1]

* * *

(١) المختار ١/ ٣٦٦، والأبيات في تهذيب الأسرار ٥٠٠، ٥٠١.
وسيذكر البيت الأخير ثانية صفحة ٤٤٠ منسوباً لسمنون الخواص.

(٢٧) أبو عبد الله الجلاّء(*)

ومنهم: أبو عبد الله أحمد بن يحيى الجلاء، ويقال: محمد بن يحيى، والأصحُّ أحمد.

بغداديُّ الأصل، أقامَ بالرَّملة ودمشق. وكان من جِلَّةِ مشايخَ الشّام(١)

صحب: أباه يحيى الجلاّء، وأبا تُراب النَّخشبِي، وذا النُّون المِصري، وأبا عُبيد البُسري(١)

وكان عالمًا ورعًا، وهو أستاذُ محمد بن داود الدُّقي(١)

قال: قلتُ لأبي وأمّي: أحبُّ أن تَهباني لله. فقالا: قد وهبناك للهِ عزَّ وجلَّ. فغبتُ عنهما مُدةً طويلةً، فلمَّا رجعتُ كانت ليلةً مَطيرةً، فدققتُ البابَ، فقال أبي: من ذا؟ قلتُ: ولدُك أحمد. قال: كان لنا ولدٌ، فوهبناه لله، ونحن من العَرب لا نَسترجعُ ما وهبنا. ولم يفتح لي الباب(٢)

وقال: من استوى عنده المدحُ والذَّمُّ فهو زاهدٌ، ومن حافظَ على

(*) طبقات الصوفية ١٧٦، حلية الأولياء ١٠/ ٣١٤، تاريخ بغداد ٥/ ٢١٣، الرسالة القشيرية ٧٦، الأنساب ٣/ ٣٩٧، صفة الصفوة ٢/ ٤٤٣، المنتظم ٦/ ١٤٨، المختار من مناقب الأخيار ١/ ٣٨٨، سير أعلام النبلاء ١٤/ ٢٥١، العبر ٢/ ١٣٢، مرآة الجنان ٢/ ٢٤٩، الوافي بالوفيات ٨/ ٢٣٩، مختصر تاريخ دمشق ٣/ ٣٢٢، البداية والنهاية ١١/ ١٢٩، طبقات الأولياء ٨١، النجوم الزاهرة ٣/ ١٧٠، نفحات الأنس ١٦٦، طبقات الشعراني ١/ ٨٧، الكواكب الدرية ٢/ ٣٦، شذرات الذهب ٢/ ٢٤٨.

(١) طبقات الصوفية ١٧٦

(٢) الرسالة القشيرية ٧٦.

الفرائضِ في أوّل مواقيتها فهو عابدٌ، ومن رأى الأفعالَ كلَّها من الله عزَّ وجلَّ فهو مُوحِّدٌ[1]

وقيل: لما مات ابنُ الجلاء نظروا إليه وهو يَضحكُ، فقال الطَّبيب: إنّه حيٌّ. ثمَّ مسَّ مجسَّه، فقال: هو ميت. ثمَّ كشفَ عن وجهه، فقال: لا أَدري أحيٌّ هو أم ميت. حتّى دخلَ عليه بعضُ إخوانه، فغسَّلَه[2] وكان في داخل جلده عرقٌ على شكل كتابة: الله[2]

وقال: أعرفُ مَنْ كان في فلاةٍ من الأرضِ، وهو وَحْدَهُ، فباتَ في وادٍ، وحوَّط حوله دارةً، وقرأ عليها من القرآن آيةً، فإذا قد انتبَهَ بوجبةٍ[3] شديدةٍ، وإذا حيَّةٌ عظيمةٌ، تدفعُ بصدرِها الحجارةَ والخشب، وجاءتْ إلى الخطِّ، فأبصرته ولم تقربْهُ. فقال له بعضُ من حضر: رحمك الله، أيشٍ قرأ؟ فقال: آيةَ الكُرسي[4]

وقال: كنتُ أمشي يومًا مع أُستاذي، فرأيتُ حدثًا جميلاً[5]، فقلتُ: يا أُستاذ، ترى يُعذِّبُ اللهُ هذه الصّورة؟ فقال لي: أونظرتَهُ؟! سترى غبّه[6] قال: فنسيتُ القرآنَ بعد ذلك بعشرين سنةً[7]

وقال: الحقُّ سبحانه استصحبَ أقوامًا للكلام، واستصحبَ أقوامًا للخُلَّةِ، فمن استصحبَهُ الحقُّ لمعنًى ابتلاه بأنواعِ المحنِ، فليحذرْ أحدُكم طلبَ رتبة الأكابر[8]

---

(1) طبقات الصوفية ١٧٨، الرسالة القشيرية ٧٦
(2) الرسالة القشيرية ٧٦
(3) الوجبة: السّقطة مع الهدّة، أو صوت الساقط. القاموس.
(4) المختار ١/ ٣٩٠
(5) في المختار ١/ ٣٩٠: كنت واقفًا أنظر إلى غلامٍ نصراني.
(6) غبّه: عاقبته.
(7) الرسالة القشيرية ٧٧، المختار ١/ ٣٩٠، وسيرد الخبر ثانية، انظر صفحة ٤١٢.
(8) طبقات الصوفية ١٧٧، المختار ١/ ٣٩١.

وقال: من بلغَ بنفسه إلى رتبةٍ سقطَ عنها، ومن بُلِغَ به ثبتَ عليها(١)

وقال له رجلٌ: على أيِّ شيءٍ أصحبُ الخلقَ؟ فقال: إن لم تَبَرَّهم فلا تُؤذهم، وإنْ لم تسرَّهم فلا تَسُؤهم(٢)

وقال: لا تُضَيِّعنَّ حقَّ أخيك اتّكالًا على ما بينك وبينه من المودَّةِ والصَّداقة، فإنَّ الله فرضَ لكلِّ مؤمنٍ حقوقًا لا يُضيِّعُها إلّا مَنْ لم يُراعِ حقوقَ الله عليه(٣)

وقال: يُحتاجُ أن يكونَ للعبدِ شيءٌ يعرِفُ به كلَّ شيءٍ(٣)

وقيل له: ما تقولُ في الرَّجلِ يدخلُ الباديةَ بلا زادٍ؟ فقال: هذا من فعلِ رجال الله عزَّ وجلَّ. قيل: فإن ماتَ؟ قال: الدِّيَةُ على القاتل(٤)

وقال: اهتمامُكَ بالرِّزقِ يُزيلك عن الحقِّ، ويُفقرُكَ إلى الخلقِ(٤)

وقال: كلُّ حقٍّ يشاركُهُ الباطلُ، فقد خرجَ من قسمة الحقِّ إلى قسمةِ الباطل؛ فإنَّ الحقَّ غيور(٤)

وقال: من غِيرةِ الحقِّ أن لم يجعل لأحدٍ إليه طريقًا، ولم يُؤْيِسْ أحدًا من الوصول إليه، وتركَ الخلقَ في مفاوز التَّحيّر يركضون، وفي بحار الظَّنِّ يَغرقون، فمن ظنَّ أنَّه واصلٌ فاصَلَهُ، ومن ظنَّ أنَّه فاصلٌ مَنَّاه، فلا وصولَ إليه، ولا مَهربَ عنه، ولا بدَّ منه(٤)

وقال: الدُّنيا أوسعُ رُقعةً، وأكثرُ زحمةً من أن يجفوكَ واحدٌ، فلا يرغب فيكَ آخر وأنشد:

تَلْقى بكلِّ بلادٍ إنْ حللتَ بها ... أهلًا بأهلٍ وإخوانًا بإخوان(٥)

---

(١) طبقات الصوفية ١٧٧، المختار ١/ ٣٩١.

(٢) طبقات الصوفية ١٧٧، وفيه: على أي شرط أصحب. وانظر صفحة ٢٧٨ (٤).

(٣) طبقات الصوفية ١٧٧

(٤) طبقات الصوفية ١٧٨

(٥) في طبقات الصوفية ١٧٨ وجيراناً بجيران.

وسُئِل عن الحقِّ، فقال: إذا كان الحقُّ واحدًا يجبُ أن يكونَ طالبُهُ وحدانيَّ الذّات[1]

وقال: سَمَتْ هممُ العارفين إلى مولاهم، فلم تعكفْ على شيءٍ سواه، وسمتْ هممُ المُريدين إلى طلبِ الطَّريقِ إليه، فأفنوا نفوسَهم في الطّلب[2]

و: من علتْ همَّتُهُ على الأكوان، وصل إلى مُكوِّنِها، ومن وقفَ بهمَّتِهِ على شيءٍ سوى الحق، فاتَهُ الحقُّ؛ لأنَّه أعزُّ مِنْ أَنْ يَرضى معه بشريك[2]

وقال: أعرفُ من أقامَ بمكّةَ ثلاثين سنةً، لم يشربْ من ماء زمزم إلاَّ ما استقاه بركوته ورِشائه، ولم يتناول من طعامٍ جُلب من مصر[3]

وقال: من لم يصحبْهُ التُّقى في فقره، أكلَ الحرامَ النَّضَّ[4]

وقال: الزُّهدُ هو النَّظرُ إلى الدُّنيا بعين الزَّوال، لتصغرَ بعينك، فيسهل عليك الإعراضُ عنها[5]

وقال: الخائفُ مَنْ تأمنُهُ المخوفاتُ[6]

وقال محمد بن ياسين: سألتُ ابن الجلاَّء عن الفقرِ، فسكت، ثمَّ ذهبَ ورجع عن قريبٍ، ثمَّ قال: كان عندي أربعةُ دوانيق، فاستحييتُ من الله عزَّ وجلَّ أن أتكلَّمَ في الفقر [وهي عندي]، فذهبتُ فأخرجتُها. ثمَّ قعدَ وتكلَّمَ في الفقر[7]

---

(١) طبقات الصوفية ١٧٩، المختار ١/ ٣٩٢.
(٢) طبقات الصوفية ١٧٩
(٣) الرسالة القشيرية ١٩٥ (الورع)، المختار ١/ ٣٩٢.
(٤) الرسالة القشيرية ١٩٥ (الورع)، تهذيب الأسرار ١٦٥، والحرام النض: الحرام الخالص. وسيرد القول صفحة ٤٢٦ منسوبًا لأبي بكر الزقاق (٣٠) وفيه: المحض.
(٥) الرسالة القشيرية ٢٠١ (الزهد)، مختصر تاريخ ابن عساكر ٣/ ٣٢٤
(٦) الرسالة القشيرية ٢١٤ (الخوف)
(٧) الرسالة القشيرية ٣٩٢ (الفقر)، تهذيب الأسرار ١٥٨، الكواكب الدرية ٢/ ٩٨.

وقال: لولا شرفُ التَّواضعِ[1]، لكانَ حكمُ الفقير إذا مشى أن يتبختَرَ[2]

وقيل له: متى يستحقُّ الفقيرُ اسمَ الفقر؟ فقال: إذا لم يبقَ عليه منه بقيةٌ. فقلت: كيف ذاك؟ فقال: إذا كان له فليس له، وإذا لم يكن له فهو له[3]

وقيل له: ما معنى صوفي؟ فقال: ليسَ نعرفُهُ في شرطِ العلم، ولكن نعرف [أن من كان] فقيرًا مجردًا من الأسباب [و] كان مع الله بلا مكانٍ، ولا يمنعه الحقّ من علم كلّ مكان يُسمّى صوفيًا[4]

وقال: كان بالمغرب شيخان لهما أَصحابٌ وتلامذة، يُقال لأحدِهما جَبلة، والثَّاني زُريق، فزارَ زُريقٌ يومًا جبلةَ في أصحابه، فقرأ رجلٌ من أصحاب زُريق شيئًا، فصاح رجلٌ من أصحاب جبلةَ ومات، فلمَّا أصبحوا قال جبلةُ لزُريق: أين الذي قرأَ بالأمس؟ فليقرأْ آية. فقرأ، فصاحَ جبلةُ صيحةً، فمات القارئ، فقال جبلةُ: واحد بواحدٍ والبادي أظلمُ[5]

وقال: اشتهتْ والدتي على والدي يومًا سمكًا، فمضى والدي إلى السُّوق، وأنا معه، فاشترى سمكةً، ووقف ينتظرُ من يحملها، فرأى صبيًّا واقفًا حذاءه، فقال: يا عمّ، تُريدُ من يَحملُها؟ قال: نعم. فحملها، ومشي معنا، فسمعنا الأذانَ، فقال الصَّبي: أذَّنَ المؤذِّنُ، وأحتاجُ أن أتوضَّأَ وأُصلّي، فإن رضيتَ وإلاّ فاحملِ السَّمكة. ووضعها الصَّبيُّ ومضى، فقال أبي: نحن أولى أن نتوكَّلَ في السَّمكة. فدخلنا المسجدَ،

---

(١) في (أ): لولا شرف الفقير.

(٢) الرسالة القشيرية ٣٩٦ (الفقر)، تهذيب الأسرار ٤٦٢، المختار ١/ ٣٩٢.

(٣) الرسالة القشيرية ٣٩٢ (الفقر)، المختار ١/ ٣٩٢. وانظر تهذيب الأسرار ١٦٣

(٤) الرسالة القشيرية ٤٠٣ (التصوف)، وما بين معقوفين مستدرك منه. وانظر تهذيب الأسرار ٣٣

(٥) الرسالة القشيرية ٤٧٧ (السماع)، روض الرياحين ٣٣٤ (الحكاية ٢٨١).

وصلّينا جميعًا، وخرجنا من المسجد، فإذا السَّمكةُ موضوعةٌ على حالها، فحملها ومضى معنا إلى دارنا، فذكر والدي لوالدتي ذلك، فقالت: قل له يقيم عندنا حتَّى يأكلَ معنا. فقال له، فقال: أنا صائم. فقلنا له: تعودُ إلينا بالعشي؟ فقال: إذا حملتُ في اليوم مرّةً لا أحملُ ثانيًا، فأدخلُ المسجدَ إلى المساء ثمَّ أدخلُ عليكم. فلمَّا أمسينا، دخل الصَّبيُّ علينا، وأكلنا، فلمَّا فرغنا دللناه على موضعِ الطَّهارة، ورأيناه يُؤثرُ الخلوةَ، فتركناه في بيتٍ لنا.

وكان لقريب لنا بنتٌ زَمِنَةٌ[1]، فلمَّا كان في بعض اللَّيل، وإذا بها قد جاءتْ تمشي، فسألناها عن حالها، قالت: قلت: يا ربِّ، بحرمةِ ضيفنا إلاّ ما عافيتني، فقُمتُ في عافيةٍ. قال: فمضينا نطلبُ الصَّبيَّ، فإذا الأبوابُ مغلقةٌ كما كانت، ولم نجدِ الصَّبيَّ، فقال أبي: منهم كبيرٌ وصغير[2].

قال: دخلتُ المدينةَ، وبي فاقةٌ، فتقدَّمتُ إلى القبرِ الشَّريف، وقلتُ: أنا ضيفُكَ يا رسول الله. ثمَّ غفوتُ، فرأيت النَّبيَّ ﷺ وقد أعطاني رغيفًا، فأكلتُ نصفَهُ، وانتبهتُ وبيدي النِّصفُ الآخر[3].

وقال أبو بكر الدُّقِّي: سمعتُ أبا عبد الله بن الجلاَّء يقول: لو أنَّ رجلاً عصى الله بين يديَّ بمعصيةٍ، ثمَّ استترَ عنّي بهذا العمود ـ وأومَأ إلى عمودٍ كان مستندًا إليه ـ لم يَسعني فيما بيني وبين الله أن أعتقدَ فيه ما رأيْتُه عليه، فقيل له: فلِمَ؟ فقال: لأنّه يمكنُ أن يكونَ قد تاب حين استترَ عنّي[4].

وقال أبو بكر أيضًا: بينما هو جالسٌ في المسجد، إذ رأى بعضُ مَنْ

---

(١) زمنة: ذات عاهة.
(٢) الرسالة القشيرية ٥١٤ (كرامات الأولياء)، روض الرياحين ٢٨٩ (الحكاية: ٢٢٩).
(٣) الرسالة القشيرية ٥٣٢ (رؤيا القوم)، المختار ١/ ٣٨٩، الكواكب الدرية ٢/ ٣٧.
(٤) المختار ١/ ٣٩٠.

حضرَ علي لحيته قشرةَ تبنٍ، فأخذها، ونحَّاها عنه، وأراها له، فصاحَ وقال: هاه، يُؤخذُ من لحيتي، ويُطرحُ في المسجد! ثمَّ أخذَها، وقام إلى بابِ المسجد فرماها[1]

وقال ابن الجُلَنْدَى المقرئ[2]: سمعتُ أبا عبد الله بن الجلاَّء يقول: كنت واقفًا أنظرُ إلى غلامٍ نصرانيٍّ حسنِ الوجه، فمرَّ بي أبو عبد الله البَلْخي فقال: أيش وقوفُك؟ فقلت: يا عمّ، ما ترى [ما أحسن] هذه الصّورة! تعذّبُ بالنَّار؟ فضربَ بيده على كتفي وقال: لتجدنَّ غِبَّ هذا ولو بعد حين. قال ابنُ الجلاَّء: فوجدتُ غبّها، وذلك أنّي نسيت القرآن بعد أربعين سنة[3]

وقال أبو عبد الله الفَرغاني ساكنُ دمشق: سمعتُ أبا الحُسين يقول: كنتُ جالسًا ذاتَ يومٍ في موضعي هذا على باب المسجد، فرفعتُ رأسي، فرأيتُ رجلاً في الهواء وبيدِهِ رَكْوَةٌ، فأومأ إليَّ، فقلتُ لهُ: انزلْ، فأبى، ومرَّ في الهواء، فقيلَ له: هل عرفتَ الرَّجلَ؟ قال: نعم. قيل: ومن كان؟ قال: أبو عبد الله بن الجلاَّء[4]

وقال: كنتُ بذي الحليفة وأنا أريد الحجَّ، والنَّاسُ يُحرمون، فرأيتُ شابًا قد صبَّ عليه الماء، يُريدُ الإحرام، وأنا أنظرُ إليه، فقال: يا ربِّ، أُريدُ أن أقولَ: لبّيك اللَّهُمَّ لبّيك، فأخشى تجيبني بلا لبيك ولا سعديك. وبقي يردِّدُ هذا القول مِرارًا كثيرةً، وأنا أتسمَّعُ عليه، فلمَّا أكثرَ قلتُ له: ليس لك بدٌّ من الإحرام. فقال: يا شيخ، أخشى إن قلتُ: لبّيك اللَّهُمَّ لبّيك، أجابني بلا لبيك ولا سعديك. فقلتُ له: أحسنْ ظنَّك، وقل معي:

---

(1) مختصر تاريخ دمشق ٣/ ٣٢٤ وفيه: قشرة تين

(2) هو محمد بن علي بن الحسن أبو بكر الجُلَنْدَى توفي نحو سنة بضع وأربعين وثلاث مئة. معرفة القراء الكبار للذهبي ١/ ٣٠٥

(3) تقدم الخبر مع تخريجه صفحة ٤٠٧

(4) المختار ١/ ٣٨٩، مختصر تاريخ دمشق ٣/ ٣٢٢.

لبَّيك اللَّهُمَّ لبَّيك. فقال: لبَّيك اللَّهُمَّ. وطوّلها، فخرجَتْ نفسُه مع قوله اللَّهُمَّ، وسقطَ ميتًا رحمه الله[1].

وقال الدُّقِّي: رأيت أبا عبد الله ابن الجلاء [في منامي] مارًّا في الهواء، ورأيتُ الطَّيلسان على كتفه، ورأيت على شفته[2] أثَرَ سوادٍ. فقال شيخٌ ممن كان عند الدُّقِّي: ذاك السَّوادُ الذي رأيته؛ لأنه كان يتناولُ من طعامٍ غيرِ طيِّبٍ[3].

وقال محمد بن علي بن الجُلَنْدى: دخلنا على أبي عبد الله ابن الجلاَّء نعودُهُ، فأطلنا عنده الجلوس، فقال لنا: دخلنا على أبي تُراب النَّخشبِي، فأطلنا عنده الجلوسَ، فقال لنا: ارفعوا أيديكم حتَّى ندعو اللهَ. فرفعنا أيدينا، فقال: اللَّهُمَّ، علّمنا كيف نعودُ المرضى[4].

* * *

---

(١) تهذيب الأسرار ٢٤٧

(٢) في (ب): على شقه.

(٣) تهذيب الأسرار ٣٧٠، وما بين معقوفين مستدرك منه، وفيه: طعام غير رطب المختار ١/ ٣٨٩

(٤) المختار ١/ ٣٩٣.

(٢٨) رُويم بن أحمد[*]

ومنهم: أبو محمد رُويم بن أحمد بن يزيد بن رويم بن يزيد، ويقال رويم بن محمد. وأحمد أصحُّ. وهو بغداديٌّ من جِلَّةِ مشايخهم[١]

وكان فقيهًا على مذهب داود الأصبهاني[٢] مقرئًا.

قرأ على إدريس بن عبد الكريم الحداد[١]

وجدُّهُ رويمُ بن يزيد حدَّثَ عن الليث بن سعد، وغيره. وكان يُكنى بأبي بكر[١]

مات رُويم بن أحمد ببغداد سنة ثلاث وثلاث مئة، ودُفن بالشُّونيزية.

وقال: من حُكم[٣] الحكيم أن يوسعَ على إخوانه في الأحكام، ويضيِّقُ على نفسه فيها؛ فإن التَّوسعةَ عليهم اتباعُ العلم، والتَّضيقُ على نفسه من حُكم الورع[٤]

(*) طبقات الصوفية ١٨٠، حلية الأولياء ١٠/٢٩٦، تاريخ بغداد ٨/٤٣٠، الرسالة القشيرية ٧٧، صفة الصفوة ٢/٤٤٢، المنتظم ٦/١٣٦، المختار من مناقب الأخيار ٢/٣٩٤، سير أعلام النبلاء ١٤/٢٣٤، البداية والنهاية ١١/١٢٥، طبقات الأولياء ٢٢٨، النجوم الزاهرة ٣/١٨٩، نفحات الأنس ١٤٤، طبقات الشعراني ١/٨٨، الكواكب الدرية ٢/٩٥

(١) طبقات الصوفية ١٨٠

(٢) داود بن خلف الأصبهاني إمام أهل الظاهر ـ وسمو بذلك لأخذهم بظاهر الكتاب والسنة، وإعراضهم عن التأويل والرأي والقياس ـ وأحد أئمة المسلمين ورعًا وهداية، انتهت إليه رئاسة العلم ببغداد، توفي سنة ٢٧٠هـ.

(٣) في (ب): من حكمه.

(٤) طبقات الصوفية ١٨١، الرسالة القشيرية ٧٧ وانظر تهذيب الأسرار ٢٩، ٤٠٣.

وقال أبو عبد الله بن خفيف: قلتُ لرويم: أَوصني. فقال: ما هذا الأمرُ[1] إلاَّ بذلُ الرُّوح، فإن أمكَنكَ الدُّخولُ فيه على هذا، وإلاَّ فلا تشتغل بتُرَّهات الصُّوفية[2]

وقال: قعودُكَ مع كلِّ طبقةٍ من النَّاس أَسلمُ من قعودِك مع الصُّوفية؛ فإنَّ كلَّ الخلقِ قعدوا على الرُّسوم، وقعدتْ هذه الطَّائفةُ على الحقائق، فطالب الخلقُ كلُّهم أنفسَهم بظواهر الشَّرع، وطالب هؤلاء أنفسَهم بحقائق الورعِ، ومداومةِ الصِّدق، فمن قعدَ معهم وخالفَهم في شيءٍ ممَّا يتحقَّقون به نزعَ اللهُ نورَ الإيمان من قلبه[3]

وقال: اجتزتُ ببغداد وقتَ الهاجرة في بعض السكك، وأنا عطشان، فاستسقيتُ من دارٍ، ففتحتْ صبيةٌ البابَ، ومعها كوزٌ، فلمَّا رأتني قالت: صوفيٌّ يشربُ بالنَّهار! فما أفطرتُ بعد ذلك اليوم قطُّ[3]

وقال: إذا رزقَكَ اللهُ المقالَ والفعال، فأخذ منكَ المقالَ، وأبقى عليكَ الفعال فإنَّها نعمةٌ، وإذا أخذَ منكَ الفِعال وأبقى عليكَ المقال فإنَّها مُصيبةٌ، وإذا أخذ منكَ كليهما فهي نقمةٌ[4]

وسُئل عن آداب المسافر، فقال: لا يجاوزُ همُّهُ قدمَهُ، وحيث ما وقف قلبه يكون مَنْزله[5]

وقال: لا تزالُ الصُّوفية بخيرٍ ما تنافروا، فإذا اصطلحوا هلكوا[6]

---

(١) في طبقات الصوفية: أقل ما في الأمر.
(٢) طبقات الصوفية ١٨٣، الرسالة القشيرية ٧٧.
(٣) الرسالة القشيرية ٧٧، تهذيب الأسرار ٢٤٠
(٤) الرسالة القشيرية ٧٧.
(٥) طبقات الصوفية ١٨١، الرسالة القشيرية ٤١٢ (أحكام السفر)، تهذيب الأسرار ٢٦٧، المختار ٢/ ٣٩٩
(٦) طبقات الصوفية ١٨١، الرسالة القشيرية ٤٠٢ (التصوف)، تهذيب الأسرار ٣٠، ٥٢٧.

وقال: الإخلاصُ ارتفاعُ رؤيتك عن الفعل[١]

وقال: قفْ على البساط، وإياكَ والانبساط، واصبرْ على ضربِ السِّياط، حتَّى تجوزَ الصِّراط، وأنشد للشَّافعي في المعنى رضي الله عنه:

صبرًا جميلاً ما أَسرعَ الفَرَجا   من صدَّقَ الله في الأُمورِ نجا
من خشي اللهَ لم يَنلْهُ أذًى   ومن رجا الله كان حيث رجا[٢]

وسُئل عن الفتوة، فقال: أن تعذرَ إخوانَكَ في زلاَّتهم ولا تُعاملَهم بما يَحتاجُ أن تَعتذرَ منه[٣]

وقال: إنَّ اللهَ غيَّبَ أشياءَ في أشياء، غيَّبَ مكرَهُ في حِلمه، وغيَّبَ خِداعَهُ في لُطفه، وغيَّبَ عقوباتِهِ في كراماته[٤]

وقيل له: هل يَنفعُ الولدَ صلاحُ الوالدين؟ فقال: مَنْ لم يكن بنفسه لا يكونُ بغيره؛ بل من لم يكن بربِّه لا يكونُ بنفسه. ثمَّ أنشد لابن الرومي:

إذا العودُ لم يُثمرْ وإن كان شُعْبَةً   من المثمراتِ اعتدَّهُ النَّاسُ في الحَطَبِ[٥]

وسُئل عن حقيقةِ الفقر، فقال: أخذُ الشَّيء من جهتِهِ، واختيارُ القليل على الكثيرِ عند الحاجة[٦]

وقيل له: من الشَّاطرُ؟ قال: من شطرتْ نفسُهُ عن الباطل[٦]

---

(١) طبقات الصوفية ١٨٣، تهذيب الأسرار ١٨٠
(٢) تهذيب الأسرار ١٢٧، ١٢٨، طبقات الأولياء ٢٣٠، والبيتان في ديوان الشافعي ٣٩
(٣) طبقات الصوفية ١٨٣، المختار ٢/ ٣٩٧ وفي (أ): يحتاج أن يعتذرون منه.
(٤) طبقات الصوفية ١٨٢، المختار ٢/ ٣٩٧
(٥) طبقات الصوفية ١٨٢، والبيت في ديوان ابن الرومي.
(٦) طبقات الصوفية ١٨٢.

وقال: الصَّبرُ تركُ الشَّكوى[1]

و: الرِّضا استلذاذ البلوى[2]

و: اليقينُ هو المشاهدة[2]

وقال: يعاتب الخلق بالإرفاق، ويعاتب المحبِّين بالغِلظة. وأنشد على أثره لغيره:

لـو كُنـتِ عـاتبـةً لسكَّـنَ عَبْـرتـي أَملي رضاكِ وزُرتُ غيرَ مُراقِبِ
لكـن مللـتِ فلـم تكـن لـي حِيلـةٌ صَدُّ المَلول خلافُ صدِّ العاتبِ[3]

وقال: التَّوكُّلُ إسقاطُ رؤيةِ الوسائط، والتَّعلُّقُ بأعلى العلائق[4]

وسُئل عن المحبَّة، فقال: الموافقةُ في جميعِ الأحوال. وأنشد:

ولو قُلتِ لي مُتْ متُّ سَمعًا وطاعةً وقلتُ لداعي الموتِ سهلاً ومرحبا[5]

وقال: الأُنسُ أن تَستوحشَ ممَّا سوى محبوبك[6]

وقيل له: كيفَ حالُك؟ فقال: كيف حالُ مَنْ دينُه هواه، وهِمَّتُهُ شِفاه، ليس بصالحٍ تقيٍّ، ولا عارفٍ نَقيّ[7]

وقال: من أحبَّ لِعوضٍ، بغَّضَ العوضُ إليه محبوبَه[8]

وسُئل عن الشَّوق، فقال: أن تُشوقَهُ آثارُ محبوبِهِ، وتفنيه مشاهدتُه[9]

---

(١) طبقات الصوفية ١٨٣، تهذيب الأسرار ١٢٦، المختار ٢/ ٣٩٦

(٢) طبقات الصوفية ١٨٣، المختار ٢/ ٣٩٦.

(٣) طبقات الصوفية ١٨٣، وفيه: لكن صددت. وفي (أ): لكن ملكت. صدُّ المُلوكِ.

(٤) طبقات الصوفية ١٨٢، المختار ٢/ ٣٩٦.

(٥) طبقات الصوفية ١٨٤، المختار ٢/ ٣٩٨، وفيهما: أهلاً ومرحبا.

(٦) طبقات الصوفية ١٨٤، المختار ٢/ ٣٩٦.

(٧) طبقات الصوفية ١٨٤، وفيه: همته شقاه.

(٨) طبقات الصوفية ١٨٤

(٩) طبقات الصوفية ١٨٤، وفي (أ): آثار محبته.

وسُئل عن الشُّكر، فقال: استفراغُ الطَّاقة[1]

وقال: الرِّضا أن لو جعلَ الله جهنَّمَ عن يمينه، ما سألَ أن يُحوِّلَها إلى يساره[2]

والرِّضا أيضًا: استقبالُ الأحكام بالفرح[3]

وقال: الإخلاص من العمل[4] هو الذي لا يُريدُ صاحبُه عليه عِوضًا من الدَّارين، ولا حظًّا من الملكين[5]

وسُئل عن وجدِ الصُّوفية عند السَّماع، فقال: يشهدون المعاني التي تعزبُ عن غيرهم، فتُشير إليهم: إليَّ إليَّ، فيتنعَّمون بذلك من الفرح، ثمَّ يقعُ الحجاب، فيعودُ ذلك الفرحُ بكاءً، فمنهم مَنْ يَخرقُ ثيابه، ومنهم من يصيح، ومنهم من يَبكي، فكلُّ إنسانٍ على قدره[6]

وسُئل عن المشايخ الذين لَقيهم في السَّماع، فقال: كالقطيع وقعَ فيه الذِّئب[7]

وسُئل عن نعت الفقير، فقال: إرسالُ النَّفس في أَحكام الله[8]

وقال: التَّصوُّف مَبنيٌّ على ثلاث خصال: التَّمسُّكُ بالفقرِ والافتقار، والتَّحقُّقُ بالبذلِ والإيثار، وتركُ التَّعرُّضِ والاختيار[9]

---

(١) الرسالة القشيرية ٢٧٧ (الشكر)، المختار ٢/ ٣٩٨

(٢) الرسالة القشيرية ٢٩٩ (الرضا)، المختار ٢/ ٣٩٧.

(٣) الرسالة القشيرية ٣٠٠ (الرضا)، تهذيب الأسرار ١٢٩، المختار ٢/ ٣٩٧، وفي (أ): وهو أيضًا.

(٤) أي: في العمل.

(٥) الرسالة القشيرية ٣١٦ (الإخلاص)، المختار ٢/ ٣٩٧.

(٦) تهذيب الأسرار ٣٣٥، الرسالة القشيرية ٤٧٣، ٤٧٤ (السماع)، المختار ٢/ ٣٩٩.

(٧) الرسالة القشيرية ٤٨٠ (السماع)، المختار ٢/ ٣٩٩.

(٨) الرسالة القشيرية ٣٩٠ (الفقر)، المختار ٢/ ٣٩٨.

(٩) الرسالة القشيرية ٤٠١ (التصوف).

وقال: التَّوحيدُ تجريدُ الإلهية، ومحو آثارِ البشرية[1]

وقال: للعارفِ مرآةٌ، إذا نظرَ فيها تجلّى له مولاه[2]

وقال: رياءُ العارفين أفضلُ من إخلاص المريدين[3]

وقال: بلغني أنَّ عليَّ بن أبي طالب كرَّم الله وجهَهُ سمع صوتَ ناقوسٍ، فقال لأصحابه: أتدرون ما يقولُ هذا؟ فقالوا: لا فقال: إنَّه يقول:

سبحـــانَ اللهِ حقًّــا حقًّـــا إنَّ المـــولـــى صَمَـــدٌ يبقـــى[4]

وقال أبو عبد الله بن خفيف: لمَّا دخلتُ بغداد، قصدتُ رُويمًا وكان قد تولَّى القضاء، فلمَّا دخلتُ عليه، رحَّبَ بي وأدناني، وقال لي: مِنْ أين أنت؟ قلتُ: من فارس. فقال: لمن صحبت؟ قلتُ: جعفر الحذَّاء. فقال: ماذا تقول الصُّوفية فيَّ؟ قلتُ: لا شيء. قال: بلى، يقولون: إنَّه رجعَ إلى الدُّنيا. فبينما هو يُحدِّثُني جاء طفلٌ صغيرٌ، فقعد في حِجره، فقال رُويم: لو كنتُ أرى فيهم من يَكفيني مؤنة[5] هذا الطِّفلِ، لما تعلَّقتُ بهذا الأمر ولا بشيءٍ من أسباب الدُّنيا، ولكنْ شُغلُ قلبِي بهذا أوقعني فيما أنا فيه[6]

وقال: منذ عشرين سنةً لا يَخطرُ بقلبِي ذكرُ الطَّعام حتَّى يحضرَ، ومنذ عشرين سنةً أُصلِّي صلاة الغداة بوضوء عشاءِ الآخرةِ[7]

---

(١) الرسالة القشيرية ٤٢٧ (التوحيد)، المختار ٢/٣٩٨.

(٢) الرسالة القشيرية ٤٤٠ (المعرفة بالله)، وفيها: المعرفة للعارف مرآة، المختار ٢/٣٩٧، وفي (أ): العارف مرآة.

(٣) الرسالة القشيرية ٣١٦ (الإخلاص)، ٤٤٣ (المعرفة بالله)، المختار ٢/٣٩٧

(٤) الرسالة القشيرية ٤١٨ (السماع)، الكواكب الدرية ١/١٠٨

(٥) في (ب): من يعفيني مؤنة.

(٦) المختار ٢/٣٩٥، وانظر طبقات الأولياء ٢٢٩.

(٧) تهذيب الأسرار ٢٥١، المختار ٢/٣٩٥

وقال: خرجتُ يومًا من مَنْزلي ببغداد، وأنا في زِيٍّ رثٍّ، فاستقبلني بعضُ إخواني، وكان ممّن صحبناه مع ابن الكرنبي[1]، وكان من أهل القُرآنِ والعلم، فسايرني حتَّى أتينا إلى مسجدٍ[2]، فدخلَ ودخلت معه، وعليه كسوةٌ سويةٌ[3] لها قيمةٌ دنانير كثيرة، فنَزعَ جميعَ ما كان عليه، ووضعَهُ وأومأ إليَّ: أن انزعْ ما عليك، فنَزعتُ، فألبسني ثيابه، ولبسَ الخُلْقانَ التي كانت عليَّ، ثمَّ قال لي يا أخي، حلّني بتخلّفي عن افتقادك[4].

* * *

(١) هو أبو جعفر بن الكرنبي الصوفي البغدادي، صحب الجنيد. انظر ترجمته في تاريخ بغداد ١٤/ ٤١٣، والمختار ١/ ٨٩.

(٢) في (أ): باب مسجد.

(٣) في (أ): كسوة سرية.

(٤) المختار ٢/ ٣٩٦.

(٢٩) محمد بن الفضل البلخي[*]

ومنهم: أبو عبد الله محمد بن الفضل البلخي، وهو محمد بنُ الفضل بن العباس بن حفص.

أصلُهُ من بلخ؛ لكنَّه أُخرِجَ منها بسبب المذهب، فرحلَ إلى سمرقند، فاستوطنها. ومات بها في سنة تسع عشرة وثلاث مئة[١]

صحب أحمدَ بن خَضرويه وغيرَه من المشايخ.

وكان من كبار مشايخ خُراسان وجِلَّتهم.

ولم يكن أبو عثمان الحِيري يميلُ إلى أحدٍ من المشايخ ميلَه إليه. وكان يقول: لو وجدتُ في نفسي قوةً، لرحلتُ إلى أخي محمد بن الفضل، فأَستروح سرِّي برؤيته[٢]

وكان أبو عثمان يقول: محمد بنُ الفضل سِمسارُ الرِّجال[٣]

(*) طبقات الصوفية ٢١٢، حلية الأولياء ١٠/ ٢٣٢، الرسالة القشيرية ٧٨، صفة الصفوة ٤/ ١٦٥، المنتظم ٦/ ٢٣٩، المختار من مناقب الأخيار ٤/ ٤٢٩، سير أعلام النبلاء ١٤/ ٥٢٣، العبر ٢/ ١٧٦، مرآة الجنان ٢/ ٢٧٨، الوافي بالوفيات ٤/ ٣٢٢، البداية والنهاية ١١/ ١٦٧، طبقات الأولياء ٣٠٠، نفحات الأنس ١٧٥، النجوم الزاهرة ٣/ ٢٣١، طبقات الشعراني ١/ ٢٨٨، الكواكب الدرية ٢/ ١٤٩، شذرات الذهب ٢/ ٢٨٢

(١) طبقات الصوفية ٢١٢، الرسالة القشيرية ٧٨

(٢) طبقات الصوفية ٢١٢

(٣) الرسالة القشيرية ٧٨.

وقال رحمه الله: أعرفُ النَّاسِ بالله أشدُّهم مُجاهدةً في أوامره، وأَتبعُهم لسنَّة نبيه ﷺ[١]

وقال: الرَّحمنُ هو الذي يُحسن إلى البَرِّ والفاجر[١]

وقال. ذهاب الإسلام من أربعة أشياء: أوَّلها: لا يَعملون بما يعلمون، والثَّانية: يَعملون بما لا يعلمون، والثَّالث: لا يتعلَّمون ما لا يعلمون، والرَّابعة: يَمنعون النَّاس من التّعليم[٢]

وقال: الدُّنيا بطنُكَ، فبقدر زهدِك في بطنك تزهدُ في الدُّنيا[٣]

وقال: العَجَبُ ممَّن يقطعُ الأودية والقِفار والمفاوز حتَّى يصلَ إلى بيتِهِ وحرمِهِ؛ لأنَّ فيه آثارَ أنبيائه، كيف لا يقطعُ نفسَهُ وهواه حتَّى يصلَ إلى قلبه؟! فإنَّ فيه آثارَ مولاه[٤]

(قال: فماتَ أربعةٌ ممَّن سمعَ كلامه هذا، وأنشدَ في المعنى:

ومـن البَـلاءِ وللبـلاءِ عَـلامـةٌ   أن لا يُرى لك عَن هواك نُزوعُ
والعبدُ عبدُ النَّفسِ في شهواتها   والحـرُّ يَشبـعُ مـرَّةً ويَجـوعُ)[٥]

وقال: العلمُ حِرزٌ، والجهلُ غَرَر، والصّديقُ مؤنةٌ، والعدوُّ همٌّ، والصِّلةُ بقاء، والقطيعةُ مُصيبة، والصَّبرُ قوةٌ، والجرأةُ ضعف، والكذبُ عجزٌ[٦]، والصّدقُ قوَّةٌ، والمعرفةُ صداقة، والعقلُ تجربة[٧]

---

(١) طبقات الصوفية ٢١٤

(٢) طبقات الصوفية ٢١٤، الرسالة القشيرية ٧٩

(٣) طبقات الصوفية ٢١٤

(٤) طبقات الصوفية ٢١٤، الرسالة القشيرية ٧٩

(٥) ما بين القوسين ليس في (ب). وهو في تهذيب الأسرار ١٧٦. صفة الصفوة ٤/ ١٦٥، طبقات الأولياء ٣٠١

(٦) في طبقات الصوفية: والجرأة عجز، والكذب ضعف.

(٧) طبقات الصوفية ٢١٤.

وقال: أنزلْ نفسَكَ مَنْزلةَ من لا حاجةَ له فيها، ولا بدَّ له منها؛ فإنَّ من مَلَكَ نفسَه عزَّ، ومَنْ ملكته ذُلَّ[1]

وقال: ستٌّ خصالٍ يُعرف بها الجاهلُ: الغضبُ في غيرِ شيءٍ، والكلامُ في غيرِ نفعٍ، والعطيةُ في غيرِ موضعها، وإفشاءُ السّرِّ، والثّقةُ بكلِّ أحدٍ، ولا يعرفُ صَديقَه من عدوه[1]

وقال: خطأُ العالِمِ أَضرُّ من عَمدِ الجاهل[2]

و: من ذاقَ حلاوةَ العلمِ لا يَصبرُ عنه[2]

و: مَنْ ذاق حلاوةَ المُعاملةِ أَنِسَ به[3]

و: من عرفَ الله اكتفى به، وقد قال عزَّ وجلَّ: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ﴾[4] [فصلت: ٥٣].

وقال: العلومُ ثلاثةٌ: علمٌ بالله، وعلمٌ من الله، وعلمٌ مع الله. فالعلمُ بالله معرفةُ صفاته ونُعوته، والعلمُ من الله علمُ الظّاهر والباطن، والحلالِ والحرام، والأمرِ والنّهي والأحكام، والعلمُ مع الله هو علمُ الخوف والرّجاء، والمحبّة والشّوق[5]

وقال: البكاءُ بكاءان: بكاءُ الزّاهدين بعيونهم، وبكاءُ العارفين بقلوبهم[5]

وقال: العارفُ يُدافعُ عيشَه يومًا بيوم، ويأخذُ من عيشه يومًا بيوم[6]

---

(١) طبقات الصوفية ٢١٥، حلية الأولياء ١٠/ ٢٣٣

(٢) طبقات الصوفية ٢١٥.

(٣) طبقات الصوفية ٢١٥، وفيه: أنس بها.

(٤) طبقات الصوفية ٢١٥، وفيه: اكتفى به بعد قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾.

(٥) طبقات الصوفية ٢١٥

(٦) طبقات الصوفية ٢١٦، وفيه: ويأخذ من عيشه يومًا ليوم.

وقال: ثمرةُ الشُّكرِ الحبُّ لله، والخوفُ منه[1]

و: ذكرُ اللِّسانِ كفَّاراتٌ ودرجات، وذِكرُ القلب زُلفى وقُرُبات[1]

وقال: إذا رأيتَ المُريدَ يَستزيدُ من الدُّنيا فذاك من علاماتِ إدباره[2]

وقال: الموافقةُ أَصلُ المحبَّة، وأصلُ الوصال تركُ القرار، وأصلُ الفقرِ معرفةُ التَّقصير، وأصلُ الثَّبات على الخلق دوامُ الفقر إلى الله[3]

وقال: من استوى عنده ما دون الله، نالَ المعرفةَ بالله عزَّ وجلَّ[4].

وقال: الفتوَّةُ حفظُ السِّرِّ مع الله على الموافقة، وحفظُ الظَّاهر مع الخلق بحُسنِ المعاشرة، واستعمالُ حسن الخُلق[4]

وقال: الزُّهدُ النَّظرُ إلى الدُّنيا بعين النَّقص، والإعراض عنها تَعزُّزًا وتظرُّفًا، فمن استحسنَ من الدُّنيا شيئًا فقد نبَّهَ على قدرها عنده[5]

وقال: علامةُ الشَّقاوة ثلاثةُ أشياء: يُرزق العلمَ، ويُحرمُ العمل. ويرزقُ العمل ويُحرمُ الإخلاص، ويُرزق صحبةَ الصَّالحين ولا يحترم لهم[6]

وقال: الرَّاحةُ في السِّجن من أماني النُّفوس[7]

وقال: إيثارُ الزَّاهدين عند الاستغناء، وإيثارُ الفتيان عند الحاجة،

---

(١) طبقات الصوفية ٢١٦

(٢) طبقات الصوفية ٢١٦، الرسالة القشيرية ٧٩

(٣) طبقات الصوفية ٢١٦، وفيه: وأصل الثبات على الحقّ

(٤) طبقات الصوفية ٢١٦

(٥) طبقات الصوفية ٢١٦، الرسالة القشيرية ٧٩

(٦) الرسالة القشيرية ٧٨، تهذيب الأسرار ٥٣٧، وفيه: ولا يحترم لهم ولا يخدمهم، المختار ٤/ ٤٣١، وفيه: ولا يحترمهم.

(٧) الرسالة القشيرية ٧٨، والسجن الدنيا، قال ﷺ: «الدنيا سجن المؤمن».

قال الله تعالى: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾[1] [الحشر: ٩].

وقال: المعرفة حياة القلب مع الله[2]

وقال: المحبَّةُ سقوطُ كلِّ محبَّةٍ من القلب إلاَّ محبَّةَ الحبيبِ[3]

وسمع عبدُ الله الرَّازي[4] أبا عثمان الحِيري يصفُ محمد بن الفضل البلخي ويَمدحُه، فاشتاقَ إليه عبدُ الله، وخرج إلى زيارته، فلم يقعْ بقلبه من محمد بن الفضل ما اعتقدَ فيه، فرجعَ إلى أبي عثمان، فسأله عنه، فقال: كيف وجدتَهُ؟ فقال: لم أجدْه كما ظننتُ. فقال أبو عثمان: لأنَّك استصغرتَهُ، وما استصغرَ أحدٌ أحدًا إلاَّ حُرِمَ فائدته، ارجعْ إليه بالحرمة. فعادَ إليه عبدُ الله، وانتفعَ بزيارته[5]

ورُويَ أنَّه لما نَفَى أهلُ بلخٍ محمدَ بن الفضل من البلد، دعا عليهم، فقال: اللَّهُمَّ، امنعهم الصِّدقَ. فلم يخرج من بلخٍ بعدَه صدِّيق[6]

* * *

(١) الرسالة القشيرية ٢٠٣ (الزهد)، والمختار ٤/ ٤٣١ دون ذكر الآية.

(٢) الرسالة القشيرية ٤٤٤ (المعرفة بالله)، المختار ٤/ ٤٣٢، وفي (أ): المعرفة حلاوة.

(٣) الرسالة القشيرية ٤٥٠ (المحبة)، وفي (أ): عن القلب.

(٤) في الرسالة القشيرية: عبد الرحمن الرازي.

(٥) الرسالة القشيرية ٤٦٥ (حفظ قلوب المشايخ)، طبقات الأولياء ٣٠١.

(٦) الرسالة القشيرية ٤٦٥ (حفظ قلوب المشايخ).

(٣٠) أبو بكر الزّقاق(*)

ومنهم: أبو بكر أحمد بن نصر الزَّقَّاق الكبير رحمة الله عليه، وهو من أقرانِ الجُنيد، وأكابرِ مشايخ مصر(١)

قال الكتاني: لمَّا ماتَ الزّقاقُ، انقطعَ حجَّةُ الفقراء في دخولهم إلى مصر(٢)

وقال: من لم يصحبه التُّقى في فقره، أكلَ الحرام المحض(٣)

وقال: تهتُ في تيه بني إسرائيل مقدارَ خمسةَ عشرَ يومًا، فلمَّا وقفتُ على الطَّريق استقبلني إنسان جنديٌّ، فسقاني شَربةً من ماء، فعادتْ قسوتُها على قلبي ثلاثين سنة(٤)

وقال: نقصانُ كلِّ مخلصٍ في إخلاصه رؤيةُ إخلاصه، فإذا أرادَ اللهُ أن

(*) حلية الأولياء ١٠/ ٣٤٤، الرسالة القشيرية ٧٩، تاريخ بغداد ٥/ ٤٤٢، الأنساب ٦/ ٢٩١، صفة الصفوة ٢/ ٤١٥، المختار من مناقب الأخيار ١/ ٣٨٣، المنتظم ٦/ ٤٢، بستان العارفين ٦٨، البداية والنهاية ١١/ ٩٧، طبقات الأولياء ٩١، نفحات الأنس ٢٦٢، حسن المحاضرة ١/ ٢٩٣، طبقات الشعراني ١/ ٨٩، الكواكب الدرية ٢/ ٤٧، جامع كرامات الأولياء ١/ ٢٩١

(١) الرسالة القشيرية ٧٩، المختار ١/ ٣٨٧.

(٢) الرسالة القشيرية ٧٩

(٣) الرسالة القشيرية ٧٩، ٣٩٦ (الفقر)، ٤١٨ (الصحبة)، المختار ١/ ٣٨٧، وقد تقدم القول منسوبًا لابن الجلاء صفحة ٤٠٩ .

(٤) الرسالة القشيرية ٧٩، المختار ١/ ٣٨٤

يُخلَصَ إخلاصُهُ أسقطَ عن إخلاصِهِ رؤيتَهُ لإخلاصه، فيكون مُخلَصًا لا مخْلِصًا[١]

وقال: آفةُ المُريدِ ثلاثةُ أشياء: التَّزويج، وكَتْبُهُ الحديث، والأسفار[١]

وقيل له: ولِمَ تركتَ كتبةَ الحديث؟ فقال: منعتني الإرادة.

وقال: جاورتُ بمكَّةَ عشر سنين[٢]، فكنتُ أشتهي اللَّبنَ، فغلبتني نفسي، فخرجتُ إلى عُسفانَ[٣]، واستضفتُ حيًّا من أحياء العرب، فرأيتُ جاريةً حسناء بعيني اليُمنى، فأخذتْ بقلبي، فقلتُ لها: قد أخذَ كلُّكِ بكُلِّي، فما فيَّ لغيركِ مَطمعٌ. فقالت لي: يَقبحُ بك الدَّعاوى العالية، لو كنتَ صادقًا لذهبتْ عنك شهوةُ اللَّبن. قال: فقلعتُ عيني اليُمنى التي نظرتُ بها إليها. فقالتْ لي: مثلُكَ من نظر لله عزَّ وجلَّ. فرجعتُ إلى مكَّةَ، وطفتُ أُسبوعًا[٤]، ثمَّ نمتُ، فرأيتُ في منامي يُوسف الصِّدِّيقَ عليه السَّلام، فقلتُ: يا نبيَّ الله، أقرَّ الله عينَكَ بسلامتك من زَليخا. فقال: يا مُبارك، بل أنت أقرَّ اللهُ عينك بسلامتك من العُسفانية، ثمَّ تلا عليه: ﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴾ [الرحمن: ٤٦]، فصحتُ من طيبِ تلاوته، ورخامةِ صوته، فانتبهتُ وإذا عيني المقلوعةُ صحيحة[٥]

وقال: التَّوكُّلُ ردُّ العيش إلى يومٍ واحدٍ، وإسقاطُ همِّ غدٍ[٦]

---

(١) المختار ١/ ٣٨٧.
(٢) في الحلية ١٠/ ٣٤٤: عشرين سنة.
(٣) عُسفان: منهلة من مناهل الطريق بين مكة والجحفة، على ٣٦ ميلاً من مكة. معجم البلدان.
(٤) أسبوعًا: أي سبعة أشواط.
(٥) حلية الأولياء ١٠/ ٣٤٤، المختار ١/ ٣٨٣.
(٦) الرسالة القشيرية ٢٦٤ (التوكل)، المختار ١/ ٣٨٧.

وسُئل عن التَّوكُّل أيضًا، فقال: الأكلُ من غير طمع[1]

وقال الدّقي: سمعتُ الزّقَّاقَ يقول: نهايةُ الإرادةِ أن تُشيرَ إلى الله، فتجده مع الإشارة. فقلتُ له: فأيشٍ يستوعبُ الإرادة؟ فقال: أن تجدَ اللهَ بلا إشارةٍ[2]

و: لا يكونُ المريدُ مريدًا حتَّى لا يكتبَ عليه صاحبُ الشِّمالِ عشرين سنةً[3]

وقال: من كان في الدُّنيا حرًّا منها، كان في الآخرة حرًّا منها.

وقال: منذ أربعين سنةً أَصحبُ هؤلاء، فما رأيتُ رفقاء لأصحابنا إلاَّ من بعضهم لبعض أو ممن يحبُّهم[4]

وقال أبو بكر الدُّقي: كنَّا عند الزّقَّاق بالغداةِ، فقال: إلهي، كم تُبقيني ههنا؟ فما بلغ الأولى حتَّى مات[5]

وقال أبو بكر الدّقي: سمعتُ الزّقَّاق يقول: كنتُ مارًّا في تيه بني إسرائيل، فخطر ببالي أنَّ علمَ الحقيقة مُباينٌ لعلم الشّريعة، فهتفَ بي هاتفٌ من تحت شجرةٍ: كلُّ حقيقةٍ لا تتبعها الشَّريعةُ[6] فهي كفرٌ[7]

وقال: كان بمكَّةَ رجلٌ لا يجلسُ إلى أحدٍ ولا يَجلسُ إليه أحدٌ، فجلستُ أنا إليه يومًا، فقال لي: أيشٍ جلوسُك عندي؟ أيش تُريد منِّي؟ فقلتُ: لعلِّي أستفيدُ منكَ شيئًا. فقال لي: يا هذا، أنا رجلٌ منذ أربعين

---

(١) الرسالة القشيرية ٢٦٦ (التوكل)، المختار ١/ ٣٨٧

(٢) الرسالة القشيرية ٣٠٩ (الإرادة)، وانظر تهذيب الأسرار ٣٢٢.

(٣) الرسالة القشيرية ٣٠٩ (الإرادة)

(٤) الرسالة القشيرية ٤١٨ (الصحبة).

(٥) الرسالة القشيرية ٤٣٣، ٤٣٤ (أحوالهم عند الخروج من الدنيا)، المختار ١/ ٣٨٧.

(٦) في (ب): تتبتها الشريعة.

(٧) حلية الأولياء ١٠/ ٣٤٤، المختار ١/ ٣٨٥.

سنة سائحٌ في بلاد الرّوم، أصفعُ الأعلاج[1]، وآكلُ الحلال، فلمَّا كان هذا الوقت قيل لي: اخرجْ إلى ههنا، ولا أدري ما يُراد منّي، ولعلَّه الموت، فما كان إلَّا أيامًا يسيرةً حتَّى ماتَ وصلَّيتُ عليه[2].

وقال أبو علي الرُّوذباري: قال لي الزَّقَّاق يومًا: يا أبا علي، لولا أنَّك تذاكرني بهذا الأمر، لظننتُ أنَّه قد اندرس، فأمَّا أهلُه فقد اندرسوا في الحقيقة. فقلتُ له: يا سيِّدي، إنَّهم يقولون: إنَّ بناحية العجم قومًا محققين. فقال: يوشك ذلك؛ لما رُويَ في الحديث: «لو أنَّ العلمَ معلَّقٌ في الثُّريا لنالَه أولادُ فارس»[3].

وقال أبو بكر الدّقّي: سألتُ الزَّقَّاق، فقلتُ له: من أَصحبُ؟ فقال: لمن يُسقطُ بينك وبينه مؤنةَ التَّحفُّظ[4].

ثمَّ سألتُهُ أخرى: لمن أَصحب؟ فقال: لمن يَعلَمُ منك ما يعلمُهُ اللهُ منكَ؛ فتأمنه على ذلك[5].

وقال: لا يصلحُ هذا الأمرُ إلَّا لأقوامٍ قد كُنِسَ بأرواحِهم المزابل[6].

وقال: كنتُ أبكِّرُ يوم الجمعة إلى المسجد الجامع، وأجلسُ عند الجُنيد. فبينا أنا ذات جُمعةٍ أمشي إلى المسجد، إذ أنا باثنين يقولان: اذهبْ بنا إلى أبي القاسم الجُنيد نسأله. قال الزَّقَّاقُ: فتبعتُهما حتَّى دخلا سقايةً يتطَهَّران، فرأيتُ منهما شيئًا كرهتُه لهما، فقلتُ: إنَّا لله وإنَّا إليه

---

(١) في المختار: أصنع الأعلاج.

(٢) المختار ١/ ٣٨٥.

(٣) رواه أحمد في المسند ٢/ ٢٩٧، ٤٢٠، ٤٢٢، ٤٦٩، وأبو نعيم في الحلية ٦/ ٦٤ عن شهر بن حوشب عن أبي هريرة، والحديث في البخاري ٨/ ٤٩٢، ومسلم (٢٥٤٦) بلفظ: «لو كان الدين عند الثريا لتناوله رجال من الفرس».

(٤) المختار ١/ ٣٨٦.

(٥) المختار ١/ ٣٨٧، وفي (ب): فقال: لمن يعلم منك ما تكرَهُ إظهارَهُ فتأمنه عليه.

(٦) المختار ١/ ٣٨٧.

راجعون، أخطأتْ فِراستي فيهما فخرجا وأنا أتبعُهما حتَّى وقفا على الجُنيد، فقال أحدُهما: بماذا يُردُّ خاطرُ الانزعاج؟ فقال الآخر: كلُّ بادٍ يعود إلى باديهِ. فقلتُ في نفسي: تُرى ما يفعلُ هؤلاء؟ فأقبل عليَّ الجُنيد، وقال[١]: أين المُغتابُ لنا؟ فقلتُ في نفسي: علم بي، وتكلَّمَ على خاطري. ثمَّ قال الثَّانية[٢]: أين المُغتابُ لنا؟ سلنا نجعلْكَ في حلٍّ فقلتُ: يا سيِّدي، ما قلتُهُ إلَّا غيرةً. فقال: يا أبا بكر، لا تتَّهمْ أقوامًا انتخبهم الحقُّ في سابق علمه في أزليَّتِهِ، وأظهرَهم بكرامةِ وحدانيته، حتَّى إذا كان وقت بدوِّهم، استخرجَهم من الذَّرِّ لخاصَّتِهِ[٣]، وعجنَ أرواحَهم بأنوارِ قدسه، وأقامهم بين يديه، ونظرَ إليهم بعين رحمته، وألبسَهم تيجانَ ولايته، فإن دعوه أجابَهم، وإن سألوه أعطاهم، وإن استحجبوه غطَّاهم، لا تدركُهم خفيَّاتِ الألحاظ، ولا يُغيِّرُهم ترجمانُ الأسرار[٤]، فهم إليه ينظرون، وبه في جميع الأشياء عن الأشياء مستغنون[٥]، فنظرتُ فلم أرهم[٦]

وقال أبو علي الرُّوذباري: دخلتُ يومًا على أبي بكر الزَّقَّاق، فرأيتُه بحالةٍ عجيبةٍ، فسكتُّ ساعةً حتَّى رجعَ، فقلتُ له: ما لك أيُّها الشَّيخ؟ فقال: ألم تعلم أنِّي اجتزتُ بحيرةً ببعض تلك الخوخات، وإذا شخصٌ يُغنِّي ويقول:

أبتْ غلباتُ الشَّوقِ إلَّا تَطرُّبا   إليكَ ويأبى العَذْلُ إلَّا تَجنُّبا[٧]

---

(١) في المختار ١/ ٣٨٥: فأقبلا على الجنيد وقالا
(٢) في (أ): قال الثاني.
(٣) في (أ): لخصاصيته، وفي المختار: لخاصيته.
(٤) في (أ): ولا يُعبِّرهم ترجمان الأسرار.
(٥) في (ب): وإليه في جميع الأشياء عن الأشياء مغيبون.
(٦) المختار ١/ ٣٨٥.
(٧) في (ب): إلَّا تحبُّبا.

ما كان صدِّي عنكَ صدَّ ملالةٍ ولا ذلك الإقبالُ[1] إلاَّ تقرّبا
ولا كانَ ذاك العَذْلُ إلاَّ نصيحةً ولا ذلك الإغضاءُ إلاَّ تهيُّبا
عليَّ رقيبٌ منك حلَّ بمُهجَتي إذا رمتُ تسهيلاً عليَّ تصعَّبا

فما هو إلاَّ أن أَنشدني الشَّيخُ حتَّى صرتُ فيها مغلوبًا، لا أدري ما لحقني إلى السَّاعة[2]، فلمَّا أفقت، قال لي: يا أبا علي، لا عليك، هكذا مَنْ تحقَّق في بليّةٍ، لم يخلُ من البلاء حاضروه، وإنَّما هو زيادةُ بلاءٍ صبَّ منِّي عليك. فقمت وتركته[3]

* * *

(١) في (أ) والمختار: ولا ذلك الإقبال.
(٢) هنا ينتهي كتاب: المنتقى من كتاب مناقب الأبرار.
(٣) المختار ١/ ٣٨٦.

(٣١) عمرو بن عثمان المكي (*)

ومنهم: أبو عبد الله عمرو بن عثمان بن كُرَب بن غُصَص المكي رحمه الله، كان ينتسبُ إلى الجُنيد في الصُّحبة.

ولقي: أبا عبد الله النِّباجي، وأبا سعيد الخرَّاز، وغيرهما من المشايخ[١].

وهو شيخُ القومِ في وقته، وإمامُ الطَّائفة في الأصول والطَّريقة، وله كلامٌ حسن[١].

وروى الأحاديث عن: محمد بن إسماعيل البُخاري، ويُونس بن عبد الأعلى، وسُليمان بن سيف الحرَّاني وغيرهم[٢].

مات ببغداد سنة إحدى وتسعين ومئتين، ويقال. سبعٍ وتسعين. والأول أصحُّ[٢].

قال رحمه الله: التَّوبةُ فرضٌ على جميع المُذنبين والعاصين، صغُرَ الذَّنبُ أو كبرَ، وليس لأحدٍ عذرٌ في ترك التَّوبة بعد ارتكابِ المعصية؛ لأنَّ

(*) طبقات الصوفية ٢٠٠، حلية الأولياء ١٠/ ٢٩١، أخبار أصبهان ٢/ ٣٣، تاريخ بغداد ١٢/ ٢٢٣، الرسالة القشيرية ٨٠، صفة الصفوة ٢/ ٤٤٠، المنتظم ٦/ ٩٣، المختار من مناقب الأخيار ٤/ ١٣٥، سير أعلام النبلاء ١٤/ ٥٧، العبر ٢/ ١٠٧، دول الإسلام ١/ ١٨١٤، مرآة الجنان ٢/ ٢٢٧، طبقات الأولياء ٣٤٣، العقد الثمين ٦/ ٤١١، النجوم الزاهرة ٣/ ١٧٠، ١٨٤، نفحات الأنس ١٢٦، طبقات الشعراني ١/ ٨٩، الكواكب الدرية ١/ ٦٩٠، شذرات الذهب ٢/ ٢٢٥

(١) طبقات الصوفية ٢٠٠، الرسالة القشيرية ٨٠.

(٢) طبقات الصوفية ٢٠١.

المعاصي كلَّها قد توعَّدَ اللهُ عليها أهلها[١]، ولا يسقطُ عنهم الوعيدُ إلاَّ بالتَّوبة، وهذا ممَّا يُبيِّنُ أنَّ التَّوبة فرض[٢].

وقال: اعلمْ أنَّ كلَّ ما توهَّمَهُ قلبُك، أو سنحَ في مجاري فكرتك، أو خطرَ في معارضات قلبك من حُسنٍ أو بهاءٍ أو أُنسٍ أو ضياء أو جمالٍ أو شبحٍ أو نور أو شخصٍ أو خيال فاللهُ تعالى بعيد من ذلك كلِّه؛ بل هو أعظمُ وأجلُّ وأكبرُ، ألا تسمعُ إلى قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾؟ [الشورى: ١١]. وقال تعالى: ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾[٣].

وقال: المروءةُ التَّغافلُ عن زللِ الإخوان[٤].

وقال: لا يقعُ على كيفيَّة الوجدِ عبارةٌ؛ لأنَّه سرُّ الله تعالى عند المؤمنين الموقنين[٥].

وقال: لقد علَّم اللهُ نبيَّه عليه السَّلام ما فيه الشِّفاءُ، وجوامعُ النَّصر، وفواتحُ العبادة. وقال: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ﴾[٦] [الأعراف: ٢٠٠].

وقال: [المعرفةُ دوامُ] محبَّةِ الله، ودوامُ مخافته، ودوامُ الإقبال عليه، ودوامُ انتصاب القلبِ بذكره، وهو علمُ القلوب بفسخ العزومِ، وخلعِ الإرادات، وإحياءِ الفهوم[٧].

و: المعرفة صحَّةُ التَّوكُّلِ على الله[٧].

---

(١) في (أ): تواعد الله عليها لأهلها.
(٢) طبقات الصوفية ٢٠٢
(٣) طبقات الصوفية ٢٠٢، حلية الأولياء ١٠/ ٢٩١، الرسالة القشيرية ٨٠.
(٤) طبقات الصوفية ٢٠٢، تاريخ بغداد ١٢/ ٢٢٤، المختار ٤/ ١٣٦
(٥) طبقات الصوفية ٢٠٢، الرسالة القشيرية ٨٠، تهذيب الأسرار ٣٥٠.
(٦) طبقات الصوفية ٢٠٢
(٧) طبقات الصوفية ٢٠٤.

وقال: لقد وبَّخَ اللهُ التَّاركين للصَّبرِ على دينهم، بما أخبرنا عن الكفار أنهم قالوا: ﴿ٱمْشُوا۟ وَٱصْبِرُوا۟ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمْ﴾ [ص: ٦]. فهذا توبيخٌ لمن تركَ الصَّبرَ من المؤمنين على دينه[١]

وقال: اعلمْ أنَّ العلم قائد، والخوفَ سائق، والنَّفس بين ذلك حرون جموح، خدَّاعةٌ روَّاغةٌ، فاحذرْها، وراعِها بسياسة العلم، وسُقْهَا بتهديد الخوف، يتمَّ لك ما تريد[٢]

وقال: سرعةُ قضاءِ الحاجة على قدر الفاقة، ومن أسرعَ بمسألته قبلَ فاقتِهِ، كان بمَنْزلةِ الشَّاربِ للماء قبل عطشه، وقد قال الله تعالى: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ﴾[٣] [النمل: ٦٢].

وقال: تَنْزعجُ القلوب إلى الله من جهاتٍ ثلاث: إمّا من كلامه، أو كلامِ أنبيائه، أو كلام العلماء، فإذا انزعجتْ بكلام العلماء كان رجوعُها سريعًا، وإذا انزعجتْ بكلامِ الأنبياء ثبتت، وإذا انزعجتْ بكلامِ الله تعالى لم تسكن إلاَّ بلقائه[٣]

وقال: الصِّدقُ في الورع مفترضٌ كافتراض الصَّبرِ في الورع، ومعنى الصِّدقِ الاعتلالُ والعدل[٤]

وقال: اعلمْ أنَّ رأسَ الزُّهدِ وأصلَه في القلوب وهو احتقارُ الدُّنيا، واستصغارُها، والنَّظرُ إليها بعين القِلَّة، وهذا الأصلُ الذي يكون منه حقيقة الزُّهد[٥]

وقال: إذا كان أنينُ العبد إلى ربِّه، فليس هو شكوى ولا جزع.

---

(١) طبقات الصوفية ٢٠٤

(٢) طبقات الصوفية ٢٠٤، الرسالة القشيرية ٨٠، وفي (أ): بتهديد العلم.

(٣) المختار ٤/ ١٣٦، العقد الثمين ٦/ ٤١٢. والخبر ليس في (ب).

(٤) طبقات الصوفية ٢٠٣، المختار ٤/ ١٣٦

(٥) طبقات الصوفية ٢٠٣.

وقال: اعلمْ أنَّ المحبَّةَ داخلةٌ في الرِّضا ولا محبَّةَ إلاَّ بالرِّضا[1] ولا رضا بلا محبَّةٍ؛ لأنَّكَ ما تحبُّ إلاَّ ما رضيتَ وارتضيتَ، ولا ترضى إلاَّ ما أَحببتَ[2]

و: الرَّجاء داخلٌ في تحقيق الرِّضا[3]

وقال: واغمَّاه من عهدٍ لم نقم له بوفاء! ومن خلوةٍ لم نصحبْها[4] بحياء! ومن مسألةٍ ما الجواب فيها غدًا! ومن أيامٍ تَفنى ويبقي ما كان فيها أبدًا![5]

وقيل: إنّه دخلَ أصبهان، فصحبه حَدَثٌ، وكان والدُه يمنعُهُ من صحبته، فمرضَ الصَّبِيُّ[6]، فدخل عليه عَمرو مع قوّالٍ، فنظرَ الحَدَثُ إلى عمروٍ وقال له: قلْ له حتَّى يقولَ شيئًا. فقال القوّال:

مالي مَرضتُ فلم يَعُدني عَائدٌ منكم ويَمرضُ عبدُكُم فأعودُ

فتمطّى الحَدَثُ على فراشه وقعد، ثمَّ قال للقوَّال: زدني بحقِّك، فقال:

وأشدُّ من مَرضي عليَّ صدودُكم وصدودُ عبدِكُم عليَّ شديدُ

فزاد به البُرْءُ حتَّى قام وخرجَ معهم، فسُئل عمرٌو عن ذلك فقال: إنَّ الإشارةَ إذا كانت من قبل السَّماع، كانت من فوقٍ، فالقليلُ منها يشفي، وإذا كانت بعد السَّماع كانت من تحت، فالقليل منها يُهلك[7]

---

(١) قوله: ولا محبة إلا بالرضا ليس في (أ)، وفي (ب): ولا محبة كالرضا. والمثبت من طبقات الصوفية.

(٢) طبقات الصوفية ٢٠٤

(٣) طبقات الصوفية ٢٠٤، وفي (أ): الرضا داخل.

(٤) في (ب): لم يقم به وفاء. لم تصحبها.

(٥) طبقات الصوفية ٢٠٤، صفة الصفوة ٢/ ٤٤١، المختار ٤/ ١٣٧

(٦) في (ب): فمرض الفتى.

(٧) طبقات الصوفية ٢٠٤، المختار ٤/ ١٣٧، طبقات الأولياء ٣٤٤.

وقال: الصَّبرُ هو الثَّباتُ مع الله، وتلقّي بلائه بالرَّحب والدَّعة[1]

وقال: ما رأيتُ أحدًا من المتعبِّدين في كثرةٍ من رأيتُ ولقيتُ بمكَّةَ وغيرِها ممّن قدمَ علينا في الموسم أشدَّ اجتهادًا، ولا أدومَ على العبادةِ من المُزَني، ولا رأيتُ أحدًا أشدَّ تعظيمًا لأمرِ الله تعالى منه، ولا رأيتُ أحدًا أشدَّ تضييقًا على نفسه وتوسعةً على النَّاس منه[2]

وقال: الفتوَّةُ حُسنُ الخلق[3]

وسُئل عن التَّصوف، فقال: أن يكونَ في كلِّ وقتٍ بما هو أولى في الوقت[4]

ورُوي أنّه رأى الحُسينَ بنَ منصور الحلاَّج يكتبُ شيئًا فقال: ما هذا؟ فقال: هو ذا أُعارضُ القرآن. فدعا عليه، وهجرَهُ، قال الشُّيوخ: فالذي حلَّ به بعد طولِ تلك المدّة كان لدعاءِ ذلك الشَّيخ[5]

* * *

(١) الرسالة القشيرية ٢٨٧ (الصبر).

(٢) الرسالة القشيرية ٣٠٤ (العبودية).

(٣) الرسالة القشيرية ٣٣٨ (الفتوة).

(٤) الرسالة القشيرية ٤٠٠ (التصوف)، تهذيب الأسرار ٣٠

(٥) الرسالة القشيرية ٤٦٥ (حفظ قلوب المشايخ).

(٣٢) سمنون الخواص(*)

ومنهم: أبو الحسين سَمنون بن حمزة الخواص رحمه الله، ويُقال كنيته أبو القاسم، سمّى نفسه سمنون الكذّاب.

صحب: سَرِيَّ السَّقَطي، ومحمد بن عليٍّ القصَّاب، وأبا أحمد القَلانِسي(١)

وسَوَسَ، وكان يتكلَّمُ في المحبَّةِ أحسنَ كلام. وكان من كبارِ المشايخ، ظريفَ الخُلق(٢)

مات بعد الجُنيد على ما قيل(٣)

وقال الحسن بن زُرْعان(٤): كنت عند سَمنون، فشهقَ شهقةً، ثمَّ قال: لو صاحَ إنسانٌ لشدَّةِ وجدِهِ بحبِّه، لملأَ ما بين الخافِقَيْنِ صياحًا(٥)

وقال: إذا بسطَ الجليلُ عزَّ وجلَّ غدًا بساطَ المجدِ، دخلَ ذنوبُ

(*) طبقات الصوفية ١٩٥، حلية الأولياء ١٠/٣٠٩، تاريخ بغداد ٩/٢٣٤، الرسالة القشيرية ٨٠، المنتظم ٦/١٠٨، صفة الصفوة ٢/٤٢٦، المختار من مناقب الأخيار ٣/٤٤، روض الرياحين ١٧٥ (حكاية٩٦) و٣٢١ (حكاية٢٧١)، البداية والنهاية ١١/١١٥، طبقات الأولياء ١٦٥، نفحات الأنس ١٥١، الطبقات الكبرى للشعراني ١/٨٩، الكواكب الدرية ١/٦٣٠

(١) الرسالة القشيرية ٨٠.

(٢) الرسالة القشيرية ٨١.

(٣) في تاريخ بغداد ٩/٢٣٥، والرسالة القشيرية ٨١، وطبقات الأولياء ١٦٦ مات بعد الجنيد. ومات الجنيد سنة ٢٩٨

(٤) في الأصل أبو الحسن. إنما هو أبو محمد، انظر الصفحة ٤٤٤.

(٥) طبقات الصوفية ١٩٥، المختار ٣/٤٧.

الأوّلين والآخرين في حاشيةٍ من حواشي كرمه، فإذا أبدى عينًا من الجود ألحقَ المُسيءَ بالمُحسن[1]

وقال: كنتُ ببيت المقدس، وكان البردُ شديدًا، وعليَّ جبَّةٌ وكساء، وأنا أَجِدُ البردَ، والثَّلجُ يسقطُ، فإذا بشابٍّ مارٌّ في الصَّحن عليه خِرقتان، فقلتُ: يا حبيبي، لو استترتَ ببعضِ هذه الأروقة، فيكنُّكَ من البرد. فقال: يا أخي سَمنون:

ويُحسِــنُ ظنّــي أنّــي بفِنــائِــهِ وهل أَحَدٌ في كِنِّهِ يَجدُ القرّا[2]

وقال: لا يُعبَّرُ عن شيءٍ إلاَّ بما هو أرقُّ منه، ولا شيءَ أرقُّ من المحبَّةِ، فبم يُعبَّرُ عنها؟![3]

وأنشد:

أنتَ الحبيبُ الذي لا شكَّ في خَلَدي منه، فإنْ فقدتْكَ النَّفسُ لم تَعِشِ
يـا مُعْطِشـي بـوصـالٍ كنـتَ واهبَـهُ هل فيكَ لي راحةٌ إن صِحْتُ واعطشي[4]

وسُئل عن الفقيرِ الصَّادق، فقال: الذي يأنسُ بالعُدْم كما يأنسُ الجاهل بالغِنى، ويستوحشُ من الغِنى كما يَستوحشُ الجاهلُ من الفقر[5]

وقال علي بن الحسن بن طغان: أنشدني بعضُ أصحابنا[6] أبياتًا لسمنون، وهي تقول:

وكان فؤادي خاليًا قبل حبِّكُم وكان بذِكرِ الخَلْقِ يَلهو ويَمزَحُ[7]

---

(١) طبقات الصوفية ١٩٦، المختار ٣/ ٤٧، وفي (أ): فإذا ابتداء.
(٢) طبقات الصوفية ١٩٦، حلية الأولياء ١٠/ ٣١١، المختار ٣/ ٥٠، وفي (ب): يجد البردا.
(٣) طبقتات الصوفية ١٩٦، المختار ١/ ٤٩.
(٤) طبقات الصوفية ١٩٧، وفيه: يا معطشي بوصال أنت واهبه.
(٥) طبقات الصوفية ١٩٨، المختار ٣/ ٤٨، وانظر تهذيب الأسرار ١٦٠
(٦) في طبقات الصوفية ١٩٨، والمختار ٣/ ٤٨: أنشدني علي بن أحمد بن جعفر، قال: أنشدني ابن فراس لسمنون.
(٧) في المختار ٣/ ٤٨ يلهو ويمرح.

فلمَّا دعا قلبي هواك أجابَهُ فلستُ أراه عن فِنائك يَبرحُ
رُميتُ[1] ببينٍ منكَ إن كُنتُ كاذبًا وإنْ كنتُ في الدُّنيا بغيرِكَ أفرحُ
وإن كان شيءٌ في البلادِ بأسْرِها إذا غبتَ عن عيني بعيني أملحُ[2]
فإنْ شئتَ واصلني وإن شئتَ لا تَصلْ فلستُ أرى قلبي لغيرِكَ يَصلحُ[3]

ورُوي أنّه كان جالسًا على شاطئ دجلة، وبيده قضيبٌ، يَضربُ به فخذه حتَّى بانَ عظمُ فخذه وساقه، وتبدَّدَ لحمُهُ، وهو يقول:

كانَ لي قلبٌ أعيشُ به ضاعَ منّي في تَقلُّبِهِ
ربِّ فارددْهُ عليَّ فقد ضاقَ صدري في تَطلُّبِهِ
واغِثْ ما دامَ بي رَمَقٌ يا غياثَ المُستغيثِ بِهِ[4]

وسُئل سَمنون عن قولِهِ تعالى: ﴿وَمَكَرُواْ مَكۡرٗا وَمَكَرۡنَا مَكۡرٗا﴾ [النمل: ٥٠]، هل يَجوزُ أن يُنسبَ المَكرُ إلى الحقِّ تعالى؟ فأنشأ يقول:

ويقبُحُ من سواكَ الفعلُ عندي وتفعَلُهُ فيحْسُنُ منك ذاكا[5]

فقال له السَّائلُ: أسألُكَ عن تفسيرِ آيةٍ، فتُجيبني ببيتٍ من الشّعر! فقال له: من أيِّ البلادِ أنت؟ فقال: من الجَبَلِ. فقال: أنت مِنَ الذين هم في النَّاسِ كالكُرَّاثِ في البقلِ، يا جافي، إنَّ الله تعالى آلى على نفسه أن لا يودعَ حكمتَهُ لعجميِّ القلب، لم أُجبْكَ بشعرٍ عجزًا عن البيان؛ لكنْ أَحببتُ أن أُعلِّمَكَ أنَّ في أقلِّ الأشياءِ أدلَّ الدَّلائل عليه تخليتهم مع المكر به مكرٌ منه بهم، إذ لو شاءَ منع[6].

---

(١) جاء في هامش (أ): فوق كلمة رميت: جزاء الشرط.
(٢) في طبقات الصوفية ١٩٨ بعيني يَملُحُ.
(٣) طبقات الصوفية ١٩٨، تاريخ بغداد ٩/ ٢٣٧، المختار ٣/ ٤٨.
(٤) طبقات الصوفية ١٩٧، المختار ٣/ ٤٦، والأبيات في تهذيب الأسرار ٥٠٠.
(٥) البيت في محاضرات الأدباء ٣/ ٤٩ منسوب للمتنبي، ولم أجده في ديوانه.
(٦) المختار ٣/ ٤٦، ٤٧، وبداية الخبر في تهذيب الأسرار ١٩٨، طبقات الأولياء ١٦٩.

وقال أبو جعفر الفَرغاني: أنشدني سَمنون:

يُعـاتبنـي فَيَنْبَسِـطُ انقبـاضـي ... وتَسكـنُ رَوعتـي عنـد العتـابِ
جَرَى فيَّ الهوىَ مُذْ كُنتُ طفلاً ... فما لي قد كَبِرْتُ عن التَّصابي[1]

وأنشد أيضًا:

أَحِـنُّ بـأطـرافِ النَّهـارِ صَبـابـةً ... وفي اللَّيلِ يَدعوني الهوى فأُجيبُ
فـأيـامُنـا تفنـى وشـوقِـيَ زائـدٌ ... كأنَّ زمانَ الشَّوقِ ليس يَغيبُ[2]

آخر:

بكيتُ ودمعُ العينِ للنَّفسِ راحةٌ ... ولكنَّ دمَعَ الشَّوقِ ينكى به القلبُ[3]
وذكـري لِمَـا ألقـاهُ ليس بنـافعـي ... ولكنَّـهُ شـيءٌ يَهيـجُ بـه الكَـربُ
فلو قيلَ لي ما أنتَ؟ قلت معذَّبٌ ... بنارِ مواجيدِ يُضرِّمُها[4] العتبُ
بُليـتُ بمـن لا أستطيـع عتـابَـهُ ... ويُعتبُني حتَّى يُقالَ لي الذنبُ[5]

ورُوي أنَّه أنشدَ:

وليـسَ لـي فـي سِـواكَ حـظٌ ... فكيـفَ مـا شِئـتَ فـاختبـرنـي[6]

فأخذَهُ الأُسرُ[7] من ساعته، فكان يَدورُ على المكاتب، ويقول للصِّبيان: ادعوا لعَمِّكُم الكذَّاب[8]

وقيل: بل أنشدَ هذا البيت، فقال بعضُ أصحابِهِ لبعضٍ: سمعتُ

---

(١) طبقات الصوفية ١٩٧، ١٩٨

(٢) طبقات الصوفية ١٩٨، حلية الأولياء ١٠/ ٣١١، المختار ٣/ ٥٠.

(٣) في (ب): ولكنْ دموعُ الشوق يبكي.

(٤) في (ب): تصرّمُها

(٥) طبقات الصوفية ١٩٩، في (أ): حتى يقال لي العتب.

(٦) تقدم البيت صفحة ٤٠٥ منسوبًا إلى أبي الحسين النوري.

(٧) الأُسر: احتباس البول.

(٨) الرسالة القشيرية ٨٠.

البارحةَ وكنتُ بالرُّستاق صوتَ أستاذِنا سَمنون، يدعو اللهَ ويَتضرَّعُ إليه، ويسألُه الشِّفاءَ. فقال الآخر: وأنا أيضًا كنتُ سمعتُ هذا البارحة، وكنتُ بالموضعِ الفلاني. فقال الثَّالثُ والرَّابع مثلَ هذا، فأُخبرَ سَمنونُ بذلك، وكان قد امتُحنَ بعلَّةِ الأُسر، وكان يَصبرُ ولا يَجزع، فلمَّا سمعَهم يقولون هذا، ولم يكن هو قد دَعا ولا نطقَ بشيءٍ من ذلك، علمَ أنَّ المقصودَ منه إظهارُ الجزعِ تأدُّبًا بالعبودية وسترًا لحالِه[1]، فأخذَ يطوفُ على المكاتب، ويقول: ادعوا لعَمِّكُم الكذَّاب[2].

وقال أبو أحمد المَغازليُّ: كان ببغداد رجلٌ فرَّقَ على الفقراءِ أربعين ألفَ درهم، فقال لي سَمنون: يا أبا أحمد، أما تَرى ما قد أَنفقَ هذا! وما قد عمله! ونحن ما نجدُ شيئًا؟ فامضِ بنا إلى موضعٍ نُصلِّي فيه بكلِّ درهمٍ أنفقَهُ ركعةً. فمضينا إلى المدائن، فصلَّينا أربعين ألفَ ركعة[3].

ورُوي أنَّه لما أَخذه الأُسراء، احتبسَ بولُه أربعةَ عشرَ يومًا، فكان يلتوي كما تلتوي الحيَّةُ على الرَّمل، ينقلبُ يمينًا وشمالاً، فلمَّا أُطلق بولُه قال: يا ربِّ، تبتُ إليك، تبت إليك يُكررها. وأنشد:

أنــا راضٍ بطُــولِ صَــدِّكَ عنِّــي ... ليـــسَ إلا لأنَّ ذاكَ هـــواكَـــا
فامتحنْ بالجفا ضَميري على الوُدْ ... دِ ودعنـــي مُعلَّقًـــا بـــرجَـــاكَـــا

وأنشد أبو علي الحسنُ بن أحمد[4] الصُّوفيُّ لسمنون رحمة الله عليه:

ولو قيل: طأْ في النَّارِ. أَعلمُ أنَّه ... رضًا لك أو مُدْنٍ به من وصالكَا
لقدَّمْتُ رجلي نحوها فوطِئتُها ... سرورًا لأنّي قد خَطرتُ ببالكَا

---

(١) في (أ): تأدبًا لعبودية، وستر الحالة.
(٢) الرسالة القشيرية ٨١، المختار ٣/ ٤٦.
(٣) الرسالة القشيرية ٨١، المختار ٣/ ٤٧.
(٤) في (أ): الحسين بن أحمد.

وقال: ذهب المحبُّون لله بشرفِ الدُّنيا والآخرة؛ لأنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: «المرءُ مع مَنْ أَحبَّ»[1] فهم مع الله تعالى[2]

وقال إبراهيمُ بنُ فاتك: سمعتُ سمنون وهو جالسٌ في المسجدِ يتكلَّمُ في المحبَّة، إذ جاءَ طيرٌ صغيرٌ، فقرُبَ منه، فلم يزل يَدنو حتَّى جلسَ على يده، ثمَّ ضربَ بمنقارِهِ الأرض حتَّى سالَ الدَّمُ منه، ثمَّ مات[3]

وسُئل عن التَّصوف، فقال: أن لا تَملك شيئًا، ولا يَملكُكَ شيء[4]

وقال أبو أحمد المَغازلي: كان وِردُ سَمنون في كلِّ يومٍ وليلةٍ خمس مئة ركعة[5]

وقال النُّوري: سألتُ سَمنون عن المحبَّة، فقال لي: عن محبَّةِ الله تعالى إيَّاكَ تَسألُ، أو عن محبَّتِكَ لله تعالى؟ قال: فقلتُ: عن محبَّةِ الله لي. فقال: لا تُطيق الملائكةُ يسمعون ذلك، فكيف أنت؟ ثمَّ قال: لقد تكلَّمْتُ أمس مع الخضرِ، والملائكةُ يَسمعون كلامي، ويَستحسنون قولي، وسمعَ اللهُ كلامي، فلم يَعِبْ عليَّ، ولو عابَ سبحانَه عليَّ لأخرسني[6]

وقال محمد بن علي بن المأمون: أنشدني سمنون:

بــــأبـــــي أنـــــتَ وإنْ أســـ ـــرفــتَ فـــي هجـــري وظلمـــي
تـــدَّعـــي ظُلمـــي بـــلا علـــ ـــمٍ وتجفـــونـــي بعلـــم

---

(1) رواه البخاري (٦١٦٨) في الأدب، باب علامة الحب في الله، ومسلم (٢٦٤٠) في البر والصلة، باب المرء مع من أحب، وأبو داود (٥١٢٧)، والترمذي (٢٣٨٥).

(2) الرسالة القشيرية ٤٤٩ (المحبة)، المختار ٣/ ٤٨.

(3) الرسالة القشيرية ٤٥٢ (المحبة)، تهذيب الأسرار ٥٧، المختار ٣/ ٤٧.

(4) الرسالة القشيرية ٤٠٠ (التصوف).

(5) تاريخ بغداد ٩/ ٢٣٦، المختار ٣/ ٤٥.

(6) بداية الخبر في المختار ٣/ ٤٩

أنـا مَـنْ حَـارَبْـتَ حَـرْبٌ[1] ولمـنْ سَـالَمْـتَ سَلمـي

قـد تَـرى رَوعـي إذا سَمْـ ـمَـاكَ فـي القـومِ مُسمِّـي

وتبيّنـت الـذي بـي مـن جـوى حُـزنـي وسقمـي

أنـتَ علّمْـتَ جُفـونـي أن تـراعـي كُـلَّ نجـمِ

جعـلَ اللهُ عـذابـي فيـك كفّـارةَ جُـرمـي[2]

وقال: دخلتُ عبَّادان، فسألت عن شيخ أُسلّمُ عليه، وآنسُ به، فقيل لي: ما بقي عندنا أحدٌ إلاَّ وقد رأيتَهُ، ولم يبقَ لنا إلاَّ شيخٌ واحد في البحر، قد نقرَ لنفسه ساجةً[3]، فهو يتعبَّدُ فيها منذ ثلاثين سنة، ربَّما ألقتْهُ الرِّيح إلى ههنا في كلِّ سنةٍ مرَّةً أو مرَّتين، فكأنَّ نفسي تشرَّفت إليه[4]، فلمَّا كان في بعض الأيام قيل لي: إنَّ الرَّجلَ قد وصل. قال سَمنون: فخرجتُ أنظرُ إليه، فإذا رجلٌ شيخٌ جالسٌ في ساجةٍ مَنقورةٍ، حسنُ السَّمتِ، فسلَّمتُ عليه، فردَّ عليَّ السَّلام، فقلت له: إنِّي أسألُكَ عن مسألةٍ. فقال: دعني من هذا؛ فإنِّي أنا أُريدُ أن أسألَكَ عن مسألةٍ. قال سَمنون: فقلتُ له: سَلْ. فقال: إنَّ ذَكَري يجري كمنخرِ الثَّورِ، فما أَعملُ؟ فقلتُ له: ما عليك أكثرُ من أن تنتر ثلاثًا، وما عدا ذلك فليس عليك. قال سَمنون: ثمَّ قلتُ له: حدِّثني بأشدِّ ما رأيتَ في هذا البحر من الوحشة. فقال: ما يُمكن، ولكنْ هبَّتْ في بعض اللَّيالي ريحٌ عظيمة، وأَظلمَ البحرُ وخبَّ حتَّى ما رأيتُ مثلَه قطُّ، فداخلني من ذلك وحشةٌ عظيمة، فطلبتُ شيئًا يُزيلُ عنِّي تلك الوحشة، وإذا أنا بتنِّينٍ عظيمٍ فاتحٍ

(١) في (ب): فلمن حاربت حربٌ.

(٢) المختار ٣/ ٤٩.

(٣) الساجة: الخشبة الواحدة المشرجعة الطويلة المربعة كما جُلبتْ من الهند. معجم متن اللغة (سيج).

(٤) في (ب): تشوّفت إلى لقائه.

فاه، فألقتني السَّاجةُ نحوه، فدخلتُ في فيه، وجلستُ على نابٍ من أنيابه، وصلَّيتُ ركعتين[1]، فزالَ ما كنتُ أجدُهُ من الوحشة[2]

وقال الحسن بن زُرعان: دخلتُ على سَمنون، فرأيته يبكي، فجلستُ ساعةً، وحضرتْ صلاةُ الظُّهر، فقلتُ: قد أذَّنَ. فقام وركعَ، ثمَّ عادَ لبُكائه، فلمَّا صَلينا سألته عن بُكائه، فقال لي: يا أبا مُحمد، وقعَ لي خاطرٌ من الله يقول لي: كيف أنت؟ فقلتُ: تستخبرُ عنِّي سيِّدي، وأنت بي أخبرُ منِّي! إن كنتُ أدري كيفَ كنتُ، فلا كنتُ حيثُ كنت. فتركتُهُ وانصرفتُ[3]

* * *

(١) في هامش (ب): إلى أن ذهبتْ ظلمة البحر، فرمى الساجة إليَّ، فألقاني عليها فزال.
(٢) المختار ٥/ ٣٤١، ٣٤٢
(٣) المختار ٣/ ٤٧.

(٣٣) أبو عُبيد البُسري(*)

ومنهم: أبو عُبيد البُسري رحمه الله، من قُدماءِ المشايخ.

صحبَ أبا تُراب النَّخشبِي.

قال ابنُ الجلّاء: صحبتُ أو لقيت ست مئة شيخٍ، ما رأيتُ مثلَ أربعةٍ: ذي النُّون المِصري، [وأبي]، وأبي تُراب النَّخشبِي، وأبي عُبيد البُسري[١]

وقال أبو زُرعة الجَنْبِيُّ: كان أبو عُبيد البُسري يومًا يدرسُ[٢] على جرجرٍ[٣] قمحًا له، وبينه وبين الحجِّ ثلاثةُ أيام، إذ أتاه رجلان، فقالا: يا أبا عُبيد، تنشطُ للحجِّ؟ فقال: لا ثمَّ التفتَ إليَّ، وقال: شيخُك على هذا أقدر منهما. يعني نفسه[٤]

ورُوي أنّه كان إذا استهلَّ شهرُ رمضان، يدخل بيتًا من داره، ويقول لزوجته: طيِّني عليَّ الباب، وألقي إليَّ من الكوَّةِ كلَّ ليلةٍ رغيفًا. فإذا كان

(*) الرسالة القشيرية ٨٢، الأنساب ٢/ ٢١٢، صفة الصفوة ٤/ ٢٤١، المختار من مناقب الأخيار ٤/ ١٦٣، مختصر تاريخ ابن عساكر ٢٢/ ٨٨، معجم البلدان (بُسر)، اللباب (بُسري)، طبقات الأولياء ٣٦٢، نفحات الأنس ١٦٨، طبقات الشعراني ١/ ٩٠، الكواكب الدرية ٤/ ١٦٥، جامع كرامات الأولياء ١/ ٢٨٠ واسمه محمد بن حسان، والبُسري: نسبة لبسر قرية في حوران.

(١) الرسالة القشيرية ٨٢، وما بين معقوفين مستدرك منها، وفي هامش (ب): وأخي إبراهيم.

(٢) في (أ): يومًا بدرنوك علي. وفي المختار: يدوس.

(٣) الجَرْجَر: ما يُداس به الكُدس، وهو من الحديد. اللسان.

(٤) الرسالة القشيرية ٨٢، المختار ٤/ ١٦٤

يومُ العيد فتحتِ الباب، ودخلتِ امرأتُه البيت، فتجدُ الثَّلاثين رغيفًا في زاوية البيت، فلا أكلَ ولا شرب ولا نامَ، وما فاتته ركعةٌ من الصَّلاة[1]

ورُوي أنّه غزا بعضَ السّنين، وكان تحته مُهرٌ، فخرج مع سريَّةٍ من السَّرايا، فمات المُهرُ تحته، وهو في السَّريَّة، فدعا الله، وقال: يا ربِّ، أعرناه حتَّى أرجعَ إلى بُسرى - يعني قريته - فإذا المهرُ قائم، فلمَّا غزا ورجع إلى بُسرى، قال لولده: يا بُنيَّ، خذِ السَّرجَ عن المهر. فقال: إنَّه عَرِقٌ؛ فإن أخذتُ السَّرجَ عنه دخلته الرِّيحُ. فقال له: يا بُنيَّ، إنَّه عاريةٌ. فأخذ السَّرج عنه، فوقع المهرُ في الحال ميتًا[2]

وقال: النِّعمُ طردٌ، فمن أحبَّ النِّعمَ فقد رضي بالطَّردِ، والبلاءُ قربةٌ، فمن ساءَهُ البلاءُ فقد أحبَّ تركَ القربةِ والتَّقرُّبِ إلى الله.

وروى أنّه كان ذات يومٍ جالسًا بدمشق، ومعه جماعةٌ من إخوانه، إذ مرَّ رجلٌ على دابَّةٍ، وخلفه غلامٌ له يعدو وقد انتهرَ[3]، وبيده غاشيةٌ[4]، فلمَّا حاذى أبا عُبيد قال: اللهم أعتقني وأرحني منه[5] ثمَّ قال. يا شيخ، ادعُ الله لي. فقال أبو عُبيد: اللَّهُمَّ، أعتقْه من النَّار، ومن الرِّقِّ. فعثرت الدَّابةُ بمولاه، فسقط إلى الأرض، فالتفت المولى إلى الغلام وقال له: أنتَ حرٌّ لوجه الله. قال: فرمى بالغاشيةِ إليه، وقال له: يا مولايِ، أنت لم تُعتقني؛ وإنّما أعتقني هؤلاء. وأشار إلى أبي عُبيد وأصحابِهِ، فصحبَ أصحابَنا، وتُوفِّي بينهم[6]

---

(١) الرسالة القشيرية ٥٠١ (كرامات الأولياء)، المختار ٤/ ١٦٦

(٢) الرسالة القشيرية ٥٢٣ (كرامات الأولياء)، المختار ٤/ ١٦٤، ١٦٥

(٣) في (أ): وقد انبهر.

(٤) الغاشية: الحديدة التي فوق مؤخرة الرَّحْل، وغاشية السَّرج غطاؤه، وهي أيضًا ما أُلبسَ جفن السيف من الجلود. اللسان.

(٥) في (أ): وأرحمني منه.

(٦) المختار ٤/ ١٦٥.

وقال ابن أبي حسان: قال لي أبي: دخل أبو عُبيد البُسري إلى عكًا هو وولداه، فأقامَ بها شهرَ رمضان، وكان والداه كلَّ ليلةٍ يُصلحون له إفطارًا يوجِّهان به إليه مع غلامٍ لهم أسود، فإذا جاءَ به إليه يقولُ له الشَّيخ: اجلسْ وكُلْه، ولا تقلْ لهما شيئًا. ويأكلُ أبو عُبيد تمرةً واحدةً، حتَّى أفطرَ على ثلاثين تمرةً في ثلاثين ليلة، فلمَّا كان بعد ذلك قال له ولداه: سَرَرْتَنا يا أبَةَ في هذا الشَّهر. فقال لهما: وكيف ذلك؟ قالا: لأنَّك تأكلُ ما نوجِّهُ به إليك. فقال لهما: قد كان ما كان. فلمَّا سمعا منه ذلك سألا الغلامَ، فقال: أنا كنتُ آكلُه[1]

وقال: ليس تدخلُ العلّةُ إلاَّ من الأمن، ولا يُؤخذُ المريدُ[2] إلاَّ من الحذر، وإنَّما حذرَ أقوامٌ فسلموا، وأَمِنَ قومٌ فعُطبوا.

ورُوي أنَّ ابنًا له جاءه، فقال له: يا أبةِ، إنِّي خرجتُ بجرارٍ فيها سمنٌ فوقعتْ منِّي، وانكسرت، وذهبَ رأسُ مالي. فقال له: يا بُنيَّ، اجعلْ رأسَ مالك رأسَ مال أبيك، فواللهِ ما لأبيك رأسُ مالٍ في الدُّنيا والآخرة إلاَّ الله[3]

وقال أبو زُرعة الجَنْبيُّ: كان أبو عُبيد البُسري بعرفة، وإلى جنبه ابنُه، فقال له: يهنيك[4] الفارسُ. فقال له: يا أبةِ، وأيُّ فارسٍ؟ فقال: وُلدَ لكَ السَّاعةَ غلامٌ. قال: فلمَّا صِرنا إلى بُسرى، وجدتُ زوجتي قد ولدتْ غلامًا يوم عرفة[5]

وقال ابن أبي حسان: قال أبي[6]: إنَّ أبا عُبيد قال لي يومًا: يا أبا

---

(١) المختار ٤/ ١٦٥، تاريخ ابن عساكر ١٥/ ١١٠ب.

(٢) في (أ): ولا يوجد المزيد.

(٣) المختار ٤/ ١٦٦، وتاريخ ابن عساكر ١٥/ ١١٢ب.

(٤) في تاريخ ابن عساكر ١٥/ ١١٢أ: يهنك.

(٥) المختار ٤/ ١٦٥، تهذيب الأسرار ٣٣١

(٦) في المختار: قال ابن أبي حسان عن أبيه: قال لي أخي أبو عُبيد.

حسان، ما أسفي إلاَّ أن يجعلني ممَّن عفا عنه. فقلتُ له: يا أخي، الخلقُ على العفوِ تذابحوا. فقال: أجل، ولكنْ أيش أَقبحُ بشيخٍ مثلي يُوقفُ غدًا بين يدي الله، فيُقال له: يا شيخ سَوْءٍ كُنتَ، اذهبْ فقد عفوتُ عنك، أنا أملي في الله تعالى أن يَهَبَ لي كلَّ من أحبَّني[1]

وقال: ذِكرُ اللهِ بالقلب وحدَهُ صدقٌ، وذكرُهُ بالقلبِ واللِّسانِ إخلاصٌ، وذِكرُهُ باللِّسان وحده رياء[2]

* * *

---

(١) المختار ٤/ ١٦٦

(٢) تهذيب الأسرار ٣١٩ والقولُ فيه أطول، المختار ٤/ ١٦٦.

(٣٤) أبو علي الجوزجاني (*)

ومنهم: أبو علي الحسن بن علي الجوزجاني من كبار مشايخ خراسان، له التَّصانيفُ المشهورة في علوم الآفاتِ والرِّياضات والمجاهدات والمعارف والحكم[(١)]

صحب: محمد بن علي التِّرمذي، ومحمدَ بن الفَضْل، وهو قريب السِّنِّ منهما.

وقال رحمه الله: ثلاثةُ أشياء من عَقْد التَّوحيد: الخوفُ، والرَّجاء، والمحبّة. فزيادةُ الخوف من تركِ الذُّنوب[(٢)] لرؤية الوعيد، وزيادةُ الرَّجاءِ من اكتساب الخير لرؤية الوعد[(٣)]، وزيادةُ المحبّة من كثرة الذِّكر لرؤية المنَّة. فالخائفُ لا يستريحُ من الهرب، والرَّاجي لا يَستريحُ من الطَّلب، والمحبُّ لا يستريحُ من ذِكر المحبوب. فالخوفُ نار منوّر، والرَّجاء نورٌ منوّر، والمحبّةُ نورُ الأنوار[(٤)]

وقال: في البخل ثلاثةُ أحرف: الباءُ وهو البلاء، والخاءُ وهو

(*) طبقات الصوفية ٢٤٦، حلية الأولياء ١٠/ ٣٥٠، المختار من مناقب الأخيار ٢/ ٢٠٢، طبقات الأولياء ٣٣٣، نفحات الأنس ١٩١، الطبقات الكبرى للشعراني ١/ ٩٠، الكواكب الدرية ٢/ ٨٢.

(١) طبقات الصوفية ٢٤٦، وفي (أ): والمعارف والحلم.

(٢) في طبقات الصوفية ٢٤٦: من كثرة الذنوب.

(٣) في (أ): لرؤية الوجه.

(٤) طبقات الصوفية ٢٤٦، المختار ٢/ ٢٠٢

الخسران، واللأمُ وهو اللُّومُ. فالبخيلُ بلاءٌ على نفسه، وخاسرٌ في سعيه، ومَلومٌ في بُخله(١)

وقال: السَّابقون هم المقرَّبون بالعطيات، والمُرتفعون في المقامات، وهم العلماء بالله من بين البَرية، عرفوا الله حقَّ معرفته، وعبدوه بإخلاص العبادة، وأووا إليه بالشَّوقِ والمحبَّةِ. قال الله تعالى فيهم: ﴿ وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ ٱلْمُصْطَفَيْنَ ٱلْأَخْيَارِ ﴾(٢) [ص: ٤٧].

وقال: من علامات السَّعادة على العبد تَيسيرُ الطَّاعةِ عليه، وموافقته للسُّنة في أفعاله، ومحبَّتُهُ لأهلِ الصَّلاح، وحسنُ أخلاقه مع الإخوان، وبذلُ معروفه للخلق، واهتمامُهُ للمسلمين، ومراعاتُه لأوقاته(٣)

وقال: الشَّقيُّ من أظهرَ ما كتم الله عليه من معاصيه(٣)

ورُوي أنّ بعضَ أصحابنا سأله: كيف الطَّريقُ إلى الله؟ فقال: الطُّرقُ إلى الله كثيرةٌ، وأصحُّ الطُّرقِ وأعمرُها وأبعدُها عن الشُّبهِ اتِّباعُ السُّنة قولاً وفعلاً، وعزمًا وعَقدًا ونيَّة؛ لأنَّ الله تعالى يقول: ﴿وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا۟﴾ [النور ٥٤]، فسأله: كيف الطَّريقُ إلى اتِّباعِ السُّنة؟ فقال: مُجانبةُ البدع، واتِّباعُ ما أجمعَ عليه الصَّدرُ الأوَّل من علماء الإسلام، والتَّباعدُ عن مجالسِ الكلام وأهله، ولزومُ طريقةِ الإقتداء، وبذلك أُمِرَ النَّبيُّ عليه السَّلام بقوله تعالى: ﴿ ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ﴾(٣) [النحل: ١٢٣].

وسُئل عن أبي يزيد البسطامي والألفاظ التي تُحكى عنه، فقال: رحمَ الله أبا يزيد، له حاله وما نطقَ [به] ولعلَّهُ تكلَّم بها على حدِّ غلبةٍ، أو حالِ سُكرٍ، وكلامُه له، ولمن تَكلَّم عليه، ليس لمن يَحكي عنه، فالزمْ

---

(١) طبقات الصوفية ٢٤٦، المختار ٢/ ٢٠٢

(٢) طبقات الصوفية ٢٤٧

(٣) طبقات الصوفية ٢٤٧، المختار ٢/ ٢٠٣

أنت يا أخي أولاً مُجاهدةَ أبي يزيد وتقطُّعَهُ ومعاملاته، ولا ترتق إلى المقامِ الذي بلغَ به بعد تلك المجاهدات؛ فإنْ بلغَ بك إلى شيءٍ من ذلك، فاحكِ إذْ ذاك كلامَه، فليسَ بعاقلٍ من ضيَّعَ الأدنى من المقامات، وادَّعى الأعلى منها[(١)]

وقال: الخَلقُ كلُّهم في ميادين الغفلة يَركُضون، وعلى الظُّنونِ يعتمدون، وعندهم أنَّهم في الحقيقةِ يتقلَّبون، وعن المُكاشفة يَنطقون[(٢)]

وقال: الرِّضا دارُ العبودية، والصَّبرُ بابه، والتَّفويضُ بيته، فالصَّوتُ[(٣)] في الباب، والفراغُ في الدَّارِ، والرَّاحةُ في البيت[(٤)]

* * *

(١) طبقات الصوفية ٢٤٨، المختار ٢/ ٢٠٣

(٢) طبقات الصوفية ٢٤٨، المختار ٢/ ٢٠٢

(٣) في (ب): فالصوب.

(٤) الرسالة القشيرية ٣٠٥ (العبودية)، المختار ٢/ ٢٠٣

(٣٥) شاه الكرماني(*)

ومنهم: أبو الفوارس شاه بن شجاع الكرماني، كان من أولاد الملوك.

صحبَ: أبا تُراب النَّخشبي، وأبا عُبيد الله الذَّرَّاع البصري، وأبا عُبيد البُسري.

وكان من جلّة المشايخِ والفتيان، وعلماءِ هذه الطَّبقة.

وله رسالاتٌ مشهورة، والمُثلَّثةُ التي سمّاها «مرآة الحكماء»[١]

وردَ نيسابورَ في زيارة أبي حفص، ومعه أبو عُثمان الحِيري. ومات قبل الثَّلاثِ مئة[١]

وقال رحمه الله: شُغل العارفِ بثلاثة أشياء: النَّظرُ إلى معبودِه مُستأنسًا به، والملاحظة لِمننه وفوائده شاكرًا له، والتَّذكّر لذنبه مُعترفًا به، ومنيبًا تائبًا إليه منه[٢]

وقال: من صحبَك ورافقكَ على ما تحبُّ، وخالفكَ فيما تكره فإنّه يَصحب هواه، ومن صَحِبَ هواه فهو طالبٌ لراحة الدُّنيا[٣]

(*) طبقات الصوفية ١٩٢، حلية الأولياء ١٠/ ٢٣٧، الرسالة القشيرية ٨٢، المنتظم ٦/ ١١١، صفة الصفوة ٤/ ٦٧، المختار من مناقب الأخيار ٣/ ٩٠، الوافي بالوفيات ١٦/ ٩١، طبقات الأولياء ٣٦٠، نفحات الأنس ١٢٨، طبقات الشعراني ١/ ٩٠، الكواكب الدرية ٢/ ٣٦، جامع كرامات الأولياء ٢/ ٣٦

(١) طبقات الصوفية ١٩٢

(٢) طبقات الصوفية ١٩٢، الحلية ١/ ٢٣٧، المختار ٣/ ٩٠

(٣) طبقات الصوفية ١٩٢، الحلية ١٠/ ٢٣٨، المختار ٣/ ٩١.

وقال: اعملوا الطّاعات أنزَهَ ما تكون، وانظروا إليها أقذرَ ما يكون[1]

وقال: لأهلِ الفضلِ فضلٌ ما لم يَروه، فإذا رأوه فلا فضلَ لهم، ولأهلِ الولاية ولايةٌ ما لم يَروها، فإذا رأوها فلا ولايةَ لهم[1]

وقال: الفتوّةُ من طِباع الأحرار، واللُّؤمُ من شيم الأنذال[1]

وقال: ما تعبَّدَ مُتعبِّدٌ بأكثرَ من التَّحبُّب إلى أولياء الله[1]

و: محبَّةُ أولياءِ الله دليلٌ على محبَّة الله[1]

وقال: الإعراضُ عن الحقِّ هو التَّسخُّطُ[1]

و: علامةُ الرُّكونِ إلى الباطل التَّقرُّبُ من المُبطلين.

وقال: من عرفَ ربَّه طمعَ في عفوه، ورجا فضله[2]

وقال: علامةُ الحِكمة معرفةُ أقدارِ النَّاس، وعلامةُ التَّقوى الورعُ، وعلامة الورع الوقوفُ عند الشُّبهات، وعلامةُ الخوف الحزنُ، وعلامةُ الرَّجاء حُسنُ الطَّاعة، وعلامةُ الزُّهد قِصَرُ الأمل[3]

وقال: ما أُعجبَ عبدٌ بنفسه حتَّى يكونَ محجوبًا عن ربِّه[4]

وقال: مَنْ عرفَ الله نسي كلَّ ما دونه، ومن جهلَ الله تعلَّقَ بكلِّ شيء دونه[4]

وقال: من اعتزَّ بالعلم فازَ، ومن اعتزَّ بالجهل خاب وخسر[4]

---

(١) طبقات الصوفية ١٩٣، المختار ٣/ ٩١.

(٢) طبقات الصوفية ١٩٣، حلية الأولياء ١٠/ ٢٣٧

(٣) طبقات الصوفية ١٩٣، المختار ٣/ ٩٢، وانظر الرسالة القشيرية ٨٣، و٢٢٢ (الرجاء)، وتهذيب الأسرار ١٤٤، ١٥٣

(٤) طبقات الصوفية ١٩٤.

و: الجاهلُ في ظُلمةِ جهله، فكيف يكونُ إذا كان العالِمُ في ظُلمة علمه؟ وظلمةُ العلم أشدّ[1]

وكان حادَّ الفِراسة، وقلَّ ما تُخطئ فِراستُه.

وقال: من غضَّ بصرَهُ عن المحارم، وأمسكَ نفسه عن الشَّهوات، وعمَرَ باطنَه بدوام المراقبة، وظاهرَهُ باتِّباعِ السنّة، وعوّدَ نفسَه أكلَ الحلالِ لم تُخطئْ فِراستُه[2]

وقال لأصحابه: اجتنبوا الكَذبَ والخيانةَ والغيبةَ، ثمَّ اصنعوا ما بدا لكم[3]

ورُوي أنَّه كان بين شاه الكرماني ويحيى بن مُعاذ الرَّازي صداقةٌ، فجمعهما بلدٌ، فكان شاه لا يحضرُ مجلسَه، فعاتبوه على تخلُّفه عنه، فقال: الصَّوابُ هذا. فما زالوا به حتَّى حضرَ يومًا مجلسَه، وقعدَ ناحيةً لا يشعرُ به يحيى بن مُعاذ، فلمَّا أخذ يحيى في الكلام سكتَ، ثمَّ قال: ههنا من هو أَحقُّ بالكلام منِّي. وأُرتِجَ عليه، فقال لهم شاه: قلتُ لكم الصَّوابُ ألاَّ أحضرَ مجلسه[4]

وقال: علامةُ حُسنِ الخُلق كفُّ الأذى، واحتمالُ المؤن[5]

ورُوي: أنَّه كان قد تَعوّد السَّهرَ، فغلبه النَّومُ مرَّةً، فرأى الحقَّ سبحانه في المنام، فكانَ يتكلَّفُ النَّومَ بعد ذاك، فقيل له في ذلك، فأنشدَ:

رأيتُ سرورَ قلبي في منامي   فأحببتُ التَّنعُّسَ والمناما[6]

---

(١) طبقات الصوفية ١٩٤

(٢) الحلية ١٠/ ٢٣٧، الرسالة القشيرية ٣٤٥ (الفراسة)، تهذيب الأسرار ٣٢٦

(٣) الرسالة القشيرية ٨٣، المختار ٣/ ٩٢

(٤) الرسالة القشيرية ٢٠٩ (الصمت)، المختار ٣/ ٩٢

(٥) الرسالة القشيرية ٣٥٥ (الخلق)، تهذيب الأسرار ٢١٨

(٦) الرسالة القشيرية ٥٢٨ (رؤيا القوم).

وقال: علامةُ الرَّجاء حسنُ الطَّاعة[1]

وقال: المشتاقون على عشرةِ مقامات: تعلُّق القلب به، وطيرانُ الصَّدرِ إليه، والحركةُ عند ذِكره، والأُنسُ بالوحدةِ، والهربُ[2] من الألفة، والتَّزيّنُ لمعاني كلام الرَّحمن، والبكاءُ على النَّفسِ في الخلوة، والاستغاثةُ به، والتَّعرُّض لمُناجاته، [والتَّأسُّفُ على ما فاته][3]

* * *

(١) تقدم القول مع تخريجه صفحة ٤٥٣ حاشية (٣).

(٢) في (أ): والقرب من الألفة.

(٣) تهذيب الأسرار ٧١، وما بين معقوفين مستدرك منه.

(٣٦) يوسف الرَّازي [*]

ومنهم: أبو يعقوب يوسف بن الحسين الرَّازي شيخ الرَّيّ والجبال[١] في وقته.

وكان أَوحدَ في طريقته، عالِمًا ديِّنًا. وكان من طريقته أسقاطُ الجاه، وتركُ التَّصنُّع، واستعمالُ الإخلاص.

صحب ذا النُّون المصري، وأبا تُراب النَّخشبي، ورافق أبا سعيد الخرَّاز في بعض أسفاره[٢]

مات سنة أربعٍ وثلاث مئة[٢]

وقال رحمه الله: عَلِمَ القومُ بأنَّ الله يراهم فاستحيوا من نظرِه أن يُراعوا شيئًا سواه[٣]

(*) وقيل محمد بن يوسف الرازي، طبقات الصوفية ١٨٥، حلية الأولياء ١٠/ ٢٣٨، تاريخ بغداد ١٤/ ٣١٤، الرسالة القشيرية ٨٣، طبقات الحنابلة ١/ ٤١٨، المنتظم ٦/ ١٤١، صفة الصفوة ٤/ ١٠٢، المختار من مناقب الأخيار ٥/ ١٨٠، مختصر تاريخ دمشق ٢٨/ ٧١، سير أعلام النبلاء ١٤/ ٢٤٨، العبر ٢/ ١٢٨، دول الإسلام ١/ ١٨٥، روض الرياحين ٣٠١ (حكاية ٢٤٥)، البداية والنهاية ١١/ ١٢٦، طبقات الأولياء ٣٧٩، النجوم الزاهرة ٣/ ١٩١، نفحات الأنس ١٤٧، ٢٦٥، طبقات الشعراني ١/ ٩٠، الكواكب الدرية ٢/ ١٦٤، شذرات الذهب ٢/ ٢٤٥

(١) الجبال اسم علم للبلاد التي عرفت بالعراق وهي ما بين أصبهان إلى زنجان وقزوين وهمذان والدينور وقرميسين والرَّي، وما بين ذلك من البلاد الجليلة والكور العظيمة. معجم البلدان.

(٢) طبقات الصوفية ١٨٥، الرسالة القشيرية ٨٣.

(٣) طبقات الصوفية ١٨٧، حلية الأولياء ١٠/ ٢٣٩

وقال: مَنْ ذكرَ الله بحقيقةِ ذِكرِهِ نسي ذكرَ غيره، ومَنْ نَسي ذِكرَ كلِّ شيءٍ في ذِكرِه، حفظ عليه كلَّ شيءٍ، إذ كان الله عوضًا له من كلِّ شيءٍ[1].

وكان يقول في دُعائه: اللَّهُمَّ، إنَّا نَباتُ نعمكَ، فلا تجعلنا حصائدَ نقمكَ[2].

وقال له رجلٌ: دُلّني على طريق المعرفة. فقال: أَرِ الله الصِّدقَ منك[3] في جميع أَحوالك، بعد أن تكونَ مُوافقًا للحقِّ، ولا ترقَ إلى حيث لم يُرقَ بك، فتزلَّ قدمُكَ، فإنَّكَ إذا رقيتَ بنفسكَ سقطت، وإذا رُقي بك لم تَسقط، وإيَّاك أن تتركَ اليقينَ لما ترجوه ظنًّا[4].

وقال: أرغبُ النَّاس في الدُّنيا أكثرُهم لها ذمًّا عند أبنائها؛ لأنَّ ذمَّهُ لها حرفةٌ عندهم[4].

وقال: عارضني بعضُ النَّاس في كلامٍ، وقال لي: لا تَستدرك مُرادَكَ من علمك إلاَّ أن تتوبَ. فقلتُ مُجيبًا: لو أنَّ التَّوبةَ طرقتْ بابي ما أَذنتُ لها، على أن أنجوَ بها من ربِّي، ولو أنَّ الصِّدقَ والإخلاص كانا لي عبدين لبعتُهما زُهدًا منِّي فيهما؛ لأنِّي إنْ كنتُ عند الله في علمِ الغيب سَعيدًا مقبولاً، لم أتخلَّفْ باقترافِ الذُّنوب والمآثم، وإنْ كنتُ عنده شقيًّا مَخذولاً لم تُسعدني توبتي وصدقي وإخلاصي، وإنَّ الله خلقني إنسانًا بلا عَمَلٍ ولا شفيعٍ كان لي إليه، وهداني لدينه الذي ارتضاهُ لنفسهِ، فقال تعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ﴾ [آل عمران: ٨٥]، فاعتمادي على فضله وكرمه أَولى بي إنْ كنتُ حرًّا عاقلاً من اعتمادي على أفعالي المدخولة وصفاتي[5] المعلولة، لأنَّ مقابلةَ فضلِهِ وكرمه

---

(١) طبقات الصوفية ١٨٧

(٢) تهذيب الأسرار ٤٠٧، المختار ٥/ ١٨٢

(٣) في (ب): أن يرى الله منك الصدق.

(٤) طبقات الصوفية ١٨٨

(٥) في (ب): في صفاتي.

بأفعالنا[1] من قلَّة المعرفة بالكريم المُتفضّل[2]

وقال: لولا أنِّي مُستعبدٌ بتركِ الذُّنوب، لأَحببتُ أن ألقاه بذنوبِ العباد أَجمع، فإنْ هو عذبني كان عدلُه في عذابي[3] ـ مع أنَّه لو عذَّبَ الخلقَ جميعًا كان عدلاً منه ـ وإن عفا عنِّي كان أظهرَ لكرمه عندهم في عفوي[4] ـ مع أنّه لو لم يَعفُ عن أحدٍ من خلقه كان ذلك فضلاً منه وكرمًا، وكانت له الحجَّةُ البالغة ـ وذلك أنَّ المُلكَ مُلكه، والسُّلطانَ سلطانه، والخلقُ متردِّدون بين فضله وعدله؛ بل الكلُّ كرمُ أفضالِه[5]، فقد أَحسنَ مع الكلِّ، حيث قال: ﴿ أَدْخِلُوٓاْ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴾ [غافر: ٤٦] فمن عفا عنه فبفضله، ومن عذَّبَه فبعدله، وهو إلى الفضلِ أقربُ ﴿ لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴾[6] [الأنبياء: ٢٣].

ورآه بعضُ الصَّالحين في المنام بعد موته، فقال له: ما فعلَ اللهُ بكَ؟ فقال: غفرَ لي. فقيل: بماذا؟ فقال: لأنِّي ما خلطتُ جدًّا بهزل[7]

وقال: أصلُ العقلِ الصَّمتُ، وباطنُ العقلِ كتمانُ السِّرِّ، وظاهرُ العقلِ الاقتداءُ بالسُّنة[8]

وقال: نظرتُ في آفاتِ الخلقِ، فعرفتُ من أين أُتوا ورأيتُ آفةَ الصُّوفيةِ في صُحبة الأحداث، ومعاشرةِ الأضداد، وإرفاقِ النِّسوان[9]

---

(١) في (أ) لأن مقابلة كرمه وأفعاله بأفعالنا.
(٢) طبقات الصوفية ١٨٩، ١٩٠
(٣) في (ب): كان أعذر له في عذابي.
(٤) في (أ): في عقوبتي.
(٥) في (ب): كرم وإفضال.
(٦) طبقات الصوفية ١٩٠، المختار ٥/ ١٨٢
(٧) الرسالة القشيرية ٥٣٣ (رؤيا القوم)، تهذيب الأسرار ٥٥١.
(٨) طبقات الصوفية ١٨٩، المختار ٥/ ١٨٣
(٩) طبقات الصوفية ١٩٠، المختار ٥/ ١٨٣

وقال: كلُّ ما رأيتموني أفعلُهُ فافعلوه إلاَّ صحبةَ الأحداثِ فإنَّه أفتنُ الفتن[١]

وقال: عاهدتُ ربِّي أكثرَ من مئةِ مرَّةٍ أن لا أصحبَ حدثًا، ففسخَها عليَّ حسنُ الخدود، وقوامُ القدودِ، وغَنَجُ العيون، وما يسألني الله معهم عن معصيةٍ، وأنشد لصريعِ الغواني:

إنَّ وردَ الخُــدودِ والحَــدَقَ النُّجــ ـلَ وما في الثُّغورِ من أُقْحُوانِ
واعوجاجَ الأَصداغِ في ظاهرِ الخَدْ دِ ومــا فــي الصّــدورِ مــن رُمّــانِ
تَــركتني بيــن الغَــوانــي صَــريعًــا فلهــذا أُدعــى صــريعَ الغَــوانــي[٢]

وقال: أذلُّ النَّاسِ الفقيرُ الطَّموعُ، والمحبُّ لمحبوبه[٣]

و: الخيرُ كلُّه في بيتٍ، ومفتاحُه التَّواضع، والشَّرُّ كلُّه في بيتٍ، ومفتاحُهُ التَّكبُّر، وممّا يدلُّكَ على ذلك أنَّ آدم عليه السَّلام تواضعَ في ذنبه، فنالَ العفو والكرامة، وأنَّ إبليسَ تكبَّر فلم ينفعْه شيءٌ مع تكبُّره، ولقي ما لقي[٣]

وقال: في الدُّنيا طُغيانان: طُغيان العلم، وطغيانُ المال، فالذي يُنجيك من طُغيان العلم العبادةُ، والذي يُنجيك من طغيان المال الزُّهدُ فيه[٤]

وقال: بالأدبِ تَفهم العلم، وبالعلمِ يصحُّ لك العملُ، وبالعملِ تنالُ

---

(١) طبقات الصوفية ١٨٩، المختار ٥/ ١٨٣ والقول ليس في (أ).
(٢) صريع الغواني مسلم بن الوليد شاعر مجيد مدّاح مفوّه بليغ، مدح الرشيد والبرامكة، ولاّه المأمون بريد جرجان، فلم يزل به حتى مات سنة ٢٠٨هـ.
والأبيات في ديوانه صفحة ٣٤٢ تحقيق ودراسة الدكتور سامي الدهان، دار المعارف بمصر.
(٣) طبقات الصوفية ١٨٩، المختار ٥/ ١٨٣
(٤) طبقات الصوفية ١٩١، حلية الأولياء ١٠/ ٢٣٩، المختار ٥/ ١٨١.

الحكمة، وبالحكمةِ تفهمُ[1] الزُّهدَ وتوفّقُ له، وبالزُّهد تترك الدُّنيا، وبتركِ الدُّنيا ترغبُ في الآخرة، وبالرَّغبةِ في الآخرةِ تنالُ رضا الله تعالى[2]

وسُئل عن قولِ النَّبيِّ ﷺ لبلال: «أرحنا بها يا بلال»[3] فقال: معناه: أرِحْنا بالصَّلاة من أشغالِ الدُّنيا وحديثها، لأنه كان عليه السَّلام قرّةُ عينه في الصَّلاة[4]

وقال: إن أردتَ أن تعرفَ العاقلَ من الأحمق فحدّثْهُ بالمحال، فإن قبل، فاعلم أنَّه أحمق[5]

وقال: إنَّ عينَ الهوى عوراء[6]

و: إذا رأيتَ الله قد أقامك لطلبِ شيءٍ، وهو يمنعُك ذلك، فاعلمْ أنّك معذَّبٌ[7]

وسُئل: بماذا يُقطعُ الطَّريق إلى الله؟ فقال: به، وبلحظاتِ كراماته[8]، ولطائف جذبه إلى ساحات توحيده ومروجِ كراماته[9]

وقال: يتولَّدُ الإعجابُ بالعمل من نسيانِ رؤية المنّة فيما يُجري لك اللهُ من الطَّاعات[9]

وقال: خفَّة المعدةِ من الشَّهوات والفضولِ قوَّةٌ على العبادة[9]

---

(١) في (أ): تغنم الزهد.

(٢) طبقات الصوفية ١٨٩، المختار ٥/ ١٨١

(٣) رواه أبو داود (٤٩٨٥ و٤٩٨٦) في الأدب، باب في صلاة العتمة بإسناد صحيح عن سالم بن أبي الجعد قال: قال رجل من خزاعة: ليتني صليت فاسترحت، فكأنهم عابوا ذلك عليه، فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «أقم الصلاة يا بلال، أرحنا بها»

(٤) طبقات الصوفية ١٩١

(٥) طبقات الصوفية ١٨٩

(٦) طبقات الصوفية ١٨٩، وفي (أ): عوار.

(٧) طبقات الصوفية ١٨٨

(٨) في (ب): به، بلحظات كرامته. وفي طبقات الصوفية: وبخطاب كراماته.

(٩) طبقات الصوفية ١٨٨.

وسُئل عن الفقير الصَّادق، فقال: من آثر وقتَه، فإن كان فيه تطلَّعَ إلى وقتٍ ثانٍ لم يستحقَّ اسمَ الفقر[١]

وقال: من تفتَّتَ عِذارُه، وانقطعَ حزامُه، وساحَ في مفاوز المخاطرات، تجري عليه أحكامُ السّعايات.

وتاه وهو يقول في تِيهِهِ:

كيف السَّبيلُ إلى مَرضاة من غضبا　　　من غير جُرمٍ ولم أعرفْ له سببا[٢]

وقال: لأنْ ألقى اللهَ بجميعِ المعاصي، أحبُّ إليَّ من أن ألقاه بذرةٍ من التَّصنُّع[٣]

وقال: إذا رأيتَ المريدَ يَشتغلُ بالرُّخصِ، فاعلمْ أنَّه لا يَجيءُ منه شيء[٤]

ورُوي أنَّه كتبَ إلى الجُنيد: لا أذاقَكَ اللهُ طعمَ نفسك، فإنَّكَ إنْ ذُقتَها لا تذوقَ بعدها خيرًا أبدًا[٥]

ورُوي أنَّه كان يتمثَّلُ بهذين البيتين:

يا مُوقِدَ النَّارِ في قلبي بقدرتِه　　　لو شِئتَ أطفأتَ عن قلبي بكَ النَّارَا

لا عارَ إنْ مِتُّ من شَوقي ومن حزني[٦]　　　على فعالِكَ بي لا عارَ لا عارَا[٧]

وقال: أعزُّ شيءٍ في الدُّنيا الإخلاصُ، وكم أَجتهدُ في إسقاطِ الرِّياءِ

---

(١) طبقات الصوفية ١٨٨، تهذيب الأسرار ١٥٩

(٢) طبقات الصوفية ١٨٨، تهذيب الأسرار ٥٤٠.

(٣) الرسالة القشيرية ٨٣، المختار ٥/ ١٨١

(٤) الرسالة القشيرية ٨٣، وفي (أ): بالرخص والكسب.

(٥) الرسالة القشيرية ٨٣، تهذيب الأسرار ٥٣٧، وفي (أ): كتب إليه الجنيد.

(٦) في (أ): ومن حرقي.

(٧) حلية الأولياء ١٠/ ٢٤١، طبقات الأولياء ٣٨٣.

عن قلبي، فكأنَّه يَنبتُ[1] فيه على لونٍ آخر[2]

وقال: من وقعَ في بحارِ التَّوحيد، لا يَزدادُ على ممرِّ الأوقات إلاَّ عطشًا[3]

وقال: توحيدُ الخاصة هو أن يكون بسرِّهِ ووجده وقلبه، كأنَّه قائمٌ بين يدي ربِّه، يُجري عليه تَصاريفَ تدبيره، وأحكامَ قدرته في بحار توحيده بالفناءِ عن نفسه، وذهابِ حسِّه بقيام الحقِّ له في مرادِه منه، فيكون كما هو قبل أن يكون في جريان حُكمه عليه[4]

وقال: الصُّوفيةُ خيارُهم خيارُ النَّاس، وشِرارُهم خيارُ شرارِ النَّاس، فهم الخيارُ على كلِّ الأحوال[5]

وقال: لكلِّ أمَّةٍ صفوةٌ، هم وديعةُ الله، أخفاهم عن خلقه، فإن يكنْ منهم من هذه الأمَّةِ قوم فهم الصُّوفية[6]

وقال أبو الحسين الدَّرَّاج: قصدتُ يوسفَ بنَ الحسين الرَّازي من بغداد، فلمَّا وصلتُ الرَّيَّ سألتُ عن مَنْزِله، فكلٌّ من أسألُ عنه يقول: أيشٍ تعمل[7] بذلك الزِّنديق؟ فضيَّقوا صدري، حتَّى عزمتُ على الانصراف، فبتُّ تلك اللَّيلة في مسجدٍ، ثمَّ قلتُ: جئت هذا البلد، فلا أقلَّ من زيارة. فلم أزلْ أسأل عنه حتَّى دُفعت[8] إلى مسجده، وهو قاعدٌ في المحراب،

---

(1) في (ب): فكأنه يثبت، وفي المختار: فكأنه يكتب، وفي مختصر تاريخ دمشق: فكأنه يلبث.
(2) الرسالة القشيرية ٣١٧ (الإخلاص)، المختار ٥/ ١٨٠، مختصر تاريخ دمشق ٧٥/٢٨
(3) الرسالة القشيرية ٤٢٦ (التوحيد)، المختار ٥/ ١٨٣
(4) الرسالة القشيرية ٤٢٧ (التوحيد).
(5) تهذيب الأسرار ٣٤، المختار ٥/ ١٨٣
(6) تهذيب الأسرار ٣٤، وفي (أ): الأمة منهم فهم الصوفية.
(7) في (ب): فكل من سألته عنه يقول لي: أيش تفعل.
(8) في الرسالة القشيرية: حتى وقعت.

وبين يديه رجلٌ، وعليه مصحفٌ يقرؤه، وإذا هو شيخٌ بَهيٌّ، حسنُ الوجه واللِّحية، فدنوتُ منه وسلّمتُ، فردَّ السَّلام، وقال: من أين؟ فقلتُ: من بغداد، قصدتُ زيارةَ الشَّيخ. فقال: لو أنَّ في بعض البلدان قالَ لك إنسانٌ: أقمْ عندي حتَّى أشتري لك دارًا وجارية، أكانَ يمنعُكَ عن زيارتي؟ قلت: يا سيِّدي، ما امتحنني اللهُ بشيءٍ من ذلك، ولو كان، لا أدري كيف كنتُ أكون. فقال أَتُحسنُ أن تقولَ شيئًا. فقلتُ: نعم. فقلت:

رأيتُـكَ تَبنـي دائبًـا فـي قطيعتـي ... ولو كنتَ ذا حزمٍ لهدَّمتَ ما تبني

وقال:

كأنّي بكم والليتُ أفضلُ قولكم ... ألا ليتنا كنَّا إذا الليتُ لا تُغني[1]

فأطبقَ المصحف، ولم يزلْ يبكي حتَّى بلَّ لحيتَهُ وثوبه، حتَّى رحمته من كثرةِ بكائه، ثمَّ قال لي: يا بُني، تلومُ أهلَ الرَّيِّ على قولهم: يوسف بن الحسين زنديق! ومن وقتِ الصَّلاةِ هو ذا أقرأ القرآن لم تقطر من عيني قطرةٌ، وقد قامت عليَّ القيامةُ بهذا البيت[2]

وسُئل: ما بالُ الإنسانِ يكون هادئًا، فإذا سمعَ القرآن اضطربَ[3] لذلك؟ فقال: لمَّا خلقَ اللهُ العقول، جعل فيها لطيفةً، وتلك اللَّطيفةُ[4] تميلُ بهم إلى كلِّ جميلٍ وإلى كلِّ حسنٍ مُستحسَنٍ، وتأخذُ منهم النَّغمةُ الطَّيبة الأخذَ الشَّديد، من أجلِ أنَّ الله خاطبَهم في القِدَم، فهم أبدًا يطلبون ما أبدى لهم في الجنة عزًّا، ويحن لهم ذلك التَّذكر[5]، قال الله عز وجل: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ الآية [الأعراف: ١٧٢].

---

(١) البيت ليس في (أ).

(٢) حلية الأولياء ١٠/ ٢٤٠، تاريخ بغداد ١٤/ ٣١٧، الرسالة القشيرية ٤٧٨ (السماع) المختار ٥/ ١٨٤

(٣) في (ب): فإذا سمع اضطرب.

(٤) في (ب): العقل، جعل فيه لطيفة، وبتلك اللطيفة.

(٥) في (ب): ويحق لهم، انظر كيف قال الله.

وكان كثيرًا ما يقول: إلهي توبةٌ أو مغفرة؛ فقد ضاقتْ بي أبوابُ المعذرة، إلهي خطيئتي خطيئةٌ صمَّاء وعاقبتي عاقبة بهماء[1]، فلا الخطيئةُ أُحسنُ الخروجَ منها، ولا العاقبة أهتدي الرُّجوع إليها، ومن شأنِ الكُرماء الرِّفقُ بالأُسراء وأنا أَسيرُ تدبيرك. ثمَّ كان يقول في إثر ذلك هذه الأبيات:

وأذكرُكم في السِّرِّ والجَهرِ دائبًا　　وإن كانَ قلبِي في الوَثاقِ أَسيرُ
لتعرفَ نفسي قدرةَ الخالقِ الذي　　يُدبِّرُ أمرَ الخلقِ وهو[2] شَكورُ[3]

وقيل له: ما بالُ المُحبِّين يتلذَّذون بالذُّلِّ في المحبَّة؟ فأنشأ يقول.

ذُلُّ الفتى في الحبِّ مَكرمةٌ　　وخضوعُهُ لِحَبيبهِ شَرَفُ[4]

ورُوي أنَّه اعتلَّ، فدخل عليه بعض إخوانه، فقال له: مالك أيها الشَّيخ، وما الذي تجد؟ ألا ندعو لك بعضَ هؤلاء الأطباء؟ فأنشأ يقول:

بقلبِي سَقامٌ ما يُداوى مريضُهُ　　خفيٌّ عن العوَّادِ باقٍ على الدَّهرِ
هوًى باطنٌ فوقَ الهوى لجّ داؤهُ　　وأَضنى فؤاديَ منه في السِّرِّ والجَهرِ
بُليتُ بجبّارٍ يجلُّ عن المُنى على　　رأسِهِ تاجٌ من التِّيهِ والكِبرِ
قديرٌ على ما شاءَ منِّي مُسلّطٌ　　جريءٌ على ظلمي[5] أميرٌ على أمري[6]

* * *

(١) في (أ): عاقبة تهماء. وفي مختصر تاريخ دمشق: وعاقبتي عاقبة وهماء، وفي المختار: وعافيتي عافية وهماء.
(٢) في (ب): فهو قدير
(٣) المختار ٥/ ١٨١، مختصر تاريخ دمشق ٢٨/ ٧٦، والبيتان في الحلية ١٠/ ٢٤١.
(٤) مختصر تاريخ دمشق ٢٨/ ٧٦
(٥) في هامش (ب): على هجري.
(٦) المختار ٥/ ١٨٤، مختصر تاريخ دمشق ٢٨/ ٧٧

(٣٧) محمد بن علي التِّرمذي(*)

ومنهم: أبو عبد الله محمد بن علي بن الحسن التِّرمذي رحمه الله.

لقي: أبا تُراب النَّخشبِي، وصحبَ يحيى بن الجلاَّء، وأحمدَ بن خَضْرَويه.

وكان من كبارِ مشايخ خُراسان، وله التَّصانيفُ المشهورة، وكتبَ الحديثَ الكثير ورواهُ(١)

قال رحمه الله: ما صنَّفْتُ حرفًا عن تدبيرٍ، ولا انتسبتُ(٢) إلى شيءٍ منه، ولكن كان إذا اشتدَّ عليَّ وقتي أتسلَّى به(٣)

وسُئل عن صفة الخلق، فقال: ضعفٌ ظاهر، ودعوى عريضة(٤)

(*) طبقات الصوفية ٢١٧، حلية الأولياء ١٠/ ٢٣٣، الرسالة القشيرية ٨٤، الأنساب للسمعاني ٣/ ٤٢، صفة الصفوة ٤/ ١٦٧، المختار من مناقب الأخيار ٤/ ٤٠٧، المستفاد من ذيل تاريخ بغداد لابن النجار ١٠٩، سير أعلام النبلاء ١٣/ ٤٣٩، تذكرة الحفاظ ٢/ ٦٤٥، طبقات ابن عبد الهادي (ترجمة ٦٣٦)، طبقات الشافعية ٢/ ٢٤٥، طبقات الأولياء ٣٦٢، لسان الميزان ٥/ ٣٠٨، نفحات الأنس ١٧٦، طبقات الشعراني ١/ ٩١، الكواكب الدرية ٢/ ١٣٠، طبقات الحفاظ ٢٨٢، مفتاح السعادة ٢/ ٣٠٩، شذرات الذهب ٢/ ٢٢١

(١) طبقات الصوفية ٢١٧

(٢) في (أ): ولا أنست إلى شيء. وفي الرسالة القشيرية: ولا لينسب إليَّ شيءٌ، والمثبت من (ب) وطبقات الأولياء.

(٣) الرسالة القشيرية ٨٤، المختار ٤/ ٤٠٨، طبقات الأولياء ٣٦٢.

(٤) طبقات الصوفية ٢٢٠، الرسالة القشيرية ٨٤.

وقال: ليسَ الفوزُ هناك بكثرةِ الأعمال؛ إنّما الفوزُ هناك بإخلاصِ الأعمال وتحسينها[1]

وقال: من شرائطِ الخدّام التّواضعُ والاستسلام[2]

وقال: النّاسُ في استماع الحكمة رجلان: عاقلٌ وعامل، فالعاقلُ يتعجَّبُ، وهو لما يسمعه مُشْتَهٍ، والعاملُ يتقلَّبُ كأنَّ قلبَه منه حيَّةٌ تتلوّى[3]

وقال: ليس في الدُّنيا حملٌ أثقلَ من البِرِّ؛ لأنَّ من برَّكَ فقد أوثقك[4]، ومن جفاك فقد أطلقَكَ[5]

وقال: كفى بالمرءِ عيبًا أن يسرَّهُ ما يضرُّه[6]

وقال: الخاشعُ من خمدت نيرانُ شهوته، وسكنَ دُخانُ صدره، وأَشرقَ نورُ التَّعظيمِ في قلبه، فماتت شهواتُهُ، وحيِي قلبه[7]، فخشعتْ جوارحُه[8]

وقال: القناعةُ رضا النَّفس بما قُسم لها من الرِّزقِ[9]

وقال: الفتوَّةُ أن تكونَ خصمًا لربِّكَ على نفسك، وأن يستوي عندك المُقيمُ والطّارئ[10]

---

(١) طبقات الصوفية ٢١٨، المختار ٤/٤٠٨، وفي (أ): وبحسنها.

(٢) طبقات الصوفية ٢١٨

(٣) طبقات الصوفية ٢١٨ وفيه: لما يسمعه يشتهي، والمختار ٤/٤٠٨.

(٤) في (ب): فقد أوبقك

(٥) طبقات الصوفية ٢١٨، المختار ٤/٤٠٨

(٦) طبقات الصوفية ٢١٩، المختار ٤/٤٠٨.

(٧) في (ب): وخشي قلبه.

(٨) الرسالة القشيرية ٢٣٩ (الخشوع)، المختار ٤/٤٠٩.

(٩) الرسالة القشيرية ٢٥٨ (القناعة)، المختار ٤/٤٠٨

(١٠) الرسالة القشيرية ٣٣٧، ٣٣٨ (الفتوة)، المختار ٤/٤٠٨.

وقال: دعا الموحِّدين إلى هذه الصَّلوات الخمس رحمةً منه عليهم، وهيَّأ لهم فيها ألوانَ الضِّيافات؛ لينالَ العبدُ من كلِّ قولٍ وفعلٍ شيئًا من عطاياه، فالأفعالُ كالأطعمةِ، والأقوالُ كالأشربة، وهو عُرسُ المُوحِّدين[1]

وقال: العاقلُ من اتَّقى ربَّه، وحاسبَ نفسه[2]

وقال: من جَهِلَ أوصافَ العبودية، فهو بنعوت الربانية أجهل[3]

وقال: صلاحُ خمسةِ أصنافٍ في خمسةِ مَواطن: صلاحُ الصِّبيان في الكتَّابِ، وصلاحُ القُطَّاع في السِّجن، وصلاحُ النِّساء في البيوت، وصلاحُ الفتيان في العلم، وصلاحُ الكهول في المساجد[4]

وقال: ضمنَ اللهُ للعبادِ الرِّزق، وفرضَ عليهم التَّوكُّلَ[5]

وقال: حقيقةُ محبَّةِ الله دوامُ الأُنس بذِكره[5]

وقال: المؤمنُ بِشرُهُ في وجهه، وحزنُهُ في قلبه، والمنافقُ حزنُه في وجهه، وبِشرهُ في قلبه[6]

وقال: الدُّنيا عروس الملوك، ومرآةُ الزُّهّاد، أمَّا الملوكُ فتجمَّلوا بها، وأمَّا الزُّهادُ فنظروا إليها، وأبصروا آفاتها، فتركوها[7]

وقال: اجعلْ مُراقبتكَ لمن لا تغيبُ عن نظره إليك، واجعلْ شُكرَكَ

---

(١) طبقات الصوفية ٢١٩، وفي (ب): غرس الموحدين، وسيرد هذا القول ضمن خبر طويل، انظر صفحة ٤٦٩.

(٢) طبقات الصوفية ٢١٩

(٣) طبقات الصوفية ٢١٩، حلية الأولياء ١٠/ ٢٣٥

(٤) طبقات الصوفية ٢١٩

(٥) طبقات الصوفية ٢١٩، المختار ٤/٤٠٨

(٦) طبقات الصوفية ٢٢٠

(٧) طبقات الصوفية ٢٢٠، حلية الأولياء ١٠/ ٢٣٥، المختار ٤/٤٠٩.

لمن لا تنقطعُ عنك نعمُه، واجعلْ خضوعَك لمن لا تخرجُ عن مُلكه وسلطانه[1]

وقال: مِلاكُ القلوب بكمالِ الخشية، ومِلاكُ النُّفوسِ بكمالِ التَّقوى[2]

وقال: المحدَّثُ والمكلَّم إذا تحقَّقا في درجتهما لم يَخافا من حديثِ النَّفسِ، كما أنَّ النُّبوةَ محفوظةٌ بالنَّسخ لإلقاء الشَّيطان، كذلك محلّ المكالمة والمحادثة مَصونةٌ من إلقاء النَّفس وفتنتها، ومحروسةٌ بالحقِّ والسَّكينة؛ لأنَّ السَّكينة حجابُ المُكلَّم المُحدَّث مع نفسه[3]

وقيل له: هل يخاف المُحدَّثون سوء العاقبة؟ فقال: خوفٌ وهولٌ وقلق يكونُ كالخطرات، ثمَّ يَمضي، فإنَّ الله لا يُحبُّ أن يكدِّرَ عليهم مننه[3]

وقال: نورُ المعرفةِ في القلب، وإشراقُه في عيني الفؤاد في الصَّدر، فبذكرِ الله يرطَّبُ القلب ويَلينُ، وبذكر الشَّهوات واللَّذات يَقسو القلب وَيَيْبَسُ، فإذا شُغل القلبُ عن ذكر الله بذكرِ الشَّهوات، كان بمَنْزلة شجرة، إنما رطوبتها ولينها من الماء، فإذا مُنعتِ الماءَ يَبستْ عروقُها، وذبلتْ أغصانها، [وإذا منعت السَّقي، وأَصابها حرُّ القيظ يبست الأغصان]، فإذا مددتَ غصنًا منها انكسر، فلا يصلحُ إلاَّ للقطع، فيصير وقودَ النَّار، فكذلك القلبُ إذا يَبسَ وخلا من ذِكر الله، فأصابته حرارةُ النَّفس ونارُ الشَّهوة، امتنعتِ[4] الأركانُ من الطَّاعة، فإذا مددتَها انكسرتْ، فلا تصلحُ أن تكونَ إلاَّ حطبًا للنَّار، وإنَّما يرطَّبُ القلبُ بالرَّحمة، وما من نُورٍ في القلب إلاَّ ومعه رحمةٌ من الله بقدر ذلك، فهذا هو الأَصلُ، والعبدُ ما دام

---

(١) طبقات الصوفية ٢٢٠، تهذيب الأسرار ١٠٦ وفيه زيادة: واجعل طاعتك لمن لا تستغني عنه. والمختار ٤/٤٠٨

(٢) طبقات الصوفية ٢٢٠، المختار ٤/٤٠٨

(٣) طبقات الصوفية ٢٢٠

(٤) في (ب)، والحلية: وامتنعت.

في الذُّكر فالرَّحمةُ دائمةٌ عليه كالمطر، فإذا قُحطَ فالصَّدرُ في ذلك الوقت كالسَّنةِ الجَرْباء[1] اليابسة، وحريقُ الشَّهوات فيها كالسَّمائم، فالأركانُ معطَّلةٌ من أعمال البر، فدعا اللهُ العبادَ إلى هذه الصَّلوات الخمس [رحمةً منه عليهم، وهيَّأ لهم فيها ألوان العبادة لينال العبد من كلِّ قولٍ وفعلٍ شيئًا من عطاياه، والأفعال كالأطعمة، والأقوال كالأشربة، فهي عرسُ الموحِّدين هيَّأها ربّ العالمين لأهلِ رحمته في كلِّ يومٍ خمس مرات] حتَّى لا يبقى عليهم دَنَسٌ ولا غبار، فإنَّ الله اختارَ الموحِّدين ليُباهي بهم يومَ الجمع الأكبر في تلك العَرصة الملائكة، لأنَّ آدمَ عليه السَّلام وولده ظهرَ خلقُهم من [يده] بالمحبة، والملائكةُ ظهر خلقُهم من القُدرة، [لقوله: ﴿كن﴾ فكان] فمن محبَّته للآدميين يفرحُ بتوبتهم، وخلقهم [والشَّهوات] والشَّياطين في دار الابتلاء فيباهي بهم في ذلك الجمع، فيقول: يا ملائكتي، إنَّ محاسنَكُم خرجت منكم، ومن النُّورِ خلقتم، وأنتم في أعالي المملكة تُعاينون عظمتي وحجَّتي وسلطاني، وقد عريتم من الشَّهوات [والشَّياطين]، والآدميون خرجت [منهم] هذه المحاسنُ من نفوسهم الشَّهوانية، والشَّياطين قد أحاطت بهم في أداني المملكة، وخلقتهم من التُّراب، فلذلك استوجبوا منِّي داري وجواري[2]

* * *

(١) في (أ): كالسنة الجرد.

(٢) حلية الأولياء ١٠/ ٢٣٤، وما بين معقوفين مستدرك منه.

(٣٨) أبو بكر الورّاق(*)

ومنهم: أبو بكر محمد بن عمر بن الحكيم الورّاق رحمه الله أصله من تِرمِذ، وأقامَ ببلخ(١)

لقي: أحمد بن خَضْرَويه وصحبه، وصحبَ محمد بن سَعد بن إبراهيم الزَّاهد، ومحمد بن عُمر [بن خُشْنام] البَلخي(١)

له الكُتبُ المشهورة في أنواعِ الرِّياضات والآداب والمعاملات(١)

قال رحمه الله: من أَرضى الجوارحَ بالشَّهوات، غُرِس في قلبه شجرُ النَّدامات(٢)

وقال: ولو قيلَ للطمع: من أبوك؟ قال: الشَّكُّ في المقدور ولو قيل: ما حِرفتُك؟ قال: اكتسابُ الذُّلِّ. ولو قيل: ما غايتُكَ؟ قال: الحرمان(٣)

وكان يمنعُ أصحابَه عن السَّفرِ والسِّياحات، ويقول: مفتاحُ كلِّ بركةٍ الصَّبرُ في موضع إرادتك إلى أن تصحَّ لك الإرادة، فإن صحَّتْ لك الإرادةُ، فقد ظهر عليك أوائلُ البركة(٤)

(*) طبقات الصوفية ٢٢١، حلية الأولياء ١٠/ ٢٣٥، الرسالة القشيرية ٨٤، الأنساب ٣/ ٤٥، صفة الصفوة ٤/ ١٦٥، المختار من مناقب الأخيار ٤/ ٤٢٤، طبقات الأولياء ٣٧٤، نفحات الأنس ١٨٤، طبقات الشعراني ١/ ٩١، الكواكب الدرية ٢/ ١٢٣

(١) طبقات الصوفية ٢٢١

(٢) الرسالة القشيرية ٨٤، المختار ٤/ ٤٢٥.

(٣) حلية الأولياء ١٠/ ٢٣٦، تهذيب الأسرار ٩٢، المختار ٤/ ٤٢٥.

(٤) الرسالة القشيرية ٨٥.

وقال: النَّاسُ ثلاثة: العلماءُ، والقرَّاءُ، والأُمراء. فإذا فسدَ العلماء فسدتِ الطَّاعة، وإذا فسدَ الأُمراءُ فسدَ المعاش، وإذا فسدَ القرَّاءُ فسدتِ الأخلاق[1]

وقال: شكرُ النِّعمةِ مشاهدةُ المِنَّة، وحفظُ الحُرمة[2]

و: للقلبِ ستَّةُ أشياء: حياةٌ وموت، وصحَّةٌ وسقم، ويقظةٌ ونوم. فحياتُهُ الهدى، وموته الضّلالة، وصحَّتُهُ الطَّهارة والصَّفاء، وعلَّتهُ الكدورة[3] والعلاقة، ويقظتُه الذِّكرُ، ونومه الغفلة. ولكلٍّ واحدٍ من ذلك علامةٌ، فعلامةُ الحياةِ الرَّغبةُ والرَّهبة[4] والعملُ بهما، والموتُ بخلاف ذلك، وعلامةُ الصِّحَّةِ القوَّةُ واللَّذَّة، والسُّقم بخلاف ذلك، وعلامةُ اليقظةِ السَّمعُ والبصر، والنَّائمُ بخلاف ذلك[5]

وقال: الاشتغالُ بالخلقِ والتَّزيُّنُ لهم حجابٌ عن المنّة، ومن لم يعرفِ المنَّةَ لم يعرف الخذلان[6]

وقال: صاحب العقلاءَ بالاقتداء، والزُّهادَ بحسنِ المُدارة، والحمقى بجميل الصَّبر[6]

وقال له رجل: علّمني شيئًا يُقرِّبني إلى الله، ويُقرِّبني من النَّاس. فقال: أما الذي يُقرِّبُكَ من الله فمسألته، وأمَّا الذي يُقرِّبُكَ من النَّاس فترك مسألتهم[7]

---

(١) طبقات الصوفية ٢٢٢

(٢) طبقات الصوفية ٢٢٣، الرسالة القشيرية ٢٧٦ (الشكر). وفي (أ): شكر النعم.

(٣) في (أ): وعلته الكروب.

(٤) في (أ): الرغبة والزهد.

(٥) طبقات الصوفية ٢٢٣، الحلية ١٠/ ٢٣٥، المختار ٤/ ٤٢٦

(٦) طبقات الصوفية ٢٢٣، المختار ٤/ ٤٢٥

(٧) طبقات الصوفية ٢٢٤، المختار ٤/ ٤٢٥.

وقال: من اكتفى بالكلامِ من العلم دونَ الزُّهد والفقه تزندقَ، ومن اكتفى بالزُّهدِ دون الفقهِ والكَلام ابتدع، ومن اكتفى بالفقهِ دون الزُّهدِ والورع والكلام تَفسّق، ومن تفنَّنَ في هذه الأمور كلِّها تخلّص[1]

ودخل عليه رجلٌ فقال: إنِّي أخاف من فلان فقال. لا تخفْ منه؛ فإنَّ قلبَ من تخافهُ بيد من تَرجوه[1]

وقال: راحةُ الدُّنيا تؤدّي إلى عناءِ عقابها، وتعبُ الدُّنيا بالحقِّ يؤدّي إلى راحة ثوابها[2]، وتاركُ الشَّهوات هو المُصيبُ للشَّهوات، والمُصيبُ للشَّهوات هو التَّاركُ للشَّهوات[3]

وسُئل عن التَّوكُّلِ فقال: هو تناولُ الوقت مصفًّى من كدرِ الانتظار، غير متأسِّفٍ على ما فات، وما متوقّعٍ لآتٍ[4]

وقال. الأدبُ للعارف كالتَّوبة للمُستأنف[5]

وقال. خضوعُ الفاسقين أفضلُ من صولة المُطيعين[5]

وقال: النَّاسُ كلُّهم في أحوالِ الدُّنيا أربعةٌ: مَرحومٌ، ومَخدوعٌ، ومُعاقبٌ، ومُكرمٌ[6]

وقال: من صحَّت معرفتُهُ بالله، ظهرتْ عليه الهيبةُ والخشية[7]

وقال: عوامُّ الخلق هم الذين سَلمت صدورُهم، وحَسُنت أعمالُهم، وطَهُرت ألسنتُهم، فإذا خَلَوا من هذا فهم الغَوغاءُ لا العوام[8]

---

(١) طبقات الصوفية ٢٢٤، الحلية ١٠/ ٢٣٦

(٢) في (ب): راحة ثوابه.

(٣) طبقات الصوفية ٢٢٥، وأوله كتب أبو بكر الوراق إلى صديق له، فكان فيما كتب.

(٤) تهذيب الأسرار ١٣٧، المختار ٤/ ٤٢٥.

(٥) طبقات الصوفية ٢٢٥، المختار ٤/ ٤٢٦

(٦) طبقات الصوفية ٢٢٥، وفيه: ومعاقب ومكره.

(٧) طبقات الصوفية ٢٢٦، المختار ٤/ ٤٢٦.

(٨) طبقات الصوفية ٢٢٦.

وقال: إذا فسدتِ العامَّةُ غلبَ الفُسَّاقُ على أهل الصَّلاح، وولاةُ الجورِ على ولاةِ العدل، والكفَّارُ على المسلمين[١]

وقال: الخاصَّةُ هم الذين فقهت قلوبُهم، وحَسُنت أخلاقُهم، وكانوا أئمةً، يدعون النَّاسَ إلى الخير والعملِ به، وسالَموا السُّلطانَ على الأمرِ بالمعروف والنَّهي عن المنكر، والعلماءَ على صدقِ الخبر، والعامَّة على ظاهرِ الأمور، فإذا خَلَوا من ذلك فهم المغترُّون[٢]. وإذا فسدتِ الخاصَّةُ غلبتِ الكَذَبَةُ على الصَّادقين، والكَهَنَةُ على المُوقنين، والموسومين على المُخلصين[٣]

وقال: أصلُ غلبة الهوى مُقارفة[٤] الشَّهوات، فإذا غلبَ الهوى أَظلمَ القلب، وإذا أظلمَ القلبُ ضاقَ الصَّدرُ، وإذا ضاق الصَّدرُ ساءَ الخُلُق، وإذا ساء الخُلق أبغضَه الخَلق، وإذا أبغضَهُ الخَلقُ أبغضَهم، وإذا أبغضَهم جفاهم، وإذا جفاهم صارَ شيطاناً[٥]

وقال: الحكماءُ خُلفاءُ الأنبياء، وليس بعد النُّبوَّةِ إلاَّ الحِكمةُ، وهي إحكامُ الأمور، وأولُ علاماتِ الحكمة طولُ الصَّمت، والكلامُ على قدرِ الحاجة[٥]

وقال: احذرْ صحبةَ السُّلطان إبقاءً على نفسك، والملوكَ إبقاءً على عيشك، والأغنياءَ إبقاءً على مالك[٦]، والسُّوقةَ إبقاءً على خُلقك، والنِّساءَ والصِّبيان إبقاءً على قلبك، والفسَّاقَ والمبتدعين إبقاءً على دينك، والفقرَ

---

(١) طبقات الصوفية ٢٢٦

(٢) طبقات الصوفية ٢٢٦، منهم المفترون.

(٣) طبقات الصوفية ٢٢٦، وفيه الموسوسون على المخلصين.

(٤) في (ب): مقارنة الشهوات.

(٥) طبقات الصوفية ٢٢٦، المختار ٤/ ٤٢٦.

(٦) في (ب): على حالك. وفي طبقات الصوفية: مِلكك.

إبقاءً على مالك[1]، والعلماءَ[2] إبقاءً على إسلامِك وإيمانك، والإخوانَ في مخالفتهم إبقاءً على فضلِكَ ومروءتك[3]

وقال: للمؤمنِ أربعُ علامات: كلامُه ذِكرٌ، وصمتُهُ تفكُّر[4]، ونظرُهُ عبرة، وعمله برٌّ[5]

وقال: الخلافَ يُهيجُ العداوة، والعداوةُ تَستنْزِلُ البلاء[6]

وقال: العبدُ لا يستحقُّ اليقين حتَّى يقطعَ كلَّ سببٍ بينه وبين العرشِ إلى الثَّرى، حتَّى يكونَ اللهُ مرادَه لا غيره، ويُؤثِرَ اللهَ على كلِّ ما سواه[7]

وقال: من عشقَ نفسَه عشقَهُ الكِبْرُ والحسدُ والذّلُّ والمهانة[8]

وقال: لا تصحبْ من يَمدحُكَ بخلاف ما أنتَ عليه، أو بغيرِ ما فيك؛ فإنّه إذا غضبَ عليك ذمَّكَ بما ليس فيك[9]

وقال: ازهدْ في حبِّ الرِّئاسة والعُلوِّ في النَّاس، إن أحببتَ أن تذوقَ شيئًا من سُبُلِ الزَّاهدين[9]

وقال: اليقينُ نورٌ يَستضيء به العبدُ في أحواله، فيبلُغُه إلى درجاتِ المُتَّقين[9]

ورُوي أن رجلاً جاءه زائرًا، فلمَّا أرادَ أن يرجعَ، قال له: أَوصني.

---

(1) في هامش (ب): والفقراء الطماعون. وفي (أ): ملكك.
(2) في هامش (ب): أي علماء السوء الذين يقولون ما لا يفعلون.
(3) طبقات الصوفية ٢٢٧
(4) في (أ): وصحته فكر.
(5) طبقات الصوفية ٢٢٧، المختار ٤/ ٤٢٦. وفي (ب): وعلمه بر
(6) طبقات الصوفية ٢٢٧، المختار ٤/ ٤٢٧.
(7) طبقات الصوفية ٢٢٧، حلية الأولياء ١٠/ ٢٣٦، تهذيب الأسرار ٨٩.
(8) طبقات الصوفية ٢٢٧
(9) طبقات الصوفية ٢٢٧، المختار ٤/ ٤٢٧.

قال: وجدتُ خيرَ الدُّنيا والآخرة في الخلوة والقلَّةِ، ووجدتُ شرَّهما في الكثرةِ والاختلاط[1]

وقال: اليقينُ على ثلاثةِ أوجهٍ: يقينُ خبرٍ، ويقينُ دلالةٍ، ويقينُ مُشاهدةٍ[2]

وقال: اليقينُ مِلاكُ القلب، وبه كمالُ الإيمان، وباليقينِ عُرِفَ اللهُ تعالى، وبالعقلِ عُقِلَ عن الله[3]

وقال: الصُّوفيُّ من صفا قلبُه من كلِّ دنسٍ، وسَلِمَ صدرُه لكلِّ أحد، وسخَتْ نفسُه بالبذل والإيثار[4]

وقال: الفتى من لا خصمَ له[5]

وقال: طُوبى للفقير في الدُّنيا والآخرة. فسألوه عن ذلك، فقال: لا يطلبُ منه السُّلطانُ في الدُّنيا خَراجا، ولا الجبَّارُ في الآخرة حسابا[6]

وقال: سكوتُ العارفِ أنفعُ، وكلامُه أشهى وأطيب[7]

وقال: استعنْ على سيرِك إلى الله بتركِ من يَشغلُكَ عن الله، وليس شاغلٌ يشغلُكَ عن الله كنفسِكَ التي هي بين جنبيك[8]

وقال: كنت مارًّا في طريقِ مكَّة، فرأيتُ عجوزًا، فقالت: يا فتى، من أنت؟ فقلتُ: رجلٌ غريب. فقالت: تشكو وَحشةَ الغُربة مع مُؤانسة

---

(١) الرسالة القشيرية ١٨٥ (الخلوة).
(٢) الرسالة القشيرية ٢٨٥ (اليقين).
(٣) الرسالة القشيرية ٢٨٤ (اليقين)، المختار ٤/ ٤٢٧.
(٤) تهذيب الأسرار ٣٤، المختار ٤/ ٤٢٧.
(٥) الرسالة القشيرية ٣٣٧ (الفتوة)، المختار ٤/ ٤٢٧
(٦) الرسالة القشيرية ٣٩٨ (الفقر)، المختار ٤/ ٤٢٧
(٧) الرسالة القشيرية ٤٤٣ (المعرفة بالله).
(٨) المختار ٤/ ٤٢٧.

مولاك؟! فما قدرتُ أن أخطو خلفها خطوةً، فانصرفت[١]

وقال: لو أنَّ أحدًا يعلمُ علمَ العلماء، وفَهِمَ الفُهماء من الحكماءِ، ويعرفُ سِحرَ كلِّ ساحرٍ؛ لا يستطيعُ أن يستر عورةً من عوراته إلاَّ بلباسِ الصِّدقِ فيما بينه وبين الله.

وقال الصِّدقُ ثلاثة: صدقُ التَّوحيد للمُوحِّدين، وصدقُ الطَّاعة لأهل العلم والورع، وصدقُ المعرفةِ لأهل الولاية الذين هم أَوتادُ الأرض.

وقال: من خرجَ من قالبِ العبودية، صُنعَ به كما صُنع بالآبق[٢]

* * *

---

(١) تهذيب الأسرار ٨٢، المختار ٤/٤٢٧

(٢) تهذيب الأسرار ١٩٣.

(٣٩) أبو سعيد الخرّاز(*)

ومنهم: أبو سعيد أحمد بن عيسى(١) الخرّاز، وهو من أهل بغداد.

صحبَ: ذا النُّون المِصري، وأبا عبد الله النِّباجي، وأبا عُبيد البُسري، وسريَّ السَّقطي، وبِشرَ بن الحارث، وغيرَهم رحمهم الله.

وهو من أئمةِ القوم، وجلَّةِ مشايخهم.

وقيل: أوَّلُ من تكلَّمَ في علمِ البقاء والفناء أبو سعيد الخرّاز(٢)

مات سنة تسعٍ وسبعين ومئتين(٣)

وقال رحمه الله: إنَّ اللهَ عجَّل لأرواحِ أوليائه التَّلذُّذَ بذكره، والوصولَ إلى قُربه، وعجَّلَ لأبدانهم النِّعمةَ بما نالوه من مصالحهم، وأخذ(٣) لهم نصيبهم من كلِّ كائنٍ، فعيشُ أبدانِهم عيشُ الجنانيِّين(٤)، وعيشُ أرواحِهم

(*) طبقات الصوفية ٢٢٨، حلية الأولياء ١٠/ ٢٤٦، تاريخ بغداد ٤/ ٢٧٦، الرسالة القشيرية ٨٥، الأنساب ٥/ ٦٥، تاريخ ابن عساكر ٧/ ١١٠، المنتظم ٥/ ١٠٥، صفة الصفوة ٢/ ٤٣٥، المختار من مناقب الأخيار ١/ ٣١٠، اللباب ١/ ٣٥١، مختصر تاريخ دمشق ٣/ ٢٠٤، سير أعلام النبلاء ١٣/ ٤١٩، مرآة الجنان ٢/ ٢١٣، الوافي بالوفيات ٧/ ٢٧٥ن البداية والنهاية ١١/ ٥٨، طبقات الأولياء ٤٠، نفحات الأنس ١١١، الطبقات الكبرى للشعراني ١/ ٩٢، الكواكب الدرية ١/ ٥١٠، شذرات الذهب ٢/ ١٩٢

(١) وقيل اسمه: إبراهيم بن عيسى.

(٢) طبقات الصوفية ٢٢٨

(٣) في طبقات الصوفية، والمختار. وأجزل لهم.

(٤) في حلية الأولياء: عيش الجانين.

عيش الرَّبانيين، لهم لسانان: لسانٌ في الباطن يُعرِّفُهم صنعَ الصَّانعِ في المصنوع، ولسانٌ في الظَّاهر يُعلِّمُهم علمَ المخلوق[1]، فلسانُ الظَّاهرِ يُكلِّمُ أجسامَهم، ولسانُ الباطنُ يُناجي[2] أرواحَهم[3].

وسُئل عن الأنس: ما هو؟ فقال: استبشارُ القلوب بقرب اللهِ، وسرورُها به، وهدوءُها في سكونها إليه، أَمنُها معه[4] من حيثُ الرَّوعات، وأعفاءُهُ لها من كلِّ ما دونه أن يشيرَ إليه حتَّى يكونَ هو المُشيرُ إليها؛ لأنَّها ناعمةٌ[5] به، ولا تحتمل جفاءَ غيره[6].

وقال أبو بكر الورّاق[7]: كان أبو سعيد الخرَّاز نائمًا، فانتبَه وقال: اكتبوا ما وقعَ لي في هذا النّوم: إنَّ الله جعلَ العلمَ دليلًا عليه ليُعرف، وجعلَ الحكمةَ [رحمة] منه عليه[8] ليؤلف، فالعلمُ دليلٌ إلى الله، والمعرفةُ دالَّةٌ على الله، فبالعلمِ تُنال المعلومات، وبالمعرفةِ تُنال المعروفات، والعلمُ بالتَّعلُّمِ، والمعرفةُ بالتَّعرُّفِ، والمعرفةُ تقعُ بتعريف الحقِّ تعالى، والعلمُ يُدركُ بتعريف الخلق، ثمَّ تجري الفوائدُ بعد ذلك[9].

وقال: العارفُ يَستعينُ بكلِّ شيءٍ، فإذا وصلَ استعانَ بالله عن غيره، وافتقرَ النَّاسُ إليه[10].

---

(1) في (أ): علم المخلوقين.
(2) في (أ): يناغي.
(3) طبقات الصوفية ٢٢٩، المختار ١/ ٣١٣
(4) في (أ): أمنه معه.
(5) في (أ): لأنها عامة به.
(6) طبقات الصوفية ٢٣٠، الكواكب الدرية ١/ ٥١٣.
(7) في طبقات الصوفية ٢٣٠ أبو بكر الزقاق.
(8) في طبقات الصوفية: منه عليهم.
(9) طبقات الصوفية ٢٣٠، المختار ١/ ٣١٤
(10) تهذيب الأسرار ٥٠، وفيه: العارف إلى أن يصل يستعين بكل شيء، فإذا وصل =

وقال: مَثَلُ النَّفْس مثلُ ماءٍ واقفٍ صافٍ طاهر، فإذا حرَّكتَهُ ظهرَ ما تحته من الحَمْأة، وكذلك النَّفْسُ تظهر عند المِحن والفاقة، ومن لم يعرفْ ما في نفسه، كيف يعرفُ ربَّه تعالى؟[1]

وقال أبو محمد الجَريري: سمعتُ أبا سعيد الخرَّاز يقول في معنى قولِ النَّبيِّ عليه السَّلام: «جُبلتِ القلوبُ على حبِّ من أحسنَ إليها»[2] فقال: واعجبًا ممَّن لم يرَ مُحسِنًا إلاَّ الله، كيف لا يَميلُ بكلّيته إليه؟![3]

وقال: كلُّ باطنٍ يُخالفُهُ الظَّاهرُ فهو باطل[4]

وقال: للعارفين خزائنُ أَودعوها علومًا غريبة وأنباءً عجيبة، يتكلَّمون بها بلسانِ الأبدية، ويخبرون عنها بعبارة الأزلية[5]

وقال: إنَّ اللهَ جعلَ الحكمةَ دليلاً عليه ليُؤلف، وجعل العلمَ طريقًا إليه ليُعرف[6]

وقال: لولا أنَّ الله أدخلَ موسى في كنفِهِ لأَصابه مثلُ ما أصابَ الجبل[7]

وقال: رأيتُ إبليسَ في المنام وهو يمرُّ عنِّي ناحيةً، فقلتُ: تعالَ. فقال: أيشٍ أَعملُ بكم؟ أنتم طرحتم عن نفوسِكم ما أُخادع به النَّاس.

= استغنى بالله.

(١) طبقات الصوفية ٢٣١، الكواكب الدرية ١/ ٥١٤.

(٢) حديث رواه أبو نعيم في الحلية ٤/ ١٢١، وابن عدي في الكامل ٢/ ٢٨٧ في ترجمة الحسن بن عمارة، والخطيب في تاريخ بغداد ١١/ ٩٤، والبيهقي في شعب الإيمان ١/ ٣٨١، ٦/ ٤٨١ عن ابن مسعود، وصححَ البيهقي وقفه. وذكر المناوي في فيض القدير ٣/ ٣٤٥ عن أحمد، ويحيى بن معين: أنه ليس له أصل، وهو موضوع.

(٣) طبقات الصوفية ٢٣١، المختار ١/ ٣١١.

(٤) طبقات الصوفية ٢٣١، الرسالة القشيرية ٨٥.

(٥) طبقات الصوفية ٢٣٢، المختار ١/ ٣١٤

(٦) تقدم هذا القول قبل ستة أخبار.

(٧) طبقات الصوفية ٢٣٢.

قلتُ: ما هو؟ قال: الدُّنيا. فلمَّا ولّى عنِّي، التفتَ إليَّ وقال: غيرَ أنَّ لي فيكم لطيفةً. قلتُ: ما هي؟ قال: صحبةُ الأحداث. قال أبو سعيد: وقلَّ من يتخلَّصُ من هذا من الصُّوفية[١]

وقال: المحبُّ يتعلَّلُ إلى محبوبه بكلِّ شيءٍ، ولا يَتَسلّى عنه بشيءٍ، ويتَّبعُ آثاره، ولا يدعُ استخبارَه. وأنشد:

أسائلكم عنها فهل من مُخبِّرٍ فما لي بنعمٍ بعد مكَّتنا علمُ[٢]
فلو كنتُ أدري أين خيَّم أهلُها وأيُّ بلادِ الله إذْ ظَعنوا أمّوا
إذًا لَسَلَكنا مَسْلَكَ الرِّيح خلفَها ولو أصبحتْ نُعمٌ ومِنْ دونها النَّجمُ[٣]

وقال: صحبتُ الصُّوفية ما صحبتُ، فما وقعَ بيني وبينهم خلاف. قالوا: لِمَ؟ قال: لأنِّي كنتُ معهم على نفسي[٤]

وقال: التَّوكُّلُ اضطرابٌ بلا سكون، وسكونٌ بلا اضطراب[٥]

وقال: دخلتُ مرَّةً البادية بغيرِ زادٍ، فأصابتني فاقةٌ شديدة، فرأيتُ المرحلةَ من بعيدٍ، فسُررتُ بأن وصلت، ثمَّ فكَّرتُ في نفسي أنِّي سكنتُ واتَّكلتُ على غيره، فآليت أن لا أدخلَ القريةَ إلاَّ أن أُحْمَلَ إليها، فحفرتُ لنفسي حُفيرةً في الرَّمل، وواريت جسدي فيها إلى صدري، فسمع أهلُ المرحلةِ صوتًا عاليًا في نصف اللَّيل: يا أهلَ المرحلة، إنَّ لله وليًّا حبسَ نفسه في هذا الرَّمل، فالحقوه. فجاء جماعةٌ، فأخرجوني وحملوني إلى القرية[٦]

---

(١) طبقات الصوفية ٢٣٢، الرسالة القشيرية ٨٥، المختار ١/ ٣١٦
(٢) في طبقات الصوفية ٢٣٢: فما لي بنعم مُذ نأت دارُها علم.
(٣) طبقات الصوفية ٢٣٢، المختار ١/ ٣١٤، وستذكر الأبيات ثانية صفحة ٦٦٣
(٤) تهذيب الأسرار ٢٦٦، وفيه: صحبت الصوفية خمسين سنة. والرسالة القشيرية ٨٥، المختار ١/ ٣١٦
(٥) الرسالة القشيرية ٢٦٥ (التوكل)، المختار ١/ ٣١٦
(٦) تاريخ ابن عساكر ٧/ ١٢١، المختار ١/ ٣١٩

وقال: العلمُ ما استعملك، واليقينُ ما حملك[1]

وقال: قال لي بعض مشايخي: عليك بمراعاة سرِّك والمراقبة. قال: فبينا أنا أسير يومًا في البادية إذا بخشخشةٍ خلفي، فهالني ذلك، وأردتُ أن ألتفت، فلم ألتفت، فرأيتُ شيئًا واقفًا على كتفي، ثمَّ انصرفَ وأنا مراعٍ لسرِّي، فالتفتُّ وإذا أنا بسبع عظيم[2]

وقال: من نظرَ بنور الفِراسة، نظر بنورِ الحقِّ، ويكون مواد علمه من الحقِّ عليه، بلا سهوٍ ولا غفلةٍ؛ بل حكمُ حقٍّ جرى على لسان عبدٍ[3]

وقال: المُستنبِطُ: من يلاحظُ[4] الغيب أبدًا، ولا يغيبُ عنه، ولا يَخفى عليه شيء، وهو الذي دلَّ عليه قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَسۡتَنۢبِطُونَهُۥ مِنۡهُمۡۗ﴾ [النساء: ٨٣]، والمتوسِّمُ: هو الذي يعرف الوسم، وهو العارف بما في سُويد القلب بالاستدلال والعلامات، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّلۡمُتَوَسِّمِينَ﴾ [الحجر: ٧٥]، أيْ للعارفين بالعلامات التي يُبديها على الفريقين من أوليائه وأعدائه، والمتفرِّسُ: ينظرُ بنور الله، وذلك سواطعُ أنوارٍ لمعتْ في قلبه، فأدركَ بها المعاني، وهو من خواصِّ الإيمان، والذين هم أكثرُ منه حظًّا الربَّانيون الذين قال الله: ﴿كُونُواْ رَبَّٰنِيِّـۧنَ﴾ [آل عمران: ٧٩]، يعني عُلماء حكماء مُتخلِّقين بأخلاق الحقِّ نظرًا وخُلقًا، وهم فارغون عن الإخبار عن الخلق والنَّظر إليهم، والاشتغال بهم[5]

وقال: دخلتُ المسجدَ الحرام، فرأيت فقيرًا عليه خِرقتان يسألُ شيئًا، فقلتُ في نفسي: مثلُ هذا كلٌّ على النَّاس! فنظر إليَّ وقال: ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ فَٱحۡذَرُوهُۚ﴾ [البقرة: ٢٣٥]. قال: فاستغفرتُ في سرِّي،

---

(١) تهذيب الأسرار ٨٩، تاريخ دمشق ٧/ ١١٤

(٢) الرسالة القشيرية ٢٨٥ (اليقين)، تاريخ دمشق ٧/ ١١٤

(٣) الرسالة القشيرية ٣٤٣ (الفراسة)، وأول القول في المختار ١/ ٣١٦.

(٤) في (أ): من يلاحظه.

(٥) الرسالة القشيرية ٣٤٤ (الفراسة).

فناداني وقال: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ﴾[1] [الشورى: ٢٥].

وقال: إذا أرادَ اللهُ أن يوالي عبدًا من عَبيده، فتحَ عليه بابَ ذِكره، فإذا استلذَّ الذِّكرَ، فتح عليه باب القُرب، ثمَّ رفعه إلى مَجالس الأُنس، ثمَّ أَجلسه على كرسيِّ التَّوحيد، ثمَّ رفع عنه الحُجُبَ، وأَدخله دار الفَردانية، وكشفَ له عن الجلالِ والعظمة، فإذا وقعَ بصرُه على الجلالِ والعظمة بقي بلا هو، فحينئذ صارَ العبدُ زمنًا فانيًا، فوقعَ في حفظِهِ سبحانه، وبرئَ من دعاوى نفسه[2]

وسُئل عن أهل التَّصوف، فقال: أقوامٌ أعطوا حتَّى بسطوا، ومُنعوا حتَّى فقدوا، ثمَّ نُودوا من أسرار قربه: ألا فابكوا علينا[3]

وقيل له: لِمَ تأخَّرَ رفقُ الأغنياءِ عن الفقراء؟ فقال: لثلاثِ خصال: لأنَّ ما في أيديهم غيرُ طيِّبٍ، ولأنَّهم غيرُ موفَّقين، ولأنَّ الفقراء مُرادون بالبلاء[4]

وقال: كنتُ في جامع قيروان يومَ جمعةٍ، فرأيتُ رجلاً يدورُ في الصَّفِّ ويقول: تصدَّقوا عليَّ؛ فقد كنتُ صُوفيًا فضعفتُ. فرفقتُهُ بشيءٍ، فقال لي: مُرْ ويلك، ليس من ذاك. ولم يقبل الرِّفقَ[5]

وقال: أوَّلُ مقامٍ لمن وجدَ علمَ التَّوحيد، وتحقَّقَ بذلك فناءُ ذكرِ الأشياء عن قلبه، وانفرادُه بالله تعالى[6]

وقال رُويم بن أحمد: حضرتُ وفاة أبي سعيد الخرَّاز وهو يقول في آخرِ نَفَسِهِ:

---

(١) تهذيب الأسرار ٣٢٥، المختار ١/ ٣١٦، روض الرياحين (الحكاية: ٧٥).

(٢) الرسالة القشيرية ٣٧٨ (الولاية)، المختار ١/ ٣١٧، روض الرياحين صفحة ٤٨.

(٣) الرسالة القشيرية ٤٠١ (التصوف)، تهذيب الأسرار ٢٦

(٤) المختار ١/ ٣١٧

(٥) الرسالة القشيرية ٤٠٤ (التصوف).

(٦) المختار ١/ ٣١٧، وسيذكره المؤلف ثانية قبل نهاية هذه الترجمة بخبر

حنينُ قلوبِ العارفين إلى الذِّكرِ ... وتذكارُهم وقتَ المُناجاةِ للسِّرِّ
أُديرتْ كؤوسٌ للمنايا عليهمُ ... فأَغْفَوا عنِ الدُّنيا كإغفاءِ ذي السُّكرِ
همومُهُمُ جوَّالةٌ بمعسكرٍ ... به أهلُ ودِّ اللهِ كالأنجُمِ الزُّهرِ
فأجسامُهُم في الأرضِ قتلى بحبِّهِ[1] ... وأرواحُهم في الحُجبِ نحو العُلى تسري
فما عرَّسوا[2] إلاَّ بقُربِ حبيبهم[3] ... وما عرّجوا عن مسِّ بؤسٍ ولا ضُرّ[4]

وقيل للجُنيد: إن أبا سعيد الخرَّاز كان كثيرَ التَّواجدِ عند الموت. فقال: لم يكن بعجيب أن تطيرَ روحُه اشتياقًا[5]

وقال: كنت بمكَّة، فخرجتُ يومًا من باب بني شيبة، فرأيت شابًّا حسنَ الوجه، وهو ميتٌ، فنظرتُ في وجهه، فتبسَّمَ في وجهي، وقال لي: يا أبا سعيد، أما علمتَ أنَّ الأحبابَ أحياءٌ وإن ماتوا؟ وإنَّما يُنقلون من دارٍ إلى دار[6]

وقال: كنتُ في بعضِ أسفاري، وكان يظهر لي كلَّ ثلاثة أيام شيءٌ[7] آكلُهُ وأستقلُّ به، فمضى ثلاثةُ أيام ما أكلتُ وقتًا من الأوقات شيئًا، ولم يظهر لي شيءٌ، فضعفتُ وجلستُ، فهتفَ بي هاتف: أيُّما أحبُّ إليك سَبَبٌ أو قوَّة؟ فقلتُ: القوة. فقمتُ من وقتي، ومشيتُ اثني عشر يومًا، ولم أذُقْ شيئًا، ولم أضعُفْ[8]

---

(١) في تهذيب الأسرار: تبلى بحبه، وفي طبقات الأولياء: تحيا بحبه.
(٢) جاء في هامش (أ): التعريس: النُّزول آخر الليل.
(٣) في (ب): نحو مليكهم.
(٤) تهذيب الأسرار ٥٤٣، تاريخ دمشق ٧/ ١٢٢، طبقات الأولياء ٤٥، روض الرياحين ٢٥١ (الحكاية: ١٧٧).
(٥) الكواكب الدرية ١/ ٥١٥.
(٦) تهذيب الأسرار ٥٨، روض الرياحين ٢٤٧ (الحكاية: ١٧٠).
(٧) في (أ): أيام ظبي.
(٨) تهذيب الأسرار ٣٥٨، المختار ١/ ٣١٧

وقال: المعرفةُ تأتي [القلب من وجهين:] من عينِ الجود، وبَذلِ المجهود[1]

وقيل له: هل يصيرُ العارفُ إلى حالٍ يجفو عليه البكاء؟ فقال: نعم، إنَّما البكاءُ في أوقاتِ سيرهم إلى الله، فإذا نزلوا إلى حقائق القرب، وذاقوا طعمَ الوصول من بَرِّهِ زالَ عنهم ذلك[2]

وقال: رأيتُ النَّبيَّ ﷺ في المنام، فقلت له: يا رسول الله، اعذرني، فإنَّ محبَّةَ الله شغلتني عن محبَّتِك. فقال: يا مُبارك، من أحبَّ الله فقد أحبَّني[3]

وقال أبو القاسم بن مَرْدَان[4] النَّهاوندي: كنتُ أنا وأبو بكر الورّاق مع أبي سعيد الخرَّاز نمشي على ساحل البحر نحو صيدا، فرأى شخصًا من بعيد، فقال: اجلسوا، لا يخلو هذا من أن يكون وليًّا من أولياء الله تعالى. قال: فما لبثنا أن جاءَ شابٌّ حسنُ الوجه، وبيده ركوةٌ، ومعه مَحبرةٌ، وعليه مُرقَّعة، فالتفت إليه أبو سعيد مُنكرًا عليه بحمله المَحبرة مع الرَّكوة، فقال له: يا فتى، كيف الطَّريقُ إلى الله تعالى؟ فقال: يا أبا سعيد، أَعرفُ إلى الله طريقين: طريقًا خاصًّا وطريقًا عامًّا، فأمَّا الطَّريقُ العام فالذي أنت عليه، وأمَّا الطَّريقُ الخاص فهَلمَّ. ثمَّ مشى على الماء حتَّى غابَ عن أعيننا، فبقي أبو سعيد حيرانَ ممَّا رأى[5]

وقيل كان لأبي سعيد الخرَّاز ابنٌ ماتَ قبله، فرآه في المنام فقال له:

---

(١) حلية الأولياء ١٠/ ٢٤٧، وما بين معقوفين مستدرك منه.
(٢) تاريخ دمشق ٧/ ١١٢
(٣) الكواكب الدرية ١/ ٥١٥
(٤) في الرسالة القشيرية: مروان.
(٥) الرسالة القشيرية ٥٠٨ (كرامات الأولياء)، تهذيب الأسرار ٣٦٨، صفة الصفوة ٤/ ٤٧٠، المختار ٥/ ٣٤٣، روض الرياحين ٣٦٢ (الحكاية: ٣١٣).

يا بُنيّ، أَوصني. فقال: يا أبةِ، لا تعاملِ الله على الجبن[1] فقال: يا بُنيّ، زدني. فقال: لا تخالفِ الله فيما يُطالبك به. فقال: زدني. فقال: لا تجعلْ بينك وبين الله قميصًا. قال: فما لبسَ قميصًا ثلاثين سنة[2]

وقال: رأيتُ إبليسَ في المنام، فأخذت عَصاي لأضربه، فقيل لي: إنَّه لا يفزع منها، إنَّما يَخافُ هذا من نورٍ يكون في القلب[3]

وقال: رأيتُ غلامًا نائمًا، وكان رجلٌ من الشَّرِّ يهواه، فتبعَه ذات يومٍ في فلاةٍ من الأرض، فلمَّا أحسَّ به وراَه، فرَّ من بين يديه، فصادف بئرًا كبيرًا واسع الرَّأس، فهالَهُ، ثمَّ التفتَ إلى الرَّجل، فقال له: انصرف عنِّي وإلَّا ألقيتُ نفسي في هذا البئر. فأبى، فألقى الغلامُ نفسَه في البئر، فوقف في الهواء بين الأرض والسَّماء، ثمَّ نظر، فإذا مغارةٌ في البئر، فسمَّى ودخل[4] المغارة، ثمَّ قال للرجل وهو يطلع في البئر: كيف رأيتَ قدرةَ الله تعالى؟ فقال: اخرجْ، فأنا تائبٌ إلى الله. فرقا الغلامُ في الهواء حتَّى صعِدَ إلى رأسِ البئر[5]

وقال: ينبغي للصوفي أن يكونَ لطيفَ اللِّبسة، ملازمَ الخلوة، حسنَ الصِّيانة، لا يَطلبُ الأسباب إلَّا عند وجود الفاقات، وإلَّا فهو والمكذِّبين سواء.

وسُئل عن حقيقة الزُّهد، فقال: هو تركُ الصَّافي والشُّبهة، واطراح الكلفة، وإسقاطُ الهمِّ بما تولَّى الله القيام به.

وقيل له: إنَّ أقوامًا تظهر عليهم سرعةُ الانتساب إلى الله تعالى عند الحوادثِ ونزولِ الأحكام. فقال: إنَّ أبعدَ النَّاسِ من الله مَنْ يدَّعي المعرفةَ

---

(١) في تاريخ دمشق: على الحمق.
(٢) تهذيب الأسرار ٥٥١، تاريخ دمشق ٧/ ١١٢
(٣) تهذيب الأسرار ٥٥٨، تاريخ دمشق ٧/ ١١٥
(٤) في (ب): في البئر، فمشى في الهواء حتى دخل المغارة.
(٥) انظر الخبر صفحة ٩٠١، ٩٠٢ مع تخريجه

والقُرب، وأكثرُهم إليه إشارةً أمقتُهم عنده[1]

وقال: إذا خرستِ الألسنُ عن الأذكار، نطقتِ القلوبُ بالافتقار.

وذكروا عنده يومًا جميلَ أخلاق المؤمن، فقال: إنَّ للمؤمن المنتسب إلى المعرفةِ المُشار إليه بها أخلاقًا جميلة كثيرة، أحدُها أنَّك لا ترى في شيمته عند سؤالك له في حاجةٍ أن يقول: لا، وليس يجمل به عند الحاجة إليه، أو حادثات الواردات[2] قول ليستوي ظاهرُه وباطنه، وذلك أنَّه يحتشمُ في ضميره عند صفاء نظرِهِ إلى كرمِ صفات الحقِّ[3] سبحانه، فيقول: لا

وقال: بقيتُ إحدى عشرة سنة أتردَّدُ من مكَّةَ إلى المدينة، ومن المدينة إلى مكَّة أُريد أحجُّ حجَّةً لا أرى مكَّة وأرى ربَّ مكَّة، فما صحَّ لي منه نَفَسٌ، فلمَّا كان بعد إحدى عشرة سنة [و]أنا راجعٌ من المدينة إلى مكَّة تراءى لي[4] بعضُ الجنِّ، فقال لي: يا أبا سعيد، قد واللهِ رحمتُكَ من كثرة تردادك في هذه المواضع، وقد حضرني فيك أبياتٌ فاسمع. فقلتُ: هات. فأنشأ يقول:

أَتيه فلا أَدري من التِّيهِ من أنا ... سوى ما يَقولُ النَّاس فيَّ وفي جِنسي
أَتيـهُ علـى جـنِّ البـلادِ وإنسِهـا ... فإنْ لم أجد خَلقًا أَتيهُ على نفسي

قال أبو سعيد: فقلتُ له: اسمع يا مَنْ لا يُحسنُ يقول، إنْ كنتَ تُحسنُ أن تسمع، وأنشأتُ أقول:

أيا من يَرى الأَسبابَ أَعلى وجودِهِ ... ويَفـرحُ بـالتِّـيهِ الـدَّنـيِّ وبـالأنـسِ

(١) تاريخ دمشق ٧/ ١١٧

(٢) في (أ): أو حادثًا من الواردات.

(٣) في (أ): صفاء الحق.

(٤) في (أ): تزيَّا لي.

فلو كنت من أهل العلو لغبت عن — مباشرةِ الأملاكِ والعرشِ والكرسي[1]
وكنـتَ بـلا حـالٍ مـع الله واقفًـا — تُصان عن التَّذكارِ للجنِّ والإنسِ
ألا اسمعْ صفاتي في الوجودِ فإنني — إذا غبتُ عن نفسي كغيبوبةِ الشَّمسِ
وقامتْ صِفاتي بالمليكِ بأَسْرِها — وغابتْ صِفاتي حين غبْتُ عن الحسِّ[2]
وغابَ الذي من أجلِهِ كان غيبتي — فذاك فَنائي فافهموا يا بَني جِنسي
فهذا وجودي في المَغيبِ وحاله — أُقرُّ به حتَّى يُواري الثَّرى رمسي
ولستُ أُبالي بعد موتي بمصرعي — ولو صيَّر المَحبوبُ دارَ الشقا حبسي
إذا كان ودِّي في ضميري ثابتًا — وكان يراني فهو أَعذبُ من[3] عرسي[4]

وقال: خرجتُ ليلةَ جمعةٍ من المسجد الحرام منتصف شهرِ رمضان أُريد أَصعد أبا قُبيس[5]، فاتفق معي أسودُ، عليه مدرعةُ صوفٍ سوداء، فكان لا يزيدُ على قوله: يا هو، أنت هو. فلمَّا أكثرَ أعجبني أمره، فقلت له: أنت مجنون؟ فقال: المجنون من مَشى أكثرَ من ألفِ خطوةٍ ولم يذكرْ ربَّه. فقلت له: الذِّكرُ عندنا بالقلب. فقال: الذِّكرُ عند العقلاء[6] بالقلبِ واللِّسان. ثمَّ ذهب وتركني، فندمتُ على كلامي له بذلك، ثمَّ لم أره[7] بعد ذلك.

---

(١) البيت في الرسالة القشيرية، وطبقات الأولياء، وروض الرياحين:
فلـو كنـت مـن أهـل الـوجـود حقيقـةً — لغبتَ عن الأكوان والعرش والكرسي
وفي تاريخ دمشق: أهل الدنوّ لغبت عن مباشرة الأملاك.
(٢) في (ب): وقامت صفاتي للمليك. عن الجنس.
(٣) في تاريخ دمشق: وكان يراني في العذاب فَهْوَ عُرسي.
(٤) تاريخ دمشق ٧/ ١١٩، ١٢٠، وانظر: الرسالة القشيرية ١٣٠ (التواجد)، طبقات الأولياء ٤٤، وفيهما ثلاثة أبيات من قصيدة أبي سعيد فقط.
(٥) أبا قبيس: جبل بمكة. القاموس.
(٦) في (ب): عند الغفلاء.
(٧) في (ب): فندمت على كلامه، ثم لم أره.

وقال: إذا صدقَ المُريدُ في بدايته[١]، أيَّدَهُ الله بالتّوفيق، وجعلَ له واعظًا من نفسه كما رُوِيَ في الحديث. وذلك أنِّي أَصبتُ ميراثًا، فكنتُ آخذُ منه القوتَ، وأتقلَّلُ فيه شيئًا موزونًا[٢] لكلِّ يومٍ، ولزمتُ العزلة، فكأنِّي خُوطبت في سرِّي، ثمَّ سمعتُ قائلاً يقول فيَّ: إذا أنتَ أكلتَ الطَّعامَ في كلِّ ليلةٍ، فبماذا تفضلُ على سائر النَّاس؟ لكنِ اجعلْه في كلِّ ليلتين أكلةً. فلزمتُ ذلك وقتًا، وصعُبَ عليَّ جدًا لا من طريقِ نفسي وامتناعها عليَّ، ولكنْ لعلمي بأنَّ الطّيَّ[٣] مَنْزِلةٌ عظيمةٌ عاليةٌ، وهبةٌ من الله جزيلةٌ رفيعة لا يُعطيها إلاَّ مَنْ عرفَ قدرها، ورغبتُ إلى الله فيها، وسألته إدامتها لي، والتَّفضُّلَ بها عليَّ، فوهبها لي بفضله، فكنتُ آكلُ ذلك القوت الذي كنت آكلُه في ليلةٍ واحدةٍ. أتناولُهُ في ليلتين، وكنتُ اللَّيلةَ التي أَطويها، يأتيني شخصٌ جميلُ الوجه، حسَنُ البشر، نظيفُ الثِّياب، بجامٍ أبيضَ فيه عسلٌ، فيقول لي: كُلْ. فألعقُهُ، فأُصبحُ شبعانًا[٤]، وهذا في المنام، ثمَّ فَني القوتُ الذي ادخرتُهُ، فكنتُ أَجيءُ بعض الطّرقات[٥] إذا اختلطَ الظَّلامُ إلى مواضعِ أصحابِ البقل، فأتقمَّمُ[٦] منه ما سقطَ منهم، فبقيت على ذلك وقتًا كثيرًا. ثمَّ كنتُ أخيطُ القميص في القرية لقومٍ مساكين، وأكتفي بأجرتِهِ أيامًا، فبينا أنا يومًا مارًّا أُريدُ القريةَ في طلبِ الخياطة، رأيتُ مسجدًا في وسط مقبرةٍ، وفيه سِدرةٌ كبيرةٌ فيها نبقٌ[٧]

---

(١) في (ب): في إرادته.
(٢) في (أ): منه شيئًا موروثًا.
(٣) الطَّيُّ: خمص البطن من الجوع. اللسان (طوي).
(٤) كذا في (أ) و(ب).
(٥) في (أ): وهذا أراه في المنام، ثم فني القوت الذي كنت ادخرته، فكنت أجيء في بعض.
(٦) أتقمَّمُ: أتتبع الكناسات.
(٧) السِّدر من الشجر سدران: أحدهما بريٌّ لا ينتفع بثمره، والثاني ينبت على الماء، يشبه شجر العنَّاب، وثمره النبق، وهو أصفر يتفكَّه به اللسان (نبق، سدر).

أخضرُ مُباح، فقلتُ في نفسي: هذا المُباح ههنا، وأنت تُريدُ معاشرةَ النَّاسِ ومعاملتهم؟! فلزمتُ المقابر أتقلَّلُ من ذلك النَّبقِ، وآخذ منه دون البُلغةِ حتَّى فَني النَّبق، ولم يبقَ منه شيءٌ، ثمَّ بقيتُ بعد ذلك سنين قوتي العظام، ثمَّ مكثتُ بعد العظام قوتي الطِّينُ اليابس والرَّطبُ من الأنهار، وكنتُ أحيانًا لا أُفرِّقُ بين الطِّين الرَّطبِ إذا أخذتُهُ من النَّهرِ وبين الخَبيصِ من طيبتِهِ عندي، وما وجدتُ لاختلاف هذه الأحوال ضعفًا من عقلي ولا ضعفًا من بدني(١)، وكنتُ عند أكل الطَّعام أضعف(٢)

وقال: لا يكونُ شريفًا أبدًا من لا تسكنُ صفتُه إلاَّ بالغذاء، وإذا صارتِ الأذكارُ هي الغذاء فقد وقع الشَّرفُ الأعلى، وامتحى الوصفُ الأدنى(٣)

وقال: كنتُ بالبادية، فنالني جوعٌ شديد، فغلبتني نفسي أن أسألَ الله [طعامًا، فقلتُ: ليس هذا من فعال المتوكِّلين، فطالبتني أن أسأل الله] صبرًا. فلمَّا هممتُ بذلك، سمعتُ هاتفًا يقول:

ويــزعــمُ أنَّــه منَّــا قــريــبٌ　　　وأنَّــا لا نُضَيِّــعُ مــن أتــانــا

ويســألنــا القُــوَى جهــدًا وصبــرًا　　　كــأنَّــا لا نَــراه ولا يَــرانــا

قال أبو سعيد: فأخذني الاستقلال من ساعتي، فقمت ومشيت(٤)

وقال: شهدتُ إبراهيمَ الهروي بمكَّة، وكان شيخًا كبيرًا، فقال لنا يومًا: أنا خرجتُ من خُراسان معه على شريطة، وذلك أنِّي قلتُ له: أريدُ أن تُوطِّئَ لي البلادَ والعباد، وكان قدومُه راكبًا، وقد ضعفَ عن المشي بعد أن كان يسيح، قال: فبينا أنا في أرضٍ فلاةٍ في بعض سياحتي، وقد بقيت أيامًا كثيرةً لم أرَ فيها أحدًا من النَّاس ولا طائرًا ولا ذا روح، وكنتُ

---

(١) في تاريخ دمشق: ضيقًا من عقلٍ ولا ضعفًا من بدن.
(٢) تاريخ دمشق ٧/ ١١٦، المختار ١/ ٣١٧.
(٣) الكواكب الدرية ١/ ٥١١، وفيها: لا يسكن جوعه إلا بالغذاء
(٤) تاريخ ابن عساكر ٧/ ١٢٠، وما بين حاصرتين مستدرك منه، المختار ١/ ٣١٩.

في ذلك مستقلاً بلا طعامٍ ولا شراب، فوقعَ في نفسي شيءٌ من العجبِ، فخرج عليَّ شخصٌ مع الخاطر، لا أَدري من أين خرج، فقال لي: يا إبراهيم، ذاك المُرائي تعرفُهُ؟ قلتُ: أنا هو. قال: وكان إلى جنبي شجرةٌ، فقال لي: قلْ لهذه الشَّجرة تحمل دنانير. فقلتُ: احملي دنانير فلم تحمل، فقال لها ذلك الشَّخصُ: احملي. فإذا هي بشماريخ[1] دنانير معلقة، فاشتغلتُ أنظر إليها، ثمَّ التفتُّ فلم أرَ الشَّخصَ، وذهبتِ الدَّنانير من الشَّجرة[2].

قال أبو سعيد: سمعتُ أيضًا إبراهيم الهروي يقول: بينما رجل في مسيرٍ له في يوم صائف إذ عدلَ إلى شعبٍ[3]، فأصاب فيه مغارةً، قال: فدخلتُ فيها، فما لبث أن دخلَ عليَّ ثعبانٌ كأنَّه النَّخلة، فتطوَّق في شقِّ المغارة، وجعلَ يَنظرُ إليَّ، فقلتُ في نفسي: لعلّي رزقٌ له، فلم يُهلْني أمرُه، فما لبثَ أن خرجَ من المغارة، وأقبلَ إليَّ، وفي فيه رغيفٌ حُوَّارَى[4] قد ذهب منه عضَّةٌ، فوضعه عند رأسي، ورجع إلى موضعه، فتطوَّق فيه، فقمتُ وأكلتُ الرَّغيف، فلمَّا بردَ النَّهار، خرجتُ، فسرتُ، فلقيتني الرُّفقةُ، فقالوا: من أين جئتَ؟ فقلتُ. من هذا الشِّعب. قالوا: هل رأيتَ ما رأينا؟ فقلتُ: وما هو؟ قالوا: اعترضَ علينا في الرُّفقة ثعبانٌ، وقام على ذنبه ونفخَ، وكان معنا إنسانٌ ظريف فيه تأدُّبٌ، فقال أظنُّه جائعًا. فرمى إليه رغيفًا من الحُوَّارَى، فأخذه الثُّعبانُ ومضى، فقلتُ لهم: أنا أكلتُ ذلك الرَّغيف، ومضيت وخلَّيتُهم[5].

---

(١) الشماريخ جمع شِمراخ: العثكال عليه بُسر أو عنب. القاموس.

(٢) انظر صفة الصفوة ٤/ ١٣٣، المختار ١/ ٢٦٦، وكلاهما في ترجمة إبراهيم بن علي الخراساني الهروي.

(٣) في (أ): عدل عن الطريق إلى شعب.

(٤) الحُوَّارَى: الدقيق الأبيض، وهو لباب الدقيق. القاموس.

(٥) صفة الصفوة ٤/ ١٣٣، المختار ١/ ١٦٧، في ترجمة إبراهيم بن علي الهروي.

وقال: لا تغترُّوا بصفاء العبودية؛ فإنَّ فيها نسيانَ الرُّبوبية، فمن شهدَ صُنعَ الرُّبوبية في إقامةِ العبودية، انقطعَ عن نفسه، وسكنَ إلى ربِّه، حينئذٍ يسلمُ من الاستدراج، والاستدراجُ فقدانُ اليقين؛ لأنَّ باليقين يستفيدُ فوائد[1] باطنه، ومن فقدَ فوائدَ باطنه اشتغلَ بظاهره، واستكثرَ من نفسه حركاته وسعيه لغيبوبته عن المنَّة[2].

وقال: رأيتُ رجلًا في طريق مكَّة، ليس معه زادٌ ولا ركوة ولا شيءٌ، فقلتُ له: إلى أين؟ فقال: إلى بيت سيِّدي ومولاي أزورُهُ. فقلتُ له، بلا زادٍ ولا راحلةٍ ولا ماء؟[3] فقال: أنا زائرٌ آخذُ معي زادًا وماءً، فأضعه على مائدةِ مولاي! وتركني ومضى.

وقال: معاداةُ الفقراء بعضهم بعضًا غيرةٌ من الحقِّ عليهم؛ لئلا يسكنَ بعضُهم إلى بعض[4].

وقال: أوَّلُ مقام مَنْ وجدَ التَّوحيد وتحقَّقَ بذلك فناءُ ذكرِ الأشياء من قلبه، وانفرادُهُ بالله سبحانه[5].

وقال أيضًا: أوَّلُ علامةِ التَّوحيد خروجُ العبدِ عن كلِّ شيءٍ، وردُّ جميع الأشياء إلى متولِّيها، حتَّى يكون المتولِّي بالمتولِّي ناظرًا إلى الأشياء، قائمًا بها، مُتمكِّنًا منها، ثمَّ يخفيهم في أنفسهم من أنفسهم، ويميتُ أنفسهم في أنفسهم ويطهِّرهم لنفسه.

* * *

---

(١) في (ب): يستعين فوائد.

(٢) بداية الخبر في تهذيب الأسرار ١٩٦، المختار ١/ ٣١٧.

(٣) في (ب): بلا زاد ولا ماء.

(٤) تهذيب الأسرار ١٥٦، ٥٤١، المختار ١/ ٣١٧.

(٥) تقدم صفحة ٤٨٢، وانظر الحاشية (٦).

(٤٠) أبو عبد الله المغربي[*]

ومنهم: أبو عبد الله محمد بن إسماعيل المغربي رحمه الله.

كان أستاذَ: إبراهيم الخوَّاص، وإبراهيم بن شَيْبان[١]

صحب: عليَّ بن رزين، وعاشَ مئةً وعشرين سنة، وماتَ على جبل طور سَيناء، وقبرُه فيه مع قبر أستاذه علي بن رزين، وكان موتُه في سنة تسع وتسعين ومئتين، وقيل: تسع وسبعين. والأصحُّ تسعٍ وتسعين إن شاء الله[١]

وكان عجيب الشَّأن، لم يأكلْ ممَّا وصلت إليه يدُ بني آدم عدَّةً من السِّنين؛ بل كان يتناول من أصولِ الحشيشِ أشياءَ تعوَّدَ أكلها[٢]

قال رحمه الله: الأبدالُ بالشَّام، والنُّجباءُ باليمن، والأخيارُ بالعراق[٣]

وقال. الفقيرُ المجرَّدُ من الدُّنيا وإن لم يعملْ شيئًا من أعمال الفضائل ذرّةٌ منه أفضلُ من هؤلاء المتعبّدين المُجتهدين، ومعهم الدُّنيا[٣]

(*) طبقات الصوفية ٢٤٢، حلية الأولياء ١٠/ ٣٣٥، الرسالة القشيرية ٨٦، المنتظم ٦/ ١١٣، صفة الصفوة ٤/ ٣٣٦، المختار من مناقب الأخيار ٤/ ٣٥٦، الوافي بالوفيات ٢/ ٢١٠، البداية والنهاية ١١/ ١١٧، طبقات الأولياء ٤٠٢، النجوم الزاهرة ٣/ ١٧٨، نفحات الأنس ١٣٧، الطبقات الكبرى للشعراني ١/ ٩٣، الكواكب الدرية ١/ ٧١٠، جامع كرامات الأولياء ١/ ١٠١

(١) طبقات الصوفية ٢٤٢

(٢) الرسالة القشيرية ٨٦، المختار ٤/ ٣٥٦.

(٣) طبقات الصوفية ٢٤٣.

وقال: أهلُ الخُصوص مع الله على ثلاثِ منازل: قومٌ ضنَّ بهم عن البلاء لئلا يستغرقَ الجزعُ صبرهم، فيكرهون حكمه، أو يكون في صدورهم حَرَجٌ من قضائه. وقوم يضنُّ بهم عن مساكنةِ أهل المعاصي، لئلا تغتمَّ قلوبُهم، فمن أجل ذلك سلمت صدورُهم للعالَم، وقومٌ صبَّ عليهم البلاء صبًا، وصبّرهم وارتضاهم، فما ازدادوا[1] بذلك إلاَّ حُبًّا له، ورضًا بحكمه، وله عبادٌ [منحهم نعمًا تجدَّدُ عليهم، و] أسبغَ عليهم باطنَ العلم وظاهره، وأخملَ ذكرهم[2]

وقال: من ادّعى العبودية، وله مُرادٌ باقٍ فيه، فهو كاذبٌ في دعواه، إنَّما تصحُّ العبودية لمن أفنى مُراداتِهِ، وقامَ بمُرادِ سيِّده، فيكون اسمُه ما سُمِّي به، ونعتُهُ ما حُلِّي به، إذا سُمِّي باسم أجابَ عن العبودية، فلا اسمَ له ولا وسمَ[3]، ولا يُجيبُ إلاَّ لمن يدعوه بعبودية سيِّدِه، ثمَّ بكى أبو عبد الله، وأنشأ يقول:

لا تَـدْعُنـي إلاَّ بيـا عَبْـدَهـا[4] فـإنَّـه أصـدقُ أسمـائـي[5]

وقال: ما رأيتُ أنصفَ من الدُّنيا؛ إن خدمتَها خدمَتْكَ، وإن تركتَها تركتْكَ[6]

وقال: أفضلُ الأعمال عمارةُ الأوقات بالموافقات[7]

وقال: ما فطنتْ إلاَّ هذه الطَّائفة، واحترقَتْ بما فطنت[8]

---

(1) في (أ): فما أرادوا..

(2) طبقات الصوفية ٢٤٤، حلية الأولياء ١٠/ ٣٣٥، المختار ٤/ ٣٥٧.

(3) في (أ): ولا رسم.

(4) في (ب): بيا عبده.

(5) طبقات الصوفية ٢٤٤، ٢٤٥، تهذيب الأسرار ١٩٥

(6) طبقات الصوفية ٢٤٣

(7) طبقات الصوفية ٢٤٣، المختار ٤/ ٣٥٧

(8) طبقات الصوفية ٢٤٥.

وقال: الفقراءُ الرَّاضون أمناءُ الله في الأرض، وحُجَّتُه على عباده، بهم يدفع البلاءَ عن الخلق[1]

و: الفقيرُ الذي لا يرجعُ إلى مُستندٍ في الكونِ غير الالتجاء إلى مَنْ إليه فقره ليُغنيه بالاستغناء به كما عزَّزه بالافتقار إليه[2]

و: أعظمُ النَّاس ذلاً فقيرٌ داهن غنيًا وتواضعَ له، وأعظمُ الخلقِ عزًّا غنيٌّ تذلَّل لفقير، أو حفظَ حرمته[3]

وأنشد لنفسه:

يـا مَـنْ يَعُـدُّ الـوِصـالَ ذَنْبًـا ... كيـفَ اعتـذاري ولـي ذُنـوبُ[4]

إن كـان ذَنبـي إليـك حُبّـي ... فـإنّنـي منـه لا أَتـوبُ[5]

ورُوِي أنّه كان يُسافر أبدًا ومعه أصحابه، وكان يكون مُحرمًا، فإذا تحلَّلَ من إحرامه أحرمَ ثانيًا، ولم يَتسخْ له ثوبٌ، ولا طالَ له ظُفرٌ ولا شَعَر، وكان يَمشي معه أصحابُه باللَّيل وراءه، فكان إذا حادَ أحدُهم عن الطَّريق يقول: يمينك يا فلان، يسارَكَ يا فلان[6]

وقال: العارفُ تُضيءُ له أنوارُ العلم، فيبصرُ بها عجائب الغيب.

وقال إبراهيم بن شَيبان: بينما أبو عبد الله المغربي يومًا قاعدًا في جبلِ الطُّورِ يتكلَّمُ على أصحابه، وفي القوم شابٌّ أشقرُ حسنُ السَّمت، فذكرَ الشَّيخ شيئًا من العلم، فرأيتُ ذلك الشَّابَّ وقد تغيَّرَ لونُه، واجتمع حتَّى صارَ مثلَ الصَّبيِّ ثمَّ تنفَّس، وكان أيام جفافِ الحشيش، فأحرقَ ما كان بين

---

(١) طبقات الصوفية ٢٤٥، حلية الأولياء ١٠/ ٣٣٥، المختار ٤/ ٣٥٨

(٢) طبقات الصوفية ٢٤٥، المختار ٤/ ٣٥٨

(٣) طبقات الصوفية ٢٤٤، الحلية ١٠/ ٣٣٥.

(٤) في (أ): من الذنوب.

(٥) طبقات الصوفية ٢٤٤، حلية الأولياء ١٠/ ٣٣٥، طبقات الأولياء ٤٠٣.

(٦) المختار ٤/ ٣٥٦.

يديه من الحشيشِ مِيلاً في ميل[1]

وقال: مررتُ بمفازةٍ بالمغرب عشرينَ يومًا، ما رأيتُ فيها آدميًا، ولم آكلْ من الدُّنيا شيئًا إلاَّ شربة ماء، فبينا أنا أسير إذ لاحَ لي شيخٌ قائمٌ يُصلّي، فقربتُ منه، وقلت: السَّلامُ عليك ورحمةُ الله وبركاته، فسلَّمَ وردَّ السَّلام، فقلتُ: من أنت؟ فقال: خليلُ خليلِ الله إبراهيم، كان مَسكني في الهواء من وقتِ إبراهيم عليه السَّلام حين رموه في النَّار. فقلتُ له: بماذا نلتَ هذه المَنْزلة؟ فقال لي: يا أبا عبد الله، توكَّل، فما في المملكةِ شيءٌ أعزَّ من التَّوكُّلِ. قلتُ له: وما التَّوكُّلُ؟ فقال: النَّظرُ إليه بلا عينٍ تطرف، ولسان ذاكر بلا حركةٍ، ونفس جوَّالة بلا روح. ثمَّ سلَّم عليَّ؛ فإذا هو في الهواء.

وقال إبراهيم بن شيبان: كنتُ مع أبي عبد الله المغربي بالمغرب، وكان له صديقٌ بزَّاز، فلمَّا كان ذات يومٍ بعثَ بغلامه إلى أبي عبد الله، فقال له: ههنا شيء لك فيه فائدة. فقام أبو عبد الله، وقمت معه إلى حانوت ذلك الرَّجلِ، فلمَّا دخلنا وجلسنا أخرجَ سفطًا فيه منديلُ كتَّان، وفي وسطه ثلاثُ خوخات ما رأيتُ أكبر منها ولا أحسنَ بياضًا منها، وعلى جانبٍ منها مكتوبٌ بخضرةٍ: لا إله إلاَّ الله، وعلى الجانبِ الآخر: محمد رسول الله، الثَّلاث خوخات بهذه الكتابة[2]، كأنَّه قد كُتب بالقلم، قال إبراهيم: فقلتُ للتاجر: أيشٍ، تتعجَّبُ من هذا؟ فإنَّ مثلَ هذا موجودٌ عندنا، يُكتبُ على التّفاح في الشَّجر، فتبقى الكتابة على ذلك. فتبسَّمَ التَّاجر، وقال: يا أبا إسحاق، ليس ذا من ذاك، يا غلام، هاتِ السّكين. فناوله سكينًا، وبقي يقطعُ الخوخَ سافًا سافًا[3] حتَّى وصلَ العجم، وإذا هو مكتوبٌ: لا إله إلاَّ الله محمد رسول الله خلقًا

---

(١) المختار ٤/ ٣٥٦، ٣٥٧، روض الرياحين الحكاية (٢١٧).

(٢) في (ب): بهذه المثابة الكتابة.

(٣) الساف في البناء كل صف من اللبن. ومعناها هنا: كل طبقة من طبقات الخوخ.

وقال إبراهيم بن شيبان: كنتُ أَصحبُ أبا عبد الله المغربي، فبعثني مرَّةً إلى عينِ ماء لأحملَ له ماءً، فجاءَ السَّبُعُ إلى الماء من طريق آخر، فالتقينا في مضيقٍ، فجعلَ السَّبُعُ يُزاحمني وأُزاحمه حتَّى سبقتُهُ إلى الماء، وأخذتُ الماء في ركوتي، فجئت إلى الشَّيخ، وهو يبتسم[1]

وقال إبراهيم بن شيبان: ماتَ أبو عبد الله المغربي على جبل الطُّور، ودفنتُهُ إلى جنب قبرِ عليِّ بن رزين[2]

وكان أستاذُه عليُّ بن رزين يذكرُ أنَّه صحب الحسنَ البصري رحمه الله.

وكان يدخلُ إلى قَرْمِيسين[3] على ما رُوي عنه وشاع في النَّاس ذِكره أنّه كان يَشربُ في كلِّ أربعةِ أشهرٍ شربةَ ماء. وسأله رجلٌ من أهل قَرْمِيسين عن هذا، فقال: نعم، وأيشٍ في هذا؟! سألتُ الله أن يكفيني مُؤونة بطني، فكفاني.

وقال: خرجتُ حاجًّا، فبينا أنا في بريّة تَبوك فإذا أنا بامرأةٍ بلا يَدين ولا رجلين ولا عَينين، فتعجَّبتُ منها، ثمَّ قلتُ لها: يا أمةَ الله، من أين أَقبلتِ؟ قالت: من عنده. قلتُ: فأين تُريدين؟ قالت: إليه. قلتُ: يا سبحان الله، باديةُ تبوك وليس فيها مُغيث، وأنتِ على هذه الحال؟! قالت: يا سبحان الله، غمّض عينيك، فغمضتُهما، ثمَّ فتحتُهما فإذا أنا بها وهي متعلِّقةٌ بأستارِ الكعبة، ثمَّ قالت. يا أبا عبد الله، أَتعجبُ من ضعيفٍ يحمله قويٌّ؟! ثمَّ طارتْ بين السَّماء والأرض[4]

* * *

(١) المختار ٤/٣٥٧

(٢) انظر طبقات الصوفية ٢٤٢، المختار ٤/٣٥٨

(٣) قَرْمِيسين: تعريب كرمان شاه قرب الدينور. بين همذان وحُلوان. معجم البلدان.

(٤) تهذيب الأسرار ٢٤٧.

(٤١) أبو العباس ابن مسروق(*)

ومنهم: أبو العباس أحمد بن محمد بن مَسروق[١] من أهل طُوس. سكن بغداد، وماتَ بها سنة تسع وتسعين ومئتين، وقيل ماتَ في صفر سنة ثمانٍ وتسعين.

صحب: الحارثَ بن أسدٍ المُحاسبي، والسَّري بن المُغلِّس السَّقَطي، ومحمد بن منصور الطُّوسي، ومحمد بن الحسين البُرجُلاني[٢]

وهو من قدماء المشايخ وجلَّتهم وعلماءِ القوم.

وسُئل عن التَّوكُّل، فقال: اشتغالُك عمَّا لك بما عليك، وخروجُك ممّا عليك من ذاك له وإليه[٣]

وقال أيضًا: التَّوكُّلُ اعتمادُ القلب على الله[٤]

(*) طبقات الصوفية ٢٣٧، حلية الأولياء ١٠/٢١٣، تاريخ بغداد ٥/١٠٠، الرسالة القشيرية ٨٦، صفة الصفوة ٤/١٢٨، المنتظم ٦/٩٨، المختار من مناقب الأخيار ١/٣٤٩، سير أعلام النبلاء ١٣/٤٩٤، ميزان الاعتدال ١/١٥٠، العبر ٢/١١٠، مرآة الجنان ٢/٢٣١، طبقات الأولياء ٨٩، لسان الميزان ١/٢٩٢، النجوم الزاهرة ٣/١٧٧، نفحات الأنس ١٣٦، طبقات الشعراني ١/٩٣، الكواكب الدرية ١/٥٢٨، شذرات الذهب ٢/٢٢٧، هدية العارفين ١/٥٥، ٦٥

(١) في (أ): أحمد بن مسروق.

(٢) طبقات الصوفية ٢٣٧

(٣) في طبقات الصوفية ٢٣٩ مما عليك لمن ذلك. حلية الأولياء ١٠/٢١٤، المختار ١/٣٥١.

(٤) طبقات الصوفية ٢٣٩.

وسُئل عن التَّصوف، فقال: خلوُّ الأسرار ممّا منه بدٌّ، وتعلُّقها بما ليس منه بدٌّ[1]

وسُئل عن سماع الرُّباعيات[2]، فقال: إنَّ قلوبَنا قلوبٌ لم تألفِ الطَّاعات طبعًا، وإنَّما أَلِفتها تكلُّفًا، فأخشى إنْ أبحنا لها رخصةً أن تَتخطّى إلى رُخصٍ، فلا أرى سماعَ الرُّباعيات إلاَّ لمُستقيمِ الظَّاهر والباطن، قويِّ الحالِ تامِّ العلم[3]

وقال جعفر الخُلْدي: سألتُ أبا العباس بن مسروق مسألةً في العقل، فقال لي: يا أبا محمد، من لم يحترزْ بعقلِهِ من عقلِهِ لعقله، هلَكَ بعقله[4]

وقال: التَّوكُّلُ الاستسلامُ لجريان[5] القضاء والأحكام[6]

وسُئل عن الزَّاهد، فقال: الذي لا يملكه مع الله سبب[7]

وقال: كثرةُ النَّظرِ في الباطل[8] تُذهبُ بمعرفة الحقِّ من القلب[9]

وقال: علمُ الحال أقربُ إلى اليقين من علمِ القيام، وعلمُ القيامِ أعلى وأشرف[10]

وقال: من كان مؤدبَهُ ربُّهُ لا يغلبُه أحد[11]

---

(١) طبقات الصوفية ٢٣٩، حلية الأولياء ١٠/ ٢١٤، المختار ١/ ٣٥١.
(٢) الرباعيات: الأشعار الغزلية، انظر طبقات الشعراني ١/ ٩٣
(٣) طبقات الصوفية ٢٣٩
(٤) طبقات الصوفية ٢٣٩، حلية الأولياء ١٠/ ٢١٤، المختار ١/ ٣٥٣.
(٥) في (أ)، والمختار: بجريان.
(٦) الرسالة القشيرية ٢٦٥ (التوكل)، المختار ١/ ٣٥١
(٧) في طبقات الصوفية ٢٣٩: مع الله سبب، المختار ١/ ٣٥١.
(٨) في (أ): إلى الباطل.
(٩) طبقات الصوفية ٢٣٩، المختار ١/ ٣٥٢
(١٠) طبقات الصوفية ٢٤٠
(١١) طبقات الصوفية ٢٤٠. المختار ١/ ٣٥٢.

وقال: من راقبَ الله تعالى في خطرات قلبه، عصمَهُ اللهُ في حركات جوارحه[١]

وقال: إن الله وسمَ الدُّنيا بالوحْشة؛ لئلا يكون أُنسُ المطيعين بها[٢]

وقال: مررتُ مع الجُنيد في بعض دروب بغداد، وإذا مُغَنٍّ يُغني ويقول:

منـازلٌ كُنـتَ تَهـواهـا وتـألَفُهـا أيـامَ أنـتَ علـى الأيـامِ مَنصـورُ

فبكى الجُنيد بكاءً شديدًا، ثمَّ قال لي: يا أبا العباس، ما أَطيبَ منازلَ الإلفةِ والأُنس! وأوحشَ مقامات المخالفات! لا أزال أَحِنُّ إلى بدوِّ إرادتي، وجِدَّةِ سعي، وركوبي الأهوال طمعًا في الوصول، وهأنا في أيام الفترة أتلهَّفُ على أوقاتي الماضية[٣]

وقال: أنت في هدمِ عُمرِك، مُنذ خرجتَ من بطنِ أُمِّك[٤]

وقال: المؤمنُ يَقوى بذكر الله، والمُنافق يَقوى بالأكل[٥]

وقال: من تحقَّقَ بالتَّقوى، هانَ عليه الإعراضُ[٦] عن الدُّنيا.

وقال: تعظيمُ حُرمات المؤمنين من تَعظيم حُرمةِ الله، وبه يصلُ العبدُ إلى محلٍّ[٧] حقيقةِ التَّقوى[٨]

---

(١) طبقات الصوفية ٢٤٠، المختار ١/ ٣٥٢.
(٢) في طبقات الصوفية ٢٤٠: أنس المطيعين إلاَّ بالله عز وجل، المختار ١/ ٣٥٢.
(٣) طبقات الصوفية ٢٤٠، تهذيب الأسرار ٧٩، وفيه: أيام كنت على الأيام منصورا، الحلية ١٠/ ٢١٤
(٤) طبقات الصوفية ٢٤٠، المختار ١/ ٣٥٢.
(٥) طبقات الصوفية ٢٤٠
(٦) في (أ): من تحقق عليه التقوى هون عليه الإعراض.
(٧) في طبقات الصوفية: يصل إلى مجمل حقيقة.
(٨) طبقات الصوفية ٢٤١، الرسالة القشيرية ٨٦.

وقال: التَّقوى أن لا تَمُدَّنَّ عينيك إلى زهرة الدُّنيا، ولا تتفكَّرَ بقلبك فيها[1]

وقال: أكثرُ ما يخافُ منه العارفون فوت الحقِّ[2]

وقال: شجرةُ المعرفة تُسقى بماءِ الفكرة، وشجرةُ الغفلةِ تُسقى بماء الجهل، وشجرةُ التَّوبةِ تُسقى بماءِ النَّدامة، وشجرةُ المحبَّةِ تُسقى بماء الاتِّفاق والموافقة والإيثار[3]

وقال: من يكون سرورُهُ بغيرِ الحقِّ، فسرورُه يُورثُ الهموم، ومن لم يكن أُنسُه في خدمة ربِّه فهو من أُنسه في وحشة[4]

وقال: متى طَمعتَ في المعرفةِ، ولم تُحكم قبلها مَدارجَ الإرادة، فأنت في جهلٍ، ومتى طلبتَ الإرادةَ قبل تصحيح مقام التَّوبةِ، فأنت في غفلةٍ ممَّا تَطلبه[5]

وقال ابن مُخَلَّد: أنشدني أبو العباس بن مسروق:

وإنِّـي لأهـواهُ مُسيئـاً ومُحسنـاً وأقضي على قلبي له بالذي يَقضي
فحتَّى مَتى رُوحُ الرِّضا لا يَنالني وحتَّى مَتى أيامُ سُخْطِكَ لا تَمضي[6]

وقال الجَريري: دعانا أبو العباس بن مسروق ليلةً إلى بيته، فاستقبلنا صديقٌ لنا، فقلنا له: ارجع معنا؛ فنحن في ضِيافة الشَّيخ. فقال: إنَّه لم يَدعُني. فقلنا: نحن نستثني[7] كما استثنى رسول الله ﷺ بعائشة[8]،

---

(١) طبقات الصوفية ٢٤١، المختار ١/ ٣٥٢

(٢) طبقات الصوفية ٢٤١

(٣) طبقات الصوفية ٢٤١، وفيها: الاتفاق والمراقبة. المختار ١/ ٣٥٢

(٤) طبقات الصوفية ٢٤١، حلية الأولياء ١٠/ ٢١٤

(٥) طبقات الصوفية ٢٤١، الرسالة القشيرية ٨٧.

(٦) طبقات الصوفية ٢٤١، المختار ١/ ٣٥٢

(٧) جاء في هامش الرسالة القشيرية: أي نستأذن لك عند الدخول.

(٨) روى مسلم في صحيحه (٢٠٣٧) في الأشربة، باب: ما يفعل الضيف إذا تبعه غير من =

فرددناه، فلمَّا بلغنا بابَ الشَّيخ، أخبرناه بما قال، وقلنا له، فقال: جعلتَ مَوضعي من قلبك أن تجيءَ إلى مَنْزلي[١] من غيرِ دعوةٍ! عليَّ كذا وكذا إنْ مَشيتَ إلى الموضع الذي تَقعدُ فيه إلاَّ على خدّي، وألحَّ، ووضعَ خدَّه على الأرض وحُمل الرجلُ، فوضع قدمَه على خدِّه من غير أن يوجعه، وسحبَ الشَّيخُ وجهه على الأرض إلى أن بلغَ إلى موضعِ جُلوسه[٢].

وقال: دخلتُ على شيخٍ[٣] من أَصحابنا أعودُه، فوجدته على حال رثَّةٍ، فقلتُ في نفسي: منَ أينَ يرتفقُ[٤] هذا الشَّيخ؟ فقال: يا أبا العباس، دعْ عنك هذه الخواطر الدَّنيّة، فإنَّ لله تعالى ألطافًا خفيّة[٥].

وقال: قدمَ علينا شيخٌ، فكان يتكلَّمُ في هذا الشأن[٦] بكلام حسن، وكان عذبَ المَنطق، جيِّدَ الخاطر، فقال لنا في بعض كلامه: كلُّ ما وقعَ في خاطرِكم، فقولوه لي. فوقعَ في قلبِي أنَّه يهودي، وكان الخاطرُ يَقوى ولا يزول، فذكرتُ ذلك للجَريري، فكبُرَ ذلك عليه، فقال: لا بدَّ من أن أُخبرَ الرَّجلَ بذلك، فقلتُ له: تقولُ لنا: ما وقعَ لكم في خاطركم، فقولوه لي، وإنَّه يقعُ لي أنَّك يهودي. فأطرقَ ساعةً، ثمَّ رفعَ رأسَه، فقال: صدقتَ، أشهدُ أن لا إله إلاَّ الله، وأَشهدُ أنَّ محمدًا رسول الله. وقال: قد

= دعاه صاحبُ الطعام، واستحباب إذن صاحب الطعام للتابع عن أنس: أن جارًا لرسول الله ﷺ فارسيًا، كان طيب المرق، فصنع لرسول الله ﷺ، ثم جاء يدعوه، فقال: «وهذه؟» لعائشة، فقال: لا، فقال رسول الله ﷺ: «لا». فعاد يدعوه، فقال رسول الله ﷺ: «وهذه؟» قال: لا، قال رسول الله ﷺ: «لا» ثم عاد يدعوه، فقال رسول الله ﷺ: «وهذه؟» قال: نعم في الثالثة، فقاما يتدافعان، حتى أتيا منْزله.

(١) في (أ): إلى موضعي.

(٢) الرسالة القشيرية ٣٤١، ٣٤٢ (الفتوة)، تاريخ بغداد ٥/ ١٠١، المختار ١/ ٣٥٠.

(٣) هو أبو الفضل الهاشمي، انظر تهذيب الأسرار.

(٤) في الرسالة القشيرية: أين يرتزق.

(٥) الرسالة القشيرية ٣٤٧ (الفراسة)، تهذيب الأسرار ٣٢٦

(٦) في (أ): هذا اللسان.

مارستُ جميعَ المذاهب، وكنتُ أقولُ: إن كان مع قومٍ منهم شيءٌ فمع هؤلاء، فداخلتُكم لأختبرَكم، فأنتم على الحقِّ. وحَسُن إسلامه[1]

وقال: رأيتُ ليلةً في المنام كأنَّ القيامة قد قامت، والخَلقُ مُجتمعون، إذ نادى منادٍ: الصَّلاة جامعة. فاصطفَّ النَّاس صفوفًا، فتلقَّاني[2] مَلَكٌ عرضُ وجهه قدرُ ميلٍ في طولِ مثل ذلك، فقال لي: تقدَّم وصلِّ بالنَّاس. فتأمَّلتُ وجهَهُ، وإذا مكتوبٌ بين عينيه: جبرائيل أمين الله، فقلتُ له: فأين النَّبيُّ ﷺ؟ فقال: هو مشغولٌ بنصبِ الموائد لإخوانه الصُّوفية. فقلتُ له: فأنا من الصُّوفية؟ قال: نعم، ولكنْ شَغَلَكَ كثرةُ الحديث. فكدتُ أبكي، فإذا أنا بالجُنيد يُشير إليَّ أن لا تخف، إنَّا لا نأكلُ حتَّى تجيءَ. فانتبهتُ، فيا ليتني كنتُ صلَّيتُ أو أكلت[3]

وقال: كنتُ ألبَسُ المسوحَ واللِّيفَ، وكان والدي في يومِ الجمعةِ يَبكي عليَّ لما يعلمُ منِّي أنِّي لا أنصرف من الجمعة إلاَّ عليلاً لما سمعته من الشُّيوخِ، وكنت أنظر إلى شيوخي، فتكون رؤيتي لهم قوتي من الجمعة إلى الجمعة[4]

وقال الخُلْدي: أنشدني ابن مسروق:

إنِّي لَيهجرُني الصَّديقُ تَجنُّبًا[5] ... فــأُريــه أنَّ لِهَجــرِهِ أسبــابــا
وأَراه إنْ عــاتبْتُــهُ أغــريتُــهُ ... فيكــونُ تَــركــي للعِتــابِ عتــابــا
وإذا بُليــتُ بجــاهــلٍ مُتحكِّــمٍ ... يَجِدُ المُحالَ من الأمورِ صوابا

---

(١) الرسالة القشيرية ٣٥٢ (الفراسة)، تاريخ بغداد ٥/ ١٠٢، المختار ١/ ٣٤٩
(٢) في (ب): فأتاني
(٣) تاريخ بغداد ٥/ ١٠١، المختار ١/ ٣٥١
(٤) المختار ١/ ٣٥١، وانظر صفة الصفوة ٤/ ١٢٨، وفيه: والدتي.. تبكي.. تعلم.
(٥) في (أ): تجنُّبًا

أوليتُـهُ منِّـي السُّكـوتَ وربَّمـا كان السُّكوتُ عن الجَوابِ[١] جوابا[٢]

وقال: حدثني شيخي عبد الله أنَّه مرَّ بحلب أو غيرِها من البلاد، فرأى غلامًا حسنَ الخَلق، جميلَ الوجه، مُعشّق الشَّكل، فوقف بحذائه متعجِّبًا، ينظر إليه من حُسن خَلقه، فنظر إليه الغلامُ، فتقدَّم إليه وقال له: يا غلام، ما أَحسنَ وجهك! فقال: أوتَعجبُ من حُسنِ خَلقي؟! لقد عجبَ اللهُ من حُسني حيثُ خلقني. فغضبتُ غضبًا شديدًا، وقلتُ: اللَّهُمَّ سوِّءْ خَلقَه. فقُلب وجهُه باللَّقوة، وخرجَ في جسده سَلَعةٌ[٣]، فكان يُعتبرُ به، كما كان يُتعجَّبُ من حُسنه.

وقال: كنتُ آوي إلى مسجدِ فيه سِدرةٌ يأوي إليها بُلْبُلان، ففقدَ أحدُهما صاحبَه، وبقي الآخرُ على غصنٍ ثلاثة أيام لا يَنْزل يرعى ولا يَلتقطُ من الأرض شيئًا، فلمَّا كان في اليومِ الثَّالث مرَّ به بُلبلٌ آخرُ، فصاحَ، فذكَّرَهُ صاحبَه، فسقط البُلبلُ الذي كان على الغصن ميتًا[٤]

* * *

(١) في (أ): عن السكوت جوابا.

(٢) المختار ١/ ٣٥٣.

(٣) السَّلَعَة: خراج في العنق، أو غدة فيها، أو زيادة في البدن، تتحرّك إذا حرّكت، وتكون من حمصةٍ إلى بطيخةٍ. القاموس.

(٤) المختار ١/ ٣٥٣، طبقات الأولياء ٨٩.

(٤٢) علي بن سهل الأصبهاني(*)

ومنهم: أبو الحسن علي بن سهل بن الأزهر الأصبهاني رحمه الله، وهو من قدماء مشايخ أصبهان.

كان يُكاتِبُ الجُنيد ويُراسله، وكان من أقرانه.

صحب: ابن مَهْدان، ولقي أبا تُراب النَّخشبي.

ورُوي أنَّه قصدَه عمرو بنُ عثمان المكِّي في دَينٍ كان عليه بمكَّة، ومبلغُه ثلاثون ألفَ درهم، فكتب بديونِه سفاتج[1] إلى مكَّة، ولم يُعلمْه بذلك[2].

قال رحمه الله: المبادرةُ إلى الطَّاعات من علاماتِ التَّوفيق، والتَّقاعدُ عن المُخالفات من علاماتِ حُسن الرِّعاية، ومُراعاةُ الأسرار من علامات التَّيقُّظ، وإظهارُ الدَّعاوى من رُعونات البشرية ومَنْ لم تصحَّ مبادئ إرادته، لا يسلم في مُنتهى عَواقبه[3].

وقال: الغافلون يَعيشون في حلم الله، والذَّاكرون يَعيشون في

(*) طبقات الصوفية ٢٣٣، حلية الأولياء ١٠/ ٤٠٤، ذكر أخبار أصبهان ٢/ ١٤، الرسالة القشيرية ٨٧، صفة الصفوة ٤/ ٨٥، المنتظم ٦/ ١٥٥، المختار من مناقب الأخيار ٤/ ٥٢، نفحات الأنس ١٥٦، طبقات الشعراني ١/ ٩٤، الكواكب الدرية ١/ ٦٨٢، ٢/ ١١٧

(١) السفاتج: جمع سَفتجة، معرب سُفْتة: القرض أو الحوالة بمالٍ تدفعه لمن له مال في بلد آخر لتقبضه في ذلك البلد. متن اللغة.

(٢) طبقات الصوفية ٢٣٣، المختار ٤/ ٥٣.

(٣) طبقات الصوفية ٢٣٤، الرسالة القشيرية ٨٧، المختار ٤/ ٥٤.

رحمة الله، والعارفون يعيشون في لُطف الله، والصَّادقون يعيشون في قُرب الله، والمحبُّون يعيشون في الأُنس بالله والشَّوقِ إليه[١]

وقال: الحضورُ أفضلُ من اليقين؛ لأنَّ الحضورَ وَطَنَاتٌ، واليقينُ خطرات[٢]

وقال: حرامٌ على من عرفَ الله أن يسكنَ إلى غيره[٣]

وقال: من وقتِ آدم عليه السَّلام إلى قيامِ السَّاعة النَّاس يقولون: القلب، القلب. وأنا أُحبُّ أن أَرى رجلاً يصفُ لي أَيش القلب؟ أو كيف القلب؟ فلا أرى[٤]

وقال: الأنس[٥] بالله أن تستوحشَ من الخلق إلاَّ من أهل ولاية الله، فإنَّ الأُنس بأهل ولاية الله هو الأنسُ بالله[٦]

وقال: لا يُعجبك[٧] من الأحمق كثرةُ الالتفات وسُرعة الجواب[٨]

و: العقلُ مع الرُّوح تدعو[٩] إلى الآخرةِ ومخالفةِ الهوى والشَّهوات؛ فلذلك سمِّيَ روحًا[١٠]

وقال: من فَقُه قلبُه أورثَهُ ذلك الإعراضَ عن الدُّنيا وأبنائها، فإنَّ مِنْ جَهْلِ القلب متابعةُ سرورٍ لا يدوم. وأنشد لنفسه:

---

(١) طبقات الصوفية ٢٣٤، المختار ٤/ ٥٤.
(٢) طبقات الصوفية ٢٣٤، الرسالة القشيرية ٢٨٤ (اليقين).
(٣) طبقات الصوفية ٢٣٤، المختار ٤/ ٥٤.
(٤) طبقات الصوفية ٢٣٥
(٥) في (أ): أعلى الأنس.
(٦) طبقات الصوفية ٢٣٥، المختار ٤/ ٥٤
(٧) في (أ): لا يعدمك، وفي طبقات الصوفية: لا يَغرَّنَّكَ.
(٨) طبقات الصوفية ٢٣٥
(٩) في (أ): يدعوه، وفي طبقات الصوفية يدعوان.
(١٠) طبقات الصوفية ٢٣٥.

لَيتنـي مِـتُّ واستـرحـتُ لأنّـي   كُلَّما قلتُ قد قَرُبْتُ بَعُدْتُ[(١)]

وقال: الفقيهُ من لا يدخلُ تحت المَنسوبات إليه[(٢)]

وقال: أعاذنا اللهُ وإيَّاكم من غرورِ حُسنِ الأعمال مع فسادِ بواطن الأسرار[(٢)]

وقال: التَّصوف التَّبرِّي عمَّن دونه، والتَّخلِّي عمَّا سواه[(٣)]

وقال: العقلُ والهوى يتنازعان، فمُعينُ العقل التَّوفيق، وقَرينُ الهوى الخذلان، والنَّفسُ واقفةٌ بينهما، فأيُّهما ظفر كانت في حَيِّزه[(٤)]

وقال: التمستُ الغِنى، فوجدته في العِلم، والتمستُ الفخرَ فوجدتُه في الفَقر، والتمستُ العافيةَ فوجدتُها في الزُّهد، والتمستُ قلَّةَ الحساب فوجدتها في الصَّمت، والتمستُ الرَّاحةَ فوجدتها في اليأس[(٥)]

وقال: رأيتُ النَّاس قد أَسَرَهم تعظيمُ أنفسهم، وتحسينُ ألفاظهم، لا يتفرَّغون منهما إلى من عظَّمهم بتخصيص الخِلقة، وأنطقَ أَلسنَتَهم بتوحيده[(٦)]

وسُئل عن حقيقة التُّوحيد، فقال: قريبٌ من الظُّنون، بعيدٌ في الحقائق. وأنشد لبعضهم[(٧)]:

فقلتُ لأَصحابي هي الشَّمسُ ضوءُها   قـريـبٌ ولكـن فـي تنـاولهـا بُعْـدُ[(٨)]

---

(١) طبقات الصوفية ٢٣٥، المختار ٤/ ٥٤، ولم يذكر فيه بيت الشعر.

(٢) طبقات الصوفية ٢٣٥

(٣) طبقات الصوفية ٢٣٥، المختار ٤/ ٥٥، وفي (أ): التنحي عما سواه.

(٤) طبقات الصوفية ٢٣٥، المختار ٤/ ٥٥.

(٥) طبقات الصوفية ٢٣٦، المختار ٤/ ٥٥، وفيهما: فوجدتها في الإياس.

(٦) طبقات الصوفية ٢٣٦، المختار ٤/ ٥٥.

(٧) البيت في ديوان الحلاج صفحة ٨٨، وهو مما نسب إليه وإلى غيره.

(٨) طبقات الصوفية ٢٣٥.

وقال: استولى عليَّ الشَّوقُ في ابتداء أمري، فألهاني عن الأكلِ والشُّرب، وقطعني عن النَّوم، فرأيتُ بعضَ اللَّيالي في المنام كأنِّي دخلتُ الجنَّةَ، فرأيتُ قصرًا عظيمًا رفيعًا، فقلت: لمن هذا القصر؟ فقيل: لمحمد بن يوسف[1]، ثم أفضيت إلى قصرٍ آخرَ مثله، فقلت: لمن هذا؟ فقيل لي: لك يا أبا الحسن. فاطَّلعتُ على لُعبةٍ غلبَ ضوءُ وجهها كلَّ شيءٍ، فنظرتُ إليها، فأدبرت وهي تقول: أنت لا ترغب فينا. فإذا أنا بصوتٍ ما سمعتُ نغمةً أشجى ولا أحسن منها، وهي تقول:

مقيـــمٌ للخَليـــل بكـــلِّ قلـــبٍ على الرَّضراضِ[2] للخَطرِ العظيم

فظننتُ أنَّها تَعنيني[3]

ورُوي أنَّه كتبَ إلى الجُنيد [و]صدَّر كتابته: توَّجَكَ اللهُ تاجَ بهائه، وحلاَّكَ حِليةَ أهلِ أوليائه[4]، وأودعَك ودائع أحبّائه، وجعلَكَ من أخلصِ خُلصائه، وأشرفَ بك على عظيم بيانه[5]، وهداك وهَدى بك على كلِّ حالٍ مع ما يردُ عليك من دوام الإقبال، وحَبَاكَ مع ذلك بالوصلِ والاتِّصال، لتكونَ يا أخي بين يديه راجي البال[6]، وتعلو رفعتُكَ على كلِّ عالٍ[6]

وقال: ليس موتي كموتِكُم بأعلالٍ وأسقام، إنَّما هو دعاءٌ وإجابة، أُدعى فأُجيب. فكانَ كما قال، وذلك أنَّه كان يومًا قاعدًا في جماعةٍ، فقال: لبَّيك. ووقعَ ميِّتًا[7]

---

(١) هو محمد بن يوسف بن معدان المعروف بالبناء، أبو عبد الله الأصبهاني عروس الزهاد، وهو من أجداد أبي نعيم صاحب الحلية. سير أعلام النبلاء ٩/ ١٢٥

(٢) الرضراض: الحصى الصغار. اللسان.

(٣) حلية الأولياء ١٠/ ٤٠٤، المختار ٤/ ٥٣.

(٤) في (أ): أهل ولائه، وفي حلية الأولياء: أهل بلائه.

(٥) في الحلية: عظيم بنائه.

(٦) في الحلية ١٠/ ٤٠٤: راضي البال. كل حال، وفي المختار ٤/ ٥٤: رَضِيَّ البال.

(٧) حلية الأولياء ١٠/ ٤٠٥، المختار ٤/ ٥٥.

(٤٣) أبو محمد الجَريري(*)

ومنهم: أبو محمد أَحمد بن محمد بن الحسين الجَريري من كبار أصحابِ الجُنيد.

وصحبَ: سهل بن عبد الله التُّستري.

وهو من علماء مشايخ القوم، أُقعِدَ بعد الجُنيد في موضعه لتمامِ حاله، وصحّةِ طريقته، وغزارةِ علمه[1]

ماتَ سنة إِحدى عشرة وثلاثَ مئة[1]

وقال أحمد بن عَطاء الرُّوذباري: مات الجَريري سنة الهَبير[2]، فجزتُ بقبره بعد سنةٍ من موته، فإذا هو مستندٌ جالسٌ، وركبتُه إلى صدره، وهو مُشيرٌ إلى الله بأُصبعه[3]

وقال رحمه الله: التَّنَزُّع[4] إلى استدراكِ علم الانقطاعِ[5] وسيلةٌ،

(*) طبقات الصوفية ٢٥٩، حلية الأولياء ١٠/٣٤٧، تاريخ بغداد ٤/ ٤٣٠، الرسالة القشيرية ٨٨، صفة الصفوة ٢/ ٤٤٧، المنتظم ٦/ ١٧٤، المختار من مناقب الأخيار ١/ ٣٢٠، الكامل لابن الأثير ٨/ ١٤٥، سير أعلام النبلاء ١٤/ ٤٦٧، الوافي بالوفيات ٧/ ٣٧٨، البداية والنهاية ١١/ ١٤٨، طبقات الأولياء ٧١، نفحات الأنس ٢٠٩، طبقات الشعراني ١/ ٩٤. الكواكب الدرية ٢/ ٢٣

(١) طبقات الصوفية ٢٥٩

(٢) الهبير: رمل زَرُود بعيد الكوفة في طريق مكة، كانت عنده وقعة أبي سعيد الجنابي القرمطي بالحاج شهر محرم سنة ٣١٢، قتلهم وسباهم وأخذ أموالهم. معجم البلدان.

(٣) الرسالة القشيرية ٨٨، المختار ١/ ٣٢٤

(٤) في طبقات الصوفية ٢٦٠: التسرع.

(٥) في (ب): إلى الاستدراك علم، والانقطاع

والوقوفُ على حدِّ الانحسار تجاةٌ، واللِّياذُ بالهرب من علمِ الدُّنوِّ وصْلةٌ، واستفتاحُ فقْدِ ترك الجواب ذَخيرةٌ، والاعتصامُ من قبول دواعي استماع الخطاب تكلُّفٌ[1]، وخوفُ فوتِ علم ما انطوى من فصاحةِ الفهم في حينِ الإقبالِ مَساءةٌ، والإصغاءُ إلى ما يَفْضُلُ من معدنه بُعدٌ، والاستسلام عند التَّلاقي جرأةٌ[2]، والانبساطُ في محلِّ الأُنس غرَّةٌ[3].

وقال: رأيتُ في المنام كأنَّ قائلاً يقول: لكلِّ شيءٍ عند الله حقٌّ، وأعظمُ الحقوقِ عند الله حقُّ الحكمةِ، فمَن جعلَ الحكمةَ في غيرِ أهلها طالبَهُ اللهُ بحقِّها، ومن طالبه بحقِّها خُصِمَ[4].

وقيل له: متى يَسقطُ عن العبدِ ثقلُ المعاملة؟ فقال: هيهات، لا بدَّ منها؛ ولكن يقع الحمل فيها[4].

وقال: أدلُّ الأشياءِ على الله ثلاثةٌ: ملكُهُ الظاهر، ثمَّ تدبيرُه في مُلكه، ثمَّ كلامُه الذي يستوفي كلَّ شيءٍ[4].

وقال: من استولتْ عليه النَّفسُ صار أسيرًا في حُكم الشَّهوات، محصورًا في سِجن الهوى، حرَّم اللهُ على قلبه الفوائد، فلا يستلذُّ بكلامه ولا يستحليه، وإن كَثُرَ ترداده على لسانه؛ لأنَّه سبحانه وتعالى يقول: ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾ [الأعراف: ١٤٦]. قال: حتَّى لا يَفهمونه، ولا يجدونَ له لذَّةً؛ لأنَّهم تكبَّروا بأحوالِ النَّفس والخَلْق والدُّنيا، فصرفَ اللهُ عن قلوبهم فَهْمَ مخاطباته، وأغلقَ عليهم سبيلَ فَهْمِ كتابه، وسلبَهم الانتفاعَ بالمواعظ، وحبَسهم في عقولهم وآرائهم، فلا يعرفون طريق الحقِّ ولا يَسلكون سبيله[5].

---

(١) في طبقات الصوفية: الخطاب تلطف.
(٢) في (ب): عند البلاءِ في جرأةٍ.
(٣) طبقات الصوفية ٢٦٠
(٤) طبقات الصوفية ٢٦١، حلية الأولياء ١٠/ ٣٤٨
(٥) طبقات الصوفية ٢٦٢، الرسالة القشيرية ٨٨، المختار ١/ ٣٢٢.

وقال: منذ عشرين سنة ما مددتُ رجلي وقتَ جلوسي في الخلوة، فإنَّ حُسنَ الأدبِ مع الله أَولى[1]

وقال: قِوامُ الأديان، ودوامُ الإيمان، وصلاحُ الأبدان في خلال ثلاث: الاكتفاءُ، والاتّقاءُ، والاحتماء. فمَنِ اكتفى باللهِ صلحَتْ سريرتُهُ، ومَنِ اتَّقى ما نهى عنه استقامَتْ سيرتُهُ، ومَنِ احتمى ممّا لا يوافقه ارتاضَتْ طبيعتُهُ. فثمرةُ الاكتفاء صَفْو المعرفة، وعاقبةُ الاتِّقاء حُسنُ الخليقة، وغايةُ الاحتماء اعتدالُ الطَّبيعة[2]

وقال: من توهَّمَ أنَّ عملاً من أعماله يُوصله إلى مأموله[3] الأعلى والأدنى فقد ضلَّ عن طريقه، لأنَّ النَّبيَّ عليه السَّلام قال: «لن يُنجيَ أحدَكم عملُهُ»[4] فما لا يُنجي من المخُوف[5]، كيف يبلغُ إلى المأمول؟ ومن صحَّ اعتمادُهُ على فضل الله، فذاك الذي يُرجى له الوصول[6]

وقال: غايةُ همّة العوام السُّؤالُ، وبلوغُ درجة الأوساط الدُّعاء، وهمّة العارفين الذِّكر[7]

وقال: ذكرُكَ مَنوطٌ بك إلى أن يتَّصلَ ذكرُك بذكره، إذ ذاك يُرفعُ وتخلص من العِلل، فما قارنَ حدثٌ لقدم إلاَّ تلاشى وبقي الأصلُ،

---

(١) تهذيب الأسرار ٢١٣، تاريخ بغداد ٤/ ٤٣٢، المختار ١/ ٣٢٠

(٢) طبقات الصوفية ٢٦٢، حلية الأولياء ١٠/ ٣٤٨، المختار ١/ ٣٢٢.

(٣) في (أ): إلى مؤمله.

(٤) رواه البخاري (٥٦٧٣، ٦٤٦٣)، ومسلم (٢٨١٦)، ورواه أحمد في المسند ٢/ ٥٣٧ بسند صحيح عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: «لن ينجي أحدَكم عملُه» قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: «ولا أنا إلاّ أن يتغمدني الله منه برحمة، فسددوا وقاربوا، واغدوا وروحوا، وشيء من الدلجة، والقصدَ القصد تبلغوا».

(٥) في (ب): من التخوف.

(٦) طبقات الصوفية ٢٦٣، حلية الأولياء ١٠/ ٣٤٨، المختار ١/ ٣٢٢.

(٧) طبقات الصوفية ٢٦٣.

وذهبتِ الفروع كأنْ لم تكن[1]

وقال: رؤيةُ الأُصول باستعمالِ الفروعِ، وتصحيح الفروع بمعارضةِ الأُصول، ولا سبيلَ إلى مقامِ مُشاهدة الأُصول إلاَّ بتعظيمِ ما عظَّم الله تعالى من الوسائطِ والفروع[2]

وقال: الرَّجاءُ طريقُ الزُّهاد، والخوفُ سلوكُ الأَبطال[3]

ورُوي: أنَّ رجلاً قال له: إنَّني كنت على بساطِ الأُنس، وفُتِح لي طريقٌ إلى البسطِ، فزللتُ زلَّةً حُجبْتُ عن مقامي، فكيفَ السَّبيلُ إليه؟ دلَّني على الوصولِ إلى ما كنتُ عليه. فبكى أبو محمد، ثمَّ قال: يا أخي، الكلُّ في قهرِ هذه الخُطَّة، لكنّي أُنشدُك أبياتًا لبعضهم:

قِفْ بالدِّيارِ فهذه آثارُهُم ... تبكي الأحبَّةَ حَسرةً وتشوُّقا

كم قد وَقفتُ بها أُسائلُ مُخبِراً ... عن أَهلها أو صادقًا أو مُشفقا

فأجابني دَاعي الهوى من رسمها ... فارقتْ من تَهوى فعزَّ المُلتقى[4]

وسُئل عن العِزلة، فقال: هي الدُّخولُ بين الزِّحام، وتحفظ سرَّك أن لا يُزاحموك، وتعزلُ نفسك عن الأنام[5]، فيكون سرُّك مَربوطًا بالحقِّ[6]

وقال: من لم يُحكِمْ بينه وبين الله التَّقوى والمراقبة، لم يصلْ إلى الكشفِ والمشاهدة[7]

وقال: ما نجا من نجا إلاَّ بمراعاة الوفا. قال الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُوفُونَ

(١) طبقات الصوفية ٢٦٣، وفيه: حدث قدمًا.
(٢) طبقات الصوفية ٢٦٣، الرسالة القشيرية ٨٨.
(٣) طبقات الصوفية ٢٦٤
(٤) حلية الأولياء ١٠/٣٤٨، تهذيب الأسرار ٨٠، المختار ١/٣٢١.
(٥) في (ب): عن الآنام.
(٦) الرسالة القشيرية ١٨٥ (الخلوة والعزلة).
(٧) الرسالة القشيرية ١٨٩ (التقوى)، تهذيب الأسرار ١٠٦.

بِعَهۡدِ ٱللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ ٱلۡمِيثَٰقَ﴾[1] [الرعد: ٢٠].

وقال: أَمرُنا هذا مَبنيٌّ على فصلين؛ وهو أن تُلزِمَ نفسَك المُراقبةَ لله، والثَّاني أن يكون العلمُ على ظاهرِك قائمًا[2].

وقال: مَنْ رَضي بدون قدره، رفعَه اللهُ فوق غايته[3].

وقال: عَبيدُ النِّعم كثيرون، وعَبيدُ المُنعمِ عزيزٌ وجودُهم[3].

وقال: تَعامَلَ القرنُ الأول من النَّاس فيما بينهم بالدِّين حتَّى رقَّ الدِّينُ، ثمَّ تعاملَ القرنُ الثَّاني بالوفاء حتَّى ذهبَ الوفاء، ثمَّ تعاملَ القرنُ الثَّالث بالمُروءةِ حتَّى ذهبتِ المروءة، ثمَّ تعاملَ القرنُ الرَّابع بالحياء حتَّى ذهبَ الحياء، ثمَّ صار النَّاسُ بعد ذلك يتعاملون بالرَّغبةِ والرَّهبة[3].

وقال: كان من[4] أصحابِنا رجلٌ يُكثر أن يقول: الله، الله. فوقعَ يومًا على رأسِه جذعٌ، فانشجَّ رأسُه، وسقطَ الدَّمُ، فانكتبَ على الأرض الله الله.

وقال: قدمتُ من مكَّة، فبدأت بالجُنيد لكي لا يتعنَّى إليَّ، فسلَّمتُ عليه، ثمَّ مضيت إلى المَنزل، فلمَّا صليتُ الصُّبح في المسجد إذا أنا به خلفي في الصَّف، فقلتُ له: إنَّما جِئتُكَ أمس لئلا تتعنىٰ. فقال لي: ذلك فضلُك، وهذا حقُّك[5].

وسُئل عن التَّصوف، فقال: الدُّخولُ في كلِّ خُلُقٍ سَني، والخروجُ من كلِّ خُلُقٍ دَنيٍّ[6].

---

(١) الرسالة القشيرية ١٩٣ (التقوى).
(٢) الرسالة القشيرية ٢٩٥ (المراقبة).
(٣) المختار ١/ ٣٢٣
(٤) في (أ): كان بين.
(٥) المختار ١/ ٣٢١، الكواكب الدرية ٢/ ٢٥
(٦) الرسالة القشيرية ٤٠٠ (التصوف)، المختار ١/ ٣٢٣.

وقال: التَّصوف مراقبةُ الأحوال، ولزوم الأدب[1]

وقال في قوله تعالى: ﴿ كُونُوا رَبَّـٰنِيِّـۧنَ ﴾ [آل عمران: ٧٩] أي سامعين من الله، قائلين بالله تعالى[2]

وقال: الصَّبرُ أن لا يُفرِّقَ بين حالِ النِّعمة والمِحنة، مع سكونِ الخاطِرِ فيهما. والتَّصبُّرُ هو السُّكونُ في البلاء مع وجدان أثقال المحنة. وأنشد بعضهم في المعنى:

صبرتُ ولم أُطلعْ هواكَ على صَبري ... وأَخفيتُ ما بي عنك عن موضعِ الصَّبرِ[3]
مخافةَ أن يشكو ضَميري صَبابتي ... إلى دمعتي سرًّا فتجري ولا أدري[4]

وقال: لو رأيتُ من يهجرُني لله، لوضعتُ خدِّي له[5]

وقال: حدَّثني بعضُ شيوخنا ـ ولم يذكر اسمه ـ أنَّه خرجَ إلى مكَّة، فلمَّا كان بالقَرعاء[6] تفكَّر في استدعاء موسى عليه السَّلام ربَّه وقوله: ﴿ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ ﴾ [الأعراف: ١٤٣] قال: وغلبَ عليَّ الفكر في تدبير الآية، فبينا أنا أسير نحو زُبالة[7]، رأيتُ رجلاً معه ابنٌ له، وهما يحتشَّان ويَستقيان من بئرٍ عندهما ويشربان، فجلستُ إليهما، فالتفتَ الشَّيخ إلى ابنه وأمرَهُ بشيءٍ، فبادر وأخذ حبلاً، وشدَّه في وسطه، وأخذ أبوه بطرف الحبل، ودلَّاه في البئر، فلم يزلْ يُدلِّيه حتَّى بلغَ موضعًا[8] منها، وكانتْ

---

(١) الرسالة القشيرية ٤٠٢ (التصوف).
(٢) الرسالة القشيرية ٤٨٢ (السماع)، وفيها: سماعين من الله.
(٣) في (ب) وطبقات الأولياء: عن موضع الصدر.
(٤) الرسالة القشيرية ٢٨٨ (الصبر) المختار ١/٣٢٣، ولم يذكر بيتي الشعر، طبقات الأولياء ٧٤، ٧٥.
(٥) المختار ١/٣٢٣
(٦) القرعاء: مَنْزل في طريق مكة من الكوفة. معجم البلدان.
(٧) زبالة: مَنْزل معروف في طريق مكة من الكوفة. معجم البلدان.
(٨) في (ب): حتى وصل إلى موضع.

بئراً عميقة، فصاح بي الشَّيخ: الحقني. فجئته، فقال: عاونِّي على إخراجِ ابني؛ فإنِّي أخشى أن ينقطع به الحبلُ، ويسقطَ في البئر. فقلتُ له: وما حملك على هذا الخطر؟ فقال: كان ههنا طيرٌ يألفنا ونألفُهُ، سقطَ في هذا البئر، فقلت لابني: انزلْ وأخرجه؛ فإنَّ له علينا حقَّ الجِوار والألفة. فقلتُ له: نِعمَ ما فعلت، وعاونتُه على خُروجِ ابنه من البئر سالِمًا، وهو يقول: يا أبتِ، من أحبَّ أن يَراه صَبَرَ على بلاه. وكان جوابًا لما وقعَ في سرِّي من الآية[1]

وقال: إنَّ الذي يقرأُ القرآن لينالَ بقراءته أجرًا، ثمَّ أُعطي الجنَّةَ فقد رضي بالقليل، لأنَّ الجنَّة مَخلوقة، والقرآنُ كلام الله منْزلٌ غيرُ مخلوق[2] فعظم الفائدةِ من قراءةِ القرآن وجود الرَّبِّ تعالى، وفَهْم ما في القرآن، ومن فَهِمَ عن الله مُرادَه في القرآن، ثمَّ جعل له السّبيل إلى وصلته، فقد فازَ بالقراءةِ، ومن حُرِمَ فهمَ القرآن، والوصلةَ بالرَّبِّ تعالى فقد فاتَهُ خيرُ القرآن[3]

وقال. إنَّ الله خلقَ الخلق وأوجدهم، ولم يكونوا موجودين إلَّا بإيجاده لهم، وأخذ عليهم عهد الرُّبوبية وأنطقهم بها، فقومٌ شهدوا الدّاعي، وقومٌ شهدوا النِّداء، وقومٌ شهدوا البلاء، وكلٌّ هؤلاء موحّدون، ولذلك جعلهم ثلاثةَ أثلاث: ﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [فاطر: ٣٢]، فمن سمعَ النِّداء صارَ إلى الجنَّة، ومن شهدَ البلاء انتهى في الدَّرجات، ومن شهدَ الدَّاعي صارَ إلى الله، وهم خواصُّ الخواص، لا يُحجبون عن الله طرفةَ عين.

وقال أبو علي المخازلي: سألت أبا محمد الجَريري الصُّحبة، فأبى،

---

(١) المختار ٥/ ٣٧٨

(٢) في (أ): والقرآن غير مخلوق.

(٣) الخبر حتى قوله غير مخلوق في المختار ١/ ٣٢٣.

وقال: لي شروطٌ: لا أَسألُ، ولا أُعرّض[1]، ولا أَردُّ، ولا أَمنع، فإن جلستُ فاجلس، وإن سكتُّ فاسكت، وإن قمتُ فقم. وجاور بمكّة سنة ثلاثٍ وتسعين، فلم ينم ولم يتكلَّم، ولم يستند إلى عمودٍ ولا حائط، ولا مدَّ رجليه. فعبر عليه أبو بكر الكتّاني، فسلَّم عليه، وقال له: يا أبا محمد، بما قدرتَ على اعتكافه؟ فقال: علمَ صدقَ باطني، فأعانني على ظاهري. فأطرق الكتّاني، ومشى مُفكّرًا فقال الجريري رحمه الله:

شكرتُكَ لا أنّي أجازيك مُنعماً ... بشكرٍ ولا كي ما يقال له شكرُ[2]
وأذكـرُ أيّـامـي لـديـك وحُسنَهـا ... وآخرُ ما يبقى على الذّاكر الذِّكرُ[3]

وقال: يجب على الإنسان أن يُفكّر في صغره وكبره ممّا فيه من العلم، وفي طاعته ومعصيته وجهله، وفي صدقه وكذبه، وسنيه وأيامه ولياليه ومُدّته، ويقعد بين يدي الله، وتكون قعدتُهُ فرارًا من كلِّ ما تسكن إليه النُّفوسُ، ولا يشتغل بما يسمع ولا بما يَعلم، بل يكون فكرُه في بذلِ المجهود إلى ما يُوصله[4] إلى مجالسة الله تعالى، وهذه قعدةُ الأنبياء عليهم السَّلام.

وقال: لم يَرفعِ المتواضعِين بقَدْر تواضعهم، ولكن بقدر عظمته، ولم يُؤمِّنِ الخائفين بقدر خوفهم، ولكن بقَدْر جُوده وكرمه، ولم يُفرّحِ المحزونين بقدر حزنهم، ولكن بقدر رأفته. فما ظنُّكَ بالرَّحمنِ الرَّحيم، الذي يتودَّدُ إلى من يُؤذيه؟ فكيف بمن يُؤذى فيه؟ وما ظنُّك بالتَّوابِ الرَّحيم، الذي يتحبَّبُ إلى من يعصيه، فيُغذيه بأنواع الطَّيبات؟ فكيف بمن يترضّاه، ويختارُ سخطَ العباد فيه؟[5]

---

(١) في (ب): ولا أعترض.
(٢) في المختار ١/ ٣٢١: سأشكرُ. بشكري ولكن كي يقال له شكر.
(٣) تاريخ بغداد ٤/ ٤٣٢، المختار ١/ ٣٢١
(٤) في (أ): المجهود على ما يواصله.
(٥) المختار ١/ ٣٢٣، ٣٢٤.

وقال: كنتُ في مدينةِ النَّبيِّ ﷺ فانكسفَ القمرُ ليلة جمعة، فخرجتُ أنظر إليه، وإذا به أسودُ مكتوبٌ في وسطه بالنُّور: أنا وحدي. فغُشي عليَّ حتَّى أصبحت.

وقال: إنَّ لله عبادًا ربطَ همومَهم بأَزِمَّةِ التَّيقُّظ عن وجل[1] الفتور، وحرسَ نيَّاتِهم عن قبولِ طوارق الإعلال، وساسَ أذهانَهم بكلاية الحفظِ، واقتطعَ إرادتهم من التَّطلُّع إلى غيره، وروى جوارحَهم من محبَّةِ الاتِّصالِ[2] بخدمته، وأظمأ قلوبَهم من الاشتياق إلى رؤيته، وأنفذَ عقولهم في حِكمةِ[3] صنعته، وأطلع أفئدتَهم على قُرب مراقبته، وجوَّلَ أرواحهم بين نسيم علمِ صفاته، وأدناهم إدناءَ من أَنسِ به، وناجاهم مُناجاة من أَمَّنَهُ، وفاوضهم مفاوضة من ارتضاه لسرِّه، وأودعهم من ذخائر كنوزه التي لم يرَ لها محلاً غير ضمائرهم ممَّا لا يعلمُه غيرُهم، سيماهم الحياء في حال الإدناء، والإطراقُ عند ملاحظة النَّظرِ، والوقار في مواطن المجالسة، والإنصات لفهم حلاوة المخاطبة عند الإكرام ﴿أُوْلَٰٓئِكَ حِزۡبُ ٱللَّهِۚ أَلَآ إِنَّ حِزۡبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾ [المجادلة: ٢٢].

وقال: اجتمعنا عند أبي جعفر الحفّار بباب الشَّام[4]، وكان معنا الجُنيد، وأبو صالح الملاعقي، وأبو العباس بن مَسروق، وكان معنا قوّالٌ، فابتدأ وقال، فتواجدَ أبو صالح حتَّى انقطع. ثمَّ وقع، وقام ابن مسروق فتواجد، وخرج بلا نعلٍ، وبقيت أنا والجُنيد، فقلتُ: يا سيِّدي، مالك فيما جرى شيء؟ فقال: ﴿وَتَرَى ٱلۡجِبَالَ تَحۡسَبُهَا جَامِدَةٗ وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِۚ﴾ [النمل: ٨٨]. ثمَّ قال: فأنت مالك في السَّماع شيء؟ فقلت: بلى، ولكن ربَّما حضرتُ مع من أُجلُّهُ وأكرمُه، فأُمسِكُ نفسي مع وجدي، فإذا خلوتُ

---

(١) في (ب): التيقظ، ورعى عن وجهم.
(٢) في (ب): من محبته للاتصال.
(٣) في (ب): في حكم.
(٤) باب الشام: محلة كانت بالجانب الغربي من بغداد. معجم البلدان.

بنفسي أرسلت وجدي على سرِّي، فتواجدت[١]

وقال: من تحلّى بشاهدِهِ قُصم، ومن تحلّى[٢] بشاهدِ الحقِّ عُصم.

وقال: كان في جامعِ بغداد فقيرٌ، لم يجتمع له ثوبان قطُّ في الشِّتاء و[لا في] الصَّيف، فسُئل عن ذلك فقال: إنّي كنتُ مولعًا بكثرة الثّياب فيما سبق، فرأيتُ في منامي كأنّي دخلتُ الجنَّةَ، فرأيت جماعةً من أصحابنا الفقراء على مائدةٍ، فأردتُ أن أجلسَ معهم، فإذا جماعةٌ من الملائكة أخذوا بيدي وأقاموني وقالوا: هؤلاء أصحابُ قميصٍ واحدٍ، وأنت لك قَميصان، فلا تجلس معهم. فانتبهتُ، ونذرتُ أن لا ألبسَ إلاَّ ثوبًا واحدًا[٣] إلى أن ألقى الله[٤]

وقال: سُئل الجُنيد عن معنى قول النَّبيِّ ﷺ: «أنا سيِّدُ ولدِ آدم ولا فخر»[٥] فقال: هات، أيشٍ وقع لك في هذا؟ فقلت: يعني بقوله: «أنا سيد ولد آدم» أي هذا عطاؤه، وأنا لا أفتخرُ بالمعطى؛ وإنَّما فخري بالعطاء[٦] فقال لي: أحسنتَ يا أبا محمد[٧]

وسُئل عن معنى قوله تعالى: ﴿يَٰلَيۡتَنِي مِتُّ قَبۡلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسۡيٗا مَّنسِيّٗا﴾ [مريم: ٢٣] فقال: إنَّ من خصَّه اللهُ من أهل الخصوص لهم إشرافٌ على ما يحدثُ من الأمور، فلمَّا ولِدَ عيسى عليه السَّلام أشرفت أمُّه الصِّديقةُ عليها السَّلام على ما يَجري عليهِ من أن يُتَّخذَ إلَهًا يُعبد، فغمَّها

---

(١) انظر الرسالة القشيرية ١٣١ (التواجد والوجد).
(٢) في (ب): ومن تخلّى.
(٣) في (ب): غير ثوبٍ واحدٍ.
(٤) تهذيب الأسرار ٢٦١
(٥) أخرجه الترمذي (٣٦١٥) عن أبي سعيد الخدري في المناقب، باب في فضل النبي ﷺ، وقال: حديث حسن صحيح.
(٦) في (أ): لا أفتخر بالمُعطى.
(٧) تهذيب الأسرار ٢٠٧، المختار ١/ ٣٢٤.

ذلك أن يكون منها ما يُنسب إلى الله، فقالت: ﴿يَٰلَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا﴾؛ أي لم أحمل بمن يُتَّخذُ إلَهًا، فأنطقَ اللهُ عيسى عليه السَّلام فقال: ﴿إِنِّي عَبْدُ ٱللَّهِ﴾ [مريم: ٣٠] فلا تدّعوا فيَّ الإلهية[١]

* * *

(١) المختار ١/ ٣٢٤.

مناقب الأبرار
ومحاسن الأخيار

الحسين بن نصر ابن خميس
٤٦٦ - ٥٥٢ هـ

المجلد الثاني

تحقيق
محمد أديب الجادر

إصدارات

مركز زايد للتراث والتاريخ

مناقب الأبرار ومحاسن الأخيار

الحسين بن نصر ابن خميس
٤٦٦ - ٥٥٢ هـ

المجلد الثاني

تحقيق
محمد أديب الجادر

إصدارات
مركز زايد للتراث والتاريخ

مناقب الأبرار

ومحاسن الأخيار

رقم التصنيف	ديوي 922.6
المؤلف ومن هو في حكمه	: الحسين بن نصر ابن خميس ـ ٤٦٦ ـ ٥٢٢ هـ ـ
تحقيق	محمد أديب الجادر
عنوان الكتاب	مناقب الأبرار ومحاسن الأخيار
الموضوع الرئيس	التصوف الإسلامي ـ تراجم
قيد الكتاب	تم قيد الكتاب في سجل الإيداع النوعي، بقسم الملكية الفكرية وحقوق المؤلف بوزارة الإعلام والثقافة تحت رقم: (٧٨ ـ ٢٠٠٦) تاريخ ٢٠٠٦/٣/٦
الناشر	مركز زايد للتراث والتاريخ ـ العين ـ دولة الإمارات العربية المتحدة
ملتزم الطبع	دار البارودي ـ أبو ظبي ص.ب ٤٢٨٦٠
توصيف الكتاب	مقاس ١٧ × ٢٤، المجلد الثاني عدد الصفحات ٥٢٨ صفحة
الرقم الدولي للمجموعة	ISBN 9948-06-138-1
الرقم الدولي للمجلد الثاني	ISBN 9948-06-140-3

الطبعة الأولى

١٤٢٧ هـ ـ ٢٠٠٦ م

مركز زايد للتراث والتاريخ

ZAYED CENTER FOR HERITAGE AND HISTORY

ص . ب . ٢٣٨٨٨ العين ـ الإمارات العربية المتحدة ـ هاتف ٧٦١٥١٦٦ ـ ٣ ـ ٩٧١ ـ فاكس: ٧٦١٥١٧٧ ـ ٣ ـ ٩٧١

P.O. BOX: 23888 AL AIN - U. A. E. - TEL: 971 - 3 - 7615166, - FAX: 971 - 3 - 7615177

E-mail: zc4HH@zayedcenter.org.AE

بسم الله الرحمن الرحيم

(٤٤) أبو العباس بن عطاء(*)

ومنهم: أبو العباس أحمد بن محمد بن سهل بن عطاء الأَدَمي من ظِراف مشايخ الصُّوفية وعلمائهم. له لسانٌ في فهم القرآن يختصُّ به[1]

صحب: الجُنيد بن محمد، وإبراهيم المَارِستاني، ومَن فوقهم من المشايخ.

وكان أبو سعيد الخراز يعظِّم شأنه، حتَّى قال: التَّصوُّفُ خُلق، وليس إنابةً، وما رأيتُ من أهله إلا الجُنيد، وابنَ عطاء[1]

مات سنة تسعٍ أو إحدى عشرة وثلاث مئة[1]

وسُئل عن المروءة، فقال: أن لا تستكثر للهِ عملاً[2]

وقال: في البيتِ مقامُ إبراهيم عليه السَّلام، وفي القلبِ آثارُ الله تعالى. وللبيتِ أركانٌ، وللقلب أركان، فأركان البيت من الصَّخر، وأركانُ القلب معادنُ أنوار المعرفة[3]

(*) طبقات الصوفية ٢٦٥، حلية الأولياء ١٠/ ٣٠٢، تاريخ بغداد ٥/ ٢٦، الرسالة القشيرية ٨٩، صفة الصفوة ٢/ ٤٤٤، المنتظم ٦/ ١٦٠، المختار من مناقب الأخيار ١/ ٣٤٠، سير أعلام النبلاء ١٤/ ٢٥٥، العبر ٢/ ١٤٤، الوافي بالوفيات ٨/ ٢٤، مرآة الجنان ٢/ ٢٦١، البداية والنهاية ١١/ ١٤٤، طبقات الأولياء ٥٩، نفحات الأنس ٢١٢، طبقات الشعراني ١/ ٩٥، الكواكب الدرية ٢/ ٣٤، شذرات الذهب ٢/ ٢٥٧

(١) طبقات الصوفية ٢٦٥

(٢) طبقات الصوفية ٢٦٧، المختار ١/ ٣٤٣.

(٣) طبقات الصوفية ٢٦٧، وفي الحلية ١٠/ ٣٠٢، والمختار ١/ ٣٤٢ بداية للخبر: وقال في قوله عزَّ وجل: ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ ﴾ [آل عمران: ٩٦]. . .

وقال: خلق اللهُ الأنبياء للمشاهدة لقوله تعالى ﴿أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ [ق: ٣٧]، وخلق اللهُ الأولياء للمُجاورة لقول النَّبيِّ عليه السَّلام: «عزَّ جارك»(١)، وخلقَ الأولياء الصَّالحين للمُلازمة، قال الله تعالى: ﴿وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ﴾ [الفتح: ٢٦]، وخلق العوامَّ للمُجاهدة، قال الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا﴾(٢) [العنكبوت: ٦٩].

وقال: من ألزم نفسَه آداب السُّنة نوَّرَ الله قلبَه بنورِ المعرفة، ولا مقامَ أشرفُ من مقام متابعةِ الحبيب في أوامره وأفعاله وأخلاقه، والتَّأدب بآدابه قولًا وفعلًا وعزمًا وعقدًا ونيّة(٣).

وقال: العلمُ الأكبرُ الهيبةُ والحياء، فمن عُرِّي عنهما، عُرِّي عن الخيرات(٤).

وقال: ثلاثةٌ مقرونةٌ بثلاثةٍ: الفتنةُ مقرونةٌ بالمنية، والمحبَّةُ مقرونةٌ بالاختيار، والبَلوى مقرونةٌ بالدَّعوى(٥).

وسُئل: إلامَ تَسكنُ قلوبُ العارفين؟ فقالَ إلى قوله تعالى: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾. لأنَّ في ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ﴾ هيبَتَهُ، وفي اسمه ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ عونَهُ ونصرته، وفي اسمه ﴿ٱلرَّحِيمِ﴾ محبَّتَه ومودَّتَه. وقال: سبحان من فرَّقَ بين هذه المعاني في لطافتها، وهذه الأسامي في غوامضها. ثمَّ أنشد:

---

(١) أخرجه البخاري في الأدب المفرد (٧٠٧)، والترمذي (٣٥٢٣) في الدعوات، الباب (٩٠)، والطبراني في المعجم الصغير ٢/ ١٧٧ (٩٨٤)، والكبير ٤/ ١١٥ (٣٨٣٩)

(٢) طبقات الصوفية ٢٦٧، المختار ١/ ٣٤٣.

(٣) طبقات الصوفية ٢٦٨، حلية الأولياء ١٠/ ٣٠٢، الرسالة القشيرية ٨٩، المختار ١/ ٣٤١

(٤) طبقات الصوفية ٢٦٩، الرسالة القشيرية ٣٢٣ (الحياء)، المختار ١/ ٣٤٤.

(٥) طبقات الصوفية ٢٦٩، الحلية ١٠/ ٣٠٢، المختار ١/ ٣٤٢.

إذا ما وجُودُ النَّاسِ فاتَ علومَهُم فعلمي لِوَجْدي صاحبٌ وقَرينُ[1]

وقال: من عاملَ الله على رؤية ما سبق منه إليه، لم يكنْ بعَجَبٍ أن يمشي على الماء أو في الهواء، وكلُّ أمرِ الله عَجَبٌ، وليس شيءٌ منه عَجَبًا. وأنشد:

أُسامي بنفسي ذِلَّةً واستكانَةً إلى الخُلَّةِ العَلياءِ من جانبِ الكِبْرِ
إذا ما أتاني الكِبْرُ من جانبِ الغِنى سموتُ إلى العلياءِ من جانبِ الفقْرِ[2]

وقال: الإنصافُ فيما بين الله وبين العبد في ثلاثةِ أشياء: الاستعانةِ، والجهدِ، والأدب، فمِنَ العبدِ الاستعانةُ، ومن الله القُربة، ومن العبدِ الجُهدُ، ومن الله التَّوفيق، ومن العبدِ الأدَبُ ومن اللهِ الكرامة[2]

وقال: التَّوبةُ توبتان: فتوبةُ الإنابةِ، وتوبةُ الاستجابة. فتوبةُ الإنابة أن يتوبَ العبدُ خوفًا من عقوبته، وتوبةُ الاستجابةِ أن يتوبَ العبدُ حياءً من كرمه[3]

وقال. ما ركنَ أحدٌ إلى الدُّنيا إلا لزمه عيبُ القلوب، ولا أَمكنَ شيئًا من نفسه إلاَّ وقعَ في بحرِ الذُّنوب[4]

وقال: من تأدَّبَ بآداب الصَّالحين، فإنَّه يصلحُ لبساطِ الكرامة، ومن تأدَّبَ بآداب الأولياء فإنه يصلح لبساط القُربة، ومن تأدَّبَ بآداب الصدّيقين، فإنَّه يَصلحُ لبساطِ المُشاهدة، ومن تأدَّبَ بآداب الأنبياء عليهم السَّلام، فإنَّه يَصلحُ لبساطِ الأُنس والانبساط[5]

---

(١) طبقات الصوفية ٢٦٩، الحلية ١٠/ ٣٠٢: ولم يذكر فيها بيت الشعر
(٢) طبقات الصوفية ٢٦٩، المختار ١/ ٣٤٤.
(٣) الرسالة القشيرية ١٧٥ (التوبة)، المختار ١/ ٣٤٤
(٤) المختار ١/ ٣٤٤.
(٥) طبقات الصوفية ٢٧٠، حلية الأولياء ١٠/ ٣٠٣، المختار ١/ ٣٤٢.

وأنشد لنفسه[1]

غموضُ الحقِّ حين يُذبُّ عنه ... يُقلِّلُ ناصرَ الخصمِ المُحقّ
تَضلُّ عن الدَّقيقِ فُهُومُ قومٍ ... فتقضي للمُجِلِّ على المُدِقّ[2]

وقال أبو بكر الرَّازي: سمعتُ أبا العباس بن عطاء يُنشد:

ذِكرُكَ لي مُؤنسٌ يُعارضُني ... يُوعِدني عنكَ مِنكَ بالظَّفرِ
فكيفَ أنساكَ يا مَدَى هِمَمي ... وأنتَ منِّي بمَوْضعِ النَّظرِ[3]

وقال: لمَّا عصى آدمُ عليه السَّلام بكى عليه كلُّ شيءٍ في الجنَّةِ إلاَّ الذَّهبَ والفضَّةَ، فأوحى الله إليهما: لِمَ لم تَبكيا على آدم؟ فقالا: ما كنَّا نبكي على من يَعْصيك. فقال اللهُ تعالى: وعزَّتي وجلالي، لأَجعلنَّ قيمةَ كلِّ شيءٍ بكما، ولأَجعلنَّ بني آدم خَدَمًا لكما[4]

وأنشد إبراهيم بن فاتك لابن عطاء:

أُجلُّكَ أن أَشكو الهوى منكَ إنَّني[5] ... أُجلُّكَ أن تُومي إليك الأَصابعُ
وأَصرفُ طرفي نحو غيرك عامدًا ... على أنَّه بالرَّغم نحوك رَاجعُ[6]

وقال: إنَّ الشَّفقةَ لم تزل بالمؤمن حتَّى أوفدتْه على خيرِ أحواله، وإنَّ الغفلةَ لم تزل بالفاجر حتَّى أَوفدته على شرِّ أحواله[7]

---

(١) في طبقات الصوفية ٢٧٠ وأنشدت لأبي العباس بن عطاء لابن الرومي. البيتان لابن الرومي، وهما في ديوانه ٢/ ٤٨٥، ٤٨٦ شرح أحمد حسن بسج، دار الكتب العلمية ١٩٩٤

(٢) المجل المكثر، المدق: المدقق المتأني المقلُّ.

(٣) طبقات الصوفية ٢٧٠، حلية الأولياء ١٠/ ٣٠٤

(٤) طبقات الصوفية ٢٧٠، وفيه: ولأجعلن ابن آدم خادمًا لكما.

(٥) في (أ): أن أشكو هواني لأنني

(٦) طبقات الصوفية ٢٧١

(٧) طبقات الصوفية ٢٧١، حلية الأولياء ١٠/ ٣٠٣، المختار ١/ ٣٤٣ وفي (أ): على سيئ أحواله.

وقال: أعظمُ الغفلةِ غفلةُ العبد عن ربِّهِ، وغفلتُهُ عن أوامره، وغفلتُه عن آداب مُعاملته[١]

وقال: من حُرم الأدبَ، حُرمَ جوامعَ الخيرات.

وقال: أصحُّ العقول عقلٌ وافق التَّوفيق، وشرُّ الطَّاعات طاعةٌ أَورثت عُجبًا، وخير الذُّنوب ذنبٌ أعقبَ توبةً وندمًا[٢]

وقال: السُّكونُ إلى مألوفات الطِّبائع، يقطعُ بصاحبها عن بلوغِ درجات الحقائق[٢]

وقال: مِنْ وَحشة القلوب عن مصادرِ الحقِّ أُنسُها بالأجناس، ومن أَنِسَ قلبُه بالله استوحشَ ممّا سواه[٣]

وقال: أَذْنِ قلبَك من مُجالسة الذَّاكرين، لعلَّه ينتبهُ عن غفلته، وأَقِمْ شخصَك في خدمةِ الصالحين، لعلَّه يتعوَّدُ ببركتها طاعةَ ربِّ العالمين[٤]

وقال: السُّكونُ إلى الأَسبابِ اغترارٌ، والوقوفُ مع الأحوالِ تقطعُ بك عن مُحوِّلها[٥]

وأنشد لنفسه:

إذا صدَّ من أَهوى صَدَدْتُ عن الصَّدِّ ... وإنْ حالَ عن عهدي أَقمتُ على العهدِ
فما الوجدُ إلاَّ أَن تَذوبَ من الوجدِ ... وتُصبحَ في جَهْدٍ يَزيدُ على الجَهْدِ[٦]

---

(١) طبقات الصوفية ٢٧١، الرسالة القشيرية ٨٩.
(٢) طبقات الصوفية ٢٧٢، المختار ١/ ٣٤٤.
(٣) طبقات الصوفية ٢٧٢
(٤) طبقات الصوفية ٢٧٢، المختار ١/ ٣٤٣ وفي (أ): في خدمة الفاطر.
(٥) طبقات الصوفية ٢٧٢
(٦) طبقات الصوفية ٢٧١.

وأنشد لنفسه:

ومُستحسنٍ للهجرِ والوصلُ أَعذبُ أُطالبُهُ ودّي فيأبَى ويهربُ
إذا جِدْتُ منّي بالهوى أظهرَ الجفا ويُظهِرُ أنّي مُذنبٌ وهو مذنبُ[1]
تعلّمتُ ألوانَ الرِّضا خوفَ هجرِهِ[2] وعلّمَهُ حُبّي لـه كيفَ يَغضبُ
ولي ألفُ وجهٍ قد عَرفتُ طريقَها ولكنْ بلا قلبٍ إلى أَينَ أَذهبُ؟[3]

وقال: كلّما سُئلتَ عنه، فاطلبْه في مفازة العلم، فإن لم تجدْه، ففي ميدانِ الحكمة، فإن لم تجدْه فزنْه بالتّوحيد[4]، فإن لم تجدْه في هذه المواضع الثّلاثة، فاضربْ به وجه الشّيطان[5]

وقال: للتّقوى ظاهرٌ وباطن، فظاهرُهُ محافظة الحدود، وباطنه الإخلاصُ والنيّة[6]

وقال: ما نَجا من نَجا إلاّ بتحقيق الحيا. قال الله تعالى: ﴿أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ﴾[7] [العلق: ١٤].

وقال: التّواضعُ قبولُ الحقّ ممّن كان[8]

وسُئل عن أقربِ شيءٍ إلى مَقتِ الله، فقال: رؤيةُ النّفسِ وأحوالها وأشدُّ من ذلك مُطالبةُ الأعواض على أفعالها[9]

---

(١) في (أ): ويعلم مني أنني لستُ مذنب. والمثبت من تهذيب الأسرار ٤٩٩.
(٢) في (أ): خوف سخطه.
(٣) تهذيب الأسرار ٤٩٩، تاريخ بغداد ٦/ ١٦٩
(٤) جاء في حاشية الرسالة القشيرية ٨٩: أي بما تقرر في علم التوحيد، هل تليق نسبته إلى الله أم لا
(٥) الرسالة القشيرية ٨٩، المختار ١/ ٣٤٥
(٦) المختار ١/ ٣٤٥
(٧) الرسالة القشيرية ١٩٣ (التقوى)، المختار ١/ ٣٤٥
(٨) الرسالة القشيرية ٢٤٢ (الخشوع).
(٩) حلية الأولياء ١٠/ ٣٠٣، الرسالة القشيرية ٢٤٨ (مخالفة النفس)، المختار ١/ ٣٤٢.

وسُئل عن حقيقة التَّوكُّل، فقال: أن لا يظهرَ فيك انزعاجٌ إلى الأسباب، مع شدَّةِ فاقتك إليها، ولا تزول عن حقيقةِ السّكونِ إلى الحقِّ مع وقوفِكَ عليها[1]

وقال: الصَّبرُ الوقوفُ مع البلاء بحُسنِ الأدب[2]

وأنشد لنفسه:

سأَصبرُ كي تَرضى وأُتلفُ حسرةً   وحسبِي[3] أن ترضى ويُتلفني صَبري[4]

وقال: أفضلُ الطَّاعات مراقبةُ الحقِّ على دوام الأوقات[5]

وقال: الرِّضا نظرُ القلبِ إلى قديمِ اختيار الله تعالى للعبد، وهو تركُ التَّسخّط[6]

وقال: العبوديةُ في أربعِ خصال: الوفاءِ بالعهد، والحفظِ للحدود، والرِّضا بالموجود، والصَّبرِ على المفقود[7]

وسُئل عن قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ﴾ [فصلت: ٣٠]، فقال: استقاموا على انفرادِ القلب بالله تعالى[8]

وقال: الأدبُ الوقوف مع المُستحسنات. فقيل: وما معناه؟ قال: أن

(١) تهذيب الأسرار ١٣٥، الرسالة القشيرية ٢٦٣ (التوكل)، المختار ١/ ٣٤٥.
(٢) الرسالة القشيرية ٢٨٧ (الصبر)، المختار ١/ ٣٤٥
(٣) في (أ): سأصبر صبرًا كي.   وحاشاك أن.
(٤) الرسالة القشيرية ٢٨٨ (الصبر).
(٥) تهذيب الأسرار ٨٦، ١٠٣، الرسالة القشيرية ٢٩٦ (المراقبة)، المختار ١/ ٣٤٥
(٦) الرسالة القشيرية ٣٠٠ (الرضا)، المختار ١/ ٣٤٥.
(٧) الرسالة القشيرية ٣٠٤ (العبودية).
(٨) الرسالة القشيرية ٣١٢ (الاستقامة)، المختار ١/ ٣٤٥، وفي (أ): انفراد القلب بالقلب.

تعاملَ اللهَ بالأدب سرًّا وعلنًا[١]، فإذا كنت كذلك كنتَ أديبًا، وإن كنتَ أعجميًا. ثمَّ أنشد:

إذا نطقتْ جاءَتْ بكلِّ ملاحةٍ وإنْ سَكتَتْ جاءَتْ بكلِّ مَليحِ[٢]

ورُوي: أنّه مدَّ رجلَه يومًا بين يدي أَصحابه، وقال: تركُ الأدبِ بين أهلِ الأدب[٣] من الأدب. وأنشدَ في المعنى:

فيَّ انقباضٌ وحِشْمَةٌ فإذا صادفتُ أهلَ الوفاءِ والكرَمِ
أَرسلتُ نفسي على سَجِيَّتِها وقلتُ ما قلتُ غيرَ مُحتشمِ[٤]

وقال: المعرفةُ على ثلاثة أركان: الهيبةِ، والحياءِ، والأنس[٥]

وسُئل عن قوله تعالى: ﴿وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب۩﴾ [العلق: ١٩]، فقال: اقتربْ إلى بساطِ الرُّبوبية؛ فقد أعتقناك من بساط العبودية[٦]

وقال. من علاماتِ القُربِ رفعُ الحُجب بين القلوب وبين علاَّمِ الغيوب[٧]

وسُئل عن المحبّة، فقال: أغصانٌ تُغرسُ في القلب، فتثمرُ على قدرِ العقول[٨]، وأنشد:

غرستُ لأهلِ الحُبِّ غُصنًا من الهوى ولم يكُ يَدري ما الهوى أَحَدٌ قبلي

---

(١) في (أ): وإعلانًا.
(٢) تهذيب الأسرار ٢١٥، الرسالة القشيرية ٤٠٦ (الأدب)، المختار ١/ ٣٤٥. وفي (أ): بكل مليحة.
(٣) في المختار ١/ ٣٤٥: بين أهل الأُنس.
(٤) الرسالة القشيرية ٤٠٨ (الأدب)، المختار ١/ ٣٤٥
(٥) الرسالة القشيرية ٤٤٢ (المعرفة)، المختار ١/ ٣٤٥
(٦) تهذيب الأسرار ٧٣.
(٧) تهذيب الأسرار ٧٦، المختار ١/ ٣٤٦
(٨) الرسالة القشيرية ٤٤٩ (المحبة).

فأورقَ أغصانًا وأينع صبوةً وأعقب لي مُرًّا من الثّمر المحلي[1]
فكلُّ جميعِ العاشقين هواهُم إذا نَسَبوه كان من ذلك الأصلِ[2]

وقال أيضًا: المحبّةُ إقامةُ العتاب على الدَّوام[3]

وسُئل عن الشَّوق، فقال: احتراقُ الأحشاء، وتلهُّبُ القلوب، وتقطُّعُ الأكباد[4]

وقال: إذا كانت نفسُك غيرَ ناظرةٍ لقلبِها، فأدّبها بمجالسةِ الحكماء. ومن أرادَ أن يَستضيءَ بنورِ الحكمة فليُلاقِ بها أهلَ الفهمِ والعقلِ[5]

وقال: إذا اشتاقَ القلبُ إلى الجنَّة، أسرعتْ إليه هدايا الجنَّة، وهي المكروه، [لأن المكاره هدايا الجنَّةِ إلى أبدان الصَّادقين، ومن فرَّ بنفسه إلى حصن المكروه] رحلتْ شهواتُ الطَّمعِ عن قلبه[6]

وقال: من علاماتِ الولي أربعةٌ: صيانةُ سرِّه بينه وبين الله، وحفظُ جوارحِهِ فيما بينه وبين أمر الله، واحتمالُ الأذى بينه وبين خلق الله، ومداراتُهُ للخلقِ على قدرِ عقولهم وتفاوتها[7] وأنشد:

بالله أبلغُ ما أَسعى وأدركُهُ لا بي ولا بشفيعٍ لي من النَّاس
إذا أَيستُ فكانَ اليأسُ يُقلقني جاءَ الغِنى عَجَبًا من جانب الياس[8]

وكان له أخ يحبّه في الله فبلغه أنَّه قد حُمَّ. فكتب إليه:

---

(١) الثمر المحلي: الثمر اليابس.
(٢) الرسالة القشيرية ٤٥١ (المحبة).
(٣) الرسالة القشيرية ٤٤٩، ٤٥٣ (المحبة).
(٤) الرسالة القشيرية ٤٥٩ (الشوق)، المختار ١/ ٣٤٦
(٥) حلية الأولياء ١٠/ ٣٠٣، تاريخ بغداد ٦/ ١٦٨
(٦) حلية الأولياء ١٠/ ٣٠٣، وما بين معقوفين مستدرك منه، المختار ١/ ٣٤٢.
(٧) حلية الأولياء ١٠/ ٣٠٣، المختار ١/ ٣٤٢.
(٨) سيذكر البيتان مع زيادة صفحة ٥٣٤ مع التخريج.

يا ليت حمّاهُ كانت لي مضاعفةً ... يــومًــا بشهــرٍ وأَنَّ الله عــافــاهُ
فيصبحُ السُّقمُ من قَرني إلى قَدَمي ... ويجعــلُ اللهُ منــه البــرءَ عُقبــاهُ
قد قلتُ للسُّقم كم ذا قد لهجتَ به ... فقــال: مثــلُ الــذي تَهــواه أَهــواهُ

وسُئل عن قوله تعالى: ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوٓاْ﴾ [التوبة: ١١٨]. فقال: ما لم يعطفِ الرَّبُّ سبحانه على خلقه بالرَّحمة، لم ينعطفِ العبدُ إلى الله بالطَّاعة[١].

وسُئل عن قوله تعالى: ﴿هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ﴾ [طه: ١٢٠]. فقال: قال آدم: يا ربُّ، بم أدّبتني، وإنّما أكلتُ من الشَّجرة طمعًا للخلود في جِوارك؟ فقال تعالى: يا آدم، طلبتَ الخلودَ من الشَّجرة لا منّي، والخلودُ بيدي ومُلكي، فأشركتَ بي وأنت لا تشعر، ولكن نبَّهتُك بالخروج من الجنَّة حتَّى لا تَنساني في وقتٍ من الأوقات[٢].

ورُوي: أنَّه كان إذا جلس في مجلسِهِ يدعو فيقول: اللَّهُمَّ لا تجعلْ حظّنا منك الحرمان، ولا نَصيبنا ممَّا نُؤمّلُ منك الخذلان، لا تجعل حظّنا حظَّ من طلبكَ فلم يجدك، ولا مَنْ سمعك فلم يُجبْكَ، اجعلنا ممّن جالسوك بوقارِ المُجالسة، وخاطبوك بإجلالِ المُخاطبة، فأقبلتَ إليهم إقبالاً رفيقًا، ونَصتَّ إليهم إنصاتًا رفيقًا، اللَّهُمَّ لا سهلَ إلاَّ ما جعلته سهلاً، سهِّلْ علينا[٣] طاعتك، والتَّلذُّذَ بذكرك، والتَّنعُّمَ بقربك، والاجتنابَ لسخطك، والإنابةَ إلى موافقتك.

وقال: من استصغر عطاه، استعظم بلاه[٤].

---

(١) المختار ١/٣٤٦، وفيه: يتعطَّف.
(٢) المختار ١/٣٤٦.
(٣) في (أ): إلا ما سهّلته، سهّل علينا.
(٤) المختار ١/٣٤٦.

و: مَنْ كان الغالبُ عليه أمر معادِهِ، بان ذلك عليه في توحّدِهِ وانفراده[1]

و: من أيقنَ أنَّ كلَّ نعمة ممزوجة تمرّ به المحنة كما تمرّ به النّعمة سَلِم[2]

وقال: عظمتِ المُصيبةُ على من جهلَ ربَّه[3]

و: من اتَّهمه في اختياره لعبده أو في قضائه، فهو الخائنُ في أحواله ولا يشعر

وسُئل عن الشُّكر، فقال: التَّنعُّمُ بالنِّعم، وفي ذكر المُنعم شكرُ النِّعم[4]

وقال: المقاماتُ تبعٌ للقلب، والقلبُ واقفٌ مع الله.

وسُئل عن قول النَّبيِّ ﷺ: «طلبُ العلم فريضةٌ على كلِّ مُسلمٍ»[5] فقال: علمُ الحال، وعلمُ الوقت، وعلمُ السِّرِّ، فمَنْ جهلَ وقتَه وما عليه، فقد جهلَ العلم[6] الذي أُمر به[7]

وقال: مكتوبٌ في التّوراة: يابنَ آدم، إن أعطيتُك الدُّنيا اشتغلتَ بحفظها، وإن منعتُكها اشتغلتَ بطلبها، فمتى تفرغُ لي؟[8]

وقيل له: متى يؤخذ العبد من النَّفس؟ فقال: إذا عاينَ أربعةَ أشياء: يرى الأشياءَ كلَّها لله مُلكًا، ومن الله ظهورًا، وبالله قيامًا، وإلى الله

---

(١) المختار ١/٣٤٦، وفيه: توحيده.

(٢) في (أ): كل نعمة تمر به المحنة يسلم.

(٣) المختار ١/٣٤٦

(٤) في (ب): التنعم بالنعمة. شكر النعمة.

(٥) رواه الطبراني في المعجم الأوسط ٤/٢٤٥ (٤٠٩٦) عن ابن عباس. جاء في شرح سنن ابن ماجه صفحة ٢٠ (٢٢٤): سُئل الشيخ النووي عن هذا الحديث فقال: إنه ضعيف، وإن كان صحيحًا. وقال تلميذه الحافظ المزي: هذا الحديث روي من طرق تبلغ رتبة الحسن.

(٦) في (أ): وما عليه فيه، فقد جهل الوقت الذي.

(٧) تاريخ بغداد ٦/١٦٦

(٨) المختار ١/٣٤٦.

مرجعًا، كما قال الله تعالى: ﴿فَسُبْحَٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [يس: ٨٣]، فإذا عاين ذلك، أخذَ من نفسه لقيامِ الحقِّ به[١]

وقال: من علامةِ المُقرَّبين أن تُرفعَ الحُجُب بين القلوب وبين علّام الغيوب.

وقال: كيف يَرعى الإيمانُ في سرِّه من يكون عبدَ لقمةٍ.

وقال: حُكمُ المبتدئ أن يَهتدي بالحقائق، ويسير بالعلم، ويجدَّ في العمل. فمن ركبَ النّهايةَ في بدايته، كان ذلك عَلَمًا على قُرب رجعته، ومن تأنّى في إرادته، ورجعَ إلى ذلِّ عبوديته، وحمل وسعَ طاقته، حمله الله بزيادته، وسيَّره إليه برأفته سيرًا لا يشعرُ فيه بالآلام؛ بل يجدُ البلاءَ فيه من أفضلِ الإنعام تعلقًا منه بزيادة ذي الجلال والإكرام.

وسُئل عن قوله تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الأحزاب: ٢١] فقال: في الظَّواهرِ من الأخلاقِ الشَّريفة، والعباداتِ المرضيّة دون البواطن والأسرار والإشارات، ألا ترى قولَه ﷺ يومَ الخندق:

«ألَا كلُّ شيءٍ ما خلا اللهَ باطلُ»[٢]

إشارةً إلى الكونِ، وإلى ما يليق بالكون؛ لأنَّ كلَّ ما دون الله فهو من الكون، وأسرارُه ﷺ لا يطيقُ حملَها أحدٌ من خلقه؛ لأنَّه باين الأمةَ بالمكان والمباشرة، من أجل ذلك قال النَّبيُّ ﷺ لأنسِ بن مالك: «احفظ سرّي، تكن مؤمنًا»[٣]

---

(١) تاريخ بغداد ٦/ ١٦٦

(٢) رواه البخاري ١٠/ ٤٤٨ في الأدب، باب ما يجوز من الشعر والرجز، ومسلم (٢٢٥٦) في الشعر، والترمذي (٢٨٥٣) في الأدب، باب ما جاء في إنشاء الشعر، وقوله ﷺ صدر بيت للبيد بن ربيعة، وعجزه.

وكلُّ نعيم لا محالة زائل

(٣) قال ابن حجر في فتح الباري ١١/ ٨٢ (٥٩٣١): أخرجه أبو يعلى ٦/ ٣٠٦ (٣٦٢٤) والخرائطي، وفيه علي بن زيد وهو صدوق كثير الأوهام.

وقال: من صَعبَ عليه خدمته لم يصلْ إلى قربِهِ، ومن لم يتنعَّم بذِكره في الدُّنيا لم يتنعَّمْ برؤيته في الآخرة.

وقال: لا ينتبهُ العبدُ من غفلته، ولا ينجو من صرعته ما لم يلزمْ شيئين: رؤيةَ آدم[1] عليه السَّلام في توبته، ورحمةَ الخالق له عند خطيئته، وخذلانَ إبليس في طاعته، وهما في آيتين من تَنْزيله، من عاملَ الله بهما نالَ الأمن من مكرِهِ، وفاز بأعلى الحظوظِ في قربه، وهو قوله تعالى: ﴿ ۞ قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ ﴾ [الزمر: ٥٣] لمَّا أضافهم إلى نفسه إضافةَ لُطفٍ، جعلهم من أهل رحمته. وقوله تعالى: ﴿فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ [الأعراف: ٩٩] فمكرُهُ لأعدائه، ومحبَّتُهُ لأوليائه، لا يُوفِّقُ[2] عدوًّا أبدًا وإن كثرَ إحسانُه وطاعتُه، ولا يخذلُ وليًّا أبدًا، وإن كثُرَ طغيانُه، وطالَ إعراضه، لأنَّه لا ينصرُ إلاَّ أولياءَه، ولا يخذلُ إلاَّ أعداءَه، كما قال تعالى: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[3] [الروم: ٤٧].

وقال الحُصري: كنتُ في مجلس أبي العباس بن عطاء، فبكى رجلٌ من القوم، فقال: ما هذا البكاء؟ لا مَنْفَذَ له ههنا، أما سمعتَ قولَ الشَّاعر:

قالَ لي حين رُمتُهُ: كلُّ ذا قد عَلمتُهُ
لو بكى طولَ دهرِهِ بدمٍ ما رحمتُهُ[4]

وقال: مرَّ رجلٌ من أصحابنا على صبيانٍ يلعبون، وبقربهم مَشايخُ جلوسٌ، فقال لهم: ألا تستحيون من هؤلاء المشايخ؟ فقال صبيٌّ منهم:

---

(١) في (ب): ما لم يلزم سنن آدم.
(٢) في (أ): لا يوافق.
(٣) بداية الخبر حتى قوله: وخذلان إبليس في طاعته في المختار ١/ ٣٤٦.
(٤) تاريخ بغداد ٦/ ١٦٨، المختار ١/ ٣٤٧

لا، لأنَّهم قلَّ ورعُهم، فقلّتْ هيبتُهم. قال ابنُ عطاء: صدقَ الصَّبِيُّ، الهيبةُ مقرونةٌ بالورع.

وقال: متى ظهرَ ذِكرُ الآخرة في القلب، فني فيها ذِكرُ الدُّنيا، ومتى ما ظهرَ ذِكرُ اللهِ، فني فيها ذكرُ الدُّنيا والآخرة، ومتى ما ظهرَ ذِكر الله لعبدِهِ، فني ذِكرُ العبد لربّه[1]

وسُئل عن الدُّنيا فقال: حرصُ المال، وراحةُ النَّفس، وفقرُ القلب. فمن رفع[2] الحرص عن المال، والرَّاحةَ عن النَّفس، وخوف الفقر عن القلب، وسلّم نفسه لله تعالى، فقد تركَ الدُّنيا[3]

وقال: العارفُ يربحُ على ما مضى منه في معصيةِ الله أضعافَ ما يربحُ غيرُهُ على طاعة الله تعالى؛ لأنَّ ذنوبَه دائمًا نُصبَ عينيه، لا يفترُ عن ذكرها أبدًا.

وقال: لما قبضَ الله تعالى محمدًا ﷺ قام أبو بكر الصِّديق رضي الله عنه وأرضاه في الصَّحابة بقضيبٍ يَسوسُ الخلقَ به، مع قوة نسيمِ الرِّسالة، فلمَّا قُبض أبو بكر رضي الله عنه وأرضاه انقطعَ نسيمُ الرِّسالة، فلم يقدر عمرُ رضي الله عنه وأرضاه مع انقطاع نسيم الرِّسالة يسوسُ الخلقَ بالقضيب، فأخرجَ الدُّرةَ، فكان يَسوسُ بها الأمّة، فلمَّا قُبض عمر، لم يقدر عثمان رضي الله عنه وأرضاه على سياسة الخلق بالدّرة، فأخرج السَّوط، فلم يستقمْ له الأمرُ كما استقام لصاحبيه قطُّ، فلمَّا استُشهد، لم يقدر عليٌّ رضي الله عنه وأرضاه على شيءٍ يَسوسُ به الخلق غير السَّيف، إذ رأى ذلك صوابًا[4]

هكذا قال الجُنيد رضي الله عنه: نظرنا في أخلاقِ محمّد ﷺ

---

(١) وانظر القول مع تخريجه صفحة ٧٣٠ (٣).

(٢) في (ب): فمن يدفع.

(٣) المختار ١/٣٤٧

(٤) تهذيب الأسرار ٢٢٨، ٢٢٩.

وأوصافه، فما رأينا في الأوَّلين والآخرين أحدًا أدركَ معنًى من معانيه، أو وصفًا من أوصافه أو قاربه غير المخصوصين من أصحابه رضي الله عنهم، فكان أبو بكر من أقربِ النَّاس خُلقًا من أخلاقِ رسول الله ﷺ رحمةً وشفقةً. وكان عمرُ من أقربِ النَّاس هيبةً من هيبة رسول الله. وكان عُثمان من أقربِ الخلقِ حياءً من حياء رسول الله. وكان عليٌّ من أشبهِ خلقِ الله كلامًا بكلام رسول الله[1]

قال ابن عطاء: كان أبو بكر شمَّ نسيمَ الرِّسالة، وعمرُ شمَّ نسيمَ النُّبوة، وعثمانُ شمَّ نسيم الاصطفاء، وعليٌّ شمَّ نسيمَ المحبَّة، وكان بيانُ إشاراتهم وما خُصّوا به من الكرامة في هَجيراهم[2]، فكان هجيرُ أبي بكر: لا إلـه إلا الله، وكـان هجيرُ عمـر: الله أكبـر، وكـان هجيـرُ عثمـان: سُبحان الله، وكان هجيرُ علي: الحمد لله. فكان أبو بكر رضي الله عنه لم يشهد في الدَّاريْنِ غيرَ الله، فكان يقول: لا إله إلاَّ الله. وكان عمرُ رضـي الله عنـه يَرى مـا دون اللهِ صغيـرًا فـي جنـب عظمـة الله تعـالـى، فيقولُ: الله أكبر. وكان عثمان رضي الله عنه لا يَرى التَّنْزيهَ إلاَّ لله تعالى، إذ الكلُّ قائم به، غير مُعترٍ[3] عن النّقصان، والقائمُ بغيره مَعلول، فكان يقول: سبحان الله. وكان عليٌّ كرّم الله وجهه يرى نعمةَ الله في الدَّفع والمنع في المحبوب والمكروه، فكان يقول: الحمد لله[4]

وقال يومًا لأصحابه: بمَ ارتفعَ من ارتفع؟ فقال قومٌ: بكثرة الصَّلاةِ والصَّوم. وقال آخرون: بالمُداومة على المُجاهدة والمُكابدة. وقال آخرون: بـالمُحـاسبـة والمـوازنـة. وقـال آخـرون: بتـرك التَّمنّـي، وبـذل

(١) تهذيب الأسرار ٢٢٩

(٢) هجيره: دأبه، وشأنه، وما عنده غناءٌ ذلك. القاموس.

(٣) في (ب): معرى.

(٤) تهذيب الأسرار ٢٢٩.

النَّدى[1] فقال ابن عطاء: ما ارتفعَ من ارتفع إلاَّ بالخُلق، ولم ينل أحدٌ كمالَهُ غير المصطفى ﷺ. وأقربُ الخلق إلى الله تعالى السَّالكون آثاره بنسيم أخلاقه، كما قال النَّبِيُّ ﷺ[2]: «أقربُكم منِّي مَجلسًا أَحسنكم خلقًا»[3].

ورُوي: أنَّه كان يقول في مَجلسه: ليس مهرٌ من مُهور حُور أهلِ الجنَّة أَحبَّ إليهنَّ من إعراضِك عن الدُّنيا، وليس وسيلةٌ للعبد عند الله أحبَّ إلى الله من إعراضِك عن نفسك.

وقيل له: لِمَ بُلِيَ الخلقُ بالفراق؟ فقال: لئلا يكونَ لأحدٍ سكونٌ مع غير الله[4].

ورُوي: أنَّه كان لا يَنامُ من اللَّيل والنَّهارِ غيرَ ساعتين[5].

وأنشد لنفسه:

بـالله أبلـغُ مـا أسعـى وأدركـه لا بي ولا بشفيعٍ لي من النَّاس
إذا يَئستُ وكادَ[6] اليأسُ يقلقني جاءَ الغِنى عَجَبًا من جانب الياس

وأجازه بعضُ الصَّالحين ببيت آخر[7]:

رجعتُ في كلِّ أمرٍ جلَّ مَطلبُهُ عندي إلى كاشف الضَّرَّاءِ والباسِ[8]

---

(١) في (ب): وبذل اليد. وفي تهذيب الأسرار: بترك المنى وبذل الندى.
(٢) رواه ابن النجار عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، انظر كشف الخفا ١/ ١٨١ (٤٨٠).
(٣) تهذيب الأسرار ٢٢٢، المختار ١/ ٣٤٧
(٤) المختار ١/ ٣٤٧
(٥) تاريخ بغداد ٦/ ١٦٦، المختار ١/ ٣٤٠
(٦) في (أ): يكادُ الناسُ.
(٧) في (أ): الصالحين يقول. وفي الحلية: قال ابن حبيش: فزدته ثالثًا بين يديه.
(٨) حلية الأولياء ١٠/ ٣٠٤. وقد تقدم البيتان صفحة ٥٢٧.

وقال: قوامُ الإسلامِ وشرائعهِ بالمنافقين، وقوام الإيمان وشرائعه بالعارفين والعالمين بالله.

وأنشد لنفسه[1]:

بصرتُ بالرَّاحةِ الكُبرى فلم أَرَها   تُنالُ إلاَّ على جسرٍ من التَّعبِ
والجِدُّ منها بعيدٌ في تَطلُّبها   فكيفَ يُدركُ بالتَّقصيرِ واللَّعبِ

وقال: من لم يتجرَّدْ عن الدُّنيا بسرِّه، ولم يتخلَّ عن الخلق بربِّه، ولم يتعرَّ عن نفسِه بسرِّه، كيف يتفرَّدُ مع مولاه بسرِّه، ويتخلَّى عن مولاه بسرِّه؟ فمن تخلَّى بسرِّه عمَّا سوى الله، وتفرَّدَ بسرِّه مع مولاه، كُشف له الغطاء، فميَّزَ بين ما يُرضي مولاه، وبين ما يُسخطه. فأوَّلُ ما يرثُ من سكونِ السَّريرة، والتَّفرُّد بمولاه الصِّدقَ في القول، والإخلاص في العمل، واستبانت له البراهينُ عند مُشاهدةِ اليقين، وزال عنه كلُّ ما فيه التَّعب والنَّصب، فيصير سكونُه تسبيحًا، وكلامُه تقديسًا، ونومُه ذِكرًا، ويقظته صلاةً؛ لأنَّ أنفاسَه تخرجُ على مُشاهدة معانيه. فأوَّلُ بابٍ من أبواب العمَّال القاصدين إلى الله الخلوةُ، ومنها تَهيجُ الأخلاقُ المحمودة عند الخلق، المرضيَّةُ عند الله.

ورُوي: أنَّه دخلَ يومًا إلى مسجدِ الشُّونيزية ليُسلِّمَ على أبي جعفر الحدَّاد، وحوله جماعةٌ من الفقراء يأكلون، وقد قَدمَ عليهم أبو يعقوب الأقطع، فقالوا له: يا أبا العباس، تواضعْ وكُلْ معنا. فجلسَ يأكلُ معهم، وكان في كُمِّه مئتا درهم، فأخرجَها من كُمِّه من حيث لا يعلمون، فوضعها عندهم، وخرجَ من المسجد.

وقال: اعلموا أنَّ الله هو الحقُّ، ولا يُوصل إليه إلاَّ بالحقِّ، ولا يتحقَّقُ الحقُّ إلاَّ بالصِّدقِ، فاحفظوا بالصِّدقِ ألسنتكم، فإنكم بها لله مُخاطِبين،

---

(١) البيت الأول لأبي تمام، وهو في ديوانه ١/ ٧٩ تحقيق محمد عبده عزام، دار المعارف بمصر. بلفظ: بصرتَ. فلم ترها

واحفظوا به صفاتَكم فإنكم بها لله تعملون، واحفظوا به قلوبَكم فإنكم بها من الله تَفقهون، واحفظوا به عقولَكم، فإنكم بها عن الله تعلمون، واحفظوا به أسرارَكم فإنكم بها لآلاءِ الله تشاهدون، وهي محلُّ أنوارِ التَّوحيد، وفيها يشهدُ العبدُ مواردَ المزيد، وعليها يبدو سُلطانُ الوجود، وعنها يَصدرُ علمه إلى العقود، فبصفاءِ السِّرِّ يَخلصُ الذِّكر، وبخلاصِ الذِّكر يستقيمُ القلب، وباستقامةِ القلب تَستقيمُ الصِّفات، وبذلك تزكو الأعمال(١)

وسُئل عن معنى الطَّهارة، فقال: الطَّهارة بالنُّفوس، والصَّلاةُ بالقلوب، فبغسلِ الوجه يُعرضُهُ عن الدُّنيا، وبغسلِ اليدين يُلقي الخلقَ يُمنةً ويسرة، وبمسحِ الرَّأس يتبرّى من نفسه، وبغسلِ الرّجلين يقوم لمناجاةِ ربِّه، فإذا كبَّرَ للصَّلاة خرجَ من جميعِ كلّيته، فيُناجي خالقَه تعالى

وقال أبو بكر محمد: سمعتُ أبا العباس بن عطاء في جامعِ المدينة ببغداد، وقد سأله رجلٌ فقال له: يا أبا العباس، يحلّ لك فيما بينك وبين الله أن تشرفَ الغنى على الفقر، والفقراءُ يجوعون ويعرون، وتمرُّ بهم الشَّدائد؟ فقال له ابنُ عطاء: أنا لا أشرفُ غنى الحالة، إنَّما أشرفُ حالَ من أخذ المالِ من حلِّه، فجعله في حقِّه. فسكت عنه السَّائل، قال أبو بكر: فوقعَ في نفسي المعارضة على هذا، فأردتُ أن أوطئَ الشَّيخَ لي، فقلت له: يا أبا العباس، إذا سمعَ الإنسانُ شيئًا من العلم، فسكَنَتْ نفسُه إلى ما يسمع، وإن كان في نفسِه اعتراضٌ، يسكتُ أو يعترضُ حتَّى يتبيَّنَ له الحقُّ ويعملُ عليه؟ فقال ابن عطاء: لا؛ بل يعترضُ حتَّى يتبيَّنَ له الحقُّ فيما هو. فقلتُ: يا سيِّدي، قلتَ للسَّائل: إنَّك تشرفُ من يجدُ على من لا يجد. قال: كذا نقول. قلت: فهذا رسولُ الله ﷺ عرض عليه مفاتيحُ خزائنِ الدُّنيا بشرطِ أن لا ينتقصَ له ممّا عند الله شيءٌ، ويطلبون منه

---

(١) بعض الخبر في المختار ١/ ٣٤٨.

ما يغزون[1] عليه، فيقول: «لا أجد ما أحملكم عليه». فيتولون عنه وأعينُهم تَفيضُ من الدَّمع[2] ورُوي عنه أنّه كان يرى الفقراءَ يتواقعون من الجوع، فيقول لهم: «لو علمتُم ما لكم عند الله لازددتم فاقةً إلى فاقتكم، فإنَّه ناظرٌ إلى فاقتِكُم»[3]، فأيش منعَ النَّبيَّ أن يأخذَ من هذه الخزائن، ويسدَّ هذا الخلل، وينصرَ الدّين؟ ويكون سُنَّةً لي، أنا امرؤ أكتسب وآكل بعضه، وأتصدَّق بباقيه. فقال لي ابنُ عطاء: عندي أنَّ النَّبيَّ عليه السَّلام خُيِّر بين حالين مُتفاوتين. فقلت: يا سيِّدي، صدقتَ، اختار أعلاهما وأسناهما، وهو أن لا يأخذ. فقال: عندي أنَّ معنى قول المَلَكِ له: «نبيًّا عبدًا أم نبيًّا ملكًا؟» أراد به نبيًّا مُرسلاً أم نبيًّا غيرَ مرسل. قلت له: يا سيِّدي، فإنَّ المفاتيحَ أتى بها ميكائيل عليه السَّلام وجبرائيل عليه السَّلام بإزائه قائم، فقال له ميكائيل: «أتحبُّ أن تكونَ نبيًّا ملكًا أم نبيًّا عبدًا؟» فأشار إليه جبرائيل أن تَواضع. فقال النَّبيُّ ﷺ: «بل نبيًّا عبدًا، إذا جعتُ ذكرتُ الله، وإذا شبعتُ حمدتُ الله وشكرته»[4] فقال أصحابه: هذه مسألةٌ ذاتُ شُعَبٍ، وقد شَغلتمونا عمَّا نحتاج إليه. فقمتُ على هذا من عنده، فجئتُ إلى الدرَّاج وجعفرٍ وجماعةٍ من أصحابنا، فذكرتُ لهم

---

(١) في (أ): ما يعزُّ عليه.

(٢) إشارة إلى قوله تعالى في سورة التوبة ٩٢: ﴿وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوا وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنفِقُونَ﴾.

(٣) لم أجد الحديث في المصادر التي بين يدي.

(٤) لم أجد الحديث في المصادر التي بين يدي، وشطره الأول حتى قوله «أن تواضع» ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ١٠/ ٣١٥، عن ابن عباس، أما الملكان اللذان أتياه فهما إسرافيل وجبريل.

أما قوله ﷺ: «إذا جعت ذكرت... » فلم أجده بلفظه، وقد روى الترمذي في سننه (٢٣٤٧) في الزهد، باب ما جاء في الكفاف والصبر عليه عن أبي أمامة عن النبي ﷺ قال: «عرض عليّ ربّي ليجعل لي بطحاء مكة ذهبًا، قلت: لا يا رب، ولكن أشبع يومًا وأجوع يومًا، فإذا جعت تضرّعت إليك وذكرتك، وإذا شبعت شكرتك وحمدتك».

ما جرى، فقالوا: هذا رجلٌ من أهل العلم، ويفهمُ ما لا يفهمُهُ كثيرٌ منّا، لعل هذا له مساغٌ في اللغة أو في العربية، إنَّه أراد به نبياً مرسلاً أو غير مرسل. قال أبو بكر: فسألتُ الأنباريَّ[1] عن قوله في هذا، فقال: ما يحتمل هذا إلاَّ من وجهٍ واحد: نبيًّا ملكًا واجدًا للدُّنيا، أو نبيًّا عبدًا؟ قال: عبدًا مملوكًا، لا يقدر[2] على شيء إلاَّ على الله تعالى.

وقال: تولَّد ورعُ الورعين من ذِكر الذّرة والخردلة، وما يعاتب عليه من اللَّحظةِ والهمزة والخَطَرة، وأشدُّ منه أن يُحاسب على مقادير الذَّرَّةِ وأوزان الخردلة.

[و]: كيف يُزكّي نفسَه من لم ينفكَّ من الخسران، ويباشر أهلَ العصيان؟ قال الله تعالى: ﴿فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمۡۖ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ﴾ [النجم: ٣٢].

وقال: لا يصحُّ الإيمان إلاَّ بمراعاة الأدب، ولا المعرفةُ ولا التَّوحيد إلاَّ بمراعاة الأدب، فمن تركَ الأدب فقد ترك المروءة، ومن تركَ المروءةَ فقد تركَ الدِّين. والمروءةُ مروءتان: مروءةُ الدِّين، ومروءة النَّفس، فمروءةُ الدّين صلاحُ[3] السِّرِّ فيما بينه وبين الله تعالى، ومروءةُ النَّفس حُسنُ الإرادة فيما بينه وبين الإخوان.

وقال: ثلاثةٌ من علامات الأولياء: يصون سرَّهُ فيما بينه وبين الله، ويحفظُ جوارحَه فيما بينه وبين النَّاس، ويُداري الخلقَ على قدر تفاوت عقولهم.

وقال: الاحتيالُ في دفعِ البلاء زيادةٌ في البلاء[4]

---

(١) هو محمد بن القاسم بن محمد أبو بكر الأنباري (٢٧١ـ ٣٢٨هـ) من أعلم أهل زمانه بالأدب واللغة، ومن أكثر الناس حفظًا للشعر والأخبار. وفي (ب) ابن الأنباري

(٢) في (أ): نبيًا عبدًا لا يقدر.

(٣) في (أ): إصلاح.

(٤) المختار ١/ ٣٤٧.

وقال: من غلبَ هواه عقلَهُ وجزعُه صبرَه افتضح[١]

وقال: قرّتْ عيونُ السَّحرةِ بسجدةٍ واحدةٍ، فما بالُ لا تقرُّ عينُ من سجد له خمسين سنة؟![١]

وقال عُبيد الله الرَّزَّاز: كنتُ ذات يومٍ عند ابن عطاء، وحولَه جماعةٌ يتكلَّمُ عليهم، فقال: أين المحبّة والرِّضا؟ فإن لم يكن، فأين الصِّدقُ والصَّفاء؟ فإن لم يكن، فأين الانتباهُ والحياء؟ فإن لم يكن، فأين التَّوبةُ والوفاء؟ فإن لم يكن، فأين التَّضرُّعُ والبكاء؟ فمن عُري عن ذلك فليبكِ على نفسه أيام حياته[١]

وسُئل عن التَّصوُّف: ما هو؟ فقال: اتَّفقتُ أنا والجُنيد على أنَّ التَّصوُّفَ نزاهةُ طبعٍ كامنةٌ في باطنِ الإنسان، وحُسنُ خُلقٍ مشتملٌ على ظاهره[٢]

وقال: تاه بعضُ أصحابنا في البادية أيامًا كثيرة، فوقع على عمارةٍ بعد أيام، فنظر إلى جاريةٍ تغتسلُ في عين ماء، فلمَّا رأته، تجلّلتْ بشعرها، وقالت: إليكَ عنّي ياإنسان. فقال لها: كيف أذهبُ عنك، والكلُّ منّي مشغولٌ بك؟ فقالت له: في العينِ الأُخرى جاريةٌ أحسنُ منّي، فهل رأيتَها؟ فالتفتَ إلى خلفه، فقالتْ له الجارية: ما أحسنَ الصِّدقَ، وأقبحَ الكذب! زعمتَ أنَّ الكلَّ مشغولٌ بنا، وأنت تلتفتُ إلى غيرنا! ثمَّ التفتَ فلم يَرَ أحدًا[٣]

وسُئل عن نعتِ الفقراء، فقال: قومٌ أفردهم الحقُّ في خلقه، ليفردوه في تأدية حقِّه[٤]

---

(١) المختار ١/ ٣٤٧

(٢) تاريخ بغداد ٦/ ١٦٩، المختار ١/ ٣٤٨

(٣) المختار ١/ ٣٤٨

(٤) تهذيب الأسرار ١٦٦، المختار ١/ ٣٤٨

وأنشد في المعنى:

فـاء الفقيـرِ فنـاؤه لبقـائِـهِ والقـافُ قـربُ محلِّـهِ بلقـائِـهِ
واليـاءُ يعلـمُ كـونَـهُ عبـدًا لـه فـي جملـةِ العُتقـاءِ مـن طُلقـائِـهِ
والـرَّاءُ راحـةُ جسمِـهِ مـن كـدِّهِ وبـلائِـهِ وعنـائِـهِ وشقـائِـهِ
هـذا الفقيـرُ متى طلبتَ وجدتَهُ في جُملةِ الأَصحابِ من رُفقائِهِ
أهـلُ الصِّيـانـة والـدِّيـانـةِ والتُّقـى يمضون قصدِ الحقِّ من تِلقائِهِ(١)

وقال: قوتُ المنافقِ الأكلُ والشّرب، وقوتُ المؤمنِ الذِّكرُ والحمد(٢).

وقال: القرآنُ كلُّه شيئان: مراعاةُ أدبِ العبودية، وتعظيمُ حقِّ الرُّبوبية.

وسُئل عن قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ﴾ [التكوير: ١٩]. فقال: أضافَ الكلام إلى جبريل عليه السَّلام، ثمَّ عرَّاه عن ذلك لكي لا يُبقي لمعترضٍ نطقًا، فيحكم على صفاتِ الله المعرَّاة عن العلل بصفاته المعلولة فقال تعالى: ﴿تَنزِيلٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الواقعة: ٨٠]، ليعلم أهل التَّحقيق في التَّصديق أنَّ الكلامَ لله تعالى، ومن عنده لا لجبريل، ولا من عنده جاء به.

وقال: لا يستقيمُ الدِّين إلاَّ بخصلتين: قلبٍ سليم، وبدنٍ مُستقيم، فسلامةُ الدِّين(٣) بسلامةِ القلب من العيوب، واستقامةُ البدن على الحدود، والحمد لله ربّ العالمين.

* * *

---

(١) تهذيب الأسرار ١٦٦
(٢) تهذيب الأسرار ٣١٤
(٣) في (أ): فسلامة البدن.

(٤٥) إبراهيم الخواص(*)

ومنهم: أبو إسحاق إبراهيم بن أحمد بن إسماعيل الخوّاص رحمه الله، وهو أحدُ من سلك طريقةَ التَّوكُّل ودقَّق فيها.

وكان أوحدَ المشايخ في وقته. من أقرانِ الجُنيد والنُّوري.

وله في الرِّياضات والسِّياحات مقاماتٌ يطولُ شرحُها[١]

مات بجامع الرَّيِّ سنة إحدى وتسعين ومئتين[٢]

وكان به علَّةُ القيام[٢]، فكان إذا [قام] دخلَ بيتَ الماء يغتسلُ ويعودُ إلى المسجد، ويركعُ ركعتين، فدخلَ مرَّةً ليغتسل، فخرجت روحُهُ وهو في وسط الماء، وتولَّى أمرَه في غسله ودفنه يوسفُ بن الحسين[٣]

قال رحمه الله: من لم يصبرْ لم يظفَرْ[٤]

وقال: من لم تبكِ الدُّنيا عليه، لم تضحك الآخرةُ إليه[٥]

(*) طبقات الصوفية ٢٨٤، حلية الأولياء ١٠/٣٢٥، تاريخ بغداد ٦/٤٩٣، الرسالة القشيرية ٨٩، المنتظم ٦/٤٥، صفوة الصفوة ٤/٩٨، المختار من مناقب الأخيار ١/١٩٢، الوافي بالوفيات ٥/٣٠٣، طبقات الأولياء ١٦، النجوم الزاهرة ٣/١٣٢، نفحات الأنس ٢٠٥، طبقات الشعراني ١/٩٧، الكواكب الدرية ١/٤٩٧، جامع كرامات الأولياء ١/٢٣٣

(١) طبقات الصوفية ٢٨٤

(٢) في الرسالة القشيرية ٤٣٣ (أحوالهم عند خروجهم من الدنيا): كانت به علَّةُ الإسهال.

(٣) طبقات الصوفية ٢٨٤، المختار ١/٢٠٨

(٤) طبقات الصوفية ٢٨٤، الحلية ١٠/٣٢٥

(٥) طبقات الصوفية ٢٨٤، المختار ١/٢٠٤

وقال جعفر بن محمد: بتُّ ليلةً مع إبراهيم الخواص، فانتبهتُ، فإذا هو يُناجي إلى الصّباح وينشد.

بَرِحَ الخفاءُ وفي التَّلاقي راحةٌ   هل يَشتفي خِلٌّ بغيرِ خليلِهِ؟[1]

وقال: ليس العلمُ بكثرةِ الرِّواية، إنّما العالِمُ من اتَّبعَ العلم، واستعملَهُ واقتدى بالسُّنن، وإن كان قليلَ العمل[2]

وسُئل عن الورع، فقال: أن لا يتكلَّمَ العبدُ إلاَّ بالحقِّ غضبَ أم رضي، ويكونَ اهتمامُه بما يُرضي الله تعالى[3]

وقال: العلمُ كلُّه في كلمتين: لا تتكلَّفْ ما كُفيت، ولا تُضيِّعْ ما استُكفيت[3]

وقال: التَّاجرُ برأس مال غيره مُفلس[4]

وقال: ليكن لك قلبٌ ساكنٌ وكفٌّ فارغٌ[5]، وتذهبُ النَّفس كيف شاءت[6]

وقال دواءُ القلبِ خمسةُ أشياء: قراءةُ القرآن بالتَّدبُّر، وخلاءُ البطن، وقيامُ اللَّيل، والتَّضرُّع عند السَّحر، ومُجالسة الصَّالحين[7]

وقال: على قدر إعزازِ المؤمن لأمرِ الله يُلبِسُه الله من عزِّه، ويُقيمُ له العزَّ في قلوب المؤمنين، وذلك قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾[8] [المنافقون ٨].

---

(١) طبقات الصوفية ٢٨٥، الحلية ١٠/ ٣٢٧

(٢) طبقات الصوفية ٢٨٥، الرسالة القشيرية ٩٠، وفيهما: وإن كان قليل العلم.

(٣) طبقات الصوفية ٢٨٥، تاريخ بغداد ٦/ ٤٩٥

(٤) طبقات الصوفية ٢٨٥، وفيه: المتاجر. المختار ١/ ٢٠٥

(٥) في (ب): ساكنًا، وكفًّا فارغًا. وفي طبقات الصوفية: كف فارغة.

(٦) طبقات الصوفية ٢٨٦، المختار ١/ ٢٠٥

(٧) طبقات الصوفية ٢٨٦، حلية الأولياء ١٠/ ٣٢٧، المختار ١/ ٢٠٤

(٨) طبقات الصوفية ٢٨٦، حلية الأولياء ١٠/ ٣٢٧، المختار ١/ ٢٠٨.

وقال: عقوبةُ القلوب أشدُّ العقوبات، ومقامُها أعلى المقامات، وكرامتُها أفضلُ الكرامات، وذكرها أشرفُ الأذكار، وبذكرها تُستجلبُ الأنوار، وعليها يوقع الخطاب، وهو المَخصوص بالتّنبيه والعتاب[1]

وقال: اختارَ من اختار من عباده لا لسابقةٍ لهم إليه؛ بل لإرادةٍ له فيهم، ثمَّ علمَ ما يخرج منهم، وما يبدو عليهم. فقال: ﴿ٱخْتَرْنَٰهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ [الدخان ٣٢] منّا بما فيهم من أنواع المخالفات، لأنَّ من اشترى سلعةً يعلم بعيوبها لا يردُّها[2]

وقال: من صفةِ الفقير أن تكونَ أوقاتُهُ مستويةً في الانبساط، صابرٌ على فقره [صائنٌ له محتاط]، لا تظهرُ عليه فاقةٌ، ولا تبدو منه حاجةٌ، أقلُّ أخلاقه الصَّبرُ والقناعة، [راحته في القلّة، وتعذيبُه في الكثرة] مستوحشٌ من الرّفاهات، متنعّمٌ بالخُشونات، فهو بضدِّ ما عليه الخليقةِ، بريءٌ ممّا عليه معتمدةُ وإليه مُستريحه، ليس له وقتٌ معلوم، ولا سببٌ معروف، ولا تراه إلا مسرورًا بفقره، فرحًا بضُرِّه، مؤونتُهُ على نفسه ثقيلة، وعلى غيرِهِ خفيفة، يُعزُّ الفقرَ ويعظِّمُه ويخفيه بجهده ويكتمه، حتَّى عن أشكالِهِ يَسترُه، قد عَظُمتْ من الله عليه المنَّةُ وجلَّ في قلبه قدرُها، فليس يُريد لما اختارَ الله له بدلاً، ولا يبتغي عنه حولاً[3]

وقال: أربعُ خصال عزيزةٌ: عالِمٌ مستعملٌ لعلمه، وعارفٌ ينطقُ عن حقيقة فعله، ورجلٌ قائم لله بلا سببٍ، ومُريدٌ ذهبَ عنه الطَّمع[4]

وقال: الحكمةُ تَنْزلُ من السَّماء، فلا تَسكنُ قلبًا فيه أربعةُ أشياء: الرُّكونُ إلى الدُّنيا، وهمُّ غدٍ، وحبُّ الفضول، وحسدُ أخٍ[5]

---

(١) طبقات الصوفية ٢٨٦، حلية الأولياء ١٠/ ٣٢٧

(٢) طبقات الصوفية ٢٨٧

(٣) حلية الأولياء ١٠/ ٣٢٦، وما بين معقوفين مستدرك منه. المختار ١/ ٢٠٦.

(٤) حلية الأولياء ١٠/ ٣٢٦، المختار ١/ ٢٠٣

(٥) حلية الأولياء ١٠/ ٣٢٦، المختار ١/ ٢٠٤

وأنشد:

عليلٌ ليسَ يُبريهِ الدَّواءُ ... طويلُ الصَّبرِ يُضنيه الشِّفاء[1]
سرائرُهُ بوادٍ ليس تَبدو ... خَفيَّاتٌ إذا بَرِحَ الخَفاء[2]

ورُوي: أنَّه تأوَّه وقتًا من الأوقات، فقال له بعضُ أصحابه: ما هذا التَّأوُّه؟ فقال: أوَّه، كيف يُفلحُ من يسرُّه ما يضرُّه؟ ثمَّ أنشأ يقول:

تعوَّدتُ مَسَّ الضُّرِّ حتَّى ألفتُهُ ... وأَسلمني حُسنُ العزاءِ إلى الصَّبرِ
وقَطَّعتُ أيامي من النَّاسِ آيسًا ... لعلمي بصنعِ الله من حيثُ لا أَدري[3]

وقال: ما هالني شيءٌ إلاَّ ركبتُهُ[4].

وقال: كنت في جبل لُكَام، فرأيت فيه رمَّانًا، فاشتهيتُهُ، فدنوتُ إلى شجرةٍ، وأخذتُ منها واحدةً، فشققتُها، فوجدتُها حامضةً، فمضيت وتركتُ الرُّمان، فرأيتُ رجلاً مَطروحًا قد اجتمعَ عليه الزَّنابير، فقلت: السَّلامُ عليك. فقال: وعليك السَّلامُ يا إبراهيمُ. فقلت: وكيف عَرفتني؟ فقال: من عَرَفَ الله لم يخفَ عليه شيءٌ ـ أو لا يخفي عنه شيء ـ فقلتُ: أرى لك حالاً مع الله، فلو سألتَهُ أن يحميك ويَقيك الأذى من هذه الزَّنابير. فقال لي. وأرى لك حالاً مع الله، فلو سألتَهُ أن يَقيك شهوةَ الرُّمَّان؛ فإنَّ لدغَ الرُّمَّان يجدُ الإنسان ألمَه في الآخرة، ولدغُ الزَّنابير يجدُ ألمَه في الدُّنيا. فتركته ومضيت[5].

---

(١) في (أ): يضنيه الشقاء، وفي الحلية: يفنيه الشفاء.
(٢) حلية الأولياء ١٠/ ٣٢٧.
(٣) حلية الأولياء ١٠/ ٣٣٠، أنس المسجون ١١٤ وسيذكر البيت الأول صفحة ٧٠١
(٤) الرسالة القشيرية ١٨٠ (المجاهدة) المختار ١/ ٢٠٦
(٥) الرسالة القشيرية ٢٤٨ (مخالفة النفس)، المختار ١/ ١٩٨، روض الرياحين الحكاية (١٢٩).

وقال: من تركَ شهوةً، فلم يجد عِوضها في قلبه، فهو كاذبٌ في تركها[1]

وقال: بينا أنا أسيرُ في البادية، فإذا بهاتفٍ يهتف بي، فالتفتُّ إليه، فإذا إعرابيٌّ يسير، فقال لي: يا إبراهيم، التَّوكُّلُ عندنا، اقمْ عندنا حتَّى يصحَّ توكُّلك، ألا تَعلمُ أنَّ رجَاءك لدخولِ بلدٍ فيه أطعمَةٌ يحملك؟ اقطعْ رجاءَكَ عن البلدان وتوكَّلْ[2]

وقال عُمر بن سنان: اجتازَ بنا إبراهيمُ الخواص، فقلنا له: حدّثنا بأعجبَ ما رأيتَ في أسفاركَ. فقال: لقيني الخضرُ عليه السَّلام، فسألني الصُّحبةَ، فخشيتُ أن يُفسدَ عليَّ توكُّلي لسكوني إليه، ففارقته[3]

وقال جعفر الخُلْدي: قال إبراهيمُ الخواص: كنتُ في طريق مكَّة، فرأيت شخصًا وحشيًّا، فقلت: جنِّيٌّ أم أنسيٌّ؟ فقال: جنّي. فقلتُ: إلى أين؟ فقال: إلى مكَّة. فقلت: بلا زاد؟ قال. نعم، وفينا أيضًا من يُسافرُ على التَّوكُّل. فقلت له: أيشٍ التَّوكل؟ فقال: الآخذ من الله[4]

وقال الفرغانيّ: كان إبراهيم الخواص مجرَّدًا في التَّوكُّل يدقِّقُ فيه، وكان لا يُفارقه إبرةٌ وخيوط، وركوةٌ ومِقراض، فقيل له: يا أبا إسحاق، لِمَ تحملُ[5] هذا، وأنت تمنع من كلِّ شيءٍ؟ فقال مثلُ هذا لا ينقضُ التَّوكُّل؛ لأنَّ لله تعالى علينا فرائض، والفقيرُ لا يكون عليه إلاَّ ثوبٌ واحدٌ، فربَّما ينخرقُ ثوبُه، فإذا لم يكنْ معه إبرةٌ وخيوط، تبدو عورتُه، فتُفسد عليه صلاته، وإذا لم يكن معه ركوةٌ تفسدُ عليه طهارتُه، وإذا رأيتَ

---

(١) تهذيب الأسرار ١٧٧، الرسالة القشيرية ٢٥٠ (مخالفة النفس)، المختار ١/ ٢٠٦

(٢) الرسالة القشيرية ٢٦٣ (التوكل)، المختار ١/ ١٩٨

(٣) الرسالة القشيرية ٢٦٥ (التوكل)، وانظر تهذيب الأسرار ١٣٦

(٤) تهذيب الأسرار ١٣٩، الرسالة القشيرية ٢٦٦ (التوكل).

(٥) في (ب): تعمل هذا.

الفقيرَ بلا ركوةٍ ولا إبرةٍ ولا خيوط فاتّهمه في صلاته[1]

وقال: رأيتُ في طريق الشَّام شابًّا حدثًا، حَسنَ المُراعاة، فقال لي: هل لك في الصُّحبة؟ فقلتُ: إنِّي أجوع. فقال: إنْ جعتَ جعتُ معك. فبقينا أربعةَ أيام، ففُتح علينا بشيءٍ، فقلتُ هلمّ. فقال: اعتقدتُ أنّي لا آخذُ بواسطةٍ. فقلتُ: يا غلام، دقَّقت. فقال: يا إبراهيم، لا تُبهرجْ[2]، فالناقدُ بصير، مالك والتَّوكُّل؟! ثمَّ قال: أقلُّ التَّوكُّل أن تردَ عليك مواردُ الفاقات، فلا تسمو نفسُكَ إلاَّ إلى من إليه الكفايات[3]

وقال: الصَّبرُ الثَّباتُ على أحكامِ الكتابِ والسُّنَّة[4]

وقال: لقيتُ غلامًا في التِّيه كأنَّه سبيكةُ فضَّة، فقلتُ: إلى أين يا غلام؟ فقال. إلى مكَّة. فقلت: بلا زادٍ ولا راحلةٍ ولا نفقةٍ؟! فقال لي: يا ضعيفَ اليقين، الذي يقدرُ على حفظِ السَّموات والأرضين [بلا علاقة] لا يقدرُ أن يُوصلني إلى مكَّة بلا علاقة؟! فلمَّا دخلتُ مكَّة، إذا أنا به في الطَّوافِ وهو يقول:

يا عينُ سُحّي أبدا ... يا نفسُ موتي كمدا
ولا تُحبّي أحدا ... إلاَّ الجليلَ الصَّمَدا

فلمَّا رآني قال لي. يا شيخ، أنت بعدُ على ذلك الضَّعفِ من اليقين؟![5]

وقال: طلبتُ المعاشَ لآكلَ الحلال، فاصطدتُ السَّمك، فيومًا وقعت سمكةٌ في الشَّبكة، فأخرجتُها، وطرحتُ الشَّبكة في الماء، فوقع فيها

---

(١) الرسالة القشيرية ٢٦٦ (التوكل)، وانظر ٤١٤ (أحكامهم في السفر)، تاريخ بغداد ٦/ ٤٩٥، المختار ١/ ١٩٣

(٢) لا تبهرج: لا تمدح.

(٣) الرسالة القشيرية ٢٦٨ (التوكل)، تهذيب الأسرار ١٣٧، المختار ١/ ١٩٨

(٤) الرسالة القشيرية ٢٨٧ (الصبر)، تهذيب الأسرار ١٢٥، المختار ١/ ٢٠٦

(٥) الرسالة القشيرية ٢٨٤، ٢٨٥ (اليقين)، تهذيب الأسرار ٩٠، المختار ١/ ١٩٩.

أخرى فأخرجتُها، ثمَّ عدْت ورميتها في الماء، فهتفَ بي هاتفٌ: لم تجد مَعاشًا إلاَّ أن تأتي من يذكرنا فتقتلهم؟! قال: فكسرتُ القصبةَ، وتركتُ الاصطياد[1]

وقال: المراعاةُ تورثُ المراقبة، والمراقبة خلوص السِّرِّ والعلانية لله تعالى[2]

وقال. الصَّادقُ لا تراه إلاَّ في فرضٍ يُؤدّيه، أو فضلٍ يعملُ فيه[3]

وقال حامدُ الأسود: كنتُ مع إبراهيم الخواص في سفرٍ، فجئنا إلى موضعٍ فيه حيَّاتٌ كثيرة، فوضعَ ركوتَهُ وجلس، وجلستُ معه، فلمَّا بردَ اللَّيل وبردَ الهواء خرجتِ الحيَّاتُ، فصحتُ بالشَّيخ، فقال: اذكرِ الله. فذكرتُ الله، فرجعتِ الحيَّاتُ، ثمَّ عادت، فصحتُ به، فقال مثلَ ذلك، فلم أزل إلى الصَّباح على هذا الحال، فلمَّا أَصبحنا قام ومشى ومشيت معه، فسقطَ من وطائه حيَّةٌ عظيمة، قد تطوَّقتْ، فقلت له: ما أحسستَ بها؟ فقال: لا، ومنذ زمانٍ ما بتُّ أطيبَ[4] من البارحة[5]

وقال الزُّبيري[6]: كنتُ في مسجدٍ ببغداد مع جماعةٍ من الفقراء، فلم يُفتح علينا بشيءٍ، فأتيتُ إبراهيمَ الخوَّاص لأسألَهُ شيئًا، فلمَّا وقع بصرُه عليَّ قال لي: الحاجةُ التي جئتَ فيها ولأجلها يعلمُها الله أم لا؟ قلتُ: بلى، قال: اسكت، لا تُبدِها لمخلوق. فرجعتُ، ولم ألبثْ إلاَّ قليلاً حتَّى فُتح علينا بما فوق الكفاية[7]

---

(١) الرسالة القشيرية ٢٨٥ (اليقين)، تهذيب الأسرار ٥٣٢
(٢) المختار ١/ ٢٠٦
(٣) الرسالة القشيرية ٣٢٠ (الصدق)، المختار ١/ ٢٠٦
(٤) في (أ): ما رأيت أطيب.
(٥) الرسالة القشيرية ٣٣٥ (الذكر)، المختار ١/ ١٩٩
(٦) في الرسالة القشيرية: الزبيدي.
(٧) الرسالة القشيرية ٣٤٧ (الفراسة) المختار ١/ ٢٠٠

وقال: كنتُ ببغداد في جامع المدينة، وهناك جماعةٌ من الفقراء، فأقبل شابٌّ ظَريفٌ، حسنُ الوجه، طيِّبُ الرَّائحة، فقلتُ لأصحابنا: يقعُ لي أنَّه يهودي. فكلُّهم كرهوا ذلك، فخرجتُ، وخرجَ الشَّابُّ، ثمَّ رجع إليهم، وقال: أيشٍ قال الشَّيخُ فيَّ؟ فاحتشموه، فألحَّ عليهم، فقالوا: قال: إنَّك يهودي. قال: فجاءني، وأَكبَّ على يدي يُقبِّلُها وأسلم. فقيل له: ما السَّبب؟ قال: نجدُ في كُتبنا أنَّ الصِّدِّيقَ لا تُخطئُ فِراسته، فقلتُ: أمتحنُ المسلمين. فتأمَّلتُهم، فقلتُ: إنَّ كان فيهم صدِّيقٌ ففي هذه الطَّائفة، فلبَّستُ عليكم، فلمَّا اطَّلع هذا الشَّيخ عليَّ، وتفرَّس فيَّ، علمتُ أنَّه صدِّيق. وصار ذلك الشَّابُّ من كبار الصُّوفية[1]

وقال المُزيّن الكبير: كنتُ يومًا مع إبراهيم الخواص في بعضِ أسفاره، فإذا عقربٌ تسعى على فخذه، فقمتُ لأَقتلَها، فمنعني، فقال: دعها، كلُّ شيء مُفتقرٌ إلينا، ولسنا مُفتقرين إلى شيء[2]

ورُوي. أنه كان في سفرِهِ، ومعه ثلاثة نفر فبلغوا مسجدًا في بعض المفاوز، فباتوا فيه، ولم يكن عليه بابٌ، وكان البردُ شديدًا، فناموا، فلمَّا أصبحوا رأوه واقفًا على الباب، فقالوا له في ذلك، فقال: خشيتُ أن تجدوا البرد. وكان واقفًا طولَ ليلته[3]

وقال: تهتُ أيَّامًا في البادية، فجاءني شخصٌ، فسلَّم عليَّ، وقال لي: تهتَ؟ قلت: نعم. فقال: أَلاَ أَدلُّكَ على الطَّريق؟ ومشى بين يدي خطوات، ثمَّ غابَ عن عينيَّ، وإذا أنا على الجادَّةِ بالطَّريق. فبعد ذلك ما تهتُ، ولا أَصابني في سفرٍ جوعٌ ولا أَلَمٌ ولا عطش[4]

---

(١) الرسالة القشيرية ٣٥٠ (الفراسة)، تهذيب الأسرار ٣٢٥، المختار ١/ ٢٠٠

(٢) الرسالة القشيرية ٤١٣ (أحكامهم في السفر).

(٣) المختار ١/ ٢٠١

(٤) الرسالة القشيرية ٥٠١ (كرامات الأولياء)، تهذيب الأسرار ٣٥٨، المختار ١/ ٢٠٠.

وقال بعض الصَّالحين: كنتُ مع جماعةٍ بمدينة الرَّسول ﷺ نتجارى الآيات، ورجلٌ ضرير بالقُرب منّا يَسمعُ، فتقدَّمَ إلينا، وقال: قد أَنستُ بكلامكم، اعلموا أنَّه كان لي صبيَّةٌ وعيال، وكنتُ أخرجُ إلى البقيع أَحتطبُ، فخرجتُ يومًا فرأيت شابًّا عليه قميص كتان، ونعلُهُ في إصبعه، فتوهّمتُ أنَّه تائِهٌ، فقصدتُه لأَسلب ثوبه، فقلت له: انزعْ ما عليك. فقال: مُرْ في حفظِ الله. فقلتُ له: ثانيًا وثالثًا. فقال: لا بدَّ؟ قلتُ: لا بدَّ. فأشار بإصبعه من بعيدٍ إلى عينيَّ، فسقطتا، فقلتُ: بالله عليك من أنت؟ فقال: إبراهيمُ الخواص[1]

وقال: دخلتُ البادية مرَّةً، فرأيت نصرانيًا على وسطه زنَّارٌ، فسألني الصُّحبةَ، فمشينا سبعةَ أيام، فقال: يا راهبَ الحنيفيّة، هاتِ ما عندك من الانبساط؛ فقد جُعنا. فقلتُ: إلهي لا تفضحني مع هذا الكافر فرأيتُ طبقًا عليه خبزٌ وشواء، ورُطَبٌ وكوزُ ماء، فأكلنا وشربنا، ومشينا سبعةَ أيام، ثمَّ بادرتُ، وقلت. يا راهبَ النَّصرانية، هاتِ ما عندك، فقد انتهتِ النَّوبةُ إليك. فاتّكأ على عصاه[2]، ودعا، فإذا بطبقين عليهما أضعافُ ما كان على طبقي، قال: فتحيَّرتُ، وتغيَّرتُ، وأبيتُ أن آكل، فألحَّ عليَّ، فلم أُجبْه، فقال: كُلْ؛ فإنِّي مُبشِّرك ببشارتين: إحداهما أنِّي أشهدُ أن لا إله إلاَّ الله، وأشهدُ أنَّ محمدًا عبده ورسوله. وحلَّ الزُّنار، والأُخرى: أنّي قلتُ: اللَّهُمَّ إن كان لهذا العبدِ خَطَرٌ عندك، فافتح عليَّ بهذا. ففتح، فأكلنا ومشينا وحججنا، وأقمنا بمكَّة سنة، ثمَّ إنَّه مات، ودُفن بالبَطحاء[3]

---

(١) الرسالة القشيرية ٥٠٢، ٥٠٣ (كرامات الأولياء)

(٢) المثبت في المختار: على عضاةٍ.

(٣) الرسالة القشيرية ٥٠٣ (كرامات الأولياء)، المختار ١/ ١٩٩، وانظر تهذيب الأسرار ٣٦٩.

وقال: دخلتُ البادية مرَّة، فأصابتني شدَّةٌ، فلمَّا دخلتُ مكَّة[(١)]، داخلني إعجابٌ، فنادتني امرأةٌ عجوز، فقالت: يا إبراهيم، كنتُ معك بالبادية، ولم أكلِّمك خوفًا أن أُشغلَ سرَّكَ، أخرجْ عنك هذا الوسواس[(٢)]

وقال حامدُ الأسود: كنتُ مع إبراهيم الخواص في البريَّة، فبتنا تحت شجرةٍ، فجاء سَبُعٌ، فصعدتُ الشَّجرة إلى الصَّباح لا يأخذني النَّوم، ونامَ إبراهيمُ الخوَّاص، والسَّبعُ يشمُّ من رأسِهِ إلى قدمه، ثمَّ مضى، فلمَّا كانتِ اللَّيلة الثَّانية بتنا في مسجدٍ بقريةٍ، فوقع على وجهه بقَّةٌ [فضربتْهُ]، فأنَّ أنَّةً، فقلتُ: هذا عجبٌ، البارحة لم تجزعْ من الأسد واللَّيلة تضجُّ من البقِّ؟! فقال: أمَّا البارحة فتلك حالةٌ كنت فيها بربِّي، وأمَّا اللَّيلة فهذه حالةٌ أنا فيها بنفسي[(٣)]

وقال حامد الأسود: كنتُ مع إبراهيم الخواص في الباديةِ سبعةَ أيامٍ على حالةٍ واحدة، فلمَّا كان اليوم السَّابعُ ضعفتُ، فجلستُ، فالتفتَ إليَّ، وقال مالكَ؟ فقلت: ضعفتُ. فقال: أيُّما أغلبُ عليك، الماء أو الطَّعام؟ فقلت: الماء. فقال: الماءُ وراءَك. فالتفتُّ فإذا عينُ ماءٍ كاللبن الحليب، فشربتُ وتطهَّرتُ، وإبراهيمُ ينظر، ولم يقربْه، ولمَّا أردتُ القيام، هَممتُ بأن أحملَ منه، فقال: أَمْسِكْ، فإنَّه ليس ممَّا يُتزوَّدُ منه[(٤)]

وقال خيرُ النَّسَّاج: سمعتُ الخواص يقول عطشتُ في بعضِ أسفاري، وسقطتُ من العطش، فإذا أنا بماءٍ قد رُشَّ على وجهي[(٥)]، ففتحتُ عينيَّ، وإذا أنا برجلٍ حسنِ الوجه، راكبِ دابَّة شهباء، فسقاني

---

(١) في (أ): فأصابتني فاقة شديدة، فلما دخلنا مكة.

(٢) الرسالة القشيرية ٣٥١ (الفراسة)، تهذيب الأسرار ٣٢٧

(٣) الرسالة القشيرية ٥٠٩ (كرامات الأولياء) وما بين معقوفين مستدرك منه، تهذيب الأسرار ٣٦٦، وانظر المختار ١/ ١٩٥

(٤) الرسالة القشيرية ٥١٦ (كرامات الأولياء)، المختار ١/ ٢٠١.

(٥) في (أ): فإذا برجل قد رش على وجهي ماء.

الماء، وقال لي: كن رديفي. وكنت بالحجاز، فما لبثتُ إلاَّ يسيرًا، فقال لي: ما ترى؟ فقلت: أرى المدينةَ. فقال: انزلْ، وأَقْرِئْ رسولَ الله منّي السَّلام، وقل له: أخوك الخَضِرُ يُقرئك السَّلام[1]

وقال الكتَّاني: سمعتُ إبراهيمَ الخوَّاص يقول: كنتُ في البادية مرَّة، فسرتُ في وسط النَّهار، فوصلتُ إلى شجرةٍ بقرب ماء، فَنَزلتُ، وإذا بسَبُعٍ عظيم قد أقبل، فاستسلمتُ، فلمَّا قربَ منّي إذا هو يعرجُ، فجمجمَ، وبركَ بين يدي، ووضع يده في حِجري، فنظرتُ وإذا يده منتفخةٌ فيها دمٌ وقيح، فأخذتُ خشبةً، وشققتُ الموضعَ الذي فيه القيحُ والدَّم، وشددت عليه خِرقةً، فمضى، فإذا به بعد ساعةٍ قد أقبلَ ومعه شِبلان يُبصبصان إليَّ، وحملا إليَّ رغيفًا[2]

وقال: دخلتُ خَربةً في بعض أسفاري في طريق مكَّة باللَّيل، فإذا فيها سَبُعٌ عظيم، فخفتُ، فهتفَ بي هاتفٌ: اثبت، فإنَّ حولَك سبعين ألَف ملك يَحفظونك[3]

وقيل له: ما بالُ الإنسان يتحرَّكُ عند سماع غير القرآن، ولا يجد ذلك في سماعِ القرآن؟ فقال: لأنَّ سماعَ القرآن صدمةٌ، لا يُمكن لأحدٍ أن يتحرَّكَ فيها لشدّة غلبتها، وسماعُ القولِ ترويحٌ، فيتحرّك فيه[4]

وقال: التَّصوُّف حذفُ التَّشرُّف، وتركُ التَّكلُّف، واستعمالُ التَّظرّف[5]

---

(١) حلية الأولياء ١٠/ ٣٣٠، الرسالة القشيرية ٥١٧ (كرامات الأولياء)، المختار ١/ ١٩٥

(٢) الرسالة القشيرية ٥١٩ (كرامات الأولياء).

(٣) الرسالة القشيرية ٥٢١ (كرامات الأولياء).

(٤) الرسالة القشيرية ٤٧٦ (السماع)، وفي (أ): وما لا يجد ذلك في سماع القرآن.

(٥) تهذيب الأسرار ٣١.

وقال: أنا أعرفُ من بقي في حجَّةٍ واحدةٍ سبع سنين، ومكث في مَسيرة يوم واحدٍ أربعة أشهر مرارًا كثيرًا. قال الرَّاوي عنه: كأنَّه يَعني نفسه. والله أعلم[1]

وقال: أصلُ الدِّين بعد الإيمان بالله المُحاسبة، وصاحبُ الشَّهوات لا يصلُ إلى المُحاسبة، والصِّدقُ يُنالُ بالمُحاسبة، والمُحاسبةُ أن يقفَ العبدُ قبل كلِّ حركةٍ وقفةً، حتَّى يسكنَ هيجان الحركةِ، ثمَّ يتدبَّرُ عواقبها، فما كان لله تعالى دخلَ فيه، وما كان لغيرِ الله تركه، ولا ينال هذا الأمر إلاَّ بالصَّبر، حتَّى تلزمَ المُحاسبةُ في القلوب، فإذا لزمتِ المُحاسبةُ في القلب لم يكن من العبدِ حركةٌ ظاهرةٌ ولا باطنة إلاَّ واللهُ أقربُ إلى قلبه من كلِّ حركةٍ، فعندها لا يسقط له فعل ولا إرادة.

وقال: المُفاخرةُ والمُكاثرة تمنعان الرَّاحة، والعُجبُ[2] يمنع من معرفةِ قدر النَّفس، والتَّكبُّرُ يمنعُ من معرفة الصَّواب، والبُخلُ يمنعُ من الورع[3]

وسُئل عن العافية، فقال: العافيةُ أربعة أشياء: دينٌ بلا بدعة، وعملٌ بلا آفة، وقلبٌ بلا شُغلٍ، ونفسٌ بلا شهوة[3]

وقال: من علامةِ سكونِ القلب غناه عن الموعظة. ومن لم يسمعِ العلمَ بخشوعِ القلب، وحضورِ الفهم، فإنَّما قلبُه أسيرٌ في يدي غيره، فلا يَنتفعُ بما يسمع. ومن لم يقطعْه مَزيدُ الله في قلبه عن وصف لسانه فذاك الذي شَغَلَ نفسَه بحالِ غيره. ولكلِّ شيءٍ صدقٌ، وصدقُ المُريد شغلُ قلبه بما يعنيه[4]

---

(١) تاريخ بغداد ٦/ ٤٩٤، المختار ١/ ١٩٣

(٢) في (أ): والمكاثرة يمنع الزلفى والعجب.

(٣) المختار ١/ ٢٠٦

(٤) حتى قوله: في يدي غيره في المختار ١/ ٢٠٦

وقال: ليس من صفةِ الفقراء مُؤالفة الأغنياء، ولا من صفةِ أهلِ المعرفة مؤالفة أهل الغفلة.

وقال عليٌّ بن محمد: كنتُ جالسًا مع إبراهيم الخواص، وهو يتكلَّمُ في العلم، وحوله جماعةٌ إلى أن طلعتِ عليه الشَّمس وحميت، حتَّى وجدتُ حرَّها، وهو جالسٌ لا يَعبأُ بها، فلمَّا اشتدَّتْ، قلت له: يا سيِّدي، ألا تقومُ إلى الفيّ؛ فهو أرفقُ بك؟ فقال لي: ويلك، ما تدلّني إلاَّ على الشِّرك. ثمَّ أنشدَ يقول:

لقد وضحَ الطَّريقُ إليكَ قصدًا فمـا أحـدٌ أَرادك يَستَـدِلُّ
فـإن وردَ الشِّتـاءُ فـأنـتَ صَيـفٌ وإن وردَ المَصيفُ فأنت ظلٌّ[1]

وأضافَ إليه بعضُ المشايخ:

كـأنَّـك فـي الكتـابِ وجـدتَ لاءً محـرمـة عليـك فمـا تحـلُّ

ورُوي: أنَّه كان بمكَّة رجلُ عطَّارٌ، يُحبُّ الفقراء، فأعدَّ لإبراهيم الخوَّاص عشرةَ دنانير إذا قدمَ مكَّة أن يصلَه بها، فدخل إبراهيمُ مكَّة، فرآه العطَّار وهو لا يَعرفُه، إلاَّ أنَّه توسَّم فيه الخير، فأعطاه دينارًا، وسألَه عن إبراهيم الخواص، فقال: هو بمكَّة. فأُخبر العطَّار أنَّ الرَّجلَ الذي أعطاه الدِّينار هو الخوّاص، فجاءَه العطارُ من غدِ ذلك[2] اليوم بتسعة دنانير، فردَّها عليه، وأبى أن يأخذَها، وقال: الصُّوفيُّ لا يكون حرّيفًا.

فلمَّا كان في سنةٍ أُخرى، قدمَ إبراهيمُ مكَّة، فأرسل إليه العطَّار بالدِّينار على يدِ غلام أسود، فقال له إبراهيم: من أرسلَكَ[3]؟ فقال الغلامُ: أُستاذي. فقال إبراهيم: ومن أُستاذك؟ قال: فلان العطَّار. فقال له: ردّ

---

(١) انظر تهذيب الأسرار ٥٠٣، تاريخ بغداد ٦/ ٤٩٦

(٢) في (أ): فجاء للخواص من غير ذلك.

(٣) في (ب): من أرسل بك.

الدِّينارَ إليه، وقل له أرسلتَ إلينا أعزَّ الأشياء إليك، ومَنعتنا أحبَّ الأشياءِ إلينا، فذهبَ الغلامُ، فسُئل إبراهيم عن ذلك، فقال: نعم، هذا الرَّجلُ عنده إذا رفقَ الفقير بهذا الدِّينار فما أبقى غايةً في إكرامه، وهو أعزُّ الأشياء إليه؛ ولو بدأ بالسَّلام[1] عليه، والمؤانسةِ له، ثمَّ استعملَ ذلك كان أدبًا. فبلغ الحديثُ العطَّار[2]، فجاء حافيًا حاسرًا يَعتذرُ إلى إبراهيم من سُوء فعله، ويشكرُهُ على ما نبَّهه عليه من استعمال الأدب، فقبلَ إبراهيم عذره، ولم يقبل رفقه

وقال: من لم يجدْ في قلبه بصيرةً لما يريد بس من الله في مزيد.

و: إنَّ من دَواعي المقتِ ذمُّ الدُّنيا في العلانية، واعتناقها في السِّرِّ[3]

وسألتهُ امرأةٌ من المتعبِّدات عن تغيُّرٍ وجدتْهُ في قلبها وحالها، فقال لها: عليكِ بالتَّفقُّدِ. فقالت: قد تفقَّدْتُ فما وجدت شيئًا. فأطرقَ إبراهيمُ ساعةً ثمَّ رفع رأسه وقال لها: تذكرين ليلة المِشعل؟ فقالت: بلى. فقال هذا التَّغيُّرُ من ذاك. فبكت، وقالت: نعم، كنتُ أَغزلُ فوق السَّطح، فانقطعَ خيطي، فمرَّ مِشعلُ السُّلطان، فغزلتُ في ضوئه خيطًا، فأدخلتُ ذلك الخيط في غزلي ونسجتُ منه قميصًا ولبسته. ثمَّ قامتْ إلى ناحيةٍ، ونزعتْ القميص، وقالت: يا إبراهيم، إنْ أنا بعتُهُ وتصدَّقْتُ بثمنه، يرجعُ قلبِي إلى حالِ الصَّفا؟ فقال لها إبراهيم: إن شاء الله تعالى[4]

وقال: الإنسانُ في خَلَقِهِ أحسنُ منه في جديدِ غيره[5]

و: الهالكُ حقًّا من ضلَّ في آخرِ سفره، وقد قاربَ المَنْزل[5]

---

(١) في (ب): الأشياء عليه، ولو بدأنا بالسلام.

(٢) في (ب): فبلغ ذلك الحديث إلى العطار.

(٣) المختار ١/ ٢٠٦

(٤) المختار ١/ ٢٠١

(٥) المختار ١/ ٢٠٦ وانظر صفحة ٦٠١ (١).

وقال: من علامة نظرِ المُريد لنفسه سعيُهُ فيما فيه نجاتُها، ومن قلَّ نظرُه إلى نفسه سعيُهُ فيما فيه هلاكها.

و: من لم يُحسن رعايةَ نفسِهِ، أسرعَ به هواه إلى الهلكة[1]

و: الخاسرُ من أبدى للنَّاسِ أحسنَ أعماله، وبارز بالقبيحِ من هو أقربُ إليه من حبلِ الوريد[2]

وقال: ينبغي للمُريد أن يلقى من يكشفُ له عن عيوبه ويدلُّه على مواضعِ الزِّيادة، ويكون نظرُه إليه قوةً على تصحيح حاله.

وقال: سلكتُ البادية ستَّة عشر طريقًا على غير الجادَّةِ، فأعجبُ ما رأيتُ فيها رجلاً ليس له يدان ولا رجلان، وعليه من البلاءِ أمرٌ عظيمٌ فوق المزيد[3]، وهو يزحفُ زحفًا، فتحيَّرتُ منه، وسلَّمت عليه، فقال: وعليكَ السَّلام يا إبراهيم، قال: فقلت له: فَبِمَ عرفتني، ولم تَرني قبلها؟ قال: الذي جاءَ بك عرّف بيني وبينك. فقلت: صدقتَ، أين تُريد؟ فقال: إلى مكَّة. قلتُ: ومن أين أنت؟ فقال: أنا من بُخارى. فبقيتُ متعجِّبًا، أنظرُ إليه، فنظر إليَّ شزرًا، وقال: يا إبراهيم، أتعجبُ من قويٍّ يحملُ ضعيفًا ويرفُقُ به؟ ثمَّ دمعتْ عيناه، وأرسل دموعًا، فقلت: لا يا حبيبي. وتركتُه على حاله ومضيت، فلمَّا دخلتُ مكَّة، رأيته في الطَّواف، وهو يزحف زحفًا[4]

ورُوي: أنَّ جماعةً تذاكروا يومًا عنده أحوالَ النَّاسِ، وذكروا حالَ[5] إبراهيم بن أدهم، وأنَّه كان يتناول الرُّطبَ من شجرة البَلُّوط، فقال إبراهيم

---

(١) المختار ١/ ٢٠٧
(٢) المختار ١/ ٢٠٦
(٣) قوله: فوق المزيد ليست في (ب).
(٤) المختار ١/ ٢٠١، ٢٠٢
(٥) قوله: الناس وذكروا حال. ليست في (أ).

الخواص: هذا من أقلّ أحوالِ إبراهيم. ثمَّ قال: أيُّ شيءٍ تشتهون أنتم؟ فقالوا له: المشمش. فقال: هذا مشمش. فظهر بين أَيديهم عقيب كلامه مشمشٌ أصفر[1] كأمثال البيض، فأكلوا، فأراد بعضهم أن يأخذ منه، فقال: خلِّه، وقم بنا. فقمنا وتركناه[2]

وقال: لم يؤتَ النَّاسُ من قلَّةِ النَّدم والاستغفار، ولكنَّهم أُتوا من قلَّةِ الوفاء بالعهد، وتصحيح التَّوبة بترك الرَّجوع فيما ندموا عليه وتابوا منه[3]

و: الصِّدقُ هو القيامُ بحقوق الله تعالى، والوفاء بها عند مواقع الأعمال.

وقال الكتّاني: رأيتُ كأنَّ القيامةَ قد قامت، فأوَّلُ من خرجَ من عند الله أبو جعفر الدِّينوري، وكتابُهُ بيمينه، وهو يضحك، ثمَّ خرجَ بعده إبراهيمُ الخواص، وكتابُهُ بيمينه وهو يَدرسُ القرآن[4]

وقال أبو الحسن البَحراني صاحبُ إبراهيم الخواص: كنتُ شديدَ الإنكار على الصُّوفية، أَردُّ علومَهم، وأُبغضُ مذاهبهم، فدخلتُ إلى بغداد، وأنا أكتبُ الحديث، فرأيتُ جماعةً في مسجدِ الجامع مجتمعين، وفيهم إبراهيم الخواص، فتقدَّمتُ إليهم رجاءَ أن يكونوا في حديث أستفيده منهم، فلمَّا سمعتُ كلام إبراهيم وصحَّة ما يذكره، مَلكني حقيقةُ ما كان يدعو إليه، ويدلُّ عليه، فقلتُ له: هذا عِلمٌ صحيح، لا بدَّ للخلقِ من استعماله. فلزمتُه ولم أُفارقه، وفرَّقتُ جميعَ ما كنت جمعتُ من الكتبِ، وكان نحو حِملَيْنِ، وإبراهيم لا يُكلِّمني شيئًا أيامًا كثيرة. فلمَّا كان بعد أيامٍ قال لي: أرى قلبَكَ مشغولاً بالحجِّ، فمعك شيءٌ من الدُّنيا؟

---

(1) في (أ): مشمش أبيض.
(2) المختار ١/ ٢٠٢
(3) المختار ١/ ٢٠٧
(4) تاريخ بغداد ٦/ ٤٩٧.

وكان كذلك، فقلت: نعم. ثمَّ ذهبتُ، فأتيتُه بمئة دينار[١]، فأخذها وفرَّقها، ولم يرتفقْ منها بشيءٍ. فلمَّا كان بعد أيامٍ قال لي: بقي معكَ شيء؟ قلتُ: نعم. فأتيته بمئةِ دينارٍ أُخرى، كنتُ بقَّيتُها عندي لشدَّةٍ، فأخذها وفرَّقها أيضًا مثلَ الأولى، ثمَّ قال لي بعد أيامٍ: بقيَ معك شيءٌ منها؟ قلت: لا فقال: إذا كان غدًا فالحقني في موضع كذا وكذا. فلمَّا أصبحتُ، صرتُ إلى الموضعِ الذي ذكره لي، فوافيتُه، فسارَ وأنا معه أتبعُهُ حتَّى دخلنا الكوفة، ثمَّ خرجنا إلى البادية، فلمَّا كان بعد ثلاثةِ أيام التفتَ إليَّ، وقال: يا بَحراني[٢]، قد أثَّرَ فيك الجوع، اجلسْ فاسترحْ فجلستُ واسترحتُ إلى النَّوم، ثمَّ انتبهتُ، فإذا بفخذِ غزالٍ مشويٍّ سخنٍ، فقال لي: كُلْ. فأكلتُ، ولم يأكلْ منه شيئًا. ثمَّ سرنا ثلاثةَ أيامٍ أُخرى، فقال لي يوم السَّادس[٣]، يا بَحراني، قد أثَّرَ فيك الجوعُ، اجلسْ فاسترح. فاسترحتُ إلى النَّوم، ثمَّ انتبهتُ، فإذا بين يدي إبراهيم مقدارُ رطلين رُطبًا، حتَّى كأنَّه لُقَاطُ وقته، فقال لي: كُلْ. فأكلتُ، ولم يذقْ منه شيئًا. وسرنا ثلاثةَ أيامٍ أُخرى، فلمَّا كان يوم العاشر إذا نحن بأعرابيٍّ قد أقبلَ من البادية راكبَ جملٍ يقودُ نجيبًا[٤]، فلمَّا قَرُبَ منَّا، سلَّم على إبراهيم، وبشَّ به، ورحَّبَ به ونزلَ عن الجملِ الذي كان راكبهُ، وحمل عليه إبراهيم، وركبَ هو النَّجيب، وأردفني خلفَه، وسار بنا حتَّى جئنا إلى بيوتٍ لهم، فجاءَ بطعامٍ كثيرٍ، وشوى لنا رأسَ غنمٍ، وسوّى لنا من التَّمرِ حلوى، فلم يزلْ إبراهيمُ يأكلُ ويُلقمُني، ويقول: استوفِ يا بحراني[٥] وظننتُ أن يكونَ الشَّيخُ إبراهيمُ قد أكل عشرةَ أرطال أو نحو هذا، وبتنا

---

(١) في (أ): بمئتي دينار.

(٢) في (ب): يا نجراني.

(٣) في (أ): يوم الرابع.

(٤) في المختار ١/ ٢٠٣: يقود جنيبًا. وفي الحاشية: الجنيب الدابة تقاد ولا تُركب.

(٥) في (ب): يا نجراني.

عنده تلك اللَّيلة، وخرجنا من الغدِ، وخرج معنا الأعرابي بفضلِ الطَّعام الذي كان بقي عنده، وسرنا حتَّى وصلنا إلى المَرحلة، فقدَّم الأَعرابي الطَّعام الذي صحبه، فأكلته أنا والأَعرابي، ولم يأكل إبراهيم منه شيئًا حتَّى وصلنا إلى المدينةِ أو قال مكَّة، والله أعلم[١].

ورُوي: أنّه كان إذا دُعي إلى دعوةٍ، فرأى فيها خبزًا بايتًا، أمسكَ يده، ولم يأكل[٢]، ويقول: هذا خبزٌ قد مُنع منه حقُّ الله؛ إذ بُيِّتَ ولم يُخرج من يومه

وقال: حججتُ سنةً من السّنين، فبينما أنا أَمشي مع أصحابي إذا عارضني عارضٌ من سرِّي يقتضي الخلوة، وأخذ غير الطَّريق الجادَّة، قال: فأخذت طريقًا غيرَ الطَّريق الجادة الذي عليه النَّاس، فمشيت ثلاثةَ أيام ولياليهن ما خطرَ على سرِّي ذكرُ طعامٍ ولا شراب ولا حاجة، فوقعتُ إلى بريّةٍ خضراء، فيها من كلِّ الثِّمار والرَّياحين، فرأيتُ في وسطها بحيرةً، فقلت: كأنَّها الجنَّة. قال: فبقيتُ متعجّبًا، فبينا أنا كذلك أتفكّرُ إذا أنا بنفرٍ قد أقبلوا، سيماهم سيما الآدميين، عليهم المُرقَّعات الحسان والفوط الملاح، فحفُّوا بي، وسلَّموا عليَّ، فقلتُ: وعليكم السَّلام ورحمته وبركاته، أين أنا وأنتم؟ ثمَّ وقعَ في خاطري بعد سُؤالي لهم أنَّهم من الجنّ، فإنَّ البقعةَ بقعةٌ غريبة، قال قائل منهم: قد جرتْ بيننا مسألةٌ، واختلفنا ونحن نفرٌ من الجنِّ، قد سمعنا كلامَ الله تعالى من محمَّدٍ عليه السَّلام ليلةَ الجنِّ[٣]، وسلبنا نعمةُ[٤] كلامِهِ أُمورَ الدُّنيا، وقد قيَّضَ الله تعالى لنا هذه البُحيرة، ونهيمُ في هذه البريّة، يحملُ بعضُنا بعضًا قلتُ.

---

(١) المختار ١/ ٢٠٢، ٢٠٣

(٢) في (أ): ولم يزل يأكل.

(٣) ليلة الجن هي الليلة التي ذهب بها رسول الله ﷺ مع الجن، فقرأ عليهم القرآن، وأجابهم على أسئلتهم كما جاء في صحيح مسلم (٤٥٠).

(٤) في روض الرياحين: وسلبتنا نغمة.

وكم بيننا وبين الموضعِ الذي تركتُ فيه أصحابي ورُفقائي؟ فتبسَّم بعضُهم وقال: يا أبا إسحاق، لله أسرار وعجائب، ومتاهات[١]، الموضعُ الذي أنت فيه لم يَحضرْه آدميٌّ قبلك إلا شابٌّ من أصحابكم، تُوفِّي ههنا وهذا قبره، وأشاروا إلى قبرٍ على شَفيرِ البُحيرة، حوله روضةٌ ورياحين لم أرَ قبلَه مثلَه ولم أَسمع به بتةً، ثمَّ قال: بينك وبين القوم الذين فارقتَهم مسيرةُ ثلاثةِ أشهرٍ. فقلتُ: خبّروني عن الشَّابّ. فقال قائلهم: نعم، بينا نحن قعودٌ على شفيرِ البحيرة نتذاكرُ المحبَّة، ونتحاورُ فيها، إذا نحن بشخصٍ قد أقبلَ إلينا، وسلَّم علينا، فرددنا عليه السَّلام، وقلنا له: الشَّاب، من أين أقبل[٢]؟ فقال: من مدينة نَيسابور. قلنا: ومتى خرجتَ منها؟ قال: منذ سبعةِ أيام. قلنا: وما الذي أزعجَكَ للخروجِ من وطنك؟ قال: آيةٌ سمعتها، يقول الله تعالى: ﴿ وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُواْ لَهُۥ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴾ [الزمر: ٥٤]. قلنا له: فما معنى الإنابة؟ وما معنى التَّسليم؟ وما معنى هذا العذاب الذي عنى؟ فقال. الإنابةُ أن يرجعَ بك منك إليه، وتعلم أنَّه دعاك ولبّى[٣] نفسه نفسك، والعذابُ عذابُ الفِراق. وصاحَ صيحةً ومات فواريناه[٤]، وهذا قبره. قال إبراهيم: فتعجَّبتُ ممَّا وصفوا، ثمَّ دنوتُ من قبره، فإذا عند رأسه طاقةُ نرجس، كأنَّها رحًى عظيم، وعلى قبره مَكتوبٌ: هذا قبر حبيب الله قتيل الغيرة[٥] وعلى ورقة مكتوب: صفة الإنابة. قال إبراهيم: فقرأتُ ما على النَّرجس مكتوب، فسألوني أن أُفسّر لهم، ففسرتُ لهم، فوقعَ فيهم الطَّرب، فلمَّا أفاقوا وسكنوا قالوا: قد كُفينا جواب مسألتنا. ووقع عليَّ النَّوم، فما انتبهتُ إلاَّ

---

(١) في (أ): وعجائب ومتابعات.

(٢) في (أ): أيها الشاب من أين أقبلت.

(٣) في (أ): دعاك وليًّا.

(٤) في (أ): ومات فورًا.

(٥) في روض الرياحين: قتيل العبرة.

وأنا بقربِ مسجدِ عائشة[١] رضي الله عنها، وإذا في وطائي طاقةُ ريحان، فبقيتْ معي سنةً لم تتغيَّر، فلمَّا كان بعد سنةٍ فقدتُها[٢]

وقال أحمد بن فضلان الرَّازي: ورثتُ من والدي زيادةً على مئة ألف دينار، ففرَّقتُ المالَ في أسبوعٍ بعد ما أبقيتُ منه عشرة آلاف دينار مخافةَ أن يُشتِّتُ المالُ همي، ويشغلَ قلبي، فأفقتُ من وجدي، وجاءني العلمُ في الباقي، ففرَّقتُ العشرةَ آلاف دينار على شرطِ العلم، فلقيتُ إبراهيمَ الخواص، وحدَّثته بذلك، فقبَّل بين عيني، وقال: هل وقفتَ على فترتك إذ فترتَ، ورجعتَ من الوجد إلى العلم من العشرة آلاف؟ فقلت لا يا أستاذ ما علمت[٣] قال: بل؛ لتناولك ذلك المال، ثمَّ ضحكَ وقال: فديتُ يدًا كانت عقوبتُها رجوعَها من الوجد إلى العلم. وأنشأ يقول:

إذا افتقَروا عضُّوا على الضُّرِّ حِسبةً وإن أيسروا عادوا سِراعًا إلى الفقرِ

وقال: آفةُ المُريد ثلاثُ خصال: حبُّ الدِّرهم، وحبُّ النِّساء، وحبُّ الرِّياسة. فيدفع آفة حبِّ الدِّرهم باشتغال الورع. ويدفعُ آفةَ حبِّ النِّساء بترك الشَّهوات، ومُداومةِ الصَّوم، فإنَّما تتولَّدُ هذه الشَّهوات من الشِّبع وفراغِ القلب. ويدفعُ آفة حُبُّ الرِّياسة بإيثار الخمول[٤]

و: المريدُ الصَّادقُ اللهُ[٥] تعالى مُرادُه وقصده، والصِّديقون إخوانه، والخلوةُ بالوحدة[٦] أُنسه، والنَّهارُ غمُّه، واللَّيلُ فرحُه، ودليلُه قلبُه، والقرآنُ مَعِينة، والبكاءُ رِيُّهُ، والجوعُ أُدْمُه، والعبادةُ رياضة نفسه،

(١) مسجد عائشة: مسجد في التنعيم على فرسخين من مكة في الحلِّ، يحرم منه المكيون بالعمرة. معجم البلدان (التنعيم).
(٢) روض الرياحين ١٤٤، ١٤٥ (الحكاية: ٦٤).
(٣) في (أ): لا يا أستاذ! قال.
(٤) المختار ١/ ٢٠٧، طبقات الشعراني ١/ ٩٧.
(٥) في (ب): لله تعالى.
(٦) في (أ): والوحدة أنسه.

والمعرفةُ قيادُهُ، والحياةُ سفره، والأيام مراحله، والورعُ طريقُه، والزُّهدُ قرينه، والأحوالُ منازله، والصَّبرُ شِعاره، والسُّكونُ دِثاره، والصِّدق مطيَّته، والعبادةُ مركبه، وخوفُ الفوت مُستحثُّه. وأنشد رحمه الله:

إنَّ الذين بخيرٍ كنتَ تعهدُهم ... قَضوا عليكَ وعنهم كنتُ أنهاكَا

لا تطلبنَّ حياةً عند غيرِهم ... فليسَ يحييكَ إلاَّ من توفَّاكَا[1]

ورُوي: أنّه كان جالسًا في مسجدٍ بالرَّيِّ، وعنده جماعةٌ، إذ سمعَ صوتَ ملاهٍ من الجيران، فاضطربَ من ذلك مَنْ كان في المسجد، وقالوا: يا أبا إسحاق، ما ترى؟ فخرج إبراهيم من المسجد نحو الدَّار التي فيها المُنكر، فلمَّا بلغَ طرفَ الزّقاق، إذا كلبٌ رابضٌ، فلمَّا قربَ منه إبراهيم نبحَ عليه، وقام في وجهه، فعادَ إبراهيمُ إلى المسجد، وتفكّر ساعةً، ثمَّ قام مُبادرًا، فخرجَ، فمرَّ على الكلب، فبصبص[2] له الكَلبُ، فلمَّا قرب من بابِ الدَّار، خرج إليه شابٌّ حسنُ الوجه، وقال: أيها الشَّيخ، لِمَ انزعجتَ؟ كنتَ وجَّهتَ ببعضٍ من عندك، فأبلغ لك كلَّ ما تُريد. ثمَّ قال: عليَّ عهدُ الله وميثاقُه لا عدْتُ شربتُ أبدًا. وكسرَ جميعَ ما كان عنده من الآلاتِ، وأراقَ الشَّراب، وتاب، وصحبَ أهلَ الخير، ولزِمَ العبادة، ورجع إبراهيمُ إلى المسجد، فلمَّا جلس سُئل عن خروجِهِ في أولِ مرَّةٍ وعوده، ثمَّ خروجِه في الثَّانية، وما كان من أمرِ الكلب، فقال: نعم، إنَّما نبحَ عليَّ الكلبُ لفسادٍ كان قد دخلَ عليَّ في عقدٍ كان بيني وبين الله تعالى لم أنتبه له في الوقت، فلمَّا رجعتُ إلى الموضعِ ذكرتُه، فاستغفرتُ الله منه، ثمَّ خرجتُ الثَّانية، فكان ما قد رأيتموه، وهكذا كلُّ من خرجَ إلى نهيٍ عن مُنكرٍ[3] أو إقامةِ معروفٍ يتحرَّكُ عليه

---

(١) المختار ١/٢٠٧

(٢) بصبص الكلب: حرّك ذنبه. (القاموس)

(٣) في (ب): خرج إلى إزالة منكر.

شيءٌ من المَخلوقات، فإنَّما تدخلُ عليه العلّة بتلك الحركة من المخلوقات بفسادِ عقدٍ بينه وبين الله، فإذا وقعَ الأَمرُ على الصّحّة، لم يتحرَّكْ عليه شيءٌ، وكان ما عاينتموه[1]

وقال: التَّوكُّلُ الثَّباتُ بين يدي الله مُحيي الأموات.

وسُئل عن نعت الفقر، فقال: الفقر رداء المُتقين[2]، وجلباب المُرسلين، ولباسُ الرَّاضين، وزينُ المؤمنين، وجمالُ العابدين، وسرور الزَّاهدين، ولذّة الصَّابرين، ورأس مال الصّدّيقين، وغنيمةُ العارفين، ومَعقلُ الصَّالحين، ومتعة الورعين، ومُنية المريدين، وحصن المطيعين، وسِجن المذنبين[3]

وقال: من شربَ من كأسِ الرِّياسة، فقد خرجَ من إخلاصِ العبوديّة[4]

* * *

---

(١) صفة الصفوة ٤/ ١٠٠، المختار ١/ ١٩٦

(٢) في (أ): الفقر رد يقين الصابرين.

(٣) تهذيب الأسرار ١٥٨، المختار ١/ ٢٠٧

(٤) تهذيب الأسرار ١٨١، المختار ١/ ٢٠٨

(٤٦) عبد الله الخرَّاز(*)

ومنهم: أبو محمد عبد الله بن محمد الخرَّاز من كبار مشايخ الرَّازيين.

جاور بالحرم سنين كثيرة. وكان من الورعين القائلين بالحقِّ، والطَّالبين قوته من وجهٍ حلال(١)

صحب: أبا عمران الكبير، ولقي أبا حفص النَّيسابوري، وأصحابَ أبي يزيد، وكانوا جميعًا يُكرمونه ويعظمون شأنه(١)

وحكي عن أبي حفص أنَّه قال: نشأ بالرَّيِّ فتًى، إن بقي على طريقته وسمته، صارَ أحدَ الرِّجال(١)

مات قبل العشر وثلاث مئة.

وقال الدُّقِّي: دخلَ عليَّ عبد الله الخرَّاز، ولي أربعةُ أيامٍ لم آكل شيئًا، فقال: يجوعُ أحدُكم أربعةَ أيام، فيصبح ينادي عليه الجوعُ. ثمَّ قال: أيش يكونُ لو أنَّ كلَّ نفسٍ منفوسةٍ(٢) تلفَتْ فيما تؤمِّله من الله تعالى؟ تُرى يكونُ ذلك كثيرًا؟(٣)

(*) طبقات الصوفية ٢٨٨، حلية الأولياء ١٠/ ٣٤٥ (الحداد)، الرسالة القشيرية ٩٠، المختار من مناقب الأخيار ٣/ ٤٩٤، نفحات الأنس ٢٣٥، طبقات الشعراني ١/ ٩٨، الكواكب الدرية ١/ ٦٧٨، والطبقات الصغرى للمناوي أيضًا ٤/ ٣٨٤، جامع كرامات الأولياء ٢/ ١٠٩ (الحداد).

(١) طبقات الصوفية ٢٨٨، المختار ٣/ ٤٩٤

(٢) في (أ): نفس صوفي. والمنفوسة: المولودة.

(٣) طبقات الصوفية ٢٨٨، الرسالة القشيرية ٩٠، وفي كليهما: دخلتُ على.

وقال: الجوعُ طعام الزَّاهدين، والذِّكرُ طعام العارفين[١]

وقال: العبوديةُ الظَّاهرةُ والحريةُ الباطنة من أخلاق الكرام[٢]

وقال: من تكرَّمَ عن الشُّغلِ بالدُّنيا، اشتغلَ بما هو مأمورٌ به[٣]

وقال: العبارةُ يَفهمها العلماء، والإشارةُ يعرِفها الحكماء، واللَّطائفُ يقف عليها السَّادة من الشُّيوخ النّبلاء[٤]

وقال: الهممُ تختلفُ في الدَّارين، ليس من هِمَّتُهُ في المشهد الأعلى[٥] الحُور والقصور والاشتغال بنعيم الجنان وزخرفِها كمن همَّتُهُ مجالسةُ مولاه والنَّظرُ إلى وجهه الكريم[٦]

وسُئل عن الصَّبر ما علامته؟ فقال: ترك الشَّكوى، وإخفاءُ الضُّرِّ والبلوى[٦]

وقال: العبدُ هو العاجزُ عن درك مُنيتِهِ إلاَّ من جهة سيِّده[٦]

وقال: صيانةُ الأسرار عن الالتفاتِ إلى الأغيار من علامات الإقبال على الله تعالى[٧]

وقال: أحسنُ العبيدِ حالاً من أبصرَ نعمَ الله عليه، بأن أهَّلَهُ لمعرفته، وأَذِنَ له في قربه، وأباحَ له سبيل مُناجاته، وخاطبه على لسانِ أعزِّ السُّفَراء محمد ﷺ، وعرف تقصيره عن القيام بمواجب أداء شكره، إذ شكرُهُ يستوجبُ شكرًا إلى ما لا نهاية له[٨]

---

(١) طبقات الصوفية ٢٨٩، الرسالة القشيرية ٩٠

(٢) في طبقات الصوفية ٢٨٩، وحلية الأولياء ١٠/ ٣٤٥: العبودية ظاهرًا والحرية باطنًا.

(٣) طبقات الصوفية ٢٨٩، المختار ١/ ٤٩٥

(٤) طبقات الصوفية ٢٨٩، حلية الأولياء ١٠/ ٣٤٥، المختار ١/ ٤٩٥

(٥) في (أ): في المشهد إلاَّ على.

(٦) طبقات الصوفية ٢٨٩

(٧) طبقات الصوفية ٢٩٠، حلية الأولياء ١٠/ ٣٤٥.

(٨) طبقات الصوفية ٢٩٠، حلية الأولياء ١٠/ ٣٤٥

وأخسرُ العبيد عبدٌ عدَّ تسبيحه وصلاته، وظنَّ أنَّه يستحقُّ به على الله شيئًا، فلولا الفضل والرَّحمة، لعاينتَ الأنبياءَ في مقام الإفلاس، كيف، وأَجلُّهم حالاً وأقربُهم مَنْزلةً، والقائمُ بمقامِ الصِّدق حيثُ عجزَ عنها الرُّسلُ كلُّهم يقول: «ولا أنا، إلاَّ أن يتغمَّدني اللهُ منه برحمته وفضل»[1] ومن رأى بعد هذا لنفسِهِ مقامًا أو حالاً فهو لبعدِه عن طريقِ المعارف[2].

وقال الدُّقِّي: سمعتُ عبد الله الخراز بمكة يقول: طريقنا هذا فتوةٌ ليس هو قراءةً، فلمَّا قام عبد الله، التفتَ إلينا شيخٌ كان معه، فقال: أذكرُ لكم من فتوَّةِ شيخنا هذا شيئًا؟ قلنا: نعم. قال: خرجَ مع عشرين نفسًا من جُملة تلامذته من الرَّيِّ إلى بطن مَرّ[3]، فلمَّا صار ببطن مَرّ قال لهم: يا أصحابَنا، أَستودعُكم الله. قالوا له: إلى أين يا أستاذ، وقد بقي بيننا وبين مكَّة ثمانيةَ عشر ميلاً؟ قال: ما جِئت من الرَّيِّ إلى ههنا إلاَّ بنيَّةِ التَّشييع لكم، فطاب قلبِي بكم إلى ههنا، وأنا راجعٌ إلى الرَّيِّ، وأعتقدُ الحجَّ والحقَّ بكم، وقد بقي إلى الحجِّ خمسةُ أشهر[4].

* * *

(١) تقدم تخريجه صفحة ٥١٠.

(٢) طبقات الصوفية ٢٩٠، حلية الأولياء ١٠/ ٣٤٥، المختار ٣/ ٤٩٦.

(٣) بطن مَرّ: من نواحي مكة. معجم البلدان.

(٤) المختار ٣/ ٤٩٤، ٤٩٥.

(٤٧) بُنان الحمّال(*)

ومنهم: أبو الحسن بُنان بن محمد بن حمدان بن سعيد الحمّال، واسطي الأصل، سكن مصرَ واستوطنها، ومات بها.

وهو من جِلّة المشايخ، والقائلين بالحقِّ، والآمرين بالمعروف. له المقاماتُ المشهورة، والكرامات المذكورة[1]

صحب: أبا القاسم الجُنيد وغيره من المشايخ في وقته، وكان أستاذَ النُّوري[1]

مات في شهر رمضان سنة ستّ عشرة وثلاث مئة[1]

قال رحمة الله: إنَّ اللهَ خلقَ سبعَ سمواتٍ، في كلِّ سماءٍ له خلقٌ وجنود، وكلٌّ له مطيعون، وطاعتُهم على سبعِ مقامات: فطاعةُ أهلِ سماءِ الدُّنيا على الخوفِ والرَّجاء، وطاعةُ أهلِ السَّماء الثَّانية على الحبِّ والحُزن، وطاعةُ أهلِ السَّماء الثَّالثة على المِنَّة والحياء، وطاعةُ أهلِ السَّماء الرَّابعة على الشَّوقِ والهيبة، وطاعةُ أهل السَّماء الخامسة على المُناجاة والإجلال، وطاعةُ أهلِ السَّماء السَّادسة على الإنابةِ والتَّعظيم،

(*) طبقات الصوفية ٢٩١، حلية الأولياء ١٠/ ٣٢٤، تاريخ بغداد ٧/ ١٠٠، الرسالة القشيرية ٩١، الأنساب ٤/ ٢٠٦، صفة الصفوة ٢/ ٤٤٨، المنتظم ٦/ ٢١٧، المختار من مناقب الأخيار ١/ ٤٨٦، سير أعلام النبلاء ١٤/ ٤٨٨، العبر ٢/ ١٦٣، الوافي بالوفيات ١٠/ ٢٨٩، مرآة الجنان ٢/ ٢٦٨، البداية والنهاية ١١/ ١٥٨، طبقات الأولياء ١٢٢، حسن المحاضرة ١/ ٢٩٣، النجوم الزاهرة ٣/ ٢٢٠، نفحات الأنس ٢٣٦، طبقات الشعراني ٢/ ٢٧١، الكواكب الدرية ٢/ ٦٠.

(١) طبقات الصوفية ٢٩١، المختار ١/ ٤٨٦.

وطاعةُ أهلِ السَّماء السَّابعة على المِنَّة والقُربة[1]

وقال: إن أفردتَه بالرُّبوبية، أفردَكَ بالعناية، والأمرُ بيدك، إن نصحتَ صافوك، وإن خلَّطتَ خلَّوك[2]

وسُئل عن أجلِّ أحوال الصُّوفية، فقال: الثِّقةُ بالمضمون، والقيامُ بالأوامر، ومراعاةُ السِّرِّ، والتَّخلِّي عن الكونَيْنِ بالتَّشبُّثِ بالحقِّ[3]

وقال: من أُلبس ذُلَّ العجز، فقد مات مِنْ شاهدِهِ، ومن أُلبس عزَّ الاقتدار حيي من يشاهده، وجُعل سببًا لحياةِ[4] الهياكل، وهذا هو الفرقُ بين الرُّوح والنَّفس[5]

وقال: رؤيةُ الأسباب على الدَّوام قاطعةٌ عن مُشاهدة المُسبِّب، والإعراضُ عن الأسباب جملةً يُؤدِّي بصاحبِهِ إلى ركوبِ البواطل[6]

وقال: ليس بمتحقِّقٍ في الحبِّ من راقبَ أوقاته، أو تحمّلَ في كتمان حُبِّه حتَّى يتهتَّكَ فيه، ويفتضحَ، ويخلَعَ العذار، ولا يُبالي عمَّا يَرِدُ عليه من جهةِ مَحبوبه أو بسببه، ويتلذَّذَ بالنَّعماءِ[7] في الحبِّ كما يتلذَّذُ الأغيار بأسبابِ النِّعم، وأنشدَ على إثره:

لَحاني العَاذلونَ فقلتُ: مَهلاً ... فإنِّي لا أرى في الحبِّ عارا
فقالوا: قد خَلَعْتَ. فقلت: لسنا ... بأوَّلِ خالعٍ خلعَ العِذارا[8]

(١) طبقات الصوفية ٢٩٣
(٢) طبقات الصوفية ٢٩٣، وفيه: وإن خلّطت جافوك، حلية الأولياء ١٠/ ٣٢٥
(٣) طبقات الصوفية ٢٩٣، الرسالة القشيرية ٩١
(٤) في (أ): حيَّ بشاهده، وجعل نسبه لحياة.
(٥) طبقات الصوفية ٢٩٤، وفيه: فقد حيَّ بشاهده. المختار ١/ ٤٩٠
(٦) طبقات الصوفية ٢٩٤، الحلية ١٠/ ٣٢٥، المختار ١/ ٤٩٠.
(٧) في طبقات الصوفية: بالبلاء في الحب.
(٨) طبقات الصوفية ٢٩٤، المختار ١/ ٤٩٠

ورُوي: أنَّه أُلقي بين يدي السَّبُع[1]، فكان يشمُّه السَّبعُ، ولا يضرُّه، فلمَّا أُخرج عنه قيل له: ما الذي كان في قلبك، حيث شمَّكَ السَّبعُ؟ فقال: كنتُ أتفكَّرُ في اختلاف العلماءِ في سُؤر السِّباع[2].

ورُوي: أنَّ قاضي مصرَ سعى به إلى السُّلطان إلى أن ضُرب سبعَ دِرر، فدعا عليه بُنان، فقال: حَبَسكَ اللهُ بكلِّ دِرَّةٍ سنة. فأخذه ابن طولون، فحبسه سبعَ سنين[3].

وقال:

الحـــرُّ عبـــدٌ مـــا طَمِـــعْ والعبـــدُ حـــرٌّ مـــا قَنِـــعْ[4]

وقال: كنتُ في طريقِ مكَّة أجيءُ من مصرَ، ومعي زادٌ، فجاءتني امرأةٌ، وقالت لي: يا بُنان، أنت حمّالٌ، تحملُ الزَّادَ على ظهرك، وتتوهَّمُ أنَّه لا يرزقُك؟ قال: فرميتُ بزادي، ثمَّ أتى عليَّ ثلاثةُ أيامٍ لم آكل، فوجدتُ في الطَّريق خلخالاً، فقلت في نفسي. أحملُه حتَّى يجيءَ صاحبُه، فربَّما يُعطيني شيئًا، وأردُّه عليه، وإذا أنا بتلك المرأةِ تقولُ لي: أنت تاجرٌ؛ تقولُ: حتَّى يجيء صاحبُه، فآخذَ منه شيئًا. ثمَّ إنَّها رمتْ إليه شيئًا من الدَّراهم، وقالت: انفقْها فاكتفيتُ بها إلى قريبٍ من مصر[4].

وروي: أنَّه احتاجَ إلى جاريةٍ تخدمه، فانبسطَ إلى إخوانه، والتمسَ ذلك منهم، فجمعوا له ثمنَها، وقالوا: إذا جاء النَّفرُ، نشتري ما يُوافق. فلمَّا وردَ النَّفرُ، اجتمعَ رأيُهم على واحدةٍ، فقالوا لصاحبها: بكم هذه؟ فقال: إنَّها ليست للبيع. فألحُّوا عليه، فقال لهم: لبُنان الحمّال، أهدتْها

---

(١) وذلك أن بنان الحمال أمر أمير مصر ابن طولون بمعروفٍ، فوجد عليه، فأغراه أبو عبد الله القاضي عليه حتى ضربه سبع درر، وألقاه إلى السبع.

(٢) حلية الأولياء ١٠/ ٣٢٤، الرسالة القشيرية ٩١.

(٣) حلية الأولياء ١٠/ ٣٢٤

(٤) الرسالة القشيرية ٢٧٠ (التوكل)، المختار ١/ ٤٨٩، روض الرياحين ١٧٨ (الحكاية: ٩٩).

إليه أمرأةٌ من سَمرقند. فحملوها إلى بُنان، وذكروا له القصة[1]

وقال: كنتُ قاعدًا بمكَّة، وشابٌّ بين يدي، فجاءهُ إنسانٌ وحملَ إليه كيسًا فيه دراهم، ووضعَه بين يديه، فقال: لا حاجةَ لي فيه. فقال: فرّقْه على المساكين. ففعل، فلمَّا كان وقتُ العشاء رأيتُه في الوادي يطلبُ لنفسه شيئًا، فقلت له: لو تركتَ لنفسك ممّا كان معك شيئًا! فقال: لم أَعلم أنّي أعيش إلى هذا الوقت[2]

وقال: تعذَّرَ عليَّ في بعضِ الأوقات ما أقتاتُه، ولحقني ضرورةٌ، فرأيتُ قطعةَ ذهبٍ مطروحةً في الطَّريق، فأردتُ أخذَها، وقلتُ: لُقَطة. فتركتها، ثمَّ ذكرتُ الحديثَ الذي يُروى عن النَّبيِّ ﷺ: «لو كانت الدُّنيا دمًا عبيطًا، لكان قوتُ المسلم منها حلالاً»[3] فأخذتُها، وجعلتها في فمي، ومشيتُ غيرَ بعيدٍ، فإذا بحَلْقة صبيان، وواحدٌ منهم على شيءٍ مُرتفعٍ يتكلَّمُ عليهم في التَّصوف، فوقفتُ أَسمع كلامَهم، فقال واحدٌ منهم: متى يجدُ العبدُ حلاوةَ الصّدق؟ فقال: إذا رمى القطعةَ من الشِّدْق. فأخرجتُها من فمي ورميتُها[4]

وقال: كنت مجاورًا بمكَّة، فرأيتُ بها إبراهيمَ الخوّاص، ولم يكن بيني وبينه أُنسٌ ولا مُجالسة، وكنتُ إذا رأيتُه أهابُهُ، وقد كان أتى عليَّ أيامٌ لم يُفتح لي بشيءٍ. وكان بمكَّة رجلٌ مُزيِّن يُحبُّ الفقراء والمستورين، وربَّما كنتُ أقصدُه، فيأخذُ شعري. وكان من أخلاقه إذا جاءَهُ الفقيرُ

---

(١) الرسالة القشيرية ٢٧١ (التوكل)، المختار ١/ ٤٨٧

(٢) الرسالة القشيرية ٣٩٣ (الفقر)

(٣) قال العجلوني في كشف الخفا ٢/ ١٥٩: قال في المقاصد: لا يعرف له سند؛ لكن معناه صحيح، فإن الله لم يُحرّم على المؤمن ما يضطر إليه من غير معصية. وقال الزركشي: لا أصل له، وقال النجم: هو من كلام الفضيل بن عياض. وذلك لأن المؤمن لا يأكل إلاّ عن ضرورة. والعبيط الطري.

(٤) المختار ١/ ٤٨٧.

يحتجمُ عنده، اشترى له لحمًا وطبَخَهُ وأطعمه، فقصدتُه ذات يوم، وقلت له: أُريد أن أحتجمَ. فأرسل من يشتري لحمًا ويُصلحه، وجلستُ بين يديه، فجعلتْ نفسي تقول: تُرى يكون فراغُ القِدْرِ مع فراغ الحجامة؟ ثمَّ استيقظت، فقلت: يا نفس، إنَّما جئت لتَحتجمي لا لتُطْعمي[1] وعاهدتُ اللهَ إن ذقتِ[2] من طعامه شيئًا، فلمَّا فرَغَ من الحجامة، انصرفتُ، فقال لي: سُبحان الله! أنت تعرفُ الرَّسم؟ فقلتُ: ثَمَّ عَقْدٌ، فسكتَ، وجئتُ إلى المسجد الحرام، فلم يُقْدَر لي بشيءٍ آكله، فلمَّا كان من الغدِ بقيتُ إلى آخر النَّهار ولم يتّفق لي أيضًا شيءٌ، فلمَّا قمتُ لصلاةِ العصرِ سقطتُ، وغُشي عليَّ، واجتمعوا حولي ناسٌ، وحسبوا أنّي مجنون، فقام إبراهيمُ الخوّاص وفرَّقَ عنّي النَّاس، وجلسَ عندي يُؤانسني ويُحدِّثني، ثمَّ قال لي: تأكلُ شيئًا؟ قلت: قَرُبَ اللَّيلُ. فقال: أَحسنتم يا مُبتدئين، اثبُتوا على هذا تفلحوا. ثمَّ قام إبراهيم، فلمَّا صلينا عشاءَ الآخرةِ إذا هو قد جاءني، ومعه قصعةٌ فيها عَدَسٌ ورغيفان ودَوْرَقُ ماء[3]، فوضعه بين يدي وقال لي: كُلْ. فأكلتُ الرَّغيفين والعدَسَ، فقال لي: فيك فضلٌ، تأكلُ شيئًا آخر؟ قلت: نعم. فمضى وجاءني بقصعةِ عَدَسٍ ورغيفين، فأكلتُ الجميع، فقال لي: فيك فضلٌ، تأكل شيئًا آخر؟ قلت: نعم. فمضى وجاءني بقصعةِ عدسٍ ورغيفين، فأكلتُ الجميع، وقلتُ: قد اكتفيتُ، ثمَّ انضجعتُ، فما قمتُ ليلتي إلى الصَّباحِ إلاَّ كنت نائمًا، ولا صلّيتُ ولا طفت، قال: فرأيتُ بعد ذلك رسولَ الله ﷺ في المنام، فقال لي: يا بُنان. قلت: لبّيكَ يا رسول الله، فقال: من أكلَ بشَرهٍ أعمى الله عين قلبه. قال: فانتبهتُ واعتقدتُ أن لا أشبعَ بعد هذه الرُّؤيا[4]

---

(١) في (ب): جئت تحتجمي أو لتُطعمي؟

(٢) في المختار: إن ذقتُ.

(٣) الدورق: الجرة ذات العروة. القاموس.

(٤) المختار ١/٤٨٨. وانظر تهذيب الأسرار ٣٥٢

وقال أحمد بن مَسروق: أنشدني بُنان الحمّال في المسجد الحرام، قال: أَنشدني بعضُ أصحابنا وقد دعوته:

مـــن دعـــانـــا فـــأبَيْنـــا فلَـــهُ الفضـــلُ علينـــا
فـــإذا نحـــن أَجبنـــا رجـــعَ الفضـــلُ إلينـــا[1]

وقال: دخلَ أبو جعفر محمد بن يعقوب الفَرَجي[2] إلى هذا البلد ـ يعني مصرًا ـ وكثرَ النَّاس عليه، فأحببتُ المضيَّ إليه، وكنتُ بقيتُ ثلاثة أيام لم أَطعم فيها شيئًا، فجئتُ إليه، وهو جالسٌ، وعنده خلقٌ كثير يكتبونَ عنه، وهو بإزاء بيتِ ملآن[3] كتبًا، فقلت له: رحمَكَ الله، اختصرْ لي من هذا العلمِ كلِّه كلمةً أنتفعُ بها وأعمل عليها، فقال لي: نعم يا أبا الحسن، عليك بأَخذِ الأقلِّ من الدُّنيا، وارض فيها بالذُّلِّ. فقلتُ: حسبِي.

* * *

---

(١) طبقات الأولياء ١٢٤

(٢) محمد بن يعقوب الفرجي من علماء الصوفية من أهل سامرا، ووفاته بالرملة سنة ٢٧٠ للهجرة، أنفق الكثير على العلماء والفقراء. له مصنفات في معاني الصوفية منها: كتاب «الورع»، و«صفات المريدين»

(٣) في (ب): وهو جالس عند باب بيت.

(٤٨ـ٤٩) محمد وأحمد ابنا أبي الورد[*]

ومنهم: محمد وأحمد ابنا أبي الورد وهما من كبار مشايخ العِراقيّين، وأقارب الجُنيد[١]، ومن جلسائه.

صحبا: السَّريَّ السَّقَطي، والحارث المحاسِبي، وبِشر بن الحارث، وأبا الفتح الحمال[٢]

وطريقُهما في الورع قريبٌ من طريقةِ بشر[٣]

قال محمد: في ارتفاع الغفلةِ ارتفاعُ العبودية، ثمَّ الغفلةُ غفلتان: غفلةُ رحمة، وغفلةُ نِقمة، فأمَّا التي هي رحمة فلو كُشِفَ الغطاءُ، وشهدَ القومُ العظمةَ ما انقطعوا عن العبودية ومراعاة السِّرِّ. وأمَّا النِّقمة فهي الغفلةُ التي تشغلُ العبدَ[٤] عن طاعة الله بمعصيةِ الله تعالى[٥]

(*) ترجمة أحمد: طبقات الصوفية ٢٤٩، حلية الأولياء ١٠/ ٣١٥، تاريخ بغداد ٥/ ٦٠، صفة الصفوة ٢/ ٣٩٥، المنتظم ٥/ ٤٢، المختار من مناقب الأخيار ١/ ٣٥٤، ميزان الاعتدال ١/ ١٤٨، طبقات الأولياء ٣٧٢، نفحات الأنس ١٩٢، طبقات الشعراني ١/ ٩٨، الكواكب الدرية ١/ ٥٢٧

(*) ترجمة محمد: طبقات الصوفية ٢٤٩، حلية الأولياء ١٠/ ٣١٥، تاريخ بغداد ٣/ ٢٠١، صفة الصفوة ٢/ ٣٩٥، المنتظم ٥/ ٤٢، المختار من مناقب الأخيار ١/ ٣٥٤، الوافي بالوفيات ١/ ١٠٥، طبقات الأولياء ٣٧٢، نفحات الأنس ١٩٢، طبقات الشعراني ١/ ٩٨، الكواكب الدرية ١/ ٦٩٦

(١) في طبقات الصوفية ٢٤٩ وكانا من جلساء الجُنيد وأقرانه

(٢) في (أ): أبا الفتح الحبالي.

(٣) طبقات الصوفية ٢٤٩

(٤) في (ب): التي يشتغل بها العبدُ.

(٥) طبقات الصوفية ٢٤٩، المختار ١/ ٣٥٥

وقال أحمد: بساطُ المجدِ بُسط للأولياء ليأنسوا به، وليرفعَ به عنهم حِشمةَ بديهة المشاهدة. وبُساطُ الهيبةِ بُسط للأعداء، ليستوحشوا من قبائحِ أفعالهم، فلا يَشاهدوا ما يستروحون إليه في المشهدِ الأعلى[1]

وقال: وصلَ القومُ بخمسٍ: بلزومِ الباب، وتركِ الخلاف، والنَّفاذِ في الخدمة، والصَّبرِ على المصائب، وصيانةِ الكرامات[1]

وسُئل محمد عن الولي، فقال: من يُوالي أولياءَ الله، ويُعادي أعداءَ الله[2]

وقال أيضًا: من كانت نفسُه لا تحبُّ الدُّنيا، فأهلُ الأرض يُحبُّونه، ومن كان قلبُه لا يحبُّ الدُّنيا، فأهلُ السَّماء يحبُّونه[3]

وقال أحمد: إذا زادَ الله في الولي ثلاثةَ أشياء، زادَ منه ثلاثة أشياء: إذا زادَ جاهُه زاد تَواضعُهُ، وإذا زاد مالُه زادَ سخاؤه، وإذا زاد عمُره زادَ اجتهادُه[4]

وسُئل محمد عن قوله تعالى: ﴿أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنًا﴾ [فاطر: ٨]، فقال: معناه: من ظنَّ في إساءته أنَّه مُحسنٌ[5]

وقال: من آدابِ الفقير في فقره تركُ المَلامَةِ والتَّغيُّر لمن ابتُلي[6] بطلب الدُّنيا، والرَّحمةُ والشَّفقةُ عليه، والدُّعاء له ليُريحه الله من تعبه فيها[7]

---

(١) طبقات الصوفية ٢٥٠، حلية الأولياء ١٠/ ٣١٥، المختار ١/ ٣٥٥

(٢) طبقات الصوفية ٢٥٠

(٣) طبقات الصوفية ٢٥٠، وانظر حلية الأولياء ١٠/ ٣١٥، المختار ١/ ٣٥٥.

(٤) طبقات الصوفية ٣٥١، الحلية ١٠/ ٣١٥، المختار ١/ ٣٥٤

(٥) طبقات الصوفية ٣٥١، المختار ١/ ٣٥٥

(٦) في طبقات الصوفية ٢٥١: والتعبير لمن ابتلي، وفي المختار: والتعبير لمن ابتلي.

(٧) طبقات الصوفية ٢٥١، المختار ١/ ٣٥٦

وقال محمد: هلاكُ النَّاس في حِرفين[1]: اشتغالٍ بنافلة، وتَضييع فريضةٍ، وعملٍ بالجوارح بلا مواطأةِ القلب عليه، وإنَّما مُنعوا الوصول بتضييعهم الأصول[2]

* * *

---

(١) في (أ): في حرفتين.
(٢) حلية الأولياء ١٠/٣١٦، المختار ١/٣٥٥

(٥٠) أبو حمزة البغدادي(*)

ومنهم: أبو حمزة محمد بن إبراهيم البغدادي البزَّاز.

صحب: السَّري السَّقَطي، وحسن المُسوحي.

وكان يَنتمي إلى المسوحي، وكان فقيهًا، عالمًا بالقراءات.

وكان يتكلَّمُ ببغداد في مسجدِ الرُّصافة قبل كلامِهِ في مسجد المدينة، فتكلَّمَ يومًا في جامعِ المدينة، فتغيَّر عليه حالُه، فسقطَ عن كرسيِّه، وماتَ يوم الجمعة، وكان موتُه قبل الجُنيد[1]

وكان من رُفقاء أبي تُراب النَّخشبِي في أسفاره. وهو من أولاد[2] عيسى بن أبان[3]

(*) طبقات الصوفية ٢٩٥، ٣٢٦، حلية الأولياء ١٠/ ٣٢٠، تاريخ بغداد ١/ ٣٩٠ الرسالة القشيرية ٩١، طبقات الحنابلة ١/٢٦٨، المنتظم ٥/٦٨، صفة الصفوة ١/٢٦، ٢٧، ٢٨، المختار من مناقب الأخيار ٤/ ٢٩٠، مختصر تاريخ دمشق ٢١/ ٣٤٩ و٢٨/ ٢٤٣، سير أعلام النبلاء ١٣/ ١٦٥، الوافي بالوفيات ١/ ٣٤٤، طبقات الأولياء ١٥٠، ١٥٥، النجوم الزاهرة ٣/٤٦، نفحات الأنس ١٠٨، طبقات الشعراني ١/ ٩٩، ١٠٣، الكواكب الدرية ١/ ٥٥٠، ٦٩٧، ٤/ ١٢٧، جامع كرامات الأولياء ١/ ٢٧٠ وانظر ترجمة أبي حمزة الخراساني (٦٢)، ففيهما أخبار مشتركة.

(١) طبقات الصوفية ٢٩٥

(٢) في الحلية: من موالي عيسى.

(٣) طبقات الصوفية ٢٩٥، حلية الأولياء ١٠/ ٣٢٠

وعيسى بن أبان كان من أصحاب الحديث، ثم غلب عليه الرأي، وتفقه على محمد بن الحسن صاحب أبي حنيفة، قيل عنه: ما في الإسلام قاضٍ أفقه منه في وقته، توفي سنة ٢٢١هـ.

وكان أحمدُ بن حنبل إذا جرى في مجلسه شيءٌ من كلام القوم، يقول لأبي حمزة: ما تقولُ فيها يا صوفي؟[1]

ودخل البصرة مِرارًا

وكان أيضًا قد صحبَ بشر بن الحارث.

مات سنة تسعٍ وثمانين ومئتين[2]

وقال رحمة الله: من المُحالِ أن تُحبَّه ثمَّ لا تَذكره، ومن المُحال أن تذكرَه ثمَّ لا يُوجدُكَ طعمَ ذِكره، ومن المُحال أن يُوجدَكَ طعمَ ذِكره، ثمَّ يشغلَكَ بغيره[3]

وقال: خرجتُ من بلادِ الرُّوم، فوقفتُ على راهبٍ، فقلتُ له: هل عندك من خبرٍ من قد مضى؟ قال: نعم، ﴿فَرِيقٌ فِي ٱلْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي ٱلسَّعِيرِ﴾[4] [الشورى: ٧].

وقال الجُنيد: وافى أبو حمزةَ من مكَّةَ وعليه وعثاء السَّفر، فسلَّمتُ عليه وشهَّيتُه، فقال لي: سِكباج[5] وعصيدة تُخلِّيني[6] بهما؟ فأخذتُ مَكّوكَ[7] دقيقٍ، وعشرةَ أرطال لحمٍ وباذنجان، وأخذت عشرةَ أرطال دِبسٍ، وعملنا له سكباجةً وعصيدةً، ووضعتها في حَيريٍّ لنا[8]، وأدخلتُه الدَّار، وأسبلتُ السِّترَ، فدخلَ فأكلَ الجميع، فلمَّا فرغَ من أكله، دخلتُ

---

(١) طبقات الصوفية ٢٩٥، الرسالة القشيرية ٩١
(٢) طبقات الصوفية ٢٩٦، المختار ٤/ ٢٩٦
(٣) طبقات الصوفية ٢٩٦، المختار ٤/ ٢٩٤
(٤) طبقات الصوفية ٢٩٦
(٥) السِّكباج: مرق يُعمل من اللحم والخل.
(٦) في المختار ٤/ ٢٩٢: تحليني.
(٧) المكوك: مكيال يسع صاعًا ونصفًا. القاموس.
(٨) الحير: شبه الحظيرة، أو الحمى. القاموس.

عليه، وقد أتى على ذلك كُلِّه، فقال لي: يا أبا القاسم، لا تعجبْ، فهذا من مكّة الأكلةُ الثّالثة[١]

وقال: استراحَ من أسقطَ عن نفسه[٢] محبّة الدُّنيا، وإذا خلا القلبُ من محبّة الدُّنيا دخلَهُ الزُّهد، وإذا دخله الزُّهدُ أورثه ذلك التّوكُّلَ[٣]

وقال: من رُزقَ ثلاثةَ أشياء [مع ثلاثة أشياء]، فقد نجا من الآفات: بطنٌ خالٍ، مع قلبٍ قانع، وفقرٌ دائم، مع زُهدٍ حاضر، وصبرٌ كامل مع ذكرٍ دائم[٣]

وقال: حبُّ الفقرِ شديدٌ، لا يَصبرُ عليه إلا صِدّيق[٤]

وقال: إذا فتحَ اللهُ عليك طريقًا من طرقِ الخير، فالزمْه، وإيّاك أن تنظرَ إليه وتفتخرَ به، واشتغلْ بشكرِ من وفّقَكَ لذلك، فإنَّ نظرَكَ إليه يُسقطك[٥] عن مقامك، واشتغالُكَ بالشُّكر يُوجب لك منه المزيد، لأنَّ الله تعالى يقول: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾[٦] [إبراهيم: ٧].

وقال: من علم طريقَ الحقِّ سَهُلَ عليه سلوكُها، وهو الذي عَلِمَها بتعليم الله إيّاه، ومن عَلِمها بالاستدلال، فمرّةً يُخطئ ومرّةً يُصيب، ومن تَبِعَ فيه أثر الدّليل الصّادق النّاصح، بلغه عن قريبٍ إلى مقصده، ولا دليل على الطريق إلى الله إلاّ متابعةُ الرّسولِ عليه السّلام في أحواله وأفعاله وأقواله[٧]

---

(١) طبقات الصوفية ٢٩٧، المختار ٤/ ٢٩٢

(٢) في (ب): عن قلبه.

(٣) طبقات الصوفية ٢٩٦، المختار ٤/ ٢٩٤

(٤) طبقات الصوفية ٢٩٨

(٥) في (أ): فإن نظرت إليه يشغلك.

(٦) طبقات الصوفية ٢٩٨، المختار ٤/ ٢٩٤

(٧) طبقات الصوفية ٢٩٨، وانظر الرسالة القشيرية ٩٢

وقال: إذا سلمتْ منك نفسُك، فقد أدَّيت حقَّها، وإذا سلمَ منك الخلقُ فقد قضيت حقوقهم[1]

وسُئل عن الأُنس، فقال: ضيقُ الصَّدر مع معاشرة[2] الخلق[3]

وقال: من استشعرَ الموت حُبِّبَ إليه كلُّ باقٍ، وبُغِّض إليه كلُّ فانٍ[3]

و: من استوحشَ من نفسِهِ، أَنِسَ قلبُه بموافقه مولاه[3]

وقال لبعضِ أصحابه: خفْ سطوةَ العدل، وارجُ رأفةَ[4] الفضل، ولا تأمنْ مكرَهُ، وإن أنزلَكَ الجنان، ففي الجنَّةِ وقعَ لأبيك آدمَ ما وقع، وقد يُقطع بقومٍ فيها، فقال لهم[5]: ﴿ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيٓـًٔا بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِى ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ ﴾ [الحاقة: ٢٤]. فشغلَهم عنه بالأكلِ والشُّرب، فلا مكرَ فوقَ هذا، ولا حسرةَ أعظمُ من هذا[6]

وقال: العارفُ يخاف زوالَ ما أعطى الله، والخائفُ يخافُ نزولَ الوعيد[6]

ورُوي أنَّه كان حسنَ الكلام، فهتفَ به يومًا هاتفٌ وقال: تكلَّمتَ فأحسنتَ، بقي أن تَسكتَ فتُحسن. فما تكلَّمَ بعد ذلك إلى أن مات[7]

وقيل: إنَّه ماتَ بعد هذه الحالة على رأسِ أسبوعٍ، أقلَّ أو أكثر[7]

وقال: إنِّي لأَستحيي من اللهِ أن أدخلَ البادية وأنا شَبعان، وقد

---

(١) طبقات الصوفية ٢٩٨

(٢) في طبقات الصوفية: عن معاشرة الخلق، وفي المختار من معاشرة.

(٣) طبقات الصوفية ٣٢٦ (ضمن ترجمة أبي حمزة الخراساني)، حلية الأولياء ١٠/ ٣٢٢، المختار ٤/ ٢٩٣

(٤) في (أ): وارج رقة.

(٥) في (ب): فيقال لهم.

(٦) طبقات الصوفية ٣٢٧، حلية الأولياء ١٠/ ٣٢٢، المختار ٤/ ٢٩٥

(٧) تهذيب الأسرار ٤٥٦، الرسالة القشيرية ٢٠٩ (الصمت)، المختار ٤/ ٢٩٦.

اعتقدتُ التَّوكُّلَ؛ لئلا يكون سعيي على الشِّبع زادًا أتزوَّده[١]

وقال: علامةُ الصُّوفي الصَّادق أن يفتقرَ بعد الغِنى، ويذلَّ بعد العزِّ، ويَخفي بعد الشُّهرة. وعلامة الصُّوفي الكاذب أن يستغني بعد الفقرِ، ويعزَّ بعد الذُّلِّ، ويشتهرَ بعد الخفاء[٢]

ورُوي: أنَّه سمعَ رجلاً من أصحابه وهو يلومُ بعض إخوانه على إظهارِ وجدِهِ وغلبةِ الحالِ عليه، وإظهارِ سرِّه في مجلسٍ فيه بعضُ الأضداد، فقال له أبو حمزة: اقصرْ يا أخي، فالوجدُ الغالبُ يُسقط التَّمييز، ويجعلُ الأماكنَ كلَّها مكانًا واحدًا، والأعيانَ عينًا واحدًا، ولا لومَ على من غلبَ عليه وجدُه فاضطرَّهُ إلى ذلك، وما أحسنَ ما قال ابنُ الرّومي[٣]:

فـدعِ المـلامـةَ للمُحـبِّ فـإنَّهـا بئـسَ الـدَّواءُ لمُـوجَـعٍ مِقْـلاقِ[٤]
لا تُطفِئـنَّ جـوًى بلـومٍ إنَّـه كالرِّيحِ يُغري[٥] النَّارَ بالإحراقِ[٦]

وقيل له: هل يتفرَّغُ[٧] المحبُّ إلى شيءٍ سوى محبوبه؟ فقال: لا، لأنَّه بلاءٌ دائم، وسرورٌ مُنقطع، وأوجاعٌ مُتَّصلة، لا يعرفُها إلاَّ من باشرها. وأنشدَ:

يُقاسي المُقاسِي شَجوه دونَ غيرِهِ وكـلُّ بـلاءٍ عنـد لاقيـه أَوجـعُ[٨]

* * *

(١) حلية الأولياء ١٠/ ٣٢٢، المختار ٤/ ٢٩٠

(٢) الرسالة القشيرية ٤٠٠ (التصوف)، المختار ٤/ ٢٩٥

(٣) ديوان ابن الرومي صفحة ١٦٦٣، من قصيدة مطلعها:

لا تكثـرنَّ مـلامـةَ العشـاقِ فكفـاهُـمُ بـالـوجـد والأشـواقِ

(٤) في (أ): الموجع المقلاق.

(٥) في (ب): يغذي النار

(٦) طبقات الصوفية ٣٢٨، تهذيب الأسرار ٣٤٩، المختار ٤/ ٢٩٥

(٧) في (ب): هل يفزعُ.

(٨) طبقات الصوفية ٣٢٨، حلية الأولياء ١٠/ ٣٢٢، المختار ٤/ ٢٩٤.

(٥١) أبو بكر الواسطي(*)

ومنهم: أبو بكر محمد بن موسى الواسطي أصلُه من فَرْغَانة، فكان يُعرف بابنِ الفَرْغاني.

من قُدماء أصحابِ الجُنيد، والنُّوري. وهو من عُلماء مشايخ القوم[١].

لم يتكلَّمْ أحدٌ في أُصول التَّصوُّف مثلَ كلامه[١].

وكان عالمًا بأُصول الدِّينِ، والعلوم الظَّاهرة[١].

دخل خُراسان، واستوطن كُورَة مرو، ومات بها بعد العشرين وثلاثِ مئة وكلامُه عندهم، وليس بالعراق منه شيءٌ؛ لأنَّه خرجَ منها وهو شابٌّ، ومشايخُهُ في حال الحياةِ، فتكلَّمَ بخُراسان في أَبيوَرْد ومَرْو، وأكثرُ كلامه بمرو[١].

وقال رحمه الله ابتُلينا بزمانٍ ليس فيه آدابُ الإسلام، ولا أخلاقُ الجاهلية، ولا أحلامُ ذي المروءة[٢].

وقال: الأَسرى على وجوهٍ: أسيرُ نفسه وشهوته، وأَسيرُ شيطانه

(*) طبقات الصوفية ٣٠٢، حلية الأولياء ١٠/٣٤٩، الرسالة القشيرية ٩٢، المنتظم ٦/٢٦٢، المختار من مناقب الأخيار ٤/٤٥٥، الوافي بالوفيات ٥/٨٥، طبقات الأولياء ١٤٨، نفحات الأنس ٢٦٠، طبقات الشعراني ١/٩٩، الكواكب الدرية ٢/١٥٩

(١) طبقات الصوفية ٣٠٢

(٢) طبقات الصوفية ٣٠٣، حلية الأولياء ١٠/٣٤٩، المختار ٤/٤٥٦.

وهَواه، وأَسيرُ ما لا معنى له: لحظِهِ أو لفظِهِ، هُمُ الفُسَّاق، وما دام للشواهدِ على الأسرارِ أَثَرٌ، وللأعراض على القلبِ خَطَرٌ، فهو محجوبٌ بعيدٌ من عينِ الحقيقة، وما تَورَّع المتورّعون، ولا تزهَّد المتزهِّدون إلا لعظمِ الإعراضِ في سرائرهم، فمن أعرض عنها أدبًا أو تَورَّع عنها ظَرفًا فذلك الصَّادقُ في ورعه، والحكيمُ في أدبه(١)

وقال: أفقر الفقراء من سَتَرَ الحقُّ حقيقةَ حقِّه عنه(١)

وقال: الحبُّ يُوجب شوقًا، والشَّوقُ يُوجب أُنسًا، فمن فَقَدَ الشَّوقَ والأُنس، فليعلمْ أنّه غيرُ مُحِبٍّ(١)

وقال: الخوفُ حجابٌ بين الله وبين العبد، وهو الإياس، والرَّجاءُ هو الطَّمع، فإن خفته بخَلته، وإن رجوتَهُ اتَّهمتَه(٢)

وقال: من حالَ به الحالُ كان مَصروفًا عن التَّوحيد، ومن انقطعَ به انقطع، ومن وُصِلَ به وصل. وفي الحقيقة لا وصلَ ولا فصل. ولذلك قيل:

ولا عن قِلًى كانَ القطيعةُ بيننا ... ولكنَّه دَهرٌ يَشِتُّ ويجمعُ(٣)

وقال: كائناتٌ محتومة، بأسبابٍ معروفة، وأوقاتٍ معلومة، اعتراضُ السَّرائرِ لها رعونة(٤)

وقال: الرِّضا والسّخطُ نعتان من نعوت الحقِّ، يجريان على الأَبد بما جريا في الأزل، يُظهرانِ الوَسْمين على المَطرودين والمَقبولين، فقد بانتْ شواهدُ المقبولين بضيائها عليهم، كما بانتْ شواهدُ المَطرودين بظلمتها

(١) طبقات الصوفية ٣٠٣، حلية الأولياء ١٠/ ٣٤٩، المختار ٤/ ٤٥٦
(٢) طبقات الصوفية ٣٠٣، المختار ٤/ ٤٥٦
(٣) طبقات الصوفية ٣٠٤، المختار ٤/ ٤٥٧
(٤) طبقات الصوفية ٣٠٤، الحلية ١٠/ ٣٤٩، المختار ٤/ ٤٥٧.

عليهم، فأنّى تنفعُ مع ذلك الألوان المُصفَّرةُ، والأكمامُ المُقصَّرة، والأقدامُ المُنتفخة[1]

وقيل له: ما الذي يُزعجُ الخلقَ في وقتِ السَّماع؟ وما هو؟ ومن أين هو؟ فقال: بروقٌ تلمع، ثمَّ تَخْمُدُ، وأنوارٌ تبدو ثمَّ تَخفى، ما أحلاها لو بقيت مع صاحبها طرفةَ عينٍ! ثمَّ أنشأ يقول:

خطـرةٌ فـي القلـبِ منهـا خَطَـرت   خطـرةُ البـرقِ ابتـدا ثـمَّ اضْمحـلْ
أيُّ زَوْرٍ لــك لــو حقًّــا ســرى   ومُلــمٌّ بــك لــو حقًّــا فَعَــلْ[2]

وقال: التَّعرُّض للحقِّ والسَّبيل إليه تعرُّضٌ للبلاء، ومن تعرّضَ للبلاءِ لا يسلم منه، ومن أرادَ مَسلكَ السَّلامة، فليتباعدْ من مراتعِ الأهوال وأنشد على إثره:

ذرينـي تجنِّـي مِيتتـي مُطمئنَّـةً   ولم أَتجشَّم هولَ تلك المَواردِ
فـإنَّ عُلَيَّـاتِ الأمـورِ مَنـوطـةٌ   بمستودعاتٍ في بُطون الأَساودِ[3]

وقال: كيف يَرى الفضلَ فضلاً من لا يأمن أن يكونَ ذلك مَكرًا[4]

وقال: الموحّدُ لا يرى إلاَّ ربوبية صِرفًا، تولّت عبودية محضًا، وفيه معالجةُ الأقدار، ومُغالبةُ القِسمة[5]

وقال: الوِقايةُ للأشباح، والرِّعاية للأرواح[6]

وقال: الخوفُ والرَّجاءُ زِمامان يَمنعان من سُوءِ الأدب[7]

---

(١) طبقات الصوفية ٣٠٤، الحلية ١٠/ ٣٤٩، المختار ٤/ ٤٥٧
(٢) تهذيب الأسرار ٣٣٣، المختار ٤/ ٤٦٠
(٣) طبقات الصوفية ٣٠٥، المختار ٤/ ٤٥٧
(٤) طبقات الصوفية ٣٠٣، الحلية ١٠/ ٣٤٩، المختار ٤/ ٤٥٧
(٥) طبقات الصوفية ٣٠٣، المختار ٤/ ٤٥٧.
(٦) طبقات الصوفية ٣٠٥، المختار ٤/ ٤٥٧.
(٧) طبقات الصوفية ٣٠٣، الرسالة القشيرية ٩٢، المختار ٤/ ٤٥٨.

وقال: الوقتُ أقلُّ من ساعةٍ، فما أصابك من نعمةٍ أو شدَّةٍ قبل ذلك الوقتِ، فأنت عنه خالٍ، إنَّما ينالُكَ ما في ذلك الوقت، وما كان بعد ذلك فلا تدري يصل إليك أم لا؟[1]

وقال: الذَّاكرون في ذِكره أكثرُ غفلةً من النَّاسين لذكره، لأن ذكره سِواه[2]

وقال: مُطالعاتُ الأعواض على الطَّاعاتِ من نسيان الفضل[3]

وقال: حياةُ القلوبِ بالله؛ بل بقاءُ القلوب مع الله؛ بل الغيبةُ عن الله بالله سبحانه[4]

وقال: أربعةُ أشياء لا تَليقُ بالمعرفة: الزُّهدُ، والصَّبرُ، والتَّوكُّلُ، والرِّضا، لأنَّ كلَّ ذلك من صفات الأشباح[5]

وقيل له: أيُّ الطَّعام أشهى؟ فقال: لُقمةٌ من ذِكر الله، تَرفعُها بيدِ اليقين من مائدةِ المعرفة عند حُسنِ الظَّنِّ بالله تعالى[6]

وقال: العارفُ في قبضته محفوظ، وفي سِتره مَحجوب، ألا ترى إلى قضاء رسولِ الله ﷺ «من أحيا أرضًا ميتةً فهي له»[7]

وقال: النَّاسُ على ثلاث طبقاتٍ: الطَّبقةُ الأولى: منَّ الله عليهم بأنوارِ الهداية، فهم مَعصومون من الكِفر والشِّرك والنِّفاق. والطَّبقةُ الثَّانية:

---

(١) طبقات الصوفية ٣٠٥، المختار ٤/ ٤٦٠.
(٢) طبقات الصوفية ٣٠٥، الحلية ١٠/ ٣٤٩، المختار ٤/ ٤٥٨
(٣) طبقات الصوفية ٣٠٦، الحلية ١٠/ ٣٥٠، المختار ٤/ ٤٥٨، وفيها جميعًا: مطالعة الأعواض.
(٤) طبقات الصوفية ٣٠٥، الحلية ١٠/ ٣٥٠، المختار ٤/ ٤٥٨.
(٥) طبقات الصوفية ٣٠٥، المختار ٤/ ٤٥٨
(٦) تهذيب الأسرار ٤٨، المختار ٤/ ٤٥٨. وانظر صفحة ٧٢٣ (٣).
(٧) تهذيب الأسرار ٥٣، المختار ٤/ ٤٥٨
والحديث رواه مالك في الموطأ ٢/ ٧٤٣، والترمذي (١٣٧٨)، وأبو داود (٣٠٧٣).

منَّ اللهُ عليهم بأنوارِ العناية[1]، فهم مَعصومون من الكبائر والصَّغائر والطَّبقةُ الثَّالثة: منَّ الله عليهم بالكِفاية، فهم مَعصومون من الخواطرِ الفاسدة، وحركاتِ أهل الغفلة[2].

وقال: إذا أرادَ اللهُ هوانَ عبدِهِ، ألقاه إلى هؤلاء الإنتان والجيف. يريدُ صحبةَ الأحداث[3].

وقال. جعلوا سُوءَ أدبهم إخلاصًا، وشَرَهَ نفوسِهم انبساطًا، ودناءَةَ هممهم جلادةً، فعموا عن الطَّريق، وسلكوا فيه المضيق، فلا حياةَ تنمي إلى مشاهدتهم ولا عبادة، إن نَطقوا فبالغضب، وإن خاطبوا[4] فبالكبر، خسَّةُ أنفسهم تُنبي عن ضمائرهم، وشرهُهم في المأكول يُظهر سويداء ما في أسرارهم ﴿قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾[5] [التوبة: ٣٠].

وقال الأستاذ أبو عليٍّ الدَّقاق: سمعتُ إنسانًا صيدلانيًا من المراوزةِ يقول: اجتازَ الواسطيُّ يومَ الجمعةِ ببابِ حانوتي قاصدًا إلى الجامع، فانقطع شِسعُ نعلِهِ، فقلتُ له: أيُّها الشَّيخ، أتأذنُ لي أَنْ أُصلح نعلك؟ فقال: أصلحْهُ، فأصلحته، فقال لي: تدري لِمَ انقطعَ شِسعُ نعلي؟ فقلتُ: حتَّى تقولَ. فقال: لأنِّي ما اغتسلتُ للجمعة. قلتُ: يا سيِّدي، ههنا حمَّام، تدخلُه؟ قال: نعم؟ فأدخلتُه الحمام، فاغتسلَ وخرج[6].

وقال: التَّوبةُ النَّصوح لا تُبقي على صاحبها أثرًا من المَعصية سرًّا ولا جهرًا ومن كانت توبتُه نَصوحًا لا يُبالي كيف أَصبح ولا أمسى[7].

---

(١) في هامش (ب): بأنوار العافية. وكتب قُربها صح.
(٢) طبقات الصوفية ٣٠٦، الحلية ١٠/ ٣٥٠، المختار ٤/ ٤٥٨.
(٣) الرسالة القشيرية ٩٢، المختار ٤/ ٤٥٩.
(٤) في (أ): وإن خوطبوا.
(٥) الرسالة القشيرية ٩٢، المختار ٤/ ٤٥٩
(٦) الرسالة القشيرية ٩٣، المختار ٤/ ٤٦١
(٧) الرسالة القشيرية ١٧٤ (التوبة)، المختار ٤/ ٤٥٩

وقال: التَّقوى أن يَتَّقي من تَقواه. يعني من رؤية تقواه[١]

وقال: الخوفُ حجابٌ بين الله وبين العبد[٢]

وقال: إذا ظهر الحقُّ على السَّرائر لا يُبقي فيها فضلةً لرجاءٍ ولا خوف[٣]

وقال: استعملِ الرِّضا جهدك، ولا تدعِ الرِّضا يَستعملك، فتكون محجوبًا بلذَّته ورؤيته عن حقيقةِ ما تُطالع[٤]

وقال: إيَّاكم واستحلاءَ الطَّاعات؛ فإنَّها سمومٌ قاتلة[٤]

وقال: احذروا لذَّةَ العطاء؛ فإنَّها غِطاءٌ لأهل الصَّفاء[٥]

وقال: أوَّلُ مقام المُريدِ إرادةُ الحقِّ بإسقاطِ إرادته[٦]

وقال: الخصلةُ التي كَملَتْ بها المحاسنُ، وبفقدها قبحت المحاسن هي الاستقامة[٧]

وقال: الصِّدقُ صحَّةُ التَّوحيد مع القصد[٨]

وقال: لم يذقْ لدغاتِ الحياء من لابَسَ خرق حدٍّ، أو نقضَ عهدٍ[٩]

وقال: المستحيي يَسيلُ منه العرق، وهو الفضل الذي فيه، وما دام في النَّفس شيءٌ فهو مصروفٌ عن الحياء[١٠]

---

(١) الرسالة القشيرية ١٩٠ (التقوى)، المختار ٤/ ٤٥٩

(٢) الرسالة القشيرية ٢١٥ (الخوف).

(٣) الرسالة القشيرية ٢١٧ (الخوف)، المختار ٤/ ٤٥٩

(٤) الرسالة القشيرية ٢٩٩ (الرضا)، المختار ٤/ ٤٥٩.

(٥) الرسالة القشيرية ٣٠٥ (العبودية)، المختار ٤/ ٤٥٩

(٦) الرسالة القشيرية ٣٠٩ (الإرادة)، المختار ٤/ ٤٥٩

(٧) الرسالة القشيرية ٣١٢ (الاستقامة)، المختار ٤/ ٤٥٩

(٨) الرسالة القشيرية ٣١٩ (الصدق)، المختار ٤/ ٤٥٩

(٩) الرسالة القشيرية ٣٢٦ (الحياء)، المختار ٤/ ٤٦٠

(١٠) الرسالة القشيرية ٣٢٧ (الحياء).

وسُئل عن الذِّكر، فقال: الخروجُ من ميدان الغَفلة إلى فضاءِ المُشاهدة على غلبةِ الخوف وشدَّةِ الحبّ[1]

وقال: الفِراسةُ سواطعُ أنوارٍ لمعتْ في القلوب، وتمكينُ معرفةٍ حملتِ السَّرائرَ في الغيوب؛ من غيبٍ إلى غيبٍ حتَّى تشهدَ الأشياءَ من حيث أشهدَه الحقُّ إيَّاها، فيتكلَّمُ على ضميرِ الخلق[2]

وقال في تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤]، قال: لأنَّ النَّبيَّ عليه السَّلام جادَ بالكونين، واكتفى بالله[3]

وقال: الخُلقُ العظيم: أن لا يُخاصِم ولا يُخاصَم من شدَّة معرفته بالله[5]

وسُئل: كيف يُغذّى الوليُّ في ولايته؟ فقال: في بدايته بعبادته، وفي كُهولته بسِترِه ولطافته، ثمَّ يجذبُه[4] إلى ما سبق له من نعوتِه وصفاته، ثمَّ يُذيقُه طعمَ قيامِهِ به في أوقاته[5]

وقال: اختيارُ ما جرى لك في الأزل خيرٌ لك من مُعارضة الوقت[6]

وسُئل أن يدعو، فقال: أخشى إنْ دعوتُ أن يُقال لي: إنْ سألتنا ما ليسَ لك عندنا، فقد أسأتَ الثَّناء علينا، وإنْ سألتنا مالك عندنا، فقد اتَّهمتنا، وإن رضيتَ أجرينا لك من الأمورِ ما قضينا به لك في الدُّهور[7]

---

(١) الرسالة القشيرية ٣٣٢ (الذكر)، المختار ٤/ ٤٦٠.
(٢) الرسالة القشيرية ٣٤٣ (الفراسة)، المختار ٤/ ٤٦٠.
(٣) الرسالة القشيرية ٣٥٤ (الخلق)، تهذيب الأسرار ٢٢٢
(٤) في (أ). يجدُّ بِهِ.
(٥) الرسالة القشيرية ٣٧٧ (الولاية).
(٦) المختار ٤/ ٤٦٠
(٧) الرسالة القشيرية ٣٨٥ (الدعاء)، المختار ٤/ ٤٦٠.

وقال في صفةِ الصُّوفية: كان للقومِ إشاراتٌ، ثمَّ صارت حركاتٍ، ثمَّ لم تبقَ إلاّ حسرات(1)

وقال: من عرفَ الله انقطعَ، بل خرسَ وانقمع، ولهذا قال ﷺ: «لا أُحصى ثناءً عليك»(2) هذا صفات الذين بَعُدَ مرماهم، فأمَّا من نزلوا عن هذا الحدِّ، فقد تكلَّموا في المعرفةِ وأكثروا(3)

و: لا تصحُّ المعرفة، وفي العبدِ استغناءٌ بالله وافتقارٌ إليه(3)

* * *

---

(1) الرسالة القشيرية ٤٠٣ (التصوف)، تهذيب الأسرار ٣٣، المختار ٤/ ٤٦٠.

(2) رواه أحمد في المسند ٦/ ٢٠١، ومسلم في صحيحه (٤٨٦)، وأبو داود (٨٧٩)، والنسائي ١/ ١٠٢، عن عائشة رضي الله عنها قالت: فقدت رسول الله ﷺ ذات ليلة من الفراش، فالتمسته، فوقعت يدي على بطن قدميه، وهو في المسجد، وهما منصوبتان، وهو يقول: «اللهم إني أعوذ برضاك من سخطك، وبمعافاتك من عقوبتك، وأعوذ بك منك، لا أُحصي ثناءً عليك أنت كما أثنيت على نفسك».

(3) الرسالة القشيرية ٤٤٠ (المعرفة بالله).

(٥٢) أبو عبد الله السِّجزي (*)

ومنهم: أبو عبد الله السِّجزي صحب أبا حفصٍ.

وهو من كبارِ مشايخ خُراسان وفتيانهم. قطعَ الباديةَ مِرارًا على التَّوكُّلِ(١)

قال رحمه الله: من لم يقدِّسْ علمه(٢)، لم يقدِّسْ فعلَه، ومن لم يقدِّس فعلَه، لم يقدِّس بدنه، ومن لم يقدِّس بدنه، لم يقدِّس قلبه، ومن لم يقدِّس قلبه لم يقدِّس نيَّته، والأمور كلّها مبنيّةٌ على النِّيّة(٣)

وقال: العِبرةُ أن تجعلَ كلَّ حاضرٍ غائبًا، والفكرةُ أن تجعلَ كلَّ غائبٍ حاضرًا(٤)

ودخل عليه رجل، فقال له: معي دينار، أُريد أن أدفعَهُ إليك، فما ترى؟ قال: إن دفعتَهُ إليَّ فهو خير لك، وإن لم تدفعْهُ إليَّ فهو خير لي، وأنت أبصر(٥)

(*) طبقات الصوفية ٢٥٤، حلية الأولياء ١٠/ ٣٥٠، المختار من مناقب الأبرار ٤/ ١٦٠، نفحات الأنس ١٧٠، طبقات الشعراني ١/ ١٠٠، الطبقات الصغرى للمناوي ١٥١، ١٦٠

(١) طبقات الصوفية ٢٥٤، المختار ٤/ ١٦٠

(٢) في (ب). علمه عمله.

(٣) طبقات الصوفية ٢٥٤

(٤) طبقات الصوفية ٢٥٤، حلية الأولياء ١٠/ ٣٥١، المختار ٤/ ١٦١

(٥) طبقات الصوفية ٢٥٤، المختار ٤/ ١٦١، وفي (ب): وأنت أنت أبصر.

وقال: علاماتُ الأولياء ثلاث: تواضعٌ عن رفعةٍ، وزهدٌ عن قُدرةٍ، وإنصافٌ عن قوة[١]

وقال: كلُّ واعظٍ لا يقومُ الغنيُّ من مجلسه فقيرًا، والفقيرُ غنيًّا، فليس هو بواعظ[١]

وقال: بئسَ العبدُ عبدٌ عصى الله بقلبهِ وجوارحه، واعتذرَ إليه بلسانِهِ من غيرِ رجوعٍ عمَّا سلف[٢]

وقال: لا تُعيِّرنَّ أحدًا بذنبٍ حتَّى تتيقَّنَ أنَّ ذنوبَكَ مَغفورة[٢]

وقال: أنفعُ شيءٍ للمُريد صحبةُ الصَّالحين، والاقتداءُ بهم في أفعالهم وأخلاقهم وشمائلهم، وزياراتُ قبورِ الأولياء، والقيامُ بخدمةِ الأصحابِ والرُّفقاء[٣]

وقيل له: لِمَ لا تلبس المرقعة؟ فقال: من النِّفاقِ أن تلبسَ لباسَ الفتيان، ولا تدخلَ في حملِ أثقالِ الفتوَّة، إنَّما يَلْبَسُ لباسَ الفتيان من يصبرُ على حملِ أثقال الفتوَّة. فقيل له: ما الفتوَّةُ؟ فقال: رؤيةُ أعذارِ الخلقِ وتَقصيرك، وتمامِهم ونقصانك، والشَّفقةُ على الخلقِ كلِّهم بَرِّهم وفاجرهم. وكمالُ الفتوَّةِ أن لا يَشغلَكَ الخلقُ عن الله تعالى[٤]

وقال أبو الحسن المصري: اتَّفقتُ مع السِّجزي في السَّفرِ من طرابلس، فسِرنا أيامًا لم نأكلْ شيئًا، فرأيتُ قرعًا مَطروحًا، فأخذتُ آكلُه، فالتفتَ إليَّ الشَّيخُ، ولم يقلْ شيئًا، فرميتُ به، وعلمت أنَّه كرهَ ذلك. ثمَّ فُتحَ علينا بخمسة دنانير، فدخلنا قريةً، فقلتُ: يشتري لنا شيئًا لا محالةَ. فمرَّ ولم يفعلْ، ثمَّ قال: لعلَّكَ تقول: نمشي جياعًا ولم يشترِ لنا شيئًا! هو

---

(١) طبقات الصوفية ٢٥٤، المختار ٤/ ١٦١

(٢) طبقات الصوفية ٢٥٥، المختار ٤/ ١٦١

(٣) طبقات الصوفية ٢٥٥

(٤) طبقات الصوفية ٢٥٥، المختار ٤/ ١٦٢، حلية الأولياء ١٠/ ٣٥١.

ذا نوافي اليهودِّية - قريةٌ على الطَّريق - وثمَّ رجلٌ صاحبُ عيالٍ، إذا دخلناها يشتغلُ بنا، فأدفعها[1] إليه ليُنفقَ علينا وعلى عِياله، فوصلنا إليها، ودفعنا الدَّنانيرَ إلى الرَّجل، فأنفقها، فلمَّا خرجنا قال لي: إلى أين؟ فقلتُ: أَسيرُ معك. فقال: لا، لأنَّك تَخونُني في قرعةٍ وتَصحبني! لا أَفعلُ. وأبى أن أصحبَهُ[2].

* * *

(١) في (أ): فأدفعه.

(٢) الرسالة القشيرية ٤١٥ (أحكامهم في السفر)، المختار ٤/ ١٦٠.

(٥٣) محفوظ النّيسابوري(*)

ومنهم: محفوظ بن محمود من أصحاب أبي حفص النّيسابوري.

وهو من قدماء مشايخ نيسابور وجِلَّتهم.

وكان بعد موت أبي حفص يصحبُ أبا عثمان إلى أن مات.

وكان من أورع المشايخ وألزمِهم لطريقة المتقدّمين(١)

وكان أيضًا قد صحبَ: حمدونَ القصار، وسَلْمًا الباروسي، وعليًّا النَّصراباذي وغيرَهم من المشايخ.

ومات سنة ثلاثٍ أو أربعٍ وثلاث مئة بنيسابور، ودُفن بجنب أبي حفص(١)

وقال رحمه الله: التَّوكُّلُ أن تأكلَ بلا طَمَعٍ ولا شَرَهٍ(٢)

وقال: التَّائبُ الذي يتوب من غَفَلاتِه وطاعاته(٢)

وقال: لا تزنِ الخلق بميزانك، وزِنْ نفسَك بميزانِ المؤمنين لتعلمَ فضلَهم وإفلاسَكَ(٢)

وقال. من ظنَّ بمسلمٍ فتنةً، فهو المفتون(٢)

(*) طبقات الصوفية ٢٧٣، حلية الأولياء ١٠/ ٣٥١، المختار من مناقب الأخيار ٤/ ٢٨٨، طبقات الأولياء ٣٧٠، نفحات الأنس ٢٠٤، طبقات الشعراني ١/ ١٠٠، الكواكب الدرية ٢/ ١٦٨، ٤/ ٥٨٩، وفي (أ) أبو محفوظ بن محمود.

(١) طبقات الصوفية ٢٧٣

(٢) طبقات الصوفية ٢٧٣، المختار ٤/ ٢٨٩

وقال: أكثرُ النَّاس خيرًا أسلمُهم صدرًا للمسلمين[١]

وقال: من أبصرَ محاسنَ نفسه، ابتُلي بمساوئ النَّاس، ومن أبصرَ عيوبَ نفسه، سلمَ من رؤية مساوئ النَّاس[٢]

وقال: صحّح عملَك بالإخلاص، وصحّح إخلاصَك بالتّبرّي من الحولِ والقوة[٢]

وقال: من أرادَ أن يُبصر طريقَ رشده، فليتَّهم نفسَه في الموافقات فضلاً عن المخالفات[٢]

* * *

---

(١) طبقات الصوفية ٢٧٣، المختار ٤/ ٢٨٩

(٢) طبقات الصوفية ٢٧٤، المختار ٤/ ٢٨٩

(٥٤) طاهر المقدسي(*)

ومنهم: طاهر المقدسي وهو من جِلَّة مشايخ الشَّام وقدمائهم.

رأى ذا النُّون المصري، وصحب يحيى بن الجلاّء.

وكان عالمًا، وهو الذي سمّاه الشّبلي: حَبْرَ أهل الشّام[١]

سُئل: لِمَ سُمّيتِ الصُّوفيةُ بهذا الاسم؟ فقال: لاستتارها عن الخلق بلوائحِ الوجدِ، وانكشافها بشمائلِ القصد[٢]

وقال: حدُّ المعرفة التَّجرُّدُ من النُّفوس وتدبيرِها فيما يَجِلُّ ويصغر[٢]

وقال: لا يطيبُ العيشُ إلاَّ لمن وَطِئ بساط الأُنس وعلا على سريرِ القُدس، وغيَّبه الأُنس بالقُدس، والقدسُ بالأنسِ، ثمَّ غابَ عن مشاهدتهما بمطالعة القدّوس[٣]

وأنشد:

أرعى النُّجومَ ولا عِلمَ لي ... بعدِّ النُّجومِ بحيثُ الظّلامْ[٤]

وكيف يَنامُ فتًى لا ينام ... إذا نامَ عنه عيونُ الحمامْ

(*) طبقات الصوفية ٢٧٥، حلية الأولياء ١٠/ ٣١٧، المختار من مناقب الأبرار ٣/ ١٧٢، طبقات الأولياء ٨٧، نفحات الأنس ١٩٣، طبقات الشعراني ١/ ١٠٠، الكواكب الدرية ٢/ ١٠٦

(١) طبقات الصوفية ٢٧٥

(٢) طبقات الصوفية ٢٧٥، حلية الأولياء ١٠/ ٣١٧، وفي (ب): بشمائل الفضل.

(٣) طبقات الصوفية ٢٧٥، حلية الأولياء ١٠/ ٣١٨، المختار ٣/ ١٧٢.

(٤) في طبقات الصوفية ٢٧٥: بجنب الظلام.

أسيـــرٌ يسيـــر إليـــه الهـــوى فيَضْحـى الأَسيـرُ قتيـلَ الغـرامْ
فلـــم يبـــقَ منـــه ســـوى أنَّـــةٍ[1] يُقـــالُ لـــه عـــاشـــقٌ والسَّـــلامْ
لفـرطِ النُّحـول وحـبِّ العليـل[2] وحُـزنٍ مُـذيـبٍ لطـولِ السَّقامْ[3]

وقال: المفاوزُ عنه منقطعة، والطُّرقُ إليه مُنطمسة. توَّقَ من عُلالاته، واحذرْ أماكنَ الاتِّصال، فإنّها خِدَعٌ كلُّها، وقفْ حيث وقف العوام تسلم. وأنشد:

وكذَّبْتُ طرفي فيك والطَّرفُ صادقٌ وأَسمعتُ أُذني منك ما ليس تَسمعُ
ولم أَسكُنِ الأرضَ الذي تَسكنونها لكي لا يَقولوا إنّني بك مُولَعُ
فلا كبدي تَهدى ولا لكَ رحمةٌ ولا عنك إقصارٌ ولا فيك مَطمعُ[4]

* * *

(١) في طبقات الصوفية: سوى أنّةٌ، وفي الحلية، و(ب) سوى اسمه.
(٢) في طبقات الصوفية ٢٧٦ وحرِّ الغليل، وفي الحلية: وحب القليل. وفي (أ): وحب الغليل.
(٣) طبقات الصوفية ٢٧٦، حلية الأولياء ١٠/ ٣١٨
(٤) طبقات الصوفية ٢٧٦.

(٥٥) أبو عُمر الدّمشقي (*)

أبو عمر الدّمشقي وهو أجلّ مشايخ الشّام، بل واحدُها، عالِمٌ بعلوم الحقائق.

صحب: أبا عبد الله بن الجلاّء، وأصحابَ ذي النُّون المصري.

وهو من أفتى المشايخ، ردَّ على من تكلَّمَ بقدمِ الأرواح والشّواهد(١)

مات سنة عشرين وثلاث مئة(١)

قال رحمه الله: كما افترضَ اللهُ على الأنبياء عليهم السّلام إظهارَ الآيات والمعجزات، كذلك فرض على الأولياء كِتمانَها حتّى لا يُفتتنَ بها الخلق(٢)

وقال: خواص خصالِ العارفين أربعةُ أشياء: السّياسةُ، والرّياضة، والحراسة، والرّعاية. فالسّياسةُ والرّياضة ظاهران، والحراسة والرّعاية باطنان، فبالسّياسة يصلُ العبد إلى التّطهير، وبالرّياضةِ يصلُ إلى التّحقيق، والسّياسةُ حفظُ النّفسِ ومعرفتُها، والرّياضة مخالفةُ النّفس ومعاداتها، والحِراسةُ مُعاينةُ برّ الله في الضّمائر، والرّعاية مراعاةُ حقوقِ المولى

(*) طبقات الصوفية ٢٧٧، حلية الأولياء ١٠/ ٣٤٦، المختار من مناقب الأخيار ٤/ ١٦٧، مختصر تاريخ دمشق ٢٩/ ٧٨، العبر ٢/ ١٨٤، طبقات الأولياء ٨٣، النجوم الزاهرة ٣/ ٢٣٥، نفحات الأنس ٢٣٣، طبقات الشعراني ١/ ١٠١، شذرات الذهب ٢/ ٢٨٧، الكواكب الدرية ٢/ ٤٨. كذا كنيته في الأصل، والمختار، ومختصر تاريخ دمشق. وفي باقي المصادر (أبو عمرو).

(١) طبقات الصوفية ٢٧٧

(٢) طبقات الصوفية ٢٧٧، حلية الأولياء ١٠/ ٣٤٦، المختار ٤/ ١٦٨.

بالسَّرائر، وميراث السِّياسة القيامُ على وفاء العبودية، وميراثُ الرِّياضة الرِّضا عند الحكم، وميراثُ الحراسة الصَّفوةُ والمشاهدة، وميراثُ الرِّعاية المحبَّةُ والهيبة، ثمَّ [الوفاء] يتَّصل بالصَّفاء، والرِّضا متَّصلٌ بالمحبَّة. عَلِمَهُ من علمه وجَهِلَهُ من جهله[1]

وقال: التَّصوُّف رؤيةُ الكونِ بعينِ النَّقصِ، بل غضُّ الطَّرف عن كلِّ ناقصٍ ليُشاهد من هو مُنَزَّهٌ عن كلِّ نقصٍ[2]

وقال: مقامُ الخطرات بعيدٌ من مقام الوَطَنات، لأنَّ الخواطرَ تلمع ثمَّ تخفى، والوَطَنات تبدو وتثبت ثمَّ تتحقَّق. والدَّعاوى تتولَّد من الخواطر، فإنَّ المدَّعي يظنُّ أنَّ ما لاحَ ثبت، ولا دعوى لصاحبِ الوَطَناتِ بحال[3]

وقال: حقيقةُ الخوف أن لا تخاف مع اللهِ أحدًا[4]

و: الخائفُ الذي يخافُ من نفسه أكثر ممّا يخافُ من الشَّيطان[5]

وقال: الرِّضا ارتفاعُ الجزعِ في أيِّ حُكمٍ[6]

وقال: علامةُ قساوة القلب أَن يَكِلَ اللهُ العبدَ إلى تدبيره، فيألفَهُ، ولا يَسألُ حُسنَ الكلاءة والرِّعاية، والنَّبيُّ ﷺ يقول في دعائه[7]: «اكلأني كِلاءة الطِّفل الوليد»[8]

---

(١) طبقات الصوفية ٢٧٧، الحلية ١٠/ ٣٤٦، المختار ٤/ ١٦٧

(٢) طبقات الصوفية ٢٧٨، حلية الأولياء ١٠/ ٣٤٦، المختار ٤/ ١٦٨

(٣) طبقات الصوفية ٢٧٨، المختار ٤/ ١٦٨

(٤) طبقات الصوفية ٢٧٩، المختار ٤/ ١٦٨

(٥) الرسالة القشيرية ٢١٤ (الخوف)، تهذيب الأسرار ١٤٢، المختار ٤/ ١٦٨

(٦) الرسالة القشيرية ٣٠٠ (الرضا).

(٧) لم أجده في لفظه، وقد روى أبو يعلى في مسنده ٩/ ٣٩٦ (٥٥٢٧) عن ابن عمر كان النبي ﷺ يقول في دعائه: «واقيةً كواقية الوليد» يعني المولود. قال المناري في فيض القدير ٢/ ١٢٠ (١٤٨٤). أي كلاءة وحفظًا ككلاءة الطفل المولود وحفظه.

(٨) طبقات الصوفية ٢٧٩.

وقال: استحسانُ الكونِ على العموم دليلٌ على صحّة المحبّة، واستحسانُهُ على الخصوص يُؤدّي إلى الفتنِ والظُّلمات[1]

وقال: الأشخاصُ بظُلمها كائنة، والأرواحُ بأنوارها مشرقةٌ، فمن طالعَ الأشخاص بظُلمها أظلمَ عليه وقتُه، ومن شاهدَ الأرواح بأنوارِها دلَّته على مُنوّرها[2]

وقال: إذا صفتِ الأرواحُ بالقرب أثّر على الهياكل أنور الموافقات[3]

* * *

(١) طبقات الصوفية ٢٧٩

(٢) طبقات الصوفية ٢٧٩، حلية الأولياء ١٠/ ٣٤٦، المختار ٤/ ١٦٨.

(٣) طبقات الصوفية ٢٧٩.

(٥٦) أبو بكر محمد بن حامد التِّرمذي[*]

ومنهم: أبو بكر محمد بن حامد بن محمد بن إسماعيل[١] بن خالد التِّرمذي رحمه الله. مِنْ أَفتى مشايخ خراسان، وأطهرهم خلقًا، وأحسنهم سياسة.

لقي قدماءَ المشايخ ببلخ مثل أحمد بن خَضْرَويه ومَنْ دونه، وله أصحابٌ ينتمون إليه[٢].

قال رحمه الله: الفكرةُ على خمسةِ أَوجهٍ: ففكرةٌ في آيات الله وعلاماته تتولّد منها المعرفة[٣] وفكرةٌ في آلاءِ الله ونعمائه تتولّد منها المحبّة. وفكرةٌ في وعد الله وثوابه تتولّد منها الرَّغبةُ في الطَّاعةِ والموافقة. وفكرةٌ في وعيد الله وعقابه تتولّد منها الرَّهبةُ من المخالفة، وفكرةٌ في جفاء النَّفس في جنب إِحسان الله[٤] تعالى إليها، تتولّد منها الفكرةُ فيما سلف، والحياءُ من الله تعالى[٥].

وقال: إذا تمكَّنتِ الأنوارُ في السِّر، نطقتِ الجوارحُ بالبِرِّ[٦].

(*) طبقات الصوفية ٢٨٠، المختار من مناقب الأخيار ٤/ ٣٥٨، نفحات الأنس ٢٣٤، طبقات الشعراني ١/ ١٠١، الكواكب الدرية ٤/ ٥٧١

(١) في (ب): محمد بن حماد بن إسماعيل بن محمد.

(٢) طبقات الصوفية ٢٨٠

(٣) في (أ): في آيات الله وعلامته، تتولد فيها المعرفة.

(٤) في (أ): في حب إحسان الله.

(٥) طبقات الصوفية ٢٨١، ٢٨٢

(٦) طبقات الصوفية ٢٨٢، المختار ٤/ ٣٥٩

وسُئل عن قوله تعالى: ﴿أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ﴾ [فاطر: ١٥]. فقال: أنتم فقراءُ إلى رحمته، وهو غنيٌّ عن أفعالكم، وأنتم مُحتاجون إلى رحمته[١]

وقال: لم يجدْ أحدٌ تمامَ الهمَّةِ[٢] بأوصافها إلاَّ أهلُ المحبَّة، وإنَّما أخذوا ذلك من اتِّباع السُّنة، ومُجانبة البدعة، فإنَّ محمدًا ﷺ كان أعلى الخلقِ همَّةً، وأقربَهم زُلفةً[٣]

وقال: إنكارُ ولاياتِ الأولياء في قلوبِ الجهَّال من ضيقِ صدورِهم عن المصادر، وبُعدِ علومهم عن موارد القُدرة[٤]

وقال: الوليُّ في سترِ حاله أبدًا، والكونُ كلُّه ناطقٌ عن ولايته، والمدّعي ناطقٌ به، والكونُ كلُّه يُنكر عليه[٥]

وقال: أقربُ القلوب إلى الله قلبٌ رضي بحصّةِ الفقراء[٦]، وآثرَ الباقي على الفاني، وشَهِدَ سوابقَ القضاء فأيسَ من أفعاله[٧]

وقال: ما عجزتَ عن شيءٍ، فلا تعجزْ عن رؤية ضعفك[٨]

وقال: الاستهانةُ بالأولياء من قلَّةِ المعرفةِ بالله[٨]

وقال: إذا أوصلكَ اللهُ إلى مقامٍ، ومنعك حُرمةَ أهله، والتَّلذُّذَ بما

---

(١) طبقات الصوفية ٢٨٢

(٢) في (أ): تمام الهيبة.

(٣) طبقات الصوفية ٢٨٢

(٤) طبقات الصوفية ٢٨٢، المختار ٤/ ٣٦٠.

(٥) طبقات الصوفية ٢٨٢، المختار ٤/ ٣٥٩.

(٦) في طبقات الصوفية: بصحبة الفقراء.

(٧) طبقات الصوفية ٢٨٢، المختار ٤/ ٣٥٩

(٨) طبقات الصوفية ٢٨٢.

أوصلك إليه[١]، فاعلمْ أنَّك مَغرورٌ مُستدرج[٢]

وقال: العلماءُ بالله هم الواقفون معه على حدودِ الآداب، لا يتجاوزونها إلاَّ بإذنٍ[٢]

وقال: ما استصغرتُ أحدًا من المسلمين إلاَّ وجدتُ نقصًا في إيماني ومعرفتي[٢]

وقال: من لم تُرضه أوامرُ المشايخ وتأديبُهم، فإنَّه لا يتأدَّبُ بكتابٍ ولا سنّة[٣]

وقال: الطَّريقُ واضحٌ[٤]، والدَّليلُ عالِمٌ، والزَّادُ تامٌّ، والمركبُ قويٌّ، ولكنْ منعَ القومَ من الوصول[٥] الاستدلالُ بغير الدَّليلِ، والرَّكضُ في الطَّريق على حدِّ الشَّهوة، وأخذُ الزَّادِ من غير وجهه، وإضعافُ المركب بقلَّة تعهُّده[٦]

وقال: إذا سلِمَ لك وقتٌ من أوقاتك عن الغفلةِ، فَفِرّ على ذلك الوقت أن تُتبعَه بما يخالفُه، فإنَّ مخالفةَ الأوقات على المرور[٧] من اعوجاجِ الباطنِ[٨]

وقال: رأس مالك قلبُك ووقتُك، وقد شغلتَ قلبَك بهواجس الظُّنون، وضيّعتَ أوقاتك بارتكاب ما لا يعنيك، فمتى يربحُ من خسر رأسَ ماله؟[٨]

---

(١) في (أ) بما وصل إليك.
(٢) طبقات الصوفية ٢٨٣، المختار ٤/ ٣٥٩
(٣) طبقات الصوفية ٢٨٣
(٤) في (أ): الدليل الواضح.
(٥) في (أ): من الوضوح.
(٦) طبقات الصوفية ٢٨٣، المختار ٤/ ٣٥٩
(٧) في (أ): على المرء.
(٨) طبقات الصوفية ٢٨٣، المختار ٤/ ٣٥٩

وقال: أسوأُ النَّاسِ خُلقًا من لا يعيشُ بعيشةِ أهلِ صُحبته، ومن لا يُظهر صديقَه من عدوِّه[1]

وقال. الإنسانُ في خَلَقِه أحسنُ منه في جديدِ غيره[2]

* * *

---

(١) طبقات الصوفية ٢٨٣، المختار ٤/ ٣٥٩.

(٢) طبقات الصوفية ٢٨٣، المختار ٤/ ٣٥٩ وانظر صفحة ٥٥٤ (٥).

(٥٧) أبو الحسين الورّاق(*)

ومنهم: أبو الحسين محمد بن سعد الورّاق النَّيسابوري، من كبارِ المشايخ، وقدماءِ أصحاب أبي عثمان، وله كلامٌ على سُنن كلامِهِ.

وكان عالمًا بعلومِ الظَّاهر، والكلام في دقائقِ علومِ المعاملات وعُيوبِ الأفعال.

مات قبل العشرين وثلاثِ مئة.

وقال رحمه الله: الكرمُ في العفو أن لا تذكرَ جنايةَ[1] صاحبِك بعد أن عفوتَ عنه[2]

وقال: اللَّئيمُ لا يوفَّقُ [للعفو] من ضيق صدره[3]

وقال: حياةُ القلبِ في ذِكر الحيِّ الذي لا يموت، والعيشُ الهنيُّ الحياةُ مع الله لا غيره[3]

وقال: لا يصلُ العبدُ إلى الله تعالى إلاَّ بالله، وبموافقةِ حبيبه عليه السَّلام في شرائعه، ومن جعلَ الطَّريقَ إلى الوصول في غير الاقتداء يضلُّ من حيث يظنُّ أنه يهتدي، ومن وصلَ اتَّصل، وما رجعَ من رجع إلاَّ من

(*) طبقات الصوفية ٢٩٩، المنتظم ٦/ ٢٤٠، المختار من مناقب الأخيار ٤/ ٣٦٨، البداية والنهاية ١١/ ١٦٧، طبقات الأولياء ٣٨٥، نفحات الأنس ٢٥٨، طبقات الشعراني ١/ ١٠١، الكواكب الدرية ٢/ ١٥١

(١) في (أ): خيانة صاحبك.

(٢) طبقات الصوفية ٢٩٩، المختار ٤/ ٣٦٨

(٣) طبقات الصوفية ٢٩٩، وما بين قوسين مستدرك منه. المختار ٤/ ٣٦٨.

الطَّريق، وهو من الإشفاق على النَّفسِ[1] وطلبِ الرَّاحة؛ لأنَّ الطَّريقَ إلى الله صعبٌ لمن لم يدخلْ إليه فيه بوجدٍ غالبٍ، وشوقٍ مُزعجٍ، فيهونُ عليه إذ ذاك حملُ الأثقال، وركوبُ الأهوال، فإذا انقادتْ له النَّفسُ على ذلك، وهانَ عليه ما يلقى في طلبِ المحبوبِ، سهلَ عليه سبيلُ الوصول[2].

وقال: أجلُّ شيءٍ يفتحُ اللهُ على عبده التَّقوى، فإنَّ منه تتشعَّبُ جميعُ الخيرات، وأسبابُ القُربه والتَّقرُّب، وأصل التَّقوى الإخلاصُ، وحقيقتُهُ التَّخلِّي من كلِّ شيءٍ إلاَّ ممَّن إليه تقواك[3].

وقال: الصِّدقُ استقامةُ الطَّريقةِ في الدِّين، واتِّباعُ السُّنة في الشَّرع[3].

وقال: كان [أجلُّ] أحكامِنا في مباديْ أمرنا بمسجدِ أبي عثمان الحيري الإيثارَ بما يُفتح علينا، وأن لا نبيتَ على معلومٍ، ومن استقبلنا بمكروهٍ لا ننتقم لأنفسنا؛ بل نعتذرُ إليه، ونتواضعُ له، وإذا وقعَ في قلوبنا حقارةٌ لأحدٍ، قمنا بخدمته والإحسانِ إليه حتَّى يزولَ[4].

وقال: الشَّهوةُ أغلبُ سلطانٍ على النَّفس، ولا يُزيلها إلاَّ الخوفُ المُزعج[5].

وقال: اليقينُ ثمرةُ التَّوحيد، فمن صفا في التَّوحيد صفا له اليقين[6].

وقال: أصلُ الفتوَّةِ خمسُ خصالٍ: أوّلها الحفاظُ، والثَّاني الوفاء، والثَّالثُ الشُّكر، والرَّابع الصَّبرُ، والخامس الرِّضا[7].

---

(١) في طبقات الصوفية ٢٩٩: وما رجع من رجع من الطريق إلاّ من الإشفاق على النفس.
(٢) طبقات الصوفية ٢٩٩، المختار ٤/ ٣٦٨
(٣) طبقات الصوفية ٣٠٠، المختار ٤/ ٣٦٩
(٤) الرسالة القشيرية ١٨١ (المجاهدة)، المختار ٤/ ٣٧٠
(٥) طبقات الصوفية ٣٠٠.
(٦) طبقات الصوفية ٣٠٠، المختار ٤/ ٣٦٩.
(٧) طبقات الصوفية ٣٠١، المختار ٤/ ٣٦٩.

وقال: في رؤية النَّفس نسيانُ مِنَن الله تعالى عليك[1]

وقال: من لم يَفْنَ عن نفسه وسرِّه ورؤيةِ الخلق، لا يحيا سرُّه لمُشاهدةِ الخيراتِ والمِنن[2]

وقال: أنفعُ العلم العلمُ[3] بأمر الله ونهيه، ووعدِه ووعيده، وثوابه وعقابه. وأعلى العلومِ العلمُ بالله وأسمائه وصفاته[4]

وقال: خوفُ القطيعةِ أذبلتْ نفوسَ المُحبِّين، وأحرقت أكبادَ العارفين، وأسهرتْ ليالي العابدين، وأظمأتْ نهارَ الزَّاهدين، وأكثرتْ بُكاءَ التَّائبين، ونغّصت حياةَ الخائفين[5]

وقال: الأُنس بالخلقِ وحشةٌ، والطُّمأنينةُ إليهم حُمقٌ، والسُّكون إليهم عجزٌ، والاعتمادُ عليهم وَهنٌ، والثِّقةُ بهم ضياع. وإذا أرادَ اللهُ بعبدٍ خيرًا جعل أُنسَه به وبذكره، وتوكُّله عليه، وصان سرَّه عن النَّظر إليهم، وظاهرَهُ عن الاعتماد عليهم[6]

وقال: من غضَّ بصرَهُ عن مُحرَّمٍ، أورثَهُ اللهُ بذلك حكمةً على لسانه يهتدي بها سامعوه، ومن غضَّ بصرَهُ عن شُبهةٍ نوَّرَ اللهُ قلبه بنورٍ يهتدي به إلى طُرقِ مرضاته[7]

وقال: من أسكنَ نفسَه محبَّةَ شيءٍ من الدُّنيا، فقد قتلها بسيفِ الطَّمع، ومن طمعَ في شيءٍ ذَلَّ، وبذُلِّه هَلَكَ، وقديمًا قيل:

أَتطمَعُ في ليلي وتَعلمُ أنَّما ... تُقطِّعُ أَعناقَ الرِّجالِ المطامعُ[7]

---

(1) طبقات الصوفية ٣٠١، المختار ٤/ ٣٦٩

(2) طبقات الصوفية ٣٠٠، المختار ٤/ ٣٦٩

(3) في (ب): أنفع العلم العمل.

(4) طبقات الصوفية ٣٠١، المختار ٤/ ٣٦٩.

(5) طبقات الصوفية ٣٠٠، المختار ٤/ ٣٦٩.

(6) طبقات الصوفية ٣٠١، المختار ٤/ ٣٦٩.

(7) طبقات الصوفية ٣٠١، المختار ٤/ ٣٧٠.

وقال: لا يصلُ العبدُ إلى شيءٍ من التَّقوى وعليه بقيةٌ من الزُّهدِ والورع، والتَّقوى مقرون بالرَّاحة، قال الله تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا﴾[1] [الطلاق: ٢].

وقال: التَّوكُّلُ استواءُ الحال عند العُدمِ والوجود، والسُّكونُ عند مجاري المقدور[2]

وقال: علامةُ محبَّة الله متابعةُ حبيبِهِ عليه السَّلام[2]

* * *

(١) طبقات الصوفية ٣٠١، المختار ٤/ ٣٧٠

(٢) طبقات الصوفية ٣٠٠، المختار ٤/ ٣٧٠

(٥٨) أبو الحسن بن الصَّائغ الدِّينوري(*)

ومنهم: أبو الحسن علي بن سهل(١) الصَّائغ الدِّينوري، كان من كبار المشايخ. أقام بمصرَ، ومات بها في سنة ثلاثين وثلاث مئة.

وقال أبو علي المغربي: ما رأيتُ في المشايخ أنورَ من أبي يعقوب النَّهْرَجُوري، ولا أكثر هيبةً من أبي الحسن(٢) علي بن الصَّايغ الدِّينوري. فقيل له: هل كان من السَّالكين؟ فقال: بل كان من العاملين المُخلصين في المعاملة(٣)

وقال رحمه الله: يَنبغي للمُريد أن يتركَ الدُّنيا مرَّتين، فيتركها مرَّةً بنضارتها ونعيمها، وألوانِ مطاعمها ومشاربها وجميع ما فيها، ثمَّ إذا عُرف بتركِ الدُّنيا ويُبَجَّلُ ويُكرَّم بها، فينبغي أن يسترَ إذْ ذاك حالَه بالإقبال

(*) طبقات الصوفية ٣١٢، حلية الأولياء ١٠/ ٣٥٣، الرسالة القشيرية ٩٣، صفة الصفوة ٤/ ٧٨، المنتظم ٦/ ٣٢٨، المختار من مناقب الأخيار ٢/ ٢٣٦، و٤/ ٥٦، العبر ٢/ ٢٢٧، طبقات الأولياء ٣٤٩، البداية والنهاية ١١/ ٢٤، حسن المحاضرة ١/ ٥١٣، نفحات الأنس ١٥٦، طبقات الشعراني ١/ ١٠٢، شذرات الذهب ٢/ ٣٣٠، الكواكب الدرية ١/ ٦٨٣، ٢/ ١١٥، ٤/ ١٢٥، قال النبهاني في كتابه جامع كرامات الأولياء ٢/ ١٥٨ مفرقًا: والظاهر أن هذا علي بن محمد بن سهل الصائغ الدينوري غير أبي الحسن الدينوري لاختلافهما في تاريخ الوفاة، وإن اتفقا في كثير من الأوصاف.

(١) في طبقات الصوفية، والرسالة القشيرية: علي بن محمد بن سهل. قال ابن الأثير في المختار: ويقال علي بن محمد بن سهل.

(٢) في (ب): ولا أكبر من أبي الحسن.

(٣) طبقات الصوفية ٣١٢، الرسالة القشيرية ٩٣، المختار ٤/ ٥٦.

على أهلها؛ لئلا يكون تركُهُ الدُّنيا ذنبًا هو أعظمُ من الإقبال على الدُّنيا وطلبِها، أو فتنةً أعظم منها(١)

وسُئل عن الاستدلالِ بالشَّاهِدِ على الغائب. فقال: كيف يُسْتَدلُّ بصفاتِ من يُشَاهَدُ ويُعايَنُ و[هو] ذو مثلٍ على صفةِ من لا يُشاهَدُ ولا يُعاين في الدُّنيا ولا مِثلَ له ولا نظير(٢)

وقال: من فسادِ الطَّبعِ التَّمنِّي والأمل(٣)

وقال: كان بعضُ مشايخنا يقول: من تعرَّضَ لمحبَّتِهِ، جاءته المِحنُ والبلايا بالأوقار(٤)

وسُئل عن صفةِ المُريد، فقال: صفتُهُ ما قال الله تعالى: ﴿ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوٓا۟ أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيْهِ﴾(٥) [التوبة: ١١٨].

وقيل له: ما الذي يجبُ على الإخوان إذا اجتمعوا؟ فقال: التَّواصي بالحقِّ، والتَّواصي بالصَّبر قال الله تعالى: ﴿وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ﴾(٦) [العصر: ٣].

وقال: أهلُ المحبَّةِ في لهيبِ شوقهم إلى محبوبهم، يتنعَّمون في ذلك اللَّهيبِ أحسن ممَّا يتنعَّمُ أهلُ الجنَّة فيما أُهِّلُوا له من النَّعيم(٦)

وقال: محبَّتُكَ لنفسك هي التي تُهلكُها(٧)

---

(١) طبقات الصوفية ٣١٤، المختار ٤/ ٥٦.
(٢) طبقات الصوفية ٣١٥، الرسالة القشيرية ٩٣
(٣) طبقات الصوفية ٣١٤، حلية الأولياء ١٠/ ٣٥٣، المختار ٢/ ٢٣٦، ٤/ ٥٦
(٤) طبقات الصوفية ٣١٤
(٥) طبقات الصوفية ٣١٣، المختار ٤/ ٥٧، الرسالة القشيرية ٩٤
(٦) طبقات الصوفية ٣١٤، المختار ٤/ ٥٧.
(٧) طبقات الصوفية ٣١٥، المختار ٤/ ٥٧.

وقيل له: ما المعرفة؟ فقال: رؤيةُ المِنَّةِ في كلِّ الأحوال، والعجزُ عن أداءِ شُكرِ النِّعمَ[1] من كلِّ الوجوه، والتَّبرّي من الحولِ في كلِّ شيءٍ[2].

وقيل له: بماذا يَتَسلّى المحبُّ في المحبّة؟ وبماذا يُروّحُ فؤاده عند هيجانه؟ فأنشأ يقول:

لـو أَشـربُ السُّلـوانَ مـا سَلِيـتُ ... ما بي غِنًى عنك وإِنْ غَنيتُ[3]

وقال: من توالتْ عليه همومُ الدُّنيا، فليذكر همًّا لا يزول، ليستريحَ منها[4].

وقال: الأحوالُ كالبُروق، فإذا ثبتت فهو حديثُ النَّفسِ وملازمةُ الطَّبع[5].

* * *

(١) في حلية الأولياء، والمختار: شكر المنعم.

(٢) طبقات الصوفية ٣١٥، الحلية ١٠/ ٣٥٣، المختار ٢/ ٢٣٦، ٤/ ٥٧.

(٣) طبقات الصوفية ٣١٥، وفي (ب): لو شربت السلوان.

(٤) طبقات الصوفية ٣١٤، المختار ٤/ ٥٧.

(٥) في طبقات الصوفية ٣١٥: وملائمة الطبع، الرسالة القشيرية ٩٤، المختار ٤/ ٥٧.

(٥٩) إبراهيم القصَّار(*)

ومنهم: أبو إسحاق إبراهيم بن داود القصار الرَّقِّي من كبارِ مشايخ الشَّام.

من أقرانِ الجُنيد وابن الجلاَّء، إلاَّ أنَّه عُمِّرَ طويلاً، وصحبَه أكثرُ مشايخ الشَّام، فكان لازمًا للفقر، مجرّدًا فيه، محبًّا لأهله(١)

مات سنة ستٍّ وعشرين وثلاث مئة.

وقال رحمه الله: قيمةُ كلِّ امرئٍ بقدرِ همَّتِهِ، فإن كانت همَّتُه الدُّنيا فلا قيمة له، وإن كانت همَّتُهُ رضا الله فلا يمكن استدراكُ غاية قيمته، ولا الوقوفُ عليها(٢)

وقيل له: هل يُبدي المحبُّ حبَّهُ؟ أو هل ينطقُ به؟ أو هل يُطيقُ كتمانه؟ فأنشأ يقول متمثلاً:

ظَفِرتُم بكتمانِ اللِّسانِ فمن لكم ... بِكِتمانِ عينٍ دمعها الدَّهرَ يَذرِفُ

حَمَلتُم جبالَ الحُبِّ فوقي وإنَّني ... لأَعجَزُ عن حَمْلِ القميصِ وأَضعَفُ(٣)

(*) طبقات الصوفية ٣١٩، حلية الأولياء ١٠/ ٣٥٤، الرسالة القشيرية ٩٤، صفة الصفوة ٤/ ١٩٧، المنتظم ٦/ ٢٩٤، المختار من مناقب الأخيار ١/ ٢٥٥، طبقات الأولياء ٥٩، غاية النهاية ١/ ١٤، نفحات الأنس ٢٤٥، الطبقات الكبرى للشعراني ١/ ١٠٢، الكواكب الدرية ١/ ٥١٦.

(١) طبقات الصوفية ٣١٩، المختار ١/ ٢٥٥

(٢) طبقات الصوفية ٣١٩، حلية الأولياء ١٠/ ٣٥٤، المختار ١/ ٢٥٦.

وقال: التَّوكُّل السُّكونُ إلى مضمونِ الحقِّ[1]

وقال: الرَّاضي لا يَسألُ، وليس من شرطِ الرِّضا المبالغةُ في الدُّعاء[1]

وقال: المعرفةُ إثباتُ الرَّبِّ خارجًا عن كلِّ مَوهومٍ؛ لأنَّ النَّبيَّ ﷺ قال[2]: «تفكَّروا في آلاءِ الله، ولا تَتفكَّروا في الله»[3]

وقال: حسبك من الدُّنيا شيئان: صحبةُ فقيرٍ، وحُرمةُ وليٍّ[4]

وقال: القدرةُ ظاهرة، والأعينُ مَفتوحة؛ ولكن أنوار البصائر قد ضَعُفَت[5]

وقال: الأبصارُ قوية، والبَصائرُ ضعيفة[6]

وقال: من اكتفى بغيرِ الكافي، افتقر من حيثُ استغنى[7]

وقال: الكفاياتُ تصلُ إليك بلا تعبٍ، والتَّعبُ والأشغال كلُّها في الفُضول[7]

وقال: كفاياتُ الفقراء هي التَّوكُّلُ، وكفايات الأغنياء الاستنادُ إلى الأملاك[8]

---

(١) طبقات الصوفية ٣٢٠، المختار ١/ ٢٥٦

(٢) رواه الطبراني في المعجم الأوسط ٦/ ٢٥٠ (٦٣١٩)، والبيهقي في شعب الإيمان ١/ ١٣٦، وابن عدي في الكامل ٧/ ٩٥ (ضمن ترجمة وازع بن نافع) عن ابن عمر مرفوعًا. ورواه أبو الشيخ بإسناده عن ابن عباس. انظر كشف الخفا.

(٣) طبقات الصوفية ٣٢٠، الرسالة القشيرية ٩٤، المختار ١/ ٢٥٥

(٤) في طبقات الصوفية ٣٢٠، وحلية الأولياء ١٠/ ٣٥٤: وخدمة ولي. المختار ١/ ٣٥٦.

(٥) طبقات الصوفية ٣٢٠، الرسالة القشيرية ٩٤، المختار ١/ ٢٥٦

(٦) طبقات الصوفية ٣٢١، الحلية ١/ ٣٥٤، المختار ١/ ٢٥٥

(٧) طبقات الصوفية ٣٢١، المختار ١/ ٢٥٥

(٨) طبقات الصوفية ٣٢١، المختار ١/ ٢٥٦

وقال: أضعفُ الخلقِ من ضَعُفَ عن ردِّ شهواته، وأقوى الخلقِ من قَوِيَ على ردِّها[1]

وقال: ما دامَ لأعراضِ الكونِ في قلبك خَطَرٌ، فاعلمْ أنَّه لا خَطَرَ لك عند الله تعالى[2]

وقال: من تعزَّزَ بشيءٍ غيرِ الله تعالى، فقد ذَلَّ في عزِّه[2]

وقال: الأولياءُ مرتبطون بالكرامات والدَّرجات، والأنبياءُ كُشفَ لهم عن حقائقِ الحقِّ، فالكراماتُ والدَّرجات عندهم وحشة[3]

وقال: علامة محبَّةِ الله تعالى إيثارُ طاعته، ومتابعة نبيه صلوات الله عليه وسلامه[4]

وقال: الأنبياءُ مَبسوطون على بساطِ الأُنس، والأولياء على درجات الكرامة[5]

وقال: الفقرُ لباسٌ يورثُ الرِّضا إذا تحقَّقَ العبدُ فيه[6]

وقال: سافرتُ ثلاثين سنة أُصلحُ قلوبَ النَّاس للفقراء[7]

وقال: سمعتُ الدَّراج يقول: كنتُ أنا وابن الفُوَطي مارّين على دجلة بين البصرة والأُبُلَّة، وإذا بقصرٍ حسنٍ، له منظرٌ، وعليه رجلٌ، وبين يديه جاريةٌ تُغني وتقول:

فـــي سبيـــلِ اللهِ ودٌّ   كـــان منِّـــي لـــك يُبـــذَلْ
كـــلَّ يـــومٍ تتلـــوَّن   غيـــرُ هـــذا بـــك أجملْـــو

---

(1) طبقات الصوفية ٣٢١، الحلية ١٠/ ٣٥٤، الرسالة القشيرية ٩٣
(2) طبقات الصوفية ٣٢١، المختار ١/ ٢٥٦
(3) طبقات الصوفية ٣٢١، المختار ١/ ٢٥٧
(4) طبقات الصوفية ٣٢١، المختار ١/ ٢٥٦، الرسالة القشيرية ٩٤
(5) في طبقات الصوفية ٣٢١، والمختار ١/ ٢٥٧: منبسطون.
(6) المختار ١/ ٢٥٧
(7) تهذيب الأسرار ٢٦٣، المختار ١/ ٢٥٧

إذا شابٌ بيده ركوةٌ، وعليه مُرقَّعةٌ، وهو قائمٌ تحت القصر يسمعُ، فقال: يا جارية، بحياةِ مولاك أَعيدي:

كـــــلَّ يـــــومٍ تتلـــــوّن غيـــرُ هـــذا بـــك أجمـــل

فقال لها مولاها: قولي. فقالت وأعادت، فقال الفقير: هذا والله تلوّني مع الحقِّ، وشهقَ شهقةً خرجتْ روحُه، فقال صاحبُ القصر للجارية: أنت حرَّةٌ لوجه الله. وخرجَ أهلُ البصرة فغسّلوه، وكفّنوه، وصلّوا عليه، ودفنوه، فقامَ صاحبُ القصر، وقال: أليس تعرفوني؟ أُشهدُكم أنَّ كلَّ شيءٍ لي في سبيل الله، وكلَّ مماليكي أحرار. ثمَّ اتّزر بإزارٍ وارتدى برداءٍ، وتصدَّقَ بالقصر وبكلِّ ما فيه، ولم يَروا له بعد ذلك وجهًا، ولا عَرفوا له خبرًا[1]

وقال إبراهيم بن المُولّد: دخلتُ يومًا على إبراهيم القصار، فقال: ادعُ لي فلانًا القوّال، صبيٌّ كان بالرَّقَّة. فدعوته له، فقال له: غنِّ الأبياتِ التي كنت تُغنّيها بالأمس في باغِ فلان[2]، فأخذَ الصَّبيُّ يُغني.

إذا كنتَ تَجفوني وأَنتَ ذَخيرتي ... وموضعُ شَكواي فما أَنا صانعُ
نهاري نهارُ النَّاسِ حتَّى إذا بدا ... لي اللَّيلُ هزَّتني إِليكَ المَضاجعُ
أُقضّي نهاري بالحديثِ وبالمنى ... ويَجمعني والهمَّ باللَّيلِ جامعُ[3]

قال: فأخذَ الشَّيخُ يبكي ويقول: واشوقاه إلى من هذا وصفُه! وإلى زمانٍ كُشف لنا فيه عن بوادي هذه الأحوال![4]

---

(١) الرسالة القشيرية ٤٧٩ (السماع)، المختار ٥/ ٣٠٢، روض الرياحين ٢٠٦ (الحكاية: ١٢٥). وفي (ب): بعد ذلك له وجهاً.
(٢) الباغ: كلمة فارسية معناها: البستان والحقل والروضة.
(٣) البيتان الثاني والثالث في ديوان مجنون ليلى صفحة ١٨٥
(٤) المختار ١/ ٢٥٧.

ورُوي: أنَّه قال في جملةِ كلامه: تذكَّرتُ أيامي التي كنتُ فيها في محلِّ البسط وحالِ الأنس، وقيامي ببعضِ ما أوجبَ اللهُ تعالى عليَّ من حقوقه، ففترتُ وعجزت، وأنا أدفعُ النَّهار باللَّيل، واللَّيلَ بالنَّهار، وأخشى أن أكونَ قد سقطتُ من عينِ الله، فأبعدني من بابه، وصرتُ من المَطرودين، ثمَّ طلب إنشاء الأبيات المذكورة[1]

* * *

(١) المختار ١/٢٥٧.

(٦٠) ممشاد الدّينوري (*)

ومنهم: ممشاد الدّينوري، وهو من كبار مشايخهم وفتيانهم.

صحبَ يحيى بن الجلاّء ومن فوقَه من المشايخ

عظيمُ المَرْمَى في هذه العلوم، كبيرُ الحال، ظاهرُ الفتوة[١]

مات سنة تسعٍ وتسعين ومئتين[١]

قال رحمه الله: طريقُ الحقِّ بعيد، والصَّبرُ مع الحقِّ شديد[١]

وقال: جماعُ المعرفةِ صدقُ الافتقار إلى الله تعالى[٢]

وقال: لو جمعتَ حكمةَ الأولين والآخرين، وادّعيت أحوالَ السَّادة من الأولياء، فلن تصل إلى درجاتِ العارفين حتَّى يسكنَ سرُّكَ إلى الله، وتثقَ به فيما ضمنَ لك[٣]

وقال: ما أقبحَ الغفلةَ عن طاعةِ من لا يغفلُ عن برِّك! وما أقبحَ الغفلةَ عن ذكرِ من لا يغفلُ عن ذِكرك![٤]

(*) طبقات الصوفية ٣١٦، حلية الأولياء ١٠/ ٣٥٣، الرسالة القشيرية ٩٤، صفة الصفوة ٤/ ٧٨، المختار من مناقب الأخيار ٥/ ٥٥، سير أعلام النبلاء ١٣/ ٥٦٣، طبقات الأولياء ٢٨٨، النجوم الزاهرة ٣/ ١٧٩، نفحات الأنس ١٤١، طبقات الشعراني ١/ ١٠٢، الكواكب الدرية ١/ ٧١٩، وورد اسمه في طبقات الصوفية، وطبقات الأولياء ممشاذ.

(١) طبقات الصوفية ٣١٦.

(٢) طبقات الصوفية ٣١٦، المختار ٥/ ٥٧.

(٣) طبقات الصوفية ٣١٦، الحلية ١٠/ ٣٥٣

(٤) طبقات الصوفية ٣١٧، الحلية ١/ ٣٥٣، المختار ٥/ ٥٧.

وقال: ما كتبَ صحيحٌ إلى صحيح، ولا لقي صحيحٌ صحيحًا، ولا افترقا في الحقيقة[١]

وقال فارس الدّينوري: خرجَ ممشاد يومًا من باب الدّار، فنبحَ عليه كلبٌ، فقال ممشاد: لا إله إلاّ الله فماتَ الكلبُ مكانه[٢]

وقال: من يكنِ الله همَّتَه، فلا تَستطعُهُ الأقدار، ولم تملكه الأخطار[٣]

وقال: ما دخلتُ قطُّ على أحدٍ من شيوخي إلاّ وأنا خالٍ من جميع ما لي، أنتظرُ بركاتِ ما يرد عليَّ من رؤيته وكلامه، فإنَّ من دخلَ على الشَّيخ بحظِّهِ انقطع بحظِّه عن بركات رؤيته ومجالسه وأدبه وكلامه[٤]

وقال: رأيتُ في بعض أسفاري شيخًا توسَّمت فيه الخيرَ، فقلت: يا سيِّدي، كلمةً تزوّدني بها. فقال لي: همّتك احفظْها، فإنَّ الهمَّةَ مقدّمةُ الأشياء، فمن صلحتْ له همَّتُه وصدقَ فيها صلحَ له ما وراء ذلك من الأعمال والأحوال[٥]

وقال: أدبُ المُريد في أربعة أشياء: التزامُ حرمات المشايخ، وخدمةُ الإخوان، والخروجُ عن الأسباب، وحفظُ آداب الشَّرع على نفسه[٦]

وقال: الأسبابُ علائق، وفي التَّعْريج موانع، والاستثناء إلى مسبوق القضاء فراغةٌ، وأحسنُ النَّاس حالاً من أسقطَ عن نفسه رؤيةَ الخلق، ورعى سرَّه في الخلوات، واعتمد على الله تعالى في جميعِ أموره[٧]

---

(١) طبقات الصوفية ٣١٧

(٢) طبقات الصوفية ٣١٧، المختار ١/ ٥٥.

(٣) طبقات الصوفية ٣١٧، وفيه: تستقطعه الأقدار، المختار ٥/ ٥٧

(٤) طبقات الصوفية ٣١٧، الرسالة القشيرية ٩٤

(٥) طبقات الصوفية ٣١٨

(٦) طبقات الصوفية ٣١٨، الرسالة القشيرية ٩٤، المختار ٥/ ٥٨.

(٧) طبقات الصوفية ٣١٨.

وقال: فراغُ القلب في التَّخلّي مما تمسَّكَ به أهلُ الدُّنيا من فضولِ دنياهم[١]

وقال: صحبةُ أهلِ الصَّلاح تورثُ في القلب الصَّلاح، وصحبةُ أهل الفساد تورثُ في القلب الفساد[٢]

وسُئل عن التَّوكُّل، فقال التَّوكُّلُ حسمُ الطَّمعِ عن كلِّ ما يميل إليه قلبُكَ ونفسُك[٣]

وقال: أرواحُ الأنبياء في حال الكشف والمُشاهدة، وأرواح الأولياء في القربةِ والاطّلاع[٢]

وقال: الحكماءُ ورثوا الحكمة بالصَّمتِ والتَّفكُّرِ[٤]

وقال أبو بكر الرَّازي: كنتُ عند ممشاد الدِّينوري، فجرى حديثُ الدَّين، فقال لي: كان عليَّ دينٌ، فاشتغلَ قلبي به، فرأيتُ في المنام كأنَّ قائلاً يقول لي: يا بخيل، أخذت علينا هذا المقدار، خذ، عليك الأخذُ وعلينا العطاء. فما حاسبتُ بعد ذلك بقّالاً ولا قصّابًا ولا غيرهما[٥]

وقال: مُنذ علمتُ أنَّ أحوال الفقراء جدٌّ كلُّها، لم أمازح فقيرًا، وسببُ ذلك أنَّ فقيرًا جاءني قادمًا عليَّ، فقال لي: أيُّها الشَّيخ، أريدُ أن تتَّخذَ لي عَصيدةً. فجرى على لساني: إرادةٌ وعصيدة! فتأخَّرَ الفقير، ولم أشعر به، ثمَّ أمرتُ باتّخاذ عصيدة، وطلبتُ الفقير، فلم أجده، فتعرَّفْتُ خبره، فقيل لي: إنَّه انصرفَ من فوره، وكان يقول في نفسه: إرادةٌ وعصيدة، إرادة

---

(١) طبقات الصوفية ٣١٧

(٢) طبقات الصوفية ٣١٨

(٣) طبقات الصوفية ٣١٨، وفي (أ): القلب، والنفس

(٤) الرسالة القشيرية ٢٠٨ (الصمت)، تهذيب الأسرار ٤٥٦

(٥) الرسالة القشيرية ٢٧٠ (التوكل)، المختار ٥/ ٥٦. وفي (ب): ولا قصابًا ولا غريمًا.

وعصيدة، إرادة. وهامَ على وجهه حتَّى دخلَ البادية، ولم يزلْ يقول هذه الكلمة حتَّى ماتَ رحمه الله[1].

وقال بعضهم. كنتُ عند ممشاد الدِّينوري، فقدم عليه فقير، وقال: سلامٌ عليكم. فردّوا عليه السّلام، فقال: ههنا موضعٌ نظيف يُمكنُ الإنسانُ أن يموتَ فيه؟ قال: فأشاروا عليه بمكانٍ فيه عينُ ماءٍ، فجدَّد الفقيرُ الوضوءَ، وركعَ ما شاء الله تعالى، قال: ثمَّ مضى إلى المكان الذي أشاروا إليه، ومدَّ[2] رجليه، ومات[3].

ورُوي: أنَّه دخلَ عليه جماعةٌ في مرضِ موته، فقالوا: ما فعلَ الله ُبك وصنع؟ فقال: منذ ثلاثين سنة تُعرضُ عليَّ الجنَّة بما فيها، فما أعرتُها طَرفي. فقالوا له عند النَّزع: كيف تجدُ قلبَك؟ فقال: فقدت قلبي منذ ثلاثين سنة[4].

ورُوي: أنَّ جماعةً من الصُّوفية اجتمعوا في دار الحُسين القزّاز، ومعهم قوّالون يقولون ويَتواجدون، فأشرفَ عليهم ممشاد، فسكتوا، فقال: ارجعوا إلى ما كُنتم فيه، فلو جُمِعَ ملاهي الدُّنيا في أذني، ما شغلَ همّي، ولا شفى بعضَ ما بي[5].

وسُئل عن التَّصوُّف، فقال: صفاءُ الأسرار، والعملُ بما يُرضي الجبار، وصُحبةُ النَّاسِ بلا اختيار[6].

---

(١) الرسالة القشيرية ٣٠٧ (الإرادة)، المختار ٥/ ٥٦.

(٢) في (ب): أشاروا إليه، وانطرح إلى الأرض، ومدّ.

(٣) الرسالة القشيرية ٤٣١ (أحوالهم عند الخروج من الدنيا)، المختار ٥/ ٥٧.

(٤) الرسالة القشيرية ٤٣٥ (أحوالهم عند الخروج من الدنيا)، تهذيب الأسرار ٥٤٨، المختار ٥/ ٥٨

(٥) الرسالة القشيرية ٤٨١ (السماع)، المختار ٥/ ٥٦.

(٦) تهذيب الأسرار ٣٢، المختار ٥/ ٥٨

وقال أيضًا: هو إظهارُ الغِنى، وقلَّةُ معرفة النَّاس، وتركُ ما لا يعني[1].

وقال بعضُهم: كنتُ عند ممشاد عند وفاته، فقيل له: كيف تجدُ العلّة؟ فقال: سلوا العلَّةَ عنِّي. فقيل له: قل: لا إله إلاَّ الله. فحوَّلَ وجهَه، وقال:

أفنيــــــتُ كُلِّــــــي بكلِّـــــكْ هــــذا جـــزا مـــن يُحبُّـــكْ[2]

وقال: الحالُ الدَّاخلُ على المريدين، القاطعُ لهم عن سبيل المُحقّقين من تخطيهم الأحوال، لأنَّها ثقلت عليهم، فطلبتِ النُّفوسُ العلومَ لها، وظنّت أن ذلك طريقٌ لها إلى علمها وحقائق موجباتها، فلمَّا عدمتْ ذلك، عادتْ بالإنكار على أبناءِ الصِّدق، وتظاهرت عليهم بالشُّبهةِ، فلم تعرفْ للمحقِّ[3] حقًّا، ولا للصادقِ صدقًا، فذهبت بهجةُ الإيمان من قلوبهم، ورفع اللهُ عنهم القبولَ، فهي على ما ترى وتشاهد، والله المستعان.

وقال أبو عَمرو الدِّينوري القطان صاحبُ الدَّراج: كُنَّا عند شيخنا ممشاد الدِّينوري يومًا، فجاءه إنسانٌ خياط، وسأله أن يُجيبَه ومن معه[4] من الفقراء إلى دَعوته، فقال له ممشاد: إنَّ الفقراءَ ليس يَرضون بوكالتك، بل لو كنتَ ممّن توكَّلتَ لهم بالأسباب، رضوا بك، فلا تجعلْ بينك وبينهم سُوقًا فيما الحكمُ فيه إلى غيرك. فقال إنسانٌ بصريٌّ كان حاضرًا: ههنا يا سيِّدي من قد أَشكلَ عليه كلامُ الشَّيخ لهذا الرّجل. فقال ممشاد: نعم، هذا الرَّجل كان مَعنا يُصاحب هذه الطَّائفة، فدخلتْ عليه الدُّنيا، ففُسِخَ، ففسخت عليه عقدَه، فرجعَ يستدعي تلك الأحوال بأسباب يُريدُ

(١) تهذيب الأسرار ٣٢، وفي (ب): وترك ما لا يغني.

(٢) تهذيب الأسرار ٥٤٥، المختار ٥/٥٨.

(٣) في (ب): عليهم بالشبه، فلم تعرف للحقِّ حقًّا

(٤) في (ب): ومن عنده.

إدخالَ الرِّفق عليهم، وعامَّتُها موقوفةٌ على إرادته، لا واللهِ، أو يخرجَ الرَّغبةَ فيها عن قلبه إخراجَ يده عن ملكه(١)

وقال: فقدتُ قلبي منذ عشرين سنة مع الله، وتركتُ قولي للشيءِ كنْ فيكون منذ عشرين سنة مع الله.

فسُئل بعضُ المشايخ عن معنى هذا القول، فقال: كان ممشادُ يرجعُ إلى قلبه، ثمَّ يَرجعُ بقلبه إلى الله، فصار يرجعُ إلى الله بالله، ففقد قلبَه مع الله.

ومعنى قوله: (تركتُ قولي للشيءِ كن فيكون) أنَّه كان مُجابَ الدَّعوة، كلَّما دعا أُجيب، ثمَّ ارتفعَ عن ذلك إلى الله تعالى، فصار بمُراد الله لا بمُراده، فترك الدُّعاء. والله أعلم(٢)

ورُوي: أنَّه كان إذا رأى فقيرًا قدم(٣) من البادية، فيقول: تعالَ يا كعب مكسور، من أيِّ بركةٍ شربت؟ وعلى أيِّ بدويٍّ نزلت؟ وطعام مَنْ أكلت؟

وقال: كان عندنا رجلٌ أخذ في التَّقلُّلِ حتَّى وقفَ على وزن نواة، ثمَّ صارَ قوتُه الماءَ(٤)

وقيل له: إذا جاعَ الفقير، أيش يعمل؟ فقال يُصلي. قيل: فإنْ لم يقدر؟ قال: ينام. قيل: فإنْ لم يقدر؟ فقال: إنَّ الله لا يُخلّي الفقيرَ من إحدى ثلاث: إمّا قوّى، أو غذاء، أو أخذ(٥)

* * *

---

(١) المختار ٥/٥٦

(٢) المختار ٥/٥٧

(٣) في (أ): رأى بعيرًا.

(٤) تهذيب الأسرار ٢٥٠

(٥) تهذيب الأسرار ١٦٣، المختار ٥/٥٨.

(٦١) أبو الحسن خير النّساج(*)

ومنهم: أبو الحسن خير النَّساج، كان أصله من سُرَّ من رأى(١) إلاَّ أنَّه أقام ببغداد.

صحب: أبا حمزة البغدادي، ولقي السَّريَّ، وهو من أقران النُّوري، وعُمِّر طويلاً، وعاشَ على ما قيل قريبًا من مئة وعشرين سنة(٢)

وتابَ في مجلسه الخوَّاص والشّبلي. وكان أستاذَ الجماعة(٢)

ورُوي: أنَّ اسمه كان محمد بن إسماعيل، وإنَّما سُمّي خيرَ النَّساج لأنَّه خرجَ إلى الحجِّ، فأخذه رجلٌ على باب الكوفة، وقال: أنت عَبدي، واسمُك خير. وكان أسودَ اللُّون، فلم يُخالفه، فاستعمله الرَّجلُ في نسجِ الخزِّ، وكان يقول: يا خير. فيقول: لبيك. ثمَّ قال له الرَّجل بعد سنين: غلطتُ، لا أنت عبدي ولا اسمك خيرًا. فمضى وقال: لا أُغيِّرُ اسمًا سمّاني به رجل مسلم(٣)

(*) طبقات الصوفية ٣٢٢، حلية الأولياء ١٠/ ٣٠٧، تاريخ بغداد ٢/ ٤٨، و٨/ ٣٤٥، الرسالة القشيرية ٩٥، صفة الصفوة ٢/ ٤٥١، المنتظم ٦/ ٢٧٤، المختار من مناقب الأخيار ٢/ ٢٥٩، وفيات الأعيان ٢/ ٢٥١، سير أعلام النبلاء ١٥/ ١٩٣، مرآة الجنان ٢/ ٢٨٥، الوافي بالوفيات ١٣/ ٤٤٤، البداية والنهاية ١١/ ١٨١، طبقات الأولياء ١٩٦، نفحات الأنس ٢٠٢، الطبقات الكبرى للشعراني ١/ ١٠٢، الكواكب الدرية ١/ ٥٩٥، شذرات الذهب ٢/ ٢٩٤

(١) سُرَّ مَنْ رأى: هي مدينة سامراء، فوق بغداد بثلاثين فرسخًا، بين بغداد وتكريت، على شرقي دجلة. وفي ضبطها لغات. انظر معجم البلدان.

(٢) الرسالة القشيرية ٩٥

(٣) طبقات الصوفية ٣٢٢، الرسالة القشيرية ٩٥، المختار ٢/ ٢٦٣.

وقال أبو الحسين المالكي: سألتُ مَنْ حضرَ موتَ خيرِ النَّساج عن موته، فقال له: لما حضرَت صلاةُ المغرب غُشي عليه، ثمَّ فتح عينيه، وأومأ إلى ناحيةِ البيت، وقال: قفْ، عافاك الله، فإنمَّا أنت عبدٌ مأمور، وأنا عبدٌ مأمور، وما أُمرتَ به لا يَفوتُك، وما أُمرتُ به يَفوتني، فدعني أَمضي فيما أُمرتُ به، ثمَّ امضِ فيما أُمرتَ به. فدعا بماءٍ، ثمَّ توضَّأ للصَّلاة وصلَّى، ثمَّ تمدَّدَ وغمَّض عينيه، وتشهَّدَ، ومات[1]

فذكر بعض الصَّالحين أنَّه رآه في المنام بعد ذلك، فقال له: ما فعلَ اللهُ بك؟ فقال: لا تَسلني عن هذا، ولكن استرحتُ من دنياكم الوَضِرة[2]

وقال: من عرفَ من الدُّنيا قدرَها، وجد من الآخرة حقَّها، ومن جَهِلَ من الآخرة حقَّها قتلهُ من الدُّنيا نزرُها[2]

وقال: لا نسبَ أشرفُ مِنْ نسب مَنْ خَلَقَهُ الله بيده، فلم يعصمه، ولا عِلمَ أرفعُ مِنْ علم مَنْ علَّمه اللهُ الأسماء كلَّها، فلم ينفعْه في وقت جريان القضاء والقدرِ عليه، ولا عبادةَ أتمُّ من عبادة إبليس ولا أكثر، لم يُنتجه ذلك من المَسبوق عليه[3]

وقال: توحيدُ كلِّ مخلوقٍ ناقصٌ، لقيامِهِ بغيره، وحاجته إلى غيره. وقال الله تعالى: ﴿ ۞يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِۖ ﴾ يعني: المُحتاجون إليه في كلِّ نَفَسٍ، ﴿ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ﴾ عنكم وعن توحيدكم وعن أفعالكم وأحوالكم، ﴿ ٱلۡحَمِيدُ ﴾ [فاطر ١٥] الذي يقبلُ منكم ما لا يحتاجُ إليه، ويثيبكم عليه ما تحتاجون إليه[4]

وقال: الصَّبر من أخلاقِ الرِّجال، والرِّضا من أخلاقِ الكرام[5]

---

(١) طبقات الصوفية ٣٢٣، الرسالة القشيرية ٩٥، المختار ٢/ ٢٦٣

(٢) طبقات الصوفية ٣٢٣

(٣) طبقات الصوفية ٣٢٤، المختار ٢/ ٢٦٠

(٤) طبقات الصوفية ٣٢٤، المختار ٢/ ٢٦٢

(٥) طبقات الصوفية ٣٢٣، المختار ٢/ ٢٦٢

وقال: ميراثُ أفعالك ما يليقُ بأفعالك، فاطلبْ ميراث فضلِهِ؛ فإنَّه أتمُّ وأحسن. قال الله تعالى: ﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾[1] [يونس: ٥٨].

وقال: الخوفُ سَوْط اللهِ، يُقوِّمُ به أنفسًا قد تعوَّدتْ سوءَ الأدب، ومتى ما أساءتِ الجوارحُ الأدبَ فهو من غفلة القلبِ وظلمة السِّرِّ[2]

وقال: شرحَ صدورَ المُتَّقين بنور اليقين، وكشفَ بصائر المُهتدين بنورِ حقائق الإيمان[3]

وقال: من سبقَ بخطوةٍ لا يُدرك إذا كان صَادقًا مُجتهدًا[4]

وقال: من لاحظَ شُكرَه، استصغرَ نعمه[4]

وقال: الإخلاصُ هو الذي لا يُقْبَلُ عملُ عاملٍ إلاَّ به[5]

وقال: العملُ الذي يبلغُ إلى الغايات، هو رؤيةُ التَّقصير والعجزِ والضَّعف[6]

وقال: كنتُ جالسًا في بيتي، فوقع لي أنَّ الجُنيد بالباب، فنفيتُ عن قلبي، فوقع لي ثانيًا، وثالثًا، فخرجتُ، فإذا أنا بالجُنيد، فقال لي: لِمَ لم تخرجْ مع الخاطرِ الأول؟[7]

وقال: دخلتُ بعض المساجد، وإذا فيه فقيرٌ، فلمَّا رآني تعلَّق بي، وقال: أيُّها الشَّيخ، تعطَّف عليَّ؛ فمحنتي عظيمةٌ. فقلتُ: وما هي؟

---

(١) طبقات الصوفية ٣٢٥

(٢) طبقات الصوفية ٣٢٥، الرسالة القشيرية ٩٥، المختار ٢/ ٢٦٢

(٣) طبقات الصوفية ٣٢٤، المختار ٢/ ٢٦٢

(٤) طبقات الصوفية ٣٢٤

(٥) طبقات الصوفية ٣٢٤، المختار ٢/ ٢٦٢

(٦) طبقات الصوفية ٣٢٤.

(٧) الرسالة القشيرية ٣٥٢ (الفراسة)، تهذيب الأسرار ٣٢٩.

فقال: فقدتُ البلاءَ، وقُرِنتُ بالعافية. فنظرتُ، فإذا قد فُتح عليه بشيءٍ من الدُّنيا[1]

وقال أبو الحُسين المالكي: كنتُ أَصحبُ خيرَ النَّساج عدَّةَ سنين، فقال لي قبل موته بثمانيةِ أيام: أنا أَموتُ يومَ الخميس وقتَ المغرب، وأُدفنُ يومَ الجمعة قبل الصَّلاة، وستنسى هذا، فلا بأس[2] قال أبو الحسين: فأُنسيته إلى يوم الجمعة، فلقيني من أَخبرني بموته، فخرجتُ لأحضُرَ جنازته، فرأيت النَّاس راجعين، يقولون: يُدفنُ بعد الصَّلاة. فلم أنصرف، وحضرت [صلاة] الجنازة قبل الصَّلاةِ كما قال[3]

وقال: قصَّ موسى بنُ عمران عليه السَّلام في بني اسرائيل، فزعقَ واحدٌ منهم، فانتهرَهُ موسى، فأوحى اللهُ تعالى إليه: يا موسى، بطيبي فاحوا[4]، وبِحُبِّي باحوا، وبوجدي صاحوا، فلِمَ تُنكر على عبادي؟![5]

وقال بعضهم: كنتُ عند خير النّساج، فجاءه رجلٌ وقال: أيُّها الشَّيخ، رأيتُك أمس، وقد بعتَ الغزلَ بدرهمين، فجئتُ خلفك، فحللتُها من طَرفِ إزارك، وقد صارتْ يدي مُنقبضةً على [الدّرهمين في] كفّي. قال: فضحك خير، وأومأ بيده إلى يده، ففتحها، وقال: امضِ، واشترِ بهما لعيالك شيئًا، ولا تعدْ لمثله[6]

وقال جعفر بن محمد: قلتُ لخير: أكانَ النَّسجُ حِرفَتَكَ؟ فقال: لا

---

(١) الرسالة القشيرية ٣٩٨ (الفقر)، المختار ٢/ ٢٦٢

(٢) في (أ) ومصادر الخبر: فلا تنس.

(٣) الرسالة القشيرية ٤٣٦ (أحوالهم عند الخروج من الدنيا)، المختار ٢/ ٢٦٢، ٢٦٣ وما بين معقوفين مستدرك منه.

(٤) في (ب): بطيّبي ناجوا

(٥) الرسالة القشيرية ٤٨١ (السماع).

(٦) الرسالة القشيرية ٥٠٠ (كرامات الأولياء) وما بين معقوفين مستدرك منه، المختار ٢/ ٢٦٢.

فقلتُ: فمن أين سُمّيتَ به؟ فقال: كنتُ عاهدتُ الله تعالى، واعتقدْتُ أن لا آكلَ رُطبًا أبدًا، فغلبتني نفسي يومًا، فأخذت نصفَ رطلٍ رُطبًا، فلمَّا أكلتُ واحدةً، فإذا رجلٌ ينظرُ إليَّ، فقال لي: يا خير، يا آبق، هربتَ منِّي؟ وكان له غلامٌ هرب منه اسمه خير، فوقع عليَّ شبهُهُ وصورتُه، فأخذ يخنقني، واجتمعَ النَّاس، فقالوا: هذا واللهِ غلامُك خير. فبقيتُ مُتحيّرًا بماذا أتحدَّث، وعرفتُ سببَ جِنايتي[1]، وهو أكل الرُّطب. فحملني إلى حانوته الذي كان يَنسجُ فيه غلمانُه، فقالوا لي: يا عبدَ السَّوء، تهربُ من مولاك؟ ادخلْ واعملْ عملك الذي كنتَ تعملُ. وأمرني بنسج الكَرابيس[2]، فدلَّيتُ رجلي في بئر العمل، وأخذتُ الآلة، فكأنّي كنتُ أَعملُ من سنين، فبقيتُ معه عدّةً من الشُّهور أَنسجُ له، فقمتُ ليلةً، وتوضّأتُ، وصلّيتُ صلاة الصُّبح، وسجدتُ، وقلت: إلهي، لا أَعودُ إلى ما فعلتُ. ثمَّ أصبحت، وإذا الشَّبَهُ قد ذهب، وعدْتُ إلى صورتي التي كنتُ عليها، فأطلقني، وثبتَ هذا الاسمُ عليَّ. وكان سببَ النَّسجِ اتّباعي لشهوةٍ عاهدْتُ الله أن لا آكلها، فعاقبني الله بذلك[3]

وروي: أنَّه كانَ كثيرَ الأمرِ بالمعروف، والنَّهي عن المنكر، لا تَأخذُهُ في اللهِ لومةُ لائم، ولا يُزعجُه ما يلقى من الأذى في ذلك، فلمَّا كَثُرَ عليه الأذى في وقتٍ من الأوقات، قال: فقصّرتُ عن ذلك وتجنّبتهُ، وخرجتُ من المدينة التي كنتُ فيها كالهارب، فمررتُ بقريةٍ فيها دكاكين، فجلستُ على بابِ دكّانٍ لحائك، فخرجَ إليَّ صاحبُ الطِّراز، فلطمني وقال: يا مُبارك، أينَ كُنتَ، قد فررتَ منذ أربعةِ أشهر، قال: فنظرتُ إلى نفسي، وإذا أنا أسودُ بشعرٍ مُفلفل، فأخذَ بيدي، فأدخلني إلى طرازه، واجتمعَ قومُهُ وأصحابه يُهنئونه بي، فأقعدني في العملِ أَنسجُ له، فكنتُ أَنسجُ له

---

(١) في (ب): سبب خيانتي.

(٢) الكرابيس: جمع كِرباس بالكسر، ثوب القطن الأبيض. معرّب. القاموس

(٣) حلية الأولياء ١٠/ ٣٠٧، المختار ٢/ ٢٦٠

كأحذقِ مَنْ نسج، فأَقمتُ عنده شهورًا على ذلك، فلمَّا كان بعد ذلك استيقظتُ، وعرفتُ قصتي، وعقدتُ بيني وبين الله تعالى مُلازمةَ ما كنتُ عليه من الأمرِ بالمعروفِ والنّهي عن المنكر، فإذا أنا من وقتي على حالتي الأولى، فخرجتُ من الطِّراز، وجلستُ على الباب أحفظ الطِّراز وصاحبه إلى أن يرجع، فجاءني صاحبُ الطِّراز، وسلَّم عليَّ، وعانقني وقال لي: عافاكَ الله، هل رأيت غلامًا أسود قد خرج من هذا الطِّراز؟ فقلت: لا فدخل إلى طرازه وانصرفت.

وقال أحمد بن عطاء: كنتُ مع خير النّساج، وهو من شيوخِ خالي في السَّماع، وكان قد احدودبَ، فكان إذا سمع [السّماع]، قام ظهرُه، ورجعت قوَّتُهُ كالشَّاب المطلق، فإذا غابَ عن الوجود عاد إلى حاله، وكان قد عُمِّرَ مئة وعشرين سنة[1].

وذُكر أنَّ إبراهيمَ الخواص صحبَه، وقال لأبي[2] العباس المؤدب: ممّن يفرح[3] النَّاس؟ فقال: ما عرفتُ نفسي ساعة قط فأخرج، فكيف أعرف النَّاس أو أفرحُ بهم!؟ ولكنَّك تجدني أُعظِّمُ من كان لأمرِ الله مجلاًّ، ولحرماته معظّمًا، وبحقِّه قائمًا، وبه مُشتغلاً، وعليه مُعتمدًا، فيؤدبني الله به، وتريني بركته عليَّ.

* * *

---

(١) تاريخ بغداد ٨/ ٣٤٦، المختار ٢/ ٢٦١

(٢) في (ب): وقال: قلت يومًا لأبي العباس.

(٣) في (أ): تفرح من الناس.

(٦٢) أبو حَمزة الخراساني[*]

ومنهم: أبو حمزة الخراساني. يقال إنَّ أصله من نيسابور من محلة مُلْقاباذ.

صحبَ مشايخ بغداد، وهو من أقران الجُنيد، وسافرَ مع أبي تُراب النَّخشبِي، وأبي سعيد الخرّاز.

وكان من أَفتى المشايخ وأَدينِهم وأَورعِهم.

مات سنة تسعين ومئتين.

وقال رحمه الله. من نصحَ نفسه فقد كَرُمتْ عليه، ومن تشاغلَ عن نصيحتها هانت عليه.

وسُئل عن الأُنس، فقال: ضيقُ الصَّدرِ عن مُعاشرة الخلق[1]

وقال: الغريبُ المُستوحشُ من الإلْف[2]

(*) طبقات الصوفية ٢٩٥، ٣٢٦، حلية الأولياء ١٠/ ٣٢٠، تاريخ بغداد ١/ ٣٩٠، الرسالة القشيرية ٩٦، طبقات الحنابلة ١/٢٦٨، المنتظم ٥/٦٨، صفة الصفوة ١/ ٢٦، ٢٧، ٢٨، المختار من مناقب الأخيار ٤/ ٢٩٠، مختصر تاريخ دمشق ٢١/٣٤٩، و٢٨/٢٤٣، سير أعلام النبلاء ١٣/ ١٦٥، الوافي بالوفيات ١/ ٣٤٤، طبقات الأولياء ١٥٠، ١٥٥، النجوم الزاهرة ٣/ ٤٦، نفحات الأنس ١٠٧، طبقات الشعراني ١/ ٩٩، و١٠٣، الكواكب الدرية ١/ ٥٥٠، ١/ ٦٩٧: محمد بن إبراهيم، ٤/ ١٢٧، جامع كرامات الأولياء ١/ ٢٧٠، وانظر ترجمة أبي حمزة البغدادي التي تقدمت برقم (٥٠)، ففيهما أخبار مشتركة.

(١) طبقات الصوفية ٣٢٦، الحلية ١٠/ ٣٢٢، المختار ٤/ ٢٩٤.

(٢) طبقات الصوفية ٣٢٦.

وقال: من استشعرَ ذكرَ الموت، حُبّبَ إليه كلُّ باقٍ، وبغِّض إليه كلُّ فانٍ[١]

وقال: العارفُ يُدافع عيشَه يومًا بيوم، ويأخذُ عيشَةَ يومًا ليوم.

وقال: من استوحشَ من نفسه أَنِسَ قلبُه بموافقةِ مولاه[٢]

ورُوي أنَّ رجلاً سأله وقال: أوصني. فقال: هيِّئْ زادَكَ للسَّفر الذي بين يديك، وكأنِّي بك في جُملة الرَّاحلين عن مَنْزلك، وهيئْ لنفسك مَنْزلاً تَنْزِلُ فيه إذا نزلَ أهلُ الصَّفوةِ منازلَهم؛ لئلا تبقى مُتحسِّرًا[٣]

وقال: من خصَّهُ اللهُ تعالى بنظرةِ شفقةٍ، فإنَّ تلك النَّظرةَ منه تُنْزِله منازلَ أهلِ السَّعادة، وتزيِّنه بالصِّدق ظاهرًا وباطنًا[٤]

وسُئل عن الصُّوفي، فقال: من صفا من كلِّ دَرَنٍ، ولا يبقى فيه وسخُ المخالفة بحال[٥]

وسُئل: هل يتفرَّغُ المحبُّ إلى شيءٍ سوى مَحبوبه؟ فقال: لا، إنَّه بلاءٌ دائم، وسرورٌ مُنقطع، وأوجاعٌ مُتَّصلة، لا يعرفُها إلاَّ من باشرها وأنشد:

يُقاسي المُقاسي شجوةَ دونَ غيرِه　　وكلُّ بلاءٍ عند لاقيهِ أَوجعُ[٦]

وقال: بقيت محرمًا في عباءٍ، أسافرُ كلَّ سنة ألفَ فرسخٍ، تطلع الشَّمس عليَّ وتغرب، كلَّما أَحللتُ أَحرمت[٧]

وقال: حججتُ سنةً من السِّنين، فبينا أنا أمشي في الطَّريق إذ وقعتُ

---

(١) تقدم الخبر، وهو من أقوال أبي حمزة البغدادي صفحة ٥٧٨.
(٢) طبقات الصوفية ٣٢٧
(٣) طبقات الصوفية ٣٢٧، الرسالة القشيرية ٩٦
(٤) طبقات الصوفية ٣٢٨
(٥) طبقات الصوفية ٣٢٧.
(٦) تقدم الخبر مع تخريجه صفحة ٥٧٩ وهو من أقوال أبي حمزة البغدادي.
(٧) الرسالة القشيرية ٩٦.

في بئرٍ، فنازعتني نفسي أن أستغيث، فقلت: لا واللهِ، لا أَستغيثُ! فما استتممتُ هذا الخاطر حتَّى مرَّ برأس البئر رجلان، فقال أحدُهما للآخر تعالَ حتَّى نسدَّ رأس هذا البئر؛ لئلا يقعَ فيها أحد. فأتوا بقصبٍ وباريةٍ[1]، وطمّوا رأسَ البئر، فهممتُ أن أصيحَ، ثمَّ قلتُ في نفسي. أَستغيثُ إلى من هو أقربُ إليَّ منهما. وسكتُّ، وإذا أنا بعد ساعةٍ بشيءٍ جاء وكشفَ عليَّ رأس البئر[2]، وأدلى رجله، كأنَّه يقولُ لي تعلَّقْ بي، في همهمةٍ له، كنت أعرفُ ذلك منه. فتعلَّقتُ به، فأخرجني، وإذا هو سَبُعٌ، ثمَّ مرَّ فهتف بي هاتف: يا أبا حمزة، أليس هذا أحسن، نجَّيناك من التَّلفِ بالتَّلف؟!

فمشيتُ وأنا أقول:

نهاني حيائي منكَ أن أَكتمَ الهوى ... فأغنيتني بالفهمِ منك عن الكَشفِ
تلَّطفتَ في أمري وأبديتَ شاهدي ... إلى غائبي واللُّطفُ يُدركُ باللُّطفِ
تراءيتَ لي بالغيبِ حتَّى كأنَّما ... تبشِّرُني بالغيبِ أنَّك في الكَفِّ
أراكَ وبي من هيبتي لك وَحشةٌ[3] ... فتُؤنسني باللُّطفِ منك وبالعطفِ
وتُحيي محبًّا أنتَ في الحبِّ حتفُهُ ... وذا عجبٌ كونُ الحياةِ مع الحتفِ[4]

* * *

(١) البارية: الحصير الخشن.
(٢) في (أ): وكشف غطاء البئر
(٣) في (ب): لك هيبة.
(٤) الرسالة القشيرية ٢٧٢ (التوكل)، تهذيب الأسرار ٣٥٥، حلية الأولياء ١٠/ ٣٢١، المختار ٤/ ٢٩١، روض الرياحين (الحكاية ١١٧)

(٦٣) أبو عبد الله الصُّبيحي (*)

ومنهم: أبو عبد الله الحسين بن عبد الله بن بكر الصُّبيحي رحمه الله. كان من أهل البصرة.

قيل: إنَّه لم يخرجْ من سَرَبٍ[١] في داره ثلاثين سنة، يجتهدُ فيه ويتعبَّدُ حتَّى أخرجه أهلُ البصرة منها، فخرج إلى السُّوس[٢]، ومات بها، وقبرُه هناك[٣].

وكان عالمًا بعلوم القومِ، وبالأصول، صنَّفَ لهم كُتبًا في علومهم[٤] وكان صاحبَ ورعٍ ولسانٍ[٤].

وقال رحمه الله: السَّماعُ بالتَّصريح جفاء، والسَّماعُ بالإشارة تكلُّفٌ. وألطفُ السَّماعِ ما يُشكلُ إلاَّ على مستمعِهِ[٤].

وسُئل عن التَّسلِّي والانقطاع، فقال: لا يقطعكُ عن الشَّيءِ ما هو مثله أو دونه، إنَّما يقطعُكَ عنه ما هو أتمُّ منه وأعلى[٤].

(*) طبقات الصوفية ٣٢٩، حلية الأولياء ١٠/ ٣٥٤، المختار من مناقب الأخيار ٢/ ٢٠٧، طبقات الأولياء ٣٣٤، نفحات الأنس ٢٤٢، الطبقات الكبرى للشعراني ١/ ١٠٣، الكواكب الدرية ٢/ ٧٨.

(١) السَّرَب: المسلك في خفية، والبيت والحُفير تحت الأرض. متن اللغة.

(٢) السوس: مدينة الأهواز في القديم، فتحها أبو موسى الأشعري في خلافه عمر بن الخطاب رضي الله عنهما

(٣) طبقات الصوفية ٣٢٩، المختار ٢/ ٢٠٧

(٤) طبقات الصوفية ٣٣٠، المختار ٢/ ٢٠٧

و: النَّظرُ في عواقبِ الأمور من أحوالِ العاجزين، والتَّهجُّمُ على الموارِدِ من أحوال الرِّجال، والخمودُ بالرِّضا تحت مواردِ القضا من أفعالِ العارفين[1]

وسُئل عن أصول الدِّين، فقال. إثباتُ صدقِ الافتقار إلى الله، وحُسن الاقتداء برسول الله ﷺ[2]

وقال: الرُّبوبيةُ سبقتِ العبودية، وبالرُّبوبية ظهرت العبودية، وتمامُ وفاء العبودية مشاهدةُ الرُّبوبية[3]

وقال: يجبُ أن يكونَ الواجدُ ـ إذا كان وجدُهُ صحيحًا ـ أن يكونَ في حال وجده مَحفوظًا، لا يجري عليه لسان الذَّمِّ بحالٍ[3]

وقال: المبقّى في أوصافه[4] يجولُ حول الشِّرْك لفرحه ببقائه؛ فإنَّه أبدًا يُشاهدُ شاهدَه[5]

وقال: الغريبُ هو البعيدُ عن وطنه، وهو مُقيمٌ فيه[6]

وقال: الغريبُ الذي لا جنسَ له(٦).

وقال مرَّةً أخرى: الغريبُ من صحب الأخياس[7]

وقال: أتمُّ الخوفِ ما كان على صفةِ الوجد، لا على فَقْدِ ما يَرجو ويتمنّى[8]

---

(١) طبقات الصوفية ٣٣٠، المختار ٢/ ٢٠٧

(٢) طبقات الصوفية ٣٢٩، المختار ٢/ ٢٠٨

(٣) طبقات الصوفية ٣٣٠، المختار ٢/ ٢٠٨

(٤) في (أ): المتقي.

(٥) طبقات الصوفية ٣٣٠

(٦) طبقات الصوفية ٣٣٠، المختار ٢/ ٢٠٩

(٧) في طبقات الصوفية ٣٢٠، والمختار ٢/ ٢٠٩: صحب الأجناس.

(٨) طبقات الصوفية ٣٣١.

وقال: ابتُلِي الخلائق بأسرهم بالدَّعاوَى العريضة في المُغيَّبِ، فإذا أظلَّتهم هيبةُ المشهد، خَرسوا وانقمعوا، وصاروا لا شيء، ولو صدقوا في دعاويهم[1] لبرزوا عند المشاهدة كما برزَ نبيُّنا محمد المصطفى ﷺ، وتقدَّمَ على الخلائقِ بقدمِ الصِّدق، حين طُلب إليه الشّفاعة. فقال: «أنا لها»[2] لم تَرُعْهُ هيبةُ الموقف لما كان عليه من قدم الصِّدق، وما أشبه الدَّعاوى الباطلة إلاَّ بما قال بعضهم:

يَنوي العتابَ له من قبلِ رؤيتِهِ   فـإنْ رَآه فـدمـعُ العيـنِ مَسْكـوبُ
لا يستطيـعُ كـلامًـا حيـنَ يُبصـرُهُ   كلَّ اللّسانُ وفي الأَحشاءِ تلهيبُ[3]

و: ليس تَخرسُ الألسن في المشاهدة إلاَّ لبعدها من الصِّدق فمن صدق في المحبّة، تكلَّمَ عنه الضَّميرُ، إذا سكتَ عن النُّطق اللِّسان[4]

* * *

(١) في (أ): دعائهم.
(٢) كلمة يقولها رسول الله ﷺ عندما تتوجه إليه الخلائق كافة طالبة منه الشفاعة الكبرى، بعد أن سُئلت رُسُلَ الله أجمع عنها، وكلٌّ يقول: نفسي نفسي. أخرجه البخاري ١٣/ ٤٧٣ في التوحيد، باب كلام الرب تعالى يوم القيامة مع الأنبياء، ومسلم (١٩٣) في الإيمان، باب أدنى أهل الجنة مَنْزلة، وأحمد في المسند ١/ ٢٨١
(٣) طبقات الصوفية ٣٣١، المختار ٢/ ٢٠٨
(٤) طبقات الصوفية ٣٣١، تهذيب الأسرار ١٩١، المختار ٢/ ٢٠٨.

(٦٤) أبو جعفر بن سنان(*)

ومنهم: أبو جعفر أحمد بن حمدان بن علي بن سنان، من كبار مشايخ نيسابور.

صحبَ: أبا عثمان، ولقي أبا حفص.

وهو أحدُ الخائفين الورعين.

وكان بيتُهُ بيتَ الزُّهدِ والورع إلى أن انتهى الأمر، وخُتم بابن بنته أبي بشر محمد بن أحمد الحَلاَوي المُقيم بمكَّة، المجاورُ بها ـ في آخر سفره ـ عشرين سنة مُتوالية، نعي بموت أبي بشر في سنة سبع وثمانين[1] وثلاث مئة، وكان مات بمكَّة في سنة ست وثمانين، وهو كان أوحدَ مشايخ الحرمِ في وقته[2].

ومات أبو جعفر سنة إحدى عشرة وثلاث مئة[3].

وقال: من لزم الخلوةَ والعزلة، كان أقلَّ لفضيحته في الدُّنيا، إلى أن يبلغَ إلى فضيحة الآخرة[3].

(*) طبقات الصوفية ٣٣٢، تاريخ بغداد ٤/ ١١٥، المنتظم ٦/ ١٧٦، المختار من مناقب الأخيار ١/ ٢٨٩، سير أعلام النبلاء ١٤/ ٢٩٩، العبر ٢/ ١٤٧، تذكرة الحفاظ ٢/ ٧٦١، طبقات ابن عبد الهادي ترجمة ٧٣٠، الوافي بالوفيات ٦/ ٣٦٠، مرآة الجنان ٢/ ٢٦٤، طبقات الأولياء ٤٨، نفحات الأنس ٢٥٠، طبقات الحفاظ ٣٢٠، الطبقات الكبرى للشعراني ١/ ١٠٣، الكواكب الدرية ٢/ ١٦، شذرات الذهب ٢/ ٢٦١.

(١) في (ب): سنة تسع.

(٢) طبقات الصوفية ٣٣٢.

(٣) طبقات الصوفية ٣٣٣، المختار ١/ ٢٨٩

وقال: سُئل بعضُ الحكماء: من أينَ معاشُك؟ فقرأ: ﴿ كُلًّا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴾[1] [الإسراء: ٢٠].

وقال: لو أمرَكَ بمعرفته، ولم يتعرَّفْ إليك، كنتَ أجهلَ به ممّن أنكره[2].

وقال: تكبُّر المُطيعين على العصاة بطاعتهم شرٌّ من معاصيهم، وأضَرُّ عليهم[2].

وقال: غفلتُكَ عن توبةِ ذنبٍ ارتكبته شرٌّ من ارتكابه[2].

وقال: أنت تُبغِضُ العاصي بذنبٍ واحدٍ تظنُّه، ولا تُبغضُ نفسك مع ما تتيقَّنُهُ من ذنوبك[3].

وقال: ذمُّك لأخيك بعيوبه يُوقعك فيما فوقه وشرٌّ منه، ولو وفِّقتَ لدعوتَ له ورحمتَهُ، وخفتَ على نفسك من مثله، وشكرتَ الله حيثُ لم يَبْلُكَ بما ابتلاه[4].

وقال: من علمَ من نفسه ما يعلم، ثمَّ أحبَّها بعد ذلك، فقد أحبَّ ما أبغض الله تعالى[4].

وقال: كثرةُ الإساءة مع التَّوبةِ والنَّدامة أصغرُ من صغيرةٍ مع الإصرار؛ لأنَّ الله تعالى يقول: ﴿ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾(٤) [آل عمران ١٣٥].

وقال: قليلُ الإحسان مع الإخلاص أكثرُ من كثيرِ الإحسان مع الرِّياء والعُجْبِ والآفات[4].

وقال: لا يعظِّم حُرمات الله إلا من عظَّمَ الله، ولا يعظِّمُ اللهَ تعالى إلاَّ

---

(١) طبقات الصوفية ٣٣٣، المختار ١/ ٢٩٠
(٢) طبقات الصوفية ٣٣٣، المختار ١/ ٢٨٩
(٣) طبقات الصوفية ٣٣٤، المختار ١/ ٢٨٩
(٤) طبقات الصوفية ٣٣٤، المختار ١/ ٢٩٠

من عرفه، ومن عرفَ الله خضعَ له وانقادَ في خضوعِهِ، وخضوعُهُ يتولَّدُ من تعظيمه لربّه تعالى، فإذا عظَّمَ ربَّه صَغُرَ كلُّ ما سواه عنده، فيتولَّدُ من ذلك تعظيمُ حرمات المؤمنين؛ وذلك لعظيم حرمة الله في قلبه أن يُعظِّم كلَّ من يطيعه أو يعرفه[1].

وقال: جمالُ الرَّجلِ في حُسن مقاله، وكمالُهُ في صدقِ فعاله[2].

وقال: علامةُ من انقطعَ إلى الله على الحقيقة أن لا يردَ عليه ما يشغلُهُ عنه[2].

* * *

---

(١) طبقات الصوفية ٣٣٤، المختار ١/ ٢٩٠

(٢) طبقات الصوفية ٣٣٣، المختار ١/ ٢٩٠

(٦٥) أبو بكر الشِّبلي (*)

ومنهم: أبو بكر الشِّبلي، واسمه دُلَف بن جَحْدَر، وقيل: ابن جعفر. ويقال: إن اسمه جعفر بن يونس. وهكذا مكتوبٌ على قبره[١]

خراسانيُّ الأصل، بغداديُّ المَولد والمنشأ، وقيل أصلُه من أُشْروسَنَة[٢]، ومولده سرَّ من رأى[١]

تاب في مجلسِ خيرِ النَّساج[١]

وصحبَ: أبا القاسم الجُنيد، ومن في عصره من المشايخ[١]

وصارَ أوحد الوقت عِلمًا وحالاً وظرفًا.

وكان فقيهًا، عالمًا على مذهب مالك بن أنس رحمه الله، وكتب الحديث الكثير[١]

عاش سبعًا وثمانين سنة، مات في ذي الحجَّة سنة أربعٍ وثلاثين

(*) طبقات الصوفية ٣٣٧، حلية الأولياء ١٠/ ٣٦٦، تاريخ بغداد ١٤/ ٣٨٩، الرسالة القشيرية ٩٧، الأنساب ٧/ ٢٨٢، صفة الصفوة ٢/ ٤٥٦، المنتظم ٦/ ٣٤٧، اللباب ٢/ ١٠، الكامل في التاريخ ٨/ ٣٥٠، المختار من مناقب الأخيار ٢/ ٢٩٢، وفيات الأعيان ٢/ ٢٧٣، مختصر تاريخ دمشق ٢٨/ ١٦٧، سير أعلام النبلاء ١٥/ ٣٦٧، العبر ٢/ ٢٤٠، مرآة الجنان ٢/ ٣١٧، الوافي بالوفيات ١٤/ ٢٥، البداية والنهاية ١١/ ٢١٥، الديباج المذهب ١١٦، طبقات الأولياء ٢٠٤، النجوم الزاهرة ٣/ ٢٨٩، نفحات الأنس ٢٦٦، طبقات الشعراني ١/ ١٠٣، الكواكب الدرية ٢/ ٨٣، شذرات الذهب ٢/ ٣٣٨

(١) طبقات الصوفية ٣٣٧

(٢) أُشْرُوسَنَة: بلدة كبيرة بما وراء النهر بين سيحون وسمرقند. معجم البلدان.

وثلاث مئة، ودُفن ببغداد في مَقبرة الخيزران، وقبرُهُ ظاهرٌ بها يُزار[1]

ورُوي: أنَّه لما تابَ في مجلس خيرِ النَّساج، أتى دُمَاوِنْد[2]، وقال: كنت والي بلدكم، فاجعلوني في حلٍّ، [فجعلوه في حلٍّ، وجهدوا أن يقبلَ منهم شيئًا، فأبى][3]

ومُجاهداتُه في بدايته فوق الحدِّ، ومن جملةِ ذلك ما رُوي عنه أنَّه اكتحلَ بكذا وكذا من الملح ليعتادَ السَّهر، فلا يأخذه النَّوم. قال: فلمَّا زادَ عليَّ الأمرُ، حمَّيتُ الميلَ، فاكتحلتُ به[4]

وقال: ما ظنُّكَ بعلمٍ، علمُ العلماءِ فيه تهمة[5]

وقيل له: إنَّ أبا تُراب النَّخشبِي جاعَ في البادية، فرأى البادية كلَّها طعامًا، فقال: عبدٌ رُفِقَ به، ولو بلغَ إلى محلِّ التَّحقيقِ لكان كمن قال. «إنِّي أَظلُّ عند ربِّي يُطعمني ويَسقيني»[6]

ورُوي: أنَّه كان إذا نظرَ إلى أصحابه يُسافرون، ويرى تَقطُّعَهم في الأسفار، يقول لهم: ويلكم، أبدٌّ ممّا ليس منه بدٌّ؟ [بل بدٌّ ممّن ليس منه بدٌّ][7]

---

(١) طبقات الصوفية ٣٣٨.

(٢) دُمَاوِنْد. ويقال دنباوند ودَبَاوند: كورة بين الرَّي وطبرستان بين الجبال، فيها بساتين وقرى عامرة. انظر معجم البلدان.

(٣) الرسالة القشيرية ٩٧، المختار ٢/ ٢٩٣، وما بين معقوفين مستدرك منه.

(٤) المختار ٢/ ٢٩٣

(٥) طبقات الصوفية ٣٣٩، الرسالة القشيرية ٥٤١ (الوصية للمريدين).

(٦) رواه البخاري ٤/ ١٧٦، في الصوم، باب الوصال، ومسلم (١١٠٤) في الصوم، باب النهي عن الوصال في الصوم، والترمذي (٧٧٨) في الصوم، باب ما جاء في كراهية الوصال للصائم.

والخبر في طبقات الصوفية ٣٣٩، المختار ٢/ ٣٠٤

(٧) طبقات الصوفية ٣٣٩، وما بين معقوفين مستدرك منه، المختار ٢/ ٣٠٥.

وقال: الأرواحُ تلطَّفَتْ، فتعلّقت عند لدغات الحقيقة[1]، فلم ترَ غيرَ الحقِّ معبودًا استحقَّ العبادة، وأيقنتْ أنَّ المُحدثَ لا يُدركُ القديم بصفاتٍ معلولة، فإذا صفَّاهُ الحقُّ أوصله إليه، فيكون الحقُّ أوصله إليه، لا هو وصل[2].

وقال: التَّصوفُ ضبطُ حواسك، ومراعاةُ أنفاسك[3].

وقال أيضًا: التَّصوفُ التَّآلفُ والتَّعاطفُ[4].

وقيل له: متى يكون الرَّجلُ مُريدًا؟ فقال: إذا استوت حالتُهُ في السَّفرِ والحضر، والمَشهد والمغيب[5].

وقال عبدُ الله بن محمد الدِّمشقي: كنتُ يومًا واقفًا على حلقة الشِّبلي، فجعل الشِّبليُّ يبكي، ولا يتكلَّمُ، فقال له رجل: يا أبا بكر، ما هذا البكاء كلُّه؟ فأنشأ يقول:

إذا عــــاتَبْتُــــه أو عــــاتَبــــوه ... شكــا فِعلــي وعــدَّدَ سيِّـــاتــي
أيــا مَــنْ دهــرُهُ غَضَــبٌ وسُخــطٌ ... أما أَحسنتُ يومًا في حياتي؟[6]

وسُئل عن الزُّهد، فقال: تحويلُ القلبِ من الأشياء إلى ربِّ الأشياء[7].

وقال: مَنْ عرفَ اللهَ خضعَ له كلُّ شيء؛ لأنّه عاينَ أثَرَ مُلكه فيه[7].

---

(١) في (ب): لذعات تحقيقه.
(٢) طبقات الصوفية ٣٤٠، وفي (أ): فإذا صفات الحقِّ أوصلته لا وصل هو.
(٣) طبقات الصوفية ٣٤٠، المختار ٢/ ٣٠٥، تهذيب الأسرار ٢٩ وسيذكره ثانية صفحة ٦٥٠
(٤) طبقات الصوفية ٣٤٠، وفي (ب): والتعطّف.
(٥) طبقات الصوفية ٣٤٠، المختار ٢/ ٣٠٥
(٦) طبقات الصوفية ٣٤٠.
(٧) طبقات الصوفية ٣٤١، المختار ٢/ ٣٠٥

وقيل له: ما الدُّنيا؟ فقال: قِدرٌ تُغلى، وكنيفٌ يُملأ[1]

وقال: ليس يخطرُ الكونُ ببالي، وكيف يخطرُ الكونُ ببالِ مَنْ عرف المُكوِّن؟[2]

وقال بعضُ أصحابه: رأيتُ الشِّبلي في المنام، فقلت له: يا أبا بكر، من أسعدُ أصحابك بصحبتك؟ فقال: أعظمُهم لحرماتِ الله، وألهجُهم بذكرِ الله، وأقومُهم بحقِّه، وأسرعُهم مُبادرةً في مرضاته، وأعرفُهم بنقصان نفسه، وأعظمُهم تعظيمًا لما عظَّم اللهُ من حُرمة عباده[2]

وقال له رجل: ادعُ اللهَ لي. فأنشأ يقول:

مضى زَمَنٌ والنَّاسُ يَستشفعونَ بي فهل لي إلى ليلى الغَدَاةَ شَفيعُ[3]

وقيل له: نراكَ جَسيمًا بدينًا، والمحبَّةُ تُضني! فأنشأ يقول:

أحــبَّ قلبــي ومــا دَرى بَــدَنــي ولو دَرى ما أَقامَ في السِّمَنِ[4]

وقال الحُصريُّ: سمعت الشِّبليَّ يقول: أعمى الله بصرًا يراني ولا يرى فيَّ آثارَ القُدرة، فأنا أحدُ آثارِ قدرةِ الله، وأحدُ شواهدِ العزَّة، لقد ذَللتُ حتَّى عزَّ في ذُلِّي كلُّ ذليل، وعَززتُ حتَّى ما تعزَّزَ أحدٌ إلاَّ بي، أو بمن تعزَّزتُ به، وما افترقنا، وكيف نفترقُ، ولم يجرِ علينا حالُ الجمع أبدًا؟[5]

وسُئل عن الوفاء، فقال: هو الإخلاصُ بالنُّطق، واستغراقُ السَّرائرِ بالصِّدق[6]

---

(١) طبقات الصوفية ٣٤١

(٢) طبقات الصوفية ٣٤١، المختار ٢/ ٣٠٥

(٣) طبقات الصوفية ٣٤٢، المختار ٢/ ٣٠٥، والشعر لمجنون ليلى انظر ديوانه صفحة ١٩١

(٤) طبقات الصوفية ٣٤٣، حلية الأولياء ١٠/ ٣٧١.

(٥) طبقات الصوفية ٣٤٢.

(٦) طبقات الصوفية ٣٣٩، المختار ٢/ ٣٠٥

وقيل له: بما يُقمعُ الهوى؟ فقال: برياضات الطِّباع، وكشفِ القناع[1]

وقال: لو قَبلني العالَمُ بمن فيه، لكانت مُصيبةً عليَّ، إذا [لو]لم يكن شربُهم شربي، وذَوقُهم ذوقي لم يقبلوني[2]

وقال: ليكنْ همُّك معك، لا يتقدَّمُ ولا يتأخَّر[3]

ورُوي أنَّ الجُنيد قال له يومًا: لو رددتَ أمرَك إلى الله تعالى، لاسترحتَ. فقال الشِّبلي: يا أبا القاسم، لو ردَّ اللهُ أمرَك إليك لاسترحتَ. فقال الجُنيد: سيوفُ الشِّبلي تقطرُ الدِّماء[4]

وقال: سهوُ طرفةِ عينٍ عن الله لأهلِ المعرفة شركٌ بالله[4]

وقال: من عرفَ الله تعالى لا يكونُ له غمٌّ أبدًا[4]

وقال: قلوبُ أهلِ الحقِّ طائرةٌ إليه بأجنحةِ المعرفة، ويستبشرون إليه بموالاة المحبَّةِ[5]

وقال: الحريةُ هي حريةُ القلبِ لا غير[6]

وقال: ليس من احتجبَ بالخلق عنِ الحقِّ كمن احتجبَ بالحقِّ عن الخلق. وليسَ من جذبته أنوارُ قُدسِه إلى أُنْسِهِ كمن جذبته أنوارُ رحمته إلى مَغفرته[7]

---

(١) طبقات الصوفية ٣٤١، المختار ٢/ ٣٠٥.
(٢) طبقات الصوفية ٣٤٢.
(٣) طبقات الصوفية ٣٤٣
(٤) طبقات الصوفية ٣٤٣، المختار ٢/ ٣٠٦.
(٥) في طبقات الصوفية ٣٤٣: مستبشرة إليه. المختار ٢/ ٣٠٦
(٦) طبقات الصوفية ٣٤٣
(٧) طبقات الصوفية ٣٤٤، حلية الأولياء ١٠/ ٣٦٧، المختار ٢/ ٣٠٦.

ورُوي: أن رجلاً جاء إليه، فقال: كم تُهلكُ نفسَك بهذه الدَّعاوى، ولا تدعها! فأنشأ يقولُ متمثلاً:

إنِّي وإنْ كنتَ قد أسأتَ بي اليو ... مَ لــراجٍ للعطــفِ منــك غــدا
أستمتعُ الوقت[1] بالرَّجاءِ وإنْ ... لــم أرَ منكــم مــا أرتجــي أبــدا
أَغُــرُّ نفســي بكــم وأَخــدَعُهــا ... نفسٌ تــرى الغِيَّ فيكم رَشَــدا[1]

وقال أحمد الخيَّاط: كثيرًا ما كان أبو بكر الشِّبلي يُنشد:

ولــي فيــك يــا حســرتــي حَسْــرةٌ ... تَقَضَّــي حيــاتــي ولا تَنْقَضــي[2]

وكان يقول في مُناجاته: أحبَّكَ الخلقُ لنعمائك، وأنا أحبُّك لبلائك[3]

وقال: من كان بالحقِّ تلفُهُ، كان على الحقِّ خَلَفُهُ[3]

وقال عبد الله بن محمد الدِّمشقي: كنتُ واقفًا على حَلْقة الشِّبلي في جامع المَدنية، فوقفَ سائلٌ على حلقته، وجعل يقول. يا الله، يا جواد. فتأوَّه الشِّبلي وصاح وقال: كيف يُمكنني أن أصفَ الحقَّ بالجودِ، ومخلوقٌ يقولُ في شكله:

تعــوّدَ بســطَ الكــفِّ حتَّــى لــو أنّــه ... ثنــاهــا لقبــضٍ لــم تُجبْــه أنــامِلُــهْ
تَــــراه إذا مــــا جئتَــــهُ مُتهلِّــــلاً ... كأنَّك تُعطيه الذي أنتَ سائلُهْ
ولو لم يَكنْ في كفِّهِ غيرُ روحِهِ ... لجــادَ بهــا فليتَّــقِ اللهَ ســائلُــهْ
هو البحرُ من أيِّ النَّواحي أتيتَهُ ... فلجَّتُهُ المَعروفُ والجودُ ساحلُهْ[4]

---

(١) في طبقات الصوفية ٣٤٥: أستدفع الوقت.

(٢) طبقات الصوفية ٣٤٤، وفيها: أحمد الخُلقاني.

(٣) طبقات الصوفية ٣٤٤، المختار ٢/ ٣٠٦

(٤) الأبيات لأبي تمام، وهي في ديوانه ٣/ ٢٩ إلاّ البيت الثاني فهو لزهير بن أبي سلمى، وهو في ديوانه صفحة ١٤٢.

ثمَّ بكى، وقال: بلى، يا جواد، فإنَّك أوجدتَ تلك الجوارحَ، وبسطت تلك الهِمَم، ثمَّ مننتَ بعد ذلك على أقوامٍ بالاستغناءِ عنهم، وعمَّا في أيديهم، فإنَّك الجوادُ كلُّ الجواد؛ لأنَّهم يُعطون عن مَحدودٍ، وعطاؤك لا حدَّ له ولا صفةَ، فيا جوادُ يَعلو على كلِّ جواد، وبه جادَ كلُّ من جاد[1].

وقال: رفع اللهُ قدرَ الوسائط بعلوِّ همتهم، فلو أَجرى على الأولياء ذرَّةً مما كشفَ للأنبياء عليهم السَّلام لبطلوا وتقطَّعوا[2].

وقال بعضهم: كنّا يومًا في بيته، فأَخَّرَ العصرَ، ونظرَ إلى الشَّمس وقد تدلَّتْ للغروب، فقال: الصَّلاةَ يا سادتي. وقام فصلَّى، وأنشأ يقولُ مُداعبًا وهو يضحك: ما أحسنَ مَنْ قال:

نسيتُ اليومَ مِنْ عِشقي صَلاتي ... ولا أَدري عِشائي من غَدائي[3]
فـذكـرُكَ سَيِّـدي أَكلـي وشُـربـي ... ووجْهُكَ إن رأيتُ شفاءُ دائي[4]

وقال بعضُهم: كنت يومًا واقفًا في حَلْقَتِهِ، فسمعتُه يقول: الحقُّ يُفني بما به يُبقي، ويُبقي بما به يُفني، ويُفني بما فيه بقاء، ويُبقي بما فيه فناء، فإذا أفنى عبدًا عن إيّاه، أوصله به، فأشرفَهُ على أسراره. وبكى وأنشدَ على أثره:

لهـا فـي طَـرفِهـا لحظـاتُ سِحْـرٍ ... تُميـتُ بهـا وتُحيـي مَـنْ تُـريـدُ
وتَسبـي العـالميـن بمُقلتيهـا ... كـأنَّ العـالميـن لهـا عَبيـدُ
أُلاحظُهـا فتعلـمُ مـا بقلبِـي ... وأَلحظُهـا فتعلـمُ مـا أُريـدُ[5]

---

(١) طبقات الصوفية ٣٤٦، المختار ٢/ ٣٠٤
(٢) طبقات الصوفية ٣٤٦، المختار ٢/ ٣٠٦. وفي (أ): لبطلوا وانقطعوا.
(٣) في (ب): من غدائي.
(٤) طبقات الصوفية ٣٤٤، وفي (ب): شفاء ذاتي.
(٥) طبقات الصوفية ٣٤٦.

وقيل له: هل يتحقَّقُ العارفُ بما يبدو له؟ فقال: كيفَ يتحقَّق بما لا يَثبتُ؟ وكيف يَطمئنُ بما لا يَظهر؟ وكيف يأْنَسُ بما لا يخفى؟ فهو الظَّاهرُ الباطن، والباطنُ الظَّاهر. ثمَّ أنشأَ يقول:

فمن كانَ في طولِ الهوى ذاقَ سَلوةً ... فإنّي من ليلى لها غيرُ ذائقِ
وأكثرُ شيءٍ نلتُهُ من نَوالها ... أمانيَّ لم تصدقْ كلمحةِ بارقِ[1]

وقال: كيف يصحُّ لك التَّوحيد، وكلَّما ملكتَ شيئًا مَلَكَك، وكلَّما أبصرتَ شيئًا أَسَرَك؟[2]

وقال: رُئي أنَّه كان في يومِ عيدٍ خارجًا من المسجد، وهو يقول:

إذا ما كنتَ لي عيدًا ... فما أصنعُ بالعيدِ؟
جَرَى حبُّك في قلبي ... كجري الماءِ في العودِ[3]

وقال له رجلٌ: هل شاهدَهُ أحدٌ بحقيقتِهِ؟ فقال: الحقيقةُ بعيدةٌ؛ ولكنْ ظنونٌ وأمانيٌّ وحسبان، وأنشد:

وكذَّبتُ طرفي فيك والطَّرفُ صادقٌ ... وأَسمعْتُ أُذني فيكَ ما ليسَ تَسمعُ
ولم أسكنِ الأرض التي تَسكنونَها ... لكي لا يَقولوا إنَّني بك مُولعُ
فلا كَبدي تهدا ولا لكَ رحمةٌ ... ولا عنك اقصاءٌ ولا فيك مَطمعُ[4]

فإذا تراءى له تحقيقُ حالٍ، شوَّشَهُ بالتَّلبيس والإشكال[5]

---

(١) طبقات الصوفية ٣٤٧، المختار ٢/ ٣٠٦ والبيتان لمجنون ليلى الديوان ٢١٢
(٢) طبقات الصوفية ٣٤٧، المختار ٢/ ٣٠٧
(٣) طبقات الصوفية ٣٤٥
(٤) طبقات الصوفية ٣٤٧، وذكرها السلمي أيضاً صفحة ٢٧٦ منسوبة إلى طاهر المقدسي، وهي في ديوان الشبلي صفحة ١٤٣ في القسم الذي نسب له. قال جامع الديوان: وهي للحارثي. انظر سر الفصاحة صفحة ٢٢٤
(٥) طبقات الصوفية ٣٤٧

وقال له رجل: إلى ماذا تستريحُ قلوبُ المشتاقين؟ قال: إلى سُرورِ من اشتاقوا إليه، وموافقته[1] وأنشدَ يقول:

وليـسَ بمُهلكـي فيـه لأنّـي ... أُسـرُّ بمـا يَسُـرُّ الإلـفَ جِـدّا[2]

ولـو سُئلتْ عظامي عـن بلاهـا ... لأنكـرتِ البلـى وسمعـتُ جَحْـدا

ولو أُخرِجْتُ من سُقْمي لنادى ... لهيبُ الشَّوقِ بي يَسأله عودا[3]

وقال أبو بكر الرَّازي: سمعتُ الشِّبلي يقول: ما أحوجَ النَّاسَ إلى سكرةٍ! فقلتُ: يا سيِّدي، أيُّ سكرةٍ؟ فقال: سكرةٌ تُفنيهم عن مُلاحظة أنفسِهم وأفعالهم وأحوالهم، وأنشأ يقول:

وتَحسبنـي حيًّـا وإنِّـي لميِّـتٌ ... وبعضي من الهجرانِ يَبكي على بعضي[4]

وأنشد أيضًا:

وإنِّـي وإيَّـاه لفـي الحـبِّ صـادقٌ ... نموتُ بما نَهوى جميعًا ولا نُبدي[5]

وأنشد أيضًا:

ومِنْ أينَ لي أيْنٌ وإنِّي كما ترى ... أَعيشُ بلا قلبٍ وأَسعى بلا قَصْدِ[6]

وقال عبد الله البصري: سُئل الشِّبلي، وأنا حاضر: إلى ماذا تحنُّ قلوبُ أهلِ المعارف؟ فقال: إلى بدايات ما جرى لهم في الغيب، من حُسنِ العناية في الحضرة بغيبتهم عنها. وأنشد يقول:

---

(١) طبقات الصوفية ٣٤٧، المختار ٢/ ٣٠٧

(٢) في (أ): بما يسوء الألف.

(٣) طبقات الصوفية ٣٤٧، تاريخ بغداد ١٦/ ٥٦٦، وفيهما: يسأله ردًّا.

(٤) طبقات الصوفية ٣٤٥، المختار ٢/ ٣٠٧

(٥) طبقات الصوفية ٣٤٥، وفي (أ): الحب صادقًا تموت بمن نهوى. ولا ندري.

(٦) طبقات الصوفية ٣٤٥، المختار ٢/ ٣٠٨ والبيت لأبي تمام انظر ديوانه ٢/ ١٠٢ بشرح التبريزي تحقيق محمد عبده عزام. دار المعارف بمصر.

سُقيًا لمَعهدِكَ الذي لو لم يكنْ ما كان قلبِي للصَّبابةِ معهدا[1]

ورُوي: أنّه كان يقولُ في آخرِ أيامه:

وكم من موضعٍ لو متُّ فيه لكنتُ به نكالاً في العشيره[2]

وكان إذا دخلَ شهرُ رمضان، جدَّ في الطَّاعات ويقول: هذا شهرٌ يعظِّمُهُ ربِّي، فأنا أولى بتعظيمه[3]

وحكي: أنَّه لما أُدخل دارَ المرضى ليُعالج، دخل عليه عليُّ بنُ عيسى الوزير عائدًا له، فأقبل على الوزير وقال له: ما فعلَ ربُّك؟ فقال الوزير في السَّماءِ يَقضي ويُمضي. فقال: إنَّما سألتُكَ عن الرَّبِّ الذي تَعبدُهُ، لا عن الرَّبِّ الذي لا تعبده ـ يُريد الخليفةَ المُقتدر ـ فقال الوزير لبعض حاضريه: ناظِرْهُ. فقال له رجلٌ: يا أبا بكر، كنتَ تقول في حال صحوك: كلُّ صدّيقٍ بلا معجزةٍ كذَّاب، وأنت صدِّيقٌ، فما معجزتُكَ؟ فقال معجزتي موافقةُ الله تعالى في أوامرِهِ ونواهيه[4]

وقال خير النَّساج: كنَّا في المسجدِ، فجاء الشِّبلي وهو في سُكره، فنظر إلينا، ولم يُكلِّمنا، وانهجم على الجُنيد في بيته، وهو جالسٌ مع زوجته، وهي مَكشوفةُ الرَّأس، فهمَّتْ أن تُغطِّي رأسَها، فقال لها الجُنيد: لا عليك، ليس هو هناك. قال: فصفَّق على رأسِ الجُنيد، وأنشأ يقول:

عوّدوني الوِصالَ والوَصْلُ عَذْبُ ورموني بالصَّدِّ والصَّدُّ صعبُ
زعموا حين أَعتبوا أنَّ جُرمي فرطُ حبِّي لهم وما ذاكَ ذَنْبُ
لا وحُسْنِ الخُضوعِ عند التَّلاقي ما جَزَا من يُحبُّ إلاَّ يُحَبُّ

(١) طبقات الصوفية ٣٤٨
(٢) الرسالة القشيرية ٩٧
(٣) الرسالة القشيرية ٩٨
(٤) حلية الأولياء ١٠/ ٣٦٧، المختار ٢/ ٢٩٦

قال: فولّى الشِّبلي خارجًا، فضربَ الجُنيد على الأرض رجليه، وقال: هو ذاك يا أبا بكر هو ذاك. وخرَّ مَغشيًا عليه[1]

وقال. ليسَ للمُريد فترةٌ، ولا للعارفِ علاقةٌ، ولا للمُحبِّ سكونٌ، ولا للصَّادق دعوى، ولا للخائفِ قرارٌ، ولا للخلق من الله فرار[2]

وسُئل عن قوله تعالى: ﴿ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ ﴾ [غافر: ٦٠]. فقال: معناه. ادعوني بلا غفلةٍ، أستجبْ لكم بلا مُهْلَة[3]

وقال: ما ميّزتموه بأوهامكم، وأدركتموه بعقولكم في أتمِّ معانيكم فهو مَردودٌ إليكم، مُحْدَثٌ مَصنوع[3]

وسُئل عن قول بعضهم: لا تَغرَّنَّكم هذه القبور وهدوّها، فكم فيها من فَرِحٍ مَسرور، وداعٍ بالويل والثُّبور! فقال للسائل: أيُّما هي عندك القبور؟ فقال: قبورُ الأموت. فقال: لا، بل أنتم القبورُ؛ لأنَّ كلَّ واحدٍ منكم مَدفونٌ، فالمُعرضُ عن الله تعالى داعٍ بالويل والثُّبور، والمُقبلُ على اللهِ هو الفَرِحُ المسرور. ثمَّ أنشأ يقول:

قبورُ الورى تحتَ التُّرابِ وللهوى ... رجالٌ لهم تحت الثِّياب قبور[4]

فقال له السَّائل: يا سيِّدي، ونُعَدُّ في الموتى؟ فقال:

يحبُّك قلبِي ما حَيِيتُ فإنْ أمتْ ... يحبُّكَ عَظْمٌ في التُّرابِ رَميمُ[5]

وقيل له: مزّقتَ كلَّ ملبوسِكَ، والعيدُ قد أقبل، والنَّاسُ يتزيَّنون، وأنت هكذا؟ فأنشأ يقول:

---

(١) حلية الأولياء ١٠/ ٣٦٧، المختار ٢/ ٢٩٧ وفي (ب) برجليه.

(٢) حلية الأولياء ١٠/ ٣٦٨، المختار ٢/ ٣٠٨.

(٣) حلية الأولياء ١٠/ ٣٦٩، المختار ٢/ ٣٠٨. وسيذكر المؤلف هذا القول بأطول مما جاء هنا صفحة ٦٥٠، ٦٥١

(٤) في (أ): فوق الثياب، وفي المختار ٢/ ٣٠٨: رجال لهم فوق التراب قبورُ.

(٥) حلية الأولياء ١٠/ ٣٧٠، المختار ٢/ ٣٠٨

قالوا أتى العيدُ ماذا أنتَ لابسُهُ؟ فقلتُ خِلْعةَ ساقٍ حُبَّه جَرَعا
فقرٌ وصبرٌ هما ثوباي تحتَهما قلبٌ يَرى إلفَهُ الأعيادَ والجمعا
الدَّهرُ لي مأتمٌ مُذْ غبتَ يا أملي والعيدُ ما كنتَ لي مرأى ومُستمعا
أَحرى الملابسِ أن تلقى الحبيبَ به يومَ التَّزاورِ في الثَّوب الذي خَلَعَا[1]

وله أيضًا:

سأَلبسُ للصَّبرِ ثوبًا جميلا وأدرجُ ليلي ليلاً طويلا
وأَصبرُ بالرُّغمِ لا بالرِّضا أُعلِّلُ نفسي قليلاً قليلا[2]

وقال: الإفلاس يا ناس. فقيل له يا أبا بكر، ما علامةُ الإفلاس؟ فقال: الاستئناسُ بالنَّاس[3]

وقال أبو العباس الدَّامغاني: أوصاني الشُّبليُّ فقال الزمِ الوحدةَ، وامحُ اسمَكَ عن القوم، واستقبلِ الجدار حتَّى تموت[4]

وقال: الورعُ أن تتورَّعَ عن كلِّ ما سوى الله تعالى[5]

و: الزُّهدُ أن تزهد فيما سوى الله تعالى[6]

وكان إذا جلسَ في حَلْقته، ولا يسألونه يقول: ﴿وَوَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِم بِمَا ظَلَمُوا۟ فَهُمْ لَا يَنطِقُونَ﴾[7] [النمل ٨٥].

وقيل له: لِمَ تصفرُّ الشَّمسُ عند الغروب؟ فقال: لأنَّها عُزلتْ عن مكانِ

---

(١) حلية الأولياء ١٠/ ٣٧٣، ديوان الشبلي ١٠٩ وفي (ب): أجزى الملابس. الحبيب بها.
(٢) حلية الأولياء ١٠/ ٣٧٢، ديوان الشبلي ١١٩ وفي (أ): أعلل قلبي.
(٣) تهذيب الأسرار ٨٢، وفي (ب): الإفلاس الإفلاس يا ناس.
(٤) المختار ٢/ ٣٠٩
(٥) الرسالة القشيرية ١٩٤ (الورع)، المختار ٢/ ٣٠٩
(٦) الرسالة القشيرية ٢٠٣ (الزهد)، المختار ٢/ ٣٠٩
(٧) الرسالة القشيرية ٢٠٩ (الصمت).

التَّمام، فاصفرَّتْ لخوفِ المقام، وهكذا المؤمن إذا قارب خروجُهُ من الدُّنيا اصفرَّ لونُهُ؛ لأنّه يخاف المقام، فإذا طلعتِ الشَّمس طلعتْ مُضيئة، وكذلك المؤمن إذا بُعثَ من قبره خرجَ ووجهُهُ يشرق[١]

وجاءه رجلٌ، فقال له: ما أنت؟ فقال: يا سيِّدي، النّقطةُ التي تحت الباء. فقال له: أنت شاهدي ما لم تجعلْ لنفسك مقامًا[٢]

وقال: ذُلّي عطَّل ذلَّ اليهود[٣]

وجاءه رجلٌ يشكو إليه كثرةَ العيال، فقال له: ارجعْ إلى بيتك، فمن ليس رزقُهُ على الله، فاطردْه عنك[٤]

ورُوي: أنَّ رجلاً وقفَ عليه، فقال له: أيُّ صبرٍ أشدُّ على الصَّابرين؟ فقال: الصَّبرُ مع الله؟ قال: لا فقال له: الصَّبرُ في الله؟ فقال: لا فقال: الصَّبرُ لله؟ فقال: لا فقال: أيش؟ فقال: الصَّبرُ عن الله؟ قال: فصرخَ الشِّبلي صرخةً كادتْ روحُهُ تتلف معها[٥]

ورُوي: أنَّه حُبس في البيمارستان[٦] في وقتٍ من الأوقات، فدخلَ عليه جماعةٌ، فقال: من أنتم؟ قالوا: أحبابُكَ جاؤوك زائرين. فأخذَ يَرميهم بالحجارة، وهم يهربون، فقال لهم: [يا كذّابون]، لو كنتم أَحبابي لصبرتم على بلائي[٧]

---

(١) الرسالة القشيرية ٢١٩، ٢٢٠ (الخوف)، تهذيب الأسرار ١٤٧

(٢) الرسالة القشيرية ٢٤٣ (الخشوع)، وفي تهذيب الأسرار ٤٦٢ التي تحت الباء. فقال له الشبلي: أباد الله تعالى شاهدَك، أو تجعلُ لنفسك مكانًا؟

(٣) الرسالة القشيرية ٢٤٣ (الخشوع).

(٤) الرسالة القشيرية ٢٦٦ (التوكل)، المختار ٢/ ٢٩٨

(٥) الرسالة القشيرية ٢٨٨ (الصبر)، المختار ٢/ ٢٩٨

(٦) في (أ): جلس بالبيمارستان.

(٧) الرسالة القشيرية ٢٩٠ (الصبر)، ٤٥٢ (المحبة)، وما بين معقوفين مستدرك منه، المختار ٢/ ٩٧ وفي (أ): أحبابي ما فررتم من بلائي.

ورُوي: أنَّه كان في ابتداء أمره يَنْزِلُ كلَّ يومٍ سَرَبًا[1]، ويحمل مع نفسه[2] حزمةً من القضبان، فكان إذا دخلَ قلبَه غفلةٌ ضربَ نفسه بتلك القضبان حتَّى يكسرَها على نفسه، فربّما كانتِ الحزمةُ تَفنى قبل أن يُمْسي، فكان يضربُ بيديه ورجليه على الحائط[3]

وقال: أليسَ الله تعالى يقول: «أنا جليسُ من ذكرني»[4] فما الذي استفدتم من مُجالسةِ الحقِّ. وأنشد في مجلسه:

ذكـرتُـكَ لا أنِّـي نسيتُـكَ لمحـةً   وأَيْسَرُ ما في الذِّكرِ ذِكرُ لساني
وكنتُ بلا[5] وجدٍ أموتُ من الهوى   وهـامَ علـيَّ القلـبُ بـالخفقـانِ
فلمَّا أَراني الوجدُ أنَّك حاضري   شَهِـدتُـك مَـوجـودًا بكـلِّ مكـانِ
فخـاطبـتُ مَـوجـودًا بغيـرِ تَكلُّـمٍ   ولاحظتُ مَعلومًا بغيرِ عِيَانِ[6]

وقال أبو بكر الرَّازي[7] نزيلُ نيسابور: كساني ابنُ الأنباري صوفًا، ورأيتُ على رأسِ الشِّبلي قَلَنسوةً ظريفةً تليقُ بذلك الصّوف، فتمنَّيتُ في نفسي أن يكونا جميعًا لي، فلمَّا قامَ الشِّبلي من مجلسه، التفتَ إليَّ فتبعتُهُ، وكان عادته إذا أرادَ أنْ أَتبعَهُ يلتفتُ إليَّ، فلمَّا دخلَ داره، دخلتُ معه،

---

(١) السَّرَبُ: البيت، أو الحفير تحت الأرض.

(٢) في (أ): يحمل لنفسه.

(٣) الرسالة القشيرية ٣٣٢ (الذكر).

(٤) حديث قدسي، ذكره السخاوي في المقاصد الحسنة صفحة ٩٥، ٩٦، وقال: رواه الديلمي بلا سند عن عائشة مرفوعًا. وجاء في صحيح البخاري ١٣/ ٣٢٥، وصحيح مسلم (٢٦٧٥) من حديث أبي هريرة، عن رسول اللهﷺ أنه قال. «أنا عند ظنّ عبدي بي، وأنا معه حيث ذكرني. ..».

(٥) في الرسالة القشيرية: وكدتُ. وهو الأنسب

(٦) الرسالة القشيرية ٣٣٣ (الذكر)، المختار ٢/ ٣٠٩

(٧) في (أ): عبد الله.

فقال لي: انزِعِ الصُّوف. فنَزعتُهُ، فلفَّهُ وطرحَ القلنسوة عليه، ودعا بنارٍ فأحرقهما[1].

وقال: الغيرةُ غيرتان: فغيرةُ البشرية على النُّفوس، وغيرةُ الإلهية على القلوب[2].

وقال أيضًا: غيرةُ الإلهية على الأنفاس أن تُضيّع فيما سوى الله تعالى[2].

وقيل له: متى تستريح؟ فقال: إذا لم أر له ذاكرًا[3].

وقيل: إنَّه أذّنَ مرَّةً، فلمَّا بلغ إلى الشَّهادتين، قال: لولا أنك أمرتني ما ذكرت معك غيرَك[4].

وقال: أدنى علاماتِ الفقرِ أن لو كانتِ الدُّنيا بأسرِها لواحدٍ، فأنفقها في يومٍ واحدٍ، ثمَّ خطرَ له أن يُمسكَ منها قوتَ يومٍ واحدٍ، ما صدقَ في فقرِه[5].

وقال: حقيقةُ الفقر أن لا يستغني بشيءٍ دون الله تعالى[6].

وقال: التَّصوُّفُ الجلوسُ مع الله تعالى بلا همٍّ[7].

و: الصُّوفيُّ منقطعٌ عن الخلق، غيرُ مُتَّصلٍ بالحقِّ، كقوله: ﴿وَٱصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي﴾ [طه: ٤١] قطعَهُ عن كلِّ غيرٍ، ثمَّ قال: ﴿لَن تَرَىٰنِي﴾[8] [الأعراف: ١٤٣].

---

(١) الرسالة القشيرية ٣٤٧ (الفراسة)، المختار ٢/ ٢٩٨

(٢) الرسالة القشيرية ٣٧٠ (الغيرة).

(٣) الرسالة القشيرية ٣٦٩ (الغيرة)، المختار ٢/ ٣٠٩

(٤) الرسالة القشيرية ٣٧٢ (الغيرة)، المختار ٢/ ٣٠٩

(٥) الرسالة القشيرية ٣٩٢ (الفقر)، المختار ٢/ ٣٠٩

(٦) الرسالة القشيرية ٣٩٤ (الفقر)، تهذيب الأسرار ١٦٤، المختار ٢/ ٣٠٩

(٧) الرسالة القشيرية ٤٠٢ (التصوف)، المختار ٢/ ٣٠٩.

(٨) الرسالة القشيرية ٤٠٢ (التصوف)، تهذيب الأسرار ٢٩، المختار ٢/ ٣٠٩.

و: الصُّوفيةُ أطفالٌ في حِجْرِ الحقِّ[1]

و: التَّصوّف برقةٌ محرقةٌ، وهو العصمةُ عن رؤية الكون[1]

و: قيل لهم. لِمَ سموا الصُّوفية بهذا الاسم؟ فقال: لبقيّةٍ بقيت عليهم من نفوسهم، ولولا ذلك لَمَا تعلّقتْ بهم تسميةٌ[2]

وقال: الصُّوفيُّ بكلِّ عهد الله مُوفي[3]

وقال أيضًا: التَّصوُّفُ ضبطُ حواسِك، ومراعاةُ أنفاسك[4]

وقال: الانبساطُ بالقول مع الحقِّ تركُ الأدب[5]

وقال: التَّوحيدُ: صفةُ الموحّد حقيقةً، وحلية الموحّد رسمًا[6]

وقال: من اطّلعَ على ذرةٍ من علم التَّوحيد، ضعفَ عن حمل نفسه؛ لثقل ما حمل[7]

وقيل له: أخبرنا عن توحيدٍ مجرّدٍ بلسانِ حقٍّ مُفرد. فقال ويحك، من أجابَ عن التَّوحيد بالعبارة، فهو مُلحد، ومن أشار إليه، فهو ثنوي[8]، ومن أومأ إليه، فهو عابد وثن، ومن نطق فيه، فهو غافلٌ، ومن سكتَ عنه، فهو جاهل، ومن وهمَ أنه وصلَ، فليس له حاصل، ومن أُري أنه قريبٌ، فهو بعيد، ومن تواجدَ، فهو فاقدٌ، وكلَّ ما ميّزتموه بأوهامكم،

---

(١) الرسالة القشيرية ٤٠٢ (التصوف)، تهذيب الأسرار ٢٩، المختار ٢/ ٣١٠

(٢) الرسالة القشيرية ٤٠٣ (التصوف).

(٣) تهذيب الأسرار ٢٩

(٤) تقدم القول صفحة ٦٣٧

(٥) الرسالة القشيرية ٤٠٨ (الأدب)، وفي تهذيب الأسرار ٢١٤ تتمة للقول: وترك الأدب يوجب الطرد.

(٦) الرسالة القشيرية ٤٢٤ (التوحيد)، المختار ٢/ ٣١٠

(٧) الرسالة القشيرية ٤٢٦ (التوحيد)، المختار ٢/ ٣١٠، وفيهما: عن حمل بقّة.

(٨) ثنوي: صاحب الاثنين الأزليين القديمين النور والظلمة. انظر الملل والنحل ١/ ٢٤٤.

وأدركتموه بعقولكم في أَتمّ معانيكم، فهو مصروفٌ إليكم، محدثٌ مَصنوع مثلُكم[١]

وقال لرجلٍ: تدري لِمَ لا يصحُّ توحيدُك؟ فقال: لا قال: لأنّك تطلبُهُ بك[٢]

وقال: ما شمَّ روائحَ التَّوحيد من تصوّر عنده التَّوحيد[٢]

وقال أبو محمد الهروي رحمه الله: مكثتُ عند الشِّبلي رحمه الله اللّيلةَ التي مات فيها، وكان ينشدُ طول ليله هذين البيتين:

كـلُّ بيـتٍ أنـتَ سـاكنُـهُ   غيـرُ محتـاجٍ إلـى السُّـرُجِ
وجهُـكَ المـأمـولُ حُجّتُنـا   يـوم يـأتـي النّـاسُ بـالحُجـج
لا أتـاح اللهُ لـي فـرجًـا   يـوم أدعـو منـك بـالفـرجِ[٣]

وقيل له عند وفاته: قل لا إله إلاّ الله، فقال شعرًا:

قـالَ سلطـانُ حُبّـهِ   أنـا لا أقبـلُ الـرِّشـا
فسَلُـوه فـديتُـهُ   لِـمْ بقتلـي تحـرَّشـا[٤]

وقال جعفر الخُلدي: سألتُ بكران الدّينوري وكان يخدمُ الشِّبلي، فقلت له: ما الذي رأيتَ منه؟ فقال: قال لي: عليَّ دِرهمٌ واحد مَظْلمة، وقد تصدَّقتُ عن صاحبِهِ بألوفٍ، فما على قلبي شُغْلٌ أعظمُ منه. ثمَّ قال لي: وضِّئني للصَّلاة. ففعلتُ، فنسيتُ تخليل لحيته، وقد أُمسكَ على

---

(١) الرسالة القشيرية ٤٢٦ (التوحيد)، المختار ٢/ ٣١٠، حلية الأولياء ١٠/ ٣٧٤ وقد تقدم القسم الأخير من قوله هذا صفحة ٦٤٥

(٢) الرسالة القشيرية ٤٢٧ (التوحيد)، المختار ٢/ ٣١٠

(٣) الرسالة القشيرية ٤٢٩ (أحوالهم عند الخروج من الدنيا)، تاريخ بغداد ١٦/ ٥٧١، والأبيات تنسب إلى ديك الجن، انظر ديوانه صفحة ٢٠٧، جمع وتحقيق مظهر الحجي، منشورات وزارة الثقافة. دمشق ١٩٨٧، وفيهما بيتان فقط كما قال في الخبر.

(٤) الرسالة القشيرية ٤٣٢ (أحوالهم عند الخروج من الدنيا)، تاريخ بغداد ١٦/ ٥٧١.

لسانه، فقبضَ على يدي، وأَدخلها في لحيته، ثمَّ مات، فبكى جعفر الخُلدي. وقال: ما تقولُ في رجلٍ لم يَفُتْه في آخر عمره أدبٌ من آداب الشّريعة؟![1]

وسُئل عن المعرفة، فقال: أولها الله، وآخرُها ما لا نهاية له[2]

و: العارفُ لا يكون لغيره لاحظًا، ولا لكلامِ غيره لافظًا، ولا يرى لنفسه غير الله حافظًا[3]

وقال. سُمّيتِ المحبَّةُ محبَّةً لأنَّها تمحو من القلبِ ما سِوى المحبوب[4]

وقال أيضًا: المحبَّةُ أن تغارَ على المحبوبِ أن يحبَّه مثلُك[4]

وقال: المحبُّ إذا سكتَ هلك، والعارفُ إن لم يسكتْ هلك[5]

وأنشد:

يا أيُّها السَّيِّدُ الكريمُ حبُّكَ بينَ الحشا مُقيمُ
يا رافعَ النَّومِ عن جفوني أنت بما حلَّ بي عليمُ[6]

وسُئل عن السَّماع، فقال: ظاهرُه فتنةٌ، وباطنُه عبرة، فمن عرفَ الإشارة، حلَّ له استماعُ العبرة، وإلاَّ فقد استدعى الفتنةَ، وتعرّض للبلية[7]

وقال أبو علي المَغازلي: ربَّما يطرقُ سمعي آيةٌ من كتاب الله تعالى،

---

(١) الرسالة القشيرية ٤٣٤ (أحوالهم عند الخروج من الدنيا)، تاريخ بغداد ١٦/ ٥٧١، المختار ٢/ ٣٠٣
(٢) الرسالة القشيرية ٤٣٩ (المعرفة)
(٣) الرسالة القشيرية ٤٤٢ (المعرفة)، المختار ٢/ ٣١٠
(٤) الرسالة القشيرية ٤٤٩ (المحبة)، المختار ٢/ ٣١٠.
(٥) الرسالة القشيرية ٤٥١ (المحبة).
(٦) الرسالة القشيرية ٤٥٢ (المحبة)، تهذيب الأسرار ٥٦
(٧) الرسالة القشيرية ٤٧٢ (السماع)

فتحدوني على تركِ الأشياء، والإعراضِ عن الدُّنيا، ثمَّ أرجع إلى أحوالي وإلى النَّاس. فقال له الشِّبلي: ما اجتذبَكَ إليه فهو عطفٌ منه عليك ولطف، وما رددت إلى نفسك فهو شفقةٌ منه عليك؛ لأنَّه لم يصحَّ لك التَّبرِّي والحول والقوة والتَّوجه إليه[١]

وقال أحمد بن مقاتل العكّي: كنتُ مع الشِّبلي في مسجده ليلةً من شهر رمضان، وهو يُصلّي خلفَ إمامٍ له، وأنا بجنبه، فقرأ الإمام: ﴿وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ﴾ [الإسراء: ٨٦] فزعق زعقةً، قلت: طارت روحُه. وهو يَرتعِدُ ويقول: بمثل هذا يُخاطبُ الأحباب؟ يردِّد ذلك كثيرًا[٢]

ورُوي: أنَّه سمعَ قائلاً يقول: الخيارُ عشرةٌ بدانق. فصاحَ وقال: إذا كان الخِيارُ عشرة بدانق، فكيف الشّرار؟[٣]

وقال عبدُ الله بن علي: اجتمعتُ ليلةً مع الشِّبلي، فقال القوّال شيئًا، فصاحَ الشِّبليُّ وتواجدَ [قاعدًا]، فقال له: يا أبا بكر، مالَكَ من بين الجماعة قاعدًا؟ فقامَ وتواجد، وقال:

لـي سَكـرتـانِ وللنُّدمـانِ واحـدةٌ شيءٌ خُصِصْتُ به من بينهم وحدي[٤]

وقال: اعتقدتُ وقتًا أن لا آكل إلاَّ من الحلالِ، فكنتُ أدورُ في البراري، فرأيتُ شجرةَ تينٍ، فمددتُ يدي إليها لآكلَ منها، فنادتني الشَّجرةُ: احفظْ عليك عقدَك، ولا تأكلْ منّي، فإنِّي ليهوديٍّ[٥]

---

(١) الرسالة القشيرية ٤٧٧ (السماع) وفيها: التبري من الحول والقوة في التوجه إليه، المختار ٢/ ٣١١

(٢) الرسالة القشيرية ٤٧٧ (السماع)، المختار ٢/ ٢٩٨

(٣) الرسالة القشيرية ٤٨١ (السماع)، المختار ٢/ ٢٩٨

(٤) الرسالة القشيرية ٤٨٣ (السماع)، المختار ٢/ ٢٩٩، والبيت لأبي نواس، انظر ديوانه صفحة ٢٧

(٥) الرسالة القشيرية ٥٢٢ (كرامات الأولياء)، المختار ٢/ ٢٩٩.

وقال. اطّلع الحقُّ تعالى عليَّ فقال: من نامَ غَفَلَ، ومن غَفَل حُجب. فكان الشِّبلي يَكتحلُ بالملح بعد ذلك حتَّى لا ينام. وأنشدَ في المعنى:

عَجبًـا للمُحِـبّ كيـفَ يَنـامُ   كـلُّ نـومٍ علـى المُحـبِّ حَـرامُ[١]

ورآه بعضُ الصَّالحين في منامه بعد موته، فقال له. ما فعلَ اللهُ بك؟ فقال: لم يطالبْني بالبراهين[٢] على الدَّعاوى إلاَّ على شيءٍ واحدٍ، وذلك أنّي قلتُ يومًا: لا خسارةَ أعظمُ من خُسران الجنَّةِ، ودخول النَّار فقال لي: وأيُّ خسارةٍ أعظمُ من خُسران لقائي؟[٣]

ورآه غيرُه في المنام فقال له ما فعلَ الله بك؟ فقال. ناقَشني حتَّى أيستُ، فلمَّا رأى يأسي، تغمّدني برحمته[٤]

وحُكي: أنَّ فقيهًا من أكابر الفقهاءِ كان يُكنى بأبي عمران، كانت حَلْقته بجنب حلقة الشِّبلي في جامع المنصور، وكان كلامُ الشِّبلي يُعطِّلُ على أبي عمران وأصحابه كلامَهم، فهيأ له أصحابُه يومًا عن مسألةٍ في الحيض، وقصدوا إخجالَه، فأجابَ الشِّبلي عنها، وذكر مقالاتِ النَّاس في تلك المسألة والخلافَ فيها، فقام أبو عمران وقبَّلَ رأسَ الشِّبلي، وقال: يا أبا بكر، قد استفدتُ في هذه المسألةِ عشر مقالات لم أسمعْها، وكان عندي من جملة ما قلت ثلاثةُ أقاويل[٥]

وكان يقولُ للحُصري في ابتداءِ أمره: إن خطرَ ببالك من الجُمعةِ إلى الجمعة الثَّانية التي تأتيني [فيها] غيرُ الله، فحرامٌ عليك أن تحضرني[٦]

---

(١) الرسالة القشيرية ٥٢٨ (رؤيا القوم)، المختار ٢/ ٢٩٩

(٢) في (أ): يا إبراهيم على الدعاوى.

(٣) الرسالة القشيرية ٥٣٢ (رؤيا القوم)، المختار ٢/ ٣١٧

(٤) الرسالة القشيرية ٥٣٧ (رؤيا القوم)، تهذيب الأسرار ٥٥٩. وفي (ب): فلما رآني ورأى إياسي.

(٥) الرسالة القشيرية ٥٤٠ (الوصية للمريدين).

(٦) الرسالة القشيرية ٥٤٢ (الوصية للمريدين).

وقال إبراهيمُ الحذّاء: كنتُ يومًا عند الشّبلي جالسًا، وقد انصرف أكثرُ النّاس عنه، وبقي حولَهُ جماعةٌ، فسألوه أن يَدعو، فسكتَ ساعةً، ثمَّ قال: اللّهُمَّ اضربْهم بسِياط الخوف، واقتلْهم بأزمّة الشّوق، واقلبْ نقمَهم نعمةً، وأفنِهم عن موالفات الرُّسوم، وأغنِهم عن مُلاحظات الفهوم، اغفرْ لهم إن انصرفوا عنك، ووفِّقْهم إن أَقبلوا عليك، خرّب منازلَ فنائهم، وأعمرْ منازلَ بقائهم، كن لهم كما لم تزل، اشغلِ اللّهُمَّ الكلَّ بمفارقةِ الكلِّ. ثمَّ أنشأ يقول:

النَّاسُ كلُّهم بالعيدِ قد فَرِحوا ... وما فرحتُ به والواحدِ الصَّمدِ
لمـا تبيَّنْـتُ أنّـي لا أُعـاينُكـم ... غضضتُ طَرفي فلم أَنظرْ إلى أَحَدِ[١]

ثمَّ قال: إلهي، طموحُ الآمالِ قد خابت إلاَّ لديك، وعُكوفُ الهممِ قد تعطّلت إلاَّ عليك، ومذاهبُ المعارف[٢] قد قصرتْ إلاَّ إليك[٣]

وقال: سألتُ اللهَ تعالى أن يردَّ إليَّ نفسي، وأن يَجعلني باقلانيًا أو كنّاسًا.

وقال: إنَّ في بيتِ الله الحرام آثارَ خليلِهِ، وفي القلب آثارَ الله تعالى، وللبيتِ أركانٌ وللقلبِ أركانٌ، فإن كان البيتُ من الصَّخرِ، فأركان القلب[٤] معادنُ أنوار المعرفة.

وقال: قيل لمجنونِ بني عامر تحبُّ ليلى؟ فقال: لا قيل له: لِمَ؟ قال: لأنَّ المحبَّةَ ذَريعةُ الوصلة، وقد سقطت الذَّريعة، فليلى أنا وأنا ليلى.

---

(١) الشعر في تهذيب الأسرار ٥٠٥.
(٢) في (أ): مذاهب العارف.
(٣) المختار ٢/ ٣١١، ولم يُذكر فيه الشعر.
(٤) في (أ): وأركان القبلب.

ويُروى: أنَّ ابنَ بشار[١] لقي الشِّبلي يومًا، وكان ابنُ بشار يَنهي النَّاسَ عن الذّهاب إليه، والاستماعِ لكلامه، فجعل الشِّبلي يُكلِّمُه، وابنُ بشار يقول له: كم في خمسٍ منَ الإبل؟ فلمَّا أكثرَ عليه السُّؤال، قال[٢] له الشِّبلي في واجبِ الشَّرع شاةٌ، وفيما يلزمنا كلُّها. فقال له ابن بشار. لك في هذا القولِ إمام؟ قال: نعم، أبو بكر الصّديق رضي الله عنه حيث أخرجَ ماله كلَّه، فقال له النَّبيّ ﷺ عند ذلك: «ما خلّفتَ لعيالك؟» قال: اللهَ ورسوله[٣] فذهبَ ابنُ بشار، ولم ينهَ بعد ذلك عن مَجلسه[٤]

وسُئل عن قوله تعالى: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنْ أَبْصَـٰرِهِمْ﴾ [النور: ٣٠] فقال: أبصارُ الرُّؤوس عمَّا حرَّمَ الله، وأبصارُ القلوبِ عمَّا سِوى الله تعالى[٥]

وكان كثيرًا ما يقول: إلهي، إنْ قصدتُكَ طردتني، وإن هربْتُ منك طلبتني، لا لي معك راحةٌ، ولا إلى غيرِك أُنسٌ، المستغاثُ بك منك إليك[٥]

وقال عُبيد الله بن إبراهيم حضرتُ يومًا عند الشِّبلي، فوقفَ عليه رجلٌ أعرفُهُ، فتكلَّمَ وطوّلَ، وادّعى دَعاوى عظيمة، والشَّيخُ ينظر إليه، حتَّى فرغَ من كلامه، فأنشأ الشِّبلي يقول:

---

(١) في تهذيب الأسرار ٢٣٨: ابن الأشيب.

(٢) في (أ): فلما أكثر، قال.

(٣) أخرج أبو داود (١٦٧٨) في الزكاة، باب الرخصة في الرجل يخرج ماله، والترمذي (٣٦٧٦) في المناقب، باب مناقب أبي بكر بإسناد حسن عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: أمرنا رسول الله ﷺ أن نتصدق، ووافق ذلك مني مالاً، فقلت اليوم أسبق أبا بكر، إن سبقتُه. قال: فجئت بنصف مالي، فقال رسول الله ﷺ: «ما أبقيت لأهلك؟» قلت: مثلَه. وأتى أبو بكر بكل ما عنده، فقال: «يا أبا بكر، ما أبقيت لأهلك؟» قال: أبقيت لهم الله ورسوله قلت: لا أسبقه إلى شيء أبدًا.

(٤) تهذيب الأسرار ٢٣٨، المختار ٢/ ٢٩٩، ٣٠٠

(٥) المختار ٢/ ٣١١.

أمّا الخِيامُ فإنّها كخِيامِهم   وأرى نساءَ الحيِّ غيرَ نِسائها[1]

وقال: رأيتُ في بعضِ السّواحل شيخًا عليه عباءةٌ قد عقدها في عُنقه، فعارضتُه، وقلت له: أبو مَنْ؟ فقال: أبو مُدافع الأوقات[2]

وقال عُبيد الله بن إبراهيم: كنتُ عند الشّبلي في جامع الرُّصافة، حتّى أقبل إليه ناسٌ كثير، فلمّا قَرُبوا منه، تَبادروا وقبّلوا رأسه، وجلسوا بين يديه سكوتًا، ليس فيهم من يَسألُ عن شيءٍ ولا يتكلم ساعةً طويلة، فأنشأ الشّبلي يقول:

كفى حزنًا بالوالِهِ الصَّبِّ أنْ يَرى   منازلَ من يَهوى معطّلةً قفرا[3]

وقال عمر بن يحيى: رأيتُ في المنام كأنّي في مسجدِ الرُّصافة جالس، وإذا أنا بالشّبلي مُقبلٌ، فقمتُ إليه، وقضيتُ من حقِّه حتّى جلس، فقلتُ له: يا سيدي، مَنْ أقربُ أصحابِك إليك؟ فقال لي مُسرعًا: ألهجهم بذكرِ الله، وأقومُهم بحقِّ الله، وأسرعُهم مُبادرةً في مرضاة الله[4]

وسُئل عن قوله تعالى: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ [هود: ١١٩] فبكى، ثمّ قال: يا مولاي، املأها من الشّبلي، واعفُ عن عَبيدك[5]

وسُئل عن القلب السّليم، فقال: هو قلبُ إبراهيم عليه السّلام، كان يَسير بقلبِهِ من تحته إلى الوفا، ومن فوقِهِ إلى الرّضا، وعن يمينه إلى العطا، وعن شماله إلى المُنى، ومن أمامه إلى اللّقا، ومن ورائه إلى التُّقى[6]

---

(١) المختار ٢/ ٣٠٠

(٢) المختار ٢/ ٣١٢

(٣) المختار ٢/ ٣٠٠

(٤) انظر حلية الأولياء ١٠/ ٣٧٥

(٥) تهذيب الأسرار ١٩٨، المختار ٢/ ٣١٢

(٦) تهذيب الأسرار ٢٠٠، المختار ٢/ ٣١٢

وسُئل عن قولِ النَّبيِّ ﷺ: «إذا رأيتم أهلَ البلاءِ، فاسألوا ربَّكم العافية»[1] فقال: أهلُ البلاء هم أهلُ الغفلةِ عن الله تعالى[2]

وقال: الألسنُ ثلاثةٌ: لسانُ علمٍ، ولسانُ حقيقةٍ، ولسانُ حقٍّ، فلسانُ العلم ما تأدّى إلينا بالوسائط، ولسانُ الحقيقة ما أوصل الله إلى الأسرارِ بلا واسطةٍ، ولسانُ الحقِّ ليس إليه طريقٌ للخلق من حيث الخلق[3]

وقال لأصحابه يومًا: الحكاياتُ تجمعُكم، والحقائقُ تُفرّقُ بينكم[3]

وسُئل عن الفقر فقال: الفقرُ أربعُ مئة درجة، أدناها أن لو كانتِ الدُّنيا كلُّها لك، فأنفقتَها في يومٍ واحد، ثمَّ خطرَ ببالك أن لو أمسكتَ قوتَ يومٍ، لم تصدقْ في فقرك[4]

ورُوي: أنَّه خرجَ يومًا من مَنْزله، وعليه خرقٌ وأطمارٌ رثَّةٌ، فقيل له: ما هذا يا أبا بكر؟! فأنشأ يقول:

فيومًا تَرانا في الخُزوزِ نَجرُّها ... ويومًا تَرانا في الحديد عَوابسا[5]
ويومًا تَرانا في الثَّريدِ نبسُّهُ ... ويومًا تَرانا نأكلُ الخُبزَ يابسا

وروي: أنَّه لبسَ يومَ عيدٍ ثوبين جديدين، فرأى النَّاسَ يُسلِّمُ بعضُهم على بعضٍ على قدرِ ثيابهم، فذهب الشِّبلي وطرحَ ثيابه في تنوُّرٍ، فقيل له: لِمَ فعلتَ ذلك؟ فقال: أردتُ أن أحرقَ ما يعبدُ هؤلاء. ثمَّ لبسَ الثِّيابَ الزُّرقَ والسُّود، وأنشأ يقول:

تزيَّنَ[6] النَّاسُ يومَ العيدِ للعيد ... وقد لَبستُ ثيابَ الزُّرقِ والسُّودِ

---

(١) رواه الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد ١٢/ ١٦١ (ضمن ترجمة العباس الآجري).
(٢) تهذيب الأسرار ٢١١، المختار ٢/ ٣١٢
(٣) المختار ٢/ ٣١٢
(٤) تهذيب الأسرار ١٥٧
(٥) في (أ): في القيود عوابسا.
(٦) في (أ): تزينوا الناس.

وأَصبحَ النَّاسُ مسرورًا بعيدِهِمُ ورحتُ فيك إلى نَوْحٍ وتَعديد
النَّاسُ في فَرَحٍ والقلبُ في ترحٍ شتانَ بيني وبين النَّاسِ في العيدِ[1]

وقال: كنتُ يومًا جالسًا، فجرى بخاطري أنِّي بخيل، فقلت: أنا بخيل! فقاومني خاطري[2]، وقال: بلى أنت بخيل. فقال: مهما فتح الله عليَّ اليوم، لأدفعنَّهُ إلى أولِ فقيرٍ يلقاني. قال: فبينما أنا مُنقسمُ الفكرِ والخواطر، إذ دخلَ عليَّ صاحبٌ ليونس الخادم[3]، ومعه خمسون دينارًا، فقال: اجعلْ هذه في مصالحك. قال. فأخذتُها، وقمت وخرجتُ، وإذا أنا بفقيرٍ مكفوفٍ بين يدي مُزيّنٍ يحلقُ رأسَه، فتقدَّمتُ إليه، وناولته الصُّرَّةَ، فقال لي: أَعطها للمزين. فقلت: إنَّها دنانير! فقال: أو ليسَ قد قلنا: إنك بخيل؟ قال: فناولتها للمُزين. فقال المزين: عقدنا أنَّ الفقيرَ إذا جلسَ[4] بين أيدينا، لا نأخذُ منه أجرًا. قال: فرميتُ الدّنانير في دِجلة، وقلت: ما أعزَّك أحدٌ إلاَّ أذلَّه اللهُ تعالى[5]

وقال: عبدُ الله بن محمد: حضرتُ مع الشِّبلي ليلةً في مجلس السَّماع، وحضر المشايخُ، فغنَّى القوّالُ شيئًا، فصاح الشِّبلي والقومُ سكوتٌ، فقال له بعضُ المشايخ: يا أبا بكر، أليسَ هؤلاء يَسمعون معك؟ مالَكَ من بين الجماعةِ؟ فقامُ وتواجدَ، وأنشأ يقول:

لو يَسمعونَ كما سَمعتُ حَديثَها خـرُّوا لعـزَّةَ رُكَّعًـا وسُجـودًا[6]

---

(١) تهذيب الأسرار ٢٦٠، المختار ٢/ ٣٠٠

(٢) في (ب): ففاوضني من خاطري.

(٣) في المختار ٢/ ٣٠١: لمؤنس الخادم.

(٤) في (أ): عندنا إذا جلس الفقير بين.

(٥) المختار ٢/ ٣٠٠، ٣٠١

(٦) تاريخ مدينة دمشق ٦٦/ ٧١، انظر المختار ٢/ ٢٩٩، والبيت لكثير عزة، انظر ديوانه صفحة ٤٤٢.

وقال عبد الله بن محمد: كنتُ واقفًا على حَلْقة الشِّبلي، فقام إليه رجلٌ، فقال له: يا أبا بكر، ارفق حتَّى أسألَكَ عن مسألةٍ. فقال له: سلْ يا شيخ. فقال: أيُّ الأعمالِ أرفعُ ثوابًا؟ فأنشأ يقول متمثلاً:

إذا محاسنيَ اللاَّتي أدلُّ بها ... كانت ذُنوبي فقلْ لي كيفَ أَعتذرُ؟

وقال عليُّ بن عبد الله البصري: سمعتُ الشِّبليَّ يقول: المَعارفُ تبدو فتُطْمِعُ، ثمَّ تَخفى فتُؤيس، فلا سبيلَ إلى تحصيلها، ولا طريقَ إلى الهرب منها؛ فإنَّها تُطمع الآيس، وتُؤيس الطَّامع. وأنشأ يقول.

أظلَّتْ علينا منك يومًا سحابةٌ ... أَضاءتْ لنا بَرقًا وأَبْطا رشَاشُها
فلا غَيْمُها يَجلو فيَيْئَسُ طامعٌ ... ولا غيثُها يأتي فيُروى عِطاشُها[1]

وقال أحمد بن الحسين البغدادي: كان الشِّبليُّ يقول لمن يدخل عليه: عندك خبرٌ؟ أو عندك أثَرٌ؟ ثمَّ ينشد:

أُسائلُ عن سلمى فهل من مُخبِّرٍ ... يكونُ له علمٌ بها أَين تَنْزل؟[2]

ثمَّ يقول: لا وعزّتك ما في الدَّارَيْنِ عنك مخبر[3]

وقال منصورُ بن عبد الله: وقفَ رجلٌ على الشِّبلي، فقال له: هل تظهرُ آثارُ صحَّة الوجدِ[4] على الواجدين؟ فقال: نورٌ يُزهرُ، مقرونٌ بنيران اشتياقٍ تحرقُ، فيلوح على الهياكلِ أثرها، كما قال ابنُ المعتز[5]:

وأمطرَ الكأسُ ماءً من أَباريقِهِ ... فأنبَتَ الدُّرَّ في أرضٍ من الذَّهبِ

---

(١) المختار ٢/ ٣١٢، ٣١٣، والبيتان في الحلية ١٠/ ٣٧٤.

(٢) في (أ): بأن له علم.

(٣) تاريخ مدينة دمشق ٦٦/ ٦٢، روض الرياحين ٣٢٧ (الحكاية: ٢٧٦)، الكواكب الدرية ٢/ ٨٨.

(٤) في (أ): صحة الوجود.

(٥) الديوان ٢/ ٢١٩ تحقيق: د. محمد بديع شريف، دار المعارف.

وسبَّحَ القومُ لمَّا أن رآوا عَجَبًا نورًا من الماءِ في نارٍ منَ العنبِ
سلافةٌ ورَّثَتْها عادُ عن إرمٍ كانتْ ذخيرةَ كِسرى عن أبٍ فأبِ[1]

وقال عبد الله بن علي[2]: وجدتُ في مجموعِ كلامِ الشِّبلي: ما ظنُّك بمعنًى هي شموسٌ كلُّها؛ بل الشُّموسُ فيه ظلمةٌ[3]، ثمَّ قال:

إذا ما دَجاها اللَّيلُ كنَّ كواكبًا جلوسًا حَواليها وكانتْ هي البدرُ

وقال طاهر بن محمد البغداديّ: قِيل للشِّبلي: هل يَقنعُ المحبُّ بشيءٍ من حبيبه دون مُشاهدته؟ فأنشأ يقول:

واللهِ لو أنَّك توّجتَني بتاجِ كِسرى مَلِكِ المَشرقِ
ولو بأموالِ الورى جُدْت لي أموال من بادَ ومن قَدْ بَقي
وقلت لي: لا نلتقي ساعةً أجبتُ يا مولاي أنْ نلتقي[4]

وقال محمد بن عبد الله الرَّازي: دخلتُ على الشِّبليِّ، وعنده رجالٌ يَسألونه عن حالِ المُحبِّ في مشاهدة حبيبه، فقال: لا أدري، غيرَ أنَّ رجلاً من أهلِ البصرة كان ينشد ما يقرب[5] منه فيقول:

أن لو ترانا والأحبَّةُ بيننا لرأيتَ غزلانًا تَصيدُ سباعا
بل لو ترى تلك البِقاعَ وحُسنَها لحسبتَهنَّ منَ الجنانِ بقاعا
شوقي طباعٌ[6] واصطباري كُلفةٌ وأرى التَّكلُّفَ لا يزيلُ طباعا

---

(١) المختار ٢/ ٣١٣ ولم يذكر أبيات الشعر.
(٢) في (أ): بن علاء.
(٣) تاريخ مدينة دمشق ٦٦/ ٧٠، وفيه: ما ظنك بمعانٍ. فيها ظلمة.
(٤) تهذيب الأسرار ٨٦، تاريخ مدينة دمشق ٦٦/ ٦٥، وفيهما: اخترت يا مولاي، المختار ٢/ ٣١٣ وفي (أ): أجبت يا مولاي.
(٥) في (ب): مما يقرب.
(٦) في (أ) شوقي طباعًا.

وسُئل عن حقيقة مُتابعة الإسلام، فقال. أن تموتَ عنك نفسُك[1] ثمَّ أنشأ يقول:

ما زلتُ أَعرف أيامي وأُنكرُها حتَّى استنارت فلا بيضٌ ولا سُودُ
وجَالَ بي[2] في بحارِ الشَّكِّ مُختبطًا لا القربُ قُربٌ ولا التَّبعيدُ تبعيدُ

وقال الخُلْدي: ما استحسنتُ من الشِّبليِّ إلاَّ يومًا واحدًا، كان جالسًا في حلقته بمسجد الجامع، فجاءَهُ رجلٌ، فقال له: يا أبا بكر، هل يعرفُ المحبُّ أنّه مُحبٌّ؟ فقال: نعم، إذا كتم حبَّه، فظهر عليه مع كتمانه، وأنشد:

قد سحبَ النَّاس أذيالَ الظُّنونِ بنا وفرَّقَ النَّاسُ فينا قولَهم فِرَقا
فكاذبٌ قد رمى بالظَّنِّ غيرَكُم وصادقٌ ليس يَدري أنّه صَدَقا[3]

وقال منصور بن عبد الله سُئل الشِّبليُّ وأنا حاضر: هل يَبلغُ الإنسانُ بجهده إلى شيءٍ من طُرق الحقيقة أو الحقِّ؟ فقال: لا بدَّ من الاجتهادِ والمُجاهدة، ولكنهما لا يُوصلان إلى شيءٍ من الحقيقة؛ لأنَّ الحقيقةَ مُمتنعةٌ عن أن تُدركَ بجدٍّ واجتهادٍ، وإنمّا هي مواهبُ، يصلُ إليها العبدُ بإيصالِ الحقِّ إيّاهم لا غير. وأنشد على أثره:

أسائلُكم عنها فهل من مُخَبِّرٍ فمالي بنُعمٍ بعد مَكْثتنا عِلْمُ[4]

---

(١) تاريخ مدينة دمشق ٦٦/ ٦٩، المختار ٢/ ٣١٣

(٢) في (أ): وحال بي.

(٣) تاريخ مدينة دمشق ٦٦/ ٦٥، وفيه: بالظن غِرّكم، والمختار ٢/ ٣١٣، وفيه: بالظن عندكم.

(٤) في طبقات الصوفية ٢٣٢: فما لي بنعم مذ نأت دارها علم، وفي المختار ٢/ ٣١٤ بعد مكثنا.

فلو كنتُ أدري أينَ خيَّمَ أهلُها وأيَّ بِـلادِ اللهِ إذ ظعَنُـوا أمُّـوا
إذًا لسلكنا مَسْلَكَ الرِّيحِ خلفها ولو أصبحتْ نُعْمٌ ومن دونها النَّجْمُ(١)

وقال أبو علي الأعرج(٢): كنتُ في حَلْقة الشِّبليِّ، فبكى رجلٌ حتَّى علا صوتُه، وبكى الشِّبليُّ وأهل الحلقة لبُكائه، فأنشأ الشِّبليُّ يقول:

أنـافعـي دَمعـي فـأَبكيكـا هيهـاتَ مـا لـي طَمَـعٌ فيكَـا
لـو كنـتَ تَـرثي للـذي نَـالني(٣) أقصـرتَ عـن بعـضِ تجنيكَـا(٤)

وقال عليُّ بن إبراهيم: سمعتُ الشِّبليَّ يقول: ليس في الوقتِ مَرَحٌ، الوقتُ جِدٌّ كلُّه. ثمَّ أنشأ يقول:

ودادُكُـم هَجْـرٌ وحبُّكـم قِلًـى ووصلُكُم صرمٌ وسِلْمُكُم حَرْبُ
وأنتـم بحمـدِ الله فيكـم فظـاظـةٌ وكلُّ ذلولٍ من أُمورِكُمُ صَعْبُ(٥)

وقال محمد بن سليمان: سمعتُ الشِّبليَّ يقول: أحبَّكَ الخلقُ لنعمائك، وأنا لبلائك. وأنشأ يقول:

وكـلُّ مـآربـي قـد نلـتُ منهـا سـوى مَلـذوذَ وجـدي بـالعـذابِ

وقال: ذكرُ الغفلةِ يكون جوابُهُ اللَّعنَ. وأنشد:

مـا إنْ ذكـرتُـك إلاَّ هَـمَّ يلعنُنـي ذِكري وسرِّي وفكري عند ذكراكَا
حتَّى كأنَّ رقيبًا منك يَهتفُ بي إيَّـاكَ ويحـكَ والتَّـذكـارَ إيَّـاكَـا(٦)

---

(١) تاريخ مدينة دمشق ٦٦/ ٦٣، والأبيات مما استشهد به أحمد بن عيسى الخراز أبو سعيد، طبقات الصوفية ٢٣٢ وتقدمت الأبيات صفحة ٤٨٠

(٢) في تاريخ مدينة دمشق: قال أبو يعقوب الخراط.

(٣) في تاريخ مدينة دمشق: لو كنت تدري بالذي نالني.

(٤) تاريخ مدينة دمشق ٦٦/ ٧٢. وسيذكر البيت الأول صفحة ٧٣٢.

(٥) ذكر أبو نعيم في الحلية ١٠/ ٣٦٩ البيت الأول فقط.

(٦) تهذيب الأسرار ٣١٧، تاريخ مدينة دمشق ٦٦/ ٦٦ انظر البيتين مع شرحهما صفحة ٧١٧.

وقال الحسين بن محمد البَلدي[١]: سمعتُ الشِّبلي يقول: أليس أنا عندكم مجنونٌ، وأنتم أصحَاء؟ زاد الله في جنوني، وزاد في صحَّتكم، ثمَّ أنشأ يقول:

قالوا جُننتَ بمن تَهوى فقلتُ لهم: ما لـذَّةُ العيـشِ إلاَّ للمَجانيـن[٢]

وأنشد أيضًا:

بي جنونُ الهَوى وما بي جُنونٌ وجنونُ الهوى جنونُ الجنونِ[٣]

وقال أبو سهل محمد بن سليمان: سمعتُ الشِّبليَّ يقول: مَنْ فني عن نفسه، وقام الحقُّ بتوليته، لا يُنكر له تقليبُ الأعيانِ، وإيجادُ المفقود. وأنشدَ:

له راحةٌ لو مَسَّتِ الصَّخرَ أنبعتْ جـوانبُـهُ مـاءً وأَورقَ يـابسُـهُ
إذا وجهُـهُ أو نـابُـهُ أو فعـالُـهُ تبلَّجْنَ في ليلٍ تجلَّتْ حَنَادسُهْ[٣]

وقال التَّميمي: وقفتُ على الشِّبلي، فرأيتُهُ يبكي، وهو يقول: لا أَشكُّ إلاَّ أنِّي قد وصلت، ولا أشكُّ أن الوصل دواء[٤]، ولكنِّي أبكي ثمَّ أنشأ يقول:

فيبكـي إن نـأَوْا شَـوقًـا إليهـم ويبكـي إن دَنَـوا خَـوْفَ الفِـراقِ
فتسخَـنُ عينُـهُ عنـد التَّنـائـي وتسخَـنُ عينُـه عنـد التَّـلاقِ[٥]

وقيل له: ما الحيلةُ؟ فقال تركُ الحيلةِ، فإنَّ الحيلةَ أمَارةُ سوءٍ[٦] أو

---

(١) في (ب): الحسن بن أحمد الرازي
(٢) تاريخ مدينة دمشق ٦٦/ ٧٦
(٣) المختار ٢/ ٣١٣، ٣١٤
(٤) في المختار ٢/ ٣١٤: الوصل دوني.
(٥) المختار ٢/ ٣١٤
(٦) في المختار: إما رشوةٌ.

فِرار؛ وهما بعيدتان عن طُرق الحقيقة، فاطلبِ الدَّواءَ من حيثُ جاءَ الدَّاء، ولا يقدرُ على شِفائك إلاَّ من أَعلَّك، وكذا المخمورُ يُداوى بالخمر، وأنشد:

تَداويتُ من ليلى بليلى من الهَوى كما يَتَداوى شاربُ الخمرِ بالخمرِ[1]

وقال عليُّ بن عبد الله: سمعتُ الشِّبليَّ يقول: الوجدُ اصطلام، ثمَّ أنشدَ:

الوجدُ عندي جُحودُ ما لم يكن عن شُهودِ
وشاهدُ الحقِّ عندي يُفني[2] شهودَ الوجودِ

وسُئل عن المحبَّةِ، فقال: إنَّ المحبَّة كأسٌ، لها وهجٌ، إذا استقرَّت في الحواس فنيت، وإذا تمكّنت في النُّفوس تلاشت[3] ثمَّ أنشدَ:

إنَّ المحبَّةَ للرَّحمنِ أَسْكَرني فهل رأيتَ مُحبًّا غيرَ سكرانِ[4]

وقيل له: بأيِّ عملٍ يصلُ العبدُ إلى سيِّده؟ فقال: بالغيبوبة[5] عن رؤية عمله، والاعتمادِ على سابق فضله، فمن طلبَهُ بالمجاهدات فهو بعيدٌ في عين مطالبته[6] عن مطلوبه. وأنشد:

أيُّها المُنكحُ الثُّريا سُهيلاً عَمْرَكَ اللهِ كيف يلتقيانِ؟
هي شاميَّةٌ إذا ما استقلَّتْ وسُهيلٌ إذا استهلّ يماني[7]

---

(١) المختار ٢/ ٣١٤
(٢) في ديوان الشبلي ١٠٠: ينفي.
(٣) تهذيب الأسرار ٣٥٠، تاريخ مدينة دمشق ٦٦/ ٧١
(٤) البيت فقط في تهذيب الأسرار ٥٦.
(٥) في المختار: بالغيبة.
(٦) في (أ) و(ب): غير مطالبته. والمثبت من المختار ٢/ ٣١٤
(٧) المختار ٢/ ٣١٤، والبيتان لعمر بن أبي ربيعة، وهما في ديوانه صفحة ٤٩٥.

وسُئل عن قوله تعالى. ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ [آل عمران: ٩٧] فوصفَهُ بصفاتٍ لم يضبطْها عنه أهلُ المجلس، ثمَّ أنشأ يقول:

قد قضى مَنْ هَويتُ منه الذِّماما ... حين أَعطى قياده والزِّماما
لستُ من جملة المحبِّين إن لم ... أَدع القلبَ بيته والمقاما
وطوافي إجالَةُ السِّرِّ فيه ... وهو ركني إذا أَردتُ استلاما
كيف أنعتُهُ بالمشاعرِ ربًّا ... وأرى المروتَيْنِ منه إماما
وهو في السِّرِّ مُخبري منه عنه ... وتلالا شهوده[1] أعلاما[2]

وقيل له عن واحد من أصحابه: إنَّ فلانًا مات فجأةً، فأنشأ يقول:

قضى اللهُ في القتلى قصاصَ دِمائهم ... ولكن دماءُ العاشقين جُبارُ[3]

وروي: أنَّه دخلَ عليه رجلٌ، وقد أحدقَ به جماعةٌ من أصحابه، فقال له الرَّجل: ما حالك؟ فقال: جوابُك في هذا البيتِ الذي أنشدك. ثمَّ أنشد:

عوى الذِّئبُ فاستأنستُ بالذِّئبِ إذ عوى ... وصوَّتَ إنسانٌ فكدتُ أَطيرُ[4]

وروي عنه أنَّه قال: ضاقتْ عليَّ أوقاتي، وتقسّمت أفكاري ببغداد، فوقعَ لي أن أنحدرَ إلى البصرة، فاستكريتُ سُمَّارية[5] وركبتُ فيها، فلمَّا بلغتُ البصرةَ، وخرجتُ من السُّمَّارية، زاد عليَّ ما كنتُ أجدُه ببغداد

---

(١) تلالا: تلألأ مسهلة الهمزة، وفي (أ): وبلا لا شهود.
(٢) تاريخ مدينة دمشق ٦٦/ ٧٢، ولم يذكر إلا البيتين الثاني والثالث.
(٣) تاريخ مدينة دمشق ٦٦/ ٧٥، وجُبار: هدر.
(٤) البيت للأحيمر السعدي من لصوص العرب، حياة الحيوان للجاحظ ١/ ٣٧٩ تحقيق وشرح عبد السلام هارون، مكتبة مصطفى البابي الحلبي.
(٥) السُّمارية. ضرب من السفن.

أضعافَ ذلك، فعدتُ ركبتُ تلك السُّمَّارية ورجعتُ إلى بغداد، فلمَّا بلغتُ دارَ الخلافة[1] إذا جاريةٌ تُغنِّي له في التَّاج[2] وتقول:

أيا قادمًا من سَفْرةِ الهَجْرِ مَرحبًا　　أنا ذاكَ لا أَنساكَ ما هبَّتِ الصَّبا

قدمتَ على قلبِي كما قد تركْتَهُ　　كئيبًا حَزينًا بالصَّبابةِ مُتعبا

فلمَّا سمعتُ غناءها طرحتُ نفسي في دجلةَ، فقيل: أدركوا الرَّجل. فأُخذتُ إلى الشَّاطئ، فقال المُقتدر: من هذا؟ قالوا: أبو بكر الشِّبلي. فحُملتُ إليه، وأُوقفتُ بين يديه، فقال لي: يا أبا بكر، يبلغنا عنك في كلِّ وقتٍ أعاجيبُ، فما هذا؟ فقصصتُ عليه القصَّة وخرجت[3]

وقال أبو العباس البغدادي: كنّا جماعةً من الأحداث، نصحبُ أبا الحسين بن أبي بكر الشِّبلي، وهو حَدث يكتبُ الحديث، فأضافنا ليلةً أبو الحسين، فقلنا له: بشرط أن لا يدخلَ علينا أبوك. فقال: لا يدخل، فدخلنا دارَه، فلمَّا أكلنا إذا نحن بالشِّبلي، وبين كلِّ إصبعين من أصابعه شمعةٌ، ثماني شموع، فجاءَ وقعد في وسْطِنا، فاحتشمنا منه، فقال لنا: يا سادة، عدّوني فيما بينكم طستَ شمعٍ. ثمَّ قال: أين غلامي أبو العباس[4]؟ فتقدَّمتُ إليه، فقال لي: غنِّ الصَّوتَ التي كنتَ تُغنِّي.

ولمَّا بلغَ الحِيرةَ　　حادي جملي حارَا

فقلتُ احْطُطْ بها رحلي　　ولا تَعبأْ بمن سارَا

فغنيتُه، فتغيَّر، وألقى الشُّموعَ من يده، وخرج[5]

---

(١) في (أ): دار المؤمنين.

(٢) التاج: اسم لدار مشهورة جليلة المقدار واسعة الأقطار ببغداد، من دور الخلافة، كان أول من وضع أساسها وسماها بهذه التسمية أمير المؤمنين المعتضد. معجم البلدان.

(٣) تاريخ مدينة دمشق ٦٦/ ٧٣، المختار ٢/ ٣٠١

(٤) في (أ): أين فلان أبو العباس.

(٥) تاريخ مدينة دمشق ٦٦/ ٧١، ٧٢، المختار ٢/ ٣٠٢

وسُئل عن اجتماع الفقراء وعشرتهم، فأنشأ يقول:

دخلنـــا السِّـــنَّ[١] نستنّــــا ومعنــا مــن تــرى منّــا[٢]
فلمَّــا جنَّنــا اللَّيـــلُ بـــزلنــا[٣] بيننــا دنّــا
وغنــى العـــودُ فـــاشتقنـــا إلـــى الأحبـــابِ إذ غنّـــى

وقال: كنتُ أَسيرُ في البادية، وإذا برجلٍ جالسٍ في الهواء، فقلت له: بحقِّ الذي أعلاك على ما أرى، بم وصلتَ إلى هذا الموضع؟ فقال. حلّفتني، أنا رجلٌ انتهيتُ عن الهوى، فأجلسني كما ترى في الهوا[٤]

وروي: أنَّ رجلاً صاحَ في مجلس الشِّبلي، فرَمى به في دجلة، وقال: إن كان صادقًا فإنَّ الله يُنجيه كما أنجى موسى، وإن كان كاذبًا فإنَّ الله تعالى يُغرِقُه كما غرّق فرعون، وأنشد:

جَـورُ الهـوى أحسـنُ مـن عـدلِهِ وبخلُـهُ أَظـرفُ مـن بـذلِـهِ
لـو أنصفَ الحبُّ لأهـلِ الهـوى لمـات كـلُّ النَّـاسِ مـن عـدلِـهِ[٥]

وأنشد أيضًا:

عيدي مُقيمٌ وعيدُ النَّاسِ مُنصرفُ والقلبُ منّي عن اللَّذاتِ مُنحرفُ
ولي قرينانِ ما لي مِنهما خلفُ طولُ الحنين وعينٌ دمعُها يَكِفُ[٦]

وقال: ليسَ من استأنسَ بالذِّكر كمن استأنسَ بالمذكور[٧]

* * *

(١) السِّنُّ: مدينة على دجلة فوق تكريت، عندها مصب الزاب الأسفل. معجم البلدان.
(٢) في معجم البلدان (السن): وفينا من ترى حنًا
(٣) البزل: الشقُّ. وبزل الخمرَ: ثقب إناءها. القاموس.
(٤) تهذيب الأسرار ١٧٦
(٥) المختار ٢/ ٣٠٢، والخبر دون الأبيات في تهذيب الأسرار ١٨٦
(٦) تهذيب الأسرار ٥٠١، وفيه: رئي الشبلي يوم عيد يرقص ويقول.
(٧) تهذيب الأسرار ٧٨.

(٦٦) أبو محمد المُرتعش (*)

ومنهم: أبو محمد عبد الله بن محمد المُرتعش النِّيسابوري من محلَّةِ الحِيرة[١]، وقيل من محلَّة مُلْقاباذ[٢]

صحب: أبا حفص، وأبا عُثمان، والجُنيد.

وأقام ببغداد حتَّى صار أحدَ مشايخ العراق وأئمتهم.

وقال أبو عبد الله الرَّازي: كان مشايخُ العراق يقولون: عجائبُ بغداد في التَّصوف ثلاث: إشاراتُ الشِّبلي، ونُكتُ المُرتعش، وحكايات جعفر الخُلْدي[٣]

وكان مقيمًا بمسجد الشُّونيزية[٤]

ومات ببغداد في سنة ثمانٍ وعشرين وثلاث مئة[٤]

(*) طبقات الصوفية ٣٤٩، حلية الأولياء ١٠/ ٣٥٥، تاريخ بغداد ٧/ ٢٢١، الرسالة القشيرية ٩٨، الأنساب ١١/ ٢٣٧، المنتظم ٦/ ٣٠١، صفة الصفوة ٢/ ٤٦٢، المختار من مناقب الأخيار ٣/ ٤٩٩، سير أعلام النبلاء ١٥/ ٢٣٠، العبر ٢/ ٢١٥، مرآة الجنان ٢/ ٢٩٥، طبقات الأولياء ١٤١، البداية والنهاية ١١/ ١٩٢، النجوم الزاهرة ٣/ ٢٦٩، نفحات الأنس ٣٠٣، طبقات الشعراني ١/ ١٠٥، الكواكب الدرية ٢/ ١٠٩، شذرات الذهب ٢/ ٣١٧

(١) الحيرة: محلة كبيرة في نيسابور، ولعل الأصل في تسميتها أن يكون قد نزح جماعة من حيرة الكوفة إليها، واستوطنوها فنسبت إليهم. انظر معجم البلدان.

(٢) مُلْقاباذ. محلة بأصبهان، وقيل بنيسابور. معجم البلدان.

(٣) طبقات الصوفية ٣٤٩، المختار ٣/ ٥٠٠.

(٤) طبقات الصوفية ٣٤٩، الرسالة القشيرية ٩٨

وقال: سكونُ القلب إلى غيرِ المولى تعجيلُ عقوبةٍ منه في الدُّنيا[١]

وقال: ذهبتْ حقائقُ الأشياء، وبقيت أسماؤها، فالأسماء مَوجودةٌ، والحقائقُ مفقودة، والدَّعاوَى في السَّرائر مَكنونة، والألسنَةُ بها فصيحة[٢]، والأمورُ عن حقوقها مَصروفة. وعن قريب تفقدُ هذه الألسنة وهذه الدَّعاوَى، فلا يوجد لسانٌ ناطقٌ، ولا مدّعٍ صائبٌ[٣]

وقال: ما توجَّهتُ إلى الله تعالى بسرٍّ خاصيٍّ إلاَّ في ظاهر علمي[٤]

وقال أحمد بن علي بن جعفر كنتُ قاعدًا عند المُرتعش فقال له رجلٌ: قد طالَ اللَّيلُ، وطابَ الهواء. فنظر إليه المرتعش، وسكتَ ساعةً، ثمَّ قال: لا أدري ما تقولُ، غير أنِّي سمعتُ بعضَ القوَّالين يقولُ في بعض هذه اللَّيالي:

لستُ أدري أَطالَ ليلي أم لا ... كيف يدري بذاك من يتقلّى
لو تفرَّغتُ لاستطالةِ ليلي ... ولرَعْي النُّجومِ كنتُ مُخلّى
إنَّ للعاشقين عن قِصَرِ اللَّيـ ... ـلِ وعن طُولِهِ من الوجد شُغلا

قال: فبكى من حضر، واستدلُّوا بذلك على عمارة أوقاته[٥]

وقال: سافرتُ خمسين سنةً ليس أعيش إلاَّ بالحيلة، وسافرتُ ثلاثين سنةً أَمشي كلَّ سنةٍ ألفَ فرسخٍ، لم أُعاشرْ إلاَّ من عرفته، ولم أنزل عن الفقر، إنْ فُتح لي بشيءٍ ولو بنصف رغيف طالبت نفسي بالمواساة[٦]

---

(١) طبقات الصوفية ٣٤٩، المختار ٣/ ٥٠١.
(٢) في (أ): في سرائره مكنونة، والألسن بها فصيحة.
(٣) طبقات الصوفية ٣٥٠، المختار ٣/ ٥٠١
(٤) المختار ٣/ ٥٠١، وفي طبقات الصوفية ٣٥٠: بظاهر عامي.
(٥) طبقات الصوفية ٣٥٠، المختار ٣/ ٥٠١.
(٦) المختار ٣/ ٥٠١.

وقال: الوسوسةُ تؤدّي إلى الحَيْرةِ، والإلهامُ يُؤدّي إلى زيادة فهمٍ وبيان[1]

وقال: أصولُ التَّوحيدِ ثلاثةُ أشياء: معرفةُ الله تعالى بالرُّبوبية، والإقرارُ له بالوحدانية، ونفيُ الأَندادِ عنه جملةً[2]

وقال: أفضلُ الأرزاق تصحيح العبودية على المُشاهدة، وملازمةُ الخدمة على السُّنة[3]

وقيل له: بماذا ينالُ العبدُ حبَّ الله تعالى؟ فقال: ببغضِ ما أبغضَ الله؛ وهي: الدُّنيا، والنَّفس[3]

وقيل له مرَّةً أُخرى: بماذا ينالُ العبدُ المحبّةَ؟ فقال: بموالاةِ أولياءِ الله تعالى، ومُعاداة أعدائه. ثمَّ نظرَ إلى بعض جُلسائه فقال: أنشدني الأَبياتِ التي كنتَ تُنشدنيها بالأمس. فأنشأ يقول:

وقفَ الهوى بي حيثُ أنتَ فليسَ لي ... مُتـأخَّـرٌ عنـه ولا مُتقـدَّمُ
أَجدُ الملامَةَ في هواك لذيذةً ... حبًّا لذكرك فَلْيَلُمني اللُّوَّمُ
أشبهتَ أَعدائي فصرتُ أُحبُّهم ... إذ صارَ حظِّي منك حظِّي منهم
وأَهنتني فأهنتُ نفسي عامدًا ... ما مَنْ يَهونُ عليك ممَّن يُكرمُ[4]

وقال: تصحيحُ المعاملات كلِّها بشيئين وهما: الصَّبرُ والإخلاص. والصَّبر عليه، والإخلاص فيه[5]

---

(1) طبقات الصوفية ٣٥٠، المختار ٣/ ٥٠١

(2) طبقات الصوفية ٣٥١، حلية الأولياء ١٠/ ٣٥٦

(3) طبقات الصوفية ٣٥١، المختار ٣/ ٥٠٢.

(4) طبقات الصوفية ٣٥١، والأبيات منسوبة لأبي الشيص. انظر كتاب أشعار أبي الشيص الخُزاعي وأخباره، جمع وتحقيق عبد الله الجبوري، مطبعة الآداب في النجف الأشرف ١٣٨٦هـ ١٩٦٧م. وهي في الأغاني ١٩/ ١٤٢ طبعة الساسي منسوبة إلى علي بن عبد الله بن جعفر.

(5) تهذيب الأسرار ١٨٢، المختار ٣/ ٥٠٢، وفي طبقات الصوفية ٣٥١: الصبر عليها، =

وقال: المسلمُ مَحبوبٌ إلى الخلق، والمؤمنُ غنيٌّ عن الخَلْق[1]

وسُئل عن التَّصوف، فقال: الإشكالُ والتَّلبيس والكتمان. وأنشأ يقول:

سـرِّي وسـرُّك لا يَعلـم بـه أَحَـدٌ إلاَّ الجليلُ ولا يَنطقْ به ناطقْ[2]

وأنشد على أثره:

إذا جئتَ فامنحْ طرفَ عينيك غيرَنا لكي يَحسبُوا أنَّ الهوى حيثُ تَنظرُ[3]

وقال له رجلٌ: أوصني. فقال له: اذهبْ إلى من هو خيرٌ لك منّي، ودعني إلى من هو خيرٌ لي منك[4]

وجاءه رجلٌ آخرُ فقال: أيُّ الأعمال أفضل؟ فقال: رؤيةُ فضلِ الله. ثمَّ أَنشأَ يقول:

إنَّ المقـــاديـــرَ إذا ســـاعـــدَتْ أَلحقـــتِ العـــاجِـزَ بـــالحـــازِمِ[4]

وقيل: إنَّه رُئي في العشرِ الأواخر من شهر رمضان خارجًا من المسجد الجامع، فقيل له: ما الذي أَخرجَكَ من المسجد؟ فقال: مشاهدةُ القرّاء، وتعظيمُ طاعتهم عندهم[5]

وقال: من ظنَّ أنَّه ينجو من النّار أو يبلغُ الرِّضوان بأفعاله، فقد جعلَ لنفسه وفعلِهِ خطرًا، ومن اعتمدَ على فضلِ الله بلَّغَهُ اللهُ تعالى إلى أقصى

= والإخلاص فيها.

(١) طبقات الصوفية ٣٥٢

(٢) طبقات الصوفية ٣٥٢، وفيه: لم يعلم. ولم ينطق به نطق.

(٣) البيت لعمر بن أبي ربيعة، انظر ديوانه صفحة ٦٦، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٨م.

(٤) طبقات الصوفية ٣٥٢، الحلية ١٠/ ٣٥٥، المختار ٣/ ٥٠٢

(٥) طبقات الصوفية ٣٥٢.

منازلِ الرِّضوان. قال الله تعالى: ﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾[1] [يونس: ٥٨].

وقال: الإرادةُ حبسُ النَّفس عن مُراداتها، والإقبالُ على أوامرِ الله، والرِّضا بموارد القضاء عليه[2]

وقال: اعتمدْ على ضمان الله لك في رزقِك، واجتهدْ في أداءِ ما افترضَ الله عليك، تكنْ من خواصِّه[3]

وقيل له: إنَّ فلانًا يمشي على الماء فقال: عندي أنَّ من مكّنه اللهُ من مخالفة هواه، فهو أعظمُ من المشي [على الماء و]في الهواء[4]

وقال: السُّكونُ إلى الأسباب يقطعُ القلوب عن الاعتماد على المُسبِّب[5]

وقال: حججتُ كذا وكذا حجّةً على التَّجريد، فبان لي أنَّ جميعَ ذلك كان مَشوبًا بحظِّي، وذلك أنَّ والدتي سألتني يومًا أن أستقي لها جرَّةَ ماءٍ، فثقُلَ ذلك على نفسي، فعلمتُ أنَّ مطاوعةَ نفسي في الحِجّات كانت لحظِّها وشرفها، إذ لو كانت نفسي صادقةً فانيةً لم يصعبْ عليها ما هو حقٌّ في الشَّرع[6]

وقال: المراقبةُ مراعاة السِّرِّ بملاحظة الغيب مع كلِّ لحظةٍ ولفظةٍ[7]

وقال بعض الفقراء: كنت ببغداد، فوقع لي أنَّ المُرتعشَ يأتيني بخمسة

---

(١) طبقات الصوفية ٣٥٢، المختار ٣/ ٥٠٠

(٢) طبقات الصوفية ٣٥١، الرسالة القشيرية ٩٨، المختار ٣/ ٥٠٢

(٣) طبقات الصوفية ٣٥٣، المختار ٣/ ٥٠٢.

(٤) الرسالة القشيرية ٩٨، طبقات الصوفية ٣٥١، ٣٥٢، المختار ٣/ ٥٠٠، وما بين معقوفين مستدرك منهما.

(٥) طبقات الصوفية ٣٥٣، المختار ٣/ ٥٠٢.

(٦) المختار ٣/ ٥٠٣.

(٧) الرسالة القشيرية ٢٩٦ (المراقبة)، تهذيب الأسرار ١٠٦، المختار ٣/ ٥٠٢.

عشرَ دِرهمًا لأشتري بها الرَّكوةَ والحبلَ والنَّعل، وأدخل البادية، قال: فدقَّ عليَّ البابَ، ففتحتُ، فإذا أنا بالمرتعش معه خُريقة، فقال: خذها. فقلت: يا سيِّدي، لا أُريدُها فقال: لِمَ تُؤذينا؟ كم أَردت؟ قلت: خمسة عشر درهمًا. فقال: هي خمسة عشر درهمًا[(١)]

وقال: ينبغي للفقير أن لا تسبقَ همَّتُهُ خُطوتَه[(٢)]

وقيل له: ما الصَّبر؟ فقال: أن لا تشهدَ البلاء. ثمَّ أنشأ يقول:

صبرتُ ولم أُطْلِعِ هواكَ على صَبري وأَخفيتُ قلبي عنك في مَوضعِ الصَّبرِ[(٣)]

مخافةَ أن يَشكو ضَميري صَبابتي إلى دمعتي سرًّا فتجري ولا أَدري[(٤)]

وقال: كان سببُ خروجي إلى هذا الأمرِ أنّني كنتُ ابنَ دِهْقان[(٥)]، فبينا أنا جالسٌ على باب داري بنيسابور، إذ جاء شابٌّ عليه مُرقَّعة، وعلى رأسه خِرقة، وأشار إليَّ متعرّضًا لي إشارةً لطيفة، فقلتُ: شابٌّ صحيحُ البدن، لا يأنفُ من هذا؟! ولم أردَّ عليه جوابًا، فصاح في وجهي صيحةً أفزعتني، ووجدتُ من قوله رُعبًا شديدًا، ثمَّ قال لي: أعوذُ بالله ممَا خامرَ سرَّك، واختلجَ به صدرُك. فغُشي عليَّ وسقطتُ على وجهي، فخرج خادمٌ لنا، فرآني على تلك الحال، فرفع رأسي من الأرض، وجعلَه في حِجْره، واجتمعَ حولي خلقٌ كثير، فما أفقتُ إلاَّ بعد حين، وقد ذهبَ الشَّابُّ، فتحسَّرتُ عليه، وندمت على ما كان منّي، فبتُّ ليلتي مَغمومًا، فرأيتُ عليَّ بن أبي طالب في منامي ومعه ذلك الشَّابُّ، وعليٌّ يُشيرُ إليَّ ويُؤنّبني

---

(١) الرسالة القشيرية ٣٥٢ (الفراسة)، المختار ٣/ ٥٠٣

(٢) الرسالة القشيرية ٣٩٣ (الفقر)، تهذيب الأسرار ٣١، المختار ٣/ ٥٠٢

(٣) في تهذيب الأسرار: أطلع سواك وأخفيت ما بي منك في موضع الصبر، وفي (أ): في موضع الصدر.

(٤) تهذيب الأسرار ١٢٦، المختار ٣/ ٥٠٢، ٥٠٣.

(٥) الدهقان: رئيس القرية ومقدم أصحاب الزراعة. انظر النهاية.

ويقول: إنَّ الله لا يُجيبُ سؤالَ مانع سائليه. فانتبهتُ، وفرَّقتُ جميعَ ما كان لي، وخرجتُ إلى السَّفر، فسمعتُ بوفاة والدي بعد خمس عشرة سنة، فرجعتُ، وسألتُ الله العون على خلاصي ممَّا ورثتُ، فأعان الله سبحانه، فكأنَّ معي الشَّاب عينًا ما فارقني الحياءُ منه، ولا يُفارقني حتَّى ألقى الله تعالى[1]

* * *

(١) تاريخ بغداد ٧/ ٢٢١، الأنساب ١١/ ٢٣٧، المختار ٣/ ٤٩٩، وفي (أ): فما ورثت فأعان سبحانه، وكان معي للشاب عندها فارقني منه، ولا يفارقني حتى ألقى الله تعالى.

(٦٧) أبو علي الرّوذباري(*)

ومنهم: أبو علي الرُّوذَباري واسمه أحمد بن محمد بن القاسم بن منصور بن شهريار بن مهرقاذار بن فُرغدذ بن كسرى[١]

وهو من أهل بغداد، سكن مِصر، وكان شيخها، وبها مات في سنة اثنتين وعشرين وثلاث مئة[٢]

صحبَ: الجُنيد، والنُّوري، وأبا حمزة البغدادي، وحسن المُسُوحي، ومَنْ في طبقتهم من مشايخ بغداد. وصحبَ بالشَّام عبد الله ابن الجلاَّء[٢]

وكان فقيهًا، حافظًا للأحاديث، ظريفًا، عارفًا بالطّريقة

وكان يفتخرُ بمشايخه فيقول: شيخي في التَّصوف الجُنيد، وفي الفقهِ

(*) طبقات الصوفية ٣٣٧، حلية الأولياء ١٠/ ٣٦٦، تاريخ بغداد ١٤/ ٣٨٩، الرسالة القشيرية ٩٧، الأنساب ٧/ ٢٨٢، صفة الصفوة ٢/ ٤٥٦، المنتظم ٦/ ٣٤٧، اللباب ٢/ ١٠، الكامل في التاريخ ٨/ ٣٥٠، المختار من مناقب الأخيار ٢/ ٢٩٢، وفيات الأعيان ٢/ ٢٧٣، مختصر تاريخ دمشق ٢٨/ ١٦٧، سير أعلام النبلاء ١٥/ ٣٦٧، العبر ٢/ ٢٤٠، مرآة الجنان ٢/ ٣١٧، الوافي بالوفيات ١٤/ ٢٥، البداية والنهاية ١١/ ٢١٥، الديباج المذهب ١١٦، طبقات الأولياء ٢٠٤، النجوم الزاهرة ٣/ ٢٨٩، نفحات الأنس ٢٦٦، طبقات الشعراني ١/ ١٠٣، الكواكب الدرية ٢/ ٨٣، شذرات الذهب ٢/ ٣٣٨

(١) في (ب): بن بادر بن فرغده، وفي طبقات الصوفية ٣٥٤: شهريار بن معرذاذار بن فُرْغُدْد.

(٢) طبقات الصوفية ٣٥٤.

أبو العباس ابن سُريج[1]، وفي الأدب ثعلب[2]، وفي الحديث إبراهيم الحَربي[3]

سُئل عن الإشارة، فقال: الإشارةُ الإبانةُ عمّا يتضمَّنُهُ الوجدُ من المشار إليه لا غير، وفي الحقيقةِ إنَّ الإشارة تصحبها العلل، والعِلَلُ بعيدةٌ من عين الحقائق[4]

وسُئل عن المُريد والمُراد، فقال. المريدُ الذي لا يُريد لنفسه إلاَّ ما أرادَ الله له، والمُرادُ لا يُريد من الكونين شيئًا غيره[5]

وقال: الصَّوْلُ على من دونك ضعفٌ، وعلى من فوقك قِحة[5]

وسُئل عمّن يسمعُ الملاهي، ويقول: هي لي حلال؛ لأنّي قد وصلتُ إلى درجةٍ لا يؤثر فيَّ اختلاف الأحوال. فقال: نعم، لقد وصلَ لعمري، ولكنْ إلى سَقَر[6]

وقال عبد السَّلام المُخَرِّمي أنشدني أبو علي لنفسه:

بـك كِتمـانُ وجـده بـك عنـه ... لـك منـه وعنـه مـالـك منـه[7]

مـن إذا لاحَ لائـحٌ مَشـرقـيٌّ[8] ... هـامَ وجـدًا عليـك إن لـم تَكنْـهُ

---

(١) أبو العباس بن سريج هو أحمد بن عمر بن سريج القاضي، ولي القضاء بشيراز، وكان يفضل جميع أصحاب الشافعي، له مصنفات يقال إنها بلغت ٤٠٠ مصنف.

(٢) ثعلب هو أحمد بن زيد النحوي تلقى العلوم على ابن الأعرابي، وكان حجة في الحفظ ومعرفة العربية، كان إمام البصريين والكوفيين.

(٣) طبقات الصوفية ٣٦٠، الرسالة القشيرية ٩٩

(٤) طبقات الصوفية ٣٥٦، حلية الأولياء ١٠/ ٣٥٧

(٥) طبقات الصوفية ٣٥٦، المختار ١/ ٣٧٠.

(٦) طبقات الصوفية ٣٥٦، الرسالة القشيرية ٩٩، المختار ١/ ٣٧٠.

(٧) في (أ): عنه وعنك مالك منه. وفي (ب): منك ومنك مالك منه. والمثبت من طبقات الصوفية ٣٥٨

(٨) في طبقات الصوفية: لائح لمشوقِ.

فـــإذا أفـــلَ الأفـــولُ ببيــــنِ   بـــانَ عنـــه فبـــانَ إنْ لـــم تُبِنْـــهُ
يا فتى الحبِّ بل فتى الحقِّ سرِّي   عنك مُستودَعٌ لديك[1] فصُنْهُ[2]

وقال: أنفعُ اليقين ما عظَّمَ الحقَّ في عينك، وصغَّرَ ما دونه عندك، وأثبتَ الخوفَ والرَّجاءَ في قلبك[3].

وقال: ما أظهرَ من نعمه، دليلٌ على ما أبطن من كرمه[4].

وسُئل عن التَّصوف، فقال: هذا مذهبٌ كلُّه جِدٌّ، فلا تخلطوه بشيءٍ من الهزل[5].

وقال: فضلُ المقالِ على الفعال مَنقصةٌ، وفضلُ الفعال على المقال مَكرمة[5].

وقال: لا رضا لمن لا يصبرُ، ولا كمالَ لمن لا يشكر. وبالله وصلَ العارفون إلى محبَّته، وشكروهُ على نعمته[6].

وقال: لو تكلَّمَ أهلُ التَّوحيد بلسانِ التَّجريد، لما بقي مُحِقٌّ إلاَّ مات[7].

وسُئل عن التَّوبة، فقال: الاعترافُ، والنَّدم، والإقلاع[8].

وأنشد لنفسه:

رُوحي إليكَ بكلِّها قد أَجمعتْ   لـو أنَّ فيـك هـلاكَهـا مـا أَقلعَـتْ

---

(١) في (ب): مستوعبًا لديك.
(٢) طبقات الصوفية ٣٥٨
(٣) طبقات الصوفية ٣٥٩، تهذيب الأسرار ٨٩، المختار ١/ ٣٧٠
(٤) طبقات الصوفية ٣٥٩، وفي (ب): على ما بطن.
(٥) طبقات الصوفية ٣٥٧، المختار ١/ ٣٧١
(٦) طبقات الصوفية ٣٥٧، الحلية ١٠/ ٣٥٧، المختار ١/ ٣٧٠، وفي (أ): لمن لا صبر له. وشكروا نعمه.
(٧) طبقات الصوفية ٣٥٧، المختار ١/ ٣٧٠
(٨) طبقات الصوفية ٣٥٧.

تبكـي إليـك بكلِّهـا عـن كُلِّهـا حتَّـى يُقـالَ مـن البكـاءِ تقطَّعَـتْ
فـانظـرْ إليهـا نظـرةً بتعطُّـفٍ فلطـالمـا متَّعتَهـا فتمتَّعَـتْ[1]

وقال: والاهُمْ قبل أفعالِهم، وعاداهم قبل أفعالِهم، ثمَّ جازاهم بأفعالهم[2]

وقال: إنَّ من الاغترارِ أن تُسيءَ، فيُحسن إليك، فتتركَ الإنابةَ والتَّوبةَ توهُّمًا أنَّك تُسامح في الهفوات، وترى أنّ ذلك في بسطِ الحقِّ لك[3]

وقال: كيفَ تشهدُه الأشياء وبه فنيتْ بذواتها عن ذواتها؟ أم كيف غابتِ الأشياءُ عنه، وبه ظهرتْ بصفاته؟ فسبحان من لا يشهدُهُ شيءٌ! ولا يغيبُ عنه شيءٌ![4]

وقال: تشوَّقتِ القلوبُ إلى مشاهدةِ ذات الحقِّ، فأُلقيت إليها الأَسامي، فسكنَتْ وركنت إليها. والذّاتُ مُستترةٌ إلى أوان التَّجلّي وذلك قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠]، أي: وقفوا معها عن إدراك الحقائق[5]

وقال: أظهرَ الأسامي وأبداها للخلق ليسكن بها شوقُ المحبّين، وتأنسَ به قلوب العارفين[6]

وأنشد لنفسه:

إن الحقيقـةَ غيـرُ مـا تتـوهَّـمُ فـانظـرْ لنفسـك أيَّ حـالٍ تعـزمُ

---

(١) طبقات الصوفية ٣٥٨

(٢) طبقات الصوفية ٣٥٨، الحلية ١٠/ ٣٥٧، المختار ١/ ٣٧٠ وفي (ب): ولأهم قبل أفعالهم، وناداهم.

(٣) طبقات الصوفية ٣٥٩، الحلية ١٠/ ٣٥٧، الرسالة القشيرية ٩٩

(٤) طبقات الصوفية ٣٥٩.

(٥) طبقات الصوفية ٣٥٩، ٣٦٠، الحلية ١٠/ ٣٥٧

(٦) طبقات الصوفية ٣٦٠، الحلية ١٠/ ٣٥٧

أَتكونُ في القومِ الذينَ تأخَّروا   عن حقِّهم أو في الذين تقدَّموا
لا تخدعنْ فتلومَ نفسك حين لا   يُجدي عليك[1] تأسُّفٌ وتندُّمُ

وقال: المشاهدات للقلوب، والمُكاشفاتُ للأسرار، والمعاينات للبصائر، والمرئيات للأبصار[2]

وقال: من نظرَ إلى نفسه مرَّةً، عمي عن النَّظرِ بالاعتبار إلى شيءٍ من الأكوان[3]

وقال: ما ادّعى أحدٌ قطُّ إلاَّ لخُلُوه عن الحقائق، ولو تحقَّق في شيءٍ، لنطقتْ عنه الحقيقةُ، وأغنته عن الدَّعاوى[3]

وقال: من رُزق ثلاثة أشياء، فقد سَلِمَ من الآفات: بطنٌ جائع معه قلبٌ قانع، وفقرٌ دائم معه زهدٌ حاضر، وصبرٌ كامل معه قناعةٌ دائمة[4]

وقال: في اكتسابِ الدُّنيا مذلّةُ النُّفوس، وفي اكتسابِ الآخرة عزُّها، فياعجبًا لمن يَختارُ المذلَّةَ في طلب ما يفنى على العزِّ في طلب ما يبقى![5]

وقال: إذا قال الصُّوفي بعد خمسةِ أيام: أنا جائع، فألزمُوه السُّوق، وأمروه بالكسب[5]

وقال: دخلتِ الآفةُ من ثلاثة أشياء: سُقمِ الطَّبيعة، ومُلازمةِ العادة، وفسادِ الصُّحبة. فقيل له: ما سُقمُ الطَّبيعة؟ فقال: أكلُ الحرام. فقيل:

---

(١) في (أ): يجري عليك.
(٢) في طبقات السبكي ٣/ ٥٤ والمرايات، وفي طبقات الصوفية ٣٥٨: والمراعات، وفي الحلية ١٠/ ٣٥٧: والمعاينات.
(٣) طبقات الصوفية ٣٥٨.
(٤) حلية الأولياء ١٠/ ٣٥٧، المختار ١/ ٣٧١.
(٥) الرسالة القشيرية ١٧٩ (المجاهدة)، ٢٣٧ (الجوع)، ٢٦٩ (التوكل)، المختار ١/ ٣٧١.

ما مُلازمةُ العادة؟ فقال: النَّظرُ والاستماع إلى الحرامِ والغِيبة. فقيل له: فما فسادُ الصُّحبة؟ فقال: كلَّما هاجَ في النَّفس شهوةٌ تبعها[1]

وقال: الخوفُ والرَّجاء هما كجناحي الطَّائر، إذا استويا، استوى الطَّير وتمَّ طيرانُه، وإذا نقصَ أحدُهما، وقعَ فيهما النَّقص، وإذا ذهبتا صار الطَّائر في الموت[2]

وقال: كان أربعةٌ في زمانهم: واحدٌ لا يقبلُ من الإخوان ولا من السُّلطان شيئًا، وهو يوسفُ بن أسباط، وورثَ سبعين ألف درهم، فما أخذَ منها شيئًا، وكان يَعملُ الخُوصَ بيده. والثَّاني: كان يقبل[3] من الإخوانِ والسُّلطان جميعًا، وهو أبو إسحاق الفزاري، فكانَ ما يأخذُهُ من الإخوان، يُنفقه في المستورين الذين لا يتحرّكون، والذي يأخذُهُ من السُّلطان يخرجه إلى [مستحقيه من] أهلِ طَرَسُوس. والثَّالث: كان يأخذ من الإخوان ويُكافئُ عليه، ولا يأخذ من السُّلطان وهو عبد الله بن المبارك، والرَّابع كان يأخذُ من السُّلطان ولا يأخذ من الإخوان وهو مَخلد بن الحُسين، وكان يقول: السُّلطان لا يمنُّ، والإخوان يمنون[4]

وقال: التَّصوف الإناخةُ على باب الحبيب، وإن طرد[5]

وهو أيضًا: صفوةُ القربِ بعد كُدورة البعد[6]

وروي: أنَّ شابًا قدم عليه، فلمَّا أراد الخروج من عنده قال: يقولُ

---

(١) الرسالة القشيرية ١٨١ (المجاهدة)، المختار ١/ ٣٧١

(٢) الرسالة القشيرية ٢٢٢ (الرجاء)، المختار ١/ ٣٧١ وفي (أ) ومصادر الخبر: وقع فيه النقص.

(٣) في (أ): والثاني لا يقبل.

(٤) الرسالة القشيرية ٣٩٣ (الفقر).

(٥) الرسالة القشيرية ٤٠١ (التصوف)

(٦) الرسالة القشيرية ٤٠٢ (التصوف)، تهذيب الأسرار ٢٩

الشَّيخ شيئًا؟ فقال له: يا فتى، كانوا يجتمعون لا عن موعدٍ، ويَفترقون لا عن مشورة[1]

وقالت فاطمةُ أختُ أبي علي الرُّوذباري: لما قربت وفاةُ أخي، كان رأسه في حِجْري، ففتحَ عينيه وقال: هذه أبواب السَّماء قد فُتحت، وهذه الجنان قد زُيّنت، وهذا قائل يقول لي: يا أبا علي، قد بلَّغناك الرُّتبة القصوى، وإن لم تسألْها، وأَعطيناك درجةَ الأكابر وإن لم تُرِدْها، ثمَّ أنشأَ يقول:

وحقِّـكَ لا نَظـرتُ إلـى سِـواكـا ... بعيــنِ مــودَّةٍ حتَّــى أراكــا
أراكَ مُعــذِّبــي بفتــورِ لحــظٍ ... وبـالخــدِّ المُــورَّدِ مــن جنـاكـا

ثمَّ قال لي: يا فاطمة، الأول ظاهر، والثَّاني [فيه] إشكال[2]

وقال: رأيتُ بالبادية حَدَثًا، فلمَّا رآني قال: أما يَكفيه أن شغفني بحبِّه، حتَّى أعلَّني؟! ثمَّ رأيتُه يجودُ بنفسه، فقلت له: قل: لا إله إلاَّ الله. فأنشأَ يقول:

أيــا مَــنْ ليــسَ لــي منــه ... وإنْ عــــذَّبنــــي بــــدُّ
ويــا مَــنْ نــالَ مــن قَلبِــي ... مَنــــالاً مــــا لَــــهُ حَــــدُّ
أجــرنــي مــن خطــايــاي[3] ... فقــــدْ أقلقنــــي الصَّــــدُّ
إذا لــم يَــرحَــمِ المَــولــى ... إلــى مــن يَشتكــي العبــدُ؟[4]

---

(١) الرسالة القشيرية ٤١٣ (أحكامهم في السفر)، المختار ١/ ٣٧١، وفي (أ): موعدةٍ.
(٢) الرسالة القشيرية ٤٣٢ (أحوالهم عند الخروج من الدنيا)، تهذيب الأسرار ٥٤٦، المختار ١/ ٣٧٤.
(٣) في المختار ١/ ٣٧٣: أجرني من تجنيك.
(٤) الرسالة القشيرية ٤٣٤ (أحوالهم عند الخروج من الدنيا)، تهذيب الأسرار ٥٤٩، المختار ١/ ٣٧٣.

وقال: دخلتُ مصر، فرأيتُ النَّاس مُجتمعين، فقالوا: كنَّا في جنازةِ فتًى سمعَ قائلاً يقول:

كبـــرت همَّـــــةُ عيــــنٍ طمعَـــتْ فـــي أَنْ تـــراكَـــا
أَوَ مَـــا حَسْـــبٌ لعيـــنٍ أن تـــرى مَـــنْ قـــد رآكَـــا

فشهق شهقةً ومات[(١)]

وقال: قدمَ علينا فقيرٌ، فمات، فلمَّا دفنتُهُ كَشفتُ عن وجهه لأضعه في التُّراب؛ ليرحم الله غُربتَه، ففتحَ عينيه، وقال لي: يا أبا علي، تُذلِّلُني بين يدي من يُدلِّلني؟ فقلت له: يا سيِّدي، أَحياةٌ بعد موت؟ فقال: بلى، أنا حيٌّ، وكلُّ مُحبٍّ لله حيٌّ، لأنصرنَّك بجاهي غدًا يا رُوذباريّ[(٢)]

وقال: المحبَّةُ هي المُوافقة[(٣)]

وسُئل عن السَّماع، فقال: مكاشفةُ الأسرار إلى مُشاهدةِ المحبوب[(٤)]

و: قد بلغنا فيه إلى مكانٍ مثلِ حدِّ السَّيف، إن مِلنا كذا ففي النَّار[(٥)]

وسُئل يومًا عن السَّماع، فقال: ليتنا تخلَّصنا منه رأسًا برأس[(٦)]

وقال قائل[(٧)]: جرت مسألةٌ بين المشايخ، وفيهم أبو علي الرُّوذباري، فتكلَّموا فيها إلاَّ أبا علي، فإنَّه سكتَ، فقيل له: يا أبا علي، ما لك

---

(١) الرسالة القشيرية ٤٣٦ (أحوالهم عند الخروج من الدنيا)، ٤٨٤ (السماع)، المختار ١/ ٣٧٤

(٢) الرسالة القشيرية ٤٣٦ (أحوالهم عند الخروج من الدنيا)، المختار ١/ ٣٧٤

(٣) الرسالة القشيرية ٤٤٩ (المحبة).

(٤) الرسالة القشيرية ٤٧٦ (السماع)، المختار ١/ ٣٧٢.

(٥) الرسالة القشيرية ٤٨١ (السماع)، وفيها: بلغنا في هذا الأمر، قال شارحها: أي التصوف.

(٦) الرسالة القشيرية ٤٧٣ (السماع)، تهذيب الأسرار ٣٣٥، المختار ١/ ٣٧٢.

(٧) في (ب): بابل، وفي المختار ١/ ٣٧٤: نائل.

ساكتٌ؟ فقال. رأيتُ طريقَها طريقَ المُعاملة، فاستحييتُ من الله أن أتكلَّمَ فيها[(١)]

وقال: جزتُ في المسجدَ الحرام، وأبو بكر الكتّاني جالسٌ، وعينون القوّالُ بين يديه وحده، فأشارَ إليَّ: اجلس. فجلستُ، فلمَّا فرغَ، قلتُ له: حكاية حكيت عنك. فقال: وما هي؟ فقلت: في أمر هؤلاء المرابطين، ومن يَضطربُ منهم في حالِ الجُلوس. فقال: نعم، إنَّ أهل هذه الصّفة[(٢)] جعلوا القعودَ آخر الشَّيءِ، وهؤلاء جعلوا القعودَ أوَّلَ الشَّيءِ، فلذلك دخلَ الخللُ عليهم، ووقع لهم الاضطراب.

وروي: أنَّ جماعةً تذاكروا شيئًا في القناعة عند أبي بكر الكتاني، وأبو عليٍّ الرُّوذباري حاضر، فأنشأ أبو علي يقول:

حدُّ القناعة مَحوُ الكُلِّ منك إذا ... لاحَ المَـزيـدُ بحـدٌ عنـد مُطّلـعِ
فـإنْ تحقَّـقَ صفـوُ الـودِّ مُشتمـلاً ... على الإشارات لم يلوِ على طَمَعِ

وقال: قال لي أبو العباس المؤدب: يا أبا علي، من أين أخذ صوفيةُ عصرنا هذا الأُنسَ بالأحداث؟ فقلت له: يا سيِّدي، أنتم بهم أعرف، وقد تصحبهم السَّلامةُ في كثيرٍ من الأمور. فقال: هيهات يا أبا علي، قد رأينا من كان أقوى إيمانًا منهم، إذ رأى الحدثَ قد أقبلَ يَفرُّ منه كفِراره من الزَّحف، إنّما ذلك على حسبِ الأوقات التي تغلبُ الأحوال على أجملها، فتأخذها عن تصرف الطّباع، ما أكثر الخطر! وما أكثر الغلط![(٣)]

وأنشدَ لنفسه:

أُرانـي مـع الأحيـاءِ حيًّا وأكثـري ... على الدَّهرِ ميتٌ قد تخوّنه الدَّهرُ

---

(١) المختار ١/ ٣٧٤.
(٢) في (أ): هذه القصة.
(٣) المختار ١/ ٣٧٢، ٣٧٣.

فما لم يَمُتْ منّي لما مات ناهضٌ ... فبعضي[1] لبعضٍ دون قبرِ البلى قَبْرُ
فيا ربِّ قد أحسنتَ عَودًا وبدأةً ... إليَّ فلم ينهضْ بإحسانِكَ الشُّكرُ
فمن كانَ ذا عُذرٍ لديك وحجَّةٍ ... فعذري إقراري بأنْ ليس لي عُذرُ

وقال: كان عندنا ببغداد عشرةُ فتيان معهم عشرةُ أحداث، مع كلِّ واحدٍ واحد، وكانوا مُجتمعين في موضعٍ، فوجَّهوا واحدًا من الأحداث ليأخذَ لهم حاجةً، فأبطأ عليهم، فغضبوا لتأخُّرِه عنهم، ثمَّ أقبلَ وهو يضحكُ وبيده بطِّيخةٌ يُقبِّلها[2] ويشمُّها، فقالوا له. احتبستَ علينا، ثمَّ جئتنا تضحك؟! فقال: جئتُكم بفائدةٍ، رأيتُ بشرَ بن الحارث وضعَ يدَه على هذه البطِّيخة، فلم أزلْ واقفًا حتَّى اشتريتُها بعشرين درهمًا لأتبرَّكَ بموضعِ يدِه عليها. فأخذَ كلُّ واحدٍ منهم البطِّيخةَ، وجعلَ يُقبِّلها ويضعُها على عينيه، فقال واحدٌ منهم: بشرٌ كان معنا صاحبَ عصبية، أيش بلغَ به هذا كله حتَّى تفعلوا به هذا؟ قالوا: تقوى الله، والعمل الصَّالح. فقال: أنا أُشهدُ الله وأُشهدُكم أنِّي تائبٌ إلى الله من كلِّ شيءٍ لا يرضاه منِّي، وأنا على حالةِ بشرٍ وطريقته. فقالوا كلُّهم مثلَ ذلك: ونحن على طريقة بشر فتابوا بأجمعِهم، وخرجوا إلى طَرَسُوس، وغزوا، فاستُشهدوا كلُّهم في موضعٍ واحدٍ. وأنشد لنفسه:

فلاذُوا به مِنْ بعدِ كُلِّ نهايةٍ ... لِياذَ مُقرٍّ بالخُضوعِ مع الحدِّ
بعجْزٍ وتَقصيرٍ عن الواجبِ الذي ... به عَرفوه للوَدودِ من الودِّ
فكانَ لهم بالعزِّ في غايةِ المُنى ... شَكورًا لما أولاهُ من رُتَبِ الحَمْدِ
ومَنَّ بأسرارِ الذَّخائرِ بينه ... وبينهم عن مُضْمِرِ[3] الكَتْمِ للجَهْدِ[4]

---

(١) في (أ): قام ناهض ببعضٍ

(٢) في (أ): يقلِّبُها

(٣) في (أ): وقد تم عنه مضمر

(٤) المختار ١/ ٣٧٣، روض الرياحين ٢٩٣ (الحكاية ٢٣٦)، ولم تُذكر فيهما الأبيات، =

وقيل له: لِمَ يلحقُ الإنسان من التَّعذيب عند لقاءِ من يُحبُّه أشدّ من وقت الفراق؟ فقال: أجيبُ ببيتِ شعرٍ، وأنشأ يقول:

بكى عليها [البكا] حتّى إذا حصلَتْ   بكى عليها [البكا] خَوفًا من الغِيَرِ[1]

وقال: التَّفكُّرُ على أربعةِ أوجه: ففكرةٌ في آيات الله، وعلامتُها تولّدُ محبَّةِ الله منها وفكرةٌ في الوعدِ بثوابِ الله، وعلامتُها تولّد الرَّغبة فيها. وفكرةٌ في وعيدِ الله بالعذاب، وعلامتُها تولُّد الرَّهبةِ من الله. وفكرة في جفاء النّفس مع إحسان الله، وعلامتُها تولُّدُ الحياءِ من الله.

وأنشد:

تَشاغلتُمُ عنّي فكُلّي أُنكِرُ   لأنكم منّي بما بي لأخبرُ[2]

فإن شِئتُمُ وصلي فذاكَ أُريدُه   وإن شئتُم هَجري فذلك أُوثرُ

ألستُ أُرى أهلاً بحالٍ يَسرُّكُمْ   بذلكَ أزهو ما حَيِيتُ وأفخَرُ[3]

وروي: أنَّه اتخذ مرَّةً أحمالاً من السُّكرِ الأبيض، ودعا بجماعةٍ من الحلاويين[4] حتَّى عَملوا من ذلك السُّكر جدارًا عليه شُرافات ومَحاريبُ على أعمدةٍ منقوشةٍ كلِّها من سكرٍ، ثمّ دعا الصُّوفيةَ حتّى هدَموها وكَسروها وانتهبوها[5].

وقال: النَّفسُ مجبولةٌ على سُوء الأدب، والعبدُ مأمورٌ بملازمة الأدب، والنَّفسُ تَجري بطبعها في ميدان المخالفة، والعبدُ يجتهدُ في ردِّها عن سُوء المطالبة، فمتى ما أطلقَ عِنانها فهو شريكُها في فسادها

---

* طبقات السبكي ٣/ ٥٣

(١) المختار ١/ ٣٧٢

(٢) في (أ): ألا إنكم مما أُجِنُّ لأخبرُ.

(٣) تهذيب الأسرار ٤٦٠، المختار ١/ ٣٧٢، طبقات الشافعية ٣/ ٥٢.

(٤) في طبقات السبكي ٣/ ٥٣ الحلاوانيين.

(٥) تهذيب الأسرار ٢٩٧، طبقات الشافعية ٣/ ٥٣

كما قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: من أعانَ نفسَه على هوى نفسِه، فقد أشركَ [نفسه] في قتل نفسه[1].

وقال: لو زالت عنّا رؤيةُ الله ما عبدناه.

* * *

(١) تهذيب الأسرار ٢١٤، ٢١٥، المختار ١/ ٣٧٢.

(٦٨) أبو علي الثّقفي(*)

ومنهم: أبو علي محمد بن عبد الوهاب الثَّقفي.

لقي: أبا حفص، وحَمدون القصّار.

وكان إمامًا في أكثرِ علومِ الشَّرع، مُقدّمًا في كلّ فنٍّ منه، عطَّلَ أكثرَ علومِه، واشتغلَ بعلم الصُّوفية، وتكلَّمَ عليهم أحسنَ كلامٍ، وبه ظهر التَّصوُّف بنيسابور[1]

وكان أبو عثمان الحيري يقول: إنَّه لينفعني في نفسي إذا نظرتُ إلى خشوعِ هذا الفتى. يعني أبا علي الثّقفي[1]

وكان أحسن المشايخ كلامًا في عيوب النَّفس، وآفات الأفعال[1]

مات سنة ثمانٍ وعشرين وثلاث مئة.

قال رحمه الله: كمالُ العبودية هو العجزُ والقصور عن تدارك معرفةِ عِلل الأشياء بالكلّية[2]

وقال: لكلِّ شيءٍ حدٌّ وكمال، فمن صحبَ الأشياءَ على حُدودها فقد

(*) طبقات الصوفية ٣٦١، الرسالة القشيرية ١٠٠، الأنساب ٣/ ١٣٥، المختار من مناقب الأخيار ٤/ ٤٠١، سير أعلام النبلاء ١٥/ ٢٨٠، الوافي بالوفيات ٤/ ٧٥، مرآة الجنان ٢/ ٢٩٠، طبقات الشافعية للسبكي ٣/ ١٩٢، طبقات الإسنوي ١/ ٣٢٥، طبقات الأولياء ٢٩٨، النجوم الزاهرة ٣/ ٢٦٧، نفحات الأنس ٢٩٨، طبقات الشعراني ١/ ١٠٧، الكواكب الدرية ٢/ ١٥٣، شذرات الذهب ٢/ ٣١٥

(١) طبقات الصوفية ٣٦١

(٢) طبقات الصوفية ٣٦٣، الكواكب الدرية ٢/ ١٥٥

أفلحَ وأَنجح، ومن قصَّر عن حدودها فقد ضيَّع حقَّها، ومن تجاوز حدَّها فقد أشرفَ على هلاك نفسه(١)

وقال لبعض أصحابه: ينبغي أن لا تُفارقَ هذه الخلالَ الأربعة: صدقَ القول، وصدقَ العمل، وصدقَ المودَّةِ، وصدقَ الأمانةِ(٢)

وقال: لا يقبلُ اللهُ من الأعمال إلاَّ ما كان صَوابًا، ومِنْ صوابها إلاَّ ما كان خالصًا، ومن خالصها إلاَّ ما وافقَ السُّنة(٢)

وقال: الفروعُ الصَّحيحة لا تتفرَّعُ إلاَّ من أصلٍ صحيح، فمن أرادَ أن تصحَّ له أفعالُه على السُّنة فليُصحِّحِ الإخلاص في قلبه، فإن تصحيحَ ظواهر الأعمالِ بصحَّةِ بواطن الإخلاص(٣)

وقال أبو بكر الرَّازي: حضرتُ مجلسَ أبي علي الثّقفي، فتكلَّمَ في المحبَّةِ وأحوالِ المحبّين، وأنشدَ خلال تلك الأحوال هذين البيتين:

إلى كَمْ يكونُ الصَّدُّ في كلِّ ساعةٍ　　وكـم لا تملّـينَ القطيعـةَ والهجـرا
رويـدكِ إنَّ الـدَّهـرَ فيـه كفـايـةٌ　　لتفريقِ ذاتِ البين فارتقبي الدَّهرا(٣)

وقال: من صحب الأكابر على غيرِ طريقِ الحُرمة حُرم فوائدَهم وبركاتِ نظرهم، ولا يظهرُ عليه من أنوارِهم شيءٌ(٤)

وقال: من غلبه هواه، تَوارى عنه عقلُه(٥)

وقال: الغفلةُ وسَّعت على الخلقِ الطُّرقَ في معايشهم وأفعالهم وأحوالهم، والورعُ واليقظة ضيّقتا عليهم ذلك(٦)

---

(١) طبقات الصوفية ٣٦٣، الكواكب الدرية ٢/ ١٥٥
(٢) طبقات الصوفية ٣٦٣، المختار ٤/ ٤٠٢.
(٣) طبقات الصوفية ٣٦٤.
(٤) طبقات الصوفية ٣٦٣، الكواكب الدرية ٢/ ١٥٥
(٥) طبقات الصوفية ٣٦٤، المختار ٤/ ٤٠١
(٦) طبقات الصوفية ٣٦٥، الكواكب الدرية ٢/ ١٥٥

وقال: تمامُ العلم انقطاعُ الرَّجاء عن بلوغ كنهه[1]

و: المعروف كَنْزٌ لا يبعُد عن برٍّ ولا فاجر[2]

وقال: أفٌّ من أشغال الدُّنيا إذا أقبلت، وأفٌّ من حسراتها[3] إذا أدبرت. والعاقلُ من لا يركنُ إلى شيءٍ، إذا أقبلَ كان شُغلاً، وإذا أدبرَ كان حسرةً[4]

وقال: أربعةُ أشياءٍ لا بدَّ للعاقلِ من حفظهنَّ: الأمانة، والصِّدق، والأخ الصَّالح، والسَّريرة[5]

وقال: لا تلتمسْ تقويمَ ما لا يستقيم، ولا تأديبَ من لا يتأدَّب[6]

وقال: لو أنَّ رجلاً جمع العلوم كلَّها، وصحبَ طوائف النَّاس، لا يبلغُ مبلغَ الرِّجال إلاَّ بالرِّياضة من شيخ أو إمام أو مؤدِّبٍ ناصح، ومن لم يأخذْ أدبَه من آمرٍ له وناهٍ يُريه عيوبَ أعماله ورعوناتِ نفسه، لا يجوزُ الاقتداء به في تصحيح المعاملات[7]

وقال: ليس شيء أولى بأن تُمسكَه من نفسك، ولا شيءَ أولى بأن تَغلبَه من هواك[8]

وقال: العلمُ حياة القلب من الجهل، ونورُ العين من الظُّلمة[8]

(١) طبقات الصوفية ٣٦٣، المختار ٤/ ٤٠١

(٢) طبقات الصوفية ٣٦٥.

(٣) في (ب): من خسرانها

(٤) طبقات الصوفية ٣٦٤، الرسالة القشيرية ١٠٠، المختار ٤/ ٤٠٢.

(٥) طبقات الصوفية ٣٦٥، المختار ٤/ ٤٠٢

(٦) طبقات الصوفية ٣٦٤، المختار ٤/ ٤٠٢.

(٧) طبقات الصوفية ٣٦٥، الرسالة القشيرية ١٠٠

(٨) طبقات الصوفية ٣٦٥، المختار ٢/ ٤٠٢.

وقال: يأتي زمانٌ على هذه الأمة لا تَطيبُ المعيشةُ فيه لمؤمنٍ إلاَّ بعد استناده إلى مُنافق[١]

وكان يقول في جملة كلامه: يا من باع كلَّ شيءٍ بلا شيءٍ، واشترى لا شيءَ بكلِّ شيءٍ[٢]

وكان أبو علي يتكلَّمُ يومًا، فقال له عبد الله بن منازل[٣]: يا أبا علي، استعدَّ للموت، فلا بدَّ منه. فقال له أبو علي: وأنتَ يا عبد الله، استعدَّ للموت؛ فلا بدَّ منه. فتوسَّدَ عبدُ الله ذراعَه، ووضع رأسه، وقال: قد متُّ. فانقطعَ أبو علي؛ لأنّه لم يُمْكنه أن يُقابله بما فعل؛ لأنَّ أبا علي كان له علاقات، وكان عبدُ الله مجرَّدًا لا شغل له[٤]، رضي الله عنهما أجمعين.

* * *

---

(١) طبقات الصوفية ٣٦٥، الرسالة القشيرية ١٠٠، المختار ٢/ ٤٠٢.

(٢) طبقات الصوفية ٣٦٤

(٣) في (أ) و(ب): عبد الله بن مبارك، والمثبت من الرسالة القشيرية ٣١٩ (الصدق).

(٤) الرسالة القشيرية ٣١٩ (الصدق).

(٦٩) عبد الله بن منازل(*)

ومنهم: أبو محمد عبد الله[١] بن محمد بن مُنازل النَّيسابوري، شيخ الملامتية[٢]، وأوحدُ وقته، من كبار مشايخ نيسابور، له طريقةٌ يتفرَّدُ بها[٣]

صحبَ حمدون القصَّار، وأخذ عنه طريقتَه. وكان عالمًا بعلوم الظَّاهر، كتب الحديث الكثير ورواه[٣] وكان أبو علي الثَّقفي يحترمُه، ويبجِّلُه ويرفع مِقداره ومحلَّه[٣]

مات بنيسابور سنة تسعٍ وعشرين أو ثلاثين وثلاث مئة رحمه الله.

قال رحمه الله: لا خيرَ في مَنْ لم يذق طعمَ ذُلِّ المكاسب، وذلَّ السُّؤال، وذلَّ الرَّد[٤]

وقال: من رفعَ ظِلَّ نفسه عن نفسه، عاشَ النَّاسُ في ظلِّه[٤]

(*) طبقات الصوفية ٣٦٦، الرسالة القشيرية ٩٩، المختار من مناقب الأخيار ٣/ ٥٠٤، سير أعلام النبلاء ١٥/ ٢٩٧، العبر ٢/ ٢٢٦، مرآة الجنان ٢/ ٣١٠، طبقات الأولياء ٣٤٥، نفحات الأنس ٣٠٥، طبقات الشعراني ١/ ١٠٧، الكواكب الدرية ٢/ ١٥٦، شذرات الذهب ٢/ ٣٣٠

(١) في (أ): أبو علي محمد بن عبد الله.

(٢) تقدم التعريف بها صفحة ٣٣٥

(٣) طبقات الصوفية ٣٦٦

(٤) طبقات الصوفية ٣٦٧، المختار ٣/ ٥٠٤.

وقال: عبّرْ بلسانك عن حالك، ولا يكنْ كلامُك حاكيًا لأحوال غيرك[١]

وقال: من ألزمَ نفسَه شيئًا لا يحتاجُ إليه، ضيَّعَ من أحوالِه مثلَها ممّا يحتاجُ إليه، ولا بدَّ له منه[١]

وقال: إذا لم تنتفعْ بكلامك، كيف يَنتفعُ بك غيرُك؟[٢]

وقال: لم يُضيِّع أحدٌ فريضةً من الفرائض، إلاَّ ابتلاه اللهُ بتضييع السُّنن، ولم يُبتلَ أحدٌ بتضييع السُّنن إلاَّ أوشك أن يُبتلى بالبدع[٣]

وقال: التَّفويضُ مع الكسب خيرٌ من خُلُوّه عنه[٤]

ورُوي أن حامدًا الأسود جاءَه، فقال له: رأيتُ في المنام أنَّك تموتُ إلى سنةٍ؛ فاستعدَّ للخروج. فقال له عبدُ الله: أحلتنا على أملٍ بعيد، أعيش أنا إلى سنة! لقد كان لي أُنسٌ بهذا البيت الذي سمعتُه من أبي عليّ الثَّقفي:

يا مَنْ شكا شوقَهُ من طُولِ فُرقتِهِ اصبرْ لعلَّكَ تلقى مَنْ تُحبُّ غدا[٥]

وسأله رجلٌ عن مسألةٍ، فأجاب عنها، فقال له السَّائل: أَعدْ عليَّ. فقال: أنا في بداية ما جرى[٦]

وقال: من عَظُمَ قدرُه عند النَّاس، يجبُ أن يحتقرَ نفسَه عنده[٧]، ألا

---

(١) طبقات الصوفية ٣٦٧، المختار ٣/ ٥٠٤.
(٢) المختار ٣/ ٥٠٥، وفي (أ): ينتفع بكلامك غيرك.
(٣) طبقات الصوفية ٣٦٩، الرسالة القشيرية ١٠٠
(٤) طبقات الصوفية ٣٦٩، المختار ٣/ ٥٠٥
(٥) المختار ٣/ ٥٠٦، طبقات الأولياء ٣٤٦
(٦) طبقات الصوفية ٣٦٧، وفيها: أنا في ندامة ما جرى.
(٧) في (ب): أن يحتقر قدرَهُ عند نفسه

ترى أنَّ إبراهيم عليه السَّلام لمَّا اتَّخذه الله خليلاً، قال: ﴿ وَٱجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴾[1] [إبراهيم: ٣٥].

وقال: أحكامُ الغيب لا تُشاهد في الدُّنيا، ولكن تُشاهد فضائح الدُّنيا[2]

وقال: من دخلَ في هذا الأمرِ بضعفٍ، قَوي فيه، ومن دخلَه بقوَّةٍ، ضعفُ فيه وافتضح[3]

وسُئل عن العبودية، فقال: هو اضطرارٌ لا اختيارَ فيه[4]

وقال: لا يجتمعُ التَّسليم والدَّعوى لأحدٍ بحال[5]

وقال: اتركِ التَّكلُّفَ والتَّدبير، وانظر إلى الحالِ والتَّحويل[5]

وقال: لو صحَّ لعبدٍ في عُمره نَفَسٌ من غير رياءٍ ولا شركٍ، لأثَّرت بركاتُ ذلك عليه إلى آخرَ الدَّهر[5]

وقال: يموتُ الإنسان ولا يُخلِّف بعده شيئًا أكثرَ من التَّدبير[6]

و: العبودية الرُّجوعُ إلى اللهِ في كلِّ شيءٍ على حدِّ الاضطرار[7]

---

(١) طبقات الصوفية ٣٦٧، المختار ٣/ ٥٠٥.
ورواية الخبر في تهذيب الأسرار ٤٦٦ هو: كل من كان أعظمَ قدرًا عند الناس، كان هو أحقرَ الناس في نفسه، أما ترى إلى قول: إبراهيم الخليل عليه السلام ﴿ رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَأَلْحِقْنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ [الشعراء: ٨٣].

(٢) المختار ٣/ ٥٠٥، وفي طبقات الصوفية ٣٦٩: ولكن تشاهد فضائح الدعوى.

(٣) طبقات الصوفية ٣٦٨، المختار ٣/ ٥٠٥.

(٤) طبقات الصوفية ٣٦٨، المختار ٣/ ٥٠٥. وفي تهذيب الأسرار ١٩٤ العبودية بالضرورة والاختيار.

(٥) طبقات الصوفية ٣٦٨، المختار ٣/ ٥٠٥.

(٦) طبقات الصوفية ٣٦٨

(٧) طبقات الصوفية ٣٦٩.

وقال: ذكرَ اللهُ أنواعَ العبادات، فقال: ﴿ٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْمُنفِقِينَ وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ بِٱلْأَسْحَارِ﴾ [آل عمران: ١٧] فختمَ اللهُ المقاماتِ كلَّها بمقامِ الاستغفار، ليرى العبدُ تقصيرَهُ في جميعِ أفعاله وأحواله، فيستغفر منها[١]

وقال: كيف ينظرُ الإنسانُ إلى أمامه وورائه، وهو غائبٌ عن مقامِهِ ووقته؟![٢]

وقال: لا ينبغي أن يتفرَّغَ العبدُ إلى السُّنن إلاَّ بعد فراغه من أداءِ الفرائض[٣]

وقال: أنتَ تُظهرُ دعوى العبودية، وتُضْمِرُ أوصافَ الرُّبوبية[٤]

وقال: كلّ فقرٍ لا يكون عن ضرورةٍ، لا يكون فيه فضيلة[٤]

وقال: من احتجتَ إلى شيءٍ من علومه، فلا تنظرْ إلى عيوبه، فإنَّ نظرَكَ إلى عيوبه يَحرمُكَ بركةَ الانتفاعِ بعلمه[٤]

وقال: أفضلُ أوقاتك وقتٌ تسلمُ فيه من هواجسِ نفسك، ووقتٌ يَسلمُ النَّاسُ فيه من سُوءِ ظنِّك[٥]

وقال: العبدُ عبدٌ ما لم يطلبْ لنفسه خادمًا، فإذا طلبَ لنفسه خادمًا فقد سقطَ عن حدِّ العبودية، وتركَ آدابها[٦]

* * *

---

(١) طبقات الصوفية ٣٦٨، المختار ٣/ ٥٠٦

(٢) طبقات الصوفية ٣٦٨، المختار ٣/ ٥٠٥.

(٣) طبقات الصوفية ٣٦٩

(٤) طبقات الصوفية ٣٦٩، المختار ٣/ ٥٠٦.

(٥) الرسالة القشيرية ١٠٠، المختار ٣/ ٥٠٥

(٦) الكواكب الدرية ٢/ ١٥٧.

(٧٠) الحسين بن منصور الحلاّج(*)

ومنهم: أبو مُغيث الحسين بن منصور الحلاّج، وهو من أهل بيضاء فارس(١)، ونشأ بواسط العراق(٢)

صحبَ: الجُنيد، والنُّوري، وعَمْرًا المكي، والفُوَطي وغيرَهم.

والمشايخ في أمرِهِ مُختلفون، ردَّهُ أكثرُ المشايخ، ونفوه، وأَبَوا أن يكونَ له قدمٌ في التَّصوف، وقَبِلَه من جملتهم: أبو العباس ابن عطاء، وأبو عبد الله مُحمد بن خَفيف، وأبو القاسم إبراهيمُ بن محمد النَّصراباذي

(*) طبقات الصوفية ٣٠٧، تجارب الأمم ١/ ٧٦ حوادث سنة (٣٠٩) الفهرست ٣٦٩ (الفن الخامس من المقالة الخامسة)، تاريخ بغداد ٨/ ١١٢، الأنساب ٤/ ٢٧٨، المنتظم ٦/ ١٦٠، الكامل في التاريخ ٨/ ١٢٦، المختار من مناقب الأخيار ٢/ ٢١٦، وفيات الأعيان ٢/ ١٤٠، سير أعلام النبلاء ١٤/ ٣١٣، العبر ٢/ ١٣٨، ميزان الاعتدال ١/ ٥٤٨، دول الإسلام ١/ ١٨٧، الوافي بالوفيات ١٣/ ٧٠، مرآة الجنان ٢/ ٢٥٣، البداية والنهاية ١١/ ١٣٢، طبقات الأولياء ١٨٧، لسان الميزان ٢/ ٣١٤، النجوم الزاهرة ٣/ ١٨٢، ٢٠٢، ٢٠٣، نفحات الأنس ٢٢٥، طبقات الشعراني ١/ ١٠٧، الكواكب الدرية ٢/ ٦٨، شذرات الذهب ٢/ ٢٥٣، وانظر تراث الحلاج (أخباره ديوانه طواسينه) إعداد وتحقيق د. عبد الإله نبهان ود. عبد اللطيف الراوي. دار الذاكرة. حمص ١٩٩٦

واختلف في سبب نسبته، فقيل: لأنه حلج قطن الدكان، وقيل: كان يتكلّم على أسرار الناس، وما في قلوبهم ويخبر عنها، فسمي بذلك حلاجَ الأسرار، وقيل: بل إن أباه كان حلاجًا فنُسب إليه. انظر الأنساب ٤/ ٢٧٩، والمختار ٢/ ٢١٦

(١) بيضاء فارس: أكبر مدينة في كورة اصطخر بفارس، وإنما سميت البيضاء لأن لها قلعة تبين من بعد، ويُرى بياضها انظر معجم البلدان.

(٢) طبقات الصوفية ٣٠٧، وفي (أ): واسط والعراق.

وأثنوا عليه، وصحَّحوا له حاله، وحكوا عنه كلامَه، وجعلوه أحدَ المُحقِّقين، حتَّى قال محمد بن خَفيف: الحسينُ بن منصور عالِمٌ ربَّاني[١]

قُتل بباب الطَّاق في بغداد يوم الثّلاثاء، لستٍّ بقينَ من ذي القعدة سنة تسعٍ وثلاث مئة[١]

قال رحمه الله: حجبَهُم بالاسم فعاشوا، ولو أبرزَ لهم علومَ القدرةِ لطاشوا، ولو كشفَ لهم عن الحقيقة لماتوا[٢]

وقال: أسماءُ الله من حيث الإدراك اسمٌ، ومن حيث الحقِّ حقيقةٌ[٣]

و: خاطرُ الحقِّ هو الذي لا يُعارضُهُ شيءٌ[٣]

وقال: إذا تخلَّص العبدُ إلى مقامِ المعرفة، أَوحى [الله] إليه بخاطرِه، وحرسَ سرَّهُ أن يَسنحَ فيه غيرُ[٤] خاطرِ الحقِّ[٥]

و: علامةُ العارف أن يكونَ فارغًا من الدُّنيا والآخرة[٦]

وقيل له: لِمَ طمعَ موسى عليه السَّلام في الرُّؤية وسألها؟ فقال: لأنَّه انفردَ للحقِّ، فانفرد الحقُّ به في جميع معانيه، وصار الحقُّ مواجهَهُ في كلِّ منظورٍ إليه، ومقابلَه دون كلِّ محضورٍ لديه، على الكشفِ الظَّاهرِ إليه لا على التَّغيُّب، فذلك الذي حمله على سؤالِ الرُّؤية[٧]

---

(١) طبقات الصوفية ٣٠٧

(٢) طبقات الصوفية ٣٠٨، المختار ٢/ ٢١٨

(٣) طبقات الصوفية ٣٠٨

(٤) في (أ): أن يشيع فيه بغير خاطر.

(٥) طبقات الصوقية ٣٠٨، الرسالة القشيرية ٤٤١ (المعرفة بالله)

(٦) الرسالة القشيرية ٤٤١ (المعرفة بالله).

(٧) طبقات الصوفية ٣٠٩.

وأنشد ابنُ فاتك للحسين بن منصور:

أنتَ بين الشَّغاف والقلبِ تَجري ... مثلَ جَري الدُّموعِ من أجفاني
وتَحُلُّ الضَّميرَ جوفَ فؤادي[1] ... كحلولِ الأرواحِ في الأبدانِ
ليسَ من ساكنٍ تحرَّكَ إلاَّ ... أنت حرَّكْتَهُ خَفِيٍّ المكانِ
يا هلالاً بدا لأربعِ عشرٍ ... لثمانٍ وأربعٍ واثنتانِ[2]

وسُئل عن المريد، فقال: هو الرَّامي بأوّلِ قصده إلى الله، فلا يعرج حتَّى يَصِل[2]

وقال: المُريد الخارجُ عن أسباب الدَّارين أثرةً بذلك لأهلهما[2]

وسُئل عن التَّصوف، وهو مصلوب، فقال: أهونُه ما ترى[3]

وقال: إنَّ الأنبياءَ عليهم السَّلام سُلِّطوا على الأحوال فملكُوها، فهم يُصرِّفونها لا الأحوالُ تُصرِّفهم، وغيرُهم سُلِّطتْ عليهم الأحوال، فالأحوالُ تُصرِّفُهم، لا هم يُصرِّفون الأحوال[4]

وكان يقول[5]: إلهي، أنت تعلمُ عجزي عن مواضع شكرك؛ فاشكرْ نفسَك عنّي، فإنَّه الشُّكرُ لا غير[6]

وقال: مَنْ لاحظَ الأعمال حُجبَ عن المعمول له، ومَنْ لاحظَ المعمول له حُجب عن رؤية الأعمال[7]

وقال: الحقُّ تعالى هو المقصودُ إليه بالعبادات، والمصمودُ إليه

---

(١) في (أ): خوف فؤادي.
(٢) طبقات الصوفية ٣٠٩.
(٣) تهذيب الأسرار ٢٩، المختار ٢/ ٢١٨
(٤) طبقات الصوفية ٣١٠
(٥) في (ب): وكان رحمة الله عليه وسلامه يقول.
(٦) طبقات الصوفية ٣٠٨، وفي (ب): الشكر لا غيره.
(٧) طبقات الصوفية ٣٠٨، المختار ٢/ ٢١٨

بالطَّاعات، لا يُشهَدُ بغيره، ولا يُدركُ بسواه، بروائح مراعاته تقومُ الصِّفات، وبالجمعِ إليه تُدرك الرَّاحات[١]

وقال: لا يجوزُ لمن يرى أحدًا، أو يذكر أحدًا، أن يقولَ: إني عرفتُ الأحدَ الذي ظهرت منه الآحاد[٢]

وقال: ألسنةٌ مُستنطقات تحت نُطقها مُستهلكَات، وأنفسٌ مُستعملات تحتَ استعمالها مُستهلكات[٢]

وقال: حياءُ الرَّبِّ أزالَ عن قلوب أوليائه سرورَ المِنَّة، بل حياءُ الطَّاعةِ أزالَ عن قلوب أوليائه سرورَ الطَّاعة[٢]

وأنشد لنفسه:

مَواجيدُ حقٍّ أَوْجدَ الحقُّ كلَّها ... وإن عَجَزتْ عنها فُهُومُ الأكابرِ
وما الوجدُ إلاَّ خطرةٌ ثمَّ نظرةٌ ... يُنشِّي لهيبًا بين تلك السَّرائرِ
إذا سكنَ الحقُّ السَّريرةَ ضُوعِفَتْ ... ثلاثةَ أحوالٍ لأهلِ البصائرِ
فحالٌ يَبيدُ السِّرَّ عن كُنْهِ وجدِه ... ويُحضِرُه للوجدِ في حالِ حائرِ
وحالٌ به زُمَّت ذرى السِّرِّ فانثنت ... إلى منظرٍ أفناهُ عن كلِّ ناظرِ[٢]

وقال: من أسكرتْهُ أنوارُ التَّوحيد، حجبَتْهُ عن عبارة التَّجريد، بل من أسكرته أنوارُ التَّجريد، نطقَ عن حقائق التَّجريد[٣]؛ لأنَّ السَّكران هو الذي يَنطقُ بكلِّ مَكتومٍ[٤]

وقال: من التمسَ الحقَّ بنورِ الإيمان، كان كمن طلبَ الشَّمسَ بنورِ الكواكب[٥]

---

(١) طبقات الصوفية ٣١٠، المختار ٢/٢١٨

(٢) طبقات الصوفية ٣١٠.

(٣) في طبقات الصوفية ٣١١: عن حقائق التوحيد.

(٤) طبقات الصوفية ٣١١، المختار ٢/٢١٨

(٥) طبقات الصوفية ٣١١.

وقال لرجلٍ من أصحابِ الجُبَّائي المعتزلي[1]: لمَّا كان اللهُ أوجدَ الأجسام بلا علَّةٍ، كذلك أوجدَ فيها صفاتها بلا علَّةٍ. وكما لا يملك العبدُ أصلَ فعله، كذلك لا يَملكُ فعلَه[2]

وقال: ما انفصلتِ البشرية عنه ولا اتَّصلتْ به[2]

وسُئل عن التَّوكُّل، فقال: المتوكِّلُ المحقُّ لا يأكلُ، وفي البلدِ من هو أحقُّ به منه[3]

وقال: من أرادَ الحريَّةَ، فليصل العبودية[4]

فـ: إذا استوفى العبدُ مقاماتِ العبودية كلَّها يصيرُ حرًّا من نعت العبودية[5]، فيتوسَّم بالعبوديةِ بلا عناء ولا كلفة، وذلك مقامُ الأنبياء والصِّدّيقين. وأنشد في المعنى لمنصور الفقيه

مـــا بقـــى فـــي النَّـــاسِ حـــرٌّ   لا ولا فـــي الجـــنِّ حـــرُّ
قـــد مضـــى حـــرُّ الفـــريقيـــــن فحلـــو العيـــشِ مُـــرُّ[6]

وقال: الحقُّ إذا استولى على سرِّ [عبدٍ] ملَّكَهُ الأسرار، فيعاينُها ويُخبر عنها[7]

وسُئل عن الصُّوفي، فقال: وحدانيُّ الذَّات، لا يَقبلُه أحدٌ، ولا يَقبل أحدًا[8]

---

(١) هو محمد بن عبد الوهاب بن سلام، أبو علي الجُبَّائي (٢٣٥ـ٣٠٣) كان علمًا من أعلام المعتزلة، وصاحب مقالاتهم. انظر اللباب.

(٢) طبقات الصوفية ٣١١

(٣) الرسالة القشيرية ٢٦٥ (التوكل)، المختار ٢/ ٢١٨

(٤) الرسالة القشيرية ٣٢٩ (الحرية).

(٥) في الرسالة القشيرية ٣٢٩: من تعب العبودية، قال محققه شارحًا: من تعب العبودية لغير الله.

(٦) الرسالة القشيرية ٣٢٩ (الحرية).

(٧) الرسالة القشيرية ٣٤٥ (الفراسة)، الكواكب الدرية ٢/ ٧٢ وما بين معقوفين مستدرك منها.

(٨) الرسالة القشيرية ٤٠٠ (التصوف)، تهذيب الأسرار ٢٩.

و. الصُّوفيُّ هو المُشير عن الله، فإنَّ الخلق أشاروا إلى الله تعالى[(١)]

ووقف عليه رجلٌ فقال: من الحقُّ الذي تشيرون إليه؟ فقال: مُعلُّ الأيام ولا يعتل.

وقال: حقيقةُ المحبَّة قيامُك مع محبوبك بخلع أَوصافك[(٢)]

وسُئل عن حال موسى عليه السَّلام في وقتِ الكلام، فقال: بدا له بادٍ من الحقِّ، فلم يبقَ لموسى عليه السَّلام أثرٌ، ثمَّ أفنى موسى عن موسى، ولم يكن لموسى خبرٌ من موسى، ثمَّ كُلِّم، فكان المُكلِّمُ هو المُكَلَّمُ بحصول موسى في حالِ الجمع وفنائه عنه، ومتى كان موسى يطيقُ حالَ الخطاب أو يأباه كان، لكنّه بالله عزّ وجل قامَ، وبه سمع[(٣)] ثمَّ أنشد على أثر هذا الكلام أبياتًا، وقال: فيه معنى جواب[(٤)] مسألتك:

وبدا له من بعد ما اندملَ الهوى ... بــرقٌ تــألّــقَ مُــوهنًــا لمعــانُــهُ
يَبْــدو كحــاشيــة الــرِّداءِ ودونــه ... صَعـبُ الـذُّرى مُتمنِّـعٌ أركـانُـهُ
فأتى لينظرَ كيف لاحَ فلم يطق ... نظـرًا إليــه وصــدّهُ سجّــانُــهُ
فالنّارُ ما اشتملتْ عليه ضلوعُهُ ... والماءُ ما سمحتْ[(٥)] به أجفانُهُ

وقال: إذا دامَ البلاءُ بالعبدِ أَلِفَهُ. وأَنشد:

تعـوَّدْتُ مـسَّ الضُّـرِّ حتّـى أَلفتُـهُ ... فأسلمني حسنُ العزاء إلى الصَّبرِ[(٦)]

---

(١) الرسالة القشيرية ٤٠٢ (التصوف)، تهذيب الأسرار ٢٩

(٢) الرسالة القشيرية ٤٥٠ (المحبة)، المختار ٢/٢١٨ وفي (ب). مقامك مع.

(٣) لم يذكر ابن الأثير رحمه الله كلامه في المختار ٢/٢١٨ من قوله: ثمَّ أفنى موسى إلى قوله وبه سمع، وقال: وذكر كلامًا لما في الكلام من خروج.

(٤) في (ب): وقال: فيه معي وجوابك.

(٥) في الديوان صفحة ١٥٨ ما سحّتْ. والأبيات لمحمد بن صالح أبي عبد الله. انظر الأغاني ١٦/٣٦١

(٦) انظر الديوان صفحة ١٤٤، وهو من الأشعار التي نسبت إليه، انظر ديوان أبي العتاهية صفحة ١٧٤ تحقيق الدكتور شكري فيصل. وعيون الأخبار ٣/١٩٠، والفرج بعد =

وقال أبو العباس الرَّازي: كان أخي خادمًا للحُسين بن منصور، فسمعتُه يقول: لما كانتِ اللَّيلةُ التي وُعد من الغد لقتله قلتُ له: يا سيِّدي، أوصني. فقال لي: عليك بنفسك، إنْ لم تشغلْها شغلتك. فلمَّا كان من الغد، وأُخرجَ للقتل، قال: حسبُ الواجد إفرادُ الواحد[1] ثمَّ خرجَ يتبختَرُ في قيده وينشد:

نـديمـي غيـرُ مَنسـوبٍ ... إلـى شـيءٍ مـن الحَيْـفِ
سقـانـي مثـلَ مـا يَشـرَ ... بُ فِعْـلَ الضَّيـفِ بـالضَّيـفِ
فلمَّـا دارتِ الكـأسُ ... دعـا بـالنِّطـعِ والسَّيـفِ
كـذا مـن يشـربُ الـرَّاحَ ... مـع التِّنيـن فـي الصَّيـفِ[2]

ثمَّ قال: ﴿يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا وَالَّذِينَ آمَنُوا مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا الْحَقُّ﴾ [الشورى: ١٨]. ثمَّ ما نطق بعد ذلك حتَّى فعل به ما فعل[3]

وقال القنَّاد: لقيتُ الحلاجَ يومًا في حالةٍ رثة، فقلتُ له: كيف حالُك؟ فأنشأ يقول:

لئـن أمسيـتُ فـي ثـوبَـيْ عـديـمٍ ... لقـد بَليـا علـى حـرٍّ كـريـمِ
فـلا يَحـزنْـكَ أنْ أبصـرتَ حـالاً ... مغيَّـرةً عـن الحـالِ القـديـمِ
فلـي نفـسٌ ستتلـفُ أو سترقـى ... لعمـرُك بـي إلـى أمـرٍ جسيـمِ[4]

الشدة ٢/ ١١٦، وأنس المسجون ١١٤ وقد تقدم البيت صفحة ٥٤٤

(١) في (ب): حسب الواجد إفراد الواجد له.

(٢) انظر الديوان صفحة ١٤٩، والأبيات من الأشعار التي نسبت إليه، وهي للحسين بن الضحاك الخليع. والتنين ضرب من الحيات السوداء العظيمة، وهو لقب إبراهيم بن مهدي الأمير العباسي، لقِّب به لسواد لونه وسمنه.

(٣) تاريخ بغداد ٨/ ١٣١، أنساب السمعاني ٤/ ٢٨٠، المختار ٢/ ٢٢٠، وفي (أ): حتى ما فعل به.

(٤) انظر الديوان صفحة ١٥٥، والأبيات من الأشعار التي نسبت إليه، وهي لسمنون المحب.

وقال: لو لم يبعثِ اللهُ تعالى محمَّدًا ﷺ لم تكمل الحُجَّةُ على جميعِ الخلق، وكان يُرجَى للكفار النَّجاةُ من النَّار. وأنشد لنفسه:

لم يبقَ بيني وبين الحقّ تبياني[١] ... ولا دلائـلُ آيـاتٍ وبـرهـانِ
كـان الـدَّليـلُ لـه منـه إليـه بـه ... حـقٌّ وجـدنـاه فـي علـمٍ وفـرقـانِ
هذا وجودي وتَصريحي ومُعتقدي ... هـذا تَـوحُّـدُ تـوحيـدي وإيمـانـي
هذا تجلّى طلوعُ الحقّ نائرةً[٢] ... قد أزهرتْ في تلاليها بسُلطاني
لا يُستـدلُ علـى البـاري بصنعتـه ... وأنتمْ حَدَثٌ[٣] تُنبي عنِ ازمانِ
هذا وجودٌ وجود الواجدين له ... بين التَّجانس[٤] أصحابي وخلاَّني

وروي: أنَّه كتبَ إلى أبي العباس ابن عطاء: أطال الله[٥] حياتك، وأعدمَني وفاتك[٦] على أحسنِ ما جرى به قدرٌ أو نطقَ به خبر، مع ما أن لك في قلبي من لواعج أَسرارِ محبّتك وأفانين ذخائر مودّتك ما لا يترجمه الكتاب، ولا يحصيه حساب، ولا يفنيه عتاب، وفي ذلك أقول:

كتبـتُ ولـم أكتـب إليـك وإنَّمـا ... كتبـتُ إلـى رُوحـي بغيـرِ كتـابِ
وذلـك أنَّ الـرُّوحَ لا فَـرْقَ بينهـا ... وبيـن مُحبِّيهـا بفصـلِ خِطـابِ
فكـلٌّ كتـابِ صـادرٍ منـك واردٌ ... إليك، بلا ردِّ الجوابِ، جوابي[٧]

* * *

(١) في (ب): وبين الخلق بنيان.
(٢) في (أ): باشره.
(٣) في الديوان صفحة ١١٦ رأيتم حَدَثًا
(٤) في الديوان صفحة ١١٦ بني التجانس.
(٥) في (أ): أطابَ الله.
(٦) في تهذيب الأسرار: ولا أعدمني وفاءك.
(٧) تهذيب الأسرار ٥٣٨، مرآة الجنان ٢/ ٢٥٨

(٧١) أبو الخير التّيناتي(*)

ومنهم: أبو الخير الأقطع المعروف بالتِّيناتي، أصله من المغرب، وسكن التّينات[١]، وله آياتٌ وكرامات يطولُ ذكرها.

صحب: أبا عبد الله ابن الجلاء، وغيرَه من المشايخ، كان أوحدَ في طريقته في التَّوكُّل[٢]

وكانتِ السّباع والهوام تأنسُ إليه. وله فِراسةٌ حادة[٢]

مات سنة نيّفٍ وأربعين وثلاث مئة[٢]

قال رحمه الله دخلتُ مدينةَ الرّسول ﷺ وأنا بفاقةٍ، فأقمت خمسةَ أيام ما ذقتُ ذَواقًا، فتقدّمتُ إلى القبر، وسلّمتُ على النّبيّ ﷺ وأبي بكر وعمر، وقلت: أنا ضيفُك اللّيلة يا رسول الله وتنحّيتُ، ونمتُ خلفَ المنبر، فرأيتُ النّبيَّ ﷺ في المنام وأبو بكر عن يمينه وعمرُ عن شماله وعليٌّ بن أبي طالب بين يديه رضي الله عنه، فحرّكني علي، وقال: قمْ، قد جاءَ رسولُ الله. فقمتُ إليه وقبّلت بين عينيه، فدفعَ إليَّ رغيفًا، فأكلتُ

(*) طبقات الصوفية ٣٧٠، حلية الأولياء ١٠/ ٣٧٧، الرسالة القشيرية ١٠١، الأنساب ٣/ ١٢١، صفة الصفوة ٤/ ٢٨٢، المنتظم ٦/ ٣٧٦، معجم البلدان ٢/ ٦٨، اللباب ١/ ٢٣٤، المختار من مناقب الأخيار ٢/ ٢٦٣، مختصر تاريخ دمشق ٢٨/ ٢٥٨، سير أعلام النبلاء ١٦/ ٢٢، الوافي بالوفيات ١٣/ ٤٤٥، طبقات الأولياء ١٩٠، تحفة الأحباب ٢٤٠ وما بعدها، حسن المحاضرة ١/ ٥١٤، نفحات الأنس ٣٠٧، الطبقات الكبرى للشعراني ١/ ١٠٧ الكواكب الدرية ٢/ ٤٤، واسمه عباد بن عبد الله.

(١) تينات قرية من أعمال حلب. انظر السّير ١٦/ ٢٢

(٢) طبقات الصوفية ٣٧٠.

نصفَه، وانتبهتُ، فإذا في يدي نصفُ رغيفٍ[1]

وقال أبو بكر الرّازي: أنشدني أبو الخير الأقطع:

أنحـلَ الحـبُّ قلبَـهُ والحنيـنُ ... ومَحـاه الهـوى فمـا يَستبيـنُ

مـا تـراه الظُّنـونُ إلاَّ ظُنـونًـا ... وهو أَخفى مِنْ أن تَراه العُيونُ[2]

وقال: لن يصفوَ قلبُك إلاَّ بتصحيح النِّية لله، ولن يَصفو بدنُك إلاَّ بخدمة أولياء الله تعالى[3]

وقال: ما بلغَ أحدٌ إلى حالةٍ شريفة إلاَّ بملازمة الموافقة، ومُعانقة الأدب، وأَداء الفرائض، وصحبةِ الصَّالحين، وخدمةِ الفقراء الصَّادقين[4]

وروي: أنَّه كتبَ إلى جعفر الخُلدي: وِزرُ جَهْلَ الفقراءُ عليكم؛ لأنّكم اشتغلتُم بنفوسكم عن تأديبهم، فبقوا جهلةً[5]

وقال: حرامٌ على قلبٍ مأسورٍ يحبُّ الدُّنيا أن يسيحَ في روح الغيوب[6]

وقال: القلوبُ ظروفٌ: فقلبٌ مملوءٌ إيمانًا، فعلامتُه الشَّفقةُ على جميع المسلمين[7]، والاهتمامُ بما يهمُّهم، ومعاونتُهم على ما يعودُ صلاحُه إليهم وإليه. وقلبٌ مملوءٌ نفاقًا، فعلامته الحقدُ والغل والغشُّ والحسد[8]

---

(1) طبقات الصوفية ٣٧٠، المختار ٢/ ٢٦٩

(2) طبقات الصوفية ٣٧١

(3) طبقات الصوفية ٣٧١، المختار ٢/ ٢٧٠

(4) طبقات الصوفية ٣٧١، الحلية ١٠/ ٣٧٨، الرسالة القشيرية ١٠١، المختار ٢/ ٢٧٠

(5) الرسالة القشيرية ٤١٧ (الصحبة).

(6) طبقات الصوفية ٣٧١، المختار ٢/ ٢٧٠

(7) في (أ): جميع الناس.

(8) طبقات الصوفية ٣٧١، الحلية ١٠/ ٣٧٨، المختار ٢/ ٢٧٠.

وقال: الذَّاكرُ لله لا يقومُ له في ذكرِه عِوضٌ، فإذا قامَ له العِوضُ خرجَ من ذِكره[1].

وقال: من لم يكن له مع اللهِ صحبةٌ دائمةٌ بمعرفة اطِّلاعه عليه ومُراعاته لتصريف الموارد به، ومشاهدةٍ منه قاطعةٍ اعترضت عليه الأحزان؛ من ظُهور المحن وتغيير الزَّمان[2].

وقال: الدّعوى رعونةٌ، لا يحتملُ القلبُ إمساكها، فيُلقيها إلى اللِّسان، فتنطقُ بها ألسنةُ الحمقى، ولا يعرفُ الأعمى ما يُبصرُه البصير من محاسنه ومقابحه[3].

وقال: من أحبَّ أن يطَّلعَ الخلقُ على عمله، فهو مُراءٍ، ومن أحبَّ أن يطَّلعَ النَّاسُ على حاله فهو كذَّاب[4].

وروي: أنَّه دخلَ عليه جماعةٌ من البغداديين يتكلَّمون بشطحهم، فضاق صدرُهُ من كلامهم، فخرجَ عنهم، فجاء السَّبُعُ، فدخلَ البيت عليهم، فانضمَّ بعضُهم إلى بعضٍ وسكتوا، وتغيَّرت ألوانُهم، وفرِقوا منه، فدخل عليهم أبو الخير، وقال: يا ساداتي، أين تلك الدَّعاوى؟ وطرده عنهم[5].

وقال أبو الحُسين القرافي[6] زرتُ أبا الخير التّيناتي، فلمَّا ودَّعتُه، خرج معي إلى بابِ[7] المسجد، وقال لي: يا أبا الحسين، أنا أعلمُ أنَّك

---

(١) طبقات الصوفية ٣٧٢، الحلية ١٠/ ٣٧٨، المختار ٢/ ٢٧١

(٢) طبقات الصوفية ٣٧٢، المختار ٢/ ٢٧١

(٣) طبقات الصوفية ٣٧٢، المختار ٢/ ٢٧٠

(٤) حلية الأولياء ١٠/ ٣٧٧، المختار ٢/ ٢٧١

(٥) حلية الأولياء ١٠/ ٣٧٧

(٦) في الرسالة القشيرية ٣٤٩: القرافي، والمختار ٢/ ٢٦٨ (القراني)، وفي مختصر تاريخ دمشق ٢٨/ ٢٦٠: (القيرواني).

(٧) في (أ): ودعته وخرجت، تبعني إلى باب.

لا تحملْ معلومًا معك، ولكنِ احملْ هاتين التّفاحتين معك. فأخذتُهما ووضعتُهما في جيبي وسرتُ، فلم يُفتح لي بشيءٍ ثلاثة أيام، فأخرجتُ واحدةً منهما فأكلتُها، ثمَّ أردتُ أن أُخرجَ الثّانية، فإذا بهما جميعًا في جيبي، فكنتُ آكل منهما، ويعودان كذلك إلى بابِ الموصل، فقلتُ في نفسي: إنهما يُفسدان عليَّ حالي وتوكُّلي إذ صارتا معلومًا لي، فأخرجتُهما من جيبي، ونظرتُ، فإذا فقيرٌ ملفوف في عباءةٍ، وهو يقولُ: أشتهي تفاحةً. فناولتُه إيّاهما، فلمّا عبرتُ عنه، وقع لي أنَّ الشَّيخَ إنَّما بعثهما إليه، وكنتُ في رُفْقةٍ مع جماعةٍ في الطَّريق، فعدتُ إلى الفقيرِ أطلبُه، فلم أجده[1]

وقال حمزةُ بن عبد الله العلوي: دخلتُ على أبي الخير التّيناتي، وكنتُ اعتقدتُ في نفسي أن أُسلِّمَ عليه وأخرج، ولا آكل عنده طعامًا، فلمّا خرجتُ من عنده مشيتُ قليلاً، إذا به خلفي، وقد حملَ طبقًا عليه طعام، فقال: يا فتى، كُلْ هذا، فقد خرجت السّاعة من عَقْدك[2]

وقال إبراهيم الرَّقّي: قصدتُ أبا الخير التّيناتي مُسلِّمًا عليه، فصلّى صلاةَ المغرب، وما قرأ مستويًا للفاتحة، فقلت في نفسي: ضاعتْ سَفرتي. فلمّا سلّمتُ خرجتُ للطّهارة، فقصدني السَّبُعُ، فعدتُ إليه، وقلت له: إنَّ الأسدَ قصدني. فخرجَ وصاحَ عليه، وقال: ألم أقل لك لا تتعرَّضْ لضيفاني. فتنحّى، ومضيتُ تطهّرتُ، فلمّا رجعتُ قال لي: اشتغلتُم بتقويمِ الظّاهر فخفتم الأسدَ، واشتغلنا بتقويمِ القلوب فخافنا الأسد[3]

---

(١) الرسالة القشيرية ٣٤٩ (الفراسة)، المختار ٢/ ٢٦٨، روض الرياحين ٣٠٩ (الحكاية. ٢٥٧) طبقات الأولياء ١٩٢، مختصر تاريخ دمشق ٢٨/ ٢٦٠، نفحات الأنس ٣٠٩

(٢) تهذيب الأسرار ٣٢٥، المختار ٢/ ٢١٨، مختصر تاريخ دمشق ٢٨/ ٢٦٧

(٣) الرسالة القشيرية ٤٩٦ (كرامات الأولياء)، تهذيب الأسرار ٣٣٠، المختار ٢/ ٢٦٩.

وقال بُكر[1] بن محمد: كنت عند الشَّيخ أبي الخير التّيناتي بالتّينات، فبسطني بمحادثته لي يذكرُ بدايته إلى أن تهجَّمتُ عليه، فسألتُه عن سببِ قطعِ يده، وما كان منه؟ فقال: يدٌ جَنت فقُطِعت. فظننتُ أنَّه كانت له صَبوةٌ في حداثتِهِ من قطعِ طريقٍ أو نحوه ممَّا أوجبَ ذلك، فأمسكتُ. ثمَّ اجتمعتُ معه بعد ذلكَ بسنين مع جماعةٍ من الشُّيوخ فتذاكروا[2] مواهبَ الله لأوليائه، وأكثروا كرامات الله لهم، إلى أن ذكروا طيَّ المسافات، فتبرَّمَ الشَّيخُ بذلك، وقال: كم يقولون فلانٌ مشى إلى مكَّة في ليلةٍ، وفلانٌ في يومٍ، وأنا أعرفُ عبدًا من عبيد الله حبشيًا، كان جالسًا في جامعِ أطرابُلُس، ورأسُه في جيب مُرقَّعته فخطرَ بباله طيبةُ الحَرم، فقال في[3] سرِّه: يا ليتني كنتُ في الحرم. فأخرجَ رأسَه من مُرقّعته، فإذا هو في الحرم.

ثمَّ أمسكَ عن الكلام، فتغامزَ الجماعةُ، وأجمعوا على أنَّه ذلك الرَّجل. فقال أحدُهم: الجماعةُ يسألون الشَّيخَ أن يُخبرهم: ما الذي كان سببُ قطعِ يده؟ فقال كما قال لي: يدٌ جَنت فقُطعت. فقيل له لقد سَمعنا هذا منك مِرارًا كثيرة، أخبرنا كيفَ كان السَّببُ؟ فقال: أنتم تعلمون أنّي من أهلِ المغرب، فوقعتْ بي مطالبةُ السَّفر، فسرتُ حتَّى بلغتُ إسكندرية، فأقمت بها اثنتي عشرةَ سنة، ثمَّ سرت منها إلى أن صرتُ بين شطا ودِمياط، فأقمت اثنتي عشرةَ سنة، فقيل له: مكانك، إلى ههنا انتهينا، إسكندريةُ بلدٌ عامر، أمكن أن تُقيمَ بها [وما] بين شطا ودمياط لا زرعَ ولا ضرع، أيشٍ كان قوتُك مُدّةَ اثنتي عشرة سنة؟ فقال: نعم، كان في النَّاسِ خيرٌ في ذلك الزمان، وكان يخرجُ من مصرَ خلقٌ كثيرٌ يُرابطون

(١) في (أ): بكير.
(٢) في (أ): يتذاكرون.
(٣) في (أ): فخطر له طيبة الحرم، فخطر في سره.

بدمياط، وكنتُ قد بنيتُ لي كوخًا على شاطىء خليجٍ، وكنتُ أجيءُ من ليلٍ إلى ليلٍ إلى تحت السُّور، فإذا أفطرَ المُرابطون نفضوا سُفَرَهم خارج السُّور، فأزاحمُ الكلاب على قمامة السُّفَرِ، فآخذُ كفايتي، وكان هذا قوتي في الصّيف قالوا: ففي الشّتاء؟ قال: نعم. ثمَّ قال: كان ينبتُ حول الكوخ من هذا البَرديِّ الجافي، فيخضُبُ في الشّتاء، فأقلعُه، فما كان منه في التُّراب، فيخرج غضًّا أبيض، فآكله، وأرمي بالجافي[1] الأخضر منه، فكان هذا قوتي إلى أن نُوقرتُ[2] في سرِّي: يا أبا الخير، تزعُمُ أنَّك لا تُشاركُ الخلق في أقواتهم، وتُشير إلى التَّوكُّلِ، وأنت في وسط المعلوم جالس؟! فقلت: إلهي وسيِّدي ومولاي، وعزَّتك لا مَددتُ يدي إلى شيءٍ ممَّا تُنبته الأرض، حتَّى تكونَ أنت الموصلَ إليَّ رزقي من حيث لا أكون أنا أولاً فيه[3]، فأقمت اثني عشر يومًا أُصلِّي الفرضَ والسنة[4] وأتنفَّلُ، ثمَّ عجزتُ عن النَّافلة، فأقمت اثني عشر يومًا أُصلِّي الفرضَ والسُّنة، ثمَّ عجزتُ عن السُّنة، فأقمتُ اثني عشر يومًا أُصلِّي الفرض لا غير، ثمَّ عجزتُ عن القيام، فأقمتُ اثني عشر يومًا أُصلِّي جالسًا، ثمَّ عجزتُ عن الجلوس، فرأيتُ إن طرحتُ نفسي ذهبَ فرضي، فلجأتُ إلى الله بسِرِّي فقلت: إلهي وسيِّدي، افترضتَ عليَّ فرضًا تسألُني عنه، وضمنتَ لي رِزقًا تقيمُه لي[5]، فتفضَّلْ عليَّ برزقي، ولا تُؤاخذني بما اعتقدتُهُ معك. فوعزَّتك لأجتهدَنَّ أنِّي لا حللتُ عَقْدًا عقدته معك. فإذا بين يديَّ قرصان بينهما شيءٌ، ولم يذكر أيش كان ذلك الشَّيء، ولم يسأله أحدٌ من الجماعة. قال: فكنتُ أجدُه على[6] دائمِ وقتي من ليلٍ إلى ليل.

---

(١) في (أ): بالجاسي.

(٢) ناقره مناقرةً ونقارًا: راجعه في الكلام. متن اللغة

(٣) في (ب): أنا أولى فيه.

(٤) في (أ): الفرض وأتنفل.

(٥) في (أ): تقيم لي.

(٦) في (ب): فكنت آخذه على.

ثمَّ طُولبت بالمسير إلى الثَّغر، فسرتُ حتَّى دخلتُ قريةً، وكان ذلك يوم جمعةٍ، فوجدتُ في صحن الجامع قاصًّا يتكلَّمُ على النَّاس، وحوله حَلْقةٌ، فوقفت بينهم أسمعُ ما يقول، فذكر قصَّةَ زكريا عليه السَّلام، والمنشار، وما كان من خطابِ الله تعالى لزكريا حين هربَ منهم، فنادته الشَّجرةُ: إليَّ يا زكريا. فانفرجتْ، فدخلَها، وانطبقت عليه، ولحقه العدوُّ[(١)]، فتعلَّق عباءَته، وناداهم: إليَّ هذا زكريا، ثمَّ أخرجَ لهم حيلةَ المنشار، فنُشرتِ الشَّجرةُ حتَّى بلغَ المِنشارُ رأسَ زكريا فأنَّ منه أنَّةً، فأوحى الله إليه: يا زكريا لئن صعدتْ منك أنَّةٌ ثانيةٌ، لأمحونَّكَ من ديوان النُّبوة. فعضَّ زكريا على الصَّبر حتَّى قُطعَ شطرين، فقلت في نفسي: لقد كان زكريا صبَّارًا، إلهي وسيِّدي لئن ابتليتني لأصبرَنَّ.

وسرتُ حتَّى دخلت أنطاكيةَ، فرآني بعضُ إخواني، وعلم أني أُريد الثَّغرَ، فدفعَ إليَّ سيفًا وترسًا وحربةً للسبيل، فدخلتُ الثَّغر، وكنت حينئذ أحتشمُ من الله أن آوي إلى وراء السُّور خِيفةً من العدو، فجعلتُ مقامي في غابةٍ، أكونُ فيها بالنَّهار، وأخرج باللَّيل إلى شاطئ البحر، فأغرِزُ الحربةَ على السَّاحل، وأُسند التُّرسَ إليها محرابًا، وأتقلَّدُ سيفي، وأُصلِّي إلى الغداة، فإذا صلَّيتُ الصّبح، غدوتُ إلى الغابة[(٢)]، فكنتُ فيها نهاري أجمع، فنظرتُ في بعضِ الأيام إلى شجرةِ بُطْمٍ[(٣)] قد بلغ بعضُه، وبعضُه أحمر وبعضُه أخضر، وقد وقع عليه النَّدى، وهو يَبرُقُ، فاستحسنته، وأُنسيتُ العهد مع الله تعالى وقسمي به: إنِّي لا أَمدُّ يدي إلى شيءٍ ممَّا تُنبتُه الأرض. فمددتُ يدي إلى الشَّجرة، فقطعتُ منها عنقودًا، وجعلتُ

---

(١) العدو هو الشيطان لعنه الله.

(٢) في (ب): عدت إلى الغابة.

(٣) البُطم: الحبة الخضراء، أوشجرها، ثمرُهُ في عناقيد كالفلفل، حبها مُفرطح، مسخن، مدرٌّ باهي، نافع للسُّعال واللقوة والكلية. القاموس، متن اللغة.

بعضه في فمي وأنا ألوكُه، ثمَّ ذكرتُ العَقْد، فرميتُ ما في يدي، وبصقتُ ما في فمي، وقلتُ: حانتِ المحنةُ، ورميتُ التُّرسَ والحربة، وجلستُ في موضعي، ويدي على رأسي.

فما استقرَّ بي جلوسي حتَّى داروا بي فرسانٌ ورجّالةٌ كثيرة، وقالوا لي: قمْ. فساقوني حتَّى أخرجوني إلى السَّاحل، فإذا أمير بيَّاس[1]، وحوله جماعة على خيول ورجالة كثيرون[2]، وبين يديه جماعةٌ سودان حمّاسين[3] كانوا يقطعون الطَّريق قبل ذلك اليوم في ذلك المكان، فأسرى إليهم أميرُ بيَّاس، فكبسهم في السَّحر، وأخذ من كان منهم في الأكواخ، وافترقت الخيل تطلبُ من هربَ منهم في الغابة، فوجدوني أسودَ، ومعي سيفٌ وترسٌ وحربة، فلمَّا قُدّمتُ إلى الأمير ـ وكان رجلاً تركيًا ـ قال لي: أيشٍ أنت؟ قلتُ: عبدٌ من عبيد الله تعالى. فقال للسُّودان: تعرفونه؟ قالوا: لا قال: بلى، هو رئيسُكم، وإنَّما تفدونَه بأنفسكم، لأقطعنَّ أيديَكم وأرجلَكم، قدّموهم. فلم يزل يُقدِّمُ رجلاً رجلاً، ويقطعُ يدَه ورجلَه حتَّى انتهى إلى آخرهم، فقال لي: تقدَّم مُدّ يَدكَ. فمددتُها، فقُطعت، ثمَّ قال لي: مُدّ رجلك. فمددتها، ثمَّ رفعت رأسي إلى السَّماء وقلت: إلهي وسيِّدي، يدي جنتْ، رجلي أيش عملت؟ فإذا بفارسٍ قد وقف على الحلقة، ورمى بنفسه إلى الأرض، وصاح: أيش تعملون؟ تُريدون تنطبق الخضراءُ على الغبراء؟ هذا رجلٌ صالح يُعرف بأبي الخير المُباحي. وكنتُ حينئذ أُعرف بالمباحي. فرمى الأميرُ نفسَه من فرسه، وأخذَ يدي المقطوعة من الأرض يُقبّلها، وتعلّقَ بي يبكي، ويقول: سألتُكَ

---

(١) بيّاس: مدينة شرقي أنطاكية، وغربي المصيصة، قريبة من جبل اللكام. معجم البلدان.

(٢) في (أ) جماعة خيول ورجالة كثيرة.

(٣) رجل حمس: شديد قوي صلب في القتال، انظر القاموس. وفي (أ): جماشين.

بالله إلاَّ جعلتني في حلٍّ. فقلت له: قد جعلتُكَ في حلٍّ من أولِ ما قطعتها، هذه يدٌ جَنت فقُطعت. ثمَّ بكى، وقال: فأيُّ مُصيبةٍ أعظمُ من مُصيبتي هذه! قُطعت يدي، وانقطعت عنّي القُرْصان[1]

* * *

(١) المختار ٢/ ٢٦٤-٢٦٨، مختصر تاريخ دمشق ٢٨/ ٢٦٢، نفحات الأنس ٣٠٩.

(٧٢) أبو بكر الكتاني(*)

ومنهم: أبو بكر محمد بن علي بن جعفر الكتَّاني، أصلُه من بغداد.

صحبَ: الجُنيد، والنُّوري، وأبا سعيد الخرّاز.

أقام بمكَّة مجاورًا بها إلى أن مات في سنة اثنتين وعشرين وثلاث مئة[1]

وكان أحدَ الأئمة المُشار إليهم في علومهم في الطَّريقة.

وكان المُرتعش يقول: الكتاني سراجُ الحَرَم[2]

قال رحمه الله. إنَّ لله تعالى ريحًا تسمّى الصَّبحيةَ مخزونةً تحت العرش، تهبُّ عند الأسحار، تحملُ الأنين والاستغفار إلى الملك الجبّار[3]

(*) طبقات الصوفية ٣٧٣، حلية الأولياء ١٠/٣٥٧، تاريخ بغداد ٤/١٢٧، الرسالة القشيرية ١٠١، الأنساب ١٠/٣٥٤، صفة الصفوة ٢/٤٥٥، المختار من مناقب الأخيار ٤/٤٠٣، تاريخ مدينة دمشق ٥٤/٢٥١، مختصر تاريخ دمشق ٢٣/٧١، سير أعلام النبلاء ١٤/٥٣٣، العبر ٢/١٩٤، الوافي بالوفيات ٤/١١١، مرآة الجنان ٢/٢٨٦، طبقات الأولياء ١٤٤، العقد الثمين ٢/١٤٩، النجوم الزاهرة ٢/٢٩٦، نفحات الأنس ٢٦٣، الكواكب الدرية ٢/١٤٥، ٤/٩٧، جامع كرامات الأولياء ١/١٠٤

(١) طبقات الصوفية ٣٧٣

(٢) طبقات الصوفية ٣٧٣، تاريخ بغداد ٤/١٢٨

(٣) طبقات الصوفية ٣٧٣، المختار ٤/٤٠٥، تاريخ دمشق ٥٤/٢٥٢.

وقال: إذا سألتَ الله التَّوفيق، فابتدئ بالعمل[1]

وسأله بعضُ المريدين، فقال له: أوصني فقال: كُنْ كما تُرِي النَّاس، وإلاَّ فأَرِ النَّاسَ كما تكون[2]

وقال: كنْ في الدُّنيا ببدنك، وفي الآخرة بقلبك[3]

وقال: الشُّكرُ في موضعِ الاستغفارِ ذنب، والاستغفارُ في موضع الشُّكر ذنب[4]

وقال: روعةٌ عند انتباهٍ من غفلةٍ، وانقطاعٌ عن حظِّ النَّفسانية، وارتعادٌ من خوفِ قطيعةٍ، أفضلُ من عبادةِ الثَّقلين[4]

وقال: وجودُ العطاء من الحقِّ شهود الحقِّ بالحقِّ؛ لأنَّ الحقَّ دليلٌ على كلِّ شيءٍ، ولا يكون شيءٌ دونه دليلاً عليه[4]

ورُوي: أنه نظرَ إلى شيخٍ كبيرٍ أبيضَ الرَّأس واللِّحية يَسألُ النَّاس، فقال: هذا رجلٌ ضيَّع أمرَ الله في صغره، فضيّعه الله في كبره[5]

وقال: إذا صحَّ الافتقارُ إلى الله تعالى، صحَّ الغنى به؛ لأنهما حالان لا يتمُّ أحدُهما إلاَّ بصاحبه[6]

وقال: الشَّهوةُ زِمامُ الشَّيطان، من أخذ بزمامه كان عبدَه[7]

وسُئل عن السُّنة التي لم يتنازعْ فيها أحدٌ من أهل العلم، فقال: الزُّهدُ في الدُّنيا، وسخاوةُ النَّفس، ونصحيةُ الخلق[8]

---

(١) طبقات الصوفية ٣٧٤، الحلية ١٠/ ٣٥٨، المختار ٤/ ٤٠٤.
(٢) طبقات الصوفية ٣٧٤، تاريخ دمشق ٥٤/ ٢٥٥.
(٣) طبقات الصوفية ٣٧٤، المختار ٤/ ٤٠٥
(٤) طبقات الصوفية ٣٧٤، المختار ٤/ ٤٠٤، الحلية ١٠/ ٣٥٨
(٥) طبقات الصوفية ٣٧٥، الرسالة القشيرية ١٠١، المختار ٤/ ٤٠٦
(٦) طبقات الصوفية ٣٧٦، الحلية ١٠/ ٣٥٨، المختار ٤/ ٤٠٤
(٧) طبقات الصوفية ٣٧٥، الرسالة القشيرية ١٠١، المختار ٤/ ٤٠٥
(٨) طبقات الصوفية ٣٧٦، وانظر الرسالة القشيرية ٢٠٣ (الزهد).

وقال: الغافلون يعيشون في حلمِ الله[1]، والذَّاكرون يعيشون في رحمةِ الله، والعارفون يعيشون في لُطف الله، والصَّادقون يعيشون في قُرب الله[2].

وسُئل عن حقيقة الزُّهد، فقال: حقيقة الزُّهد فَقْدُ الشَّيءِ، والسُّرورُ من القلبِ بفقده، وملازمةُ الجهد إلى الموت، واحتمالُ الذُّلِّ صبرًا، والرِّضا به حتَّى تموت[3].

وقيل له: مَنِ العارف؟ فقال: من يُوافقُ معروفه في أوامرِهِ، ولا يُخالفُه في شيءٍ من أحواله، ويتحبَّبُ إليه بمحبَّة أوليائه، ولا يفترُ عن ذِكرِهِ طرفةَ عينٍ[4].

وقال: من كان اللهُ همَّتَه لا يستقطعه من الكون شيءٌ، ولا يأسرُهُ من زينتها قليلٌ ولا كثير[5].

وسُئل عن المُتَّقي، فقال: من اتَّقى ما لَهِجَ به العوامُّ من مُتابعة الشَّهواتِ ورُكوبِ المخالفات، ولزمَ باب الموافقة، وأَنس براحةِ اليقين، واستندَ إلى ركنِ التَّوكُّلِ، وأَتتهُ الفوائدُ من الله في كلِّ حالٍ، فلم يغفل عنها[6].

وقيل له من الصُّوفي؟ فقال: مَنْ عزفت نفسُه عن الدُّنيا تظرُّفًا، وعلت همَّتُه عن الآخرة، وسخت نفسُه بالكلِّ طلبًا وشوقًا إلى من له الكلُّ[7].

---

(١) في (ب): العاقلون يعيشون في حكم الله تعالى.

(٢) طبقات الصوفية ٣٧٦، الحلية ١٠/ ٣٥٨، المختار ٤/ ٤٠٤

(٣) طبقات الصوفية ٣٧٤، المختار ٤/ ٤٠٥. وفي (أ): واحتمال الأذى.

(٤) طبقات الصوفية ٣٧٤، وفي (أ): معروفه في أول مرة.

(٥) طبقات الصوفية ٣٧٦

(٦) طبقات الصوفية ٣٧٦، حلية الأولياء ١٠/ ٣٥٨، وفي (أ): ولزموا. وأنسوا. . واستندوا. وأتتهم. يغفلوا.

(٧) طبقات الصوفية ٣٧٧.

وقال: الصُّوفيةُ عبيدُ الظَّواهر، أحرارُ البواطن[١]

وقال: سماعُ العوامِّ على مُتابعة الطَّبع، وسماعُ المُريدين رغبةٌ ورهبةٌ، وسماعُ الأولياء رؤيةُ الآلاء والنَّعماء، وسماعُ العارفين على المُشاهدة، وسماعُ أهلِ الحقيقة على الكشفِ والعِيان. ولكلٍّ واحدٍ من هؤلاء مصدرٌ ومقام[١]

وقال: المواردُ تردُ، فتصادفُ شكلاً أو موافقةً، فأيُّ واردٍ صادفَ شكلاً مازجَهُ، وأيُّ واردٍ صادف مُوافقًا ساكنه[٢]

وقال: المُستمع يجبُ أن يكونَ في سماعِهِ غيرَ مُستروحٍ إليه، يهيجُ [السّماع] منه وجدًا وشوقًا، وغلبة واردٍ عليه يفنيه عن كلِّ مَسكونٍ ومألوف. وأنشد على أثره:

فالشَّوقُ والوجدُ في مكاني ... قد مَنعاني من القرارِ
هما معي لا يُفارقاني ... فذا شِعاري وذا دثاري[٣]

وقال: حقائقُ الحقِّ إذا تجلَّت لسرٍّ، أزالتْ عنه الظَّنون والأماني، لأنَّ الحقَّ إذا استولى على سرٍّ قهره، ولا يَبقى للغيرِ معه أثر[٤]

وقال: العلمُ بالله أتمُّ من العبادة له[٥]

وقال: إنَّ اللهَ نظرَ إلى عبيدٍ من عبيده، فلم يرَهم أهلاً لمعرفته، فشغلَهم بخدمته[٦]

---

(١) طبقات الصوفية ٣٧٥، المختار ٤/ ٤٠٥.
(٢) طبقات الصوفية ٣٧٥
(٣) طبقات الصوفية ٣٧٥، تهذيب الأسرار ٣٣٣، تاريخ دمشق ٥٤/ ٢٥٩
(٤) طبقات الصوفية ٣٧٧، وفي (أ): تجلت لشيء.
(٥) طبقات الصوفية ٣٧٧
(٦) طبقات الصوفية ٣٧٥، المختار ٤/ ٤٠٤.

وقال: قُسمت الدُّنيا على البلوى، وقُسمت الجنَّة على التَّقوى[1]

وقال: من حكم المريد أن يكونَ فيه ثلاثةُ أشياء: نومُهُ غلبةٌ، وأكلُه فاقةٌ، وكلامُه ضرورة[2]

وقال: لولا أنَّ ذكرَه فرضٌ عليَّ ما ذكرته إجلالاً له، مثلي يَذكرُه ولم يغسلُ فمَه بألفِ توبةٍ متقبَّلةٍ عن ذكره[3]

وأنشدوا في المعنى:

مـا إنْ ذكـرتـك إلاَّ هَـمَّ يَلعننـي قلبِي وسرِّي ورُوحي عند ذكراكَا
حتَّى كأنَّ رَقيبًا منكَ يَهتفُ بي إيَّـاكَ ويحـكَ والتَّـذكـارَ إيَّـاكـا[4]

وقال: التَّصوفُ خُلُقٌ، من زادَ عليك في الخُلُق، زادَ عليك في التَّصوف[5]

وقال: لم يفتحِ اللهُ لسانَ المؤمنِ بالمعذرة، إلاَّ لفتحِ باب المغفرة[6]

وقال: كان عندنا بمكَّة فتًى عليه أطمارٌ رثَّةٌ، وكان لا يُداخلنا ولا يُجالسنا، فوقع محبَّتُه في قلبِي، ففُتح لي بمئتي درهم من وجهِ حلال، فحملتُها إليه، ووضعتُها على طرف سجَّادته، وقلت له. إنَّ هذا فُتح لي من وجهِ حلال، تصرفه في بعضِ أُمورك. فنظرَ إليَّ شزرًا، ثمَّ قال لي: اشتريتُ هذه الجلسة مع الله على الفراغ بسبعين ألفِ دينار، غير الضِّياع والمستغلاَّت، تريدُ أن تَخدعني عنها بهذه؟! ثمَّ قام وبدَّدَها، وقعدتُ

---

(١) تاريخ دمشق ٥٤/ ٢٥٩

(٢) الرسالة القشيرية ٣٠٨ (الإرادة)، تهذيب الأسرار ٢٥٠، المختار ٤/ ٤٠٥

(٣) الرسالة القشيرية ٣٣٤ (الذكر)، تاريخ بغداد ٤/ ١٢٩، المختار ٤/ ٤٠٤، وفي (أ): ولم يشغل فمه.

(٤) الرسالة القشيرية ٣٣٤ (الذكر) وفيها إلاَّ هَمَّ يزجرني. وقد تقدم البيتان صفحة ٦٦٣ قال العروسي في شرح الرسالة: أي: إذا شرعت في ذكرك يا إلهي، قام زاجر بقلبي وسري وروحي يبعدني عن ذكرك، وكأن محذراً يحذرني بقوله: إياك أن تقرب للذكر إياك؛ لكوني لست أهلاً له.

(٥) الرسالة القشيرية ٣٥٤ (الخلق)، ٤٠١ (التصوف)، تهذيب الأسرار ٢٩، ٢٢٢.

(٦) الرسالة القشيرية ٣٨٥ (الدعاء)، المختار ٤/ ٤٠٦.

أَلتقطُها، فما رأيتُ كعزِّه حين قامَ وذهب، ولا كذُلِّي حين كنتُ التقطتُها[1]

وقال له بعضُ الفقراء: أَوصني. فقال: اجتهدْ أن تكونَ كلَّ ليلةٍ ضيفَ مسجدٍ، وأن لا تموتَ إلاَّ بين مَنْزلين[2]

وقال محمد بن إسماعيل الفرغاني رحمه الله: كُنَّا نسافر مقدارَ عشرين سنة، أنا وأبو بكر الزَّقَّاق، والكتَّاني لا نختلطُ بأحدٍ، ولا نعاشرُ أحدًا، فإذا قدمنا بلدًا، فإن كان فيه شيخٌ سلّمنا عليه، وجالسناه إلى اللَّيل ثمَّ نرجعُ إلى مسجدٍ، فيصلي الكتَّاني من أوَّلِ اللَّيل إلى آخره، ويختمُ القرآنَ، ويجلس الزَّقَّاق مستقبلَ القبلة، وكنتُ أنا أستلقي متفكّرًا إلى أن نُصبح ونُصلّي صلاةَ الفجرِ على وضوءِ العشاء. فإذا وقع معنا أحدٌ ينام كنّا نراه أفضلَنا[3]

وكان إذا سافر الفقيرُ إلى اليمن، ثمَّ عاد إليه مرَّةً أُخرى يأمرنا بهجرانه، وإنَّما كان يفعلُ ذلك لأنَّهم كانوا يسافرون إلى اليمن في ذلك الوقت لالتماس الرّفق[4]

ورُوي: أنَّه استأذنَ أمَّه في الحجِّ مرَّة، فأذنت له، فخرجَ، فأصابَ ثوبَه البولُ في البادية، فقال: إنَّ هذا الخلل في حالي. فانصرفَ، فلمَّا دقَّ بابَ داره أجابته أمُّه، وفتحتِ البابَ، فرآها جالسةً خلفَ الباب، فسألها عن جُلوسها، فقالت: منذ خرجتَ اعتقدْتُ أنّ لا أبرح من هذا الموضع حتَّى أراك[5]

وقال: صحبني رجلٌ، وكان ثقيلاً على قلبي، فوهبتُ له شيئًا ليزولَ

---

(١) الرسالة القشيرية ٣٩٧ (الفقر)، المختار ٥/ ٤٣٦

(٢) الرسالة القشيرية ٤١١ (السفر)، تاريخ دمشق ٥٤/ ٢٥٤

(٣) الرسالة القشيرية ٤١٢ (السفر)، تاريخ دمشق ٥٤/ ٢٥٤

(٤) الرسالة القشيرية ٤١٤ (السفر)

(٥) الرسالة القشيرية ٤١٤ (السفر)، تهذيب الأسرار ٢٦٣، المختار ٤/ ٤٠٧.

ما في قلبي، فلم يَزُلْ، فحملته إلى بيتي، وقلت له: ضعْ رجلَك على خدِّي. فأبى، فقلت له: لا بُدَّ تفعل. فاعتقدْتُ أن لا يرفعَ رجله عن خدّي حتَّى يرفعَ اللهُ ذلك من قلبِي الذي كنتُ أجدُه، فلمَّا زالَ عن قلبِي ما كُنتُ أجده، قلت له: ارفع الآنَ رجلَك[1]

وقال: المحبَّةُ الإيثارُ للمحبوب[2]

وقال: كنتُ في طريقِ مكَّة في وسطِ السَّنة، فإذا أنا بِهميان مَلآن يلمعُ دنانير، فهممتُ أن أحملَهُ؛ لأُفرِّقَهُ بمكَّة على الفقراء، فهتفَ بي هاتفٌ: إن أخذتَهُ سلبناك فقرَكَ. قال: فتركته[3]

وقال: رأيتُ بعض الصُّوفية، وكان غريبًا، ما كنت أثبتُه[4]، فتقدَّمَ إلى الكعبة، وقال. يا رب، لا أدري ما يقولُ هؤلاء ـ يعني الطَّائفين ـ [فقيل له:] انظر ما في هذه الرّقعة، قال: فطارتِ الرّقعة في الهواء وغابَتْ[5]

وقال: رأيتُ النَّبيَّ عليه السَّلام في المنام، فقال لي: من تزيَّنَ للنَّاس بشيءٍ يعلم اللهُ منه خلافَه شانَهُ الله[6]

وقال: رأيتُه ﷺ مرَّةً أُخرى في المنام، فقلتُ: يا رسول الله، ادعُ الله أن لا يُميت قلبِي. فقال لي: قل في كلِّ يومٍ أربعين مرَّة: يا حيُّ يا قيّومُ، لا إله إلاَّ أنت [فإن الله يُحيي قلبَك][7]

وقال: كان عندنا بمكَّةَ رجلٌ من أصحابنا، هاجت عيناه، فقيل له: ألا

---

(١) الرسالة القشيرية ٤١٩ (الصحبة)، المختار ٤/ ٤٠٧، تاريخ دمشق ٥٤/ ٢٥٥
(٢) الرسالة القشيرية ٤٥٠ (المحبة).
(٣) الرسالة القشيرية ٥١٢ (كرامات الأولياء)، المختار ٤/ ٤٠٦.
(٤) أي ما كنت أعرفه
(٥) الرسالة القشيرية ٥١٤ (كرامات الأولياء)، تاريخ دمشق ٥٤/ ٢٥٩
(٦) الرسالة القشيرية ٥٢٩ (رؤيا القوم).
(٧) الرسالة القشيرية ٥٣١ (رؤيا القوم)، وما بين معقوفين مستدرك منه.

تُعالجُهما؟ فقال: عزمتُ أن لا أعالجَهما، وتركهما حتَّى تبريا[1] قال: فرأيتُ في المنام كأن قائلاً يقول: لو كان هذا العزمُ على أهلِ النَّار كلِّهم، لأخرجناهم من النَّار[2]

قال: رأيتُ في المنام شابًّا لم أرَ أحسنَ منه، فقلتُ: من أنتَ؟ فقال: أنا التَّقوى. قلتُ: فأين تَسكنُ؟ قال: في كلِّ قلبٍ حزينٍ. قال: ثمَّ التفتُّ، فإذا بامرأةٍ سوداء كأوحش ما يكون، فقلت: من أنتِ؟ فقالت: الضَّحكُ. قلت: فأين تَسكنين؟ فقالت: في كلِّ قلبٍ فرحٍ مرح. قال: فانتبهتُ، واعتقدتُ أن لا أضحكَ إلاَّ غلبة[3]

وقال: قال لي عليُّ بن سعيد: رأيتُ في المنام امرأةً لا تُشبه نساءَ أهلِ الدُّنيا، فقلت لها: من أنت؟ قالت: حوراء؟ قلت: زوّجيني نفسَك. قالت: اخطبني إلى سيِّدي [وأمهر لي]. قلت: فما مَهرُكِ؟ قالت: حبسُ النَّفس عن مألوفاتها[4]

وروى: أنَّ فقيرًا شكا إليه ما يلحقهُ، فقال له إنَّ إبراهيمَ بنَ أدهم خرجَ يومًا، فنظرَ[5] إلى الفقراءِ، وقال: يا أهلَ بلاءِ الله في نعمه، وأهلَ نعمِ الله في بلائه، إنَّ اللهَ قد أرادكُم للبلاء أهلاً، فاجعلوه للصبرِ أهلاً

وقال: النُّقباءُ ثلاثُ مئة، والنُّجباءُ سبعون، والأبدالُ أربعون، والأَخيارُ سبعة، والعُمداء أربعة، والغوث واحد. فمسكنُ النُّقباءِ المغرب، ومسكنُ النُّجباء مصر، ومَسكنُ الأبدال الشَّام، والأَخيارُ سيَّاحون في الأرض، والعُمداء في زوايا الأرض، ومَسكنُ الغوثِ مكَّة. فإذا عرضت الحاجةُ من أمرِ العامَّةِ، ابتهلَ فيها النُّقباء، ثمَّ النُّجباء، ثمَّ

---

(١) في (ب): حتى يرى.

(٢) الرسالة القشيرية ٥٣٥ (رؤيا القوم)، تهذيب الأسرار ٥٥٢.

(٣) الرسالة القشيرية ٥٣٧ (رؤيا القوم)، تهذيب الأسرار ٥٥٨، المختار ٤/ ٤٠٦.

(٤) في تهذيب الأسرار ٥٥٤ الخبر من رواية ابن شبة الطلحي.

(٥) في (أ): فنظرت.

الأبدال، ثمَّ الأخيار، ثمَّ العُمداء، فإذا أُجيبوا، وإلاَّ ابتهلَ الغوثُ، فلا يُتمُّ مسألتَه حتَّى تُجابَ دعوته[1]

وقال: حدّثني أبو بكر بن شاكر وناهيك به قال: حدّثني أبو يعقوب الأُبُلّي عن شيخه أبي جعفر الآجرِّي أنَّه كان يُوقد أَتُونًا له من الآجرِّ، فحضره يهوديٌّ، فجرى بينه وبينه مُناظرةٌ في دين الإسلام ودينِ اليهودية، واليهوديُّ يأبى أن يحتجَّ إلاَّ لليهودية، فقال له أبو جعفر: أنا أُريكَ آيةَ ذلك. قال: هاتِ ثوبَك قال: فأخذ ساجَ اليهوديِّ ـ يعني طيلسانه ـ فلفّه في رِدائه، ثمَّ زجَّ به في الأَتُون وهو يَشتعل، ثمَّ قال لليهودي: ادخلْ فأخرجْه. فاستعظمَ اليهودي ذلك، وتعجَّب من قوله، فاهتاج[2] أبو جعفر وقويتْ عليه الحالُ، فدخلَ كما هو في الأتُون من باب، وخرجَ من بابٍ آخر، والثَّوبُ في يده لم يحترق، فنشرَهُ فإذا ساجُ اليهودي قد احترق في جوف الثَّوب، والثَّوبُ سالِمٌ، فأسلم اليهودي[3]

وقال: كان مُنبِّه المصري[4] يجتمعُ مع أصحابنا بالرَّملة على السَّماع، فطاب قلبُه في بعض اللَّيالي وتحرَّكَ، فبقي معلَّقًا من الأرض شبه ذراعين[5]، ثمَّ خرج، فطرح نفسَه على مصطبةٍ كانت على باب داره، فلمَّا كان الغداةُ خرجَ أصحابُنا، فوجدوه ميتًا.

وقال: كان لأبي جعفر الدّينوري أخٌ كان مُقيمًا[6] بالشَّام، إلاَّ أنَّه كان لا يُقيم في مدينةٍ ولا قريةٍ أكثرَ من يومٍ أو ليلة، ثمَّ يخرجُ إلى قريةٍ أخرى،

---

(١) تاريخ بغداد ٤/ ١٢٩، ١٣٠، المختار ٤/ ٤٠٤

(٢) في (ب): فتهايج.

(٣) الرسالة القشيرية ٥٠٥ (كرامات الأولياء)، وتهذيب الأسرار ٣٦٠، وتاريخ بغداد ٦/ ٢١١، والمختار ١/ ٢٨٦

(٤) في (ب): منية البصري.

(٥) في (أ): متعلقًا من الأرض شبيه.

(٦) في (ب): يكون مقيمًا.

فاتَّفقَ أنَّه دخلَ إلى قريةٍ، فاعتلَّ بها سبعةَ أيام لم يأكلْ ولم يشرب ولم يُكلِّمْه أحدٌ، فمات، فأصبح القومُ يوم الثَّامن فوجدوه ميتًا، فغسَّلوه، وحنَّطوه، وكفَّنوه، وصلُّوا عليه، وحملوه ليدفنوه، فجاءَ النَّاسُ من كلِّ قريةٍ إليهم، وقالوا: سمعنا صائحًا يصيح: مَنْ أرادَ أن يحضرَ جنازةَ وليٍّ من أولياء الله، فليحضرْ قريةَ كذا وكذا. قال: فصلُّوا عليه، ودفنوه، فلمَّا كان من الغد وجدوا الكفنَ والحَنُوطَ مصرورًا في مِحرابهم، ومعه كتابٌ فيه مكتوبٌ: لا حاجةَ لنا في كفنكم، هذا يُقيمُ بين أظهركم وهو وليٌّ من أولياء الله، سبعةَ أيام لا عُدتمُوه، ولا علَّلتموه، ولا أطعمتموه، ولا سَقيتموه، ولا كلَّمتموه. قال الكتَّاني: فاستيقظَ أهلُ[1] تلك القرية، وجعلوا فيها بيتًا للضِّيفان[2].

وقال: الأُنسُ بالمخلوقين عقوبةٌ، والقربُ من الدُّنيا وأبنائها مَعصيةٌ، والرّكونُ إليهم مذلّة[3].

وقال: دخلتُ الباديةَ، فرأيت فقيرًا ميتًا وهو يَضحك، فقلت له أَتضحكُ وأنت ميتٌ؟ فقال: هكذا محبّو الله[4].

وقال: جاءني بعضُ الفقراء يبكي، وحكى عن نفسه أنَّه بقي عشرةَ أيام لم يأكلْ شيئًا، فشكا إلى بعضِ إخوانه الجوعَ، ثمَّ قال: مررتُ ببعضِ الأزقَّة، فنظرت إلى دِرهمٍ مطروحٍ، عليه مكتوبٌ: أما كان اللهُ تعالى بجوعِكَ عالِمًا حتَّى قلت: إنِّي جائع؟![5]

وقال: العبادةُ اثنان وسبعون بابًا، واحدٌ وسبعون منها في الحياء

---

(١) في المختار: فجعل أهل.

(٢) صفة الصفوة ٤/ ٢٩٢، المختار ٥/ ٢٤٩

(٣) تهذيب الأسرار ٧٩، المختار ٤/ ٤٠٦

(٤) تهذيب الأسرار ٥٩

(٥) تهذيب الأسرار ١٣٤، ١٦٩، المختار ٤/ ٤٠٦

من الله تعالى، وواحدٌ في أنواع البر[1]

وقال: وجدنا دينَ الله مبنيًّا على ثلاثةِ أركان: على الحقِّ، والعدل، والصّدق. فالحقُّ على الجوارح، والعدلُ على القلوب، والصّدقُ على العقول[2]

وقال: قال أبو حمزة: يقولُ الله تعالى: ما من عبدٍ يُصبحُ في الدُّنيا وفي قلبه همَّان، إلاَّ وأنا منه بريءٌ، وهو منيّ بريءٌ: همُّ المعاصي، وهمُّ المال.

وقال: أشهى الطَّعامِ لقمةٌ من ذكرِ الله، في فم اليقين، بتوحيد الله، ترفعُها من مائدةِ الرِّضا عن الله، عند حُسنِ الظَّنِّ بكرامات الله[3]

وقال: إنَّ أصواتَ الأحزان تهيجُ من ميادين الفكر[4]

* * *

---

(١) تهذيب الأسرار ٤٤٥

(٢) تهذيب الأسرار ١٨٦، المختار ٤/٤٠٦.

(٣) تهذيب الأسرار ٨٩. وانظر صفحة ٥٨٣ (٦).

(٤) تهذيب الأسرار ٤٦١، المختار ٤/٤٠٦.

(٧٣) أبو يعقوب النَّهْرَجُوري(*)

ومنهم: أبو يعقوب إسحاق بن محمد النَّهْرَجُوري من علماء مشايخهم.

صحبَ: الجُنيد، وعمرَو بن عُثمان المكِّي، وأبا يعقوب السُّوسِي، وغيرهم من المشايخ.

أقام بالحرم(١) سنين كثيرة مُجاورًا، وماتَ به سنة ثلاثين وثلاث مئة(٢).

كان أبو عُثمان المغربي يقول: ما رأيتُ في مشايخنا أنورَ من النَّهْرَجُوري(٣).

وقال في البقاء والفناء: هو [فناء] رؤيةِ قيام العبد لله، وبقاءُ رؤيةِ قيامِ الله في الأحكام(٤).

(*) طبقات الصوفية ٣٧٨، حلية الأولياء ١٠/ ٣٥٦، الرسالة القشيرية ١٠٢، المنتظم ٦/ ٣٢٦، المختار من مناقب الأخيار ١/ ٤٠٣، سير أعلام النبلاء ١٥/ ٢٣٢، العبر ٢/ ٢٢١، الوافي بالوفيات ٨/ ٤٢٣، مرآة الجنان ٢/ ٢٩٧، البداية والنهاية ١١/ ٢٠٣، طبقات الأولياء ١٠٥، العقد الثمين ٣/ ٢٩٠، النجوم الزاهرة ٣/ ٢٧٥، نفحات الأنس ١٩٥، طبقات الشعراني ١/ ١١١، الكواكب الدرية ٢/ ٥٧، شذرات الذهب ٢/ ٣٢٥

(١) في (أ): بالحرمين.

(٢) طبقات الصوفية ٣٧٨، وفي الرسالة القشيرية ١٠٢ سنة ثلاث مئة.

(٣) طبقات الصوفية ٣٧٨، تهذيب الأسرار ٩٣، المختار ١/ ٤٠٣

(٤) طبقات الصوفية ٣٧٨، وما بين معقوفين مستدرك منه.

وقال: الصّدقُ موافقةُ العبدِ للحقِّ في السِّرِّ والعلانية، وحقيقةُ الصّدقِ القولُ بالحقِّ في مواطن الهَلَكَةِ[1]

وقال: العابدُ يعبدُ الله تحذيرًا، والعارفُ يعرفه تشويقًا[2]

وقال في معنى قولِ القائل: «احترسوا من النَّاس بسوء الظَّنِّ». فقال: بسوءِ الظَّنِّ بأنفسكم؛ لا بالنَّاس[3]

وقال: مفاوزُ الدُّنيا تُقطع بالأقدام، ومفاوزَ الآخرةِ تُقطع بالقلوب[4]

وقال: من كان شِبعُهُ بالطَّعام لم يزلْ جائعًا، ومن كان غِناه بالمال لم يزل فقيرًا، ومن قصدَ بحاجته الخلقَ لم يزل مَحرومًا، ومن استعانَ على أمره بغيرِ الله لم يزلْ مَخذولاً[5]

وقال: الذي حصَّل أهلُ الحقائق في حقائقهم أنَّ اللهَ غيرُ مفقودٍ فيُطلب، ولا ذو غايةٍ فيُدرك، ومن أرادَ مَوجودًا فهو بالموجودِ مغرور، وإنَّما الموجودُ عندنا معرفةُ حالٍ، وكشف علمٍ بلا حالٍ[6]

وقال: الدُّنيا بحرٌ، والآخرةُ ساحل، والمركبُ التَّقوى، والنَّاسُ سَفْرٌ[7]

---

(١) طبقات الصوفية ٣٧٨، المختار ١/ ٤٠٤، وتهذيب الأسرار ١٨٦

(٢) طبقات الصوفية ٣٧٩، المختار ١/ ٤٠٤، وفي (أ): يعبد الله تحريرًا، والعارف يعبد الله تشريفًا

(٣) طبقات الصوفية ٣٧٩، والحديث رواه الطبراني في الأوسط ١/ ٣٥٥ (٦٠٢) مرفوعًا عن أنس، قال الهيثمي في مجمع الزوائد ٨/ ٨٩: فيه بقية بن الوليد وهو مدلس. ورواه أحمد في الزهد ٢٤٢، من قول مطرف بن الشخِّير، وانظر ما قاله المناوي في فيض القدير ١/ ١٨١، والعجلوني في كشف الخفا ١/ ٥٥، والألباني في الأحاديث الضعيفة (١٥٦).

(٤) طبقات الصوفية ٣٧٩، المختار ١/ ٤٠٤. وسبق ذكره صفحة ٢٧٤ (٣).

(٥) طبقات الصوفية ٣٧٩، المختار ١/ ٤٠٥، وفي (ب): غير الله لم يزل.

(٦) طبقات الصوفية ٣٧٩، الحلية ١٠/ ٣٥٦، المختار ١/ ٤٠٥.

(٧) طبقات الصوفية ٣٨٠، الرسالة القشيرية ١٠٢

وقال: لا زوالَ للنِّعمةِ إذا شُكرت، ولا بقاءَ لها إذا كُفرت[١]

وقال: اليقينُ مُشاهدةُ الإيمان بالغيب[٢]

و: من عرفَ اللهَ لم يغترَّ بالله[٣]

وقال: الجمعُ عينُ الحقِّ الذي قامت به الأشياء، والتَّفرقةُ صفوةُ الحقِّ من الباطل[٣]

وأنشد:

العِلمُ بي منك وطَّا العُذرَ عندَكَ لي ... حتَّى اكتفيتُ فلم تعذِلْ ولم تَلُمِ
أقامَ علمُكَ لي فاحتَجَّ عندَكَ لي ... مقام شاهدِ عدلٍ غيرِ مُتَّهمِ[٤]

وقال: لا يصلُ العارفُ إلى ربِّه إلاَّ بقطعِ القلب عن ثلاثة أشياء: العلمِ، والعملِ، والخَلْوة[٥]

وقال لرجل: يا دَنيَّ الهمّة، فقال له: لِمَ تقولُ لي هذا أيُّها الشَّيخ؟ فقال: لأنَّ اللهَ يقول: ﴿قُلْ مَتَٰعُ ٱلدُّنْيَا قَلِيلٌ﴾ [النساء: ٧٧]. فانظرْ كم تصيبك[٦] من ذلك القليل؟ وكم في يديك منها؟ وأنتَ تَبخلُ بها، وتُريد أن يُكرِمَك النَّاسُ بسببها! لو بذلتها كنتَ قد بذلتَ قليلاً، ولو مَنعتها منعتَ قليلاً، فلا أنتَ بالمنعِ ملومٌ، ولا أنت بالبذلِ مَحمود[٧]

وقال في معنى قوله تعالى: ﴿وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍۭ بَخْسٍ﴾ [يوسف: ٢٠]. فقال: لو جعلوا ثَمنَه الكونين لكانَ بَخسًا في مشاهدته وما خُصَّ به[٨]

---

(١) طبقات الصوفية ٣٨٠، المختار ١/ ٤٠٥

(٢) طبقات الصوفية ٣٨٠، الحلية ١٠/ ٣٥٦، المختار ١/ ٤٠٤.

(٣) طبقات الصوفية ٣٨٠.

(٤) طبقات الصوفية ٣٨١.

(٥) طبقات الصوفية ٣٨١، وفيه: والعمل والخلق.

(٦) في (أ): كم يصيبك.

(٧) طبقات الصوفية ٣٨١، المختار ١/ ٤٠٥.

(٨) طبقات الصوفية ٣٨٠، المختار ١/ ٤٠٥

وقال: مشاهدةُ الأرواحِ تحقيقٌ، ومُشاهدة القلوب تَعريف[1]

وقال: إذا اقتضاني الحقُّ ربِّي بعضَ حقِّه الذي له قِبَلي، فذلك أوانُ حُزني، وإذا أذنَ لي في اقتضاءِ برِّه، فذلك أوانُ سُروري ونعمتي، إذ هو بالجودِ والوفاءِ والفضلِ مَوصوف، وأنَّ العبدَ بالعجزِ والضَّعف موصوف[1]

وقال: أعرف النَّاس بالله أشدُّهم تحيُّرًا فيه[2]

وقال: رأيتُ رجلاً في الطَّواف بفرد عينٍ، وهو يقول: أعوذُ بك منك. فقلتُ له: ما هذا الدُّعاء؟ فقال: نظرتُ يومًا إلى شخصٍ، فاستحسنتُهُ، فإذا لطمةٌ وقعتْ على بصري، فسالتْ عيني، فسمعتُ: لطمةٌ بلحظة، ولو زدْتَ لزدنا[3]

وقال: أفضلُ الأحوال ما قارب العلم[4]

وسُئل عن التَّصوف فقال: آه! آه! ﴿ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ ﴾ [البقرة: ١٣٤]. ثمَّ قال: يا أخي، زفراتُ القلوبِ ودائع[5] الحضور من حيث خاطبها الحقُّ، وهي في صُورة الذَّرِّ، فأخبر عنها إذ قال الله تعالى ﴿ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ ﴾[6] [الأعراف: ١٧٢].

وقال: كنتُ بمكَّة، فجاءني فقيرٌ معه دينار فقال: إذا كان غدًا أموت، فأصلحْ لي بنصفِ هذا قبرًا، والنِّصف لجهازي. فقلتُ في نفسي: دُوخل الشَّاب[7]، فإنه أصابه فاقةُ الحجاز. فلمَّا كان الغد، جاءَ ودخلَ الطَّواف،

---

(١) حلية الأولياء ١٠/ ٣٥٦، المختار ١/ ٤٠٥

(٢) طبقات الصوفية ٣٨٠، المختار ١/ ٤٠٦

(٣) الرسالة القشيرية ١٠٢، المختار ١/ ٤٠٦، طبقات الأولياء ١٠٦

(٤) الرسالة القشيرية ١٠٢، المختار ١/ ٤٠٦.

(٥) في (ب): بودائع.

(٦) تهذيب الأسرار ٣٢، المختار ١/ ٤٠٦.

(٧) دوخل: خولط في عقله. وفي (أ) و(ب): دخل البستان. والمثبت من الرسالة القشيرية.

ثمَّ مضى وامتدّ على الأرض، فقلت: هو ذا يتماوت، فذهبتُ وحرّكتُه، فإذا هو ميت، فدفنته كما أمَرَ[1]

وقال: التَّوكُّلُ على كمالِ الحقيقة وقعَ لإبراهيم عليه السَّلام في الوقت الذي قالَ لجبريل. أمّا إليك فلا لأنَّه غابت[2] نفسُه بالله، فلم يرَ مع اللهِ غيرَ الله[3]

وقال: أصلُ العبادات كلِّها أكلُ الحلالُ، قال الله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَـٰتِ وَٱعْمَلُواْ صَـٰلِحًا﴾[4] [المؤمنون: ٥١].

و: التَّوحيدُ له ظَاهِرٌ وباطنٌ وحقيقةٌ، فظاهرُ التَّوحيد الإسلام، وباطنُهُ الإيمان، وحقيقتُهُ التَّقوى والعملُ الصَّالح؛ لأنَّ الله تعالى قال ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّـٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾ [فاطر ١٠] فصحّةُ الإسلام بالإيمان، وصحة الإيمان بالتّقوى، والعمل الصَّالح[5]

والتّقوى لباسُ المؤمنين، وهو سترٌ لهم من الذّنوب.

وبالعملِ الصَّالح يُظهرُ اللهُ شرفَ المؤمن، فيُعرف بصلاحه، ويُحبّبه إلى عباده المؤمنين المُتّقين، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَـٰنُ وُدًّا﴾ [مريم: ٩٦] قيل في التَّفسير: في قلوب المؤمنين.

وسُئل عن اليقين، فقال: ما رأته العيون نُسبَ إلى العلم، وما شَهدتْهُ القلوبُ نُسب إلى اليقين[6]

---

(١) الرسالة القشيرية ٤٣٥ (أحوالهم عند الخروج من الدنيا)، المختار ١/ ٤٠٦

(٢) في (أ) و(ب): عاتب نفسه. والمثبت من الرسالة القشيرية

(٣) الرسالة القشيرية ٢٦٤ (التوكل)، المختار ١/ ٤٠٣.

(٤) المختار ١/ ٤٠٦

(٥) المختار ١/ ٤٠٤

(٦) المختار ١/ ٤٠٣.

وقال: أربعةٌ من معالي الدَّرجات، ويَنالُ بهنَّ ما عندَ الله وعند الخلقِ الدَّرجات، وإنْ قلَّ علمُه وعملُه: الحلم، والتَّواضع، والسَّخاء، وحُسن الخلق، وهي من كمال الإيمان(١)

وقال: إذا استكملَ العبدُ حقائقَ اليقين، صارَ البلاءُ عنده نعمةً، والرَّخاءُ مُصيبةً(٢)

وقال: المُتوكِّلُ على الحقيقةِ مَنْ قد رفعَ مؤنتَهُ عن الخلق، فلا يشكو ما به، ولا يذمُّ من منعه، لأنَّه يرى العطاءَ والمنعَ من الله تعالى(٣)

وقال: لا تُخدعوا عن التَّوكُّل؛ فإنَّه عيشٌ لأهله(٤)

وسُئل عن الطَّريقِ إلى الله، فقال: اجتنبِ الجُهلاء، واصحبِ العُلماء، واستعملِ العلمَ، ودوامَ الذِّكر(٥)

* * *

---

(١) المختار ١/ ٤٠٦

(٢) الرسالة القشيرية ٢٨٥ (اليقين)، تهذيب الأسرار ٨٩، المختار ١/ ٤٠٤.

(٣) تهذيب الأسرار ١٣٤، المختار ١/ ٤٠٣

(٤) تهذيب الأسرار ١٣٥، المختار ١/ ٤٠٣

(٥) تهذيب الأسرار ٣٢٠، المختار ١/ ٤٠٦

(٧٤) أبو الحسن المُزَيِّن(*)

ومنهم: أبو الحسن علي بن محمد المُزيِّن من أهل بغداد.

صَحِبَ: سهلَ بن عبد الله، والجُنيد، ومن في طبقتهما من البغداديين(١)

أقام بمكَّة مُجاورًا، ومات بها في سنة ثمانٍ وعشرين وثلاث مئة(١)

وكان من أورعِ المشايخ، وأحسنِهم حالاً(١)

قال رحمه الله: الذَّنبُ بعد الذّنب عقوبةُ الذَّنبِ، والحَسنةُ بعد الحسنة ثوابُ الحسنة(٢)

وقال: متى ما ظهرتِ الآخرةُ، فنيتْ فيها الدُّنيا، ومتى ما ظهر ذِكرُ الله، فنيتِ الدُّنيا والآخرة، فإذا تحقَّقت الأذكار، فنيَ العبدُ وذكرُهُ، وبقي المذكور بصفاته(٣)

(*) طبقات الصوفية ٣٨٢، حلية الأولياء ١٠/ ٣٤٠، تاريخ بغداد ١٢/ ٧٣، الرسالة القشيرية ١٠٣، الأنساب ١١/ ٢٨٨، صفة الصفوة ٢/ ٢٦٥، المنتظم ٦/ ٣٠٤، اللباب ٣/ ١٣٣، المختار من مناقب الأخيار ٤/ ٦٩، سير أعلام النبلاء ١٥/ ٢٣٢، العبر ٢/ ٢١٥، مرآة الجنان ٢/ ٢٩٥، البداية والنهاية ١١/ ١٩٣، طبقات الأولياء ١٤٠، العقد الثمين ٦/ ٢٥٢، النجوم الزاهرة ٣/ ٢٦٩، نفحات الأنس ٢٤٠، طبقات الشعراني ١/ ١١١، الكواكب الدرية ٢/ ١١٧، شذرات الذهب ٢/ ٣١٦

(١) طبقات الصوفية ٣٨٢، وفي (ب): من أروع المشايخ.

(٢) طبقات الصوفية ٣٨٢، الرسالة القشيرية ١٠٣، المختار ٤/ ٧٠

(٣) طبقات الصوفية ٣٨٣، المختار ٤/ ٧٠، وفي (أ): تحققت فني العبد وذكره وفني المذكور. وانظر القول صفحة ٥٣٢ (١).

وقال: للقلوبِ خواطرُ يَشوبُها شيءٌ من الهوى، لكن العقولَ المقرونةَ بالتَّوفيقِ تزجرُ عنها وتنهى[١]

وسُئل عن التَّوحيد، فقال: أن تُوحِّدَ الله بالمعرفة، وتُوحِّدَهُ بالعبادة، وتُوحِّده بالرُّجوعِ إليه في كلِّ ما لَكَ وعليك، وتعلم أنَّ ما خطرَ بقلبك، أو أمكنك الإشارة إليه، فاللهُ تعالى بخلافِ ذلك، وتعلم أنَّ أوصافَهُ باينةٌ لأوصافِ خلقه، باينهم بصفاته قِدَمًا، كما باينوه بصفاتهم حدثًا[٢]

وسُئل عن المعرفة، فقال: أن تعرفَ اللهَ بكمالِ الرُّبوبية، وتعرفَ نفسَك بالعبودية، وتعلمَ أنَّ اللهَ أوَّلُ كلِّ شيءٍ، وبه يقومُ كلُّ شيءٍ، وإليه مَصيرُ كلِّ شيءٍ، وعليه رزقُ كلِّ شيءٍ[٣]

وقال: الطُّرقُ إلى الله تعالى بعددِ النُّجوم، وأنا مُفتقرٌ إلى طريقٍ إليه فلا أجدهُ[٤]

وقال: من طلبَ الطَّريقَ بنفسه تاه في أوَّلِ قدم. ومَنْ أُريد به الخيرُ دُلَّ على الطَّريقِ، وأُعينَ على بلوغ المقصد. فطوبى لمن كان قصدُه إلى ربِّه دون عرضٍ من أعراضِ الأكوان[٤]

وقال: من استغنى بالله أحوجَ اللهُ الخلقَ إليه، ومن افتقرَ إلى الله، وصحَّحَ فقرَه إليه بملازمة آدابه، أغناه اللهُ به من كلِّ من سواه[٥]

وقال: مِلاكُ القلب في التَّبرِّي من الحولِ والقوَّة[٦]

وقال: من أعرضَ عن مشاهدة ربِّه، شغلَه اللهُ بطاعته وخدمته، ولو بدا

---

(١) طبقات الصوفية ٣٨٤

(٢) طبقات الصوفية ٣٨٤، الرسالة القشيرية ١٠٣

(٣) طبقات الصوفية ٣٨٢، المختار ٤/ ٧٣، العقد الثمين ٦/ ٣٥٧.

(٤) طبقات الصوفية ٣٨٣، المختار ٤/ ٧٠.

(٥) طبقات الصوفية ٣٨٣، المختار ٤/ ٧١.

(٦) طبقات الصوفية ٣٨٤، المختار ٤/ ٧٣.

له نَجمُ الاحتراق غَيْبَةُ عن وساوس الافتراق[1]

ورُوي: أنَّه رُئي يومًا متفكِّرًا، ثمَّ اغرورقت عيناه، فقيل له: ما لَكَ أيُّها الشَّيخ؟ فقال: ذكرتُ أيام تقطُّعي في إرادتي، وقطعي المنازلَ يومًا فيومًا، وخدمتي لأولئك السَّادةِ من أصحابي، وتذكَّرتُ ما أنا فيه من الفترةِ عن شريفِ تلك الأحوال، وأنشأ يقول:

منــازلٌ كنــتَ تهـواهــا وتــألفُهــا أيامَ أنتَ على الأيامِ منصورُ[2]

وقال: المُعجبُ بعمله مُستدرجٌ، والمُستحسنُ لشيءٍ من أحواله مَمكورٌ به، والذي يظنُّ أنَّه موصولٌ فهو مغرور، وأحسنُ العبيدِ حالاً من كان مَحمولاً في أحواله وأفعاله، لا يُشاهدُ غيرَ واحد، ولا يأنسُ إلاَّ به، ولا يشتاقُ إلاَّ إليه[3]

وقيل له: مَنْ الفقيرُ الصَّادق؟ فقال: الذي يَسكنُ إلى مضمون الله، ويزعجُه دخولُ الأرفاقِ عليه من أيِّ وجهٍ كان[4]

وقيل: كان يومًا يَبكي، وهو بالتَّنعيمِ[5] يُريدُ العُمْرةَ، وهو ينشد لنفسِهِ طول طريقه:

أنــافعــي دَمعـــي فــأبكيـــا هيهـــات مـــالـــي طَمَـــعٌ فيكَـــا

فلم يزلْ كذلك حتَّى بلغَ مكَّةَ[6]

وقال: كنتُ بمكَّة، فوقعَ لي انزعاجٌ، فخرجت أُريدُ المدينة، فلمَّا

---

(١) طبقات الصوفية ٣٨٤، المختار ٤/ ٧١

(٢) طبقات الصوفية ٣٨٤، المختار ٤/ ٧٠ تقدم صفحة ٣٧٥ و٤٩٩.

(٣) طبقات الصوفية ٣٨٥، المختار ٤/ ٧٠

(٤) طبقات الصوفية ٣٨٥، المختار ٤/ ٧١

(٥) التنعيم: موضع قرب مكة، ويحرم منه المكيون بالعمرة. انظر التعريف بمسجد عائشة صفحة ٥٦٠، وانظر معجم البلدان.

(٦) طبقات الصوفية ٣٨٣. وتقدم البيت صفحة ٦٦٣

وصلتُ إلى بئر مَيمون[1]، إذا أنا بشابٍّ مطروحٍ، فعدلتُ إليه وهو يُنْزِع، فقلت له: قل لا إله إلاَّ الله. ففتحَ عينيه وأنشأ يقول:

أنا إن مِتُّ فالهوى حَشْو قلبِي ... وبــداءِ الهــوى يَمــوتُ الكِــرامُ

ثمَّ مات، فغسَّلتُه، وكفَّنته، وصلَّيتُ عليه، فلمَّا فرغتُ من دفنه، سكن ما كان بي من إرادةِ السَّفر، فرجعتُ إلى مكَّة[2]

وقال: لما مَرِضَ أبو يعقوب النَّهْرَجوري مرضَ وفاته، قلتُ له، وهو في النَّزعِ: قل لا إله إلاَّ الله. فتبسَّمَ إليَّ، وقال: إيّايَ تعني؟ وعزَّةِ من لا يذوقُ الموتَ ما بيني وبينه إلاَّ حجابُ العزَّةُ. وانطفأ من ساعته. فكان المزيِّنُ يأخذُ بلحيته بعد ذلك، ويقول: حجَّامٌ مثلي يُلقِّنُ أولياءَ الله تعالى الشَّهادة! واخجلتاه منه! ويبكي إذا ذكرَ هذه الحكاية[3]

وقال: كانتِ الطُّرقُ إلى الله أكثرَ من عددِ نجوم السَّماء، فما بقي منها طريقٌ إلاَّ طريقُ الفقر، وهو أَصحُّ الطُّرق[4]

وقال: التَّصوف الانقيادُ للحقِّ[5]

وقال ابن شاذان[6] الرَّازي: سألتُ أبا الحسن المزيِّن عن الفقيرِ المرابط بحاله، والمتوسِّطِ لرعايةِ إرادته، والمباشر أحكام سبيله[7] الذي عليه أهلُ هذه الخطَّة من معافاةِ التَّفرُّد[8] والتَّزهُّد؛ تدخلُ عليه الدنيا، من

---

(١) بئر ميمون: بئر حُفر بأعلى مكة. انظر معجم البلدان.
(٢) الرسالة القشيرية ٤٣٤ (أحوالهم عند خروجهم من الدنيا)، المختار ٤/ ٧١
(٣) الرسالة القشيرية ٤٣٦ (أحوالهم عند خروجهم من الدنيا)، المختار ٤/ ٧٢
(٤) الرسالة القشيرية ٣٩٤ (الفقر) وفي (ب): أوضح الطرق.
(٥) الرسالة القشيرية ٤٠٢ (التصوف)، تهذيب الأسرار ٣٨، المختار ٤/ ٧١.
(٦) في (أ): ابن شاذلوه.
(٧) في (أ): والمباشرة لأحكام سبيله
(٨) في (أ): معاناة التفرد.

حيثُ يرضاه العلمُ له، ولا ينكثُ فيه الورع. كيف سبيلُه أن يتصرَّف[1] فيها؟ فقال له المزين: لو زكيتَ حالُ مثله حتَّى يجعله صديقًا[2]، لا يعبأ اللهُ به إذا ساكنها طرفةَ عينٍ ـ أعني: الدُّنيا ـ ولو صرفَها في حقوقِهِ دون حظوظه، وأقامهِ[3] على حقوقِ الله تعالى من حيث يزكو به هو عند إخوانِه وأخدانه، لا واللهِ لا يفلحُ مؤمنٌ صادق ولا مُريدُ معانق، ولا عارفٌ لاحق ساكَنَ حظًّا من الدُّنيا، أو نال رفقًا أكثرَ من قوته، فأمَّا في الحقيقةِ فإخراجُ يده عن التَّملّك له، ووقوفه إيَّاه على حقوقِ الله بلا متعة ولا أخذ بلغة، ولا اكتساب مديحةٍ[4] دعونا من هذه التّزليقات، من أرادَ اللهَ بهذا الأمر الذي هو رهبانية الرَّبانيين وأحوالِ الحواريين فليصدقِ اللهَ فيه، وإلاَّ فليرجعْ إلى ظاهر العلم ورعايته فيأخذُ به ويعطي، ويحبس ويعمّ ويخص، لا واللهِ أو تنقطع أوصالُه وتقطع أنفاسُه[5] إذا انعكس، ما هَلكَ من هلك في هذا الأمر إلاَّ من الشُّيوخِ وتخلية عنانهم[6] في هوى أنفسهم، وقبول هذه الظَّواهر المَدخولة عليهم، إنّي لأعرفُ واللهِ الذي لا إله إلاَّ هو، من يدخلُ عليه العرضُ، فيقيمُهُ على حقوقِ الله دون حظوظه، فيصير ذلك مع براءة ساحته حِجابًا قاطعًا عن الحقِّ.

وسُئل عن التَّوبة، فقال: التَّوبةُ ثلاثةُ أشياء: النَّدمُ على ما مضى، وصحَّةُ العزمِ على تركِ العودِ، ووجلُ القلب على ذلك؛ لأنَّه من ذنوبه على يقين، وما أحدثَ من التَّوبةِ على وجلٍ، لا يدري أَمقبولٌ هو منه، أم مَضروبٌ به وجهه؟

---

(١) في (أ): أن يتصوف.
(٢) في (ب): لو ركبت. يجعله صدقة.
(٣) في (أ): أو أقامة.
(٤) في (أ): ولا أحد بلعه. مديحه
(٥) في (أ): وتحرق أنفاسه.
(٦) في (أ): وغلبة عتانهم

وقال: عُرِض عليَّ الطَّعام، فامتنعتُ منه، فضُربتُ بالجوعِ أربعةَ عشر يومًا، حتَّى علمتُ أنِّي قد عُوقبت، فاستغثْتُ إلى الله وتبتُ، فزال ما بي عند ذلك[1]

وقال: لكلِّ شيءٍ نفس، ونفسُ الدُّنيا الفناء.

وأنشدَ بيتين قال: أنشدنيها أبو علي الرُّوذباري رحمه الله:

إنْ كانَ داري نأَتْ عن قُربِ دارِكُم ... فالنَّفسُ ليس لها مِنْ بعدِكم سَكَنُ

قلبي لديك وعيني غيرُ ناظرةٍ ... إلاَّ إليك وسؤلي وجهُك الحَسَنُ

وقال: العُجُب مقتُ الله تعالى في الدُّنيا، يُؤدي إلى مقتِ الأبد[2]

* * *

(١) المختار ٤/ ٧١، العقد الثمين ٦/ ٢٥٦

(٢) الكواكب الدرية ٢/ ١١٩.

(٧٥) أبو علي ابن الكاتب(*)

ومنهم: أبو علي الحسن بن أحمد الكاتب من كبارِ مشايخ المصريين.

صحبَ: أبا بكر المِصري، وأبا علي الرُّوذباري، وغيرَهما من المشايخ.

وكان أوحدَ مشايخ وقته، حتَّى قال فيه أبو عُثمان المغربي. أبو علي ابنُ الكاتب من السَّالكين، وكان يعظِّمُه، ويعظِّمُ شأنه[1]

مات سنة نيّفٍ وأربعين وثلاث مئة.

قال رحمه الله: إذا انقطعَ العبدُ إلى الله بكلِّيته، أوَّلُ ما يفيده اللهُ تعالى الاستغناءَ به عن النَّاس[2]

وقال: المعتزلةُ نزَّهوا اللهَ من حيث العقول فأخطؤوا، والصُّوفيةُ نزَّهوا الله من حيث العلمِ فأصابوا[2]

وقال: يقولُ الله: من صَبَرَ علينا، وصلَ إلينا[3]

(*) طبقات الصوفية ٣٨٦، حلية الأولياء ١٠/ ٣٦٠، الرسالة القشيرية ١٠٣، صفة الصفوة ٤/ ٣٢٣، المنتظم ٦/ ٣٧٥، المختار من مناقب الأخيار ٢/ ١٨٤، البداية والنهاية ١١/ ٢٣٨، طبقات الأولياء ٥٧، حسن المحاضرة ١/ ٢٤٠، نفحات الأنس ٢٩٩، طبقات الشعراني ١/ ١١٢ الكواكب الدرية ٢/ ٧٩، واسمه في (أ): الحسين، والمثبت من مصادر الترجمة

(١) طبقات الصوفية ٣٨٦، المختار ٢/ ١٨٤

(٢) طبقات الصوفية ٣٨٦، الرسالة القشيرية ١٠٤، المختار ٢/ ١٨٦

(٣) طبقات الصوفية ٣٨٧، الحلية ١٠/ ٣٦٠، المختار ٢/ ١٨٤.

وقال: إذا سمعَ الرّجلُ الحكمةَ فلم يقبلْها، فهو مُذنبٌ، وإذا سمعها ولم يعملْ بها فهو منافق[1]

وقال: صحبةُ الفُسّاق داءٌ، ودواؤها مُفارقتُهم[2]

وقال: إذا سكنَ الخوفُ في القلب، لم ينطقِ اللّسان إلاّ بما يعنيه[3]

وقيل له: إلى أيِّ الجنبين أنت أَميلُ؛ إلى الفقرِ أو إلى الغنى؟ فقال: إلى أعلاهما رتبةً، وأسناهما قدرًا ثمَّ أنشأ يقول:

ولستُ بنظّارٍ[4] إلى جانبِ الغِنى إذا كانتِ العلياءُ في جانبِ الفقرِ
وإنّي لصبّارٌ على ما يَنوبني وحسبُكَ أنَّ اللهَ أثنى على الصَّبرِ[5]

وقال: روائحُ نسيم المحبّةِ تفوحُ من المُحبّين، وإنْ كتموها، وتظهرُ عليهم دلائلُها وإنْ أخفوها، وتدلُّ عليهم وإن ستروها. وأنشد على أثره:

إذا ما أسرّتْ أنْفُسُ النَّاسِ ذكره تَبيّنَتْهُ فيهم ولم يتكلّموا
تطيبُ به أنفاسُهم فيذيعُها وهل سِرُّ مِسكٍ أُودعَ الرّيحَ يُكتَمُ[6]

وقال: الهمّةُ مقدّمةُ الأشياء، فمن صحّح همّتهُ بالصّدق، أتت عليه توابعُه على الصّدقِ والصّحّة، فإنَّ الفروعَ تتبعُ الأحوال[7] ومن أهملَ

---

(١) طبقات الصوفية ٣٨٧، المختار ٢/ ١٨٥

(٢) طبقات الصوفية ٣٨٧، الكواكب الدرية ٢/ ٨٠.

(٣) طبقات الصوفية ٣٨٧، الحلية ١٠/ ٣٦٠، الرسالة القشيرية ١٠٤

(٤) في (أ): بباطن.

(٥) طبقات الصوفية ٣٨٧، الحلية ١٠/ ٣٦٠، المختار ٢/ ١٨٥ والبيتان مما استشهد بهما ابن الكاتب، وهما للمعذّل بن غيلان، كما في الأغاني ١٣/ ٢٢٧، وأوردهما من غير عزوٍ الجاحظ في البيان والتبيان ٢/ ٣٠٧، وابن قتيبة في عيون الأخبار ٣/ ٣٤٧.

(٦) طبقات الصوفية ٣٨٧، المختار ٢/ ١٨٦، الكواكب الدرية ٢/ ٨٠.

(٧) في طبقات الصوفية ٣٨٨، والحلية: الأصول.

هِمَّتَهُ، أتت عليه توابعُهُ مُهملة، والمُهملُ من الأحوال والأفعال لا يصلحُ لبساطِ الحقِّ[1].

وقال: إنَّ الله يرزقُ العبدَ حلاوةَ ذِكره، فإنْ فرحَ به وشكره آنسَهُ بقربه، وإن قصَّرَ في الشُّكر، أجرى الذِّكرَ على لسانه، وسلبَهُ حلاوتَهُ به[2].

* * *

(١) طبقات الصوفية ٣٨٨، الحلية ١٠/ ٢٦٠، المختار ٢/ ١٨٥

(٢) طبقات الصوفية ٣٨٧، الحلية ١٠/ ٢٦٠، المختار ٢/ ١٨٥.

(٧٦) أبو الحسين بن بُنان[*]

ومنهم: أبو الحسين بن بُنان من كبار مشايخ مصر ومقدّميهم.

صحبَ الخرّاز، وإليه يَنتمي.

ماتَ في التّيه، وسببُ ذلك أنّه وردَ على قلبه شيءٌ، فهام على وجهه، فلحقوه في وسط متاهةِ بني إسرائيل في الرّمل، ففتح عينيه وقال:

اربعْ فهذا مَربعُ الأحباب

وخرجتْ روحه[١]

وقال: النّاسُ يعطشون في البراري، وأنا عَطشانُ على شطِّ النِّيل[٢]

وقال: كلُّ صوفيٍّ يكون همُّ الرِّزق قائمًا في قلبه، فلزومُ العملِ أَقربُ له إلى الله، وعلامةُ ركونِ القلب والسُّكونِ إلى الله أن يكون قويًّا عند زَوال الدُّنيا وإدبارها عنه وفقده إيّاها، ويكونَ بما في يدِ الله أقوى وأوثقَ منه بما في يده[٣]

وقال: اجتنبوا دَناءةَ الأخلاق، كما تجتنبون الحرام[٤]

(*) طبقات الصوفية ٣٨٩، حلية الأولياء ١٠/ ٣٦٢، الرسالة القشيرية ١٠٥، المختار من مناقب الأخيار ٢/ ٢٣٧، مختصر تاريخ دمشق ٢٨/ ٢٣٦، طبقات الأولياء ٣٨٤، طبقات الشعراني ١/ ١١٢، الكواكب الدرية ٢/ ٤٩.

(١) المختار ٢/ ٢٣٨

(٢) طبقات الصوفية ٣٨٩، الحلية ١٠/ ٣٦٢، المختار ٢/ ٢٣٧

(٣) طبقات الصوفية ٣٨٩، الحلية ١٠/ ٣٦٢، الرسالة القشيرية ١٠٥

(٤) طبقات الصوفية ٣٩٠، الرسالة القشيرية ١٠٥، المختار ٢/ ٢٣٨.

وقال: الحريةُ أن يكون السِّرُّ حرًّا إلاَّ من عبودية سيدِهِ[١]، فتصحُّ له بذلك العبوديةُ للحقِّ، والحريةُ عن الخلْق[٢].

وقال: ذِكر الله باللِّسانِ يُورثُ الدَّرجات، وذِكرُه بالقلب يُورث القربات[٢].

وقال: الوَحدةُ جلسةُ الصِّدِّيقين[٣].

وقال: آثارُ المحبَّةِ إذا بدت، ورياحُها إذا هاجت أَماتت قومًا، وأَحيت قومًا، وأَفنتْ أَسرارًا، وأَبقت أسرارًا، تؤثِّرُ آثارًا مختلفة، وتُبدي أسرارًا مَكتومةً، وتكشفُ عن أحوال مُستترةٍ. وأنشد على أثره:

وإذا الرِّياحُ مع العشيِّ تناوحت   نبَّهْنَ حاسدةً وهِجْنَ غيورا[٤]

وقال: لا يُعظِّمُ أقدار الأولياء إلاَّ من كان عظيمَ القدرِ عند الله تعالى[٥].

* * *

(١) في (أ): من العبودية للحق.
(٢) طبقات الصوفية ٣٩٠، المختار ٢/ ٢٣٧
(٣) طبقات الصوفية ٣٩٠، المختار ٢/ ٢٣٧، وفي (أ): الوحدة حبسة.
(٤) طبقات الصوفية ٣٩٠، المختار ٢/ ٢٣٧
(٥) طبقات الصوفية ٣٩٠.

(٧٧) أبو بكر بن طاهر الأبهري(*)

ومنهم: أبو بكر عبد الله بن طاهر الأَبهري من كبار مشايخ الجَبَل، وهو من أقرانِ الشِّبلي.

صحب: يُوسفَ بن الحُسين، ورافق مُظفَّر القِرْميسيني وغيرهما من المشايخ.

وكان عَالِمًا ورعًا.

قال مُهلَّب بن أحمد المِصري: ما نفعني صحبةُ شيخٍ من المشايخ الذين لقيتُهم كما نَفَعني صحبةُ أبي بكر بن طاهر الأبهري(١)

مات قُربَ الثَّلاثين وثلاث مئة.

قال رحمه الله: الجمعُ جمعُ المُتفرّقات، والتّفرقةُ تفرقةُ المجموعات، فإذا جمعتَ قلتَ الله ولا سِواه، وإذا فَرّقتَ نظرت الكون(٢)

وقال: جمعَهم في آدم عليه السَّلام، وفرَّقَهم في ذرّيته(٢)

وقال: إنَّ اللهَ تعالى أطلعَ نبيَّه عليه السَّلام على ما يكونُ في أُمَّته من

(*) طبقات الصوفية ٣٩١، حلية الأولياء ١٠/ ٣٥١، الرسالة القشيرية ١٠٥، المنتظم ٧/ ٣٢٤، معجم البلدان ١/ ٨٣ (أبهر)، المختار من مناقب الأخيار ٣/ ٤٥٤، طبقات الأولياء ٢١٦، نفحات الأنس ٢٧٤، طبقات الشعراني ١/ ١١٢، الكواكب الدرية ٢/ ١١٢

(١) طبقات الصوفية ٣٩١، المختار ٣/ ٤٥٥

(٢) طبقات الصوفية ٣٩٣.

بعده من الخلاف[١]، وما يُصيبهم فيه. وكان إذا ذكرَ ذلك وجد إغانةً[٢] في قلبه منه، فاستغفرَ اللهَ تعالى لأُمَّته[٣]

وقال: احتياجُ الأشرار إلى الأخيار صلاحُ الطَّائفتين، واحتياجُ الأَخيار إلى الأشرار فتنةُ الطَّائفتين[٤]

وقيل له: ما بالُ الإنسانِ يَحتملُ من مُعلّمه ما لا يحتملُ من أبويه؟ فقال: لأنَّ أبويه سببُ حياته الفانية، ومُعلِّمُهُ سببُ حياته الباقية، وتصديقُ ذلك قولُ النَّبيِّ عليه السَّلام: «اغْدُ عالِمًا أو مُتعلِّمًا، ولا تكنْ فيما بين ذلك فتَهْلِك»[٥]

وقال: من حُكم الفقير أن لا يكونَ له رغبةٌ، فإذا كان ولا بدَّ فلا تتجاوز رغبتُه كفايته[٦]

وقال: إذا أحببتَ أخًا في الله، فأقلل مُخالطته في الدُّنيا. وأنشد:

كلُّ العذابِ الذي في النَّاسِ مُسْتَرَقٌ ... ممّا أُلاقيه من شوقي[٧] وتِذْكاري[٨]

وقال: المودَّةُ من المحبّة مثلُ الرَّأس من الجسد، ومثلُ العينِ من الوجه، وذلك أنَّ المودَّةَ حالَّةٌ في الجوارح، تُبدي عند الرُّؤيةِ السُّرورَ

---

(١) في (أ): من الحالات.

(٢) إغانةً: حجبًا، والغَيْن الغيم، وغينت السماء تغان: إذا أطبق عليها الغيم.

(٣) طبقات الصوفية ٣٩٣، تهذيب الأسرار ٣٩٦

(٤) طبقات الصوفية ٣٩٣، المختار ٣/ ٤٥٦

(٥) رواه السلمي في طبقات الصوفية ٣٩٣، وروى الطبراني في الصغير (٧٧٣) وفي الأوسط (٥١٦٧)، وأبو نعيم في الحلية ٧/ ٢٣٧ عن أبي بكرة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «اغد عالمًا أو مُتعلمًا أو مستمعًا أو محبًا، ولا تكن الخامسة فتهلك» والخامسة بغض العلم.

(٦) طبقات الصوفية ٣٩٤، الرسالة القشيرية ١٠٥، المختار ٣/ ٤٥٧

(٧) في طبقات الصوفية: مما بقلبي من شوقٍ وتذكارِ.

(٨) طبقات الصوفية ٣٩٤، الرسالة القشيرية ١٠٥، المختار ٣/ ٤٥٧.

والاضطراب، والكآبةَ عند الفقد، والكمدَ عند البعد، فحالاتُ الودِّ حالاتٌ لا تُدانيها الأسباب[1]، وأنشأ يقول:

يا مُدَّعي الودَّ إنَّ الودَّ مَحظورٌ　　بادٍ على صادقٍ باللهِ مَشهورِ
مُستأنسٍ لا يَرى شيئًا يُروّعُه　　ولا يُحاذرُ إلاَّ اللهَ مَحذورِ

وقال: في المِحنِ ثلاثةُ أشياء: تطهيرٌ، وتكفير، وتذكير، فالتَّطهيرُ من الكبائر، والتَّكفيرُ من الصَّغائر، والتَّذكيرُ لأهلِ الصَّفا[2]

وقال: الحقيقةُ كلُّها علمٌ، والعلمُ كلُّه حقيقة[3]

وقال: التَّوكُّل أن لا تعجزَ عن حُكمِ وقتك، والمعرفةُ أن لا تضيّعَ حُكمَ وقتك[4]

وقال: رأيتُ رجلاً يُودِّعُ الكعبة ويبكي، وينشد:

ألاَ رُبَّ من يَدنو ويَزعمُ أنّه　　يُحبُّكَ وَالنَّائي أَودُّ وأَقربُ[5]

ورُوي: أنَّه حضرَ جنازةً مع جماعة من أصحابه، فرأى إخوانَ الميت يُكثرون البكاء، فنظرَ إلى أصحابِهِ، ثمَّ أنشد:

ويَبكي على الموتى ويَتركُ نفسَهُ　　ويَزعمُ أن قد قلَّ عنهمْ عزاؤه
ولو كانَ ذا رأيٍ وعقلٍ وفِطنةٍ　　لكان عليه لا عَليهم بكاؤه[6]

وقال: من خافَ على نفسه، شقَّ عليه ركوبُ الأهوال، ومن شقَّ عليه ركوبُ الأهوال، لا يرتقي إلى سموِّ المعالي في الأَحوال. وقال النَّبيُّ عليه

---

(١) المختار ٣/ ٤٥٧
(٢) طبقات الصوفية ٣٩٤، الحلية ١٠/ ٣٥٢، المختار ٣/ ٤٥٦
(٣) طبقات الصوفية ٣٩٤، المختار ٣/ ٤٥٨
(٤) طبقات الصوفية ٣٩٥، المختار ٣/ ٤٥٧.
(٥) طبقات الصوفية ٣٩٤.
(٦) طبقات الصوفية ٣٩٥، الحلية ١٠/ ٣٥٢، المختار ٣/ ٤٥٨.

السَّلام[1]: «إنَّ اللهَ تعالى يُحبُّ الشَّجاعةَ ولو على قتلِ حيَّةٍ»[2]

وقال: ما قدرُ طاعاتٍ تُقابل بها نعمَه؟ وما قدرُ ذنوبٍ تُقابلُ بها كرمَه؟ وإنّي لأرجو أن تكون ذُنوبُنا في كرمه أقلَّ من طاعتنا في نعمه، إذ لا يُذنبُ العبدُ من الذُّنوب ما يغمرُ به عفو مولاه[3]

وقال: الهِممُ ضروبٌ: فهمَّةُ التَّائبين صلاحُ ما أفسدوا، وهمَّةُ المُريدين الظَّفرُ بالإخلاص، وهمَّةُ الخائفين الوصولُ إلى أمانهم، وهمَّةُ الورعين نفيُ كلِّ مُشتبهٍ، وهمَّةُ الزَّاهدين مُخالفةُ الهوى، وهمَّةُ الشَّاكرين بَذلُ المجهود في شكرِ المُنعم، وهمَّةُ الصَّادقين إتمامُ كلِّ عملٍ من أعمال البرِّ، وهمَّةُ الصَّالحين الطَّاعةُ بلا معصيةٍ، وهمَّةُ العلماء المزيدُ من الصَّواب، وهمَّةُ الرَّاضين قطعُ الاختيار، وهمَّةُ الحكماء الاطِّلاعُ على بواطن أُمور الدُّنيا، وهمَّةُ العارفين إعظامُ الله تعالى في قلوبهم، وهمَّةُ المُحبِّين اتِّصالُ المحبَّة، وهمَّةُ أهلِ الشَّوق سرعةُ الموت، وهمَّةُ المقرَّبين دوامُ سكونِ القلب إلى الله تعالى[4]

وقال: الصُّوفيُّ لا يرضى من اللهِ بالكونَيْنِ؛ لأنَّ من رضي منه بغيرِه خابَ وخَسر[5]

* * *

(١) طبقات الصوفية ٣٩٤، وذكره القرطبي في التفسير ١/ ٣١٥

(٢) طبقات الصوفية ٣٩٤، وروى الخبر دون قول رسول الله ﷺ الحلية ١٠/ ٣٥٢، والمختار ٣/ ٤٥٦

(٣) الحلية ١٠/ ٣٥٢، المختار ٣/ ٤٥٥

(٤) تهذيب الأسرار ٧٦، المختار ٣/ ٤٥٦ .

(٥) تهذيب الأسرار ٣٥، المختار ٣/ ٤٥٨

(٧٨) مظفر القِرميسيني(*)

ومنهم: مُظفر القِرميسيني وهو من كبار مشايخ الجبل وجلّتهم، ومن الفقراء الصّادقين.

صحب: عبد الله الخرّاز، ومَن فوقه من المشايخ.

وكان أوحدَ المشايخ في طريقته.

وقال رحمه الله: الصَّومُ ثلاثةُ أوجهٍ: صوم الرّوح بقِصَرِ الأمل، وصومُ العقل بخلافِ الهوى، وصومُ النَّفس بالإمساك عن الطَّعام والمحارم(١)

وقال: التَّواضعُ قبولُ الحقِّ ممّن كان(٢)

وقال: إذا صحّتْ لك مودَّةُ أخيك، فلا تُبالِ متى يكون الالتقاء(٢)

وسُئل عن التَّصوف، فقال: الأخلاقُ الرَّضية(٣)

وقال: مَنْ صحبَ الأحداث على شرائط السَّلامةِ والنَّصيحة، أدّاه ذلك إلى البلاء، فكيفَ بمن يَصحبُهم على غير شروط السَّلامة؟(٤)

(*) طبقات الصوفية ٣٩٦، حلية الأولياء ١٠/ ٣٦٠، الرسالة القشيرية ١٠٤، المختار من مناقب الأخيار ٥/ ٢٨، نفحات الأنس ٣١٩، طبقات الشعراني ١/ ١١٣، الكواكب الدرية ٢/ ١٦٩، والقرميسيني نسبةً إلى قِرْمِيسين بلدة بجبال العراق.

(١) طبقات الصوفية ٣٩٦، الرسالة القشيرية ١٠٤، تهذيب الأسرار ٢٤١، المختار ٥/ ٢٩

(٢) طبقات الصوفية ٣٩٦، المختار ٥/ ٢٩

(٣) طبقات الصوفية ٣٩٦، وفيها: الأخلاق المرضية.

(٤) طبقات الصوفية ٣٩٦، نفحات الأنس ٣٢٠.

وقال: أخسُّ الأرزاق أرفاقُ النِّسوان على أيِّ وجهٍ كان[(١)]

وقال: من عاملَ اللهَ بالصِّدقِ، استوحشَ من صُحبة المخلوقين[(٢)]

وقال: العارفُ من جعل قلبَه لمولاه، وجسدَه لخلقه[(٢)]

وقال: من أفقره [الله] إليه أغناه به، ليُعرِّفَه بالفقرِ عبوديته، وبالغنى ربوبيته[(٢)]

وقال: من قتله الحبُّ، أحياه القُرب[(٢)]

وقال: الجوعُ إذا ساعدته القناعة مَزرعةُ الفِكرة، ويَنبوعُ الحكمة، وحياةُ الفِطنة، ومصباح القلب[(٣)]

وقال: يُحاسبُ اللهُ المؤمنين يومَ القيامة بالمِنَّةِ والفضل، ويُحاسبُ الكفَّار بالحجَّة والعدل[(٤)]

وقال: أفضلُ ما يلقى به العبدُ ربَّه نصيحةٌ من قلبه، وتوبةٌ من ذنبه[(٤)]

وقال: ليكنْ نظرُك إلى الدُّنيا اعتبارًا، وسعيُكَ فيها اضطرارًا، ورفضُك لها اختيارًا[(٤)]

وقال خيرُ الأرفاق ما فتحَ اللهُ لك من وجهٍ حلالٍ، من غير طلبٍ ولا سعي[(٤)]

وقال: بصحّةِ الإيمان، وكمالِ التَّقوى يَفتحُ الله على العبدِ خيرَ الدُّنيا والآخرة. قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَـٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾[(٤)] [الأعراف: ٩٦].

---

(١) طبقات الصوفية ٣٩٦، الرسالة القشيرية ١٠٤، وفيهما: أخسُّ الأرفاق.

(٢) طبقات الصوفية ٣٩٦، المختار ٥/ ٢٩

(٣) طبقات الصوفية ٣٩٧، الرسالة القشيرية ١٠٤، المختار ٥/ ٢٩ وفي (أ): ومصباح الهدى.

(٤) طبقات الصوفية ٣٩٧، المختار ٥/ ٢٩

وقيل له: ما خَيرُ ما أُعطي العبدُ؟ فقال: فراغُ القلب عمّا لا يَعينه، ليتفرَّغَ إلى ما يَعنيه[1]

وقال: ليسَ لك من عُمرِكَ إلاَّ نَفَسٌ واحدٌ، فإن لم تُفْنِهِ بما لك فلا تُفْنِهِ بما عليك[2]

وقال: أفضلُ أعمال العبيد حفظُ أوقاتهم، وهو أن لا يُقصِّروا في أمرٍ، ولا يتجاوزوا عن حدٍّ[3]

وقال: من تأدَّبَ بآداب الشَّرعِ تأدَّبَ به مُتَّبعوه، ومن تهاونَ بالآداب هلكَ وأَهلَكَ[4]

و: من لم يأخذِ الأدبَ عن حكيمٍ لا يتأدَّبُ به مُريد[4]

وقال: الفقيرُ هو الذي لا يكونُ له إلى الله حاجةٌ[5]

* * *

---

(١) طبقات الصوفية ٣٩٨، المختار ٥/ ٢٨

(٢) طبقات الصوفية ٣٩٨، الحلية ١٠/ ٣٦١ وفيهما: إلاّ نفس واحدة فإن لم تفنها . .

(٣) طبقات الصوفية ٣٩٨، الرسالة القشيرية ١٠٤، المختار ٢/ ٢٨

(٤) طبقات الصوفية ٣٩٨، المختار ٥/ ٣٠، وفي (ب): تأدب به متبوعه.

(٥) الرسالة القشيرية ٣٩٥ (الفقر)، المختار ٥/ ٣٠، وفي (أ): له إلى سوى الله.

قال أبو القاسم القشيري في «رسالته»: وهذا اللفظ فيه أدنى غموض لمن سمعه على وجه الغفلة عن مرمى القوم، وإنما أشار قائله إلى سقوط المطالبات وانتفاء الاختيار، والرضا بما يجريه الحق سبحانه.

(٧٩) أبو الحسين بن هند الفارسي(*)

ومنهم: أبو الحسين علي بن هند القرشي الفارسي من كبار مشايخ الفرس وعلمائهم.

صحبَ: جعفرَ الحذَّاء، والجُنيد، وعَمرو المكّي ومَنْ فوقهم، ومَنْ في طبقتهم من المشايخ.

له الأحوالُ العالية، والمقاماتُ الزَّاكية.

قال رحمه الله: ليسَ حكمُ ما وصفنا حكمَ ما نازلنا[١]

وقال: المُتمسِّكُ بكتابِ الله تعالى هو الملاحظُ للحقِّ على دوام الأوقات، والمتمسِّكُ بكتاب الله تعالى لا يخفى عليه شيءٌ من أمرِ دينه ودنياه، بل تجري أوقاتُهُ على المشاهدةِ لا على الغفلة، يأخذُ الأشياء من مَعْدِنها ويضعُها في معدنها[٢]

وقال: استرحْ مع الله، ولا تَسترحْ عن الله؛ فإنَّ من استراحَ مع الله نجا، ومن استراحَ عن الله هَلَكَ، والاستراحةُ مع الله تُروّحُ القلبَ بذكرِهِ، والاستراحةُ عن الله مُداومةُ الغفلة[١]

(*) طبقات الصوفية ٣٩٩، حلية الأولياء ١٠/ ٣٦٢، المختار من مناقب الأخيار ٤/ ٧٦، طبقات الأولياء ١٤٩، ١٤٩، نفحات الأنس ٣٢١، طبقات الشعراني ١/ ١١٣، الكواكب الدرية ٢/ ١٢٠، ٤/ ١٢٤

(١) طبقات الصوفية ٣٩٩

(٢) طبقات الصوفية ٣٩٩، الحلية ١٠/ ٣٦٣، المختار ٤/ ٧٦.

وقال: أصولُ الخيرات أربعةٌ: السَّخاءُ، والتَّواضعُ، والنُّسك، وحُسن الخُلق[1]

و أَصلُ كلِّ خيرٍ مُلازمةُ الأدبِ في جميع الأفعال والأحوال[1]

وقال: عمارةُ القلب في أربعةِ أشياء: العلم، والتَّقوى، والطَّاعةِ، وذكرِ الله. وخرابُهُ من أربعةِ أشياء: الجهلِ، والمعصية، والاغترارِ، وطولِ الغفلة[2]

وقال: دمْ على الصَّفا، إن كنتَ تَطمعُ في الوفا[3]

وقال في قوله تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا﴾ [الكهف: ١١٠] قال: عملاً يصلحُ أن يلقى به ربَّه عزّ وجل[3]

وقال: من آواه اللهُ إلى قربه، أرضاه بمجاري المَقدور عليه؛ فإنَّه ليس على بساطِ القُربة تسخُّطٌ[4]

وقال: الاستقامةُ تُقوِّمُ العبيدَ في أحوالهم، لا الأَحوالُ تُقوِّمهم[4]

وقال: من أكرمَهُ اللهُ بحرمة الأكابر أوقعَ حرمته في قلوب الخَلْق، ومن حُرم ذلك نزعَ اللهُ حرمتَه من قلوب الخلق، فلا تراه إلاَّ ممقوتًا وإنْ حَسُنَتْ أخلاقُه، وصلُحَتْ أحواله؛ لأنَّ النَّبيَّ ﷺ يقول[5]: «من تعظيمِ جلالِ اللهِ إكرامُ ذي الشَّيبةِ المسلم»[6]

وقال: مَنْ عَظَّمَ قدرَ الخلقِ كلِّهم، فذاك لعلمِه بتخصيص خلقِهم من

---

(١) طبقات الصوفية ٤٠٠

(٢) طبقات الصوفية ٤٠٠، المختار ٤/ ٧٧

(٣) طبقات الصوفية ٤٠٠

(٤) طبقات الصوفية ٤٠٠، المختار ٤/ ٧٧

(٥) رواه أبو داود (٤٨٤٣) في الأدب، باب في تنزيل الناس منازلهم.

(٦) طبقات الصوفية ٤٠٠، وفيه: من أكرمه الله تعالى بمعرفة الحرمة والاحترام للأكابر، أوقع حرمته.

بين الحيوانات؛ وذلك من تعظيمِ اللهِ في قلبه أن يعظّم ما خصَّصه الله عزَّ وجل[1].

وقال: حُسنُ الخلق على معانٍ ثلاثة: مع اللهِ تعالى بتركِ الشَّكوى منه، ومع أوامرِ الله بالقيامِ إليها بنشاطٍ وطيبِ نفسٍ، ومع الخلقِ بالبرِّ والحلم[2].

وقال: القلوبُ أوعيةٌ وظروف، وكلُّ وعاءٍ وظرفٍ يصلحُ لنوعٍ من المحمولات، فقلوبُ الأولياء أوعيةُ المعرفة، وقلوبُ العارفين أوعيةُ المحبَّةِ، وقلوبُ المحبِّين أوعيةُ الشَّوق، وقلوبُ المُشتاقين أَوعيةُ الأُنسِ، ولكلِّ حالٍ من هذه الأحوال آدابٌ، من لم يستعملْها في أوقاتها هلَكَ من حيث يَرجو النَّجاة[3].

وقال: اجتهد[4] أن لا تُفارقَ بابَ سيِّدِك بحالٍ؛ فإنَّه مَلجأُ الكلِّ، فمن فارقَ تلك السُّدَّةَ لا يرى بعدها لقدمِهِ قرارًا ولا مَقامًا. وقال:

كُنتُ في كُربتي أَفرُّ إِليهم فهُمْ كُربتي فأينَ المفرُّ[5]

* * *

(١) طبقات الصوفية ٤٠١. وفيه: الخلق كلهم عنده، فذاك.

(٢) طبقات الصوفية ٤٠١

(٣) طبقات الصوفية ٤٠١، الحلية ١٠/ ٣٦٢، المختار ٤/ ٧٦

(٤) في (أ): اجهد.

(٥) طبقات الصوفية ٤٠١.

(٨٠) إبراهيم القِرْميسيني(*)

ومنهم: أبو إسحاق إبراهيم بن شيبان القِرْميسيني شيخ الجبل في وقته.

له مقاماتٌ في الورع والتَّقوى يعجزُ عنها أكثرُ الخلق.

صحب: أبا عبد الله المغربي، وإبراهيم الخواص.

وكان شديدًا على المُدّعين، مُستمسكًا بالكتاب والسُّنة، مُلازمًا لطريقةِ المشايخِ والأئمة، حتَّى قال فيه عبد الله بن مُنازل[(١)] رحمه الله إبراهيم بن شيبان حجَّةُ اللهِ تعالى على الفقراء، وأهل الآداب والمعاملات[(٢)]

قال رحمه الله: من أرادَ أن يتعطَّلَ ويتبطَّلَ، فليلزمِ الرُّخص[(٣)]

وقال: إنَّ الخوفَ إذا سكنَ القلبَ، أحرقَ مواضعَ الشَّهوات، وطردَ عنه رغبةَ الدُّنيا، وبَعَّدَ[هُ عنها] فإنَّ الذي قطعَهم وأهلكهم محبَّةُ الرَّاكنين إلى الدُّنيا[(٤)]

(*) طبقات الصوفية ٤٠٢، حلية الأولياء ١٠/ ٣٦١، الرسالة القشيرية ١٠٦، الأنساب ١٠/ ١١٠، المنتظم ٦/ ٣٩٠، المختار من مناقب الأخيار ١/ ٢٦٢، مختصر تاريخ دمشق ٤/ ٦٢، سير أعلام النبلاء ١٥/ ٣٩٢، الوافي بالوفيات ٦/ ٢٠، مرآة الجنان ٢/ ٣٢٥، البداية والنهاية ١١/ ٢٣٤، طبقات الأولياء ٢١، نفحات الأنس ٣١٥، طبقات الشعراني ١/ ١١٣، الكواكب الدرية ٢/ ٩، شذرات الذهب ٢/ ٣٤٤

(١) في (أ): بن مبارك.

(٢) طبقات الصوفية ٤٠٢.

(٣) طبقات الصوفية ٤٠٣، الرسالة القشيرية ١٠٦، المختار ١/ ٢٦٥

(٤) طبقات الصوفية ٤٠٤، الرسالة القشيرية ٢١٦ (الخوف)، المختار ١/ ٢٦٤.

وقال: علمُ البقاء والفناء يدورُ على إخلاصِ الوحدانية، وصحّةِ العبودية، وما كان غيرُ هذا فهو المغاليطُ والزّندقة[1]

وقال: السّفْلةُ من لا يخافُ الله[2]

وقال مرّةً أُخرى: السّفْلةُ من يَعصي الله[2]

وقال مرّةً أُخرى: السّفلة من يُعطي لعوضٍ[2]

وقال مرّةً أُخرى: السّفْلَةُ من يمنُّ بعطائه على آخذه[2]

وقال: عوّض اللهُ المؤمنين في الدُّنيا بما لهم في الآخرة بشيئين: عوّضَهم [عن] الجنّةِ بالجُلوس في المساجد، وعوّضَهم عن النَّظرِ إلى وجهه بالنَّظر إلى إخوانهم من المؤمنين[3]

وقال: من تركَ حُرمةَ المشايخ، ابتُلي بالدَّعاوى الكاذبة، وافتضح بها[4]

وقال: من تكلَّمَ في الإخلاص، ولم يطالبْ نفسَه بذلك، ابتلاه اللهُ بهتك ستره عند إخوانه وأقرانه[4]

وقال: التّوكُّلُ سرٌّ بين العبد وبين الله، فلا يَنبغي أن يطّلعَ على ذلك السّرّ أحدٌ[5]

ورُوي: أنّه أوصى ابنه إسحاقَ، فقال له: يا بُنيّ، تعلّمِ العلمَ لآداب الظّاهر، واستعملِ الورعَ لآداب الباطن، وإيّاكَ أن يشغلَكَ عن الله شاغلٌ، فقلَّ من أعرضَ عنه، فأقبلَ عليه[6]

---

(١) طبقات الصوفية ٤٠٤، الرسالة القشيرية ١٠٦، تهذيب الأسرار ٣٨٥

(٢) طبقات الصوفية ٤٠٤

(٣) طبقات الصوفية ٤٠٥، وفي (أ): عوضهم بالجنة والجلوس.

(٤) طبقات الصوفية ٤٠٥، المختار ١/ ٢٦٥، وفي (أ): الحرمة للمشايخ.

(٥) طبقات الصوفية ٤٠٤، المختار ١/ ٢٦٥

(٦) طبقات الصوفية ٤٠٤، الحلية ١٠/ ٣٦٢، المختار ١/ ٢٦٥.

وقال إسحاق: قلتُ لأبي بماذا أَصِلُ إلى الورع؟ فقال: بأكلِ الحلال، وخدمةِ الفقراء. فقلتُ له: مَنِ الفقراء؟ فقال: الخلْقُ كلُّهم فقراء، فلا تُميِّزْ في خدمةٍ من مكّنَكَ من خدمته، واعرفْ فضلَه عليك في ذلك[١]

وقال: سمعتُ أبي يقول: التَّواضعُ من تصفيةِ الباطن، تُلفى بركاتها على الظَّاهر. والتَّكبُّرُ من كُدورة الباطن، تظهر ظلمتُها على الظَّاهر[٢]

وقال: أهلُ المُشاهدة لا يغيبون عنه قائمًا أو قاعدًا، ولا نَائمًا ولا مُنتبهًا، ولهم أحوالٌ تشتملُ عليهم أنوارُ قُربه، فيغرقون[٣] فيها، فلا يتفرَّغون إلى الخلْق وما هم فيه، وتلك أحوالُ الدَّهشةِ تراهم دَهِشين مُتحيِّرين، غائبين حاضرين، غائبين بأسرارِهم، حاضرينَ بأبدانهم[٤]

وقال: من أرادَ أن يكونَ حرًّا من الكونِ، فليخلصْ عبادةَ ربِّه تعالى، فمن تحقَّق في عبادة ربِّه صارَ حرًّا ممَّا سِواه[٥]

وقال: من عشقَ الملاذَّ والملاهي، فقد خلا قلبُه من الخوفِ؛ لأنَّ الخوف يدفعُ الشَّهوات، ويقطع عن السُّلوِّ والغفلات[٦]

وقال: الشَّرفُ في التَّواضع، والعزُّ في التَّقوى، والحريةُ في القناعة[٧]

وقال: بقيتُ أربعين سنة ما بتُّ تحتَ سقفٍ ولا في موضع عليه غلق،

---

(١) طبقات الصوفية ٤٠٤، المختار ١/ ٢٦٥

(٢) طبقات الصوفية ٤٠٥، المختار ١/ ٢٦٥

(٣) في (ب): أنوار قربهم فيعرفون.

(٤) طبقات الصوفية ٤٠٥

(٥) طبقات الصوفية ٤٠٥، الحلية ١٠/ ٣٦١.

(٦) حلية الأولياء ١٠/ ٣٦١، وفيها: المُتعطِّلُ من لزم الرُّخصَ معتنقًا للملاذ والملاهي، وأخلى قلبه.

(٧) الرسالة القشيرية ٢٤٢ (الخشوع)، المختار ١/ ٢٦٥ وفيه: والخيرة في القناعة.

وكنت أَشتهي في أوقاتٍ أن أتناولَ شبعةَ عدسٍ، فلم يتَّفقْ لي، فكنتُ وقتًا بالشَّام، فحُمل إِليَّ غُضارةٌ[1] فيها عدسٌ، فتناولتُ منه، وخرجتُ فرأيتُ قواريرَ مُعلَّقةً فيها شيءٌ يُشابه أنموذجات [الخلّ] فظننتُهُ خلاً، فقال لي بعضُ النَّاس أَيشٍ تنظر؟ هذه أَنموذجاتُ خمرٍ، وهذه الدِّنان خمر. فقلت في نفسي: لزمني فرضٌ، فدخلتُ حانوتَ الخمَّارِ، ولم أزلْ أَصبُّ تلك الدِّنان، وهو يتوهَّمُ أنّي أَصبُّه بأمرِ السُّلطان، فلمَّا علمَ، حملني[2] إلى ابن طُولون، فأمرَ بضربي مئتي خشبة، وطرحني في السِّجن وبقيت مدَّةً حتَّى دخلَ أُستاذي أبو عبد الله المغربي ذلك البلد، فتشفَّعَ لي، فلمَّا وقعَ بصرُه عليَّ قال لي: أيشٍ فعلتَ؟ فقلتُ: شبعة عدسٍ، ومئتي خشبة. فقال: نجوتَ مجَّانًا[3].

وقال: ما كنَّا نَصحبُ من يقول: نَعلي[4].

وقال: صحبني شابٌ حَسَنُ الإرادة، فماتَ، فاشتغلَ قلبي به جدًا[5]، وتولَّيْتُ غسلَه، فلمَّا أردتُ غسلَ يديه، بدأتُ بشماله من الدَّهشة، فأخذَها، وناولني يمينَه، فقلت له: صدقتَ يا بُنيّ، أنا غلطت[6].

وقال: خرجتُ من الجزيرة إلى الرَّقَّة، ومعي جماعةٌ من الفقراء، فيهم غلامٌ حَدَثُ السِّنِّ، فأردنا نركبُ في الفرات، فتعلَّقَ بي، وقال لي: يا أبا إسحاق، لا أُطيقُ ركوبَ الماء، وأنا أَفزعُ من ساقيةِ ماءٍ، فتلطَّفتُ به، وأدخلتُه المركبَ، وأجلستُه إلى جنبي، وشددْتُ عينيه كي لا يرى الماءَ،

---

(١) الغضارة: الصحفة المتخذة من الطين اللازب الأخضر. اللسان.

(٢) في (أ): فلما علم ضد ذلك حملني.

(٣) الرسالة القشيرية ٢٤٨ (مخالفة النفس)، تهذيب الأسرار ١٧٤، المختار ١/ ٢٦٢.

(٤) الرسالة القشيرية ٤١٨ (الصحبة).

(٥) في (أ): به وجدًا.

(٦) الرسالة القشيرية ٥١٥ (كرامات الأولياء).

حتى عبرنا، وخرجنا في مكانٍ يُقال له دَوْسَر[١]، والغلامُ معي، فقمتُ أنا إلى صلاةٍ أُصلّيها، وكان فيهم من يقرأُ قراءةً طيّبةً ويقول[٢]، فقعدَ الغلامُ مع القومِ يسمع، ثمَّ انزعجَ واضطربَ، وقامَ فرمى بنفسه في الماء، وشقَّ الفراتَ شقًّا كأنّه سهم، وأنا أُومِئُ إلى أصحابنا وأُسبّحُ، فرَأيتُه كأنَّه على رفرفٍ جالسٍ حتَّى عبرَ الفرات، ونحن ننظرُ إليه، وقد تحيَّرْنا في أمره، وتعجّبنا من حاله، فبقي الغلامُ من ذلك الجانب، وتغيَّرَ عليه الحالُ وفترَ، فاكتريتُ له زَورقًا بدرهمين حتَّى عبرتُ به إلينا، فنظرنا إلى ثيابِهِ، فإذا أسفل حَقْوَيْهِ[٣] رطبٌ، والباقي جافٌّ لم يبتلَّ[٤].

وقال: إنَّ اللهَ تعالى دعا الخلقَ إلى توحيده، والإيمانَ به تصديقًا بالقلب، وتحقيقا باللِّسان[٥]، ومباشرة الأعمال بالجوارح، فهذا هو الإيمان.

وقال: كنتُ أقرأُ القرآن، حتَّى بلغتُ إلى قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾ [يونس: ٢٢]، فعملتُ بحقيقةِ هذه الآية في البرِّ عشرَ سنين، فما تركتُ شيئًا من المخلوقات ولا من المَهالكِ إلاَّ رميتُ نفسي فيه الحرَّ والبرد، والجوعِ والعطش والسِّباع[٦]، وكان اللهُ بلطفِهِ بي وإحسانه إليَّ يُنجيني من ذلكَ كلِّه، فلمَّا كان بعد عشرِ سنين، قلتُ في نفسي: بقي البحر. فقلتُ في نفسي: ألقِ الآن نفسَك في البحر[٧] فجئتُ إلى صخرةٍ مُطلَّةٍ على البحر، فقلتُ في نفسي: ارمِ الآن نفسَك في البحر. فرأيتُها بعد هذه السِّنين قد عجزَتْ، وتوقَّفتْ، فبكَيتُ وتضرَّعْتُ إلى اللهِ، والتجأتُ

---

(١) دوسر: قرية قرب صفين على الفرات، وقيل هي قلعة جعبر. معجم البلدان.
(٢) أي إنه قوّال للشعر.
(٣) الحَقو: الإزار ويكسر، أو معقده، القاموس.
(٤) المختار ١/ ٢٦٣
(٥) في (أ): وتحقيقها باللسان.
(٦) في (أ): والشباع.
(٧) قوله: فقلت في نفسي: ألق. البحر ليس في (أ).

إليه مُستغيثًا به، وقلت: يا ربِّ، تعلمُ أنَّها قد قطعتْ بي هذه السِّنين، وكنتُ في حَداثتي أُحسنُ السِّباحة. فقلتُ في نفسي: إن رميتُها السَّاعةَ طلبتِ العادة من السِّباحة والبشرية، فأَخرجُ من حالِ الرِّضا والتَّسليم إلى الطَّبعِ والعادة. فنزَلتُ من الجبلِ إلى حشيشٍ أَعرفُه، ففتلتُ منه حَبْلَيْنِ جيِّدين، وصعدتُ بهما معي إلى فوقِ الجبلِ، وشددتُ رجليَّ بعضهما إلى بعض، وعالجتُ يدي بأضراسي حتَّى شددتُهما أيضًا، واستوثقْتُ منهما، ثمَّ رميتُ نفسي في البحرِ ثلاثَ مرَّاتٍ كلَّ مرَّةٍ أُراني في المكان الذي رَميتُ منه نفسي، فحمدتُ اللهَ تعالى على نعمِهِ كثيرًا[1].

وقال: التَّوكُّلُ سرٌّ بين الله وبين العبد. فالواجبُ عليه أن لا يُطلعَ على سرِّه غيرَ الله تعالى[2].

وقال: منذ ثمانين سنة ما أكَلتُ شيئًا بشهوتي[3].

* * *

(١) المختار ١/ ٢٦٣، ٢٦٤

(٢) تهذيب الأسرار ١٣٩، وفي (أ): على سرك.

(٣) تهذيب الأسرار ٢٥١ وفي (ب): منذ ثلاثين.

(٨١) أبو بكر بن يَزْدَانيار (*)

ومنهم: أبو بكر الحُسين بن علي بن يَزْدَانيار من أهل أُرمِيَة[١]

له طريقةٌ في التَّصوف يختصُّ بها. وكان يُنكرُ على بعض مشايخ العراق أقاويلهم[٢]

وكان عالِمًا بعلوم الظَّاهر والمعارفِ والمعاملات.

قال رحمه الله: إيَّاك أن تطمعَ في الأُنس بالله، وأنت تُحبُّ الأُنسَ بالنَّاس، وإيَّاك أن تطمعَ في حبِّ الله، وأنت تُحبُّ الفضول، وإيَّاك أن تطمعَ في المنْزِلةِ عند الله، وأنت تُحبُّ المنْزِلةَ عند النَّاس[٣]

وقال عبدُ الرَّحمن[٤] الموصلي: رأيتُ ابنَ يَزْدانيار في المنامِ بعد موته، وكأنَّه يُحدِّثُ أصحابه، ويقول لهم: وردتُ القيامةَ، فرأيتُ آدمَ عليه السَّلام، والنَّاسُ يُسلِّمون عليه، ويُصافحونه، فذهبتُ لأُصافحه وأسلِّمَ عليه، فقال لي: اغْرُبْ عنِّي، أنت الذي وقعتَ في أولادي الصُّوفية، لقد

(*) طبقات الصوفية ٤٠٦، حلية الأولياء ١٠/ ٣٦٣، الرسالة القشيرية ١٠٦، المختار من مناقب الأخيار ٢/ ٢١١، طبقات الأولياء ٣٣٥، نفحات الأنس ٢٧١، طبقات الشعراني ١/ ١١٤، الكواكب الدرية ٢/ ٨٠.

(١) أرمية: مدينة عظيمة قديمة بأذربيجان، بينها وبين البحيرة ثلاثة أميال أو أربعة، حسنة كثيرة الخيرات. معجم البلدان.

(٢) طبقات الصوفية ٤٠٦، الرسالة القشيرية ١٠٦، وفي (أ): أقاويله.

(٣) طبقات الصوفية ٤٠٧، الحلية ١٠/ ٣٦٣، الرسالة القشيرية ١٠٦، المختار ٢/ ٢١١.

(٤) في طبقات الصوفية ٤٠٧: أبو عبد الرحمن.

قرّت عيناي بهم، فجاءَ قومٌ فحالوا بيني وبينه[1]

وقال عليُّ بنُ إبراهيم الأُرمويُّ: سمعتُ ابن يَزْدانيار يقول: تُراني تكلَّمْتُ في الصُّوفية بما تكلَّمْتُ به إنكارًا على التَّصوف والصُّوفية؟! واللهِ ما تكلَّمتُ به إلاَّ غيرةً عليهم، حيث أَفشوا أسرارَ الحقِّ، وأبدوها إلى غيرِ أَهلِها، فحملني ذلك على الغيرةِ عليهم، والكلامِ فيهم، وإلاَّ فهم واللهِ السَّادةُ، وبمحبَّتهم أتقرَّبُ إلى الله[2]

وقيل له: ما الفرقُ بين المُريد والعارفِ؟ فقال: المُريدُ طالبٌ، والعارفُ مَطلوبٌ، والمطلوبُ مقبولٌ، والطَّالبُ مرغوب[3]

وقال: الرّوحُ مزرعةُ الخير؛ لأنَّها مَعْدِنُ الرَّحمة، والجسدُ والنَّفسُ مزرعةُ الشَّرّ؛ لأنَّها معدنُ[4] الشَّهوة. فالرّوحُ مطبوعٌ بإرادة الخير، والنَّفسُ مطبوعةٌ بإرادة الشَّرّ، والهوى مُدبِّرُ الجسد، والعقلُ مُدبِّرُ الرّوح، والمعرفةُ حاضرةٌ[5] فيما بين العقلِ والهوى، والمعرفةُ في القلب، والهوى والعقلُ يَتنازعان ويتحاربان، فالهوى صاحبُ جيشِ النَّفس، والعقلُ صاحبُ جيشِ القلب، والتَّوفيقُ من الله سبحانه مَدَدُ العقل، والخِذلان مَدَدُ الهوى، والظَّفرُ لمن أرادَ اللهُ سبحانه سعادتَه أو شقاوته[6]

وقال: رضا الخلقِ عن الله رضا[هم] بما يفعل، ورضاه عنهم بأن يُوفِّقهم للرِّضا عنه[7]

---

(١) طبقات الصوفية ٤٠٧.

(٢) طبقات الصوفية ٤٠٨، المختار ٢/ ٢١١

(٣) طبقات الصوفية ٤٠٨، وفيه: والمطلوب مقتول، والطالب مرغوب.

(٤) في (ب): والجسد مزرعة الشر، لأنه معدن.

(٥) في (ب): والمعرفة حاضرٌ، وفي الحلية: والمعرفة خاطرة.

(٦) طبقات الصوفية ٤٠٨، وفيه: لمن أراد الله سعادته، والخذلان لمن أراد الله شقاوته. والحلية ١٠/ ٣٦٣، المختار ٢/ ٢١٢

(٧) طبقات الصوفية ٤٠٩، المختار ٢/ ٢١٢

وقال: المعرفةُ صحّةُ العلم بالله تعالى، واليقينُ النَّظرُ بعيون القلب إلى ما عندَ الله ممّا وعده وادخره[1]

و: المعرفةُ تحقّقُ القلب بوحدانية الله[1]

و: المعرفةُ ظهورُ الحقائقِ وتلاقي الشَّواهد[1]

وقال: المحبَّةُ أَصلُها الموافقةُ. والمُحبُّ هو الذي يُؤثِرُ رضا محبوبِهِ على كلِّ شيءٍ[2]

وقال: من استغفرَ وهو مُلازمُ الذَّنبِ، حرّم اللهُ عليه التَّوبةَ والإنابةَ إليه[3]

وسُئل عن العبدِ إذا خرجَ إلى الله، على أيِّ أصلٍ يخرجُ إليه؟ فقال: على أن لا يعودَ إلى ما منه خرج، ولا يُراعي غير مَنْ إليه خرج، ويحفظُ سرَّه على مُلاحظةِ ما تبرَّأَ منه. فقيل له: هذا حُكمُ من خرجَ عن وجودٍ، فكيف حكمُ من خرجَ عن عدمٍ. فقال: وجودُ الحلاوةِ في المستأنفِ عوضًا عن المرارة في السَّالف[4]

وقال: التَّصوفُ حُسنُ القبولِ مع الدِّيانة، والصِّدقُ مع الصِّيانة، والصَّفاءُ مع الوفاء[5]

وقال: الحياءُ على وجوه منها:

حياءُ الجناية[6]، كما رُوي أنَّ آدمَ عليه السَّلام هامَ على وجهِهِ بعد الجنايةِ[6] في الجنان، قال: فأوحى اللهُ إليه: أَفِرارًا منّي يا آدم؟ قال: لا يا ربّ، بل حياءً منك[7]

---

(١) طبقات الصوفية ٤٠٩، المختار ٢/ ٢١٢

(٢) طبقات الصوفية ٤٠٨، المختار ٢/ ٢١٢

(٣) طبقات الصوفية ٤٠٩.

(٤) الرسالة القشيرية ١٧٤ (التوبة)، المختار ٢/ ٢١٣

(٥) المختار ٢/ ٢١٣

(٦) في (أ): الخيانة.

(٧) رواه عبد الله بن محمد الأصبهاني في العظمة ٥/ ١٥٥٦، وأبو نعيم في الحلية ٥/ ١١٣.

ومنها: حياءُ التَّقصيرِ، كقول الملائكةِ عليهم السَّلام: سُبحانك ما عبدناكَ حقَّ عبادتك[1]

ومنها: حياءُ الإجلال، كما رُوي أن إسرافيلَ عليه السَّلام تسربَلَ بجناحه حياءً من ربِّه تعالى.

ومنها: حياءُ الغِيرة، كما رُويَ أنَّ عُيينةَ بن حصن الفزاري دخلَ على النَّبيِّ ﷺ وعنده عائشةُ أمُّ المؤمنين رضي الله عنها، فرفع النَّبيُّ يده، وسترها عنه، فقال له: يا مُحمد، ما هذا؟ فقال عليه السَّلام: «هذا الحياءُ الذي أُعطيناه ومُنعتموه». أو لفظة هذا معناها[2]

ومنها: حياءُ الكرم[3]، كقوله عزَّ وجل في تأديبِ الصَّحابة رضي الله عنهم: ﴿فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانتَشِرُوا وَلَا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنكُمْ﴾ [الأحزاب: ٥٣].

ومنها: حياءُ المعروف[4]، كما رُوي أنّه قيل للنَّبيِّ ﷺ: يا رسولَ الله، إنَّ الله لا يكلّفك هذا. فقال: «تسألوني، ويأبى اللهُ لي البخل»[5]

ومنها: حياءُ الخلق[6]، كما رُويَ عن عمر رضي الله عنه أنَّه دخلَ في

---

(١) رواه الطبراني في الأوسط ٤/ ٤٤، والكبير ٢/ ١٨٤ جاء في تهذيب الأسرار: قيل إن فيه ذكر الحياء مضمر.

(٢) روى ابن أبي شيبة في المصنف ٥/ ٢١٤ (٢٥٣٣٨) عن قيس قال: دخل عيينة على النبيّ ﷺ ولم يستأذن، فقالت عائشة: يا رسول الله، من هذا؟ قال: «هذا أحمق مطاع في قومه» قال: ثم أُتي بشراب، فاستتر، ثم شرب، فقال: يا رسول الله، ما هذا؟ قال: «هذا الحياء خلة فيهم، أعطوها، وضيعتموه»

(٣) في (أ): حياء المعروف.

(٤) في (أ): حياء الكرم.

(٥) رواه ابن حبان في صحيحه ٨/ ٢٠٣

(٦) في تهذيب الأسرار: حياء الآفة بدلاً من حياء الخلق.

الصَّلاةِ، فذكر أنَّه على غيرِ طُهْرٍ، فخرج من الصَّلاةِ، فقال: إنِّي أردتُ أن أَمرَّ في الصَّلاةِ حياءً من النَّاس.

ومنها: حياءُ التَّحقيق، وإسقاطِ رؤية الخلق من قبل الآفة، وإثباتها من قبل[1] الحقيقةِ، كما رُوي أنَّ بعضَ الصَّحابة فاتته الصَّلاةُ، وهو يأتي المسجد، فتلقَّاهُ النَّاسُ مُنصرفين، فانصرفَ بوجهِهِ حياءً بلا علَّةٍ ولا آفةٍ، وهذا معروفٌ عند أهل المعرفةِ بالقلوب.

ومنها: حياءُ الاستحقار، كما رُوي عن موسى عليه السَّلام قالَ في بعضِ مُناجاته: إنَّه لتعرِضُ لي الحاجةُ من الدُّنيا فأستحيي منك أن أسألَكَ يا ربِّ. فقال عزَّ وجل: لا، سلني حتَّى ملحَ عَجينك، وعلفَ حمارك[2]

ومنها: حياءُ الصِّيانةِ والعفَّة، كقول عثمان رضي الله عنه: ما زَنَيتُ في الجاهليةِ ولا في الإسلام[3]

ومنها: حياءُ الوقار، [لعثمان أيضًا، وذلك حياؤه من الملائكة عند الخلاء.

ومنها: حياء توقير حياء الملائكة عليهم السَّلام من عثمان عليه السَّلام و]كحياءِ النَّبيِّ ﷺ من عثمانَ، وقوله: «إنِّي لأستحيي ممَّن تستحيي منه الملائكة»[4]

ومنها: حياءُ الحِشمة، كقول عليٍّ كرَّمَ الله وجهه للمِقدادِ بنِ الأسود. سلْ رسولَ الله عن المذي؛ فإنَّ ابنتَهُ عندي، وأنا أستحيي أن أسألَهُ لمكانها منّي[5]

---

(١) في (ب): وإتيانها من قبل.
(٢) ذكره ابن رجب الحنبلي في جامع العلوم والحكم ١/ ٢٢٥ قال: وفي الإسرائيليات
(٣) رواه أحمد في فضائل الصحابة ١/ ٤٦٥، والطيالسي في المسند ١/ ١٣
(٤) رواه أحمد في فضائل الصحابة ١/ ٤٦٢، وما بين معقوفين مستدرك من تهذيب الأسرار.
(٥) رواه أحمد في المسند ٦/ ٢، والطبراني ٢٠/ (٥٦٤).

ومنها: حياءُ التَّعجّب والاستبعاد[1]، كما رُوي عن عائشةَ رضي الله عنها لمَّا سمعتْ أمَّ سليم تسألُ النَّبيَّ ﷺ عن المرأةِ إذا رأتْ في المنام ما يَرى الرَّجلُ، تغتسلُ؟ فقال: «نعم، إذا رأتِ الماءَ»، فقالت عائشة عليها السَّلام: أوترى المرأةُ ما يَرى الرَّجلُ؟ فقال النَّبيُّ ﷺ: «تربتْ يمينُك، وإلاَّ فمن أينَ يَكونُ الشَّبه؟»[2]

ومنها: حياءُ العزبة[3]، كقوله تعالى في حقِّ ابنة شعيب عليه السَّلام: ﴿فَجَآءَتْهُ إِحْدَىٰهُمَا تَمْشِى عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ﴾ [القصص: ٢٥]

ومنها: حياءُ الأمثال لبيان الحقِّ كقوله تعالى: ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْيِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا﴾ [البقرة: ٢٦].

ومنها: حياءُ الحقِّ كقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ لَا يَسْتَحْيِۦ مِنَ ٱلْحَقِّ﴾ [الأحزاب: ٥٣].

[ومنها: حياء التَّنبيه] كقوله ﷺ: «إنَّ اللهَ لا يَستحيي من الحقِّ؛ لا تأتوا النِّساء في أدبارهنَّ»[4]

ومنها: حياءُ المراقبة في الاتِّعاظِ لدى الواعظ، قال الله تعالى لعيسى عليه السَّلام: يابن مريم، عِظْ نفسك، فإنِ اتَّعظتْ فعظِ النَّاس وإلاَّ فاستحي منِّي[5]

ومنها: حياءُ المراجعة، كما كان النَّبيُّ عليه السَّلام في ليلةِ المِعراج[6] يتردَّدُ بين ربِّه عزَّ وجلَّ، وبين كليمِهِ موسى عليه السَّلام في تخفيفِ الصَّلاة

---

(١) في تهذيب الأسرار: حياء الخيرة.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه (٣١٤)، وأبو داود (٢٣٧)، والنسائي ١/ ١١٢، وابن حبان ٣/ ٤٤١.

(٣) في (أ): حياء الغربة.

(٤) أخرجه أحمد في المسند ١/ ٨٦، ٥/ ٢١٣، ٢١٤، ٦/ ٣٠٥، وما بين معقوفين مستدرك من تهذيب الأسرار.

(٥) رواه أبو نعيم في الحلية ٢/ ٣٨٢.

(٦) في طبقات الشعراني ١/ ١١٥ ليلة الإسراء.

عن أُمَّتِهِ، حتَّى قال في آخر المراجعة: «إنِّي قد استحييتُ من ربِّي عزَّ وجلَّ»[1]

ومنها: حياءُ قصرِ الأمل، كما قال النَّبيُّ ﷺ يومًا لأصحابه: «استحيوا من اللهِ حقَّ الحياءِ». فقالوا: كلُّنا نستحيي من الله يا رسولَ الله. والحديثُ مشهور[2]

ومنها: حياءُ الإحسان، كما أخبرَ النَّبيُّ عليه السَّلام عن ربِّه تعالى في حقِّ المتورِّعين فقال: إنَّ الله يقول: إنِّي أستحيي أن أُحاسبَهم إذا حاسبتُ الخلائق، وإنَّما قُلنا الإحسان، لقوله عز وجل: ﴿ هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ ﴾؟ [الرحمن: ٦٠]، فجازاهم بإحسانِ ورعهم إحسانَ تركِ المحاسبة[3]

ومنها: حياءُ المعاتبة، كما رُوي أنَّ الله يُعاتب عبدَه يومَ القيامة، فيقول: يا ربِّ، عذابُك أحبُّ إليَّ من عتابك[4]

ومنها: حياءُ المعاودة في السُّؤال، كما رُوي في الخبرِ أنَّ العبد إذا دعا وقال: أيْ ربِّ. فيُعرضُ عنه، فيقولُ في الثَّانية، والثَّالثة، والرَّابعة، فيقول الله: قد استحييتُ من عبدي من كثرةِ ما يقول: أيْ ربِّ، فأُعرضُ، ثمَّ يُجيب سؤاله.

---

(١) أخرجه البخاري (٣٤٩) في الصلاة، باب: كيف فرضت الصلاة و(١٦٣٦) في الحج، باب: ما جاء في زمزم، ومسلم (١٦٣) في الإيمان، باب: الإسراء برسول الله ﷺ.
جاء في تهذيب الأسرار بعده: والحياء الذي بالحديث: وهو قول الراعي للإبل لبعض الصحابة: إني لآتي الغائط وأنا أستحييه.

(٢) أخرجه الترمذي (٢٤٦٠) في صفة القيامة، باب: رقم (٢٥)، والحاكم في المستدرك ٤/ ٣٢٣ وصححه، ووافقه الذهبي.

(٣) انظر الفردوس للديلمي ٢/ ٣١٢

(٤) قال الشعراني في الطبقات ١/ ١١٥ قلت: لأن العبد إذا عوقب فهو بمثابة من أدّى الحق الذي عليه، فيحصل له عقبه الراحة بخلاف من عوتب، فإنه لا يزال خجلاً مستحيًا من ربّه عز وجل، فلا يزال في تعب، والله أعلم.

ومنها: حياءُ التَّوكُّل، كما قال عامرُ رضي الله عنه: إنِّي لأَستحيي من ربِّي عزَّ وجلَّ أن أخافَ شيئًا سِواه[1].

ومنها: حياءُ الصَّلاح، كما رُوي في الخبر: استحي من الله كما تستحيي من صالحِ قومِك[2].

ومنها: حياءُ العين[3]، كما رُوي أنَّ سفيان الثَّوريَّ دخلَ على رابعةَ العدوية، فذكر لها ما ذكر إلى أنْ قالت رابعةُ: إنِّي لأستحيي أنْ أسألَ الدُّنيا ممّن يَملكها، فكيف أسألُها ممّن لا يَملكها؟!

ومنها: حياءُ الواجب، كما رُوي أنَّ عائشةَ رضي الله عنها أثنتْ على نساءِ الأنصار، فقالت: إنَّهنَّ لم يكن يَمنعُهنَّ الحياءُ أنْ يسألنَ رسولَ الله ﷺ عن الصُّفرة والكدرة. الحديث[4] [يعني من دم الحيض].

ومنها: حياءُ الحرمة، كما رُوي أنَّ أبا موسى الأشعري قال لعائشةَ رضي الله عنها: إنِّي أُريدُ أن أسألَكِ عن أمرٍ، وأنا أستحيي أن أسألَك عنه. فقالت: سَلْني ما كنتَ سائلاً عنه أمَّك. فقال: إنَّ الرَّجل يُجامع أهله ولا يُنزِل، أفعليه غُسلٌ؟ فقالت: إذا التقى الختانان فقد وجبَ الغُسل، فعلتُه أنا ورسول الله ﷺ واغتسلنا[5].

ومنها: حياءُ الرَّحمة، كما رُوي في الحديثِ المَرويِّ أنَّ الله تعالى

---

(1) ذكره أبو نعيم في الحلية ٢/ ٨٨ من قول عامر بن عبد الله، وفي ٤/ ١٥٧ من قول عمرو بن عتبة، وفي (أ): كما قال عمر.

(2) روى ابن عدي في الكامل ٢/ ٥٦٠ (في ترجمة جعفر بن الزبير) عن أبي أمامة، عن النبي ﷺ: «استحي من الله استحياءك من رجلين من صالحي عشيرتك».

(3) في تهذيب الأسرار: حياء الغنى.

(4) روى البخاري في صحيحه ١/ ٦٠ (١٣٠)، ومسلم (٣٣٢) عن عائشة رضي الله عنها قالت: نعم النساء نساء الأنصار، لم يكن يمنعهن الحياء أن يتفقّهن في الدين.

(5) رواه مسلم (٣٤٩) والموطأ ١/ ٤٦، والترمذي (١٠٨، ١٠٩).

يستحيي من ذي الشَّيبةِ المُسلم، أن يُعذِّبَهُ بالنَّار[1]

ومنها: حياءُ الغرور، وهو قولُ أبي الدَّرداء لأهلِ حمص: أما تستحيون من ربّكم، تبنون ما لا تَسكنون، وتَجمعون ما لا تأكلون، وتؤمِّلون ما لا تُدركون؟![2]

ومنها: حياءُ المعرفة، كما رُوي أنَّ بعضَ الصَّالحين رأى في المنامِ بالبصرة كأنَّ هاتفًا يهتفُ بهم، ويقول: يا أهلَ البصرة، يا أشباه اليهود، كونوا على حياءٍ من الله تعالى[3]

ومنها: حياءُ استعظام الجناية[4]، كما رُوي عن داود عليه السَّلام أنّه كان لا يَرفعُ رأسَه بعد الجنايةِ إلى السَّماء، حياءً من الله تعالى.

ومنها: حياءُ الإيمان، كما رُوي عن النَّبيِّ عليه السَّلام أنّه قال: «الحياءُ من الإيمان، والإيمان في الجنة[5]، والبَذاءُ من الجفاء، والجفاءُ في النَّار»[6]

ومنها: حياءُ الزّينة، كما رُوي في الحديثِ المَرويِّ: «ما كان الحياءُ في شيء[7] إلاَّ زانَهُ، وما نُزِعَ من شيءٍ إلاَّ شانه»[8]

و[منها: حياء الإنعام، هو حياء الرّبّ سبحانه، يدفع إلى العبد كتابًا

---

(١) روى الطبراني في الأوسط ٥/ ٢٧٠ عن أنس بن مالك أن النبيّ ﷺ قال: «إن الله ليستحيي من ذي الشيبة المسلم، إذا كان مسددًا لَزِمًا للسنة أن يسأل الله فلا يعطيه».

(٢) أخرجه أبو نعيم في الحلية ١/ ٣٥٨ مرفوعًا إلى رسول الله ﷺ.

(٣) هو من قول فرقد السبخي، انظر الحلية ٣/ ٤٦

(٤) في (أ): استعظام الخيانة.

(٥) في طبقات الشعراني ١/ ١١٥ الحياء من الإيمان، الحياء في الجنة

(٦) أخرجه البخاري في الأدب المفرد (١٣١٤)، وابن أبي الدنيا في مكارم الأخلاق (٧٢)، وابن ماجه في سننه (٤١٨٤)، وأبو نعيم في الحلية ٣/ ٦٠، والحاكم في المستدرك ١/ ٥٢، وابن حبان (٥٧٠٤).

(٧) في طبقات الشعراني ١/ ١١٥ وما كان الرفق في شيء.

(٨) أخرجه الترمذي (١٩٧٥) في البر والصلة، وابن ماجه (٤١٨٥).

مختومًا بعدما عبر الصِّراط، وإذا فيه: فعلتَ ما فعلتَ، وقد استحييتُ أن أُظهره عليك، فاذهب فإنّي قد غفرتُ لك][1]

ومنها: حياءُ الخير، وهو قوله عليه السَّلام حين سُئل عن الحياء، فقال: «الحياءُ خيرٌ كلُّه»[2]، خيرُ الدِّين والدُّنيا[3]

وقال محمد بن داود: سألتُ عليًّا تلميذَ ابن يَزْدانيار، فقلت له: بِمَ أَوصاكَ الشَّيخُ وقتَ مفارقتك إيّاه؟ فقال: أوصاني بفصلين، قال لي: أنت مُبتلًى بمعاشرةِ النَّاس ومُجالستهم، احذرْ ثمَّ احذرْ، ولا يُحفظُ عليك فصلٌ[4] تسقطُ به عن عينِ الله وعينِ من يسمعك بترك الأدب. والثَّاني قال لي: بابُ الله مفتوحٌ حتَّى تطلعَ الشَّمسُ من مغربها، فأيُّ وقتٍ دُفعتَ إلى هفوةٍ أو شيءٍ لا يُحبُّه الله منك، فارجعْ إلى الله، فإنَّه أَولى بك، وأمَلْ أن يقبلك[5]

وسُئل عن ابن الجلاَّء، فقال: مؤتمنٌ على سرِّ الله تعالى.

وسُئل عن الزَّقَّاق فقال: خزانةُ صدقٍ.

* * *

---

(1) قوله مستدرك من الرسالة القشيرية.

(2) أخرجه البخاري في الأدب ١٠/ ٤٣٣، باب الحياء، ومسلم (٣٧) في الحياء، باب عدد بيان شعب الإيمان، وأبو داود (٤٧٩٦) في الأدب، باب الحياء.

(3) تهذيب الأسرار ٤٤٠ ٤٤٥، وبعض قوله في الرسالة القشيرية ٣٢٥ (الحياء) وساقه من غير عزو، والمختار ٢/ ٢١٣، طبقات الشعراني ١/ ١١٤

(4) في المختار: عليك شيء.

(5) المختار ٢/ ٢١٥، وفيه: وأمثل أن يقبلك

(٨٢) إبراهيم ابن المُوَلَّد(*)

ومنهم: أبو إسحاق إبراهيم بن أحمد بن المُوَلَّد من كبار مشايخ الرَّقة وفتيانهم، وأحسنِهم سيرةً.

صحب: أبا عبد الله بن الجلاَّء الدِّمشقي، وإبراهيم بن داود القصّار الرَّقِّي.

قال رحمه الله: من كانت بدايتُهُ نهايتَهُ، ونهايتُهُ بدايتَهُ فالاجتهاد يلزمه في البدايةِ النّهاية(١).

وقال: من تولاَّه رعايةُ الحقّ، أجلُّ من أن تؤدِّبَهُ سياسةُ العلم(٢).

وقال: القيامُ بآداب العلمِ وشرائعه، يبلغُ بصاحبه إلى مقامِ الزِّيادة والقبول(٢).

وقال: العبدُ إذا أصبحَ كان مُطالبًا من الله تعالى بالطَّاعة، ومن نفسِهِ بالشَّهوة، ومن الشَّيطانِ بالمعصية؛ لكنَّ الله رفقَ به حيثُ أمره في ابتداءِ صباحه بأمرٍ، وبعثَ إليه مُناديًا يُناديه، ويندبه إلى أمر الله، وهم المؤذِّنون

(*) طبقات الصوفية ٤١٠، حلية الأولياء ١٠/ ٣٦٤، المختار من مناقب الأخيار ١/ ٢٠٨، مختصر تاريخ دمشق ٤/ ١٣، العبر ٢/ ٢٥٩، سير أعلام النبلاء ١٥/ ٤٨٧، مرآة الجنان ٢/ ٣٣٤، البداية والنهاية ١١/ ١٢٠، طبقات الأولياء ٨٣، نفحات الأنس ٣١٦، طبقات الشعراني ١/ ١١٥، الكواكب الدرية ٢/ ٨، شذرات الذهب ٢/ ٣٦٢

(١) طبقات الصوفية ٤١١، المختار ١/ ٢١٠، وفي الأصلين والطبقات: في الاجتهاد، والمثبت من المختار.

(٢) طبقات الصوفية ٤١١، المختار ١/ ٢٠٩

[يؤذّنون] ويكبّرون في آذانهم تكبيرات مُكرّرات، يقولون: اللهُ أكبرُ الله أكبر. ليكبُرَ في قلبه أمرُ سيِّده، فيبادر إلى طاعته، ويخالف [هوى] نفسه وشيطانَه، فإن بادر إليه، أكرمَهُ اللهُ بالظّفر على نفسه، وغلبتِهِ لشهوته، وأعانه على عدوِّه، بقطع الوساوس من قلبه، فإنَّ من يدنو إلى بابه، ودخل في حِرزه صار غالبًا لا مَغلوبًا[1]

وقال: حلاوةُ الطّاعة بالإخلاص، تذهبُ بوحشةِ العُجْب[2]

وقال: عجبتُ لمن عرف أنَّ له طريقًا إلى ربِّه، كيف يعيشُ مع غيره؟! والله تعالى يقول: ﴿ وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُواْ لَهُۥ ﴾[3] [الزمر: ٥٤].

وقال: جُبلتِ الأرواحُ من الأفراح، فهي تعلو أبدًا إلى محلِّ الفرحِ من المُشاهدة. والأجسادُ خلقتْ من الأكماد، فهي لا تزال ترجعُ إلى كمدِها؛ من طلب هذه الفانية، والاهتمامِ بها ولها[4]

وقال: من قالَ (به) أفناه عنه، ومن قال (منه) أبقاه له[4]

وأنشد:

لولا مَدامعُ عُشّاقٍ ولوعتُهم ... لبان في النَّاسِ عزُّ الماءِ والنَّار

فكلُّ نارٍ فمن أنفاسِهم قُدِحَتْ ... وكلُّ ماءٍ فمن دمعٍ لهم جاري[5]

وسُئل عن مُسامرة المحبّين، فقال: ظنونٌ وأمانٍ، فإذا تحقّقتِ المُسامرةُ قتلت. ثمَّ أنشدَ للعباس بن الأحنف:

خيالُك حينَ أَرقدُ نصبَ عيني ... إلى وقتِ انتباهي لا يَزولُ

---

(١) طبقات الصوفية ٤١١ وما بين معقوفين مستدرك منه، المختار ١/ ٢٠٩

(٢) طبقات الصوفية ٤١٢، الحلية ١٠/ ٣٦٤، المختار ١/ ٢٠٨، وفي (أ): بوجه العجب.

(٣) طبقات الصوفية ٤١٢، الحلية ١٠/ ٣٦٤، المختار ١/ ٢٠٩

(٤) طبقات الصوفية ٤١٢، المختار ١/ ٢٠٩

(٥) طبقات الصوفية ٤١٢، الحلية ١٠/ ٣٦٤، المختار ١/ ٢١٠.

وليس يزورني صلةً ولكن حديثُ النَّفسِ عنه هو الوصولُ[١]

وقال: ثمنُ التَّصوّفِ فَناؤك فيه، فإذا فنيتَ فيه بقيتَ بقاءَ الأبد؛ لأنَّ من فَني عن حُسوسه بقي بمشاهدةِ المطلوب، وذاك بقاء الأبد[٢]

وقال: الأدبُ في الأكلِ أن لا يمدُّوا أيديهم إلى الأرْفاق إلاَّ في أوقاتِ الضَّرورات، ثمَّ على قدرِ إمساك الرَّمق[٣]

وقال: من قامَ إلى الأوامرِ لله، كان بين قبولٍ وردٍّ، ومن قام إليها بالله كان مقبولاً لا شكَّ[٤]

وقال: السِّياحةُ بالنَّفسِ لآداب الظَّواهر عِلمًا وشرعًا وخلقًا، والسِّياحةُ بالقلبِ لآداب البواطن حالاً ووجدًا وكشفًا[٥]

وقال: الفترةُ بعد المجاهدةِ من فسادِ الابتداء، والحَجْبُ بعد الكشفِ من السُّكونِ إلى الأحوال[٥]

وقال: نفسُك سائرةٌ بك، وقلبُك طائرٌ بك، فكنْ مع أسرعِهما وصولاً[٦]

* * *

---

(١) المختار ١/ ٢١١، والبيتان في ديوان العباس بن الأحنف صفحة ٢٣١، والشطر الأخير في (أ) والمختار: النفس عنه والوصول، وفي الديوان: عنك به الوصولُ.

(٢) طبقات الصوفية ١/ ٢٠٩، الحلية ١٠/ ٣٦٤

(٣) طبقات الصوفية ٤١٢، وفي (أ): إمساك الرفق.

(٤) طبقات الصوفية ٤١٣ وفيها: من قام إلى أوامر الله كان. الحلية ١٠/ ٣٦٤

(٥) طبقات الصوفية ٤١٣، المختار ١/ ٢١٠

(٦) طبقات الصوفية ٤١٣، الحلية ١٠/ ٣٦٤، المختار ١/ ٢٠٩.

(٨٣) أبو عبد الله بن سالم البصري(*)

ومنهم: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن سالم البصري صاحبُ سهل بن عبد الله التُّستري، وراوي كلامِه، لا ينتمي إلى غيرِه من المشايخ.

وهو من أهلِ الاجتهاد، وطريقتُهُ طريقةُ أستاذِه سهل. وله بالبصرة أصحابٌ يَنتمون إليه وإلى ولده أبي الحسن(١)

سُئل رحمه الله فقيل له: أنحن مُستعبدون(٢) بالكسبِ أم بالتَّوكُّل؟ فقال: التَّوكُّلُ حالُ رسولِ الله ﷺ، والكسبُ سُنته، وإنمَّا استُنَّ الكسبُ لمن ضعفَ عن حالِ التَّوكُّل، وسقطَ عن درجةِ الكمال التي هي حالُه ﷺ، فمن أطاقَ التَّوكُّلَ فالكسبُ غيرُ مباحٍ له بحال إلاَّ كسبَ معاونةٍ لا كسبَ اعتماد عليه، ومن ضعفَ عن حالِ التَّوكُّلِ التي هي حالُ رسول الله ﷺ، أُبيح له طلبُ المعاش في الكسب؛ لئلا يسقطَ عن درجة سُنَّته حيثُ سقطَ عن درجة حاله(٣)

وقال: من عاملَ الله على رؤية السَّبق، ظهرتْ عليه الكرامات(٤)

(*) طبقات الصوفية ٤١٤، حلية الأولياء ١٠/ ٣٧٨، المختار من مناقب الأخيار ٤/ ٣٠٥، طبقات الأولياء ٢٣٦، نفحات الأنس ١٨١، طبقات الشعراني ١/ ١١٦، الكواكب الدرية ٤/ ٥٧٢.

(١) طبقات الصوفية ٤١٤، المختار ٤/ ٣٠٥

(٢) في (أ): متعبدون.

(٣) طبقات الصوفية ٤١٤، الحلية ١٠/ ٣٧٨، المختار ٤/ ٣٠٦.

(٤) طبقات الصوفية ٤١٥، المختار ٤/ ٣٠٦.

وقال: من صبرَ على مُخالفة نفسه، أوصلَهُ اللهُ إلى مقام أُنسه[1]

وقيل له: بماذا يُعرفُ الأولياءُ في الخَلْق؟ فقال: بلطفِ لسانهم[2]، وحُسنِ أخلاقهم، وبشاشةِ وجوههم، وسخاوةِ نفوسهم، وقلّةِ اعتراضهم، وقبولِ عذرِ من اعتذر إليهم، وتمامِ الشَّفقةِ على جميعِ الخلق برِّهم وفاجرهم[3]

وقال: من توكَّلَ على الله، أسكنَ اللهُ قلبَه نورَ الحكمة، وكفاه كلَّ مُهمٍّ[4]، وأوصلَه إلى كلِّ محبوبٍ، فإنَّه يقول سبحانه: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ [الطلاق: ٣] أي هو القائمُ بكلِّ كفاية[5]

و: التَّوكُّلُ على الله فريضةٌ، لقوله تعالى: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [المائدة: ٢٣] والحركةُ في طلبِ الرِّزق مباحٌ لمن عجز عن التَّوكُّلِ، قال الله تعالى: ﴿أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبْتُمْ﴾[6] [البقرة: ٢٦٧] فما يُفتح[7] بالطَّلب والكسبِ بين طيِّبٍ وخبيث، وما يُفتح بالتَّوكُّلِ لا يكون إلاَّ طيِّبًا، لأنَّ ذلك من معدنٍ طيِّبٍ[8]

وقال: رؤيةُ المنَّةِ مفتاحُ التَّودُّدِ[8]

و: يسترُ عورات المرءِ عقلُه وحلمه وسخاؤه ويقوِّمُهُ في كلِّ أحواله الصِّدقُ[9]

---

(١) طبقات الصوفية ٤١٥، المختار ٤/ ٣٠٦

(٢) في (أ): بلطف سنانهم.

(٣) طبقات الصوفية ٤١٥.

(٤) في (أ): كل ملم.

(٥) طبقات الصوفية ٤١٥، المختار ٤/ ٣٠٦.

(٦) في الأصل: كلوا. وكذلك في طبقات الصوفية ٤١٥، والمختار ٤/ ٣٠٦، ولا يوجد قوله: كلوا من طيبات. في كتاب الله

(٧) في الأصل: فما يصح، والمثبت من طبقات الصوفية.

(٨) طبقات الصوفية ٤١٥، المختار ٤/ ٣٠٦

(٩) طبقات الصوفية ٤١٦، الحلية ١٠/ ٣٧٩، المختار ٤/ ٣٠٦.

وقال: اجتهدْ في المراعاة، لتلحقَك الرِّعاية، فإنَّ من كان في رعايةِ الحقِّ كان من المخالفات في أَحصنِ حصنٍ[1]

وقال: من توحَّدَ ببثِّهِ، وتفرَّدَ بهمِّه، أورده ذلك إلى رياضٍ تكشفُ عنه بثَّهُ، وتزيل عنه همّه، ومن شكا بثَّهُ كان متردِّدًا في الشُّكوى إلى أن يحكمَ اللهُ فيه حكمه[2]

وقال: العاقلُ من تبرَّم بعشرةِ المُخالفين، وزهدَ في صحبةِ أبناءِ الدُّنيا، فإنَّهم إن لم يَشغلوه بها، شغلوه عمّا هو فيه[2]

وقال: ارفعْ قدرَك عن مُلازمة الطِّباع الدَّنيّة، تدسْ رَبْع الكرم، وتعشْ[3] في محلِّ النِّعم، فإن ألفتَها قطعتْ بك، وإن سئمتها، بلغتْ بك إلى ما لا أينٌ، ولا حدٌّ ولا خبر ولا أخبار ولا استخبار إذ ذاك، إن حَصَلتْ ثم حصلتْ لك قيمةٌ وكنتَ إذ ذاك[4]

* * *

---

(١) طبقات الصوفية ٤١٦

(٢) طبقات الصوفية ٤١٦، المختار ٤/ ٣٠٧

(٣) في (ب): تدوس ربع الكرم، وتعيش. وفي طبقات الصوفية: تدس بين ربع

(٤) طبقات الصوفية ٤١٦، المختار ٤/ ٣٠٧

(٨٤) محمد بن عَلْيان(*)

ومنهم: محمد بن عَلْيَان النَّسوي من كبار مشايخ نَسا(١)، من قريةٍ بيسمة.

من جلَّةِ أصحابِ أبي عثمان الحِيري.

قيل فيه: إنَّه إمامُ أهل المعارف(٢)

وكان يخرجُ من نَسا قاصدًا إلى أبي عثمان في مسائلَ واقعات، فلا يأكلُ ولا يشربُ في الطَّريق حتَّى يردَ نيسابور، فيسأله عن تلك المسائل(٣)

وهو من أعلى المشايخ همَّةً، وله الكراماتُ الظَّاهرة.

وقال رحمه الله: الزَّهادةُ في الدُّنيا مفتاحُ الرَّغبة في الآخرة(٣)

وقال: آياتُ الأولياء وكراماتُهم رضاهم بما يُسخط العوامَّ من مجاري المقدور(٤)

(*) طبقات الصوفية ٤١٧، حلية الأولياء ١٠/ ٣٧٦، الإكمال ٦/ ٢٦٨، المختار من مناقب الأخيار ٤/ ٤٢٣، طبقات الأولياء ٣٧٣، تبصير المنتبه ٣/ ٩٦٥، نفحات الأنس ٣٢٣، طبقات الشعراني ١/ ١١٦، الكواكب الدرية ٢/ ١٤٨

(١) نسا: مدينة بخراسان، وبيئة جدًا والنسبة إليها نسائي ونسوي. انظر معجم البلدان.

(٢) هو من قول محفوظ بن محمود. انظر طبقات الصوفية ٤١٧

(٣) طبقات الصوفية ٤١٧، المختار ٤/ ٤٢٣.

(٤) طبقات الصوفية ٤١٨، المختار ٤/ ٤٢٣.

وقال: لا يصفو للسَّخيِّ سخاؤه إلاَّ بتصغيره، ورؤيةِ فضلِ من يقبل منه[1]

وقال: المروءةُ حفظُ الدِّين، وصيانةُ النَّفس، وحفظُ حرمات المؤمنين، والجودُ بالموجود، وقصورُ الرُّؤيةِ عنه وعن جميع أفعالك[1]

وقال: الخوفُ له أثرٌ في القلب، يُؤثِّر على ظاهر صاحبه الدُّعاءَ والتَّضرُّع والانكسار[1]

وقال: من لم يتحقَّقْ في وِدادِ ربِّه ومحبَّته، جعلَ في مكانِ الوفاءِ في المحبَّةِ غدرًا، ومكانَ الأُلفة نِفارًا[2]

وقال: علامةُ الأولياء خوفُ الانقطاع عنه؛ لشدَّةِ ما في قلوبهم من الإيثار له، والشَّوقِ إليه[3]

وقال: كيف لا تُحبُّ من لم تنفكَّ عن برِّه طرفةَ عينٍ؟ وكيف تدَّعي محبَّةَ من لم تُوافقْهُ في طرفةِ عينٍ؟[4]

وقال: من خدمَ الله لطلبِ ثوابٍ أو خوفِ عقابٍ، فقد أظهرَ خسَّتَهُ، وأبدى طمعَهُ، فقبيحٌ بالعبد أن يخدمَ سيِّدَه لِعِوضٍ[5]

وقال: من سكنَ إلى غيرِ الله، أهملَهُ وتركَهُ، ومن سكنَ إليه، قطعَ عليه طريقَ السُّكونِ إلى شيءٍ سِواه[6]

وقيل له: ما علامةُ رضا الله عن العبد؟ فقال: نشاطُهُ في الطَّاعات، وتثاقلُهُ عن المعاصي[7]

---

(١) طبقات الصوفية ٤١٨، المختار ٤/ ٤٢٣.
(٢) طبقات الصوفية ٤١٧. وفي (ب): الإلفة نقارًا.
(٣) طبقات الصوفية ٤١٨، المختار ٤/ ٤٢٤
(٤) طبقات الصوفية ٤١٧، المختار ٤/ ٤٢٤
(٥) طبقات الصوفية ٤١٩، وفي (ب): أو خوف، أو عقاب.
(٦) طبقات الصوفية ٤١٩، المختار ٤/ ٤٢٤.
(٧) طبقات الصوفية ٤١٨، المختار ٤/ ٤٢٤.

وقال: من أظهرَ كراماتِه فهو مُدَّعٍ، ومن ظهرتْ عليه الكراماتُ فهو وليٌّ[1].

وقال: الفقرُ لباسُ الأحرار، والغِنى لباسُ الأبرار[1].

وقال: مَنْ صحبَ الفقراءَ، فليصحبْهم على سلامةِ السِّرِّ، وسخاءِ النَّفس، وسَعةِ الصَّدر، وقبولِ المِحَنِ بالنِّعم[2].

وقال: أفقرُ الفقراء من لا يَهتدي إلى من يَقدِرُ على أن يغنيه[2].

* * *

---

(١) طبقات الصوفية ٤١٨، المختار ٤/ ٤٢٤.

(٢) طبقات الصوفية ٤١٨.

(٨٥) أبو بكر بن أبي سعدان(*)

ومنهم: أبو بكر أحمد بن محمد بن أبي سَعْدان بغداديٌّ.

من أصحابِ الجُنيد والنُّوري.

وهو أعلمُ مشايخِ الوقتِ بعلومِ هذه الطَّائفة.

وكان عالِمًا بعلوم الشَّرع، مُتقدِّمًا فيه، ينتحلُ مذهبَ الشَّافعي، ويعرفُ من علوم الصَّنعةِ وغيرِ ذلك. وكان ذا لسانٍ وبيان.

قيل: إنَّه كان بطَرَسُوس، فطلبوا مَنْ يُرسلونه إلى الرّوم، فلم يجدوا مثلَه في فضلِهِ وعلمه وفصاحته وبيانه، حتَّى قالوا في ذلك الأوان. لم يبقَ في هذا الزَّمانِ لهذهِ الطَّائفة إلاّ رجلان: أبو عليّ الرُّوذباري بمصر، وأبو بكر بن أبي سَعْدان بالعراق، وأبو بكر أَفهمُهما(١)

قال رحمه الله: من صحبَ الصُّوفية، فليصحبْهم بلا نفْسٍ ولا قلب ولا مِلْك، فمتى نظرَ إلى شيءٍ من أسبابه، قطعه ذلك عن بلوغِ مقصده(٢)

وقال: مَنْ عملَ بعلمِ الرِّواية، ورِّثَ علم الدِّراية، ومن عملَ بعلم

(*) طبقات الصوفية ٤٢٠، حلية الأولياء ١٠/ ٣٧٧، تاريخ بغداد ٤/ ٣٦١، المختار من مناقب الأخيار ١/ ٣٣٨، طبقات الأولياء ١٥٠، نفحات الأنس ٢٧٥، طبقات الشعراني ١/ ١١٧، الكواكب الدرية ٢/ ١٧

(١) طبقات الصوفية ٤٢٠.

(٢) طبقات الصوفية ٤٢١، المختار ١/ ٣٣٩.

الدِّراية، ورَّثَ علمَ الرِّعاية، ومَنْ عملَ بعلم الرِّعاية هُدي إلى سبيل الحقِّ[1]

وقال: الانقطاعُ عن الأحوال سببُ الوصول إلى الله[2]

وقال: مَنْ قابله بأفعاله، قابلَهُ بعدْله، ومَنْ قابله بإفلاسه، قابلَهُ بفضله، ولا عملَ أتمُّ من الصِّدق، وأنورُ منه وأبلغُ، وقد قال الله تعالى: ﴿لِيَسْـَٔلَ ٱلصَّـٰدِقِينَ عَن صِدْقِهِمْۚ﴾ [الأحزاب: ٨]. تُراه يقومُ بحقيقةِ صدقه؟ أو بالجواب عن سؤاله؟ والأنبياءُ عليهم السَّلام عجزوا حين سُئلوا: ﴿مَاذَآ أُجِبْتُمْۖ قَالُواْ لَا عِلْمَ لَنَآ﴾[3] [المائدة: ١٠٩].

وقال: الصَّابرُ على رجائه، لا يقنطُ من فضله[3]

وقال: الاعتصامُ بالله هو الامتناعُ به من الغفلةِ والمعاصي، والبِدع والضَّلالات[4]

وقال: الشُّكرُ أن تشكرَ على البلاء شُكرَه على النَّعماء[3]

وقال: من جلسَ للمُناظرة على الغفلةِ، لزمَه ثلاثةُ عيوب.

أوَّلها[5]: جِدالٌ وصياح، وهو المنهيُّ عنه، وأوسطُهُ حبُّ العُلوِّ على الخلق، وهو المَنهيُّ عنه، وآخرُهُ الحقدُ والغضب وهو المنهيُّ عنه. ومن جلسَ للمُناصحة فإنَّ أوَّلَ كلامه موعظةٌ، وأوسطَهُ دلالةٌ، وآخرَهُ بركةٌ[6]

وقال: من سمعَ بأُذنه حكى، ومَنْ سَمع بقلبه وعظ، ومن عملَ بما يسمعُ هُدي واهتدى[7]

---

(١) طبقات الصوفية ٤٢١، المختار ١/ ٣٣٨ وفي (ب): ورّث قلبه علم الدراية.

(٢) في (أ) و(ب): إلى الأحوال. والمثبت من طبقات الصوفية ٤٢١.

(٣) طبقات الصوفية ٤٢١، المختار ١/ ٣٣٩

(٤) طبقات الصوفية ٤٢٢، المختار ١/ ٣٣٩

(٥) في طبقات الصوفية: أوله.

(٦) طبقات الصوفية ٤٢٢.

(٧) طبقات الصوفية ٤٢١، الحلية ١٠/ ٣٧٧، المختار ١/ ٣٣٩، وفي (أ): بقلبه وعى.

وقال: من لم يتظرَّفْ في التَّصوف فهو غبيٌّ[١]

وقال: إذا بدتِ الحقائقُ، سقطت آثارُ الفهوم والعلوم، وبقي لها الرَّسمُ الجاري لمَحلِّ الأمرِ، وسقط منه حقائقُها[٢]

وقال: خُلقتِ الأرواحُ من النُّور، وأُسكنت ظُلَمَ الهياكل، فإذا قَوي الرُّوحُ جانس العقل، وتواترتِ الأنوار، وأزالتْ عن الهياكل ظُلمها، فصارتِ الهياكلُ رُوحانيةً بأنوارِ الرّوح والعقلِ، فانقادتْ ولزمتْ طريقَها، ورجعتِ الأرواحُ إلى مَعْدنِها من الغيب، تُطالع مجاري الأقدار، فهي تطالع المجاري من الأقدار، وهذه ترضى بموارد القضاء والقدر، وهذه من لطائف الأحوال[٣]

وقال: الصُّوفيُّ هو الخارجُ عن النّعوت والرُّسوم. والفقيرُ هو الفاقدُ للأسباب، وفقدُ الأسباب أوجبَ له اسمَ الفقرِ وسهَّلَ له الطَّريقَ إلى المُسبِّبِ. وصفاءُ الصُّوفيِّ عن النّعوت والرُّسوم ألزمه اسم التَّصوف، فصُفِّي عن ممازجات الأكوانِ كلِّها بمصافاة من صافاه في الأزل بالأنوار والمَبارِّ[٤]

وقال: أوّلُ قسمةٍ قُسمت للنفس من الخيرات الرُّوحُ؛ ليتروّح به عن مُساكنة الاغترار[٥]، ثمَّ العلم، ليُدلَّهُ على رشده، ثمَّ العقل؛ ليكونَ مُشيرًا للعلم إلى درجات المعارفِ ومُشيرًا[٦] للنفس إلى قبولِ العلم، وصاحبًا للرُّوح في الجولان في الملكوت.

* * *

(١) في طبقات الصوفية ٤٢٢، من لم ينظر. نفحات الأنس ٢٧٥

(٢) طبقات الصوفية ٤٢٢.

(٣) طبقات الصوفية ٤٢٢، المختار ١/ ٣٣٨

(٤) طبقات الصوفية ٤٢٢، نفحات الأنس ٢٧٥

(٥) في طبقات الصوفية ٤٢٣ مساكنة الأغيار.

(٦) في (ب): المعارف فقيرًا، ومشيرًا.

(٨٦) أبو سعيد بن الأعرابي(*)

ومنهم: أبو سعيد أحمد بن محمد بن زِياد بن بِشْر بن دِرْهم بن الأعرابي بصريُّ الأصل، سكن مكَّةَ. وكان في وقته شيخَ الحرم، وماتَ بها سنة إحدى وأربعين وثلاث مئة.

وصنَّفَ للقوم كتبًا كثيرةً.

صحبَ: الجُنيد، والنُّوري، وعَمرو المكّي، والمُسوحي، وأبو جعفر الحفار(١)

وكان من كبارِ المشايخ لهذه الطَّائفة وعلمائهم.

قال رحمه الله: ثبتَ الوعدُ والوعيد من الله تعالى، فإذا كان الوعدُ قبل الوعيد، فالوعيدُ تَهديد، وإذا كان الوعيدُ قبلَ الوعدِ فالوعيدُ مَنسوخٌ، وإذا اجتمعا معًا فالغلبةُ والثَّباتُ للوعد(٢)؛ لأنَّ الوعدَ حقُّ العبدِ، والوعيدُ

(*) طبقات الصوفية ٤٢٧، حلية الأولياء ١٠/ ٣٧٥، الرسالة القشيرية ١٠٧، تاريخ ابن عساكر ٧/ ٣٠٥، المنتظم ٦/ ٣٧١، المختار من مناقب الأخيار ١/ ٣٣٥، مختصر تاريخ دمشق ٣/ ٢٦١، العبر ٢/ ٢٥٢، سير أعلام النبلاء ١٥/ ٤٠٧، تذكرة الحفاظ ٣/ ٨٥٢، مرآة الجنان ٢/ ٣٣١، البداية والنهاية ١١/ ٢٢٦، طبقات الأولياء ٧٧، لسان الميزان ١/ ٣٠٨، العقد الثمين ٣/ ١٣٧، النجوم الزاهرة ٣/ ٣٠٦، نفحات الأنس ٣٢٤، طبقات الشعراني ١/ ١١٧، الكواكب الدرية ٢/ ٢٧، شذرات الذهب ٢/ ٣٥٤، معجم المؤلفين ٢/ ١٠٣

(١) في (أ): الجفان.

(٢) في (أ): والثبات للوعيد.

حقُّ الله تعالى، والكريم يتغافلُ عن حقِّه، ولا يُهملُ ويترك ما عليه[1]

وقال: إنَّ اللهَ جعلَ نعمتَه سببًا لمعرفته، وتوفيقَه سببًا لطاعته، وعِصمتَه سببًا لاجتناب مَعصيته، ورحمتَه سببًا للتَّوبة، والقربةَ سببًا لمغفرته والدُّنو منه[2]

وقال: إنَّ اللهَ خلقَ ابنَ آدم من الغفلة، وركَّبَ فيه الشَّهوةَ والنِّسيان، فهو كلُّه غفلةٌ إلاَّ أن يرحمَ اللهُ عبدًا فينبهه، وأقربُ النَّاسِ إلى التَّوفيق من عرفَ نفسَه بالعجز والذُّلِّ والضَّعف، وقلَّة الحياء[3] مع التَّواضعِ لله تعالى، وقلَّ من ادَّعى في أمرِه قوةً إلاَّ خُذِلَ ووكِلَ إلى قوّته[4]

وقال: إنَّ الله طيَّبَ الدُّنيا للعارفين بالخروجِ منها، وطيَّبَ الجنَّة لأهلها بالخُلود فيها، فلو قيل للعارفِ. إنَّك تبقى في الدُّنيا، لماتَ كَمَدًا، ولو قيل لأهلِ الجنَّة: إنكم تخرجون منها، لماتوا كَمَدًا، فطابتِ الدُّنيا بذكرِ الخروج منها، وطابتِ الجنَّةُ بذكر الخلودِ فيها[5]

وقال: أخسرُ الخاسرين من أَبدى للنَّاسِ صالحَ أعماله، وبارزَ بالقبيح من هو أَقربُ إليه من حبلِ الوريد[6]

وقال: المعرفةُ كلُّها الاعترافُ بالجهل، والتَّصوفُ كلُّه تركُ الفضول. والزُّهدُ كلُّه أخذُ ما لا بدَّ منه، وإسقاطُ ما بقي. والمعاملةُ كلُّها [استعمال] الأولى فالأولى من العلم. والتَّوكُّل كلُّه طرحُ الكيف. والرِّضا كلُّه تركُ الاعتراض. والمحبَّةُ كلُّها إيثارُ المحبوبِ على الكلِّ. والعافيةُ كلُّها إسقاطُ

---

(١) طبقات الصوفية ٤٢٩، المختار ١/ ٣٣٦.

(٢) طبقات الصوفية ٤٢٩، ٤٣٠، المختار ١/ ٣٣٦، وفيهما: والتوبة سببًا لمغفرته

(٣) في طبقات الصوفية: وقلة الحيلة.

(٤) طبقات الصوفية ٤٣٠، ومن بداية قوله: وأقرب الناس إلى التوفيق. في المختار ١/ ٣٣٧

(٥) طبقات الصوفية ٤٢٨، المختار ١/ ٣٣٦

(٦) طبقات الصوفية ٤٢٨، الرسالة القشيرية ١٠٧، المختار ١/ ٣٣٧.

التَّكلُّف. والصَّبرُ كلُّه تلقِّي البلاء بالرّحب. والتَّفويضُ كلُّه الطُّمأنينةُ عند الموارد. واليقينُ كلُّه تركُ الشَّكوى عندما يُضادُّ مُرادك. والثِّقةُ بالله علمُكَ أنَّه بك وبمصالحك أَعلمُ منك بنفسك[1]

وقال: إنَّ اللهَ أعارَ بعضَ أخلاقِ أوليائه أعداءَه يستعطف بها على أوليائه[2]

وقال: القلوبُ إذا أقبلت رُوِّحَتْ بالأرفاق، وإذا أدبرت رُدّت إلى المشاقِّ[3]

وقال: من أصلح اللهُ همَّتَهُ، لا يُتعبه بعد ذلك ركوبُ الأهوال، ولا مُباشرةُ الصِّعاب، وعلا بعلوِّ همّته إلى أَسنى المراتبِ، وتنَزَّه عن الدَّناءةِ أجمع[4]

وقال: اشتغالُكَ بنفسك يقطعُكَ عن عبادةِ ربِّك، واشتغالُكَ بهموم الدُّنيا يقطعُكَ عن هموم الآخرة، ولا عبدَ أَعجزُ من عبدٍ نسي فضلَ ربِّه تعالى، وعدّ عليه تسبيحَه وتكبيره التي هي إلى الحياءِ منه أقربُ من طلبِ ثوابٍ عليه وافتخارٍ به[5]

وقال: مدارجُ العلومِ بالوسائط، ومدارجُ الحقائق بالمكاشفة[6]

وقال: من طلبَ الطَّريقَ إليه، وصلَ إلى الطَّريق بجُهدٍ واجتهادٍ ومُجاهدة، ومن طلبه استغنى عن الطَّريقِ والأدلَّةِ، وكان الحقُّ دليلَه إليه، وموصلَه إليه[7]

---

(١) طبقات الصوفية ٤٢٨ وما بين معقوفين مستدرك منه، المختار ١/ ٣٣٦

(٢) طبقات الصوفية ٤٢٨، الحلية ١٠/ ٣٧٥، المختار ١/ ٣٣٧

(٣) طبقات الصوفية ٤٢٩، المختار ١/ ٣٣٧

(٤) طبقات الصوفية ٤٢٩

(٥) طبقات الصوفية ٤٢٩، المختار ١/ ٣٣٦، وفيهما: الذي هو إلى الحياء منه أقربُ.

(٦) طبقات الصوفية ٤٣٠، المختار ١/ ٣٣٧

(٧) في طبقات الصوفية ٤٣٠: وموصّله لا غير، المختار ١/ ٣٣٧.

وقيل له: ما الذي تَرضى من أوقاتك؟ فقال: الأوقاتُ كلُّها لله تعالى، فأحسنُ الأوقاتِ وقتٌ يُجري الحقُّ عليَّ فيه ما يُرضيه عنِّي[١]

وسُئل عن أخلاقِ الفقراء، فقال: أخلاقُهم السُّكونُ عند الفقر[٢]، والاضطرابُ عند الوجود، والأُنسُ بالهموم، والوحشة عند الأفراح[٣]

وقال: العارفون بين ذائقٍ وشائقٍ ووامقٍ فالمِقَةُ شاقتهم[٤]، والشَّوقُ ذوَّقَهم، فمن ذاق في شوقه فروي، سَكَنَ وتمكَّن، ومن ذاقَ فيه من غير رِيٍّ أورثه الانزعاجَ والهيمان[٥]

* * *

---

(١) طبقات الصوفية ٤٣٠

(٢) في (ب): عند العقد، وفي المختار: عند الفقد.

(٣) طبقات الصوفية ٤٣٠، المختار ١/ ٣٣٧

(٤) المقة: المودة والحب. انظر القاموس (ومق) وفي (ب): المقة شاوقهم.

(٥) طبقات الصوفية ٤٣٠.

(٨٧) أبو عمرو الزُّجاجيّ[*]

ومنهم: أبو عَمرو محمد بن إبراهيم الزُّجاجي نيسابوريُّ الأصل.

صحب: الجُنيد، والنُّوري، وأبا عثمان، ورويمًا، والخوَّاص.

دخل مكَّة، وأقام بها، وصارَ شيخَها، والمنظورَ إليه فيها[١]

حجَّ قريبًا من ستين حجة.

ومات في الحرم سنة ثمانٍ وأربعين وثلاث مئة.

ورُوي: أنه كان يجتمعُ بمكَّة الكتَّاني، والنَّهْرَجُوري، والمُرتعش، وغيرُهم من المشايخ، فكانوا يعقدون حلقةً، وصدرُ الحلقة لأبي عمرو الزَّجاجي، وإذا تكلَّموا في شيءٍ رجع جميعُهم إلى قوله[١]

وفضائله أكثرُ من أن تُحصى وتُعدّ.

قيل: إنَّه لم يَبُلْ، ولم يَتغوّط في الحرمِ أربعين سنة، وهو بها مُقيم[١]

قال رحمه الله: المعرفةُ على ستَّةِ أوجهٍ: معرفةُ الوحدانية، ومعرفةُ التَّعظيم، ومعرفةُ المِنّة، ومعرفةُ القدرة، ومعرفةُ الأزل، ومعرفة الأسرار[٢]

(*) طبقات الصوفية ٤٣١، حلية الأولياء ١٠/ ٣٧٦، الرسالة القشيرية ١٠٧، المنتظم ٦/ ٣٩١، المختار من مناقب الأخيار ٤/ ٢٩٦، الوافي بالوفيات ١/ ٣٤٦، البداية والنهاية ١١/ ٢٣٥، طبقات الأولياء ١٥٦، العقد الثمين ١/ ٤٠٨، نفحات الأنس ٣٢٥، طبقات الشعراني ١/ ١١٧، الكواكب الدرية ٢/ ١٢٤

(١) طبقات الصوفية ٤٣١

(٢) طبقات الصوفية ٤٣١، المختار ٤/ ٢٩٧.

وقيل له: ما بالك تتغيَّرُ عند التَّكبيرِ الأوَّل في الفرائض؟ فقال: لأنِّي افتتحُ فريضتي بخلافِ الصِّدقِ، فمن يقولُ: اللهُ أكبر، وفي قلبه شيءٌ أكبرُ منه، أو قد كبَّرَ شيئًا [سواه] على مرور الأوقات، فقد كذَّب نفسَه على لسانه[١]

وقال: من تكلَّمَ على حالٍ لم يصلْ إليه، كان كلامُه فتنةً لمن يسمعه، ودعوى تتولَّدُ في قلبه، وحرَّم الله عليه الوصولَ إلى ذلك الحال وبلوغه[٢]

وقال: قسَمَ اللهُ الرَّحمة لمن اهتمَّ لأمر دينه[٣]

وقال: من جاورَ بالحرمِ، وقلبُه متعلِّقٌ بشيءٍ سوى الله تعالى، فقد أظهرَ خسارته[٤]

و: من شرف بالحرم[٥] رفقًا مِنْ غيرِ مَنْ جاوره، بعَّدَه اللهُ عزَّ وجلَّ عن جواره ووكَل بقلبه الشُّحَّ، وأطلقَ لسانَه بالشَّكوى، ومسخَ قلبه[٦] عن المعارف، وأظلمَه عن أنوارِ اليقين، ووكَله إلى حولِهِ وقوَّتِهِ، ومقته عند خلقه[٧]

وقال: الضَّرورةُ ما تمنعُ صاحبَها من القيل والقال، والخبرِ والاستخبار، وتشغله بالاهتمام بوقته[٨] عن التَّفرُّغِ إلى أوقات غيره[٩]

---

(١) طبقات الصوفية ٤٣١، ٤٣٢، المختار ٤/ ٢٩٩، الرسالة القشيرية ١٠٨

(٢) طبقات الصوفية ٤٣٢، المختار ٤/ ٢٩٧، وفي (أ): وهوى يتولد في قلبه.

(٣) طبقات الصوفية ٤٣٢.

(٤) طبقات الصوفية ٤٣٢، المختار ٤/ ٢٩٨

(٥) في (أ)' ومن تشرف الحرم، وفي طبقات الصوفية: من تشوف.

(٦) في (أ): ومن أطلق لسانه بالشكوى، مسخ قلبه.

(٧) طبقات الصوفية ٤٣٣

(٨) في (أ): وشغله الاهتمام بوقته.

(٩) طبقات الصوفية ٤٣٣.

وقال: كان النَّاسُ في الجاهلية يتَّبعون ما تَستحسنُهُ عقولُهم وطبائعُهم، فجاءَ النَّبيُّ ﷺ فردَّهم إلى الشَّريعةِ والاتباع، فالعقلُ الصَّحيحُ الذي يَستحسنُ مَحاسن الشَّريعة، ويستقبحُ ما تستقبحُهُ[١]

وسُئل عن الحميَّة، فقال: الحَميَّةُ في القلوب تصحيحُ الإخلاص وملازمته. والحميَّةُ في النُّفوس تركُ الدَّعوى ومجانبتها[١]

وقال: المحبَّةُ تركُ الشَّكوى من البلوى؛ بل استلذاذُ البلوى، إذ الكلُّ منه، فمن أسخطه واردٌ من محبوبه، تبيَّنَ عليه نقصانُ محبته[٢]

وقيل له: كيف الطَّريقُ إلى الله؟ فقال للسَّائل: أبشرْ فشوقُكَ إليه أزعجَكَ لطلبِ دليلٍ يدلُّ عليه![٣]

وقال: قلبُكَ أعرفُ أدلَّتك، إذا ساعده التَّوفيق، فدعْ ما أنكره قلبُك، فقلَّ قلبٌ يسكنُ إلى المخالفة على دوام الأوقات[٤]

وسُئل عن السَّماع، فقال: ما أدونَ حالَ من يحتاجُ إلى مُزعجٍ يُزعجُه إليه! السَّماعُ من ضعفِ الحال، ولو قَوي لاستغنى عن السَّماع والأسباب[٥]

وسُئل عن قوله عليه السَّلام: «تفكُّرُ ساعةٍ خيرٌ من عبادةِ سنة»[٦]

---

(١) طبقات الصوفية ٤٣٣.

(٢) طبقات الصوفية ٤٣٢، المختار ٤/ ٢٩٨

(٣) طبقات الصوفية ٤٣٣، المختار ٤/ ٢٩٨

(٤) طبقات الصوفية ٤٣٢، المختار ٤/ ٢٩٨

(٥) طبقات الصوفية ٤٣٢، وفيه: السماع والأوتار، المختار ٤/ ٢٩٨

(٦) ذكره الغزالي في الإحياء ٤/ ٤٢٣، وقال الحافظ العراقي: رواه ابن حبان في كتابه «العظمة» من حديث أبي هريرة، بلفظ «ستين سنة» بإسناد ضعيف، ومن طريقه ابن الجوزي في «الموضوعات» ٣/ ١٤٤، ورواه الديلمي في مسند الفردوس ٢/ ٧٠ (٢٣٩٧) من حديث أنس بلفظ: «ثمانين سنة» وإسناده ضعيف جدًا، ورواه أبو الشيخ من قول ابن عباس بلفظ . خير من قيام ليلة اهـ. قال العجلوني في كشف الخفا ١/ ٣١٠: ذكره الفاكهاني بلفظ: «فكر ساعة». وقال إنه من كلام سري السقطي.

فقال: ذاك التَّفكُّرُ هو نسيانُ النَّفس[1]

ورُوي: أنّه جاءه بعضُ العجم، فقال له: أَعطني البراءة، فإنّي قد حججتُ؛ وأصحابُكَ قد دلّوني عليك لآخذَ منك البراءة. فعلمَ أبو عمرو سلامةَ صدره، وأنَّ أصحابه قد مازحوه، فقال: اذهبْ إلى ذلك الموضع ـ وأشار إلى[2] الملتزم ـ فقل: يا ربّ، أعطني البراءة. قال: فما لبثنا إلاّ قليلاً حتّى انصرفَ الرَّجل، وبيده قطعةٌ من قرطاسٍ مكتوبٌ عليها بالخُضرة: بسم الله الرَّحمن الرَّحيم، هذه براءةُ فلانِ بن فلان من النَّار. اسم ذلك الرّجل[3]

وقال: ماتت أُمّي، فورثتُ منها دارًا بعتها بخمسين دينارًا، وخرجتُ إلى الحجّ، فلمّا بلغتُ بابلَ استقبلني واحدٌ من القناقفة[4]، فقال: أَيش معك؟ فقلت في نفسي: الصّدقُ خير. قلتُ: خمسون دينارًا. فقال: ناولنيها. فناولته الصُّرّةَ، فعدّها فكانت كما ذكرتُ، فقال لي: خذها؛ فقد أَخذني صدقُك. ثمّ نزلَ عن الدَّابةِ، فقال: اركبْها. فقلت: لا أُريد. فقال: لا بدَّ. وألحّ عليّ، فركبتُها، فقال: أنا على أثرك. فلمّا كان العام القابل لحقَ بي إلى مكّة، ولازمني حتّى مات[5]

* * *

(١) تهذيب الأسرار ٤٦١، المختار ٤/ ٢٩٨

(٢) في (ب): وأومأ إلى الملتزم.

(٣) تهذيب الأسرار ٢٤٧ـ٢٤٨، المختار ٤/ ٢٩٧، نفحات الأنس ٣٢٦

(٤) القناقفة: مفردها قناقفي: عاهر، فاجر، فاسق، ماجن. تكملة المعاجم العربية (قنقف). وفي (أ): الفتافتة.

(٥) الرسالة القشيرية ٣٢٠ (الصدق)، المختار ٤/ ٢٩٧، نفحات الأنس ٣٢٦.

(٨٨) جعفر الخُلْدي(*)

ومنهم: أبو محمد جعفر بن محمد بن نصير الخوّاص، ويُعرف بالخُلدي(١) رحمه الله. بغداديُّ المولد والمنشأ.

صحبَ: الجُنيد، وعُرف بصحبته، وإليه كان يَنتمي، وصحب النُّوري، ورُويمًا، وسمنون، والجَريري، وغيرَهم من مشايخ الوقت.

وكان المرجعَ إليه في علوم القومِ وكتبهم وحكاياتهم وسيرهم، حتَّى قال يومًا: عندي مئةٌ ونيّفٌ وثلاثون ديوانًا من دواوين الصُّوفية. فقيل له: هل عندكَ من كُتبِ محمد بن علي التِّرمذي شيءٌ؟ فقال: [لا] ما عددته في الصُّوفية(٢)

وكان من أَفتى المشايخ وأَحسنِهم وأكملِهم خُلقًا. حجَّ قريبًا من ستين حجَّةً(٢)

(*) طبقات الصوفية ٤٣٤، حلية الأولياء ١٠/ ٣٨١، تاريخ بغداد ٧/ ٢٢٦، الرسالة القشيرية ١٠٨، الأنساب ٥/ ١٦١، صفة الصفوة ٢/ ٤٦٨، المنتظم ٦/ ٣٩١، معجم البلدان ٢/ ٣٨٢، اللباب ١/ ٣٨٢، المختار من مناقب الأخيار ٢/ ٤٧، سير أعلام النبلاء ١٥/ ٥٥٨، مرآة الجنان ٢/ ٣٤٢، الوافي بالوفيات ١١/ ١٤٢، البداية والنهاية ١١/ ٢٣٤، طبقات الأولياء ١٧٠، غاية النهاية ١/ ١٩٧، النجوم الزاهرة ٣/ ٣٢٢، نفحات الأنس ٣٢٧، طبقات الشعراني ١/ ١١٨، الكواكب الدرية ٢/ ٦٥، شذرات الذهب ٢/ ٣٧٨.

(١) قيل له الخُلدي لأنه كان يومًا عند الجُنيد، فسئل الجُنيد عن مسألةٍ، فقال الجنيد: أجبْهم، فأجابهم، فقال: يا خُلدي من أين لك هذه الأجوبة. فبقي عليه.

(٢) طبقات الصوفية ٤٣٤، وما بين معقوفين مستدرك منه، المختار ٢/ ٤٧.

ومات ببغداد سنة ثمانٍ وأربعين وثلاث مئة، وقبرُهُ بالشُّونيزية عند قبري سريّ[1] السَّقطي والجُنيد رحمهما الله.

قال رحمه الله: لا يجدُ العبدُ لذَّة المعاملة مع لذَّةِ النَّفس، لأنَّ أهلَ الحقائق قطعوا العلائقَ التي تقطعهم عن الحقِّ قبلَ أن تقطعَهم العلائق[2]

وقال: الفرقُ بين الرِّياء والإخلاص أنَّ المُرائي يَعملُ ليُرِي، والمخلص يعمل ليصلَ[3]

وقال: الفتوَّةُ احتقارُ النَّفسِ، وتعظيمُ حُرمةِ المسلمين[3]

وقال: سُئل الجُنيد عن التَّصوف، فقال: العُلُوُّ إلى كلِّ خُلقٍ شريف، والعدولُ عن كلِّ خُلقٍ دنيء. فقيل له: ما تقول أنت؟ فقال: مثلَ قوله، ثمَّ قال: المُتناهي في حاله يؤثِّرُ في[4] كلِّ شيءٍ، ويدخلُ في كلِّ شيءٍ، ويأخذُ من كلِّ شيءٍ، ولا يؤثِّرُ فيه شيءٌ[5]، ولا يأخذُ منه شيءٌ. واستدلَّ بأنَّ النَّبيَّ ﷺ كان في أوَّليته إذا نزلَ عليه الوحي يقول: «دثِّروني، دثِّروني». حتَّى تمكَّنَ.

وقال لرجلٍ: كنْ شريفَ الهِمَّةِ؛ فإنَّ الهِممَ تبلغُ بالرِّجالِ لا المُجاهدات[6]

وقال: كنْ لله عبدًا خالصًا، تكنْ عن الأغيار حرًّا[7]

---

(١) في (أ): عند قبر سري..
(٢) طبقات الصوفية ٤٣٦، الرسالة القشيرية ١٠٨، المختار ٢/ ٥٢
(٣) طبقات الصوفية ٤٣٦، المختار ٢/ ٥٢.
(٤) في طبقات الصوفية ٤٣٦: يتوقّى كل شيء.
(٥) في طبقات الصوفية ٤٣٦: ولا يسترقّه شيء.
(٦) طبقات الصوفية ٤٣٧، تاريخ بغداد ٨/ ١٤٩، وفي (أ): تبلغ بالرجال ما لم تبلغه المجاهدات.
(٧) طبقات الصوفية ٤٣٧، المختار ٢/ ٥٢.

وقال: سعيُ الأحرارِ لإخوانهم لا لأنفسِهم[1]

وقال لبعضِ أصحابه. اجتنبِ الدّعاوَى، والتزمِ الأوامرَ، فكثيرًا ما كنتُ أَسمعُ سيِّدَنا الجُنيد يقول: من لزمِ طريقَةَ المعاملة على الإخلاص، أراحَهُ اللهُ من الدَّعاوَى الكاذبة[2]

وسُئل عن التَّوكُّل، فقال: استواءُ القلبِ عند الوجود والعدم؛ بل الطَّربُ عند العدم؛ والخُمولُ عند الوجود؛ بل الاستقامةُ مع الله على الحالين[2]

وقال: إنّ ما بين العبدِ وبين الوجودِ أن تُسكنَ التَّقوى قلبَه، فإذا سكنَ التَّقوى قلبه، نزل عليه بركاتُ العلم، وطُردت رغبةُ الدُّنيا منه[3]

وسُئل عن الزُّهد، فقال: من أرادَ أن يزهدَ فليزهدْ أوّلاً في الرِّياسة، ثمَّ ليزهد في قَدْرِ نصيبِ نفسِه ومراداتها[4]

وقال: المُجاهدات في السِّياحات، والسِّياحةُ سياحتان: سياحةُ بالنَّفْسِ بالسّير في الأرض، ليرى أولياءَ الله، أو يعتبرَ بآثار قدرته. وسياحةُ بالقلب يجولُ في الملكوت، فيورد على صاحبه بركاتُ مشاهدات الغيوب، فيطمئنُ القلبُ عند الموارد لمشاهداته الغيوب، وتطمئنُ النَّفسُ عند المُرادات لبركةِ آثار القدرة عليه[5]

وسُئل عن العقل، فقال: العقلُ ما يُبعدك عن مراتعِ الهلاك[5]

ورُوي: أنّه مرَّ بمقبرةِ الشُّونيزية، وامرأةٌ تندبُ وتبكي بكاءً بحُرقةٍ على قبرٍ، فقال لها: ما لكِ؟ فقالت: ثكلي بولدي. فأنشأ يقول:

---

(١) طبقات الصوفية ٤٣٧، المختار ٢/ ٥٤.
(٢) طبقات الصوفية ٤٣٧، المختار ٢/ ٥٢.
(٣) طبقات الصوفية ٤٣٨، الرسالة القشيرية ١٠٩
(٤) طبقات الصوفية ٤٣٨، المختار ٢/ ٥٣.
(٥) طبقات الصوفية ٤٣٨، المختار ٢/ ٥٣.

يقـولـون ثَكلـى ومَـنْ لـم يَـذُقْ فِـــراقَ الأحبَّـــةِ لـــم يثْكَـــلِ
لقــد جَــرَّعتنــي ليــالــي الفــراق شَـــرابًـــا أَمـــرَّ مـــن الحَنْظَـــلِ[(١)]

وقال رحمه الله: المحبُّ يَجهدُ في كتمان حُبّه، وتأبى المحبَّةُ إلاَّ اشتهارًا، وكلُّ شيءٍ ينمُّ على المُحبِّ حتَّى يُظهرَه. وأنشأ من خلالِ كلامه لبعضِهم[(٢)] يقول:

زائــــرٌ نَـــمَّ عليــــه حُسْنُـــــهُ كيـف يُخفـي اللّيـلُ بـدرًا طلعـا
راقــبَ الغفلــةَ حتَّـــى أمكنـــت ورعـى الحـارسَ حتَّـى هَجعـا
ركــبَ الأهــوالَ فــي زَوْرتِــهِ ثــمَّ مــا سلَّــمَ حتَّــى ودَّعــا[(٣)]

وقال: من أُلقي إليه روحُ الصَّلاحِ، التزمَ الحُرمةَ للخلق، ومن أُلقي إليه روحُ الصِّدّيقيَّة، طالبَ نفسَه بالصِّدقِ في كلِّ أحواله، ومن أُلقي إليه روحُ المعرفةِ، عرفَ مواردَ الأُمور ومصادرَها، ومن أُلقي إليه روحُ المُشاهدة، أُكرِمَ بالعلم اللَّدُنّي[(٤)].

وقال: المراقبةُ مراعاةُ السِّرِّ بملاحظة الحقِّ مع كلِّ خطرةٍ[(٥)].

وقال أبو الحسن العلويُّ الهمذاني: كنتُ ليلةً عند جعفر الخُلْدي، وكنتُ أَمرتُ في بيتي أن يعلَّقَ طائرٌ في التَّنُّور[(٦)]، وكان قلبي معه، فقال لي جعفر اقمْ عندنا اللَّيلةَ. فتعلَّلتُ بشيءٍ، ورجعتُ إلى مَنْزلي، فأُخرجَ الطَّائر من التَّنُّور، ووضعَ بين يدي، فدخلَ كلبٌ من الباب، وحمل الطَّائرَ

(١) طبقات الصوفية ٤٣٧، المختار ٢/ ٥٣.
(٢) الأبيات تنسب لجحظة البرمكي انظر الديوان صفحة ١٩٣، كما تنسب لأبي العبر الهاشمي انظر معاهد التنصيص ٤/ ٥٤
(٣) طبقات الصوفية ٤٣٨، المختار ٢/ ٥٣
(٤) طبقات الصوفية ٤٣٩، المختار ٢/ ٥٤.
(٥) المختار ٢/ ٥٤
(٦) الطائر هو بطّةٌ كما في تهذيب الأسرار.

عند تغافلِ الحاضرين، فأتوني بالجواذب[1] الذي تحته، فتعلّقَ به ذيلُ الجارية، فانصبَّ، فلمّا أصبحتُ، دخلتُ على جعفر، فحينَ وقعَ بصرُه عليَّ، قال لي: من لم يحفظْ قلوبَ المشايخ، سُلّط عليه كلبٌ يُؤذيه[2]

ورُوي: أنَّه كان له فَصٌّ، فوقع منه يومًا في دجلة، وكانَ عنده دُعاءٌ مُجرّبٌ للضّالة، إذا دعا به عادتْ، فدعا به فوجدَ الفصَّ في وسط أوراقٍ كان يتصفّحها، وصورةُ الدُّعاء أن يقولَ: يا جامعَ النّاس ليومٍ لا ريبَ فيه، اجمعْ عليَّ ضالّتي. وقد رُوي أنّه يقرأ قَبله سورة ﴿الضُّحى﴾ ثلاثًا[3]

وقال: سمعتُ أبا يعقوب الأقطعَ البصري يقول: جعتُ مرّةً في المسجدِ الحرام أيامًا، فوجدتُ ضعفًا، فحدّثتُ نفسي فقلتُ: لو خرجتُ إلى الوادي، لعلّي كنتُ أَجدُ شيئًا يُسكّن عنّي بعضَ ما أجد. فخرجتُ إلى الوادي، فوجدت سَلْجَمةً[4] مطروحةً، فأخذتها، وعدّت إلى المسجدِ، وقلت: هذه تُسكّنُ بعض ما أجده. فوجدتُ من ذلك في قلبي وحشةً، وكأني زُجرتُ بفكرةٍ: كان حظُّكَ من جوعِ عشرة أيامٍ سَلجمةً مُنتنة، فرميتُ بها، وجلستُ، فإذا رجلٌ نوتيٌّ[5] من نوتيّةِ البحر عجميٌّ قد دخل من الباب، فالتفتَ هكذا وهكذا، ثمَّ جاءَ وجلسَ بين يديَّ وسلَّمَ عليَّ،

---

(١) قال الإمام العروسي: الجواذب لعلّها أشياء توضع في إناء الطبخ تجذب ما في اللحم من الدسم، وتؤكل مع الطعام بعد نضجه. ويؤيد ما قاله ما جاء في تهذيب الأسرار: فإذا كلب، دخل وحمل البطة (الطائر) وبقي الذي وضعنا تحتها.

(٢) تهذيب الأسرار ٣٣١، الرسالة القشيرية ٤٦٤ (حفظ قلوب المشايخ)، المختار ٢/ ٤٩.

(٣) الرسالة القشيرية ٤٩٦ (كرامات الأولياء)، والخبر مفصل، وله قصة في تاريخ بغداد ٨/ ١٤٨، والمختار ٢/ ٥٠، ٥١

(٤) السّلجم: نبات، وقيل. هو ضرب من البقول. وفي (أ): شلجمة، وهي لغية من سلجمة.

(٥) النوتي: الملاح في البحر. القاموس.

وقال: خذ القِمَطْرَة[1] هي لك. فقلتُ له: كيف صارتْ لي؟ فقال: كُنّا في البحر منذ عشرةِ أيام، فاشتدَّ علينا البحرُ، وأشرفنا على الغرق، فسألنا اللهَ السَّلامة، وتضرَّعنا إليه، ونذرَ النَّاسُ النُّذورَ كلٌّ على قدره، فنذرت: إنِ اللهُ سلَّمني ورجعتُ إلى عيالي، دفعتُ هذه القِمَطْرَةَ إلى أوَّل من أراه في المسجدِ الحرام من المُجاورين. فقلتُ له: افتحْها. ففتحها، فإذا فيها كعك سميذ مصري، ولوزٌ مُقشَّر، وسكّر كعاب، قال: فأخذتُ قبضةً من ذا، وقبضةً من ذا، وقبضةً من ذا، وقلت له: رُدَّ هذا إلى مكانه، فإنّه هديةٌ منّي إلى صِبيانك. فأخذها وقامَ مسرورًا، فقلتُ في نفسي: هذا رزقي من عشرةِ أيام، يَسيرُ إليَّ، وأنا أَخرجُ إلى الوادي أطلبُ شيئًا آكله[2]

وقال: سمعتُ أبا يعقوب الأَقطع يقول: احتجتُ بمكّة مرّةً حاجةً شديدةً، فدخلتُ الحِجرَ، وصلّيت، وأطلتُ، وسألت الله، فلمّا رفعتُ رأسي وجلستُ للتَّشهد، سقطَ في حَجْري مسمارٌ من مسامير المِيزاب من ذهبٍ[3]

وقال: قلتُ لأبي جعفر الحدّاد: النَّاسُ يَقولون: إنَّكَ أَقمتَ بالباديةِ سبعين يومًا ما أكلت فيها ولا شربت، فحدِّثني. فقال: أنا معتقدُ التَّوكُّل، وأرى رزقي يَجري على أيدي النَّاس، وكنتُ أُريد أن يجيءَ به الجنُّ أو الوحشُ أو يخرجَ من الأرض، أو يَنْزلَ من السَّماء، فاعتقدت أنّي أَدخلُ البادية، فإذا رأيتُ سَوادًا عدلتُ عنه، فأقمت أربعين يوماً، فما أكلتُ ولا شربت، حتّى ضَعُفت، فجئتُ إلى مَصْنع[4]، فأخذت ماءً، فغسلتُ وجهي ورجلي، واسترحتُ، ثمَّ لمحتُ نصفَ دَبَّة[5] كان فيها قِطران، قد

---

(١) القمطرة: شبه سفطٍ يُسَفُّ من قصب. اللسان.
(٢) المختار ٥/ ١٩٠، روض الرياحين ١٧٧ (الحكاية: ٩٨)
(٣) المختار ٥/ ١٩١
(٤) المصنع والمصنعة: حوض يُجمع فيه ماء المطر. القاموس.
(٥) الدَّبَّة: ظرف للبزر والزيت. القاموس.

مرَّ عليه الحرُّ والسّيول، وقد استرمَّت[1]، فقمتُ فأخذتها، وتركتُها بين حجرين، ودققتُها حتَّى صارت مثل السَّويقِ، فاستففتُها، وشربتُ الماء خلفها، فرجعتْ إليَّ نفسي، فقمتُ وطلبت السَّوادَ، فلمَّا أشرفت عليهم ذبحوا وخبزوا، فأكلتُ واسترحت، ولم أزل أعدلُ إلى البوادي حتَّى أتيتُ مكَّة، وأقبل شعرُ رأسي ولحيتي يتناثرُ حتَّى دخلتُ مكَّةَ وأنا أقرعُ بغيرِ لحيةٍ، وجلستُ في موضعي، فأقبل الصُّوفيةُ يذهبون ويجيئون وينكرني بعضُهم، ويقول بعضهم: هو أبو جعفر؟! حتَّى خلا بي واحدٌ[2] منهم، وقال لي: أنتَ أبو جعفر الحدَّاد؟ قلتُ: نعم. فمضى وحشرَ عليَّ الصُّوفية، فجلسوا حولي، فقال بعضُهم: يا أبا جعفر، التَّوكُّلُ ما هو؟ فقلتُ: أيُّما أحبُّ إليك، أَصفُهُ لك أو تراه حقيقةً؟[3] فقال: بل أراه حقيقةً. فقلت له: حَلْقُ الرَّأس واللِّحى[4].

وقال: خرجتُ في بعض السّنين إلى مكَّة، وكنتُ أمشي على مَحجّةِ الطَّريق، فكأنِّي نُوديتُ في سرِّي: توكُّلٌ ومحجّة؟! فرجعت فعرَّجتُ عن الطَّريق، فوقعتُ إلى أرضٍ ما رأيتُها قطُّ، فبينما أنا أسيرُ إذ سمعتُ وَطْئاً من ورائي، فالتفتُّ فإذا أنا بشخصٍ، فقال لي أَمتوكّلٌ أنت؟ قلت: نعم، ثم قلت له. أنت إنسيٌّ؟ فقال: لا، بل نحن فتيةٌ من الجنِّ مؤمنين متوكّلين ههنا منذ أربع مئة سنة، ما رأينا من الإنسِ غيرَك، هل لك من حاجةٍ؟ قلتُ: نعم، تفاحةٌ أَشمُّها إلى مكَّة. فقال لي: توكُّلٌ وتفاحة؟! نحن ظننا أنّك تطلبُ حجرًا تُنْزله تحت رأسك[5].

وقال: خرجت سنةً من السّنين إلى البادية، فبقيت أربعةً وعشرين يومًا

---

(١) استرمَّت: أصبحت رمّة. أي بالية. انظر القاموس.

(٢) في (ب): حتى جاءني واحد.

(٣) في (أ): أحب إليكم، أصفه لكم، أو تروه حقيقة.

(٤) المختار ٢/ ٨٥، مختصر تاريخ دمشق ٢٨/ ٢١٧

(٥) المختار ٢/ ٥١.

لم أطعمْ فيها طعامًا، فلمَّا كان بعد ذلك رأيتُ كوخًا وفيه غلامٌ، فقصدتُ الكوخ، فرأيتُ الغلامَ قائمًا يُصلّي، فقلت في نفسي: بالعشي يجيءُ إلى هذا طعامٌ، فآكل معه. فبقيتُ تلك اللَّيلة والغد وبعد غدٍ ثلاثة أيام لم يجئه أحدٌ بطعامٍ، ولا رأيت أحدًا، فقلت: هذا شيطانٌ، ليس هذا من النَّاس. فتركتُه وانصرفت. فلمَّا كان بعد مدَّةٍ أَشهرٍ وأنا جالسٌ في مَنْزلي أَميزُ في بعض الكتب[1]، إذ بداقٌّ يدقُّ الباب، فقلت: من هذا؟ فقال: أَدخلُ؟ فأذنتُ له؛ فدخل عليَّ ذلك الغلام، وقال لي: يا جعفر[2]، أنت كما سُمّيت جاع فرّ[3].

وقيل له: أَيُّهما أفضلُ قوةُ العلم مع تركِ المُنازلة، أو المنازلةُ مع قوَّة الرَّغبة. فقال: لا أَعرفُ شيئًا أفضلُ من العلم، والأعمالُ بالعلم تزكو، ومن لا علمَ له ليس له عَمَلٌ، وإنَّما يُكره من العلم تضييعه وتركه ونبذه. قيل له: رحمك الله، فهل يُقال: طلبُ العلم عملٌ؟ فقال: هو من أكبر الأعمال، وبالعلمِ عُرف الله وأُطيع، وبالعلم استحيا المستحيون، وهو قبلَ الأعمال، قال الله تعالى: ﴿عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ﴾ [العلق: ٥] وقال سبحانه: ﴿عَلَّمَهُ ٱلۡبَيَانَ﴾ [الرحمن: ٤] ولا يكرَهُ العلمَ إلاّ مَنقوصٌ[4].

وقال: كنتُ ببيت المقدس، فرأيتُ رجلاً[5] مُلتفًّا في عباءةٍ نهارًا طويلاً، ثمَّ ثارَ ووثب، ورفع رأسَه إلى السَّماء، وقال: أيُّما أحبُّ إليك؛ تُطعمني مَضيرةً[6] وفالوذجًا[7] وإلاَّ كسرتُ قناديلك؟ ثمَّ رجعَ ونام،

---

(١) في (ب): أميز شيئًا من الكتب.

(٢) في (ب): يا أبا جعفر.

(٣) تاريخ بغداد ٨/ ١٤٩، المختار ٢/ ٤٩، و٥/ ٤٠٦

(٤) المختار ٢/ ٥٤.

(٥) الرجل هو عمرو بن سلمة أبو حفص النيسابوري. انظر تخريج الخبر.

(٦) المضيرة مُريقة تُطبخ باللبن المضير (الحامض)، وربما خلط بالحليب، أو هي أن يطبخ اللحم باللبن الصريع، وهي تشبه ما يُسمّى اليوم بالشاكرية (اللبنية). انظر متن اللغة (مضر).

(٧) الفالوذج: حلواء تسوّى من لُباب الحنطة، معرّب بالوذة، وتُسمّى فالوذق وفالوذج، =

فقلت: إنّا لله، إمّا أن يكون سوداويًا أو وليًّا لله مدلاًّ؟ فبينا أنا كذلك أفكّرُ في أمره، إذ أقبلَ رجلٌ ومعه زنبيلٌ كبير، فجعل ينظرُ يمنةً ويُسرةً حتّى لمحه، فقعد عند رأسه، وقال له: اقعدْ، ثمَّ أخرجَ من الزَّنبيل مَضيرةً وفالوذجًا حارًّا. فقعدَ الفقيرُ يأكل حتّى شبع، ثمَّ قال له: ردّ الباقي إلى صبيانك. فقامَ الرَّجلُ من عنده وذهب. قال: فتبعتُه، فقلت له: سألتُك بالله، هل بينك وبين هذا الفقير معرفةٌ؟ فقال: لا والله، ولا رأيته إلاّ في وقتي هذا، اشتهى عليَّ صبياني يوم أمس مَضيرةً وفالوذجًا حارًّا، وأنا رجلٌ حمّال، فقلت لهم: ما يُمكن اليوم، فإنْ فتحَ الله بشيءٍ فعلتُ، فكسبتُ اليومَ دينارًا، فاشتريت لهم حوائجَ المضيرة والفالوذج، وغلبتني عيناي، فنمت، فهتف بي هاتف: قم، فاحملْ هذه المضيرة والفالوذج إلى المسجد، فاجعلْه بين يدي الرَّجل الملفوف بالعباءة، فإنَّا أصلحناهُ له، فما بقي منه فأَطعمْه لصبيانك. فانتبهتُ، وقد قرّبوه لنأكل، فأخذته وجئتُ إلى هذا النَّائم كما رأيت، فقلت له: قد وفّقتَ إن شاء الله تعالى. وأنشد:

حسبي سُموًّا في الهوى أن تعلما[1]	انْ ليس حقُّ مَودَّتي أَنْ أُظلما
ثمَّ امضِ في ظلمي على علمي به	لا مقصرًا عنه ولا مُتهجِّما
فوحقِّ ما أخذ الهوى من مُهجتي	وأذابَ من بَدني عليك وأسقما
لجفاك عن علمٍ بما أنا واجدٌ	أَحظى لديَّ من الرِّضا مُتوهِّما[2]

وأنشد أيضًا:

شئتَ هَجري فلا تَصلني فإنّي	مُستلِذٌّ الذي يَسرُّك منّي
هاتِ ما شئتَ من جفاءٍ وصدٍّ	واجتنابٍ وصبوةٍ وتجنّي

= وتعرف اليوم باسمها الفارسي بالوزة. معجم متن اللغة (فلذ).

(١) في (أ): سواء، وفي المختار ٢/ ٥٤: حسبي سواء، وفيه أيضًا ٥/ ٤١٢ حسبي سؤالي.

(٢) الأبيات في تاريخ بغداد ١٢/ ٧٥ معزوة إلى عبيد الله بن الحسين في ترجمته، وفيه: من الرضا متجهمًا.

أنــت عنــدي وإن تغيّبــتَ عنّــي أَجتنــي منــك كـلَّ طِيْـبِ وحُسـنِ
فمتــى شئــتَ أنْ تَــرانــي قتيــلاً فدَعِ الهجرَ والصُّدودَ وصِلْني[1]

وقال: سمعتُ الجُنيد يقول: تَنْزِلُ الرَّحمةُ على الفقراء عند الطَّعام، والعلمِ، والسَّماع فإنَّهم يأكلون بإيثارٍ، ويتكلَّمون في العلم بنصحٍ، ويسمعون بحقٍّ، ويتحرَّكون عن وجدٍ. ثمَّ أنشأ يقول:

ووجدي أن أغيبَ عن الوجود بمــا يبــدو علــيَّ مــن الشُّهــودِ
وما لي في الوجودِ كبيرُ فخرٍ ولكنْ وجدُ موجودِ الوجودِ[2]

وقال: إذا رأيتَ الفقيرَ يأكلُ، فاعلم أنَّه لا يخلو من إحدى ثلاث: إمّا لوقتٍ قد مضى عليه، أو لوقتٍ يُريدُ أن يستقبله، أو للوقت الذي هو فيه[3].

وقال: حدّثني شيخٌ من أهل البصرة يُقال له ابن سبائب بمكَّة، قال: وقفَ عليَّ رجلٌ فقير، فقال: أَعطني كذا وكذا دينارًا أو أكثر فقلتُ له: هذا ما يُمكنني، تُريدُ أَشتري لك شيئًا تأكلُهُ، أو تريدُ ثوبًا أكسوك به فتلبسَهُ، أو دينٌ أَقضيه عنك؟ قال: فتركني ومضى. فلمَّا كان بعد أيامٍ جاءني، وقال لي: أَعطني كذا وكذا دينارًا. فقلتُ له: عافاكَ الله، ما يُمكنني ما تطلب، تريدُ شيئًا تأكلُ، تُريدُ شيئًا تكتسي، عليك دينٌ أَقضيه عنك؟ قال: فتركني ومضى، ثمَّ عاودني بعد أيام نوبةً ثالثة، فقال: أَعطني كذا وكذا دينارًا شيئًا كثيرًا، فقلت له: ما يُمكنني. فقال لي: فتريدُ أنت شيئًا؟ قلت: نعم، ولأيِّ شيءٍ قعدتُ ههنا؟! قال: فضربَ بيده إلى زنبيلٍ بين يديه، فملأ كفّيه منه، ثمَّ طرحَ في حجري دنانير، ثمَّ ملأها

---

(١) المختار ٥/ ٤١١، و٢/ ٥٤، ٥٥، نفحات الأنس ٣٢٨.
(٢) تهذيب الأسرار ٣٤٥، ٣٤٦ بلفظ:
ومـا فــي الــوجـد لـي فخـرٌ ولكـن فخـرت بـوجـد مـوجـودِ الـوجـودِ
(٣) تهذيب الأسرار ٢٥١.

ثانيةً، فطرحها في حجري، ثمَّ ملأها الثَّالثة، فطرحها في حجري دنانير، فأدهشني ما رأيتُ منه، وعظمَ عليَّ ما شاهدتُه، ثمَّ تركني ومضى، وقد بقي عندي من تلك الدَّنانير بقيةٌ. فعليك بصحبةِ الفقراء؛ فإنَّهم كنوزُ الدُّنيا، ومفاتيحُ الآخرة[1]

* * *

(١) المختار ٥/ ٣٠٣.

(٨٩) أبو العباس السيَّاري (*)

ومنهم: أبو العباس القاسم بنُ القاسم[١] بن مَهْدي بن بنت أحمد بن سيَّار.

كان من أهل مرو، وشيخهم الأوّل، وأوّل من تكلَّم عندهم من أهلِ بلدهم في حقائق الأحوال.

وكان فقيهًا عالمًا، كتبَ الحديثَ الكثير ورواه.

صحب: أبا بكر الواسطي، وإليه يَنتمي في علوم هذه الطَّائفة.

وكان أحسنَ المشايخ لسانًا في وقته، يتكلَّمُ في علمِ التَّوحيد. وجميعُ مَنْ بكُورتِهِ من أهلِ السّنة فهم أصحابُه.

مات سنة اثنتين وأربعين وثلاث مئة.

قال رحمه الله: كيف السَّبيلُ إلى تركِ ذنبٍ كان عليك في اللَّوحِ المحفوظ مَحفوظًا؟ [أو] إلى صرفِ قضاءٍ كان به العبد مربوطًا؟[٢]

وقيل له يومًا: بماذا يروض الفقيرُ نفسه؟ وكيف يروضها؟ فقال

(*) طبقات الصوفية ٤٤٠، حلية الأولياء ١٠/ ٣٨٠، الرسالة القشيرية ١٠٩، الإكمال ٤/ ٥٠٩، الأنساب ٧/ ٢١٢، المنتظم ٦/ ٣٧٤، المختار من مناقب الأخيار ٤/ ٢١٤، اللباب ٢/ ١٦٢، سير أعلام النبلاء ١٥/ ٥٠٠، طبقات الأولياء ٣٦٦، النجوم الزاهرة ٣/ ٣٠٩، نفحات الأنس ٢١٨، طبقات الشعراني ١/ ١١٩، الكواكب الدرية ٢/ ٥١، شذرات الذهب ٤/ ٢٢٩

(١) في (ب): أبو العباس بن القاسم بن مهدي.

(٢) طبقات الصوفية ٤٤٣، المختار ٤/ ٢١٤، الحلية ١٠/ ٣٨٠.

بالصَّبر على الأوامر، واجتنابِ النَّواهي، وصحبةِ الصَّالحين، وخدمة الرفقاء[1]، ومجالسةِ الفقراء. والمرءُ حيث وضعَ نفسه. ثمَّ أنشأ يقول[2]:

صبرتُ على اللّذاتِ حتَّى تولّتِ وألزمتُ نفسي صبرها فاشمأزّتِ[3]

وما النَّفسُ إلاّ حيثُ يجعلُها الفتى فإن أُطعمتْ تاقت وإلاّ تسلّتِ

وكانت على الأيامِ نفسي عَزيزةً فلمَّا رأتْ عزمي على الذُّلِّ ذلّتِ[4]

وسُئل عن المعرفة، فقال: حقيقةُ المعرفةِ الخروجُ عن المعارف[5]

و: حقيقته أيضًا: أن لا يخطرَ بقلبِهِ ما دونه[5]

و: المعرفةُ حياةُ القلبِ مع الله تعالى[5]

و: من عرفَ الله خضعَ له كلُّ شيءٍ، لأنّه عاين أثرَ مُلكه فيه[6]

وقال: ما التذَّ غافلٌ بمشاهدةٍ قطُّ؛ لأنَّ مُشاهدة الحقِّ فناءٌ ليس فيها لذّةٌ ولا التذاذ، ولا حظٌّ ولا احتظاظ[7]

وقال: ما نطقَ أحدٌ عن الحقِّ إلاّ من كان مَحجوبًا[8]

و: الحقُّ إذا لاحظَ عبدًا ببرِّه غيّبه عن كلّ مكروهٍ في وقته، وإذا لاحظَهُ بسخطه أظهرَ عليه من الوحشة ما يهربُ منه كلُّ أحدٍ[8]

---

(١) في (أ): وخدمة الفقراء.

(٢) الأبيات مما تمثل بها، وهي في ديوان علي بن أبي طالب ٢٩، وفي كتاب الفرج بعد الشدة ٥/ ٦٣ تنسب لعمرو بن معديكرب، وفي المحبوب والمشموم ٤/ ٣٦٩ لأبي نواس، وفي أنس المسجون ١٢٨ تنسب لأبي دلف.

(٣) في طبقات الصوفية: وألزمت نفسي هجرها فاستمرّتِ

(٤) طبقات الصوفية ٤٤٤، تهذيب الأسرار ١٢٦، المختار ٤/ ٢١٥

(٥) حلية الأولياء ١٠/ ٣٨١، المختار ٤/ ٢١٤

(٦) طبقات الصوفية ٤٤٤، الحلية ١٠/ ٣٨١، المختار ٤/ ٢١٥، وفي (أ): جمعَ له كل شيء. وهذا القول ينسب أيضًا للشبلي انظر طبقات الصوفية ٣٤١.

(٧) طبقات الصوفية ٤٤٤، المختار ٤/ ٢١٥

(٨) طبقات الصوفية ٤٤٥.

وقال: من حفظَ قلبَه مع الله بالصّدق، أجرى اللهُ على لسانه الحكمةَ(١)

وقال: الخَطْرةُ للأنبياء، والوسوسةُ للأولياء، والفكرةُ للعوام، والعزم [للفتيان](٢)

وسُئل عن قوله تعالى: ﴿وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَىٰ﴾ [الفتح: ٢٦]. فقال: أَهَّلَهُم في الأزل للتقوى، وأظهرَ عليهم في الوقتِ كلمةَ الإيمان والإخلاص(٣)

وقال: ما استقامَ إيمانُ عبدٍ حتّى يصبرَ على الذُّلّ كما يَصبرُ على العزّ(٣)

وقال: حُسوسٌ قَصُرتْ عن أوائلها، فتلحقتْ في أواخرها، وعذّبت بما لا خطر لها، كيف يمرُّ بها ذكرُ باريها؟(٤)

وقال: ظُلَمُ الأطماعِ، يمنعُ أنوارَ المُشاهدات(٥)

وقال: الرُّبوبية نفاذ الأمرِ، والمشيئةِ، والتَّقدير، والقضيةِ، والعبوديةُ معرفةُ المعبودِ، والقيامُ بالعهود(٦)

وقال في قوله تعالى: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ [الرحمن: ٢٩]، قال: معناه: إظهارُ غائبٍ، وتَغييبُ ظاهرٍ(٧)

---

(١) طبقات الصوفية ٤٤٥، الحلية ١٠/ ٣٨١، المختار ٤/ ٢١٤
(٢) طبقات الصوفية ٤٤٥، وما بين معقوفين مستدرك منه.
(٣) طبقات الصوفية ٤٤٥، المختار ٤/ ٢١٦
(٤) طبقات الصوفية ٤٤٥، وفيه: حسوس قَصُرَتْ عن أوائلها، فتخلّفت عن أواخرها، وغذّيت.
(٥) طبقات الصوفية ٤٤٥، الحلية ١٠/ ٣٨١.
(٦) طبقات الصوفية ٤٤٥، الحلية ١٠/ ٣٨١. وفي (ب): القيام بالمعهود
(٧) طبقات الصوفية ٤٤٦، المختار ٤/ ٢١٦

وقال له رجلٌ أوصني. فقال: كنْ شريفَ الهمّةِ، قريبَ المنظر، بعيدَ المأخذ، عزيزًا، غريبًا[١]

وقال: لباسُ الهداية للعامّة، ولباسُ الهيبةِ للعارفين، ولباسُ الزّينة لأهلِ الدُّنيا، ولباسُ اللِّقاء للأولياء، ولباسُ التَّقوى لأهل الحضرةِ. قال الله تعالى: ﴿وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ﴾[٢] [الأعراف: ٢٦].

وقال: قيل لبعض الحكماء: من أين مَعاشك؟ فقال: من عندِ من ضيَّقَ المعاشَ على من شاءَ من غيرِ علَّةٍ، ووسَّع على من شاءَ من غيرِ علّةٍ[٣]

وقال: من دقَّق النَّظرَ في دينه، وُسِّع عليه الصّراط في وقته، ومن وسَّعَ النَّظرَ في دينه، ضُيِّقَ عليه الصّراطُ في وقته. ومن غابَ عن حقوقه بحقوقه [تعالى]، غابَ عن كلِّ شدَّةٍ وعقوبة[٤]

وقال: الأغنياءُ أربعةٌ: غنيٌّ بالله، وغنيٌّ [بغنى الله]، قال رسول الله ﷺ: «الغنى غِنى القلب»[٥] وغنيٌّ باليقين قال عليه السَّلام: «كفى باليقين غنًى»[٦] [وغنيٌّ] ولا يذكرُ غنًى ولا فقرًا، لما وردَ على سرِّهِ من هيبة القدرةِ[٧]

وقال: لو جازَ أن يُصلّى ببيتِ شعرٍ، لجازَ أن يُصلّى بهذا البيت:

أَتمنّى على الزَّمانِ مُحالاً أن ترى مُقْلتايَ طلعةَ حُرِّ[٨]

---

(١) طبقات الصوفية ٤٤٦، المختار ٤/ ٢١٦

(٢) طبقات الصوفية ٤٤٦، المختار ٤/ ٢١٥، وفيهما: ولباس التقوى لأهل الحضور.

(٣) طبقات الصوفية ٤٤٦، الحلية ١٠/ ٣٨١.

(٤) طبقات الصوفية ٤٤٦، المختار ٤/ ٢١٥

(٥) رواه الحاكم في المستدرك ٤/ ٣٢٧، والبيهقي في شعب الإيمان ٧/ ٢٩٠ عن أبي ذر، ورواه ابن المبارك في الزهد ٣٥٧ عن الحسن.

(٦) رواه الطبراني من حديث الحسن البصري عن عمار، وضعفه المنذري، والهيثمي في مجمع الزوائد ١٠/ ٣٠٨ وقال الحافظ العراقي: سنده ضعيف جدًا، وهو معروف من قول الفضيل بن عياض. فيض القدير ٥/ ٣، ٤

(٧) طبقات الصوفية ٤٤٦، وما بين معقوفين مستدرك منه، المختار ٤/ ٢١٥

(٨) طبقات الصوفية ٤٤٦، الرسالة القشيرية ٣٢٩ (الحرية)، المختار ٤/ ٢١٦.

وقال: ما أظهرَ اللهُ شيئًا إلاّ يجبُ ستره، وأسترَ سُنّةَ الأشياء حتّى لا يَستوي عِلمان ولا مَعرفتان ولا قدرتان[1]

وكان كثيرًا ما ينشد هذين البيتين وهو يقول:

ولمَّا استنارَ الصُّبحُ أَدرجَ ضوءُهُ   بـإسفـارِهِ أنـوارَ ضـوءِ الكـواكـبِ
يُجرِّعُهُم كأسًا لو ابتُلِيَ اللَّظى   بتجريعها طارتْ كأسرعِ ذاهبِ[2]

* * *

(١) في طبقات الصوفية ٤٤٧ ما أظهر الله تعالى شيئًا إلاّ تحت ستره، وستر سيّئة الأشياء عن الأشياء حتى. ، وفي الحلية ١٠/ ٣٨١: ما أظهر الله تعالى شيئًا إلاّ تحت ستره، وستر شيئية الأشياء حتى.

(٢) في طبقات الصوفية ٤٤٧، وطبقات الأولياء ٣٦٧: بتحريقه طارت.

(٩٠) أبو بكر محمد الدُّقِّي (*)

ومنهم: أبو بكر محمد بن داود الدُّقِّي الدِّينوري، أقام بالشَّام.

وكان من أقرانِ أبي علي الرُّوذباري رحمه الله، إلاَّ أنَّه عُمِّرَ زيادةً على مئةِ سنة.

صحب: أبا عبد الله بن الجلاَّء، وأبا بكر الزَّقَّاق الكبير، وأبا بكر المصري.

وكان من أجلِّ مشايخِ وقته، وأحسنِهم حالاً، وأقدمهم صُحبةً للمشايخ.

مات بعد الخمسين وثلاث مئة.

سُئل عن الفرقِ بين التَّصوف والفقر، فقال: الفقرُ حالٌ من أحوالِ التَّصوّف. فقيل له: ما علامةُ الصُّوفي؟ فقال: أن يكونَ مَشغولاً بكلِّ ما هو أولى به من غيره، ويكونَ مَعصومًا عن المَذمومات[1]

وقال: علامةُ القربِ الانقطاعُ عن كلِّ شيءٍ سوى الله[1]

(*) طبقات الصوفية ٤٤٨، تاريخ بغداد ٥/ ٢٦٦، الرسالة القشيرية ١٠٩، الأنساب ٥/ ٣٢٧، المنتظم ٧/ ٥٦، المختار من مناقب الأخيار ٤/ ٣٦٥، مختصر تاريخ دمشق ٢٢/ ١٥٢، سير أعلام النبلاء ١٦/ ١٣٨، الوافي بالوفيات ٣/ ٦٣، طبقات ابن عبد الهادي ترجمة ٨٣٨، البداية والنهاية ١١/ ٢٧١، طبقات الأولياء ٣٠٦، نفحات الأنس ٢٧٩، طبقات الشعراني ١/ ١١٩، الكواكب الدرية ٢/ ١٢٨.

(١) طبقات الصوفية ٤٤٨، المختار ٤/ ٣٦٧

وقال: من عرف ربَّه لم ينقطعْ رجاؤهُ، ومن عرفَ نفسه لم يُعجبْ بعمله(١)

وقال: من عرفَ الله لجأَ إليه، ومن نسي الله لجأَ إلى المخلوقين. والمؤمنُ لا يسهو حتَّى يغفل، فإذا تفكّر حزنَ واستغفرَ(١)

وقال: كلامُ اللهِ إذا أضاءَ على السَّرائر بإشراقه، أزالتِ البشريةُ رعوناتِها(٢)

وسُئل عن سوءِ أدب الفقراء مع الله في أحوالهم، فقال: ذاك انحطاطُهم من حقيقةِ العلم إلى ظاهرِ العلم(٣)

وقال: المعدةُ موضعٌ لجميع الأطعمة، فإذا طرحتَ فيها الحلالَ صدرتِ الأعضاءُ بالأعمال الصالحة، وإذا طرحت فيها الشُّبَه، اشتبه عليك الطَّريق إلى الله، وإذا طرحت فيها التَّبعات كان بينك وبين أمرِ الله حجابٌ(٤)

وقال: كم من مسرورٍ سرورُه بلاؤه، وكم من مَغمومٍ غمُّه نجاته(٥)

وقال: إنَّ القلوبَ التي نُزّهت عن العيوب لتأييدِ وردَ عليها من الغيوب(٦)

وقال. الإخلاصُ أن يكونَ ظاهرُ الإنسان وباطنُه وسكونُه وحركاتُه خالصًا لله تعالى، لا يَشوبُه [حظُّ] نَفْسٍ ولا هوًى ولا طمعٌ ولا خَلْق(٧)

---

(١) طبقات الصوفية ٤٤٩، المختار ٤/ ٣٦٧، وفي (أ): لم يقطع عنه رجاءه.
(٢) طبقات الصوفية ٤٤٩، وفيه: أزال البشرية برعوناتها.
(٣) طبقات الصوفية ٤٤٩، المختار ٤/ ٣٦٧.
(٤) طبقات الصوفية ٤٤٩، الرسالة القشيرية ١١٠
(٥) طبقات الصوفية ٤٤٨، المختار ٤/ ٣٦٧
(٦) طبقات الصوفية ٤٤٩
(٧) طبقات الصوفية ٤٥٠.

وقال: الفقيرُ الذي قد عَدم الأسبابَ من ظاهرِهِ، وعَدِمَ طلبَ الأَسباب من باطنه[١]

وقال: خلقَ اللهُ الخلائقَ كلَّهم مُتحرِّكين، يدبُّون على الأرض، وجعلَ الحياةَ فيهم لأهلِ المعرفة، فالخلقُ متحرِّكون في أسبابهم، وأهلُ المعرفةِ أحياءٌ بحياةِ معروفهم، فلا حياةَ حقيقةً إلاَّ لأهلِ المعرفةِ لا غير[٢]

وقال: كنتُ بالبادية، فوافيتُ قبيلةً من قبائل العرب، فأضافني رجلٌ منهم، فرأيتُ غلامًا أسودَ مُقيّدًا هناك، ورأيتُ جمالاً ميّتةً بِفِناء البيت، فقال لي الغلام: أنت اللَّيلةَ ضيفٌ، وأنتَ على مولاي كريمٌ، فتشفَّع لي؛ فإنَّه لا يردّك. فقلتُ لصاحب البيت: لا آكلُ طعامَك حتَّى تُخلّي هذا العبد. فقال لي: قد أَفقرني هذا العبد، وأتلفَ مالي. فقلتُ: ما الذي فعل؟ فقال: له صوتٌ طيّب، وكنتُ أَعيشُ من ظهر هذه الجمال، فحمّلها أحمالاً ثقالاً، وحدا لها، حتَّى قطعتْ مسيرةَ ثلاثة أيامٍ في يومٍ واحد، فلمَّا حطَّ عنها ماتتْ كلُّها، ولكنْ قد وهبتُه لك. وحلَّ عنه القيد، فلمَّا أَصبحنا، أَحببتُ أن أسمعَ صوتَهُ، فسألته ذلك، فأمرَ الغلامَ أن يَحدو على جملٍ كان على بئرٍ هناك يُستقى [عليه] فهامَ الجملُ على وجهه، وقطعَ حبالَه، ولم أظنَّ أنّني سمعتُ صوتًا أطيبَ منه، ووقعت لوجهي، حتَّى أشارَ إليه بالسُّكوت[٣]

وأنشدوا في المعنى: [مجزوء الكامل]

إن كُنـــتَ تُنكـــرُ أنَّ للـ   أصـــواتِ فـــائـــدةً ونفعـــا
فـــانظـــرْ إلـــى الإبـــلِ اللّـــوا   تـــي هُـــنَّ أغلـــظُ منـــك طَبْعـــا
تصغـــي إلـــى حـــدوِ الحُـــدا   ةِ فتقطـــعُ الفلـــواتِ قَطعـــا[٤]

---

(١) طبقات الصوفية ٤٥٠.

(٢) طبقات الصوفية ٤٥٠، وفي (أ): فلا حياة حقيقية

(٣) الرسالة القشيرية ٤٧١ (السماع).

(٤) تهذيب الأسرار ٣٣٦.

ورُوي أنّه قامَ ليلةً إلى الصّباح يقومُ ويسقطُ على هذا البيت:

بـــالله فـــارددْ فـــؤادَ مُكْتئـــبٍ   ليـــسَ لـــه مـــن حَبيبـــهِ خلـــفُ

والنَّاسُ حولَه قيامٌ لقيامه يَبكون[1]

وقال: خرجتُ من أَيلةَ[2] إلى مصر، فلمَّا دخلتُها قلت: أسلّمُ على الزَّقَّاقِ. فقصدتُه، وسلّمتُ عليه، فقال: من أين جئتَ يا أبا بكر؟ قلتُ: من أَيلة. قال: إلى الرَّمْلة؟ قلت: لا يا سيِّدي، إلى القُلْزُم وإليكم. فقال: جزتَ ذلك الطَّريق[3]، خذ منِّي فيه حكايةً، أقمتُ فيه ثمانية عشر يومًا تائهًا، ما وجدتُ فيه شيئًا أرتفقُ به، فلمَّا كان بعد مُدَّةٍ إذا أنا بسلطانٍ قد وَلي من مصر يُريدُ أيلةَ، فرأوا شخصًا من بعيد، فأرسلوا فارسًا يَحملني إليه[4]، فلمَّا رأيتُ جمالاً ورفقةً طمعتْ نفسي، فلمَّا تبيّنتُ أنهم جندٌ أيستُ أنَّ لي فيهم فرجًا. قال الشَّيخ: وما شيءٌ من الطَّاعاتِ لله تعالى إلاَّ وهذا الإياسُ في هذا الوقت أحسنُ منه. فقال الوالي: هذا رجلٌ تائهٌ، قدّموا إليه السُّفرةَ. فقلتُ: ليس إلى ذلك سبيل. فقال لي. ويحك، أنت على حالِ التَّلف! فقلتُ له: إنَّ بيعتنا مع اللهِ ليستْ على هذا، نحن لا نرضى رحلَكم في المدن، ولا لكم نرضاه، وذلك أنَّ العلمَ يُلزمنا إياه، ولو كنّا في شدّة. ففَقُه الأميرُ عنّي ما قلت، فبكى ثم قال: سألتُكَ بالله ألا شربتَ الماء؛ فإنَّه من النِّيلِ. فناولني إدواةً، فشربتُ منها شربةً، وبقيت عليها إلى مصر[5]

---

(١) الرسالة القشيرية ٤٨٠ (السماع).

(٢) أيلة: مدينة على بحر القُلْزُم (الأحمر) مما يلي الشام، يقال لها أيلات. وهي المدينة التي حرم الله على اليهود صيد السمك بها. انظر معجم البلدان

(٣) في (أ): حسوت ذلك الطريق

(٤) في (ب): فارسًا من ولاة مصر أن يحملني.

(٥) المختار ١/ ٣٨٤.

وقال: حدثني أبو الحسن اللُّؤلُئي وكان خيِّرًا[1] فاضلاً، قال: كنتُ في البحر، فانكسرَ المركبُ، وغرقَ كلُّ ما فيه، وكان في وِطائي[2] لؤلؤةٌ قيمتُها أربعةُ آلاف دينار، وقرُبَتْ أيامُ الحجِّ، وخفتُ الفوات، فلمَّا نجّاني الله بروحي وسلمْتُ من الغرقِ، مشيتُ، فقال لي جماعةٌ كانوا معي في المركب: لو توقَّفتَ، عسى يجيءُ مَنْ يُخرجُ شيئًا، فيُخرج لك من رحلك شيئًا. فقلت: قد علمَ الله ما مرَّ منّي[3]، وكان في وِطائي شيءٌ قيمتُه أربعةُ آلاف دينار، وما كنتُ بالذي أُوثره على وقفةٍ بعرفة، فقالوا: وما الذي ورَّثَكَ هذه المنْزلة؟ فقلت: أنا رجلٌ مُولعٌ بالحجِّ أطلبُ الرِّبح والثَّواب، حججتُ في بعض السّنين، فعطشتُ عطشًا شديدًا، فأَجلستُ عَدِيلي[4] في وسط المحمل، ونزلتُ أَطلبُ الماءَ، والنَّاسُ مُعطشون أيضًا، فلم أزلْ أسألُ رجلاً رجلاً، ومَحملاً محملاً: هل معكم ماءٌ؟ وإذا النَّاسُ شرعٌ واحدٌ، حتَّى صرتُ في ساقةِ[5] القافلة بميل أو ميلين، فمررتُ بمصنعٍ مُصهرجٍ[6]، وإذا رجلٌ فقيرٌ جالسٌ في أرضِ المصنع، وقد غرز عصاه التي في يده في أرضِ المصنع، والماءُ ينبع من موضع العصا، وهو يشرب، فنَزلتُ إليه، وشربتُ إلى أن رويت، وجئتُ إلى القافلةِ، والنَّاس قد نزلوا، فأخرجتُ قربةً، ومضيتُ فملأتها ورجعت، فلمَّا رأوني النَّاس والقربةُ على كتفي مملوءةٌ، فكأنه نُودي فيهم: إنَّ الماءَ وراءكم. فتبادروا إليه النَّاسُ بالقُربِ والظّروف، فلمَّا رَوِيَ النَّاسُ عن آخرهم، وسارتِ القافلةُ، جئتُ لأنظرَ، وليس يتخايل لي إلاَّ كأنّي أراه في المنام حتَّى جئتُ

---

(١) في (أ): حبرًا فاضلاً.
(٢) وطائي. فراشي.
(٣) في (أ): ما قدم مني.
(٤) عديلي: مثيلي ونظيري المعادل في الوزن والقدر في المحمل. انظر معجم متن اللغة.
(٥) الساقة: المؤخرة.
(٦) المصنع: ما يجمع فيه الماء. المصهرج المطلي بالصاروج. معجم متن اللغة.

إلى البركة، فإذا هي ملأها ماءٌ تلتطم بأمواجها، والنَّاسُ يرمون فيها بالدِّلاءِ ويرتجزون، فموسمٌ يحضر فيه مثلُ هؤلاء، ويقولون: اللهمَّ اغفرْ لمن حضرَ الموقفَ، ولجماعةِ المسلمين، أُوثرُ عليه أربعة آلاف دينار!؟ لا واللهِ، ولا الدُّنيا بأسرها، وأعرض عن اللّؤلؤة وجميع قِماشه.

قال الدّقي: فبلغني أنَّ قيمةَ ما كان غرقَ له خمسون ألف دينار[1]

وقال: حدثني أبو الخير العسقلاني[2] قال: كنتُ ببغداد مارًّا في طريقٍ، وبين يدي فقيرٌ يمشي، وإذا مغنٍّ يقول:

أمـــدُّ كفَّـــيَّ بـــالخضـــوعِ إلـــى الـــذي جـــادَ بـــالصّنيـــعِ

فشهق الفقيرُ شهقةً خرَّ ميتًا مكانه[3]

وقال: من ألفَ الاتصال، ثمَّ ظهرَ له عينُ الانفصال تنغّص عليه عيشُه، وانمحقَ عليه وقته، وصار مُتلاشيًا في محلِّ الوحشة. ثمَّ أنشأ يقول:

لـو أنَّ اللّيـالـي عُـذِّبـتْ بفـراقِـنـا محا دمعُ عينِ اللَّيلِ ضوءَ الكواكبِ
ولـو جُـرِّعَ الأيـامُ كـأسَ فِـراقنـا لأَصبحتِ الأيامُ شُهبَ الذَّوائبِ

وقال: ما رأتْ عينايَ بالعراقِ ولا بالحجاز ولا الشَّام ولا الجبلِ مثلَ أبي عبد الله بن الجلاَّء[4] وكان ممشاد فيه خمس خصال لم تكن واحدة منها في ابن الجلاَّء.

* * *

---

(١) صفة الصفوة ٤/ ٤٠٢، المختار ٥/ ٣٦١

(٢) في المختار ٥/ ٣١١: وقال محمد بن داود الدقي: كنت مارًا. قال ابن الجوزي في صفة الصفوة ٢/ ٥٠٩: وقد رويت لنا عن الرقي وعن غيره.

(٣) صفة الصفوة ٢/ ٥٠٩، المختار ٥/ ٣١١

(٤) المختار ١/ ٣٨٨.

(٩١) عبد الله الشَّعراني(*)

ومنهم: أبو محمد عبد الله[١] بن محمد بن عبد الله بن عبد الرَّحمن الرَّازي الشَّعراني، رازيُّ الأصل، ومولده ومنشؤه بنيسابور.

صحب: الجُنيد، وأبا عثمان، ورُويماً، ومحمد بنَ الفضل، وسَمنون، والجوزجاني، ومحمد بن حامد، وغيرَهم من المشايخ.

وهو من جلَّةِ أصحابِ أبي عثمان، وكان أبوعثمان يُكرمُهُ ويُجلُّه، ويعرفُ له محلَّه[٢]

وكان من كبارِ مشايخِ نيسابور في وقته. له من الرِّياضات ما يعجزُ عن سماعها إلاّ أهلها. وكانَ عالِمًا بعلومِ هذه الطَّائفة. وكتبَ الحديث الكثير ورواه. وكان ثقةً ثبتًا[٢]

مات سنة ثلاثٍ وخمسين وثلاث مئة[٢]

قيل له رحمه الله: ما بالُ النَّاسِ يَعرفون عيوبَهم، وعيوبَ ما هم فيه، ولا ينتقلون عن ذلك، ولا يَرجعون إلى طريقِ الصَّواب؟ فقال: لأنَّهم اشتغلوا بالمُباهاة بالعلم، ولم يشتغلوا باستعماله، واشتغلوا بإيجابِ الظَّواهر، وتركوا إيجابَ البواطن[٣]، فأعمى اللهُ قلوبَهم عن النَّظرِ إلى

(*) طبقات الصوفية ٤٥١، الرسالة القشيرية ١١٠، المختار من مناقب الأخيار ٣/ ٤٩٧، سير أعلام النبلاء ١٦/ ٦٥، طبقات الأولياء ١٣٩، نفحات الأنس ٣٣٣، طبقات الشعراني ١/ ١١٩، الكواكب الدرية ٢/ ١٠٨، و٤/ ٣٨٩

(١) في (ب): ومنهم أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد.

(٢) طبقات الصوفية ٤٥١

(٣) في طبقات الصوفية ٤٥٢: اشتغلوا بآداب الظواهر، وتركوا آداب البواطن.

الصَّوابِ، وقيَّدَ جوارحَهم عن العبادة[1]

وقال: العارفُ لا يعبدُ الله على مُوافقة الخَلْق؛ بل يعاملُ الخَلْقَ على موافقة الخالق[2]

وقال: من أرادَ أن يعرفَ محلَّ نفسه ومتابعتها للحقِّ، أو مخالفتها له، فلينظرْ إلى من يُخالفه في مُراده، وكيف يجدُ نفسَه عند ذلك، فإن لم يتغيَّر، فليعلمْ أنَّ نفسَه متابعةٌ للحقِّ[3]

وقال: قيل لبعضِ العارفين: ما الذي حَبَّبَ إليك الخلوة، ونفى عنك الغفلةَ؟ فقال: وثبةُ الأكياسِ من فخِّ الدُّنيا[4]

وقال: من لم يستغنمِ السُّكوتَ، فإنَّه إذا نطقَ، نطقَ بلَغْوٍ[5]

وقال له رجل: علّمني دعاءً أدعو به. فقال له: قل: اللهمَّ امننْ علينا بصفاءِ المعرفة، وهب لنا تصحيحَ المعاملةِ بيننا وبينك على السُّنَّة، وصدقَ التَّوكُّلِ عليك، وحسنَ الظَّنِّ بك، وامننْ علينا بكلِّ ما يُقرِّبُنا منك مَقرونًا بالعوافي في الدَّارين[6]

وقال: دلائلُ المعرفةِ العلمُ، والعملُ بالعلم، والخوفُ على العمل[7]

وقال: المعرفةُ تهتِكُ الحُجبَ بين العبيد وبين مولاهم، والدُّنيا هي التي تَحجبُهم عن مولاهم[8]

---

(١) طبقات الصوفية ٤٥٢، الرسالة القشيرية ١١٠، المختار ٣/ ٤٩٨

(٢) في طبقات الصوفية ٤٥٢ بل يعبده على موافقته عز وجل، المختار ٣/ ٤٩٧

(٣) طبقات الصوفية ٤٥٣، المختار ٣/ ٤٩٨.

(٤) طبقات الصوفية ٤٥٣

(٥) طبقات الصوفية ٤٥٣، وفيه: من لم يغتنم السكوت، المختار ٣/ ٤٩٧.

(٦) طبقات الصوفية ٤٥٣، المختار ٣/ ٤٩٨.

(٧) طبقات الصوفية ٤٥٢، المختار ٣/ ٤٩٧.

(٨) طبقات الصوفية ٤٥٣، المختار ٣/ ٤٩٧

وقال: إنَّما تتولَّدُ الشَّكوى وضيقُ الصَّدر من قلَّةِ المعرفة بالله[1]

وقال: الخلقُ كلُّهم يدَّعون المعرفة، لكنَّهم عن صدقِ المعرفة بمعزلٍ، وصدقُ المعرفةِ خُصَّ بها الأنبياءُ، والسَّادةُ الأولياء[1]

* * *

(١) طبقات الصوفية ٤٥٣.

(٩٢) أبو عمرو بن نُجيد(*)

ومنهم: أبو عَمرو إسماعيل بن نُجيد بن أحمد بن يوسف بن سالم بن خالد السُّلمي جدُّ الشَّيخ العارف أبي عبد الرَّحمن محمد بن حُسين السُّلمي رحمه الله(١).

صحب: أبا عثمان، وكان من كبارِ أصحابه، ولقي الجُنيد.

وكان من كبارِ مشايخ وقته. وله طريقةٌ ينفرد بها من تلبيس الحال، وصونِ الوقت(١).

وهو آخرُ من مات من أصحابِ أبي عثمانَ في سنة ستٍّ وستين وثلاث مئة(١).

وسمع الحديثَ الكثير، ورواه. وكان ثقةً.

قال رحمه الله: كلُّ حالٍ لا يكون عن نتيجةِ علمٍ، وإن جلَّ فإنَّ ضررَهُ على صاحبِهِ أكثرُ من نفعه(٢).

(*) طبقات الصوفية ٤٥٤، الرسالة القشيرية ١١١، الإكمال ١/ ١٨٨، الأنساب ٧/ ١١٢، طبقات الشافعية لابن الصلاح ١/ ٤٣٠، المنتظم ٧/ ٨٤، المختار من مناقب الأخيار ١/ ٤١٠، سير أعلام النبلاء ١٦/ ١٤٦، العبر ٢/ ٣٣٦، طبقات السبكي ٣/ ٢٢٢، الوافي بالوفيات ٩/ ٢٣١، البداية والنهاية ١١/ ٢٨٨، طبقات الأولياء ١٠٧، النجوم الزاهرة ٤/ ١٢٧، نفحات الأنس ٣٣٢، طبقات الشعراني ١/ ١٢٠، الكواكب الدرية ٢/ ٥٥، شذرات الذهب ٣/ ٥٠، الرسالة المستطرفة ٨٧.

(١) طبقات الصوفية ٤٥٤، المختار ١/ ٤١٠.

(٢) طبقات الصوفية ٤٥٥، الرسالة القشيرية ١١١

وقال: من كَرُمت عليه نفسُه، هان عليه دينُه[1]

وقال: من ضيَّعَ في وقتٍ من أوقاته فريضةً افترضَها اللهُ عليه في ذلك الوقت، حُرِمَ لذَّةَ الفريضةِ إلاَّ بعد حين[2]

وسُئل عن التَّصوف، فقال. الصَّبرُ تحت الأمر والنَّهي[3]

وسُئل عن التَّوكُّل، فقال: أدناه حُسن الظَّنِّ بالله تعالى[4]

وقال: من لم تهذبك رؤيتُه، فاعلم أنَّه غيرُ مهذَّب[4]

وقال: المتوكِّلُ الذي يرضى بحكمِ الله فيه[5]

وقال: تربيةُ الإحسان خيرٌ من الإحسان[5]

وقال: من أراد أن يعرفَ قَدْرَ معرفته بالله، فلينظرْ قَدْرَ هيبته له وقتَ خدمته[5]

وقال: لا يصفو لأحدٍ قَدَمٌ في العبودية، حتَّى تكونَ أفعالُه كلُّها عنده رياءً، وأحوالُه كلُّها عنده دعاوَى[6]

وقيل له: ما الذي لا بُدَّ للعبدِ منه؟ فقال: ملازمةُ العبودية على السُّنة، ودوامُ المراقبة[7]

وقال: إذا أرادَ اللهُ بعبدٍ خيرًا، رزقَهُ خدمةَ الصَّالحين والأخيار، ووفَّقَه لقبولِ ما يشيرون به عليه، وسهَّلَ عليه سُبلَ الخير، وحجبَهُ عن رؤيتها[8]

---

(١) طبقات الصوفية ٤٥٥، الرسالة القشيرية ١٧٩ (المجاهدة).
(٢) طبقات الصوفية ٤٥٥، الرسالة القشيرية ١١١، المختار ١/ ٤١٢
(٣) طبقات الصوفية ٤٥٤، الرسالة القشيرية ١١١، المختار ١/ ٤١١.
(٤) طبقات الصوفية ٤٥٤، المختار ١/ ٤١١
(٥) طبقات الصوفية ٤٥٥، المختار ١/ ٤١١
(٦) طبقات الصوفية ٤٥٥، تهذيب الأسرار ١٠١، الرسالة القشيرية ٣٠٣ (العبودية).
(٧) طبقات الصوفية ٤٥٥، المختار ١/ ٤١١.
(٨) طبقات الصوفية ٤٥٥.

وقيل له: من أين تتولَّدُ الدَّعاوَى؟ فقال. من الاغترارِ وتشويش الأسرار[1]

وقال أيضًا: الدَّعاوَى إنَّما تتولَّدُ من فسادِ الابتداء، فمن صحّتْ بدايتُه، صحّتْ نهايتُهُ، ومن فسدتْ بدايته، فإنَّه يَهْلِك في أحواله وقتًا ما، قال الله تعالى: ﴿أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُۥ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَٰنَهُۥ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَٱنْهَارَ﴾[2] [التوبة: ١٠٩].

وقال: التَّهاونُ بالأمرِ، من قلَّةِ المعرفةِ بالآمر[3]

وقال: الملامتي[3] لا يكون له دعوى؛ لأنّه لا يرى لنفسه شيئًا يدّعي به[4]

وقال عبد الواحد بن علي السيَّاري: قلتُ له آخر ما فارقتُهُ بمرو: أَوصني. فقال لي: الزمْ مواجبَ العلم، واحترمْ لجميع المسلمين، ولا تُضيّعْ أيامَك؛ فإنَّها أعزُّ شيءٍ لك، ولا تتصدَّرْ ما أمكنَكَ، وكن خاملاً بين النَّاس، فبقدر ما تتعرّفُ إليهم، وتشتغلُ بهم تُضيِّعُ حظَّكَ من أوامر ربِّك[5]

وقال: من قدَرَ على إسقاطِ جاهه عند الخَلْقِ، سهُلَ عليه الإعراضُ عن الدُّنيا وأهلها[5]

وقال: من أظهرَ محاسنَه لمن لا يَملكُ ضرَّه ونفعه، فقد أظهرَ جهلَه[6]

---

(١) طبقات الصوفية ٤٥٥، وفيه: وتستوطن الأسرار. المختار ١/ ٤١١

(٢) طبقات الصوفية ٤٥٦. المختار ١/ ٤١١.

(٣) الملامتي نسبة إلى الملامتية، وقد تقدم التعريف بها صفحة ٣٣٥، وفي (أ): المتلاشي.

(٤) طبقات الصوفية ٤٥٦.

(٥) طبقات الصوفية ٤٥٦، المختار ١/ ٤١٢

(٦) طبقات الصوفية ٤٥٧، المختار ١/ ٤١٢.

وقال: الهِممُ توصلُ النُّفوسَ إلى سَنِيِّ الرُّتَبِ[1]

وقال: من استقامَ لا يعوجُّ به أحدٌ، ومن اعوجَّ لا يَستقيمُ به أحدٌ[1]

وقال: آفةُ العبدِ رضاه من نفسه بما هو فيه[2]

وقيل: اجتمعَ أبو عمرو بن نُجيد والنَّصراباذي والطَّبقة في موضع، فقال النَّصراباذي: أنا أقول: إذا اجتمعَ القومُ، فواحدٌ يقولُ شيئًا، ويسكتُ الباقون، خيرٌ من أن يغتابوا أحدًا. فقال له أبو عمرو: لأن تغتابَ ثلاثين سنةً، أنجى لك من أن تُظهرَ في السَّماع ما لستَ منه[3]

* * *

---

(١) طبقات الصوفية ٤٥٧، المختار ١/ ٤١٢

(٢) الرسالة القشيرية ١١١، المختار ١/ ٤١٢

(٣) الرسالة القشيرية ٤٨٢ (السماع)، تهذيب الأسرار ٣٣٥

(٩٣) أبو الحسن علي البُوشَنْجي (*)

ومنهم: أبو الحسن علي بن أحمد بن سهل البُوشَنجي كان من أوحدِ فتيان خراسان.

لقي: أبا عثمان، وصحبَ بالعراق ابنَ عطاء، والجَريري، وبالشّام: طاهرًا، وأبا عَمرو الدِّمشقي[١]، وتكلَّمَ مع الشّبلي في مسائل[٢]

وهو من أعلمِ مشايخ وقته بعلوم التَّوحيد، وعلومِ المعاملات. وأحسنِهم طريقةً في الفتوة والتَّجريد[٣]

وكان ديِّنًا، متعهِّدًا للفقراء، جميلَ الأخلاق[٣]

مات سنة ثمانٍ وأربعين وثلاث مئة[٣]

سُئل رحمه الله عن السُّنة، فقال: البيعةُ تحت الشَّجرة، وما وافقَ ذلك من الأفعالِ والأقوال[٤]

وسُئل عن التَّصوف، فقال: اسمٌ ولا حقيقة، وقد كان من قبلُ حقيقةً ولا اسم[٤]

(*) طبقات الصوفية ٤٥٨، حلية الأولياء ١٠/ ٣٧٩، الرسالة القشيرية ١١١، المنتظم ٦/ ٣٩١، المختار من مناقب الأخيار ٤/ ٢٤، مختصر تاريخ دمشق ١٧/ ١٧٨، طبقات الشافعية للسبكي ٣/ ٣٤٤، طبقات الأولياء ٢٥٢، النجوم الزاهرة ٣/ ٣٢٠، نفحات الأنس ٣٢٩، طبقات الشعراني ١/ ١٢٠، الكواكب الدرية ٢/ ٣١، و٤/ ٤٥٤

(١) كذا في الأصل، وانظر مصادر ترجمته واسمه صفحة ٥٩٥.

(٢) طبقات الصوفية ٤٥٨، المختار ٤/ ٢٤

(٣) طبقات الصوفية ٤٥٨.

(٤) طبقات الصوفية ٤٥٩، الحلية ١٠/ ٣٧٩، المختار ٤/ ٢٥.

وسُئل عن المروءة، فقال: تركُ استعمال ما هو مُحرَّمٌ عليك، مع الكرام الكاتبين(١)

وقال: النَّاسُ على ثلاث منازل. منازلُ الأولياء: وهم الذين باطنُهم أفضلُ من ظاهرهم. والعلماء: وهم الذين سرُّهم وعلانيتُهم سواء. والجُهّال: وهم الذين علانيتُهم تُخالفُ إسرارَهم، لا يَنصفون من أنفسهم، ويطلبون الإنصافَ من غيرهم(٢)

وقيل له: من الظَّريفُ؟ فقال: الخفيفُ في ذاته، وأخلاقِهِ، وأفعاله، وشمائله من غيرِ تكلف(٣)

وقال: ليس في الدُّنيا شيءٌ أسمجَ من مُحبٌّ لسببٍ أو عِوَض(٣)

وقيل له: ما المروءة؟ فقال: حُسنُ السِّرِّ [والبشرِ](٤)

وقال له رجلٌ يومًا: ادعُ لي. فقال: أعاذكَ الله من فتنتك(٥)

وسُئل عن المحبَّة، فقال: بذلُ مجهودك مع معرفةِ محبوبك؛ لأنَّ محبوبَك مع بذل مجهودك يفعلُ ما يشاء(٦)

وقال: التَّوحيدُ حقيقةُ معرفتُهُ، كما عرَّف نفسَه إلى عباده، ثمَّ الاستغناءُ به عن كلِّ ما سِواه(٧)

وسُئل عن التَّوحيد، فقال: غيرُ مُشبَّه الذات، ولا مَنفيِّ الصفات(٨)

---

(١) طبقات الصوفية ٤٦٠، الحلية ١٠/ ٣٧٩، الرسالة القشيرية ١١٢

(٢) طبقات الصوفية ٤٦٠، الحلية ١٠/ ٣٧٩، المختار ٤/ ٢٥

(٣) طبقات الصوفية ٤٦٠، المختار ٤/ ٢٦

(٤) طبقات الصوفية ٤٦٠، وما بين معقوفين مستدرك منه، المختار ٤/ ٢٦

(٥) طبقات الصوفية ٤٦١، الرسالة القشيرية ١١٢، المختار ٤/ ٢٦

(٦) طبقات الصوفية ٤٦١، الحلية ١٠/ ٣٧٩، المختار ٤/ ٢٥

(٧) طبقات الصوفية ٤٦١

(٨) الرسالة القشيرية ٤٢٥ (التوحيد) وفيها: مشبه الذوات، المختار ٤/ ٢٦.

وسُئل مرةً أُخرى عن التَّوحيد، فقال: قريبٌ من الظُّنون، بعيدٌ من الحقائق. وأنشدَ لبعضهم:

فقلتُ لأصحابي هي الشَّمسُ ضوءُها قريبٌ ولكن في تناولها بعدُ[1]

وسُئل عن التَّصوف، فقال: الحريةُ والفُتوة، وتركُ التَّكلُّف في السَّخاء، والتَّظرُّفُ في الأخلاق[2]

وقال: أوَّلُ الإيمان منوطٌ بآخره، ألا ترى أنَّ عقدَ الإيمان (لا إله إلاَّ الله)، والإسلامُ مَنوطٌ بأداءِ الشَّريعةِ بالإخلاص، قال الله تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾[3] [البينة: ٥].

وسُئل عن الفتوة، فقال: حسنُ المراعاة، ودوامُ المُراقبة، وأن لا ترى من نفسِكَ ظاهرًا يُخالفُه باطنُك[3]

وقال: الخيرُ منَّا زَلَّةٌ، والشَّرُّ لنا صِفةٌ[4]

وقال: من ذلَّ في نفسِهِ رفعَ اللهُ قَدرَهُ، ومن عزَّ في نفسِه أذلَّهُ اللهُ في أعين عِباده[5]

وسُئل عن التَّوبة، فقال: إذا ذكرتَ الذَّنبَ ثمَّ لم تجد حلاوته عند ذِكره، فهو التَّوبة[6]

* * *

(١) المختار ٤/ ٢٦، طبقات الأولياء ٢٥٤ وانظر تخريج البيت صفحة ٥٠٦

(٢) طبقات الصوفية ٤٦٠، المختار ٤/ ٢٦

(٣) طبقات الصوفية ٤٦١، الحلية ١٠/ ٣٧٩، المختار ٤/ ٢٦

(٤) طبقات الصوفية ٤٦١، الحلية ١٠/ ٣٨٠، المختار ٤/ ٢٧، وفي (أ): والشر منّا زلة.

(٥) طبقات الصوفية ٤٦١

(٦) الرسالة القشيرية ١٧٤ (التوبة)، المختار ٤/ ٢٧

(٩٤) أبو عبد الله بن خفيف الضَّبيّ(*)

ومنهم: أبو عبد الله محمد بن خفيف بن إسْفكشاذ الضَّبِيّ. أقام[1] بشيراز. كانت أمُّه نيسابوريةً. وكان شيخَ المشايخ، وأوحدَهم في وقته، عالِمًا بعلوم الظَّاهر والحقائق، حسنَ الأحوال في المقامات والأفعال، جميلَ الأخلاق والأعمال.

مات سنة إحدى وسبعين وثلاث مئة.

قال رحمه الله: التَّصوفُ تصفيةُ القلب عن موافقة البشرية، ومفارقةُ الأخلاق الطَّبيعية، وإخمادُ صفات البشرية، ومُجانبة دعاوَى النَّفسانية، ومُنازلةُ صفات الرُّوحانية، والتَّعلُّقُ بعلومِ الحقيقة، واستعمالُ ما هو أولى على السَّرمدية، والنُّصحُ لجميع الأمة، والوفاءُ لله على الحقيقةِ، واتِّباعُ الرَّسول عليه السَّلام في الشَّريعة[2]

(*) طبقات الصوفية ٤٦٢، حلية الأولياء ١٠/ ٣٨٥، الرسالة القشيرية ١١٢، الأنساب ٧/ ٤٥١، تبيين كذب المفتري ١٩٠، المنتظم ٧/ ١١٢، معجم البلدان ٣/ ٣٨١، اللباب ٢/ ٢٢٢، المختار من مناقب الأخيار ٤/ ٣٦٠، طبقات الفقهاء الشافعية ١/ ١٥٤، مختصر تاريخ دمشق ٢٢/ ١٤٠، سير أعلام النبلاء ١٦/ ٣٤٢، العبر ٢/ ٣٦٠، دول الإسلام ١/ ١٧٨، الوافي بالوفيات ٣/ ٤٢، طبقات الشافعية للسبكي ٣/ ١٤٩، طبقات الإسنوي ١/ ٤٧٦، البداية والنهاية ١١/ ٢٩٩، طبقات الأولياء ٢٩٠، النجوم الزاهرة ٤/ ١٤١، نفحات الأنس ٣٤٥، طبقات الشعراني ١/ ١٢٠، الكواكب الدرية ٢/ ١٤٠، شذرات الذهب ٣/ ٧٦، كشف الظنون ١٤٤٧، هدية العارفين ٢/ ٤٦

(١) في (أ): أصله من أسفيشاي وأقام.

(٢) طبقات الصوفية ٤٦٤، تهذيب الأسرار ٣٦.

وقال: لمَّا خلقَ الله الملائكةَ والجنَّ والإنسَ، خلقَ العصمةَ والكفاية والحيلة، فقال للملائكة: اختاروا. فاختاروا العِصمة. ثمَّ قال للجنِّ: اختاروا. فاختاروا العِصمة. فقال: قد سُبقتم. فاختاوا الكِفاية. ثم قال للإنس: اختاروا. فقالوا: نختار العصمة. فقيل لهم: قد سُبقتم. فقالوا: نختار الكفاية، فقيل: قد سبقتم. فاختاروا الحيلة. فبنو آدم يحتالون بجهدهم[١]

وروي عنه أنَّه قال. قدمَ علينا بعضُ أصحابنا، فاعتلَّ، وكان به علَّةُ البطن، فكنتُ أَخدمُهُ وآخذ منه الطَّسْتَ طولَ اللَّيل، فغفوتُ مرةً، فقال لي: نمتَ؟ لعنك الله! فقيل له: كيف وجدتَ نفسَك عند قوله: لعنَكَ الله؟ فقال: كقوله رحمك الله[٢]

وقال: السّكرُ غليانُ القلب عند معارضاتِ ذِكر المحبوب[٣]

وقال: الإيمانُ تصديقُ القلوب بما أَعلمه الحقُّ من الغيوب[٤]

وقال: الخوف اضطرابُ القلوب بما عُلمَ من سطوة المعبود[٤]

وقال: الرِّياضة كسرُ النُّفوسِ بالخدمة، ومنعُها عن الفترة[٥]

وقال: التَّقوى مجانبةُ ما يُبعدُك عن الله تعالى[٦]

وقال: التَّوكُّل الاكتفاءُ بضمانه، وإسقاطُ التُّهمةِ عن قضائه[٧]

وقال: حقيقةُ الإرادة استدامةُ الكدِّ، وتركُ الرَّاحة[٧]

---

(١) طبقات الصوفية ٤٦٤.

(٢) طبقات الصوفية ٤٦٤، طبقات الأولياء ٢٩٠، طبقات السبكي ٣/ ١٥٤

(٣) طبقات الصوفية ٤٦٤، المختار ٤/ ٣٦٢، وفي (أ): الشكر غليان، وفي (ب): عند من تحبه عند معارضات.

(٤) طبقات الصوفية ٤٦٥، المختار ٤/ ٣٦٢

(٥) طبقات الصوفية ٤٦٤، المختار ٤/ ٣٦٢

(٦) طبقات الصوفية ٤٦٥، المختار ٤/ ٣٦٢.

وقال: المُطالباتُ شتّى: فمطالبةُ الإيمان ما حداك عليه من صحّةِ التّصديقِ بوعده ووعيده. ومطالبةُ العلمِ بما تبيَّنُ به أحكامه، وظهرت دلائله، وطالبك الحقُّ باستعماله[1] ومُطالبةُ الحقِّ وهو الذي إذا بدا قهرَكَ وجذبك إلى ما أراد بصولته[2]

وقال: ليس شيءٌ أضرَّ بالمُريد من مُسامحة النَّفس في ركوب الرُّخص، وقبولُ التّأويلات[3]

وقال: اليقين تحقيقُ الأسرار بأحكامِ المُغيّبات[4]

وقال: المشاهدةُ اطلاعُ القلوب بصفاءِ اليقين إلى ما أخبر الحقُّ عن الغيوب[5]

وقال: القربُ طيُّ المسافات للطيف المداناة[6]

وسُئل عن القرب، فقال: قربُك منه بملازمة المُوافقات، وقربُهُ منك بدوامِ التَّوفيق[7]

وقال: الواصلُ من اتَّصلَ بمحبوبه دون كلِّ شيءٍ، وغاب عن كلِّ شيء سواه[8]

---

(١) في (أ): بما تبين به الآيات أحكامه.. وطالبك الحق باستعمال.
(٢) طبقات الصوفية ٤٦٥.
(٣) طبقات الصوفية ٤٦٥، الرسالة القشيرية ١١٢، المختار ٤/ ٣٦٢.
(٤) طبقات الصوفية ٤٦٥، الرسالة القشيرية ٢٨٢ (اليقين)، تهذيب الأسرار ٩١ وفيها: تحقق الأسرار.
(٥) طبقات الصوفية ٤٦٥، المختار ٤/ ٣٦٢
(٦) طبقات الصوفية ٤٦٦ وفيه: بلطيف المداناة، المختار ٤/ ٣٦٢
(٧) طبقات الصوفية ٤٦٦، الرسالة القشيرية ١١٢
(٨) طبقات الصوفية ٤٦٦، وفي (أ): الوصلة من اتصل بمحبوبه عن كل شيء، وغاب عند كل شيء سواه.

وقال: الدَّنفُ من احترقَ في الأشجان، ومُنع من بثِّ الشَّكوى[1]

وقال: الانبساطُ سقوطُ الاحتشام عند السُّؤال[2]

وقال: الهمَّةُ جذبُ شواهد المهمومِ بالذَّهاب إليه[3]

وقيل له: لِمَ صارَ بلاءُ المحبّين أعظمَ من سائر الأحوال؟ فقال: لأنَّهم آثروه على أرواحهم، فابتلاهم بحبّه لهم، فقال تعالى: ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥ﴾ [المائدة: ٥٤]. ومن يطيق سماعَ هذا الكلام؟! إلاّ أن يبدو له فيه الحقائق[4]

وقال: ربّما كنتُ أقرأُ في ابتداء أمري في ركعةٍ واحدة عشرةَ آلاف مرة: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾. وربّما كنتُ أقرأ في ركعةٍ واحدة القرآنَ كلَّه، وربَّما كنت أُصلّي من الغداةِ إلى العصر ألفَ ركعة[5]

وقال: دخلَ عليَّ يومًا من الأيامِ فقيرٌ، فقال: بي وسوسةٌ. فقلتُ له: عهدي بالصّوفية يَسخرونَ من الشَّيطان، فالآنَ الشَّيطانُ يسخرُ بهم[6]

وقال: ضعفتُ عن القيام في النَّوافل، فجعلتُ لكلِّ ركعةٍ من أورادي ركعتين؛ للخبر «صلاةُ القاعدِ على النِّصفِ من صلاة القائم»[7]

وقال: التَّوحيدُ تحقيقُ القلوبِ بإثباتِ الموحّد بكمالِ أسمائه وصفاته، ووجودُ التَّوحيد مطالعة الآخريّة عن أوقات السّرمديّة[8]

---

(١) طبقات الصوفية ٤٦٦، المختار ٤/ ٣٦٢
(٢) طبقات الصوفية ٤٦٤، المختار ٤/ ٣٦٢.
(٣) طبقات الصوفية ٤٦٦، وفي (ب): شواهد الهموم.
(٤) طبقات الصوفية ٤٦٦
(٥) الرسالة القشيرية ١١٢، المختار ٤/ ٣٦٠.
(٦) الرسالة القشيرية ١١٢، طبقات الشافعية ٣/ ١٥٦
(٧) رواه مسلم (٧٣٥) في صلاة المسافرين، باب جواز النافلة قائمًا وقاعدًا، والموطأ ١/ ١٣٦، وأبو داود (٩٥٠)، والنسائي ٣/ ٢٢٣، وانظر الخبر في الرسالة القشيرية ١١٣، طبقات السبكي ٣/ ١٥١، والمختار ٤/ ٣٦١.
(٨) في حلية الأولياء ١٠/ ٣٨٦: وجود التوحيد مطالعة الأحدية على أرضات السرمدية.

وقال: مواهب الإيمان بوادي أنواره المُلبس لأسراره، وظاهرُ الإيمان النُّطقُ بألوهيته[1] على تعظيمِ أَحديته. وأفعالُ الإيمان التزامُ عبوديته، والانقيادُ لقوله[2].

و: الإنابةُ التزامُ الخدمة، وبذلُ المجهود[3].

و: الرَّجاء ارتياحُ القلوب لرؤية كرم المرجو، وحقيقةُ الرَّجاء الاستبشار لوجود فضله، وصحة وعده[4].

و: الزُّهدُ سلوُّ القلبِ عن الأسباب، ونفضُ الأيدي عن الأملاك. وحقيقةُ الزُّهد التبرُّمُ بالدُّنيا، ووجودُ الرَّاحة في الخروج منها[5].

و: القناعة الاكتفاء بالبُلغةِ، وحقيقةُ القناعة تركُ التَّشوّف إلى المفقود، والاستغناء بالموجود[6].

وسُئل عن الذِّكر فقال: اعلموا أنَّ المذكورَ واحد، والذِّكرُ مختلف، ومحلُّ قلوب الذَّاكرين مُتفاوته، وأصل الذِّكر إجابةُ الحقِّ من حيث اللَّوازم لقوله عليه السَّلام: «من أطاعَ الله فقد ذَكَرَ الله، وإن قلَّتْ صلاتُهُ وصيامُه وتلاوتُهُ». ثمَّ ينقسم الذِّكرُ قسمين: ظاهرًا وباطنًا. فأمَّا الظَّاهر: فالتَّهليلُ، والتَّحميدُ، والتَّمجيدُ، وتلاوة القرآن. وأما الباطن: فتنبيهُ القلوبِ على شرائطِ التَّيقُّظِ على معرفة الله، وأسمائه، وصفاته، وأفعاله، ونشر إحسانه، وإمضاءِ تدبيره، ونفاذ تقديره على جميع خلقه. ثمَّ يقع ترتيب الأذكار على مقدار الذَّاكرين؛ فيكون ذِكر الخائفين على مقدارِ قوارع

---

(١) في (أ): بلاهوتيته.

(٢) حلية الأولياء ١٠/ ٣٨٦

(٣) في الحلية ١٠/ ٣٨٦: وبذل المهجة.

(٤) حلية الأولياء ١٠/ ٣٨٦، الرسالة القشيرية ٢٢٢ (الرجاء)، وفي (أ): لوجود فعله.

(٥) حلية الأولياء ١٠/ ٣٨٦، الرسالة القشيرية ٢٠٢ (الزهد)، المختار ٤/ ٣٦٢.

(٦) حلية الأولياء ١٠/ ٣٨٦، الرسالة القشيرية ٢٥٨ (القناعة)، المختار ٤/ ٣٦٢.

الوعيد. وذكرُ الرَّاجين على ما استبان لهم من موعده. وذِكر المحبِّين[١] على قدر [تصفّح] النَّعماء. وذِكر المراقبين على قدر العلم باطلاع الله تعالى إليهم. وذِكر المتوكّلين على ما انكشف لهم من كفاية الكافي [لهم]، وذلك ممَّا يطول ذكره، ويكثر شرحه، فذكر الله مُنفرد، وهو ذِكر المذكورِ بانفراد أحديّته عن كلِّ مذكورٍ سِواه لقوله عليه السَّلام عن ربِّه عزَّ وجل: «من ذكرني في نفسِهِ ذكرتُه في نفسي»[٢] والأصل إفرادُ النُّطقِ بألوهيته، لقوله عليه السَّلام[٣]: «أفضلُ الذِّكر لا إله إلاَّ الله»[٤]

وروي: أنَّه دُعي إلى دعوةٍ، فمدَّ واحدٌ من أصحابه يدَه إلى الطَّعام قبله؛ لما كان به من الفاقة، فأرادَ بعضُ أصحاب الشَّيخِ أن يُنكر عليه لسُوء أدبه؛ حيثُ مدَّ يدَه إلى الطَّعام قبل شيخه، فوضع شيئًا بين يدي هذا الفقير، فعلم الفقيرُ أنَّ مقصودَه الإنكارُ عليه لما جرى من سُوء أدبه، فاعتقدَ أن لا يأكلَ الطَّعام خمسة عشر يومًا عقوبةً لنفسه، وتأديبًا لها، وإظهارًا لتوبته من سوء أدبه، وكان قد أصابه قبل ذلك فاقةٌ شديدة[٥]

وقال أبو أحمد الصَّغير أمرني أبو عبد الله بن خفيف أن أُقدِّمَ إليه كلَّ ليلة عشر حبَّاتِ زبيبٍ لإفطاره، فليلةً واحدةً أشفقتُ عليه، فحملت إليه خمس عشرة حبَّة، فنظرَ إليَّ، وقال لي: من أمرك بهذا؟ وأكلَ عشر حبات، وترك الباقي[٦]

---

(١) في الحلية ١٠/ ٣٨٧: المجتنبين، وفي طبقات الشافعية للسُبكي ٣/ ١٥٧ المخبتين.

(٢) رواه البخاري في التوحيد ١٣/ ٤٢٨ في التوحيد، باب ذكر النبي ﷺ وروايته عن ربه، ومسلم (٢٦٧٥) في الذكر، باب الحث على ذكر الله.

(٣) رواه الترمذي (٣٣٨٠) في الدعوات، وابن ماجه (٣٨٠٠) في الأدب.

(٤) حلية الأولياء ١٠/ ٣٨٧، طبقات السبكي ٣/ ١٥٦، ١٥٧ وما بين معقوفين مستدرك منه.

(٥) الرسالة القشيرية ٢٣٦ (الجوع).

(٦) الرسالة القشيرية ٢٣٧ (الجوع)، المختار ٤/ ٣٦١.

وقال: الرِّضا على قسمين: رضا به، ورضا عنه. فالرِّضا به [أن يرضاه] مدبّرًا، والرِّضا عنه فيما يقضي[1]

وقال مرةً أخرى: الرِّضا سكون القلب إلى أَحكامه، وموافقةُ القلبِ بما رضي [الله] به واختاره[1]

وقيل له: متى تصحُّ للعبد العبودية؟ فقال: إذا طرحَ كلَّهُ على مولاه، وصبر معه على بلواه[2]

وقال: الفقر عدم الإملاك والخروج من أحكام الصِّفات[3]

وقال: ما وجبتْ عليَّ زكاةُ الفطرِ أربعين سنة، ولي قبول عظيم بين الخاصِّ والعام[4]

وقال أبو أحمد الصَّغير: سألتُ أبا عبد الله بن خفيف، فقلتُ له: فقيرٌ يجوعُ ثلاثةَ أيامٍ، وبعد ثلاثةِ أيام يخرجُ ويسألُ مقدارَ كفايته، أيش يُقال فيه؟ فقال: يقالُ: مكدي. ثمَّ قال: كلوا واسكتوا، فلو دخلَ فقيرٌ من هذا الباب لفضحكم كلَّكم[5]

قال: استقبلني في حال حَداثتي بعضُ الفقراء، فرأى فيَّ أثرَ الضُّرِّ والجوع، فأدخلني داره، وقدَّم إليَّ لحمًا طُبخ بالكشك، واللَّحمُ مُتغيّر، فكنتُ آكل الثَّريدَ، وأتجنَّبُ اللَّحم لتغيُّره، فلقمني لقمةً، فأكلتها بجهدٍ[6]، ثمَّ لقَّمني لقمةً ثانية، فبلغتْ منّي مشقَّةً، فرأى ذلك فيَّ، فخجلَ، وخجلتُ لأجله، فخرجتُ وانزعجتُ في الحال للسَّفر، فأرسلتُ إلى والدتي من يحملُ إليَّ مرقعتي، فلم تُعارضني الوالدة، ورضيتْ

---

(١) الرسالة القشيرية ٢٩٩ (الرضا)، وما بين معقوفين مستدرك منه.
(٢) الرسالة القشيرية ٣٠٣ (العبودية)، تهذيب الأسرار ١٩٣، طبقات السبكي ٣/ ١٥٦.
(٣) الرسالة القشيرية ٣٩٥ (الفقر)
(٤) الرسالة القشيرية ٣٩٨ (الفقر)، المختار ٤/ ٣٦٢
(٥) الرسالة القشيرية ٣٩٨ (الفقر).
(٦) في (ب): فابتلعتها بجهد.

بخروجي، فارتحلتُ من القادسية مع جماعةٍ من الفقراء، فتهنا، ونَفِد ما كان معنا وأشرفنا على التَّلف، فوصلنا إلى حيٍّ من أحياءِ العرب، فلم نجدْ شيئًا، واضطررنا إلى أن اشترينا منهم كلبًا بدنانير، فشووه وأَعطوني قطعةً من لحمه، فلمَّا أردتُ أكلَه، فكّرتُ في حالي، فوقع لي أنَّه عقوبةُ خجلِ ذلك الفقير، فتبتُ في نفسي، وسكنتُ، ودلّونا على الطَّريق، فمضيتُ، وحججتُ ثمَّ رجعتُ مُعتذرًا إلى الفقير[1].

وقال: الشَّوقُ ارتياحُ القلوبِ بالوجد، ومحبّةُ اللِّقاء بالقرب[2].

وقال: دخلتُ بغداد قاصدًا إلى الحجِّ، وفي رأسي نخوةُ الصّوفية، ولم آكل الخبزَ أربعين يومًا، ولم أدخل على الجُنيد، وخرجتُ ولم أشربِ الماء إلى زُبالة[3]، وكنتُ على طهارتي، فرأيتُ ظبيًا على رأس البئر، وهو يَشربُ، وكنت عطشانَ، فلمَّا دنوتُ من البئر ولّى الظَّبي، وإذا الماء في أسفلها، فمشيتُ وقلت: يا سيِّدي، ما لي محلُّ هذا الظَّبي؟ فسمعتُ من خلفي: جرَّبناك لم تصبر، ارجعْ وخذِ الماء. فرجعتُ، وإذا البئرُ ملأى، فملأتُ ركوتي، وكنتُ أشرب منها وأتطهَّرُ إلى المدينة، ولم تنفد، ولمَّا استقيتُ سمعتُ هاتفًا يقول: إنَّ الظَّبي جاءَ بلا ركوةٍ ولا حبلٍ، وأنت جئتَ مع الرَّكوة. فلمَّا رجعتُ من الحجِّ، دخلت الجامعَ، فلمَّا وقعَ بصرُ الجُنيد عليَّ قال: لو صبرتَ لنبعَ الماءُ من تحت رجلك، لو صبرت صبرَ ساعةٍ[4].

وقال: رأيتُ رسولَ الله ﷺ في المنام، وهو يقول لي: من عرفَ طريقًا

---

(١) الرسالة القشيرية ٤١٦ (أحكامهم في السفر)، المختار ٤/ ٣٦٣

(٢) الرسالة القشيرية ٤٦٠ (الشوق)، وفي (ب): ومحبة اللقاء للقرب.

(٣) زُبالة: منْزل بطريق مكة في الكوفة، وهي قرية عامرة بها أسواق. معجم البلدان.

(٤) الرسالة القشيرية ٥٢٢ (كرامات الأولياء)، المختار ٤/ ٣٦١، طبقات الشافعية ٣/ ١٥٢.

إلى اللهِ فسلكَهُ، ثمَّ رجعَ عنه، عذَّبه عذابًا لم يعذِّبْ به أحدًا من العالمين[1]

وسُئل عن إقبال الحقِّ على العبد، فقال: علامتُهُ إدبارُ الدُّنيا عن العبد[2]

وقال: خرجتُ من مصرَ أُريدُ الرَّملةَ للقاء أبي علي الرُّوذباري، فقال لي عيسى بن يُوسف المصري المعروف بالزَّاهد[3]: إنَّ في صور شابًّا وكهلاً قد اجتمعا على حالِ المُراقبة، فلو نظرتَ إليهما نظرةً لعلَّكَ تستفيد[4] منهما. فدخلتُ إلى صور وأنا جائعٌ عطشان، وفي وسطي خرقةٌ، وليس على كتفي شيءٌ، فدخلتُ المسجدَ، وإذا شخصان جالسان مستقبلا القبلة، فسلَّمت عليهما، فما أجاباني، فسلَّمتُ ثانيًا وثالثًا، فلم أسمع الجواب، فقلتُ: ناشدتُكما بالله إلاَّ رددتُما عليَّ السَّلام. فرفع الشَّابُّ رأسَه من مُرقَّعته، فنظر إليَّ وردَّ السَّلام، وقال لي يا بن خفيف، الدُّنيا[5] قليل، وما بقي من القليل إلاَّ القليل، فخذْ من القليلِ الكثير، يا بن خفيف، ما أقلَّ شغلك حتَّى تفرَّغتَ إلى لقائنا! فأخذ كلِّيتي، فنظر إليَّ، وطأطأ رأسَه في المكان، فبقيتُ عندهما حتَّى صلَّينا الظُّهر والعصر، فذهبَ جوعي وعطشي ونَصَبِي، فلمَّا كان وقتُ العصر، قلتُ له. عظني. فرفعَ رأسَه إليَّ، وقال لي: يا بن خفيف، نحن أصحابَ المصائب، ليس لنا لسانُ العِظة. فبقيتُ عندهما ثلاثة أيام، لا آكل ولا أشرب ولا أَنام، ولا رأيتُهما أكلا ولا شربا ولا ناما، فلمَّا كان في اليوم الثَّالث قلتُ في سرِّي: أُحلفهما لعلهما يَعظاني، لعلِّي أنتفعُ بعِظتهما. فرفعَ الشَّابُّ رأسه،

(١) الرسالة القشيرية ٥٣٧ (رؤيا القوم)، تهذيب الأسرار ٥٥٨، المختار ٤/ ٣٦٣

(٢) المختار ٤/ ٣٦٣، طبقات السبكي ٣/ ١٥٤

(٣) في طبقات السبكي ٣/ ١٥٣ المصري المغربي الزاهد.

(٤) في (أ): لعلك تشفيك.

(٥) في (أ): متاع الدنيا.

وقال لي: يا بن خفيف، عليك بصحبةِ من يُذكِّرُك اللهَ رؤيتُه، وتقعُ هيبتُهُ في قلبك، فيعظك بلسانِ فعله، ولا يعظك بلسانِ قوله، والسَّلام، قُمْ عنّا[1]

وقال: المشاهدةُ اطّلاع القلوب بصفاءِ اليقين إلى ما أَخبرَ اللهُ تعالى عنه من الغيوب[2]

وقال: الرَّجاءُ ارتياحُ القلوب لرؤية كرمِ الموجود[3]

* * *

(١) تهذيب الأسرار ١٠٤، طبقات السبكي ٣/ ١٥٣

(٢) تهذيب الأسرار ٨٧، وفي (أ): بصفاء النفس.

(٣) الحلية ١٠/ ٣٨٦، المختار ٤/ ٣٦٣، تهذيب الأسرار ١٥٢، وفيه: كرم المرجو.

(٩٥) بندار بن الحسين الشِّيرازي (*)

ومنهم: أبو الحسين بُندار بن الحُسين بن محمّد بن المهلّب الشِّيرازي، سكن أَرَّجان[١]

وكان عالِمًا بالأصول، له اللِّسانُ المشهور في علم الحقائق[٢]

وكان الشِّبلي يعظِّمه ويعظِّمُ قدره. وكان بينه وبين ابن خفيف مُفاوضات في مسائل شتّى[٢]

مات سنة ثلاثٍ وخمسين وثلاث مئة. وغسَّله أبو زرعة الطَّبري[٣]

سُئل رحمه الله عن الفرقِ بين المُتصوفة والمتقرِّية، فقال: إنَّ الصُّوفيَّ مَنِ اختاره الحقُّ لنفسه، فصافاه، وعن نفسه براه، ولم يَردّه إلى تعمُّلٍ وتكلّف بدعوى. والصُّوفيُّ على زِنة عُوفي، أي عافاه الله، وكُوفي كافأهُ الله، وجُوزي جازاه الله، ففعلُ اللهِ ظاهرٌ على اسمه. وأمَّا المُتقرِّيَ فهو المُتكلّف بنفسه، المُظهر لزهده مع كُمون رغبته وتربية بشريته، اسمهُ مُضمرٌ في فعله لرؤية نفسِه ودعواه[٣]

(*) طبقات الصوفية ٤٦٧، حلية الأولياء ١٠/ ٣٨٤، الرسالة القشيرية ١١٣، المنتظم ٧/ ٢٢، المختار من مناقب الأخيار ١/ ٤٩١، سير أعلام النبلاء ١٦/ ١٠٨، طبقات الشافعية ٣/ ٢٢٤، الوافي بالوفيات ١٠/ ٢٩٢، طبقات الأولياء ١٢٠، النجوم الزاهرة ٣/ ٣٣٨، نفحات الأنس ٣٣١، طبقات الشعراني ١/ ١٢١، الكواكب الدرية ٢/ ٦٢

(١) أرجان: مدينة كبيرة كثيرة الخير تقع إلى الشمال الشرقي من الخليج العربي، بينها وبين البحر مرحلة. وبينها وبين شيراز ستون فرسخًا. انظر معجم البلدان.

(٢) طبقات الصوفية ٤٦٧.

(٣) طبقات الصوفية ٤٦٧، المختار ١/ ٤٩١

وقال: البكاءُ شتّى[١]: بكاءُ فرحٍ لوجودِ حالٍ عَدِمها فيما قبل، وبكاءُ أسفٍ لفقدِ حالٍ كان مقرونًا بها. قال الله تعالى في بكاء الفرح ﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ ٱلْحَقِّ﴾ [المائدة: ٨٣]. وقال في بكاءِ الأسف: ﴿تَوَلَّوا وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ حَزَنًا﴾[٢] [التوبة: ٩٢].

وسُئل عن الفرقِ بين المحبّةِ والحياء، فقال: إنَّ المحبّةَ رغبةٌ، وهي مزعجةٌ، والحياءُ خَجْلَةٌ. والمحبُّ طالب غائب، والمستحي حاضر، وبينهما فرقان[٣]، لأنَّ المحبّةَ تصحُّ مع الغيبة، والحياءُ يصحُّ مع المشاهدة، فشتّان بين غائبٍ غريب، وحاضرٍ قريب[٤].

وقال: الإغانة ثقل مطالبةِ الحقِّ عزّ وجلّ على قلبِ النّبيّ ﷺ[٥]، فإنّه كان مُطالبًا بالأوامر، وكان إذا أُمر بأمرٍ التزمه، وكان يثقلُ عليه إلى أن يدخل فيه. قال الله تعالى: ﴿إِنَّا سَنُلْقِى عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا﴾[٦] [المزمل: ٥].

وقال: لا تُخاصم لنفسك؛ فإنّها ليستْ لك، دعْها لمالكها يفعلُ بها كما يريد[٧].

وقال: الصُّوفيّة مُتّفقون في الوحدانية في الجملة قولاً، متفرّقون في

---

(١) في (أ): البكاء أنواع شتى.
(٢) طبقات الصوفية ٤٦٨، المختار ١/ ٤٩٢
(٣) في (ب): والمستحق حاضر، وبينهما فرق
(٤) طبقات الصوفية ٤٦٨، ٤٦٩.
(٥) الغين: الغيم، وغينت السماء تُغان: إذا أطبق عليها الغيم. قال رسول الله ﷺ: «إنه ليغان على قلبي حتى أستغفر الله في اليوم سبعين مرّة». أراد ما يغشاه من السهو الذي لا يخلو منه البشر، لأن قلبه أبدًا كان مشغولاً بالله تعالى، فإن عرض له وقتًا ما عارضٌ بشريٌّ يشغله من أمور الأمة والمِلة ومصالحهما عدَّ ذلك ذنبًا وتقصيرًا، فيفزع إلى الاستغفار. النهاية (غين).
(٦) طبقات الصوفية ٤٦٩، وانظر تهذيب الأسرار ٣٩٦
(٧) طبقات الصوفية ٤٦٨ وفيها: كل ما يريد، الرسالة القشيرية ١١٣، المختار ١/ ٤٩٢.

الوصول إليها معاينةً ومنازلةً، وكلُّ واحدٍ يستحقُّ اسمَ ما ظهر من حاله الذي هو به موصوف، بعد اتفاقهم في الوحدانية قولاً؛ فمن بين مجتهدٍ، وزاهدٍ، وعابدٍ، وخائف، وراجٍ، وفقير، وغني، ومُريدٍ، ومُراد، وصابرٍ، وراضٍ، ومتوكّلٍ، ومحبّ، ومستهتر، ومستأنس، ومشتاق، وواله، وهائم، وواجد، وفانٍ، وباقٍ، وأحوالٍ يكثر تعدادها، وقد تجتمعُ الأحوالُ في واحدٍ، ويُسمّى بما يغلبُ عليه من الجمع[1]

وقال: ليسَ من الأدب أن تسأل رفيقَكَ: إلى أين؟ وفي أَيش؟[2]

وقال: صحبةُ أهلِ البدع تُورث الإعراضَ عن الحقّ[3]

وقال: اترك ما تهوى لما تأمل[4]

وقال: من لم يجعلْ قبلتَه على الحقيقة ربَّه، فسدتْ عليه صلاته[5]

وقال: من لم يتركِ الكلَّ رسمًا في جنب الحقِّ، لا يحصل له الكلُّ حقيقةً، وهو الحقّ[6]

وأنشد:

نَـــوائـــبُ الـــدَّهـــرِ أدّبتنـــي   وإنَّمـــا يُـــوعـــظُ الأريـــبُ[7]

قـــد ذقـــتُ حلـــوًا وذُقـــتُ مـــرًّا   كـــذاك عيـــشُ الفتـــى ضـــروبُ

مـــا مـــرَّ بـــؤسٌ ولا نَعيـــمٌ   إلاّ ولـــي فيهمـــا نَصيـــبُ[8]

وقال رحمه الله: الصُّوفيُّ حروفه ثلاثة؛ كلُّ حرفٍ منها لثلاثة معانٍ:

---

(١) طبقات الصوفية ٤٦٩، المختار ١/ ٤٩٣.

(٢) طبقات الصوفية ٤٦٨، المختار ١/ ٤٩٣

(٣) طبقات الصوفية ٤٦٩، الرسالة القشيرية ١١٣، المختار ١/ ٤٩٣

(٤) طبقات الصوفية ٤٦٨، الرسالة القشيرية ١١٣، المختار ١/ ٤٩٢

(٥) طبقات الصوفية ٤٦٩، المختار ١/ ٤٩٣.

(٦) طبقات الصوفية ٤٧٠

(٧) في (أ): يوعظ الأديب.

(٨) طبقات الصوفية ٤٧٠.

فالصَّادُ دلالةُ صدقه وصبره وصفائه، والواو دلالة ودّه ووِرده ووفائه، والفاءُ دلالةُ فقره وفقده وفنائه، والياء للإضافة والنّسبة. وأهلُ الحروف والإشارات يُقيمون حرفَ الياء في الابتداء والانتهاء، ففي الابتداء للنداء، وفي الانتهاء للنسبة، فالنّداءُ ابتداء: يا عبد، وفي الانتهاء. يا عبدي[1]

وقال: القلبُ مضغةٌ، وهو محلُّ الأنوار، وموارد الزّوائد من الجبّار، وبه يصحُّ الاعتبار، جعل الله القلب أميرًا فقال: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ﴾ [ق: ٣٧] ثمَّ جعله أسيرًا لربِّه فقال: ﴿أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ﴾[1] [الأنفال: ٢٤].

وقال: رُئي مجنونُ بني عامر في المنام بعد موته، فقيل له: ما فعل الله بك؟ فقال: غفرَ لي، وجعلني حجَّةً على المحبين[2]

وقال: السَّماعُ على ثلاثة أوجه: منهم من يَسمعُ بالطَّبع، ومنهم من يَسمعُ بالحالِ، ومنهم من يسمع بحقٍّ. فالذي يسمعُ بالطَّبع يشتركُ فيه الخاصُّ والعام، فإنَّ جبلّة البشرية استلذاذُ الصَّوت الطَّيب، والذي يَسمعُ بالحال فهو يتأمَّلُ ما يردُ عليه من ذِكر عتابٍ، أو خطابٍ، أو وصلٍ، أو هجرٍ، أو قُرب، أو بُعد، أو تأسُّفٍ على فائت، أو تعطُّش إلى آتٍ، أو وفاءٍ بعهد، أو تصديقٍ لوعد، أو ذِكر قلقٍ[3] واشتياق، أو خوف فراق، أو فرح وصال، أو حذر انفصال وما جرى مجراه. وأما من سَمِعَ بحقٍّ فيسمع بالله ولله، ولا يتَّصفُ بهذه الأحوال التي هي مَمزوجةٌ بالحظوظ البشرية؛ فإنها مبقاة مع العلل[4]، فيسمعون من حيث صفاء التَّوحيد بحقٍّ لا بحظٍّ[5]

(١) الحلية ١٠/ ٣٨٥، المختار ١/ ٤٩٢

(٢) الرسالة القشيرية ٤٥٠ (المحبة)، تهذيب الأسرار ٥٥٩، المختار ١/ ٤٩٣.

(٣) في (ب): أو تصديق لوعد، أو نقضٍ لعهد، أو ذكر قلق.

(٤) في (أ): مع العالي.

(٥) الرسالة القشيرية ٤٧٥ (السماع)، المختار ١/ ٤٩٣

وقال: كنتُ ذات يومٍ جالسًا في حانوتي ببغداد، إذ جاءني بعضُ أصحابِ أبي بكر بن يزدانيار، ومعه رقعةٌ مكتوبٌ فيها أبياتُ شعرٍ من ابن يزدانيار إليَّ وهي هذه:

سبتك عيونُ[1] الحقِّ عن كلِّ مشهدٍ ... ولا زلتَ حقًّا في الحقيقةِ تخطرُ
وأفناكَ عنك الحقُّ عن كلِّ مَشهدٍ ... ولا زلتَ فردًا في الحقيقةِ تصدرُ
وكنتَ بلا وصفٍ ورسمٍ وشاهدٍ ... وكيف توصف والحقيقة تقهرُ؟
إذا ما تلاشى الوصفُ عن ذي حقيقةٍ ... بشاهدِ حقٍّ حين[2] يبدو فيظهرُ
ويــأخــذه عنــه ويخطــف أنَّــةً ... ويرجعُ في الأحوال يُنشي وينشرُ
أَعجزٌ عن العادات عند رجوعه؟[3] ... أَمِ الحقُّ أنشاه لديه[4] فيحضرُ؟
وكيــف يُريــدُ العبــد بعــد فنائــه ... إلى مَشهـدٍ فيـه الصِّفـاتُ تـدبّـرُ
فخبّــرْ رعــاكَ اللهُ عمّــا ســألْتُــه ... جوابًا صحيحًا حسب ما يتيسّرُ

قال بندار: فكتبتَ إليه الجواب:

أتاني محاكَ الحقُّ عنك تناقضٌ ... يُنافي بعضُ القولِ بعضًا ويبهرُ
سبتك عيون الحقِّ أعيان أعين ... وليس سبايا الحقّ بالعين تذكرُ
وكيفَ يَسوغُ الحقُّ نشر حقيقةٍ ... ولكنَّ عينَ النَّشرِ للنَّشرِ[5] تظهرُ
ومن كان حقًّا في الحقيقةِ راسم ... فليــس بمــرســومٍ ولا هــو يقهــرُ
إذا ما تلاشى الوصفُ فالآيُ هجنةٌ ... وليس بحـقٍّ مـن يَغيـب ويحضـرُ
ولا هو ذو حالٍ ووصفٍ ومصدرِ ... ولا هــو ذو نعــتٍ هنــاك فيحضــرُ
ألــم تسمــع اللهَ الكــريــمَ إلهَنــا ... يُعــرّفنــا حــقَّ النَّبــيِّ المُبشّــرُ
ألا من أطاعَ المصطفى قد أطاعني ... فهــذا جــوابٌ لــلابيــات مسفّــرُ

---

(١) في (أ): ستبكي عيون.
(٢) في (أ): يشاهد حين يبدو.
(٣) في (ب): أعجز عن الحاجات عند رجوعها
(٤) في (أ): أم الحق أنساه.
(٥) في (أ): يسوغ الحق نشو. عين النشو للنشو

وقال: من أقبلَ على الدُّنيا وسكن إليها أحرقَتْه بنيرانها، وصار رمادًا لا قيمة له ولا قَدْر، ومن أقبل على الآخرة وسكنَ إليها أحرقه نورُها، وصار سبيكةَ ذهبٍ يُنتفع به، ومن أقبل على الله تعالى أحرقه التَّوحيدُ، فصار جوهرًا لا قيمة له[1]

وقيل له: ما الدُّنيا؟ فقال: ما دَنا من القلب، وشغلَ عن الحقِّ.

* * *

---

(١) المختار ١/ ٤٩٣، طبقات الأولياء ١٢١

(٩٦) أبو بكر الطَّمَسْتَاني(*)

ومنهم: أبو بكر الطَّمَسْتَاني الفارسي وهو من أجلّ المشايخ وأعلاهم حالاً، مُنفردًا بحاله[1] ووقته، لا يُشاركه فيه أحدٌ من أبناءِ جنسه ولا يُدانيه[2]

كان الشِّبلي يُجلّه، ويعرفُ له محلّه[2]

صحب: إبراهيم الدّباغ، وغيرَه من مشايخِ الفرس، وكانوا جميعًا يَحترمونه[2]

وردَ نيسابور، ومات بها سنة أربعين وثلاث مئة[2]

قال رحمه الله: الدُّنيا كلُّها حكمةٌ واحدة، وكلُّ واحدٍ منهم أصابَ منها على قدرِ ما كشف له[3]

وقال: [ما الحياةُ إلاَّ في الموت، أي:] ما حياة القلب إلاَّ إماتة النَّفس[4]

(*) طبقات الصوفية ٤٧١، حلية الأولياء ١٠/ ٣٨٢، الرسالة القشيرية ١١٤، المختار من مناقب الأخيار ١/ ٤٩٨، طبقات الأولياء ٣٥٣، نفحات الأنس ٢٨١، طبقات الشعراني ١/ ١٢١، الكواكب الدرية ٢/ ٤٣

(١) في طبقات الصوفية. مُتفرِّدٌ بحاله.

(٢) طبقات الصوفية ٤٧١

(٣) طبقات الصوفية ٤٧١، المختار ١/ ٤٩٩.

(٤) طبقات الصوفية ٤٧١، وما بين معقوفين مستدرك منه.

و: النّعمى العُظمى الخروجُ من النَّفس؛ لأنَّ النَّفس أعظمُ حجابٍ بينك وبين الله[(١)]

و: ما الحقيقةُ إلاَّ في إماتة النَّفس[(٢)]

و. كلُّ من فرَّ من إماتة النَّفس، فقد رجع إلى تأويل العلم[(٣)]

و: الموتُ بابٌ من أبواب الآخرة، ولن يصلَ العبدُ إلى اللهِ إلاَّ بدخوله[(٣)]

وقال: جالسوا الله كثيرًا، وجالسوا النَّاسَ قليلاً[(٤)]

وقال: خيرُ النَّاسِ من رأى الخيرَ في غيره، وعلم أنَّ السَّبيلَ إلى الله كثيرٌ، غير السّبيل الذي هو عليه، لكي يَرى تقصيرَ نفسه فيما هو عليه[(٥)]

وقال: ينبغي أن تكونَ حركاتُ المرءِ وسكونه لله تعالى أو ضرورة يُضطر إليها، وما كان غير ذلك فلا شيء[(٦)]

وقال: الطَّريقُ واضحٌ، والكتابُ والسُّنة قائم[(٧)] بين أظهرنا، وفُضّلَ أصحابُ النَّبيِّ ﷺ[(٨)] بصحبتهم مع النَّبيِّ ﷺ في الظَّواهر، وهجرتِهم إلى الله في السَّرائر، وغربتِهم مع أنفسهم، ألا ترى الله يقول: ﴿وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدْرِكْهُ ٱلْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ﴾ [النساء: ١٠٠] فمن صحبَ منَّا الكتابَ والسنَّة، وغُرِّب عن نفسه والخلق والدُّنيا، وهاجر إلى الله بقلبه، فهو الصَّادقُ المُصيب المتّبع لآثار الصَّحابة، إلاّ أنَّ

---

(١) طبقات الصوفية ٤٧٢، الرسالة القشيرية ٢٤٧ (مخالفة النفس)

(٢) طبقات الصوفية ٤٧٢.

(٣) طبقات الصوفية ٤٧٢، المختار ١/ ٤٩٩

(٤) طبقات الصوفية ٤٧٢، المختار ١/ ٤٩٨

(٥) طبقات الصوفية ٤٧٢، المختار ١/ ٤٩٩.

(٦) طبقات الصوفية ٤٧٣، المختار ١/ ٤٩٩

(٧) في طبقات الصوفية ٤٧٣: قائمان.

(٨) في طبقات الصوفية ٤٧٣ وفضل أصحاب النبي ﷺ بشيئين اثنين.

الصَّحابةَ سبقوه بصحبتهم مع النَّبيِّ عليه السَّلام[(١)]

وقال: اليقظةُ في أهلِ اليقظة لعمارةِ الآخرة، كما أنَّ الغفلةَ في أهلِ الغفلة لعمارةِ الدُّنيا[(٢)]

وقال: من أحبَّ من العقلاء البقاءَ في الدُّنيا الفانية، فإنَّما أحبَّه للتلذُّذِ بمناجاة سيِّده، والإقبال على الطَّاعة بحسب طاقته، وأن يكون تحت أمره ونهيه، فالعاقلُ لهذا أحبَّ البقاءَ وكره الفناء[(٣)]

وقال: لا يُمكن الخروجُ من النَّفس بالنَّفس؛ وإنَّما يُمكن الخروجُ من النَّفس بالله، وهو بصحّةِ الإرادة لله تعالى[(٤)]

وقال: من علامةِ المُريد أنْ يتنافرَ عن غيرِ أبناء جنسه، ويطلبَ الجنس.

وقال: العاقلُ يتكلَّم قدرَ الحاجة، ويدعُ ما فضل عنه[(٥)]

وقال: كلُّ من استعملَ الصِّدقَ بينه وبين ربِّه، شغلَه صدقُه مع الله عن الفراغِ إلى خلقه[(٦)]

وقال: الطَّريقُ إلى الله بعددِ الخلق. ثمَّ قال: الطَّريقُ له، ولا طريقَ إليه[(٧)]

وقال: مَنْ لم يكنِ الصَّمتُ وطنَه فهو في فضول، وإنْ كان ساكتًا[(٨)]

---

(١) طبقات الصوفية ٤٧٣، المختار ١/ ٤٩٨، وانظر الرسالة القشيرية ١١٤

(٢) طبقات الصوفية ٤٧١، المختار ١/ ٥٠٠

(٣) طبقات الصوفية ٤٧٣، المختار ١/ ٥٠٠.

(٤) في طبقات الصوفية ٤٧٢: وذلك بصحة، وفي المختار ١/ ٤٩٩ وبصحة الإرادة.

(٥) طبقات الصوفية ٤٧٤.

(٦) طبقات الصوفية ٤٧٤، الحلية ١٠/ ٣٨٢، المختار ١/ ٤٩٩

(٧) طبقات الصوفية ٤٧٢

(٨) طبقات الصوفية ٤٧٤، المختار ١/ ٤٩٩

وقال. من صحبَ العلم، فليس له بدٌّ من مُشاهدةِ الأمر والنَّهي[١]

وقال: العلمُ قطعَكَ عن الجهل، فاجتهدْ أن لا يقطعَك عن الله[٢]

وقال. التَّصوف اضطرابٌ، فإذا وقعَ سكونٌ فلا تصوف[٢]

وقال. ما أبرزَ الحقُّ تعالى للخلق إلاَّ اسمًا أو رسمًا، وما تكلَّم به إلاَّ كلُّ مأنوف[٣]

وقال: كيف أَصنعُ، والكونُ كلُّه عدوٌّ لي؟![٤]

وقال: الوصلُ بلا فصل، فإذا جاءَ الفصلُ فلا وصل[٥]

وقال: من فضَّل الفقرَ على الغنى، والغنى على الفقر، فهو مربوطٌ بهما، وهما مَحلاَّ عِلَل[٦]

وقال: النَّفسُ كالنَّار، فإذا أُطفئ من موضع تأجَّج من موضع، كذلك النَّفس إذا هدأت من جانبٍ ثارَت من جانب[٧]

وقال: إيَّاك أنْ تغترَّ بلعلَّ وعسى[٨]

وقال له رجل: أَوصني. فقال له: الهمَّةَ الهمَّةَ؛ فإنَّها مقدمةُ الأشياء، وعليها مَدارُها، وإليها رجوعها[٩]

وقال. إذا همَّ القلب عُوقب في الوقت[١٠]

---

(١) طبقات الصوفية ٤٧٤

(٢) طبقات الصوفية ٤٧٤، المختار ١/ ٥٠٠

(٣) في طبقات الصوفية ٤٧٤ إلاّ كل من لم يوفق.

(٤) طبقات الصوفية ٤٧٢، المختار ١/ ٥٠٠

(٥) طبقات الصوفية ٤٧٢

(٦) طبقات الصوفية ٤٧٢، المختار ١/ ٥٠٠.

(٧) طبقات الصوفية ٤٧٤، المختار ١/ ٤٩٩.

(٨) المختار ١/ ٥٠٠.

(٩) طبقات الصوفية ٤٧٤، المختار ١/ ٥٠٠

(١٠) الرسالة القشيرية ١١٤.

وقال أبو بكر الصَّيدلاني، وكان رجلاً صالِحًا: كنتُ أُصلحُ اللَّوحَ في قبر أبي بكر الطَّمَسْتاني، أنقرُ فيه اسمه في مقبرة الحِيرة بنيسابور، وأضعُه في القبر ثلاث مرات، وهو يُسرَق، وكلَّما جعلتُه فيه، قُلعَ اللَّوحُ، ولا يُقلع من غيره من القبور، فكنتُ أتعجَّبُ منه، فسألتُ الأستاذَ أبا علي الدَّقاق يومًا عن ذلك، فقال لي: إنَّ ذلك الشَّيخ آثر الخفاءَ في الدُّنيا، وأنت تُريد أن تُشهِرَ قبرَه باللَّوحِ الذي تُصلحه فيه، وإنَّ الحقَّ سبحانه يأبى إلاَّ إخفاء قبره، كما آثر هو ستر نفسه[1]

وقال: اصحبوا مع الله، فإن لم تُطيقوا، فاصحبوا مع من يَصحبُ مع الله؛ لتوصلكم بركات صحبتهم إلى صحبة الله تعالى[2]

* * *

(١) الرسالة القشيرية ٣٧٦ (الولاية)، المختار ١/ ٥٠٠.

(٢) الرسالة القشيرية ٤٢١ (الصحبة).

(٩٧) أبو العباس أحمد الدِّينَوريّ (*)

ومنهم: أبو العباس أحمد بن محمد الدِّينوري، وكان عالِمًا، فاضلاً، من أفتى المشايخ وأحسنِهم طريقةً واستقامةً(١)

صحب: يوسفَ بن الحسين، وعبد الله الخراز، وأبا محمد الجريري، وأبا العباس ابن عطاء. ولقي رُويمًا(١)

ورد نيسابور، وأقام بها مدّة. وكان يعظُ النَّاس، ويتكلَّمُ على لسان المعرفة بأحسن كلام، ثمَّ رحلَ من نيسابور إلى سَمرقند، ومات بها بعد الأربعين وثلاث مئة (١)

قال رحمه الله: مُكاشفات الأعيان بالأبصار، ومُكاشفاتُ القلوب بالاتصال(٢)

وقال: العالَمُ مُتفاوتون(٣) في ترتيب مُشاهدات الأشياء، فقومٌ رجعوا من الأشياء إلى الله تعالى، فشاهدوا الأشياءَ من حيثُ الأشياء، ثمَّ رجعوا عنها إلى الله تعالى. وقوم رجعوا من الله تعالى إلى الأشياء من غير غيبتهم عنه، فلم يروا الأشياء إلاّ ورأوا الحقَّ قبله. وقومٌ بقوا مع الأشياء؛ لأنَّهم

(*) طبقات الصوفية ٤٧٥، حلية الأولياء ١٠/ ٣٨٣، الرسالة القشيرية ١١٤، المختار من مناقب الأخيار ١/ ٣٧٥، طبقات الأولياء ٧٩، نفحات الأنس ٢١٦، طبقات الشعراني ١/ ١٢٢، الكواكب الدرية ٢/ ٢٩

(١) طبقات الصوفية ٤٧٥، المختار ١/ ٣٧٥

(٢) طبقات الصوفية ٤٧٦، المختار ١/ ٣٧٥.

(٣) في (ب): العلماء متفاوتون.

لم يكن لهم طريق منهم إلى الله سبحانه ليختاروا بها عليها[١]

وقال: اعلمْ أنَّ لله تعالى في خلقه رياضاتٍ ليتجلّى لهم بربوبيّته يراضون لهم في مُشاهدات الأشياء، ليستحقّوا بحقائق الأنباء[٢]، كما راض إبراهيمَ خليلَه عليه السَّلام حين رأى النّجومَ، فقال في بدايته. ﴿ هَٰذَا رَبِّي ﴾ وإنّما هي عين الجمع من فرط البلاء، وغلبة الشَّوق وحصول الجمع في الجمع من حيث ما وردَ عليه من الحقِّ للحقِّ حتَّى قال: ﴿ هَٰذَا رَبِّي ﴾. راضه به ليحوّله إلى ما هو من ورائه، ألم تسمعْ قوله: ﴿ هَٰذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ ﴾[٣] [الأنعام: ٧٦].

و: روي أنَّه كان يتكلَّم يومًا، فصاحت عجوزٌ في المجلس صيحةً، فقال لها أبو العباس: موتي فقامتْ وخطت خطواتٍ، ثمَّ التفتتْ إليه وقالت: قَدْ متُّ. ووقعتْ ميتةً[٤]

وقال: اعلم أنَّ طلبَ الله تعالى ترك الطَّلب استحياءً من الهيبة في الطَّلب، وإذا فني العبدُ في الطَّلبِ عن الطَّلب اختطفه الحقُّ في الطَّلبِ عن الطَّلب[٥]

وقال: اعلم أنَّ أدنى الذِّكرِ أن ينسى ما دونه، ونهايةُ الذِّكر أن يغيبَ الذَّاكرُ في الذِّكر عن الذكر، ويستغرقَ بمذكوره عن الرّجوع إلى مقام الذِّكر، وهذا حال فناءِ الفناء[٦]

وقال: العلمُ علمان: علمُ قيام العبد بقيامه مع الله تعالى. وعلمُ

---

(١) طبقات الصوفية ٤٧٦، وفيه: ليجتازوا بها عليها، المختار ١/ ٣٧٦

(٢) في (أ): في مشاهداتهم الأشياء ليستحقوا بحقائق الأنبياء.

(٣) طبقات الصوفية ٤٧٦ وفي (أ): ألم تسمع إلى قوله تعالى.

(٤) الرسالة القشيرية ٣١٩ (الصدق)، ٤٣١ (أحوالهم عند الخروج)، المختار ١/ ٣٧٦

(٥) طبقات الصوفية ٤٧٥

(٦) طبقات الصوفية ٤٧٧، الرسالة القشيرية ١١٤، المختار ١/ ٣٧٥.

بعلم الله في العبدِ، وهو العلم المغيَّبِ عن العباد، إلاّ من كُشف له عن طرف ذلك من نبيٍّ، أو خاصٍّ وليّ[1]

و: روي أنَّه لما أرادَ الخروجَ إلى سمرقند، قيل له: ما الذي يَحملُكَ على الخروجِ إليها، مع ميلِ أهلِ نيسابور إليك، ومحبّتهم لك؟ فأنشأ يقول:

إذا عَقَدَ القَضاءُ عليك عقدًا فليس يَحلُّهُ غيرُ القَضاءِ
فما لكَ قد أقمتَ بدارِ ذُلٍّ ودارُ العِزِّ واسعةُ الفضاءِ[2]

وقال: اعلمْ أنَّ لباسَ الظَّاهر لا يُغيِّرُ حكمَ الباطن[3]

وقال: إنَّ لله عبادًا لم يستصلحهم لمعرفته فشغلهم بخدمته، وله عبادٌ لم يستصلحهم لخدمته فأهملهم[4]

وقال: مَنْ عطشَ إلى حالٍ دهش فيه، ومن وصل إليه لم يستقرَّ فيه[4]

وقال: ليس يبلغ بالإنسان إلى مراتبِ الأخيار إلاّ الصِّدق، وكلُّ وقتٍ وحالٍ خلا عن الصِّدق فباطل وأنشد:

ما أحسنَ الصِّدقَ في مواطنِهِ والصِّدقُ في كلِّ موطنٍ حَسَنْ[5]

وقال: المحبُّ يختار كراهيته لرضا حبيبه، طالبًا بذلك رضاه، وهو غاية المُنى، وأنشد:

رأيتُكَ يُدنيني إليك تباعدُي فباعدتُ نَفسي لابتغاءِ التَّقرُّبِ[6]

---

(١) طبقات الصوفية ٤٧٧، المختار ١/ ٣٧٦
(٢) طبقات الصوفية ٤٧٥، المختار ١/ ٣٧٧
(٣) طبقات الصوفية ٤٧٧، الرسالة القشيرية ١١٥
(٤) طبقات الصوفية ٤٧٧، المختار ١/ ٣٧٦
(٥) طبقات الصوفية ٤٧٨، المختار ١/ ٣٧٦
(٦) طبقات الصوفية ٤٧٨، الحلية ١٠/ ٣٨٣

وقال: نقضوا أركانَ التَّصوف، وهدموا سُبلها، وغيَّروا مَعانيها بأسماء أحدثوها، سمُّوا الطَّمع زيادة، وسمُّوا سوءَ الأدب إخلاصًا، والخروجَ عن الحقِّ شطحًا، والتَّلذُّذ بالمذموم طيبةً، واتباع الهوى ابتلاءً، والرّجوعَ إلى الدُّنيا وصولاً، وسوءَ الخُلُق صولةً، والبخلَ جلادةً، والسُّؤال عملاً، وبذاءة اللِّسان ملامة، وما كان هذا طريقَ القوم[1]

* * *

(١) الرسالة القشيرية ١١٥، المختار ١/ ٣٧٦

(٩٨) أبو عثمان المغربي(*)

ومنهم: أبو عثمان سعيد بن سلاَّم المَغربي من القيروان[١]، من قرية يُقال لها: كَرْكِنْت[٢] أقام بالحرم مُدَّةً، وكان شيخه[٣]

صحب: أبا علي بن الكاتب، وحبيبًا المغربي، وأبا عَمْرو الزُّجاجي.

ولقي النَّهرجوري، وأبا الحسن ابن الصَّايغ الدِّينوري، وغيرهم من المشايخ[٣]

كان أوحد المشايخ في طريقته وهديه. وهو بقيّة المشايخ وتاريخُهم، ولم يُر مثلُه في علوِّ الحال، وصون الوقتِ، وصحة الحكم بالفِراسة وقوّة الهيبة[٣]

ورد نيسابور، ومات بها سنة ثلاثٍ وسبعين وثلاث مئة، وأوصى أن يُصلّي عليه الإمام أبو بكر بنُ فورك رحمه الله[٤]

(*) طبقات الصوفية ٤٧٩، تاريخ بغداد ٩/ ١١٢، الرسالة القشيرية ١١٥، المنتظم ٧/ ١٢٢، اللباب ٣/ ٣٦، المختار من مناقب الأخيار ٢/ ٥٢٢، العبر ٢/ ٣٦٥، سير أعلام النبلاء ١٦/ ٣٢٠، مرآة الجنان ٢/ ٤٠١، الوافي بالوفيات ١٥/ ٢٢٥، البداية والنهاية ١١/ ٣٠٢، طبقات الأولياء ٢٣٧، العقد الثمين ٤/ ٥٦٧، النجوم الزاهرة ٤/ ١٤٤، نفحات الأنس ١٣٢، طبقات الشعراني ١/ ١٢٢، الكواكب الدرية ٢/ ٩٩، شذرات الذهب ٣/ ٨١، هدية العارفين ١/ ٣٨٩، جامع كرامات الأولياء ١/ ٢٨١

(١) القيروان: مدينة عظيمة في إفريقية (تونس).

(٢) كذا ضبطها ياقوت بفتح أوله، وسكون ثانيه، وكسر الكاف الثانية، ثمَّ نون ساكنة، وتاء مثناة، وضطبها ابن الأثير في اللباب: بكسر الكافين.

(٣) طبقات الصوفية ٤٧٩، المختار ٢/ ٥٢٢.

(٤) الرسالة القشيرية ١١٥، المختار ٢/ ٥٢٢

قال رحمه الله: الاعتكافُ حفظُ الجوارح تحت الأوامر[(١)]

وقال: أبى المليكُ إلاَّ اختبارًا لأوليائه، مُتعرِّضًا لهم بأعدائه، وإنَّما اختبرَكَ في قربه بعدوِّهِ؛ لينظرَ كيف صبرُك على عدوِّه، فإن صبرتَ على بلوى عدوِّه، جَلَّكَ بعلمه[(٢)]، وحباك بوصله، وأسكنك في جواره، ونعَّمَكَ بمشاهدته، ولذَّذَكَ بذكره، وأوصلَك بمعرفته، وجعلك إمامًا يُقتدى به، ونجاةً لعباده، ورحمةً في أرضه، وجعل محبَّتك في قلوبهم، وجعلَ أُنسَهم في رؤيتك، وجعلَ لك حلاوةً في قلوبهم[(٢)]

وسُئل عن قول النَّبيِّ ﷺ: «أكثرُ أهلِ الجنَّة البُله»[(٣)] فقال: الأَبلهُ في دنياه، الفقيهُ في دينه[(٤)]

وقال. لا يعرفُ الشَّيءَ من لا يَعرفُ ضدَّه. وكذلك لا يصحُّ لمخلصٍ إخلاصُه إلاَّ بعد معرفته الرِّياء، ومفارقته له[(٥)]

وقال: التَّقوى هي الوقوفُ مع الحدود، ولا يُقصِّرُ فيها ولا يتعدَّاها. قال الله تعالى: ﴿ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥ ﴾[(٦)] [الطلاق: ١].

وقال: من آثرَ على التَّقوى شيئًا، حُرِمَ لذَّة التَّقوى[(٧)]

---

(١) طبقات الصوفية ٤٨٠، المختار ٢/ ٥٢٥

(٢) في طبقات الصوفية ٤٨٠: جلَّلك.

(٣) ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ٨/ ٦٩، ١٠/ ٢٦٤، ٤٠٢ وقال: رواه البزار. وقال العجلوني في كشف الخفا ١/ ١٦٤ رواه البيهقي والبزار، والديلمي، والخُلعي بسند فيه لين.

قال ابن الأثير في النهاية: الأبله هو الغافل عن الشر، المطبوع على الخير، وقيل: هم الذين غلبت عليهم سلامة الصدور، وحسن الظن بالناس. أما الأبله وهو الذي لا عقل له، فغير مراد في الحديث.

(٤) طبقات الصوفية ٤٨١، المختار ٢/ ٥٢٥

(٥) طبقات الصوفية ٤٨٠، المختار ٢/ ٥٢٦

(٦) طبقات الصوفية ٤٨١، الرسالة القشيرية ١١٦

(٧) طبقات الصوفية ٤٨١.

وقال: من تحقَّقَ في العبودية، طهَّرَ سرَّه لمشاهدة الغيوب، وإجابته القُدرةُ إلى كلِّ ما يُريد[1]

وقال: ليكن تدبُّرُك في الخلقِ تدبُّرَ عِبرة، وتدبُّرك في نفسك تدبُّرَ موعظة، وتدبُّرك في القرآن تدبُّرَ حقيقةٍ ومُكاشفة، قال الله تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ﴾ [النساء: ٨٢] جرّأك على تلاوةِ خطابه، ولولا ذلك لكلّتِ الألسنُ عن تلاوته[2]

وقال في مرضه: إنَّما مثلي ومثلُ أطبائي كإخوة يوسف ويوسف عليهم السَّلام، كان يُوسفُ مُدبِّرًا بالقدرة، وإخوتُه يدبِّرون فيه، وأنَّى يُغني تدبيرُ الخلقِ من تدبير القُدرة؟[3]

وقيل له: إنَّ فلانًا سافر. فقال: يجبُ أن يسافرَ من عند هواه وشهوته ومُراده؛ فإنَّ السَّفرَ غربة، والغُربةُ ذلَّةٌ، وليس للمؤمن أن يُذلَّ نفسه[4]

وذُكر بين يديه قولُ الشَّافعي: العلم علمان: علمُ الأديان، وعلم الأبدان. فقال. رحم الله الشَّافعي ما أحسن ما قال: العلم علمان: علمُ الأديان علمُ الحقائق والمعارف، وعلمُ الأبدان علمُ السِّياسات والرِّياضات والمجاهدات[5]

وقال: من آثرَ صُحبةَ الأغنياء على مُجالسةِ الفقراء، ابتلاه اللهُ بموتِ القلب[6]

وقال: العاصي خيرٌ من المُدّعي؛ لأنَّ العاصي أبدًا يطلبُ طريقَ

---

(١) طبقات الصوفية ٤٨١، المختار ٢/ ٥٢٦، وفي (أ): ظهر سرُّه.
(٢) طبقات الصوفية ٤٨١
(٣) طبقات الصوفية ٤٨٢
(٤) طبقات الصوفية ٤٨٠
(٥) طبقات الصوفية ٤٨٠، المختار ٢/ ٥٢٦
(٦) الرسالة القشيرية ١١٦، المختار ٢/ ٥٢٦. وفي (أ): من ارتضى صحبة.

توبته، والمُدّعي يتخبّطُ في حبال دعواه[1]

وقال: من مدَّ يده إلى طعام الأغنياء بشَرَهٍ وشهوةٍ لا يفلحُ أبدًا، وليس يُعذرُ فيه إلاَّ المضطرُّ[2]

وقال: الصُّوفيُّ من يملكُ الأشياء اقتدارًا، ولا يَملكه شيءٌ اقتهارًا[2]

وقال: السَّاكتُ بعلمٍ أحمدُ أثرًا من النَّاطقِ بجهل[3]

وقال: لا تصحبْ إلاَّ أمينًا أو معينًا، فإنَّ الأمينَ يَحملُكَ على الصّدق، والمُعين يُعينك على الطَّاعة[4]

وقيل له: ما عقدةُ الورع؟ فقال: الشَّريعةُ تأمره وتنهاه، فيتبعُ ولا يخالف[4]

وقال: لمَّا بذلَ المحبُّون مجهودَهم في طاعة ربِّهم، عطف عليهم الحقُّ بالإحسان مرَّةً بعد أخرى حتَّى أحبُّوه، لهذا رُوي عن رسول الله ﷺ أنَّه قال[5]: «جُبلتِ القلوبُ على حبِّ من أَحْسَنَ إليها»[6]

وقال: قلوبُ أَهلِ الحقِّ قلوبٌ حاضرة، وأسماعُهم أسماعٌ مفتوحة[7]

وقال: من حَمَلَ نفسَه على الرَّجاء تعطّل، ومن حَمَلَ نفسه على الخوف قَنَط، ولكنْ ساعةً فساعة، ومرَّةً ومرَّة[8]

وقال: بدايات المقامات إرفاقٌ وغنًى وكفاية؛ ولكن إذا تمكَّنَ أتته

---

(١) طبقات الصوفية ٤٨٠، المختار ٢/ ٥٢٦ وفي (أ): خيال دعواه.

(٢) طبقات الصوفية ٤٨٠

(٣) طبقات الصوفية ٤٨٢، المختار ٢/ ٥٢٦

(٤) طبقات الصوفية ٤٨٢، المختار ٢/ ٥٢٧.

(٥) تقدم تخريج الحديث صفحة ٤٧٩.

(٦) طبقات الصوفية ٤٨٢

(٧) الرسالة القشيرية ٤٧٤ (السماع)، تهذيب الأسرار ٣٣٦، المختار ٢/ ٥٢٥

(٨) طبقات الصوفية ٤٨٢، الرسالة القشيرية ٢٢٣ (الرجاء)، المختار ٢/ ٥٢٧.

البلايا، ولذلك قال بعض المريدين: ما زالوا يَرفقون بي حتَّى وقعت، فلمَّا وقعتُ قالوا لي: استمسك. فقلت: كيف أَستمسُكُ إن لم يُمسكني[1]

وقال: الحكمةُ هي النُّطقُ بالحقِّ[2]

و: مَنِ اشتغلَ بأحوالِ النَّاس، ضيَّعَ حاله[3]

وقال: الغنيُّ الشَّاكر يكون كأبي بكر الصّديق، فقدَّمَ شكر مالِه، وآثرَ اللهَ عليه، فأورثه الله غنى الدَّارين ومُلكَهما. والفقيرُ الصَّابرُ مثل أُويس القَرَني ونظرائه، صبروا فيه حتَّى ظهرت له براهينُه[4]

وقال: من أعطى نفسَه الأماني، قطعها بالتَّسويف والتَّواني[4]

وقال: عِلم اليقين يدلُّ على الأفعال، فإذا فعلها وأَخلصَ فيها، وظهرتْ له بيّنات ذلك، صارَ له علمُ اليقين عينَ اليقين[5]

وقال: التَّقوى تتولّد من الخوف[5]

وقال: أفواه العارفين فاغرةٌ لمُناجاة القدرة[6]

وقال: سألني سائلٌ: متى يقومُ الحقُّ بالحقِّ؟ فقلت. إذا بلغَ الميقاتُ حينَه، واستوفى الحقُّ مجاري أحكامه من ظاهر هيكله.أوقدَ سُرُجَ الإيمان في قلبه، واكتسى ظاهرُ هيكله بنور حقِّه، وانتصرَ له من ظالمه. فتعجَّبَ السَّائلُ وسكت[7]

---

(١) طبقات الصوفية ٤٨٢، المختار ٢/ ٥٢٧.
(٢) طبقات الصوفية ٤٨٣، وفي (أ): الحكم هو.
(٣) طبقات الصوفية ٤٨٠
(٤) طبقات الصوفية ٤٨٣، المختار ٢/ ٥٢٥
(٥) طبقات الصوفية ٤٨٣، المختار ٢/ ٥٢٤.
(٦) في طبقات الصوفية ٤٨٣: أفواه قلوب العارفين، المختار ٢/ ٥٢٤.
(٧) طبقات الصوفية ٤٨٣.

وقال: أفضلُ ما يُلزم الإنسانُ نفسَه في هذه الطَّريقةِ المُحاسبةُ والمُراقبة وسياسةُ عمله بالعلم[1]

وقال: الإخلاصُ ما يكونُ للنَّفسِ[2] فيه حظٌّ بحالٍ، وهذا إخلاص العوام، وإخلاصُ الخواص ما يَجري عليهم، لأنهم تبدو منهم الطَّاعات، وهم عنها بمعزلٍ، ولا يقعُ لهم عليها رؤية، ولا بها اعتدادٌ، فذلك إخلاصُ الخواص[3]

وقال: الولي قد يكون مشهورًا؛ ولكن لا يَكونُ مَفتونًا[4]

وقال: العارفُ تُضيءُ له أنوارُ العلم، فيبصر بها عجائبَ الغيب[5]

وقال: من ادَّعى السَّماعَ، ولم يسمعْ لصوت الطّيور، وصريرِ الباب، وتصفيق الرِّياح، فهو مُفترٍ مدَّعٍ[6]

وقال: رأيتُ في المنامِ كأنَّ قائلاً يقول لي: يا أبا عثمان، اتقِ الله في الفقرِ ولو بقدر سمسمة[7]

وقال الأستاذ أبو بكر بن فُورَك: كنتُ عند أبي عثمان المغربي حين قَرُبَ أجلُه، وعليٌّ القوّالُ [الصَّغير] يقولُ شيئًا، فلمَّا تغيَّرتْ عليه الحالُ، أشرنا على عليّ الصَّغير بالسُّكوت، ففتحَ أبو عثمان عينَه، وقال: لِمَ لا تَقولُ شيئًا؟ فقلتُ لبعضِ الحاضرين: سلوه، وقولوا له: علام يَسمعُ المُستمعُ؟ فإنِّي أَحتشِمُه في هذه الحالة. فسألوه عن ذلك، فقال: إنَّما

---

(١) الرسالة القشيرية ٢٩٦ (المراقبة)، المختار ٢/ ٥٢٥.

(٢) في (أ): ما لا يكون للنفس.

(٣) الرسالة القشيرية ٣١٥ (الإخلاص)، المختار ٢/ ٥٢٥

(٤) الرسالة القشيرية ٣٧٦ (الولاية)، المختار ٢/ ٥٢٥.

(٥) الرسالة القشيرية ٤٤٣ (المعرفة بالله)، المختار ٢/ ٥٢٥.

(٦) الرسالة القشيرية ٤٧٣ (السماع)، المختار ٢/ ٥٢٥.

(٧) الرسالة القشيرية ٥٣٧ (رؤيا القوم)، تهذيب الأسرار ٥٥٩

يسمعُ من حيثُ يسمع، وكان في الرّياضة كبير الشّأن[1]

وقال: من اختارَ الخلوةَ على الصّحبة، فيجبُ أن يكونَ خاليًا من جميعِ الأذكار إلاّ من ذِكر ربّه تعالى، وخاليًا من جميع الإرادات إلاّ من رضا ربّه، وخاليًا من مُطالبة النَّفس من جميعِ الأسباب، وإن لم يكن بهذه الصّفة فإنّ خلوته تُوقعُه في فتنةٍ أو بليةٍ[2]

* * *

(١) الرسالة القشيرية ١١٥، المختار ٢/ ٥٢٤

(٢) الرسالة القشيرية ١٨٤ (الخلوة)، المختار ٢/ ٥٢٤

(٩٩) أبو القاسم النّصرَاباذي(*)

ومنهم: أبو القاسم إبراهيم بن محمد بن مَحْمَويه النَّصْرَاباذي شيخُ خراسان في وقته، نيسابوريُّ الأصل والمولدِ والمنشأ

يرجعُ إلى أنواع من العلوم، ومن حفظِ السُّنن[1] وجمعهما، وعلم التَّواريخ، وما كان مُختصًّا به من علم الحقائق.

وكان من أَوحد المشايخ في زمنه عِلمًا وحالاً

صحبَ: أبا بكر الشِّبلي، وأبا علي الرُّوذباري، وأبا محمد المُرتعش وغيرَهم من المشايخ.

أقام بنيسابور، ثمَّ خرجَ في آخر عمرِهِ إلى مكَّة، وحجَّ سنة ستٍّ وستين وثلاث مئة، وأقامَ بالحرم مُجاورًا[2]

وماتَ سنة سبعٍ وستين وثلاث مئة

كتبَ الحديث الكثير ورواه، وكان ثقةً.

(*) طبقات الصوفية ٤٨٤، تاريخ بغداد ٦/ ١٦٩، الرسالة القشيرية ١١٦، الأنساب ١٢/ ٨٩، المنتظم ٧/ ٨٩، المختار في مناقب الأخيار ١/ ٢٧٣، مختصر تاريخ دمشق ٤/ ١٠٥، سير أعلام النبلاء ١٦/ ٢٦٣، دول الإسلام ١/ ٢٢٧، العبر ٢/ ٣٤٣، الوافي بالوفيات ٦/ ١١٧، مرآة الجنان ٢/ ٣٨٧، طبقات الأولياء ٢٦، العقد الثمين ٣/ ٢٣٧، النجوم الزاهرة ٤/ ١٢٩، نفحات الأنس ٣٣٧، طبقات الشعراني ١/ ١٢٢، الكواكب الدرية ٢/ ١٣، شذرات الذهب ٣/ ٥٨

(١) في طبقات الصوفية ٤٨٤ حفظ السير

(٢) طبقات الصوفية ٤٨٤، وفيها: حج سنة ست وثلاثين.

جنّةٍ ولا إلى نارٍ، ولا تُخطرْهما ببالك، وإذا رجعتَ عن تلك الحال، فعظِّم ما عظّم الله تعالى[1]

وقال. إذا أخبرَ اللهُ عن آدم بصفةِ آدم قال. ﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ﴾ [طه ١٢١]. فإذا أخبرَ عنه بفضله عليه قال: ﴿۞إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰٓ ءَادَمَ﴾[2] [آل عمران: ٣٣].

وقيل له: أليستِ الأنفسُ والأموال لله؟ فكيف اشترى منهم [ما هو له؟][3] فقال: إنَّه ـ عزَّ اسمه ـ اشترى منهم ما هو له، نظرًا لهم] كشراء الأبِ للطِّفل، نظرًا له مَلّكك نفسَك ثمَّ أسقطَ عنها ملكك؛ لئلا يقع لك في تمليكه إياك غبنٌ، بأن يشتري به ما لا يعارضه، أو يبيعه بما لا يُوازيه[4]

وقيل له: إنَّ بعض النَّاس يجالس النِّسوان، ويقول: أنا معصومٌ في رؤيتهن. فقال: ما دامتِ الأشباحُ باقيةً فإنَّ الأمر والنَّهي باقٍ، والتَّحليل والتَّحريم مُخاطبٌ بهما، ولن يجترئَ على الشُّبهات إلاَّ من يتعرَّض للمحرمات[5]

وقال: الأشياء أدلّةٌ منه، ولا دليلَ عليه سواه[6]

وقال: مُوافقةُ الأمر حسنٌ، ومُوافقة الآمرِ أحسن، من وافقَ الحقَّ في لحظةٍ أو خَطْرةٍ، فإنّه لا يجري عليه بعد ذلك مخالفةٌ بحالٍ[7]

وقال: من عَمِلَ على رؤيةِ الجزاء، كانت أعمالُه بالعددِ والإحصاء. [ومن عمل على المشاهدة، أذهلته المشاهدةُ عن التَّعداد والعدد، ومن

---

(١) طبقات الصوفية ٤٨٥، المختار ١/ ٢٧٤، الرسالة القشيرية ١١٦

(٢) طبقات الصوفية ٤٨٦

(٣) إشارة إلى قوله تعالى في سورة التوبة ١١١ ﴿۞إِنَّ ٱللَّهَ ٱشۡتَرَىٰ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَنفُسَهُمۡ. .﴾

(٤) طبقات الصوفية ٤٨٧، وما بين معقوفين مستدرك منه، المختار ١/ ٢٧٦

(٥) طبقات الصوفية ٤٨٧، الرسالة القشيرية ١١٧، المختار ١/ ٢٧٦، وفي (أ). إلاَّ من هو يعرض.

(٦) طبقات الصوفية ٤٨٧، المختار ١/ ٢٧٤

(٧) في طبقات الصوفية ٤٨٦: موافقة الأثر حسن، وموافقة الأمر.

عمل بالعدد كان ثوابه بالعدد]، قال الله تعالى: ﴿ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ﴾ [الأنعام: ١٦٠]. ومن عمل على المشاهدة. كان أجره بلا عددٍ، قال الله تعالى: ﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾(١) [الزمر: ١٠].

وقال: الرَّاحة ظرفٌ مَملوء من العتاب(١)

وقال: سِرٌّ يسلمُ من رعونة البشرية، سرٌّ رباني(٢)

وقال: الرَّاغب في العطاءِ لا مقدار له، والرَّاغبُ في المعطي عزيز(٣)

وقال: العبادات إلى طلبِ الصَّفحِ والعفو عن تقصيرها أقربُ منها إلى طلبِ االأعواض والجزاءِ بها(٤)

وقال: دماء الأقرباء تتحرَّكُ عند الالتقاء، ودماءُ المُحبِّين تجيش وتغلي(٥)

وقال: أهلُ المحبّة واقفون مع الحقِّ على مقامٍ؛ إن تقدَّموا غرقوا، وإن تأخَّروا حُجبوا(٦)

وقال: أثقالُ الحقِّ لا يحملُها إلاَّ مطايا الحقِّ(٧)

وقال: جذبةٌ من [جذبات] الحقِّ تُربي على أعمال الثّقلين(٨)

وقال: أنت بين نسبتين: نسبةٍ إلى الحقِّ، ونسبةٍ إلى آدم. فإذا انتسبتَ إلى الحقِّ، دخلتَ في مقامات الكشفِ والبراهين والعصمة وهي نسبةُ

---

(١) طبقات الصوفية ٤٨٦، المختار ١/ ٢٧٤
(٢) طبقات الصوفية ٤٨٧، المختار ١/ ٢٧٤
(٣) طبقات الصوفية ٤٨٦، المختار ١/ ٢٧٤
(٤) طبقات الصوفية ٤٨٧، المختار ١/ ٢٧٤
(٥) طبقات الصوفية ٤٨٨
(٦) طبقات الصوفية ٤٨٨، المختار ١/ ٢٧٥
(٧) طبقات الصوفية ٤٨٨
(٨) طبقات الصوفية ٤٨٨، وما بين معقوفين مستدرك منه، المختار ١/ ٢٧٥.

تحقُّقِ العبودية قال الله تعالى: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا﴾ [الفرقان: ٦٣] وقال: ﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ﴾ [الحجر: ٤٢]. وقال الله تعالى: ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ﴾ [الكهف: ٦٥]. وإن انتسبتَ إلى آدم دخلتَ في مقامات الظُّلم والجهل. قال الله تعالى: ﴿وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾[1] [الأحزاب: ٧٢].

وقال: أصلُ التَّصوف هو ملازمةُ الكتابِ والسنَّة، وتركُ الأهواء والبدع، وتعظيمُ حُرمات المشايخ، ورؤيةُ أعذار الخلق، وحسنُ صُحبة الرّفقاء، والقيامُ بخدمتهم، واستعمالُ الأخلاق الجميلة، والمداومةُ على الأورادِ، وتركُ ارتكاب الرُّخص والتَّأويلات، وما ضلَّ أحدٌ في هذا الطَّريق إلاَّ بفسادِ الابتداء، فإنَّ فسادَ الابتداء يؤثّرُ في الانتهاء[2]

وقال: سجنُك نفسُك، فإذا خرجتَ منها وقعت في راحةِ الأبد[3]

وقال: من لزم التَّقوى، اشتاقَ إلى مُفارقة الدُّنيا؛ لأنَّ الله تعالى قال: ﴿وَلَلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾[4] [الأنعام: ٣٢].

وقال: الزَّاهدُ غريبٌ في الدُّنيا، والعارفُ غريبٌ في الآخرة[5]

وقال: الرَّجاء يُحرّك على الطَّاعات، والخوفُ يُبعدُك عن المعاصي، والمراقبة تؤدّيك إلى طريق الحقائق[6]

وقال: من أرادَ أن يبلغَ محلَّ الرِّضا، فليلزمْ ما جعل الله رضاه فيه[7]

---

(١) طبقات الصوفية ٤٨٦، المختار ١/ ٢٧٧

(٢) طبقات الصوفية ٤٨٨، الرسالة القشيرية ١١٧، المختار ١/ ٢٧٥

(٣) المختار ١/ ٢٧٥

(٤) الرسالة القشيرية ١٨٩ (التقوى)، المختار ١/ ٢٧٥

(٥) الرسالة القشيرية ٢٠٢ (الزهد)، المختار ١/ ٢٧٥

(٦) الرسالة القشيرية ٢٩٥ (المراقبة)، المختار ١/ ٢٧٥

(٧) الرسالة القشيرية ٢٩٩ (الرضا).

وقال: قيمةُ العابد بمعبوده، كما أنَّ شرفَ العارفِ بمعروفه[(١)]

وقال: إنَّما سمّى اللهُ أهلَ الكهفِ ﴿فِتْيَةٌ﴾ [الكهف: ١٣] لأنّهم آمنوا بلا واسطة[(٢)]

ورُوي: أنَّه كان يُقالُ له كثيرًا: إنَّ عليًّا القوّال يشربُ النَّبيذَ باللَّيل، ويحضر مجلسَك بالنَّهار. وكان لا يَسمعُ ما يُقال فيه، فاتَّفقَ أنَّه كان يمشي يومًا، ومعه واحدٌ ممّن يذكرُ عليًّا بذلك، فوجد عليًّا مَطروحًا في موضعٍ، وقد ظهر عليه أثَرُ السُّكر، وصار بحيث يغسلُ فمَه، فقال الرَّجل: إلى كم نَقولُ للشيخ ولا يسمع! هذا عليُّ القوّال على الوصفِ الذي نقول. فنظرَ النَّصراباذي إليه، وقال للعذول: احملْه على رقبتك، وانقلْه إلى مَنْزله، فلم يجدْ بدًّا من طاعته فيه[(٣)]

وقال: الحقُّ غيور، ومن غيرتِهِ أنَّه لم يجعلْ إليه طريقًا سواه[(٤)]

وقال: ليس للأولياء سؤال، إنَّما هو الذُّبول والخمود[(٥)]

و: نهاياتُ الأولياءِ بداياتُ الأنبياء[(٥)]

وقال: ضعفتُ[(٦)] في البادية مرَّةً، فأيستُ من نفسي، فوقعَ بصري على القمر، وكان ذلك بالنَّهار، فرأيتُ عليه مكتوبًا: ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ﴾ [البقرة: ١٣٧] فاستقللتُ، وفُتح عليَّ من ذلك الوقت[(٧)]

---

(١) الرسالة القشيرية ٣٠٤ (العبودية)، وفي (أ): قيمة الزاهد.
(٢) الرسالة القشيرية ٣٣٨ (الفتوة).
(٣) الرسالة القشيرية ٣٤٢ (الفتوة).
(٤) الرسالة القشيرية ٣٧١ (الغيرة)، المختار ١/ ٢٧٥
(٥) الرسالة القشيرية ٣٧٦ (الولاية).
(٦) في (أ): ضعفت.
(٧) الرسالة القشيرية ٤١٤ (أحكامهم في السفر)، المختار ١/ ٢٧٥.

وسُئِل عن المحبّة، فقال: محبّةٌ تُوجِبُ سفكَ الدّماء، ومحبّةٌ تُوجِبُ حقن الدّماء[١]

وقيل له: ليس لك من المحبّةِ شيءٍ. فقال: صدقوا؛ ولكن لي حسراتُهم، فهاهو ذا أحترقُ منه[٢]

ثمَّ قال: المحبَّةُ مُجانبةُ السُّلوِّ على كلِّ حالٍ. وأنشد[٣]:

ومن كانَ في طُولِ الهوى ذاقَ سلوةً فـإنِّـي مـن ليلـى لهـا غيـرُ ذائـقِ
وأكثـرُ شـيءٍ نلتُـهُ مـن وصـالهـا أمانيُّ لم تصدقْ كلمحةِ بارقِ[٤]

وقال: للخلقِ كلِّهم مقامُ الشّوق، وليس لهم مقامُ الاشتياق، ومن دخلَ حالَ الاشتياق، هامَ فيه حتَّى لا يُرى له أثرٌ ولا قرار[٥]

ورآه بعضُ الصَّالحين بمكَّة في المنام بعد موته، فقال له: ما فعلَ اللهُ بك؟ فقال: عُوتبتُ عتابَ الأشراف، ثمَّ نُوديت: يا أبا القاسم، أبعدَ الاتصال انفصال؟ قلتُ: لا، يا ذا الجلال. فما وضعتُ في اللَّحدِ، حتَّى لَحقتُ بالأحد[٦]

وسُئِل عن القوت، فقال: للنَّفسِ قوتٌ إذا أحرزته اطمأنَّت، وللقلبِ قوتٌ، وللرُّوح قوتٌ، وللسرِّ قوتٌ، فقوتُ القلب الطمأنينةُ، وقوتُ السِّرِّ الفِكر، وقوتُ الرُّوح السَّماع؛ لأنَّه صادرٌ عن الحقِّ، وراجعٌ إليه. والقوتُ في الحقيقة هو الله؛ لأنَّ منه الكفايات. وأنشدَ:

إذا كنتَ قوتَ النَّفسِ ثمَّ هَجرتَها فكم تَلبثُ النَّفسُ التي أنتَ قوتُها

---

(١) الرسالة القشيرية ٤٤٩ (المحبة)، المختار ١/ ٢٧٥

(٢) الرسالة القشيرية ٤٥٠ (المحبة)، المختار ١/ ٢٧٦

(٣) البيتان في ديوان أبي بكر الشبلي ١٦٦، قال محقق الديوان: والبيتان للمجنون.

(٤) الرسالة القشيرية ٤٥٠ (المحبة)، المختار ١/ ٢٧٦

(٥) الرسالة القشيرية ٤٥٩ (الشوق)

(٦) الرسالة القشيرية ٥٣١ (رؤيا القوم)، المختار ١/ ٢٧٦.

سأبقى بقاءَ الضَّبِ في الماء أو كما ‌ ‌ يعيشُ ببيداء المَهامِهِ حوتُها[1]

وقال: سمعتُ أبا إسحاق ابن عائشة يقول: سألتُ أبا سعيد القرشي عن الجمع والتَّفرقة، فقال: الجمع عين التَّوحيد، والتَّفرقة حقيقة التَّجريد، وهو أن يكون العبد فانيًا بالله تعالى، يرى الأشياء كلّها به وله وإليه ومنه. كما قال عامر بن عبد قيس: ما نظرت إلى شيء إلاَّ ورأيت الله فيه. وأنشد أبو سعيد لغيره أبياتًا في المعنى[2]:

قــد تحقَّقْتُــكَ فــي سِــر ‌ ‌ ـــري فنــاجــاك لســانــي

فــاجتمَعْنــا لمعــانٍ ‌ ‌ وافتــرقنــا لمعــانِ

فلئــن غيّبَــكَ التَّعــ ‌ ‌ ـظيــمُ عــن لحــظِ عيــانــي

فلقــد صيَّــركَ الــوجــ ‌ ‌ ـد مــن الأحشــاءِ دانــي

* * *

---

(١) المختار ١/ ٢٧٦، وفيه: ستبقى بقاء الضبِّ. وانظر تهذيب الأسرار ٣٣٣

(٢) الأبيات في ديوان الحلاج صفحة ١٢٠، وقال محقق الديوان: لم ينسب هذه المقطعة إلى الحلاج إلاَّ الخطيب البغدادي، وابن كثير، ونسبها جلُّ الرواة إلى الجُنيد البغدادي. وانظر الرسالة القشيرية ١٣٨

(١٠٠) أبو الحسن الحُصْري(*)

ومنهم: أبو الحسن علي بن إبراهيم الحُصْري بصريُّ الأصل، سكنَ بغداد، ومات بها يوم الجمعة في ذي الحجة سنة إحدى وسبعين وثلاث مئة[١].

وكان شيخَ العراق ولسانَها في وقته، لم يُرَ في زمانه من المشايخ أتمّ حالاً منه، ولا أَحسن لسانًا منه. له لسانٌ في التَّوحيد يختصُّ به، ومقامٌ في التَّجريدِ والتَّفريد لم يُشاركْه فيه أحد بعده[١].

وهو أستاذ العراقيين، به تأدَّبَ منهم من تأدَّبَ.

صحب: الشِّبلي، وإليه ينتمي، وصحبَ غيرَه من المشايخ أيضًا.

قال رحمه الله: الصُّوفيُّ لا يَنْزعجُ في انزعاجه، ولا يقرُّ في قراره[١].

وقال: آدم عليه السَّلام في مَحَلِّه كان مَحَلاًّ للعلل، فخوطب على حسبِ العلل: ﴿ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ﴾ [طه: ١١٨] وإلاَّ فما مقامُ المجاورة ممّا يؤثّر فيه الجوع والعري[١].

وقال: علمنا الذي نحن عليه يُوجبُ إنكارَ كلِّ معلوم مرسوم، ومحو

(*) طبقات الصوفية ٤٨٩، تاريخ بغداد ١١/ ٣٤٠، الرسالة القشيرية ١١٧، الأنساب ٤/ ١٥٢، المختار من مناقب الأخيار ٤/ ٢٠، طبقات الأولياء ٢١٣، البداية والنهاية ١١/ ٢٩٨، نفحات الأنس ٣٤٠، طبقات الشعراني ١/ ١٢٣، الكواكب الدرية ٢/ ١١٣

(١) طبقات الصوفية ٤٨٩.

كلٌّ معلومٍ معلول، وما بان شيءٌ، فيمتحي[1]

وقال: لا أَحد أقلُّ قدرًا ممّن يشتغل بالفضائل، يقدّمُ ذا ويؤخّر ذا، في الدُّنيا يكون ناسًا بناسٍ مع ناس، وفي الآخرة ﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ﴾ [فصلت: ٣٢] من المطاعم والمشارب والمناكح، ليت الجنَّة على قفا أهلها، لعلّنا إذا نجونا منها ومن طالبيها تفرّغنا إلى مشاهدة من أكرمنا بمعرفته، وبَدَأنا بأنواعِ مبارّه؛ بل لو عرفناه ما شاهدنا سواه[1]

وروي عنه: أنّه قال يومًا في الجامع: دعوني وبلائي، هاتوا مالكم، أَلستمُ من ولد آدم الذي خلقَهُ بيده، ونفخَ فيه من روحه، وأسجدَ له ملائكته، ثمَّ أُمرَ بأمرٍ فخالف؟ إذا كان أوّلُ الدَّنِّ دُرْدِيًا كيف يكون آخرُهُ؟[2]

وقال: الصُّوفيُّ الذي لا يُوجدُ بعد عدمه، ولا يُعدمُ بعد وجوده[3]

و: الصُّوفيُّ إن وُصفَ جحد، وإن تجلَّى كشف[4]

و: الصُّوفيُّ وجدُه وجودُهُ، وصفاتُه حجابه[4]

وقال: الخوفُ من الله عِلّةٌ وحجاب؛ لأنَّه إذا كان خوفي منه لا يُزيلُ مرادَه فيَّ، ورجائي لا يُوصلني إلى مُرادي منه، فقد تعطَّل عليَّ حكمُ الخوف والرَّجاء المتحقِّقَيْنِ[4] وأمَّا أَربابُ الرُّسوم والعلوم فواجبٌ عليهم التزام الأدب[5]

---

(١) طبقات الصوفية ٤٩٠

(٢) طبقات الصوفية ٤٩٠، المختار ٤/ ٢٣ والدردي: ما يركد في أسفل كل مائع كالأشربة والأدهان والزيوت. اللسان.

(٣) طبقات الصوفية ٤٩١، المختار ٤/ ٢٢

(٤) في (أ)، وطبقات الصوفية: للمتحققين.

(٥) طبقات الصوفية ٤٩١، المختار ٤/ ٢٢

وقال: ربط الكلَّ بالحدود، وقطعَ طريقَ الحقِّ عن الكلِّ، فلا ترى إلاَّ واقفًا مع نفسه [أو مع رسمِه؛] لبينونة القِدَم أن يَلحقَها شيءٌ من الحوادث، إذا زفرتْ جهنَّمُ زفرةً فإنَّ الكلَّ يقول: «نفسي، نفسي» والأجلُّ والأدنى يرجعُ إلى حدِّ الشَّفقة فيقول: «أمتي أمتي»[1] فلا يبقى في أحدٍ نَفَسٌ بلا علَّة، فيقول: ربِّي، [ربِّي] لتعلم أنَّ محلَّ الحوادث لا يخلو عن العلل[2].

وقال: كنتُ زمانًا إذا قرأتُ القرآن، لا أستعيذُ بالله من الشَّيطان حتَّى أقول: من الشَّيطان، حتَّى يحضرَ كلامَ الحقِّ؟![3]

وقال: من ادَّعى في شيءٍ من الحقيقة، كذَّبته شواهدُ كشفِ البراهين[4].

وقيل له: هل يَحتشمُ المحبُّ أو يَفزع؟ فقال: الحبُّ استهلاكٌ، لا تبقى معه صفةٌ. وأنشأ يقول:

قالتْ: لقد سُؤتنا في غيرِ مَنفعةٍ[5] ... بقرْعِكَ البابَ والحُجَّابُ ما هجعوا
ماذا يُريبُكَ في الظَّلماءِ تطرقُنا؟ ... قلتُ: الصَّبابةُ هاجتْ ذاك والطَّمعُ
قالتْ: لعَمْري لقد خاطرت ذا جزعٍ ... حتَّى وصلتَ فهلاَّ عاقَكَ الجَزَعُ
فقلتُ: هل هو إلاَّ الموتُ أو ظَفَرٌ ... بما[6] يزولُ به عن مُهجتي الهَلَعُ[7]

---

(١) حديث الحشر يوم القيامة وقول الناس حتَّى الأنبياء «نفسي، نفسي». وقول رسول الله ﷺ: «أمتي، أمتي» رواه البخاري ٤٧٣/١٣ (٧٥١٠) في التوحيد، باب كلام الرب عز وجل يوم القيامة مع الأنبياء، ومسلم (١٩٣) في الإيمان، باب أدنى أهل الجنة منزلةً فيها.

(٢) طبقات الصوفية ٤٩١، المختار ٤/ ٢٢

(٣) طبقات الصوفية ٤٩٢، وفي (أ): الشيطان الرجيم.

(٤) طبقات الصوفية ٤٩٠، الرسالة القشيرية ١١٧، المختار ٤/ ٢٣

(٥) في (أ): قالوا لقد سوعت بنا في غير منفعة.

(٦) في طبقات الصوفية ٤٩٢ إلاَّ القتل أو ظفر مما.

(٧) طبقات الصوفية ٤٩٢، المختار ٤/ ٢٣

وقال يومًا في مَجلسه: هو أعزُّ من أن يعزَّ على سواه، وأعزُّ من أن يعزَّ سواه على سواه، وأعزُّ من أن يذلّ له غيره، وأعزُّ من أن يذلَّ لغيره، بل هو أذلّ ما له له[1]، وعزَّز ما له على ما له، وأذلَّ ما له لما له، وليس لمن أعزَّ معنى عزّته، ولا لمن أذلَّ معنى ذلّه[2]، بل هو أظهرُ الجميع ورسمها[3] بأنّهم عزّوا وذلّوا، وذلك هو العزُّ الذي لا يرام[4].

وقال: ضاقتْ عليَّ أوقاتي وأنفاسي، فلستُ أَستروحُ إلاَّ إلى تَذكّرِ أنفاسٍ جرتْ منّي بأنسِ البسط، بصفاءِ الودِّ، مصونةٍ عن شوب الأكدار وأنشدَ هذا البيت:

إنَّ دهـرًا يَلُـفُّ شملـي بسلمـى لــزمـانٌ يهُـمُّ بـالإحسـانِ[5]

وقال: نظرتُ في ذُلّ كلِّ ذي ذلٍّ، فزاد ذُلّي على ذلّهم، ونظرتُ في عزّ كلِّ ذي عزٍّ، فزادَ عزِّي على عزّهم. ثمَّ قرأ: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًاۚ﴾[6] [فاطر ١٠].

وقال: النَّاسُ يقولون: الحُصْريُّ لا يقول بالنَّوافل، وعليَّ أورادٌ من حالِ الشَّباب، لو تركتُ ركعةً منها لعُوتبت[7].

وقال: أصولُنا في التَّوحيد خمسةُ أشياء: رَفْعُ الحَدَث، وإفرادُ القِدَم[8]، وهجرُ الإخوان، ومفارقةُ الأوطان، ونسيانُ ما عُلمَ وجُهل[9].

---

(١) في طبقات الصوفية ٤٩٢: ماله لماله.
(٢) في طبقات الصوفية ٤٩٢: أعز معنًى عزّ به، ولا لمن أذلَّ ذلّ به.
(٣) في طبقات الصوفية ٤٩٢: ورسم.
(٤) طبقات الصوفية ٤٩٢، وانظر المختار ٤/ ٢٢
(٥) طبقات الصوفية ٤٩٣، المختار ٤/ ٢٣، وفي (أ): إلا أن تذكر.
(٦) طبقات الصوفية ٤٩٠، ٤٩١، المختار ٤/ ٢٢
(٧) الرسالة القشيرية ١١٧، وفيها: منها لعوقبت، المختار ٤/ ٢٤
(٨) رفع الحدث: أي الإعراض عن غير الله، وإفراد القدم: كمال الاشتغال بالله.
(٩) الرسالة القشيرية ٤٢٤ (التوحيد)، المختار ٤/ ٢١

وقال منصور المغربي: كنتُ بجامع المنصور ببغداد بين اليقظةِ والنَّائم، والحُصْريُّ يتكلَّمُ في التَّوحيد، فرأيتُ مَلَكَيْنِ يعرُجان إلى السَّماء، وأحدُهما يقولُ لصاحبه: الذي يقولُ هذا الرَّجل عِلمٌ، والتَّوحيدُ غيرُه[1]

وسُئل عن السَّماع، فقال: أَيش أَعملُ بسماعٍ ينقطع إذا انقطعَ من يسمعُ منه؟ ينبغي أن يكونَ سماعُك سماعاً[2] متَّصلاً غيرَ منقطع[3]

وقال: ينبغي أن يكونَ ظمأٌ دائمٌ، وشِرْبٌ دائم، فكلَّما ازدادَ شُربُهُ ازدادَ ظمؤه[2]

وقال أبو الحسن الزَّنجاني: كثيرًا ما كنتُ أسمعُ الحُصْري ببغداد يقول: عرِّضوا ولا تُصرِّحوا؛ فإنَّ التَّعريض أسترُ وأنشد:

وأَعْرِضْ إذا ما جئتَ عنها بحيلَةٍ وعَـرِّضْ ببعـضٍ إنَّ ذلـك أستـرُ
فما زلتَ في إعمالِ طرفِك نحونا ولحظِك حتَّى كاد ما بكَ يَظْهَرُ[4]

* * *

---

(١) الرسالة القشيرية ٤٢٤ (التوحيد)، المختار ٤/ ٢١

(٢) في (أ): ذا سماعاً

(٣) الرسالة القشيرية ٤٧٤ (السماع)، المختار ٤/ ٢٤

(٤) المختار ٤/ ٢٣، وفيه: طرفك نحوها.

(١٠١) أبو عبد الله الرُّوذْباري(*)

ومنهم: أبو عبد الله أحمد بن عطاء بن أحمد الرُّوذْباري ابنُ أخت أبي علي الرُّوذْباري رحمة الله عليهما. شيخُ الشَّام في وقته[١]

يرجعُ إلى أحوالٍ يختصُّ بها، وأنواعٍ من العلوم: من علم الشَّريعة والقراءات، وعلمِ الحقيقة، وأخلاقٍ، وشمائلَ تفرَّد بها، وتعظيمِ الفقر، وصيانةٍ له وملازمةِ آدابه، ومحبَّةِ الفقراء، والميل إليهم[٢]، والرِّفقِ بهم[٣]

مات بصُور في ذي الحجَّة سنة تسعٍ وستين وثلاث مئة[٣]

سُئل عن القبضِ والبسط، وعن حالِ مَنْ قُبِضَ ونعتِهِ، وعن حالِ مَنْ بُسِطَ ونعته، فقال: إنَّ القبضَ أوَّلُ أسبابِ الفَناء، والبسطَ أوَّلُ أسبابِ البقاء، فحالُ من قُبِض الغيبةُ، وحالُ من بُسِطَ الحضور، ونعتُ من قُبِضَ

(*) طبقات الصوفية ٤٩٧، حلية الأولياء ١٠/٣٨٣، تاريخ بغداد ٤/٣٣٦، الرسالة القشيرية ١١٨، المنتظم ٧/١٠١، الكامل لابن الأثير ٨/٧١٠، معجم البلدان ٣/٧٧، المختار من مناقب الأخيار ١/٣٠٧، مختصر تاريخ دمشق ٣/١٦٨، سير أعلام النبلاء ١٦/٢٢٧، ميزان الاعتدال ١/١١٩، الوافي بالوفيات ٧/١٨٤، مرآة الجنان ٢/٤٩، البداية والنهاية ١١/٢٩٦، طبقات الأولياء ٥٤، نفحات الأنس ٣٨٣، طبقات الشعراني ١/١٢٣، النجوم الزاهرة ٤/١٣٧، الكواكب الدرية ٢/٣٨، و٤/٣٢٣، شذرات الذهب ٣/٦٨

(١) طبقات الصوفية ٤٩٧.

(٢) في (ب): وصحبة الفقراء والميل إليهم.

(٣) طبقات الصوفية ٤٩٧.

الحزنُ، ونعتُ مَنْ بُسِطَ السُّرور[١]

وقال: الذَّوقُ أوَّلُ المواجيد، فأهلُ الغيبةِ إذا شربوا طاشوا، وأهلُ الحضورِ إذا شَربوا عاشوا[٢]

وقال: أقبحُ من كلِّ قبيحٍ صوفيٌّ شحيح. وأنشد لنفسه في هذا المعنى:

أشرتُ إلى المليحِ[٣] بلَحْظِ طَرفي ... فأعْرَض عن إجابَتِي المَليحُ
فقلت: أضاعَ مذهبه المُرجَّى ... ومُزِّقَ ذلك العهدُ الصَّحيحُ؟[٤]
ألم تسمعْ بأنْ لا قُبحَ إلاَّ ... وأقبحُ منه صوفيٌّ شَحيحُ[٥]

وقال: مَنْ عطشَ إلى حالةٍ أتمَّ ممّن دهش بها، و[ليس] من دهش بها أتمَّ ممّن عطِش إليها. وهذا لسانُ قبضِ الحقِّ بالفناء، وبسطه بالبقاء[٦]

وقال: رأيتُ في المنام كأنَّ قائلاً يقول لي: أَيش أَصحُّ ما في الصَّلاة؟ فقلتُ: صحَّةُ القصد. فسمعتُ هاتفًا يقول: رؤيةُ المقصودِ بإسقاطِ رؤيةِ القصد أتمُّ[٧]

وقال: التَّصوفُ ينفي عن صاحبه البخل، وكَتْبُ الحديث ينفي عن صاحبه الجهل، فإذا اجتمعا في شخصٍ فناهيك به نبلاً[٨]

---

(١) طبقات الصوفية ٤٩٩، وانظر المختار ١/ ٣٠٧
(٢) طبقات الصوفية ٤٩٨، المختار ١/ ٣٠٧
(٣) في (ب): إلى الحبيب.
(٤) في طبقات الصوفية ٤٩٨: وحرمة ذلك العهد الصحيح.
(٥) طبقات الصوفية ٤٩٨، طبقات الأولياء ٥٥، وقوله أقبح من كل. في الرسالة القشيرية ١١٨، المختار ١/ ٣٠٨
(٦) طبقات الصوفية ٤٩٩، وفيها: وهذا شأن قبض الحق
(٧) طبقات الصوفية ٤٩٩، المختار ١/ ٣٠٨
(٨) طبقات الصوفية ٥٠٠، طبقات الأولياء ٥٤

وأنشدَ لنفسه:

فما ملَّ ساقيها وما ملَّ شاربٌ عُقارَ لحاظٍ كأسُهُ يُسكرُ اللُّبَّا
يدورُ بها طرفٌ من السِّحرِ فاترٌ على جسم نُورٍ ضوءُهُ يَخطِفُ القلبَا
يقولُ بلحظٍ يُخجِلُ الحب حُسنُهُ[١]: تجاوزتَ يا مَشغوفُ في حالِك الحُبَّا
فسكرُك من لحظي هو الوجدُ كلُّه وصحوُك من لفظي يُبيحُ لك الشُّربَا[٢]

وقال سرُّ السَّماع ثلاثةُ أشياء: بلاغةُ ألفاظه، ولطفُ معانيه، واستقامةُ ناهجه[٣].

وسرُّ النَّغمةِ ثلاثةٌ: طيبُ الخُلُق، وتأديةُ الألحان، وصحّةُ الإيقاع.

وسرُّ الصَّادق في السَّماع ثلاثةٌ: العلمُ بالله، والوفاءُ بما عليه، وجمع الهمِّ.

والوطنُ الذي يُسمعُ فيه يحتاجُ أن يجتمع فيه ثلاثُ خصال: طيبُ الرَّوائح، وكثرةُ الأنوار، وحضورُ الوقار.

وتعدمُ فيه ثلاث: رؤيةُ الأضداد، ورؤيةُ من يُحتشم، ورؤيةُ من يُلهي.

ويُسمع مع ثلاث: الصُّوفيةِ، والفقراءِ، والمُحبِّين.

ويُسمع على ثلاثة معان: على المحبّةِ، والرَّجاءِ[٤]، والخوف.

[والحركةُ في السَّماع على ثلاثٍ: الطَّربُ، والخوف، والوجد].

والطَّربُ له ثلاثُ علامات: الرَّقصُ، والتَّصفيقُ، والفرح.

---

(١) في طبقات الصوفية، وطبقات الأولياء يقول بلفظٍ يُخجل الصبُّ.
(٢) طبقات الصوفية ٥٠٠، طبقات الأولياء ٥٤
(٣) في طبقات الصوفية ٥٠٠: منهاجه
(٤) في طبقات الصوفية ٥٠٠: والوجد.

والخوفُ له ثلاث علامات: البكاءُ، والاحتراق[١]، والزَّفرات.

والوجدُ له ثلاثُ علامات: الغيبةُ، والاصطلامُ، والصَّرخات[٢]

وقال: الخشوع في الصَّلاة علامةُ فلاح المُصلّي؛ قال الله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ﴾[٢] [المؤمنون: ١-٢].

وقال: من خدمَ الملوكَ بلا عقلٍ، أسلمه الجهلُ إلى القتل[٣]

وقال: من قلَّتْ آفاتُهُ، اتَّصلت بالحقِّ أوقاته[٣]

وقال: مُجالسة الأضدادِ ذوبان الرُّوح ومُجالسةُ الأشكال تلقيحُ العقول[٣]

وقال: ليسَ كلُّ من يَصلحُ للمجالسة يَصلُحُ للمؤانسة، وليس من يَصلحُ للمُؤانسة يُؤمنُ على الأسرار، ولا يُؤمنُ على الأسرارِ إلاَّ الأمناءُ فقط[٣]

وقال: كنت راكبًا يومًا جملاً، فغاصتْ رجلا الجملِ في الرَّمل، فقلت: جلَّ الله. فقال الجملُ: جلَّ الله[٤]

وروي عنه: أنَّه [كان إذا] دعا أصحابَه [معه] إلى دعوةٍ في دور بعضِ السُّوقةِ ومَنْ ليس من أهل التَّصوف، لا يُخبرُ الفقراء بالدَّعوة، حتَّى يطعمَهم شيئًا، فإذا فرغوا من الأكلِ، أخبرَهم، ومضى بهم، حتَّى لا يَمدُّوا أيديهم إلى طعامِ الدَّعوة إلاَّ بالتَّعزُّز، وإنَّما كان يفعلُ ذلك لئلا تسوءَ ظنونُ النَّاسِ بهذه الطَّائفة، فيأثمون بسببهم[٥]

---

(١) في طبقات الصوفية ٥٠٠: واللطم بدل الاحتراق.

(٢) طبقات الصوفية ٥٠٠، المختار ١/ ٣٠٩.

(٣) طبقات الصوفية ٤٩٩، المختار ١/ ٣٠٨.

(٤) الرسالة القشيرية ١١٨، وانظر فيها صفحة ٥٢٥ (كرامات الأولياء) وفي (أ): حل الله، فقال الجمل حال لله.

(٥) الرسالة القشيرية ١١٨، المختار ١/ ٣٠٨

وقيل: إنَّه كان يمشي يومًا على أثر الفقراء[١]، وكذلك كانت عادته، فقال إنسان: يُقال: هؤلاءِ المستحِلُّون، وبسطَ لسانه فيهم، وقال في أثناء كلامه: إنَّ واحدًا منهم استقرض منِّي مئةَ درهمٍ، ولم يردَّ عليَّ عوضَها، ولستُ أدري أين أطلبه. فلمَّا دخلَ أبو عبد الله مع أصحابه إلى دارِ صاحب الدَّعوة، وكان ذلك الرَّجلُ من مُحبِّي الفقراء، قال له: ائتني بمئة درهم، إن أردتَ سكونَ قلبي. فأتاه بها في الوقتِ، فقال لبعض أصحابه: احملْ هذه الدَّراهم إلى البقال الفلاني، وقلْ له: هذه المئةُ درهم التي استقرض منك بعضُ أصحابنا، وكان قد وقعَ له في تأخيرها عنك عذرٌ، وقد بعثَ بها الآن، فاقبلْ عذرَه. فمضى الرَّجلُ، وفعلَ ما أمره به، فلمَّا رجعوا من الدَّعوة؛ اجتازوا بحانوتِ البقال، فأخذَ البقالُ، وشرعَ في مدحهم، وقال: هؤلاء السَّادةُ الثِّقات الأمناءُ الصّلحاء وبالغ في ذلك[٢]

وروي: أنَّه دخلَ يومًا دارَ بعضِ أصحابه، فوجده غائبًا، فرأى فيها باب بيتٍ مُقفلاً، فقال: صوفيٌّ له باب مقفل؟! اكسروا القفل فكسروه، وأمرَ أن يُباع جميعُ ما وجدوه في البيت والدَّار، فباعوه في السُّوق، وأصلحوا بالثَّمن وقتًا، وجلسوا في الدَّار، فدخل صاحبُ المنْزل، ولم يقلْ شيئًا. فدخلتْ زوجةُ الرَّجل بعدهم إلى الدَّار، وعليها كساء، فدخلتْ بيتًا، ورمت بالكساءِ، وقالت: يا أصحابَنا، هذا من جملةِ المتاع أيضًا، فبيعوه. فقال لها الزَّوج لِمَ فعلتِ هذا وتكلَّفتيه؟ فقالت له اسكُتْ، مثلُ الشَّيخ يُباسطنا ويحكم علينا، ونبقي لنا شيئًا ندخره عنه[٣]

* * *

---

(١) في (أ): على أثر أصحابه الفقراء.

(٢) الرسالة القشيرية ١١٨

(٣) المختار ١/٣٠٨، مختصر تاريخ دمشق ٣/١٦٨، طبقات الأولياء ٥٦.

(١٠٢) أبو عبد الله التُّرُوغْبِذيُّ(*)

ومنهم: أبو عبد الله محمد بن محمد بن الحسن التُّرُوغْبِذيُّ من جلّة مشايخ طُوس.

صحب: أبا عثمان الحِيري وطبقتَهُ من المشايخ، وصار أوحدَ وقته في طريقته(١)

ظهرتْ له آياتٌ وكرامات. وكان مجرّدًا عالي الحال، كبيرَ الهِمَّة(١)

مات بعد الخمسين وثلاث مئة(١)

قال رحمه الله. من بذلَ نفسَه لهواه، وشغل عُمرَه بمناه، استعبدَهُ هواه، واسترقّه مُناه(٢)

وقال: طوبى لمن لم يكن له وسيلة إلى الله سواه، فإنّه لا وسيلةَ إليه غيرُه(٢)

وقيل له: ما صِفة المُريد؟ فقال: المريدُ في تعبٍ؛ ولكنَّ تعبَهُ سرورٌ وطرب، لا عناه ولا نصب(٣)

(*) طبقات الصوفية ٤٩٤، المنتظم ٧/ ٢٢، المختار من مناقب الأخيار ٤/ ٤٣٦، طبقات الأولياء ٢٤٢، نفحات الأنس ٣٨٣، طبقات الشعراني ١/ ١٢٤، الكواكب الدرية ٢/ ١٥٠ والتروغبذي نسبة إلى تروغبذ وهي قرية من قرى طوس.

(١) طبقات الصوفية ٤٩٤.

(٢) طبقات الصوفية ٤٩٤، المختار ٤/ ٤٣٧.

(٣) طبقات الصوفية ٤٩٥، وفي (أ) ولكن بقية سرور وطلب، لا عناء وتعب.

وقال: الكِبْرُ سمةُ الأغنياء، والتَّذلُّلُ والتَّواضع من أخلاقِ الفقراء[1]

وقال: تركُ الدُّنيا للدُّنيا من علامةِ حبِّ جمع الدُّنيا[2]

وقال: ليس في اجتماعِ الإخوان أُنسٌ؛ لوحشةِ الفِراق[3]

وقال: لو خدمَ رجلٌ في جميع عمره يومًا فتىً من الفتيان للحقَهُ بركةُ خدمته، فكيف بمن فنى عمره في خدمتهم؟[3]

وقال: إياك والتَّمييزَ في الخدمة، فإِنَّ أربابَ التَّمييز قد مضوا، اخدمِ الكلَّ ليحصلَ لك المُراد، ولا يفوتك المقصود[3]

وسُئل عن الصُّوفي والزَّاهد، فقال. الصُّوفيُّ بربِّه، والزَّاهدُ بنفسه[4]

وقال: إنَّ اللهَ وهبَ لكلِّ عبدٍ من معرفته مقدارًا، وحمّله من البلاءِ على مقدارِ ما وهب له من المعرفة؛ لتكون معرفتُه عونًا له على حمل بلائه[5]

وقال: ما جزِعَ النَّبيُّ ﷺ من شيءٍ قطُّ إلاَّ لأُمَّته؛ فإِنَّه بُعثَ بالرَّأفةِ والرَّحمة، فإذا كوشف من أمرِ أُمَّته عن مخالفةٍ، جزع لهم وعليهم، قال الله تعالى: ﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[6] [التوبة: ١٢٨].

وقال: الأسماءُ كلُّها مكشوفةٌ، والمعاني مَستورة[7]

وقال: العلمُ يورث الخوف، والعلمُ يورث الوَجَل، ويُورث السَّكينةَ

---

(١) طبقات الصوفية ٤٩٥، المختار ٤/ ٤٣٧، وفي (أ): والتلذذ والتواضع.

(٢) طبقات الصوفية ٤٩٥. وفيه: من علامة حب الدنيا

(٣) طبقات الصوفية ٤٩٥، المختار ٤/ ٤٣٧

(٤) طبقات الصوفية ٤٩٥

(٥) طبقات الصوفية ٤٩٦، المختار ٤/ ٤٣٧

(٦) طبقات الصوفية ٤٩٦

(٧) طبقات الصوفية ٤٩٥، المختار ٤/ ٤٣٧

والطَّمأنينة[1] وذلك على قدر أحوالِ[2] العبيد ومقاماتهم؛ مقام أوجب العلم فيه الوجل والخوف، ومقام أوجب فيه السُّكون والطَّمأنينة والأحوالُ تصحُّ إذا كانت عن نتائج العلوم[3]

وروي: أنَّه خرجَ يومًا إلى طُوس، فلمَّا بلغَ خُرَ[4] قال لصاحبه: اشترِ الخبز. فاشترى ما يكفيهما، فقال له: اشترِ أكثر. قال: فاشترى صاحبُه ما يكفي عشرةَ أنفسٍ تعمُّدًا وغيظًا، وكأنَّه لم يجعلْ لقول ذلك الشَّيخ تحقيقًا، قال: فلمَّا صعِدنا الجبلَ، إذا بجماعةٍ قيَّدهم اللُّصوصُ، لم يأكلوا الطَّعام منذ أيام، فسألوا الطَّعام، فقال لصاحبِهِ: قدِّمْ إليهم السُّفرةَ. فقدّمها إليهم، فأكلوا حتَّى شبعوا[5]

* * *

---

(١) في (ب): الإطمأنينة.

(٢) في (ب): على مقدار أحوال.

(٣) طبقات الصوفية ٤٩٦.

(٤) في (أ): الخبز، وفي (ب): جرو، وفي تهذيب الأسرار: أجرد.

(٥) الرسالة القشيرية ٣٤٧ (الفراسة) تهذيب الأسرار ٣٣٠.

(١٠٣) أبو الحسن بن بُنْدار الصَّيرفي (*)

ومنهم: أبو الحسن علي بن بُندار بن الحسين الصَّيرفي وهو من جلّة مشايخ نيسابور ومقدّميهم. رُزق من رؤيةِ المشايخ وصحبتهم ما لم يُرزقْ غيرُه[1]

صحب بنيسابور: أبا عُثمان، ومحفوظًا. وببغداد: الجُنيد، ورويمًا، وسمنونَ، وابنَ عطاء، والجريري. وبالشَّام: المَقدسي، وابنَ الجلاَّء، وأبا عمرو الدمشقي[2] وبمصر: أبا بكر المصري، والزَّقَّاق، والرُّوذْباري[1]

كتب الحديث الكثير، ورواه، وكان ثقة[1]

قال رحمه الله: دخلتُ بدمشق على أبي عبد الله بن الجلاَّء، فقال: متى دخلتَ دمشقَ؟ فقلتُ: منذ ثلاثة أيام. فقال: ما لك لم تَجئني؟ قلتُ: ذهبتُ إلى ابن جُوصا[3]، وكتبتُ عنه الحديث. فقال: شغلتك السُّنةُ عن الفريضة![4]

(*) طبقات الصوفية ٥٠١، المنتظم ٧/ ٥٢، المختار من مناقب الأخيار ٤/ ٣٠، مختصر تاريخ دمشق ١٧/ ٢٠٨، سير أعلام النبلاء ١٦/ ١٠٩، الوافي بالوفيات ٢٠/ ، طبقات الأولياء ١٣٧، البداية والنهاية ١١/ ٢٩٨، نفحات الأنس ١٧٢، طبقات الشعراني ١/ ٢٤، الكواكب الدرية ٢/ ١١٤

(١) طبقات الصوفية ٥٠١

(٢) كذا في الأصل، وانظر اسمه ومصادر ترجمته صفحة ٥٩٥.

(٣) هو أحمد بن عمير ابن جُوصا، مولى بني هاشم إمام حافظ، محدث الشام، توفي سنة ٣٢٠هـ. وفي (أ): ذهبت على ابن جوصا

(٤) طبقات الصوفية ٥٠٢، المختار ٤/ ٣٠

وسُئل عن التَّصوف، فقال: إسقاطُ رؤية الخَلْق ظاهرًا وباطنًا[1]

وقال: فسادُ القلوب على حسب فسادِ الزّمانِ وأهله[1]

وقال: ليس الفقيرُ مَنْ يُظهر فقرَه، إنَّما الفقيرُ من يكتمُ فقرَه، ويأنسُ به ويفرح[1]

وقال: كنتُ يومًا أُماشي [أبا] عبد الله ابنَ خفيف، فقال لي: تقدّمْ يا أبا الحسن. فقلتُ: بأيِّ عُذرٍ؟ فقال: بأنّك لقيتَ الجُنيد، وما لقيتُهُ[2]

وقال: زمانٌ يُذكَّرُ فيه بالصَّلاح، زمانٌ لا يُرجى فيه الصَّلاح[3]

* * *

---

(١) طبقات الصوفية ٥٠٣، المختار ٤/ ٣١

(٢) طبقات الصوفية ٥٠٤، المختار ٤/ ٣١

(٣) طبقات الصوفية ٥٠٣، المختار ٤/ ٣١

(١٠٤) أبو بكر محمّد الشَّبَهيّ(*)

ومنهم. أبو بكر محمد بن أحمد بن جعفر الشَّبَهِيّ. كان من أفتى مشايخ نيسابور في وقته، صحب أبا عثمان الحِيري[١]

مات قبل السّتين وثلاث مئة.

قال رحمه الله: الفتوّةُ حُسْنُ الخُلق، وبذلُ المعروف[٢]

وقال: العارفون يَقوون بمعروفهم، وسائرُ النّاس يَقوون بالأكلِ والشُّرب[٣]

وقال: يكفيك مِنْ حُسنِ الخُلق أن لا تُحزن بريئًا[٤]

وروي: أنَّه دخلَ عليه بعضِ أصحابه، فقال: أنا إِذا مشيتُ في السُّوق يقولُ النَّاس: انظروا إلى خشوع هذا المُنافق. فقال له: اتَّقِ الله، وخفْ على نفسِك؛ فإنَّ النَّبِيَّ ﷺ قال للمسلمينَ[٥]: «أنتم شُهداءُ الله في الأرض»[٦]

(*) طبقات الصوفية ٥٠٥، طبقات الأولياء ٢٤٣، نفحات الأنس ٢٨٣، طبقات الشعراني ١/ ١٢٥، الكواكب الدرية ٢/ ١٢٦

(١) طبقات الصوفية ٥٠٥

(٢) طبقات الصوفية ٥٠٦، نفحات الأنس ٢٨٣

(٣) طبقات الصوفية ٥٠٦، الكواكب الدرية ٢/ ١٢٦ وفي (ب): بمعرفتهم.

(٤) طبقات الصوفية ٥٠٦

(٥) رواه البخاري ٣/ ١٨١، في الجنائز، باب ثناء الناس على الميت، ومسلم (٩٤٩) في الجنائز، باب فيمن يثنى عليه، والترمذي (١٠٥٨)، والنسائي ٤/ ٤٩، والطبراني في الأوسط ٣/ ٧١، وقوله ﷺ كان لمّا أثنت الصحابة على جنازةٍ خيرًا، فقال ﷺ: «وجبت» ثمَّ أثنت على جنازة أُخرى شرًّا، فقال: «وجبت» ثمَّ قال: «أنتم شهداء...».

(٦) طبقات الصوفية ٥٠٦.

(١٠٥) أبو بكر محمد الفرَّاء(*)

ومنهم: أبو بكر محمد بن أحمد بن حَمدون الفرَّاء. وهو من كبارِ مشايخ نيسابور(١)

صحب: أبا علي الثَّقفي، وعبد الله بنَ مُنازل، وأبا بكر الشِّبلي، وأبا بكر بن طاهر، وغيرَهم من المشايخ(١)

وكان أوحدَ وقته في طريقته(١)

قال رحمه الله. من لم يُؤثرِ الله على كلِّ شيءٍ، لا يصلُ إلى قلبه نورُ المعرفة بحالٍ(٢)

وقال: يصحُّ للمرءِ عملُه على قدر اهتمامه بالدُّخول فيه، وحُزنِهِ على تقصيره، وجُهدِهِ في الخروج منه على السُّنة(٣)

وقال: كتمانُ الحسنات أولى من كتمانِ السَّيئات؛ فإنَّك بذلك ترجو النَّجاة(٤)

وقال: الآمرُ بالمعروف يجبُ أن يبدأ بنفسه، ويصبرَ على ما يلحقُه في

(*) طبقات الصوفية ٥٠٧، طبقات الأولياء ٢١٤، نفحات الأنس ٢٨٢، طبقات الشعراني ١/ ١٢٥، الكواكب الدرية ٢/ ١٢٦

(١) طبقات الصوفية ٥٠٧

(٢) طبقات الصوفية ٥٠٨، نفحات الأنس ٢٨٢

(٣) طبقات الصوفية ٥٠٨

(٤) طبقات الصوفية ٥٠٨، نفحات الأنس ٢٨٢

ذلك، ويكون عالِمًا بما يأمر به، وينهى عنه[1]

وقيل له: منِ الأبرار؟ فقال: هم المُتَّقون[2]

* * *

(١) طبقات الصوفية ٥٠٨

(٢) طبقات الصوفية ٥٠٨، طبقات الأولياء ٢١٥، وفي (أ): هم المقربون.

(١٠٦) أبو عبد الله بن أحمد المُقرئ(*)

(١٠٧) أبو القاسم بن أحمد المُقرئ(**)

ومنهم أبو عبد الله محمد وأبو القاسم جعفر ابنا أحمد بن محمد المُقرئ.

فأمَّا أبو عبد الله فإنَّه صحب: يوسف بنَ الحسين، وعبد الله الخرَّاز الرَّازي، ومظفَّر القِرْميسيني، ورويمًا، والجريري، وابن عطاء.

وكان من أفتى المشايخ وأسخاهم، وأحسنِهم خُلُقًا، وأعلاهم همَّةً، وأثخنهم[١] دينًا وورعًا

مات سنة ستٍّ وستين وثلاث مئة.

وأمَّا أبو القاسم فإنَّه كان أوحدَ مشايخ خراسان في وقته وطريقته، عالي الحال، شريف الهمَّة، لم يُلقَ أحدٌ[٢] من المشايخ في زمانه مثلُ سمتِهِ ووقاره وجليسه.

صحب: ابن عطاء، والجَريري، وابن أبي سعدان، وابن مُمشاذ، والرُّوذْباري.

(*) طبقات الصوفية ٥٠٩، المختار من مناقب الأخيار ٤/ ٢٢٧، طبقات الأولياء ٧٥، نفحات الأنس ٣٨٧، طبقات الشعراني ١/ ١٢٥، الكواكب الدرية ٢/ ١٢٧

(**) طبقات الصوفية ٥٠٩، المختار من مناقب الأخيار ٤/ ١٥٤، طبقات الأولياء ٧٥، نفحات الأنس ١٨٥، طبقات الشعراني ١/ ١٢٥، الكواكب الدرية ٢/ ١٢٧.

(١) في طبقات الصوفية ٥٠٩: وأتمَّهم.

(٢) في طبقات الصوفية ٥٠٩: لم تلق أحدًا.

مات بنيسابور سنة ثمانٍ وسبعين وثلاث مئة.

قال أبو عبد الله: الفقيرُ الصَّادق الذي يملكُ كلَّ شيءٍ، ولا يَملكُه شيء[1]

وقال: الفتوَّةُ حُسن الخلق مع من تُبغضه، وبذلُ المال لمن تكرهه، وحُسن الصُّحبة مع مَنْ يَنفرُ قلبك عنه[2]

وقال أبو القاسم: الفتوَّةُ رؤيةُ فضلِ الناس بنقصانك[3]

وقال: الحريةُ مُوافقة الإخوان فيما هم فيه ما لم يكن خِلافًا للعلم[4]

وقال: ليس بسخيٍّ من طالع شيئًا من بذله أو ذكره؛ وإنَّما السَّخيُّ من إذا تسخَّى استحيا من ذلك، واستصغرَه، وأنفَ من ذكره[4]

وقال أبو عبد الله: أوَّلُ ما صحبت عبد الله الخرَّاز: قلتُ له: بماذا تأمرني أيُّها الشَّيخ؟ فقال: بثلاثةٍ: بالحرصِ على أداءِ الفرائض بأتمِّ جُهدك، والاحترامِ لجماعة المسلمين، واتِّهام خاطرك إلاَّ ما وافق الحقّ[5]

وقال: التَّصوف استقامةُ الأحوال مع الحقّ[6]

وقال: أوائلُ بركة الدُّخول في التَّصوف أنْ تُصدِّقَ الصَّادقين في الإخبار عن أنفسهم، وعن مشايخهم[7]

---

(١) طبقات الصوفية ٥١٠، المختار ٤/ ١٥٥

(٢) طبقات الصوفية ٥١١، المختار ٤/ ١٥٥

(٣) طبقات الصوفية ٥١١، المختار ٤/ ٢٢٨، وفي (أ): رؤية فضل الله للناس.

(٤) طبقات الصوفية ٥١١، المختار ٤/ ٢٢٨

(٥) طبقات الصوفية ٥١١، ٥١٢، المختار ٤/ ١٥٥

(٦) طبقات الصوفية ٥١١، والقول فيه لأبي القاسم، المختار ٤/ ١٥٥

(٧) طبقات الصوفية ٥١١، والقول فيه لأبي القاسم، المختار ٤/ ١٥٥، وجاء في (ب) بعده وكأنه رواية ثانية للخبر أوائل رضا الله أن تصدق الصادقين.

وقال: خرجتُ من طَرَسُوس حافيًا، وكان معي رفيقٌ لي، فدخلنا بعض قُرى الشَّام، فجاءني فقير بحذاءٍ، فامتنعتُ من قبوله، فقال لي رفيقي: البس هذا، فقد عييت[١]، فإنَّه فُتح لك بهذا النَّعل بسببي. فقلتُ: ما لك؟ فقال: نزعتُ نعلي موافقةً لك، ورعايةً لحقِّ الصُّحبة[٢]

وقال: ما قبل أحدٌ منِّي شيئًا إلاَّ رأيتُ له منَّةً عليَّ، لا يُمكنني القيام بواجبها أبدًا[٣]

وذكر جماعةٌ من مشايخ الرَّيِّ أنَّ أبا عبد الله ورثَ من أبيه خمسين ألف دينار سِوى الضِّياع والعِقار، فخرج عن ذلك كلِّه[٤]، وأنفقَه على الفقراء، فسُئل عن ذلك، فقال: أَحرمتُ وأنا غلامٌ حَدَثٌ، وخرجتُ إلى مكَّةَ على التَّجريدِ والوَحدة والتَّقطُّع حتَّى لم يبقَ لي شيءٌ أرجعُ إليه، فكان اجتهادي أن أزهدَ في الكُتبِ والحديث، وما جمعتُ من العلم، فكان الزُّهدُ في العلم أشدَّ عليَّ من الخروج، إلى مكَّة، والتَّقطُّع في الأسفار والخروج عن ملكي[٥]

وأنشد أبو القاسم لغيره:

أَقِلْني عثرتي واسمع دُعائي[٦] ... فأنتَ اليومَ في الدُّنيا رَجائي
لقد أَعيا الأَطبَّةَ ما دوائي[٧] ... وعندك يا عزيزُ دواءُ دائي
دوائي نظرةٌ فيها شِفائي ... شِفائي في لقائك يا منائي[٨]

---

(١) في (أ) و(ب): عميت، والمثبت من الرسالة القشيرية
(٢) الرسالة القشيرية ٤١٤ (أحكامهم في السفر)، المختار ٤/ ١٥٦
(٣) طبقات الصوفية ٥١١، المختار ٤/ ١٥٥
(٤) في (ب): عن جميع ذلك.
(٥) طبقات الصوفية ٥١٢، المختار ٤/ ١٥٦
(٦) في (أ) واسمع دعائي وأرحم بكائي. وكأن الناسخ يشير إلى رواية أخرى للبيت.
(٧) في (أ): دواء دائي.
(٨) طبقات الصوفية ٥١١.

وقال أبو القاسم: السَّماعُ على ما فيه من اللَّطافة، فيه خطرٌ عظيم إلاَّ لمن سمعَه بعلمٍ غزير، وحالٍ صحيح، ووجدٍ غالب من غيرِ حظٍّ له فيه[1]

وقال أيضًا: العارفُ من شغله معروفُه عن النَّظرِ إلى الخَلق بعينِ القبول والرَّد[1]

وقال أبو عبد الله: من تعزَّز عن خدمةِ إخوانه، أورثَهُ اللهُ ذلاً لا انفكاكَ له منه أبدًا[2]

* * *

---

(١) طبقات الصوفية ٥١٢، المختار ٤/ ٢٢٨

(٢) طبقات الصوفية ٥١٢، المختار ٤/ ١٥٥

(١٠٨) أبو محمَّد الرَّاسبي (*)

ومنهم: أبو محمَّد عبد الله بن محمد الرَّاسِبي بغداديُّ الأصل، من جِلّة مشايخهم.

صحبَ: ابنَ عطاء، والجريري[١]

رحل إلى الشَّام، ثمَّ عادَ إلى بغداد، ومات بها سنة سبعٍ وستين وثلاث مئة[٢]

قال رحمه الله: القلبُ إذا امتُحنَ بالتَّقوى، نُزِعَ عنه حبُّ الدُّنيا وحبُّ الشَّهوات، وأُوقف على المغيبات[٢]

وقال: المحبَّةُ إذا ظهرت، افتضحَ فيها المحبُّ، وإذا كُتمتْ قُتل المحبُّ كمدًا وأنشد على إثره:

ولقد أفارقُهُ بإظهارِ الهوى عمدًا ليسترَ[٣] سرَّهُ إعلانُهُ
ولربَّما كتم الهوى إظهارُهُ ولربَّما فضحَ الهوى كتمانُهُ
عِيُّ المحبِّ لدى الحبيبِ بلاغةٌ ولربَّما قتلَ البليغَ لسانُهُ
كم قد رأينا قاهرًا سلطانه للنَّاسِ ذلَّ بحبِّهِ سُلطانُهُ[٤]

(*) طبقات الصوفية ٥١٣، المختار من مناقب الأخيار ٣/ ٤٩٠، طبقات الأولياء ٧٦، نفحات الأنس ٣٨٩، طبقات الشعراني ١/ ١٢٥، الكواكب الدرية ٢/ ١١١.
والراسبي نسبة إلى بني راسب من الأزد.

(١) طبقات الصوفية ٥١٣

(٢) طبقات الصوفية ٥١٣، المختار ٣/ ٤٩٠

(٣) في (أ) عزًّا ليستر.

(٤) طبقات الصوفية ٥١٣، المختار ٣/ ٤٩٠

وقال: خلقَ اللهُ الأنبياء عليهم السَّلام للمُجالسة، والعارفين للمُواصلة، والصَّالحين للمُلازمةِ، والمؤمنين للعبادة والمُجاهدة[1]

وقال في قوله تعالى: ﴿ تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنْيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلْآخِرَةَ ﴾ [الأنفال ٦٧]. جمع بين إرادتين، فمن أرادَ الدُّنيا دعاه الله إلى الآخرة، ومن أرادَ الآخرة دعاه الله إلى قربه. وقال الله تعالى: ﴿ وَمَنْ أَرَادَ ٱلْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴾ [الإسراء ١٩]. والسَّعي المشكور هو البلوغ إلى منتهى الآمال من القربِ والدُّنوِّ[2]

وقال: البلاءُ هو صحبتُكَ مع من لا يُوافقك، ولا تستطيعُ تركَه[3]

وقال: أعظمُ حجابٍ بينك وبين الحقِّ اشتغالُك بتدبير نفسك، واعتمادُك على عاجزٍ مثلِك في أسبابك[4]

وقال: الصُّوفيُّ لا يكون صوفيًا حتَّى لا تقلَّهُ الأرضُ، ولا تظلَّهُ السَّماء، ولا يكونَ له قبولٌ عند الخلق، ويكون مرجعُهُ في كلِّ أحواله إلى الحقِّ[4]

وقال: الهمومُ عقوباتُ الذُّنوب[4]

* * *

---

(١) طبقات الصوفية ٥١٣، المختار ٣/ ٤٩١

(٢) طبقات الصوفية ٥١٤

(٣) طبقات الصوفية ٥١٤، المختار ٣/ ٤٩١

(٤) طبقات الصوفية ٥١٣، المختار ٣/ ٤٩١

(١٠٩) أبو عبد الله الدِّينَوَري (*)

ومنهم: أبو عبد الله محمد بن عبد الخالق الدِّينَوَري من جلَّة المشايخ، وأكبرهم حالاً، وأعلاهم همَّةً، وأفصحِهم في علوم هذه الطَّائفة مع ما كان يرجع إليه من صحَّة الفقر(١)، والتزام آدابه، ومحبَّة أهله.

أقام بوادي القُرى(٢) سنين، ثمَّ عاد إلى الدِّينور، ومات بها(٣)

قال رحمه الله: صحبة الصِّغار مع الكبار من التَّوفيقِ والفِطنة، ورغبةُ الكبار في صحبةِ الصِّغار خذلان وحُمق(٤)

وقال لبعض أصحابه: لا تُعجبنَّكَ ما ترى من هذه اللِّبسة الظَّاهرةِ عليهم، فما زيَّنوا الظَّواهر إلاَّ بعد أن خرَّبوا البواطن(٤)

وقال: اختيارُ الله لعبده مع علمِهِ بعبده خيرٌ من اختيار العبدِ لنفسه مع جهله بربِّه(٥)

(*) طبقات الصوفية ٥١٥، المختار من مناقب الأخيار ٤/ ٣٩٤، روض الرياحين ٢٨٦ (حكاية ٢٢٤)، طبقات الأولياء ٢٩٦، نفحات الأنس ٣٩٠، طبقات الشعراني ١/ ١٢٦، الكواكب الدرية ٢/ ١٢٩

(١) في طبقات الصوفية ٥١٥ صحبة الفقر.

(٢) وادي القرى: وادٍ بين المدينة والشام، من أعمال المدينة كثير القرى.

(٣) طبقات الصوفية ٥١٥

(٤) طبقات الصوفية ٥١٥، المختار ٤/ ٣٩٤

(٥) طبقات الصوفية ٥١٦، المختار ٤/ ٣٩٤

وأنشد لنفسه أو لغيره:

أيا مَنْ صفا شُربُ الودادِ فؤاده فـأَصبـحَ ريَّـانًـا لتلـك المَشـاربِ
أغثني فما لي عنك بالصَّبرِ طاقةٌ وَجُدْ لي فقد ضاقَتْ عليَّ مذاهبي[1]

وروي: أنَّه دخلَ عليه رجلٌ، فقال له: كيفَ أَمسيت؟ فأنشأَ يقول:

إذا اللَّيــلُ أَلبسنــي ثَــوبَــهُ تَقلَّــبَ فيــه فتــىً مُــوجــعُ[2]

وأنشد أيضًا:

بنفسـي مـن نفى عنِّي نُعـاسـي وأَرّقنـي وبـاتَ ولـم يـواسِـي
ومَـنْ حُبِّـي لـه أبـدًا جَـديـدٌ وثـوبُ صُـدودِهِ أبـدًا لبـاسِـي
يسـيءُ فـلا أُؤاخـذُهُ بـذنـبٍ وألـزم ذنبـه كـلاًّ بـرأسِـي[3]

وقال: تعبُ الزُّهدِ على البدن، وتعبُ المعرفةِ على القلب[4]

وقال: أرفعُ العلوم بالتَّصوف علمُ الأسماء، والصِّفات، وتمييزُ الخلاف من الاختلافِ، وإخلاصُ أعمال الظَّاهر، وتصحيح أحوال البواطن[5]

وقال: رأيتُ في بعضِ أسفاري رجلاً يقفز بإحدى رجليه، فقلت له: ما لك والسَّفر مع فقدان الآلة؟ فقال لي: أمُسلمٌ أنت؟ فقلت: نعم. فقال: اقرأ قوله تعالى: ﴿وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾ [الإسراء: ٧٠]. إذا كان هو الحامل، حملَ بلا آلة[6]

تم الكتاب

---

(١) طبقات الصوفية ٥١٦، وفي (أ): ضاقت علي المذاهب
(٢) طبقات الصوفية ٥١٦، المختار ٤/ ٣٩٤
(٣) طبقات الصوفية ٥١٦، طبقات الأولياء ٢٩٧
(٤) المختار ٤/ ٣٩٤
(٥) طبقات الصوفية ٥١٦، وفي (أ): وإخلاص عمل الظواهر بها.
(٦) طبقات الصوفية ٥١٧.

[خاتمة الكتاب]

هذا ما انتهى إلينا من «مناقب الأبرار» والحمد لله وحده، وقد ذكرتُ فيه جميع ما نقل من كلمات المشايخ المشار إليه، وحكاياتهم، وأحوالهم من سائر الكتب التي هي مسموعاتي عن مشايخي رحمة الله عليهم، ونسأل الله تعالى أن يوفقنا لسلوك طرائقهم، والتخلّق بأخلاقهم، ويحشرنا في زمرتهم، ويميتنا على محبّتهم، ويعيذنا من بغضهم، فهو على ما يشاء قدير وبالإجابة جدير، وصلواته على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين[1]

* * *

(١) جاء في نسخة (أ) ما نصه انتهى الكتاب في «مناقب الأبرار» وأُلحقُ به تتمّةَ ما أُلحق بالتّراجم حتّى أنتهي إلى آخره، ونلحق به الآن ما زِيد في الكتاب بعد تمامه بحوله وقوّته، أذكر ذكر ما زِيد في الكتاب بعد تمامه.

التَّتمَّةُ

زيادات ابن خميس من مسموعاته

قال القاضي الإمامُ الكامل مجدُ الدِّين تاجُ الإسلام أبو عبد الله الحسين بن نصر بن محمد بن خميس رحمه الله : وبعد الفراغ من الكتاب ظهر لي في جملةِ مسموعاتي نوادرُ من أخبار جماعةٍ من الصَّالحين الذين لم أذكر أسماءَهم في الكتاب على طريقِ التَّعين والاستقلال، فآثرت إضافتها إليه ، وبالله التّوفيق .

* * *

(١١٠) قال أبو علي بن موسى المعدل بدمشق: كنتُ بمصرَ، فقال لي بعضُ أصحابنا: يا أبا علي، ههنا حكايةٌ عجيبةٌ، قمْ حتَّى نسمعها من أحمد بن طاهر القزاز قال: فجئنا إليه، وسألوه أن يحكي لي حكايةَ أبي شُعيب المقفع[١] فقال: هذا رجلٌ سوقيٌّ، كيف أَحكي له هذه الحكاية؟ فقيل له: لا تحقره، احكِها له. فقال: نعم، كان لنا ههنا بمصر بيت ضيافة، فجاءنا فقيرٌ عليه خرقتان، يُكنى بأبي سليمان، فقال: الضِّيافة. فقلتُ لابني: امضِ معه إلى البيت. فأقام عندنا تسعة أيامٍ أكلَ فيها ثلاثَ أكلاتٍ، كلَّ ثلاثةِ أيامٍ أَكْلةً، فسألتُه[٢] المقامَ عندنا، فأبى، وقال: أريد الثَّغر، فسألتهُ أن لا يقطع أخباره عنِّي، فغاب عني اثنتي عشرة سنة، ثمَّ قدمَ، فقلتُ له: ويحك، ما كتبتَ إليَّ بأخبارك. فقال: لم أبلغِ الثَّغر، وإنما اجتزتُ بالرّملة، فرأيتُ فيها شيخًا يُقال له أبو سعيد المُبْتَلَى، فأقمتُ عنده أخدمه، فوقع في نفسي: أيش كان سبب بلائه؟ فلمَّا دنوتُ منه ابتدأني قبل أن أسأله، فقال لي: وما سؤالك عمَّا لا يعنيك؟ فصبرتُ سنةً أخرى، ثمَّ تقدَّمتُ إليه لأسأله، فقال لي: يا هذا، ما سُؤالك عمّا لا يعنيك؟ فصبرتُ سنةً أخرى، ثمَّ تقدَّمتُ إليه لأسأله، فقال لي في الثَّالثة: لابدَّ لك؟ فقلتُ له: إن رأيتَ. فقال: نعم، بينما أنا أُصلّي باللَّيل في محرابي حتَّى بدا لي في المحراب نورٌ شعشعاني كاد أن يخطفَ بصري، فقلتُ. اِخسأ يا ملعون، فإنَّ ربِّي تعالى أعظمُ وأجلُّ من أن يبرز للخلق. ثمَّ صبرتُ برهةً، فبدا لي نورٌ ثانٍ كاد يخطَفُ بصري، فقلتُ: اِخسأ يا ملعون، فإنَّ ربِّي أجلُّ وأعظمُ من أن يبرز للخلق. ثمَّ بدا لي في الثَّالثة أشدُّ مما بدا لي وأقوى، فقلتُ: يا ملعون، لو برزت السَّموات،

---

(١) في نفحات الأنس ١١٦ المقنّع.

(٢) في (أ): فسمته.

والأرض، والعرشُ، والكرسي لكان ربي أعزَّ وأجلَّ من أن يبرز للخلق.
قال ثمَّ سمعتُ نداءً ملكيًا من المحراب يا أبا شعيب قلتُ لبَّيك، لبَّيكَ، لَبيك قال تحبّ أن أقبضك في وقتك هذا، أو أُجازيك على ما مضى لك، أو أبتليكَ ببلاءٍ أرفعكَ به في علّيين؟ فسكتُّ سكتةً، ثمَّ قلتُ بلاءَك، بلاءَك فسقطت عيناي، ويداي، ورجلاي

قال فمكثتُ أخدمه اثنتي عشرة سنة، فقال لي في بعض الأيام، وعيناه كأنَّها سُكرجتان[1] ترى ما أرى؟ قلتُ لا قال فتسمع ما أسمع؟ قلتُ لا فقال ادنُ مني فدنوت منه، فسمعتُ أعضاءَهُ يُخاطب بعضُها بعضا، يقول العضو لما يليه. ابرز منه حتَّى أبرز فبرزت أعضاؤه كلُّها بين يديه صبَّةً واحدةً، تسبِّحُ وتقدسُ، ولولا أنَّه قد مات رحمه الله ما حدَّثتكم بهذا

(١١١) وقال أبو سليمان المغربي كنتُ أحملُ الحطب من الجبل، وأتقوّتُ من ثمنه، وكان طريقي فيه التّوقّي والتَّحرّي، قال: فرأيتُ في المنام جماعةً من البصريين منهم. الحسن البصري، وفرقد السَّبَخي، ومالك بن دينار فسألتهم عن علم حالي، فقلتُ أنتم أئمةُ المسلمين، دلّوني على الحلال الذي ليس لله فيه تبعةً، ولا للخلق فيه منَّةٌ. فأخذوا بيدي، وأخرجوني من طرسوس إلى مرج خبازى، فقالوا لي هذا حلال الذي ليس لله فيه تبعةٌ، ولا للمخلوق فيه منةٌ

قال فمكثتُ آكلُ منه أشهرًا نيئًا ومطبوخًا في دار السَّبيل، فظهر لي حديثٌ، فقلتُ هذه فتنةٌ فخرجتُ من دار السَّبيل، ومكثتُ آكله ثلاثة أشهرٍ أُخر فأوجدني الله قلبًا طيبًا حتَّى قلتُ إن كان أهلُ الجنةِ بهذا

---

(١) السُكُرُجة والسُّكرُجة: قصاع صغار يؤكل فيها، وكانت العرب تستعملها في الكوامخ وأشباهها من الجوارش على الموائد حول الأطعمة للتشهّي والهضم متن اللغة.

القلب الذي لي، فهم واللهِ العظيم في شيءٍ طيبٍ. وما كنتُ آنسُ بكلام الخلق.

فخرجتُ يومًا من باب قَلَمْية[1] إلى صهريج يُعرف بالمدفق[2]، فجلستُ عنده، وإذا أنا بفتًى قد أقبل من ناحية لامِس[3] يُريد طَرَسوس، وقد بقي معي قطيعاتٌ من ثمن الحطب الذي كنتُ أجيء به من الجبل، فقلتُ: أنا قد رضيتُ بالخبازى، أُعطي هذه القطع لهذا الفقير، إذا دخل طَرَسوس يشتري بها شيئًا يأكله. فلمَّا دنا منِّي، أدخلتُ يدي إلى جيبي حتَّى أُخرجَ الخرقةَ، فإذا بالفقير قد حرّك شفتيه، وإذا كلُّ ما حولي من الأرض ذهبٌ يتَّقدُ، حتَّى كاد يخطَفُ بصري، وألبسني منه هيبةً، فجاز، فلم أُسلّم عليه من هيبته

فقيل لأبي سُليمان: هل رأيتَهُ بعد ذلك؟ فقال: نعم، خرجتُ يومًا خارجَ طرسوس، فإذا أنا بالفتى جالس تحت برجٍ من الأبرجةِ، وبين يديه ركوةٌ فيها ماء، فسلّمتُ عليه، ثمَّ استدعيتُ منه مَوعظةً، فمدَّ رجليه، وقلبَ الماء، ثمَّ قال: إنَّ كثرةَ الكلام تُنشّفُ الحسنات، كما يُنشّف الأرضُ هذا الماء، قم؛ فقد كفتك[4]

* * *

(١١٢) وقال محمد بن يوسف الفريابي: سمعتُ أبا سنان وكان رجلاً دهانًا يدورُ في جبال بيت المقدس يقول: نزلتُ على رجلٍ فقال لي: امضِ

---

(١) باب قلمية أحد أبواب طرسوس، منسوب لكورة قلمية في بلاد الروم. انظر معجم البلدان ٤/ ٣٩٢

(٢) في (أ): بالمدقف، وفي المختار ٥/ ٣٩١: بالمدنف.

(٣) لامس: قرية على بعد مرحلة من قلمية، على شط بحر الروم من ناحية طرسوس. معجم البلدان.

(٤) صفة الصفوة ٤/ ٢٨٥، المختار ٥/ ٣٩١.

نُعزِّي رجلاً[1] مات أخوه. فذهبتُ معه، فإذا رجلٌ جزعٌ لا يَقبلُ العزاء، فقلنا له: يا هذا، اتَّقِ الله، واعلمْ أنَّ الموتَ سبيلٌ لا بدَّ لنا منه، وهو آتٍ على الخلق أجمعين. قال: قد علمتُ أنَّ الأمر على ما تقولون[2]، ولكني أجزعُ على ما يُمسي فيه أخي ويصبح. فقلتُ: سبحان الله، هل أطلعكَ اللهُ على الغيب؟ فقال: لا، ولكن[3] لمَّا دفنتُه وسوَّيتُ عليه التّرابَ، إذا صوتٌ من القبرِ يقول: أوّه. فقلتُ: أخي واللهِ أخي، فكشفتُ التّرابَ، فقيل لي: يا عبد الله، لا تنبشْهُ. فرددتُ عليه التّرابَ، فلمَّا ذهبتُ أقوم قال: أوّه. فقلتُ: أخي والله، أخي واللهِ حيٌّ. ثمَّ كشفتُ التّرابَ، فقيل لي: لا تفعلْ. فرددتُ عليه التّرابَ كما كان، فلمَّا ذهبتُ أقوم، فإذا هو يقول: أوّه. فقلتُ: واللهِ، لا تركتُ نبشَهُ. فنبشتُهُ، فإذا هو مطوَّقٌ في وسطه بطوقٍ من نار، قد التمعَ عليه القبر نارًا، فطمعتُ أن أقطعَ ذلك الطَّوقَ، فضربتُهُ بيدي لأقطعَهُ، فذهبتْ أصابعي. قال: ثمَّ أظهرَ إلينا يدَهُ، فإذا أصابعُهُ الأربعة قد ذهبتْ.

قال: فأتيتُ الأوزاعي رحمه الله، فحدَّثتُهُ وقلتُ له: يا أبا عمرو، يموتُ اليهوديُّ والنَّصرانيُّ وغيرهم من الكفار فلا يرُى فيهم مثلُ هذا، ويموتُ هذا على التَّوحيد والإسلام يُرى هذا فيه؟ فقال: نعم، أولئك لا شكَّ أنَّهم من أهل النَّار، وإنَّما يُريكم الله تعالى هذا في أهلِ التَّوحيد لتعتبروا[4]

* * *

(١١٣) وقال أبو إسحاق إبراهيم الخوّاص رحمه الله: كنتُ في طريق مكَّة في باديةٍ كُنتُ سلكتها مرارًا، فضللتُ عن الطَّريق، فذهبتُ أمشي

---

(١) في (ب): امض بنا نعزي جار لنا (كذا) مات.
(٢) في (أ): على ما تقول.
(٣) في (ب): ولكني لمَا.
(٤) روض الرياحين ٤٢٢ (الحكاية: ٣٩١).

يومي حتَّى أدركني المساء، فاغتممتُ بسبب الوضوء، وفقدِ الماء، وكانت ليلةً مُقمرةً من اللَّيالي البيض كأنها نهارٌ، فبينا أنا مفكرٌ وإذا بصوتٍ ضعيفٍ لطيف: إليَّ يا أبا إسحاق، فإنِّي سألتُ الله تعالى أن يحضرَ وفاتي وليٌّ من أولياء الله، وأرجو أن يكون فَعَل، وأنا منتظرُك من صلاة الغداةِ. فدنوتُ منه، فإذا شابٌّ حسنُ الشَّباب مَطروحٌ ليس به حركة، وإذا عند رأسه ضبائرُ رياحين كثيرةٌ، منها ما عرفته، ومنها لم أعرفه، فتعجّبتُ منه، وقلتُ له: فديتُكَ، ما الذي حبسكَ ههنا؟ فقال: كنتُ بين أهلي في عزٍّ ورفاهية، فخطر على سرِّي السَّفرُ، وتمنَّيتُ الغربةَ، فخرجتُ من مدينة سُميساط حتَّى وقعتُ إلى هذه البقعة منذ شهرٍ، وقد احتضرتُ. فقلتُ له: ألكَ والدان؟ قال: نعم، وإخوةٌ وأخواتٌ وأهلٌ كثيرٌ. فقلتُ له: هل خطروا على سرِّكَ؟ قال: لا، ما خطروا على سرِّي إلا اليوم، فإنِّي أحببتُ أن أشمَّهم وأجدِّدَ العهدَ بهم، فاحتوشتْ حولي جماعةٌ من الوحوش، وبكوا معي، وهذه الرَّياحينُ هم حملوه إليَّ.

قال أبو إسحاق: فبقيتُ متحسِّرًا في أمري وأمره، أتفكَّرُ، ووقع الشَّابُّ على قلبي، وجذب سرِّي، فبينا كذلك إذ أقبلتْ حيَّةٌ عظيمةٌ، معها طاقةُ نرجس وردُها نحو ثلاثة أذرعٍ في ثلاثةِ أذرع، وكأنَّما تقول لي: يا إبراهيم، اعدلْ بسرِّكَ عن الشَّاب، فإنَّ الحقَّ غيورٌ. فصحتُ صيحةً ما أفقتُ إلاَّ والشَّابُّ قد فارقَ الدُّنيا، فقلتُ في نفسي: إنَّا لله، هذه محنةٌ عظيمةٌ، كيف أَعملُ في غسله وكفنه ودفنه؟ ثمَّ وقع عليَّ النُّعاسُ، فما انتبهتُ إلاَّ بحرِّ الشَّمس، وإذا أنا على الجادَّةِ التي أعرفُها، وأنا متحسِّرٌ على الشَّاب منذ ثلاثين سنة.

قال أبو إسحاق: فلمَّا رجعتُ من الحجِّ، قلتُ: واللهِ، لأمضينَّ إلى سُميساط، ولأَسألنَّ عن الشَّابِّ، فلمَّا بلغتُ مُصلَّى سُميساط، استقبلتني امرأةٌ عليها مُرقَّعةٌ وإزارٌ مُرقَّع، وبيدها ركوةٌ، فما رأيتُ أحدًا أشبَه بوجهِ الشَّاب من وجهها، فقلتُ في نفسي: هذا فخٌّ من فخوخ الشَّيطان،

فأطرقتُ أنظر بين يدي، فنادتني المرأة: يا أبا إسحاق، أنا أنتظرُكَ منذ أيام، حدِّثني كيف رأيتَ الشَّابَّ قُرَّةَ عيني وثمرةَ فؤادي؟ فوصفتُ لها حالَهُ، وما شاهدتُ منه حتَّى بلغتُ قولَهُ: أردتُ أن أشمَّهم. فقالتْ: هاه، قد بلغ الشَّمّ[1] ثمَّ سقطتْ إلى الأرض ميتةً، وذلك عند رِباطٍ من رباطات سُميساط.

فخرجن أترابٌ لها، عليهن المُرقعاتُ والفوط، فاحتوشْنَها وبكينها، وقالوا لي: يا أبا إسحاق، جزاكَ الله خيرًا، لقد أرحتَها. فحضرتُ جنازتَها، وحضر خلقٌ عظيمٌ كبير لا يعلمُ عددَهم إلاَّ الله، وبقيتُ عند قبرِها في الرِّباط شهرًا، ثمَّ عدتُ إلى مصرَ، والحمد الله وحده[2]

* * *

(١١٤) وقال أبو جعفر الفرغاني: كنتُ عند بعضِ إخواننا من الصُّوفية بالدِّينور، فجاءه قومٌ من الأكراد ليشتري لهم متاعًا، ثمَّ قالوا له لو علمتَ لمن نشتري هذا المتاع، لسارعت إلى شرائه. فقال لهم[3]: حدثوني. قالوا: نعم، وأومؤوا إلى رئيسٍ لهم كانوا معه، فقالوا له: هذا سيِّد الحيِّ، وكانت له زوجةٌ، فولدت له عدَّةً من البنات، فقال لها وهي حامل: إن ولدتِ بنتًا، فأنت طالق. وقضى الله أنَّا رحلنا رحلةَ الشِّتاء، نُريد نحو المَراغة[4] ونواحيها، فبينا نحن نسيرُ ذات يومٍ، ضربَ المرأةَ الطَّلقُ، فأخذتْ ماءً كأنَّها تُريد تتوضأ للصلاة، فولدت جاريةً، فأخذتها ولفَّتْها في خرق، وتركتها عند كهفِ جبلٍ، فجاءت وأظهرتْ أن ذلك الحمل كان ريحًا، وقد انفشَّ.

---

(١) في (ب): قد بلغ الشمّ الشّمّ.
(٢) روض الرياحين ١٤٦ (الحكاية: ٦٥).
(٣) في (أ): فقلت لهم: حدثوني.
(٤) المَراغة: بلدة مشهورة عظيمة، أعظم بلاد أذربيجان وأشهرها. معجم البلدان.

وغبنا عن الموضع ستة أشهر، ثمَّ رجعنا، ونزلنا بذلك المكان، فأخذتِ المرأةُ ماءً، ومضتْ نحو الكهف الذي تركت فيه الصَّبية، فلمَّا قربتْ منها إذا غزالةٌ قائمةٌ عند الصَّبية، وهي ترضعُ منها، فلمَّا أبصرَتْها الغزالةُ استوحشتْ وذهبتْ، وجاءتِ الأمُ إلى الصَّبية، فأخذتها، فبكتِ الصّبيةُ وشهقت، فوضعتها وتنحّتْ ناحيةً، فرجعتْ الغزالةُ، فلم تزلْ تُرضع الصّبيةَ وهي ساكنةٌ، فجاءتِ المرأة إلى الحيِّ، وأخبرتهم بذلك، وسمع زوجُها، فمضى أهلُ الحيِّ بأجمعهم إلى الكهف، فرأوا الغزالة تُرضع الصّبيةَ، فلمَّا حسَّتْ بهم تنحَّتْ ناحيةً، فبكت الصّبيةُ، فأخذتها النّساء، ولم يزلْنَ يَرفقن بها حتَّى سكنتْ وأنستْ، وجاؤوا بها إلى الحيِّ، وبقيتْ الغزالةُ تنظرُ إليهم من بعيد حتَّى رحلنا. وهذا المتاعُ الذي نشتريه جهازٌ لها، وقد زوَّجها أبوها[1]

* * *

(١١٥) **وقال أبو بكر المصري**: رأيتُ أبا جعفر الدَّامغاني بمدينة الرّسول ﷺ، فقلتُ له: يا أبا جعفر، إذا خرجتَ أخرجُ معك، فرأيتُهُ يكره ذلك، فما زلتُ أُراعيه إلى وقتِ خروجه، فلمَّا تحرَّك سبقتُهُ إلى ذي الحُليفة، فجاء بعد العشاء، فاغتسل من بئرِ النَّبيِّ عليه السَّلام، ودخل المسجدَ وركع وقام من الزَّاوية، فتقدَّمتُ إليه، وسلَّمتُ عليه، فقال: إليَّ جئتَ؟ فقلتُ: نعم يا سيِّدي. فأحرمَ وخرجَ من المسجد، فلمَّا استوينا على الطَّريق، قال لي: ضعْ رجلَك حيثُ أرفع. فما زلتُ أفعلُ ذلك، وأُراعي المنازلَ حتَّى طلعتِ الهَقْعَةُ[2]، ونحن في سقاية نخلة، فقلتُ له: يا سيِّدي، هذه سقاية نخلة؟ قال: نعم. فقلتُ له: يا سيِّدي، فأين المنازل؟ فقال لي: إذا رجعتَ أنت رأيتَها. ثمَّ قال لي: إن شئتَ فاقعدْ

---

(١) روض الرياحين ٤٢٢ (الحكاية: ٣٩٢).

(٢) الهَقْعَة: ثلاثة كواكب نيِّرة، قريب بعضها من بعض، فوق منكب الجوزاء. اللسان.

حتَّى أذهبَ، وإن شئتَ قعدتُ حتَّى تذهبَ؟ فقلتُ له: اذهبْ أنتَ جزاكَ الله خيرًا، وقعدتُ، فلمَّا أصبحنا دخلتُ إلى مكَّة، فطفتُ وسعيتُ، فرأيت الكتَّانيَّ جالسًا، فتقدّمتُ إليه، وسلَّمتُ عليه، وجلستُ، فحكيتُ له حكاية أبي جعفر فقال لي: هذا من أقلِّ أحوال أبي جعفر[١]

* * *

(١١٦) وقال محمد بن أبي الورد. صلّى أبو عبد الله النِّباجي بأهل طَرَسوس صلاةَ الصّبح، فوقع النَّفيرُ، وصاحوا، فلم يخفِّفِ الصَّلاة، فلمَّا فرغوا، قالوا له: أنت جاسوس. قال: وكيف ذلك؟ فقالوا: ألم تسمع الصّياحَ بالنَّفير، وأنت في الصَّلاة، فلم تُخفِّفها؟ فقال لهم. إنَّما سُمّيتْ صلاةً لأنَّها اتصالٌ بالله تعالى، وما حسبتُ أن أحدًا يكونُ في الصَّلاة فيقع في سمعه غيرُ ما يخاطب الله به.

* * *

(١١٧) وقال محمد بن المثنى: قلت لأحمدَ بنِ حنبل: يا أبا عبد الله، ما تقولُ في هذا الرَّجل؟ فقال: أيُّ الرِّجال؟ فقلتُ: بشر بن الحارث. فقال: سألتني عن رابعِ سبعةٍ من الأبدال، أو عامر بن عبد قيس! ما مثلُه عندي إلاَّ مَثَلُ رجلٍ ركَزَ رُمحًا في الأرض، ثمَّ قعد منه على السِّنان، فهل ترى[٢] لأحدٍ مَوضعًا يقعد فيه؟ ولقد ضيّقَ بشرُ بن الحارث على أهلِ هذه المدينة مسالكَ أقدامهم بورعه، ولقد رأوا من ورعه شامةً لا ينبتُ عليها شعرٌ أبدًا

ثمَّ قال: يا محمد بن المثنى، لا ينبغي لأحدٍ من أهل بغداد أن يقتدي بقيامي فيها، ولقد أعدْتُ[٣] صلاةَ أربعين سنة. فقلتُ له: مَنْ إمامُكَ في

---

(١) روض الرياحين ١٦٤ (الحكاية: ٨٣).

(٢) في (ب): فهل ترك لأحد.

(٣) في (أ): أعددت.

هذا؟ فقال: عبد الله بن المبارك، كان إذا قامَ ببغداد شهرًا، يتصدّق بثلاثين دينارًا، وكان يُسمّيها خزانة السُحت.

* * *

(١١٨) وقال أبو عبد الله المحاملي: صلّيتُ صلاةَ يوم عيد الفطر بجامع المدينة، فلمَّا انصرفتُ قلتُ في نفسي: أَدخلُ على داود بن علي[١] أُهنّئه بالعيد. وكان يَنْزل قطيعة الرَّبيع[٢]، فجئتُهُ، وقرعتُ عليه الباب، فأذن لي، فدخلتُ عليه، وإذا بين يديه طبقٌ فيه أوراق هندباء[٣]، وغَضارة[٤] فيها نخالة وهو يأكل، فهنأتُه بالعيد، وتعجّبتُ من حاله، ورأيتُ أنَّ كلَّ ما نحن فيه من الدُّنيا ليس بشيءٍ.

فخرجتُ من عنده، ودخلتُ على رجلٍ من مجهزي القطيعة يُعرف بالجُرجاني، فلمَّا علم بمجيئي إليه خرجَ إليَّ حاسرَ الرَّأسِ حافي القدمين، وقال لي: ما الذي عَنَى القاضي؟ فقلتُ: مهم. قال: وما هو؟ قلت: في جِوارِكَ داود بن علي ومكانُهُ من العلم مشهورٌ، وأنت كثيرُ[٥] البرِّ والرَّغبة في الخير تغفل عنه؟[٦] وحدثتُهُ بما رأيتُ منه، فقال لي: اعلمْ أنَّ داود شرسُ الخُلقِ، واعلمْ أيُها القاضي أنِّي وجَّهتُ إليه البارحة ألفَ دِرهم مع غلامي ليستعين بها في بعضِ أموره، فردَّها مع الغلام، وقال: قل له: بأيِّ عينٍ رأيتني؟ وما الذي بلغكَ من حاجتي وخلّتي حتَّى وجَّهتَ إليَّ بهذا؟

---

(١) داود بن علي الأصبهاني الملقب بالظاهري (٢٠١ـ٢٧٠هـ) أحد الأئمة المجتهدين في الإسلام، تنسب إليه الطائفة الظاهرية التي أخذت بظاهر الكتاب والسنة وأعرضت عن التأويل والرأي والقياس. انتهت إليه رئاسة العلم ببغداد.

(٢) قطيعة الربيع: منسوبة إلى الربيع بن يونس حاجب المنصور، وكانت بالكرخ مزارعَ الناس. معجم البلدان.

(٣) الهندباء: بقلة معروفة، من أحرار البقول.

(٤) الغَضَارة: القصعة الكبيرة المتخذة من الخزف.

(٥) في (أ): وأنت فكثير

(٦) في (أ): لا تغفل عنه.

قال: فتعجَّبتُ من قوله، ثمَّ قلتُ له: هاتْ الدَّراهمَ؛ فإنِّي أحملُها إليه.

فدعا بها، ودفعها إليَّ، ثمَّ قال: يا غلام، ناولني الكيس الآخر فجاءه بكيس آخر، فوزنَ منه ألفَ درهم أُخرى، فقال: تيكَ لنا، وهذه لموضع القاضي، فأخذتُ الألفين، وجئتُ إليه، فقرعتُ الباب، فخرج وكلَّمني من وراء الباب، وقال: ما الذي ردَّ القاضي؟ قلتُ: حاجةٌ أكلّمك فيها. فدخلتُ، وجلستُ ساعةً، ثمَّ أخرجتُ الدّراهمَ، وجعلتُها بين يديه، فقال: هذا جزاء من ائتمنكَ على سرِّه؟ إنّما أدخلناكَ بأمانةِ العلم، ارجعْ فلا حاجةَ لي فيما معكَ.

قال المحاملي: فرجعتُ، وقد صغُرتْ الدُّنيا في عيني، ثمَّ دخلتُ على الجُرجاني، فأخبرتُه بما كان، فقال أمَّا أنا فقد أخرجتُ هذه الدّراهمَ لله عز وجل، لا ترجع في مالي، فليولِّ القاضي في إخراجها إلى أهلِ السِّتر والعفاف من المتجمّلين على ما يراه[1]

* * *

(١١٩) وقال خلف بن الحسن البصري المعروف بالعباداني: سمعتُ الشَّيخ عبد الله بن عبيد بعبّادان يقول: كنتُ في مسجد عبّادان بعد صلاة عشاء الآخرة، وفي الصَّفِّ الأول ثلاثةُ نفرٍ قد صلُّوا معنا، ثمَّ خرجوا نحو البحر، فوقع لي أنَّهم أولياء، فتبعتهم، فلمَّا جاؤوا إلى البحر، امتدَّ لهم مثل الشِّراك من فضةٍ، فمرُّوا عليه، فوضعتُ رجلي لأتبعَهم، فغاصتْ في الماء، فقعدتُ أبكي، ثمَّ انصرفتُ إلى المسجد.

فلمّا كان وقت الصُّبح إذا بهم في الصَّفِّ الأول، فجلسوا في المسجد إلى أن صلُّوا عشاء الآخرة، ثمَّ خرجوا نحو البحر، فامتدَّ لهم مثل الشِّراك من فضة، فمرُّوا عليه، فوضعتُ رجلي، فغاصتْ في الماء، فقعدتُ أبكي، ومضوا، فانصرفتُ إلى المسجد.

---

(١) تاريخ بغداد ٨/ ٣٧١، المختار ٢/ ٢٧٣

فلمَّا كان في اليوم الثَّالث إذا بهم في الصَّف الأول، فقلتُ لنفسي[١]: يا نفسُ، منك أُتيت، لو كان فيك خيرٌ، لمررتِ معهم. وعلم اللهُ منِّي الصِّدق، فخرجوا في الوقت الذي يخرجون فيه كلَّ ليلةٍ، فامتدَّ لهم مثلُ الشِّراك من فضةٍ، فمرُّوا عليه، فوضعتُ رجلي على الماء، فمررتُ معهم، فأخذ واحدٌ منهم بيدي، وإذا هم سبعةُ أنفس، كلُّ ثلاث ليال تَنْزِلُ عليهم سبعُ سمكات، وكانت تلك اللَّيلة الثَّالثة، فإذا مائدةٌ عليها ثماني سمكات، فقعدتُ معهم آكلُ، فقلتُ لواحدٍ منهم. لو كان لنا ملحٌ. فقال: أوّه! أنتَ منهم؟ بلى أنت منهم! فأخذ بيدي فإذا أنا بالمَشْرَعة[٢]، فما رأيتُهم بعد ذلك، وأنا أسألُ الله حُسْنَ التَّوفيق[٣]

* * *

(١٢٠) وقال أبو بكر بن إسماعيل الفرغاني[٤]: كنتُ أُدفع إلى شدَّةِ الفاقة أيامًا كثيرةً، وربَّما كنتُ أسقطُ مَغشيًّا عليَّ، وكنتُ حينئذٍ قليلَ الدِّرايةِ، وكنتُ أنظر إلى أظافر أصابعي كَمِدَةً من الجوع، فقلتُ ذات يوم: [يا ربِّ]، لو علَّمتَني اسمَكَ الأعظم، سألتُكَ به إذا حلَّتْ بي فاقةٌ مُتلفةٌ، فبينا أنا في بعضِ الأيام بدمشق على باب البَريد[٥] جالسٌ في المسجد، رأيتُ رجلين قد دخلا المسجدَ، فوقع في نفسي أنَّهما مَلَكَيْن، فوقفا بحذائي فقال أحدُهما للآخر تُريدُ أن أعلِّمَكَ اسمَ الله الأعظم؟ قال له الآخر: نعم. فأصغيتُ إليهما، فقال. هو أن تقول: يا الله. فقلتُ: قد

---

(١) في (ب): فقلت في نفسي.

(٢) المَشْرَعة: وهي المواضع التي يُنْحَدَرُ منها إلى الماء من شواطئ الأنهار وفي (أ): الشريعة.

(٣) المختار ٥/ ٣٨٧، روض الرياحين ٢١٥ (الحكاية: ١٣٨).

(٤) في المختار ٤/ ٤٥٥ محمد بن موسى أبو بكر الواسطي الفرغاني.

(٥) باب البريد: يطلق اليوم على الباب الغربي لصحن الجامع الأموي بدمشق.

تعلّمتُ. ورجعتُ كما كنتُ، فقال أحدُهم: ليس كما تقول أنت؛ ولكن بصدق اللَّجأ.

قال أبو بكر: صدقُ اللَجأ يكون مثلَ الغريق في لُجَّةِ البحر، لم يبقَ له شيءٌ يتعلّق به، ولا له مَلجأٌ إلاَّ الله[1].

* * *

(١٢١) وقال أبو سليمان المغربي: ما أحبُّ أن أرى على أصحابنا الصُّوفية المُلونات. فقيل له: ولِمَ؟ فقال: لأني رأيتُ إبليسَ عليه الملونات، وبينا أنا قائمٌ أُصلّي يوم الجمعةِ، رأيتُهُ قد دخل إلى المسجد، وبيده طاقةُ ريحان، فمرَّ بين الصّفوف يُشمّمُها واحدًا واحدًا إلى أن قَرُبَ منِّي، فلمَّا دنا إليَّ ونظرتُ إليه، هربَ، فتأمَّلتُ من شمَّ ريحانَهُ، فمن كان قائمًا جلس، ومن كان جالسًا نعس.

* * *

(١٢٢) وقال المُعَافى بن عمران: سُئل سفيان الثّوري عن الفتوة، فقال: العقل والحياء، ورأسُها الحفاظُ، وزينتُها الحِلمُ والأدبُ، وشرفُها العلمُ والورعُ، وحليتُها المحافظةُ على الصَّلاة، وبِرُّ الوالدين، وصلةُ الرَّحم، وبذلُ المعروف، وحفظُ الجار، وتركُ التَّكبُّر، ولزومُ الجماعة، والوقارُ، وغضُّ الطَّرف عن المحارم، ولينُ الكلام، وبذلُ السَّلام، وبِرُّ الفتيان العقلاء الذين عقلوا عن الله أمرَه ونهيه، وصدقُ الحديث، واجتنابُ الحلف بالأيمان، وإظهارُ الودِّ، وإطلاقُ الوجه، وإكرامُ الجليس، والإنصاتُ للحديث، وكتمانُ السِّرّ، وسترُ العيوب، وأداءُ الأمانةِ، وتركُ الخيانة، والوفاءُ بالعهد، والصَّمتُ في المجالس من غيرِ عيٍّ، والتَّواضعُ من غير حاجةٍ، وإجلالُ الكبير، والرِّفقُ بالصَّغير، والرَّأفةُ

(١) المختار ٤/ ٤٦١، روض الرياحين ٤٢٣ (الحكاية: ٣٩٣).

والرَّحمةُ للمسلمين، والصَّبرُ عند البلاء، والشُّكرُ عند الرّخاء. وكمالُ الفتوَّةِ خشيةُ الله تعالى، فينبغي للفتى أن تكونَ فيه هذه الخصال، فإذا كان كذلك فهو فتًى حقيقةً.

* * *

(١٢٣) وقال سفيان الثّوري: أتيتُ أبا حَبيبَ البدوي لأُسلِّمَ عليه، وما كنتُ رأيتُه، فنظر إليَّ، وقال لي: أنتَ سُفيان الثّوري الذي يُقال؟ قلتُ: نعم، فنسألُ الله بركة ما يقال. فقال: يا سُفيانُ، ما رأينا خيرًا قطُّ إلاَّ من ربِّنا تعالى؟ قلتُ: أجل. فقال: ما بالنا نكرهُ لقاءَ مَنْ لم يُرَ الخيرُ[١] قطُّ إلاَّ منه؟ ثمَّ قال لي: يا سفيان، منعَ الله عطاءَ[هُ لك]، وذلك أنَّه لم يمنعْكَ من بخلٍ ولا عدمٍ، وإنما يمنعك نظرًا واختبارًا، يا سفيان، إنَّ فيكَ لأُنسًا، وعنكَ شغلاً، سلامٌ عليك. ولَحِقَ بغُنَيْمته[٢]

* * *

(١٢٤) وقال محمد بن عبد الوهاب: قال رجل لداود الطَّائي: أوصني. فدمعتْ عيناه، ثمَّ قال: يا أخي، إنَّما اللَّيلُ والنَّهار مراحلُ يَنْزلها النَّاسُ مرحلةً مرحلةً حتَّى يَنتهي ذلك إلى آخرِ سفرهم، فإنِ استطعتَ أن تُقدِّمَ كلَّ يومٍ زادًا لما بين يديك فافعلْ، فإنَّ انقطاعَ السَّفرِ عن قريب، والأمرُ أعجلُ من ذلك، فتزوَّدْ لنفسكَ، واقضِ ما أنتَ قاضٍ من أمركَ، فكأنَّكَ بالأمرِ قد بغتكَ، إنِّي لأقول لك هذا، وما أعلمُ أحدًا أشدَّ تضييعًا لذلك مني. ثمَّ قام وتركني[٣]

---

(١) في (ب): لم نَرَ الخيرَ.

(٢) حلية الأولياء ٨/ ٢٨٧، صفة الصفوة ٤/ ٣٧٥، المختار ٢/ ٢٣٥، الكواكب الدرية ١/ ٢٢٧

(٣) حلية الأولياء ٧/ ٣٤٥، المختار ٢/ ٢٨٣

(١٢٥) وقال أبو مسلم السَّاحلي: قدم علينا بعضُ الصُّوفية، فعرضت عليه شيئًا من نفقتي، فأبى أن يأخذ شيئًا، فأقسمتُ عليه أن يأخذ، فأخذ دانقًا واشترى به رغيفًا وأكله، ثمَّ أنشأ يقول[١]:

دعِ الدُّنيا[٢] لمن هي في يَديه ... وبالاً كُلَّما كَثُرَتْ عليه

تُهينُ المُكْرِمينَ لها تُصغِّر ... وتُكرِمُ كلَّ مَنْ هانَتْ عليه

إذا استغنيتَ عن شيءٍ فدَعْهُ ... وخذْ ما أنتَ مُحتاجٌ إليه

* * *

(١٢٦) وقال عمر بن رفيل الشَّيخُ الصَّالح: رأيتُ في جبل اللُّكَام طيرًا مُعلّقًا برجليه، منكّس الرَّأس يَصيح، فدنوتُ منه لأُخلّصه، فإذا تحته صخرةٌ عظيمةٌ، مكتوبٌ عليها نقرًا: داؤك هواك، فإذا غلبتَ هواكَ فداؤك دواؤك

* * *

(١٢٧) وقال مُضر بن جرير دخلتُ يومًا على ابن الحجّاج الجُرجاني، فكلَّمتُه، فلم يُكلّمني، فقلت له: أنت في حرج، إن كان عندكَ علمٌ إلاَّ علَّمتني فقال لي: عصيتَ الله بمعصيةٍ؟ قلتُ: نعم. فقال: كُتبت عليكَ، ورُفعتْ إلى الله؟ قلتُ: نعم، فقال: علمتَ أنَّه غفرها؟ قلت: لا قال: فما قعودُك وسكوتُكَ، اذهبْ فابكِ على نفسكَ أيام الحياة حتَّى تعلمَ ما حالُك عنده في هذه المعصية. قال: فلم يزل مُضر يبكي على هذه ثلاثين سنة خوفًا حتَّى مات.

---

(١) الأبيات من نظم مسلم بن ميمون الخواص. انظر الطبقات الصغرى للمناوي صفحة ٣٣١

(٢) في الطبقات الصغرى: أرى الدنيا.

(١٢٨) وقال أبو جعفر الحداد: كنتُ أحبُّ أن أرى كيف يُجري أسباب الرّزقِ على الخلق، فدخلتُ البادية في بعض السّنين على التّوكُّل، فبقيتُ سبعةَ عشر يومًا لم أذقْ فيها شيئًا، حتَّى سقطتُ على وجهي، وغُشي عليَّ، وغلب عليَّ القملُ شيءٌ ما رأيتُ مثلَه قطُّ، ولا سمعتُ به، فبينما أنا كذلك إذ مرَّ بي ركبٌ، فرأوني على تلك الحالة، فنَزلَ أحدُهم عن راحلته، فحلقَ رأسي ولحيتي، وشقَّ عليَّ ثوبي، وتركني في الرَّمضاء، وسار، فمرَّ بي ركبٌ آخرُ، فحملوني إلى حيِّهم، وأنا مغلوبٌ، فطرحوني ناحيةً، فجاءتني امرأةٌ، وحلبتْ على رأسي، وصبَّتِ اللَّبنَ في حلقي، ففتحتُ عيني قليلاً، وقلتُ لها: أقربُ المواضعِ منكم أين؟ قالوا: جبل الشَّراة[١] فحملوني إلى الشَّراة.

قال أبو جعفر: فحين سقطتُ، قبضتُ[٢] على حصاةٍ، وجهدوا في البادية أن يفتحوا يدي، فلم يُطيقوا، وإذا بها حصاةٌ كلَّما هممتُ برميها لم أجد إلى رميها سبيلاً، فدخلتُ بيتَ المقدس، واجتمع الصُّوفيَّةُ حولي، والحصاةُ في يدي أقلبُها، فأخذها منِّي بعض الفقراء، وضربَ بها الأرض، فتفتَّتْ[٣] وخرجتْ منها دودةٌ صغيرةٌ، ثمَّ ضربَ يده إلى ورقةٍ، فأخذها ووضعها على رأس الدُّودة، فلم تزل تَشترُّ حتَّى قوَّرَتِ الورقة، وأنا أنظرُ إليها، فقلت: نعم يا سيِّدي، لم تُطلعني على سبب مَجاري الأرزاق إلاَّ بعد حلقِ رأسي ولحيتي[٤]

* * *

(١٢٩) وقال أبو جعفر أيضًا. كنتُ أختلف إلى الصُّوفية في بدايتي وأنا حَدَثٌ، فلمَّا كان ذات يومٍ تَبعني رجلٌ يتعرّض لي، فدفعته عن نفسي،

---

(١) الشراة: جبل من دون عسفان، وبه عقبة تذهب إلى ناحية الحجاز معجم البلدان.
(٢) في (ب): كنت قد قبضت.
(٣) في (أ): فنُقبت
(٤) المختار ٢/ ٨٢، مختصر تاريخ دمشق ٢٨/ ٢١٦، ٢١٧.

فلازمني حيثما مضيت يَتبعني، فخشيتُ أن يقطعني عن صُحبة الفقراء، وضاقَ صدري، فخرجتُ يومًا إلى البريّة لا أكلّمه ولا يُكلّمني، كلّما مشيتُ مشى، وإذا جلستُ جلس، فلمّا كان بعد ثلاثةٍ لا نأكل ولا نشرب، جئنا إلى بئرٍ طويل، فقلتُ له إن مضيتَ عنّي، وإلاّ طرحتُ نفسي في البئر، فلم يُصدّقني أني أفعلُ ذلك، فسكتَ وجلس ناحيةً، فرميتُ نفسي في البئر، فوقعتُ على صخرةٍ في وسط البئر، فجلستُ عليها، وبقي الرَّجلُ يصيح في الصَّحراء، وقد جعلَ التُّرابَ على رأسه، ويجيءُ كلَّ ساعةٍ يطّلع في البئر، ثمَّ هام على وجهه، فبقيتُ في البئر ثلاثة أيام على حالتي، فلمّا كان اليومُ الرّابع إذا حيَّةٌ عظيمةٌ قد خرجت من ثقبٍ في البئر، ودارت حول البئر على رأس الماء، فقلتُ في نفسي: إن كانت قد أُمرتْ فيَّ بأمرٍ، مَرحبًا بحكم الله. فلمّا بلغتْ إلى عندي، قاءتْ، فرمت شيئًا أصفرَ، كأنّه صُفرةُ البيض على وجه الماء، ثمَّ ذهبتِ الحيَّةُ في الثُّقب، فقلتُ: ما أشكُّ أنَّ هذا رزقي. فمسستُهُ، فإذا فيه لبنٌ، فأخذتُهُ وذقتُهُ، فإذا طعمُهُ طيّبٌ، فأكلتُهُ، فوجدت فيه شِبعًا، فلمّا كان في اليوم الثاني إذا بالحيَّةِ قد خرجتْ من الثُّقب، ودارتْ في البئر على رأسِ الماء، وفعلتْ كذلك، فأخذتُهُ وأكلتُه، وكذلك فعلتْ في اليوم الثّالث، وكأني أَنستُ بالموضع، وغمَّني فواتُ الصّلاة، فخرجتِ الحيَّةُ في اليوم الرّابع وانسابت[1] في الحائط، حتّى صار رأسُها عند رأس البئر، وذنبُها في آخر البئر، فتلت رأسَها، فوقع لي أنّها تقول: تمسَّكْ بي؛ فتعلَّقتُ بها، فإذا هي قد رفعتني إلى رأس البئر، فخرجتُ، ودخلت البصرةَ، وجئت إلى الفقراء، فحدَّثتهم، فدعوا لي دعاءً رأيتُ بركته، ثمَّ صرتُ إلى أهلي فحدَّثتهم[2]

* * *

(١) في (أ): وأصابت.

(٢) تاريخ بغداد ١٤/ ٤١٢، المختار ٢/ ٨٦، مختصر تاريخ دمشق ٢٨/ ٢١٤ وانظر الخبر صفحة ٤٨٥ (٥).

(١٣٠) وقال إبراهيم بن إسحاق الحربي رحمه الله: أجمعَ عقلاءُ كلِّ أمةٍ أنَّه من لم يجرِ مع القدر، لم يهنأ بعيشه. كأن يقول: قميصي أنظفُ قميصٍ، وإزاري أَوسخُ إزار، وما حدَّثتُ نفسي أنَّهما يستويان قطُّ، ويكون فَرْدُ عقب مَداسي مقطوعًا، وعقبُ الآخر صحيحًا، أمشي بهما، وأدور بغداد من الجانبين[١] لا أحدثَ نفسي أنِّي أُصلِحُها، ولا شكوتُ إلى أبي ولا إلى أخي ولا إلى زوجتي ولا إلى بناتي قطُّ حُمَّى وجدتُها. فالرّجل هو الذي يُدخلُ غَمَّهُ على نفسه، ولا يغمُّ عيالَهُ.

كان بي شقيقةٌ مدّة خمس وأربعين سنة، وما أخبرتُ بها أحدًا قط، ولي عشر سنين أُبصر بفردِ عينٍ، وما أخبرتُ به أحدًا، وأفنيتُ من عمري ثلاثين سنة برغيفين، إن جاءتني بهما أمي أو أختي أكلتُهما، وإلاَّ بقيتُ جائعًا عطشانَ إلى اللَّيلة الثَّانية، وأفنيتُ ثلاثين سنة من عُمري برغيفٍ واحدٍ في اليوم واللَّيلةِ إن جاءتني به امرأتي أو إحدى بناتي أكلتُهُ، وإلاَّ بقيتُ جائعًا عطشانَ إلى اللَّيلة الأخرى، والآن آكلُ نصفَ رغيفٍ وأربع عشرة تمرة إن كان بَرْنِيًّا أو نيفًا وعشرين إن كان دَقَلاً[٢] ومرضتِ ابنتي، فمضت زوجتي، فأقامت عندها شهرًا، فقام إفطاري في هذا الشَّهر بدرهمٍ ودانقين ونصف. ودخلتُ الحمام، واشتريتُ لهم صابونًا [بدانقين]، فقام نفقةُ شهرِ رمضان كلِّه بدرهمٍ وأربعة دوانيق ونصف[٣]

* * *

(١٣١) وقال محمد بن صالح رحمه الله: بينا أنا في الطَّوافِ، إذ نظرتُ إلى أعرابيٍّ بدوي مُتعلّقٍ بأستار الكعبة، وقد شَخَصَ بصرُهُ نحو

---

(١) في (أ): بغداد الجانبين.

(٢) البرني: ضرب من التمر، أصفر مدور، وهو أجود التمور، والدقل أردأ أنواعه. اللسان (برن ـ دقل).

(٣) تاريخ بغداد ٦/ ٣٠، المختار ١/ ٢٤٩، وما بين معقوفين مستدرك منه.

السَّماء، وهو يَدعو ويقول: يا خيرَ من وفدَ العبادُ إليه، ذهبتْ أيامي، وضعفتْ قوّتي، وقد وردتُ إلى بيتكَ المعظّمِ المُكّرمِ بذنوبٍ كثيرةٍ، لا تَسعُها الأرض، ولا تَغسلها البحار، مُستجيرًا بعفوكَ منها، وحَططتُ رحلي بفِنائكَ، وأنفقتُ مالي في رضائك، فما الذي يكون من جزائك يا مولاي؟

ثمَّ أقبلَ على النَّاس بوجهِهِ فقال: معاشرَ النَّاس، ادعوا لمن وكزته الذُّنوبُ والخطايا، وغمرته البلايا، ارحموا أسيرَ ضُرٍّ، وغريبَ فاقة، سألتُكم بالذي قد همَّتكم الرَّغبةُ إليه إلاَّ سألتم اللهَ أن يهبَ لي جُرمي، ويغفرَ لي ذنوبي.

ثمَّ عادَ وتعلَّق بأستار الكعبة، وقال: إلهي وسيِّدي، عظيمُ الذَّنبِ مَكروبٌ، وعن صالحِ الأعمال مطرود، وقد أصبحتُ ذا فاقةٍ إلى رحمتك يا مولاي.

قال محمد بن صالح: ثمَّ رأيتُهُ في عرفات، وقد وضعَ يساره على أمِّ رأسه، يصرخُ ويبكي ويشهق، ويقول: إلهي وسيِّدي ومولاي، أضحكتَ الرِّياض بالزَّهر، وأمطرتَ السَّماء بالرَّحمة، والذي عظمت من الموحدين[1]، إنَّ نفسي لواثقةٌ لي ولهم منكَ بالرِّضا، وكيف لا يكونُ كذلك، وأنت حبيبُ من تحبَّبَ إليك، وقرَّةُ عينٍ من لاذَ بك وانقطعَ إليك؟ يا مولاي، حقًّا حقًّا أقول: لقد أمرتَ بمكارم الأخلاق، فاجعل وفودي إليك عتقَ رقبتي من النَّار[2].

* * *

(١٣٢) وقال يوسف بن حمدان رحمه الله: خرجتُ إلى مكَّة على طريق البصرة، ومعي جماعةٌ من الفقراء، وفيهم شابٌّ أغار عليه من حُسنِ

---

(١) في المختار ٥/ ٣٨١ أعطيت الموحدين.

(٢) صفة الصفوة ٤/ ٤١٢، المختار ٥/ ٣٨٠.

صمته، ومُراعاةِ حاله واستهتاره[1] بذكرِ ربِّه، ودوام مُناجاته، فلمَّا وصلنا المدينة، اعتلَّ الشَّابُّ علَّةً شديدة، وانفردَ عنَّا، فصرتُ إليه مع جماعةٍ من أصحابي، نتعرَّفُ خبرَهُ، فلمَّا رأيناه في شدَّةِ ما به[2]، قال بعضُهم: لو أحضرنا له طبيبًا، ينظرُ إليه، ويصفُ له علَّتَهُ، فلعله يكون عنده دواؤه. فسمع الشَّابُّ مقالتَهُ، وتبسَّمَ من ذلك، وقال: يا مشايخي وأحبابي، ما أقبحَ المُخالفة بعد المُوافقة! من أراد اللهُ له حالاً، وأرادَ هو حالاً غيره، أليس قد خالفَ الله تعالى في إرادته؟

قال يوسف: فخجلنا من كلامه، فنظرَ إلينا، وقال: لو عرفتم داءَ القتيل من ذي السّلوان[3]، لطلبتم لداءِ القتيل دواءً، إنَّ الأمراضَ والأسقامَ فيها تطهيرٌ وتكفيرٌ وتذكير، وداءُ القتيل مُشاهدةُ النَّفس، ومُوافقةُ الهوى، ثمَّ أنشأ يقول:

بيـــــدِ اللهِ دَوائـــــي ... وبعلـــــمِ اللهِ دائـــــي
إنَّمـــا أَظلـــمُ نفســـي ... بـــاتّبـــاعـــي لهـــوائـــي
كلَّمـــا داويـــتُ دائـــي ... غلـــبَ الـــدَّاءُ دوائـــي

قال: فتركنا وقمنا من عنده[4]

* * *

(١٣٣) وقال محمد بن منصور: كان بالكوفة رجلٌ مُتعبِّدٌ، يأكلُ في كلِّ يومٍ نصف رغيف، وكان قاعدًا لا يضطجع، بل يضعُ جبهته على ركبته من صلاةٍ إلى صلاة، لا يتطوّعُ بشيءٍ غير الفرائض، ولا يتكلَّمُ البتّة،

---

(١) استهتر بالشيء: أولع به، وأفرط فيه، لا يتحدّث بغيره، ولا يغفل عنه، غير مبالٍ بنقدٍ ولا موعظة. وفي إحدى نسخ المختار ٥/ ٣٦٩: واستكثاره لذكر ربه.
(٢) في المختار: فلما رأينا شدّة ما به.
(٣) في المختار: من داء السلوان.
(٤) المختار ٥/ ٣٦٩، روض الرياحين ٤٢٤ (الحكاية: ٣٩٤).

فقلتُ له: إن تطوَّعْتَ. فقال: افهمْ شيئًا أُلقيه إليكَ، إنِّي لستُ أعصيه[1]

وقال بعض المشايخ: هذا عبدٌ رفعَ الله له قدرَ موافقته لطاعةِ ربِّه، فلزمها إذ كان الأمر له، ورفع له[2] قدرَ مُخالفته لله فاجتنبها، وذلك من علمه بالله، حتَّى توقَّفَ ونظر من الآمر له والنَّاهي، فبذل في موافقته لله عز وجل جهدَهُ.

* * *

(١٣٤) وقال أبو بكر محمد بنُ داود: حكيتُ لأبي الحسين بن حُذَيْق، فقلتُ له: يا سيِّدي، ذُكر عن علي بنِ الموفق رحمه الله أنَّه حجَّ إحدى وثلاثين حجةً، فأدركه رقَّةٌ في الموقف على أهل الموقف، فقال: يا ربِّ، قد رحمتُ أهلَ الموقف، أُشهدك وملائكتك أنِّي قد وهبتُ لهم ثلاثينَ حجّةً، وواحدةٌ لي.

فأُريَ في منامه في المكان: يا بنَ الموفق، أعليَّ تتسخّى، وأنا وهبتُ السَّخاءَ لمن أُريد؟ أُشهدُك أنِّي قد وهبتُ من وردَ البيت السّنة لك. قال: فقال ابن حُذَيْق: ذهب عليك يا أبا بكر. قلتُ: ما يقولُ الشَّيخ؟ فقال: هذه الحكايةُ عندنا مُجوّدة[3] أنه أُريَ بعرفات في المنام، فقال: يا بن الموفق، تتسخَّى علينا ونحن وهبنا السَّخاءَ لمن نُريد؟ أُشهدُك أنَّا قد وهبناك من وردَ هذا البيت من الموحِّدين إلى يوم القيامة. فقلتُ: هذا خُلقٌ من أخلاق الله.

فقال ابن حُذَيْق: كان ههنا عندنا بالمَصيصة رجلٌ أسخى من علي بن الموفق. فقلت: يا سيِّدي، هذا بذلَ الآخرة، فأيش يكون أسخى من هذا؟ فقال لي: ذاكَ استأثر شيئًا من إحدى وثلاثين حجّةً واحدةً لنفسه، وهذا

---

(١) صفة الصفوة ٣/ ١٨٥

(٢) في (أ): ودفع له.

(٣) في (ب): قلت: يقول الشيخ. الحكاية مجردة محكمة عندنا.

الشَّيخ كان له ثمانون سنةً، مُقبلٌ على الله، فزارَهُ أَخَوان له من أَذَنة، فلمَّا سلَّما عليه، قالا له: يا شيخنا، ما جئنا إلى المَصيصة لحاجةٍ لنا بها إلاَّ السَّلامَ عليكَ. فقال لهما الشَّيخ: قَبلكما الله، وقَبلَ سعيكما. فقالا له: تعلمُ إنَّ لنا لمكانًا وظهرًا نركبُ عليه، وما جئنا إلا رجّالةً إعظامًا لقدركَ. فقال الشَّيخ: اللَّهُمَّ اقبلهما واقبلْ منهما، اللَّهُمَّ إن كنتَ تعلمُ أنِّي عملتُ لكَ عملاً في طولِ عمري، فقبلتَ ذلك العمل مني، فأُشهدُك وملائكتكَ أنِّي وهبتُ ثوابَ ذلك لهما. فهذا أَسخى من علي بنِ الموفق يا أبا بكر[١].

* * *

(١٣٥) وقال أبو زكريا الشِّيرازي[٢]: تهتُ في بادية العراق أيامًا كثيرةً، لم أجد شيئًا أرتفقُ به، فلمَّا كان بعد أيام رأيتُ في الفلاة خباءَ شَعَرٍ مضروبًا، فقصدتُه، فإذا بيتٌ وعليه شيءٌ مسبلٌ[٣]، فسلَّمتُ، فردَّتْ عليَّ عجوزٌ من داخل الخباء، وقالت: يا إنسان، من أين أقبلت؟ قلتُ: من مكَّة. قالتْ: وأين تُريد؟ قلتُ: الشَّام. فقالت: أرى شبحَكَ شبحَ إنسان بطَّالٍ، ألا لزمت زاويةً تجلسُ فيها إلى أن يأتيكَ اليقين؟ ثمَّ تنظر هذه اللُّقمةَ من أين تأكلها؟ ثمَّ قالت: تقرأُ القرآن؟ قلت: نعم. فقالت: اقرأ عليَّ آخر سورة الفرقان. فقرأتُها، فشهقتْ، وأُغمي عليها، فلمَّا أفاقت بعد هَوِيٍّ[٤]، قرأت هي الآيات، فأخذ قراءتُها مني أخذًا شديدًا، ثمَّ قالتْ: يا إنسان، اقرأها ثانيةً فقرأتُها، فلحقَها مثلُ ما لحقها في الأول، وصبرت أكثر من ذلك، ولم تفق، فقلتُ: كيف استكشفُ حالها؟ هل ماتت أم لا؟ فتركتُ البيتَ على حاله، ومشيتُ أقلَّ من نصفِ ميلٍ،

---

(١) المختار ٥/ ٣٩٠

(٢) المثبت من صفة الصفوة ٤/ ٣٩٣، والمختار ٥/ ٤٦٨: أبو بكر الشيرازي.

(٣) في المختار: ستر مسبل.

(٤) الهوي: الهزيع من الليل، ويضمُّ: أي ساعة ممتدة منه. متن اللغة.

فأشرفتُ على زاويةِ قومٍ من الأعراب، فأقبل عليَّ غُلامان، ومعهما جاريةٌ، فقال أحدُ الغلامين: يا إنسان، أتيت البيتَ الذي في الفلاة؟ قلتُ: نعم. قال: وتقرأ القرآن؟ قلتُ: نعم. قال: قتلتَ العجوزَ وربِّ الكعبة. ومشيتُ مع الغلامين والجارية حتَّى أتينا البيتَ، فدخلتِ الجاريةُ، فكشفت عنها، فإذا هي ميتةٌ، فأعجبني خاطرُ الغلام، فقلتُ للجارية: ممن الغلامان؟ فقالتْ: هما جعافرة، وهذه أختهما، منذ ثلاثين سنة ما تأنسُ بكلام النَّاس، إذا نزلتْ توارثتْ بيتَها في الفلاة، تأكل في كلِّ ثلاثةِ أيام أكلةً وشربة[١]

* * *

(١٣٦) وقال مصعب بن أحمد بن مُصعب: قدمَ أبو محمد المروزي يعني عبد الله الرِّباطي رحمه الله يُريدُ مكَّةَ، وكنتُ أحبُّ أن أَصحبه، فأتيتُه، فاستأذنتُه وسألتُهُ الصّحبةَ، فلم يأذن لي في تلك السّنة، ثمَّ قدمَ في سنةٍ ثانيةٍ وثالثةٍ، فأتيتُهُ وسلّمتُ عليه، وسألتُهُ، فقال: اعزمْ على شرطٍ، أن يكونَ أحدُنا الأميرَ لا يُخالفه الآخر. فقلتُ له: أنتَ الأميرُ. فقال لي: يا أبا أحمد، لا، بل أنت، فقلتُ: لا؛ بل أنت أسنُّ وأَولى. فقال: نعم، ولكن لا يجب أن تعصيني. فقلتُ: نعم.

فخرجتُ معه، فكان إذا حضّر طعامًا[٢] يؤثرني به، فإذا عارضته بشيءٍ، قال: ألم أشترط عليكَ أن لا تَعصيني؟ فكان هذا دأبَنا حتَّى ندمتُ على صحبتِهِ لِما يُلحقُ نفسَه من الضُّرِّ.

وأصابنا في بعض الأيام مطرٌ شديدٌ ونحن نسير، فقال لي: يا [أبا] أحمد، اطلبِ الميلَ[٣]، فلمّا جئنا الميلَ، قال لي: اقعدْ في أَصله.

---

(١) صفة الصفوة ٤/ ٣٩٣، المختار ٥/ ٤٦٨.

(٢) في المختار ٣/ ٤٢٩: إذا حضر الطعامُ.

(٣) الميل: منار يُبنى للمسافرين. القاموس (ميل).

فأقعدني في أصله، وجعل يدَه على الميلِ وهو قائمٌ، قد حنا عليَّ، وعليه كساءٌ قد تخلّل به ليُظلّني من المطر، حتّى تمنّيتُ أنني لم أَخرجْ معه، لما يلحق نفسَه من الضُرَّ، فلم يزل هذا دأبَه حتّى دخلنا مكّةَ[١]

* * *

(١٣٧) وقال داود بن رشيد: حدّثني الصَّبيح والمليح عابدان كانا بالشَّام [سُميا الصَّبيح والمَليح لحُسْنِ عبادتهما] قالا: خرجنا ذاتَ يومٍ نطلبُ رجلاً نُعلّمه شيئًا من أَمرِ دينه، فرأينا أسودَ على رأسه حزمةُ حَطبٍ، فقلنا له: يا أسودُ، من ربُّكَ؟ فقال: لا تقولا من ربُّك؛ ولكن قولا: أين محلُّ الإيمان من قلبكَ؟ ثمَّ قال. إنَّ لله عزَّ وجلَّ عبادًا لو سألوه أن يجعلَ هذه الحزمةَ ذهبًا، لصارتْ. قال: فصارتِ الحزمةُ ذهبًا. ثمَّ قال: اللَّهُمَّ، إنكَ تعلمُ أنَّ لك عبادًا الخمولُ أحبُّ إليهم من الشُّهرة، اللَّهُمَّ فارددْها حطبًا. فعادتْ الحزمةُ حطبًا[٢]

* * *

(١٣٨) وقال أبو فروة السَّائح: بينا أنا أسيحُ في جبل لبنان إذ جَنَّ اللَّيلُ عليَّ، وأنا في بعض أوديته، فإذا بصوتٍ محزونٍ، وهو يقول: يا من آنسني بقربه، وأوحشني من خلقه، وكان عند مسرَّتي[٣]، ارحمِ اليوم عبرتي، فدنوتُ منه، قال: فإذا شيخٌ قد سقط حاجباه على عينيه، فلمَّا أحسَّ بي نفرَ مني، وقال: إنسيٌّ أنتَ؟ فقلتُ: نعم إنسي. فقال: إليكَ عنِّي، فمنكم فررتُ[٤]

* * *

(١) صفة الصفوة ٤/ ١٤٨، المختار ٣/ ٤٢٩.
(٢) صفة الصفوة ٤/ ٢٩١، المختار ٥/ ٣٤٩، روض الرياحين ٢٨٣ (الحكاية: ٢٢٠).
(٣) في (أ): وكان عند سؤلي.
(٤) صفة الصفوة ٤/ ٣٤٧، المختار ٥/ ٣٢٣

(١٣٩) **وقال عثمان بن عبد الله[١] رجلٌ من العبّاد**: خرجتُ من بيت المقدس أريد بعض قُراها في حاجةٍ، فإذا أنا بعجوز عليها مَدرعةٌ من صوف، وخمارٌ من صوف، تعتمدُ على عُكّاز لها، فقلتُ في نفسي: راهبةٌ تُريد ديرًا، فحانت منها التفاتةٌ، فقالت: يا عبد الله، على دين الحنيفية؟ فقلتُ: وما أعرف دينًا غيره. فقالت: ما اسمُكَ؟ قلت: عثمان. فقالت: يا عثمانُ، من أين خرجتَ، وأين تُريد؟ فقلتُ: من بيت المقدس إلى بعضِ قُراها في حاجةٍ. فقالت: كم بينكَ وبين مَنْزلكَ وأهلك؟ فقلتُ: ثمانية عشر ميلاً فقالت: [ثمانية عشر ميلاً في حاجةٍ!] إنَّ هذه لحاجةٌ مُهمة. قلتُ: نعم. قالت: ألا سألتَ صاحبَ القرية يُوجّهُ إليكَ بحاجتك ولا يُعنِّيكَ؟ قال عثمان: ولم أَدرِ ما تُريد. فقلت: يا عجوز، ليس بيني وبينه معرفةٌ. فقالت: يا حبيبي، وما الذي قطعَ بينك وبين معرفته، وحالَ بينك وبين الاتِّصال به؟ قال عثمان: ففهمتُ ما قالتْ، فبكيتُ. فقالت: مِمَ بكاؤكَ، أمن شيءٍ كنت فعلتَهُ فذكرته؟ فقلت: نعم[٢] فقالت: احمدِ الله الذي لم يَدَعْكَ في حيرتكَ. فقلت: يا عجوز، لو دعوتِ اللهَ لِيَّ بدعوةٍ. فقالت: بماذا؟ قلتُ: تنقذني من حبِّ الدُّنيا. فقالتْ: امضِ لشأنكَ، فقد علم المحبوبُ ما ناجاه الضّميرُ من أجلك. ثمَّ قالت: يا عثمانُ، تحبُّ الله تعالى؟ فقلتُ: أجل. فقالت: اصدقني، ولا تكن كذابًا. فقلتُ: والله، إنّي أحبُّ الله. فقالتْ: يا عثمان، فما الذي أفادَكَ من طرائفِ حكمته إذ أوصلكَ بها إلى محبَّته؟ قال: فأمسكتُ لا أَدري بما أُجيبها فقالت: يا هذا، لعلَّكَ[٣] ممن يحبُّ كتمان المحبَّةِ. قال:

---

(١) في صفة الصفوة ٤/ ٢٥٣ أثبت: عثمان الرجاني، وقال محققه: وفي نسخة: الرجائي، وفي المختار ٥/ ٤٧٢: عثمان المرجاني.

(٢) في المختار: فقالت: من أي شيء تبكي؟ من شيءٍ كنتَ فعلتَه ونسيته، أو من شيء نسيته وذكرته؟ قلت: لا، بل من شيء كنت أُنسيتُه وذكرته.

(٣) في (ب): عساك ممن

فأمسكتُ، لا أدري ما أقول لها. قال: فسمعتها تقول: يأبى الله أن يدنّسَ طرائف حكمته، وخفيَّ [معرفته]، ومكنونَ محبَّته قلوبَ البطّالين. ثمَّ قالت: يا عثمان، أما واللهِ لو سألتني عن محبَّةِ ربِّي عزَّ وجلَّ لكشفتُ القناعَ الذي على قلبِي، وأخبرتُكَ بمحبَّةِ سيِّدي، ثمَّ استقبلتْ بوجهِها القِبلةَ، وهي تقول: من أين لعقلي الرُّجوع إليك إلهي؟ ومن أين لوجهي الحياء منكَ سيِّدي؟ إن لم تكن لي، هلكتُ، وإن لم تكن معي في وَحدتي عُطبتُ. ثمَّ استقبلتني بوجهها توبِّخني، وقالت: يا عثمان. فقلت: لبيك. فقالت:

تعصـي الإلـهَ وأنـتَ تُظهـرُ حبَّـهُ هـذا وربِّـي فـي الفِعـالِ بـديـعُ
لـو كـان حبُّـكَ صـادقًا لأطعتَـهُ إنَّ المُحبَّ لمن يُحبَّ مُطيعُ(١)

قال عثمان: فواللهِ ما ذكرتُ كلامَها إلاَّ هيَّجتْ عليَّ أحزاني(٢)

* * *

(١٤٠) وقال حمَّاد بن سلمة: ألحَّ علينا المطرُ سنةً من السِّنين، وفي جِواري امرأةٌ متعبدةٌ، لها بناتٌ أيتام، فوكفَ السَّقفُ عليهم، فسمعتُها تقول: يا رفيقُ، ارفُقْ بي. فسكنَ المطرُ عن المكان، قال: فأخذتُ صُرَّةً فيها عشرةُ دنانير، وقرعتُ بابها، فقالتْ: اللَّهُمَّ اجعلْه حمادَ بنَ سلمة.

---

(١) ديوان الشافعي ٨٧، وهي مما ينسب لمحمود الوراق.

(٢) صفة الصفوة ٤/ ٢٥٣، والمختار ٥/ ٤٧٢، وهما يتفقان مع ما أورده المؤلف حتى قوله: ومكنون محبته بممارسة قلوب البطالين، ثم يختلفان، وأسوق رواية المختار: قلت: رحمك الله، لو دعوت الله عز وجلَّ أن يشغلني بشيء من محبّته. فنفضت يدَها في وجهي، فأعدت القول أقتضي الدعاء، فقالت: يا عبد الله، امض لحاجتك، فقد علم المحبوبُ ما ناجاهُ الضمير من أجلك، ثم ولّت، وقالت: لولا خوفُ السلب لبحت بالعجب، ثم قالت: أوّه من شوقٍ لا يبرأ إلاّ بك! ومن حنين لا يسكن إلاّ إليك! فأين لوجهي الحياء منك؟ وأين لعقلي الرجوع إليك؟ قال عثمان: فوالله ما ذكرت ذلك إلاّ بكيت وغُشي عليَّ.

فقلت: أنا حماد، سمعتُ وقد تأذّيتِ بالمطر، فقلتِ: يا رفيق، ارفق بي. فما بلغَ من رفقهِ بك؟ فقالتْ: سكّن المطر، وأدفأَ الصّبيان، وجفّفَ البيتَ. فأخرجتُ الدّنانير، وقلتُ: انتفعي بهذه. فإذا صبيةٌ خُماسيةٌ[1] عليها مَدرعةُ صوفٍ تستبين خروقُها قد خرجتْ عليَّ وقالت ألا تسكتْ يا حماد، تعترضُ بيننا وبين مولانا وسيِّدنا. ثمَّ قالتْ: يا أُمّاه، قد علمنا أنَّا لما شكونا إلى ربِّنا أنَّه سيبعثُ إلينا بالدُّنيا ليطردَنا عن بابه. ثمَّ ألصقتْ خدَّها على التّراب وقالتْ: أمّا أنا وعزَّتِك، لا زايلتُ بابَكَ وإنْ طردتني. ثمَّ قالت: يا حمّادُ، ردّ ـ عافاكَ الله ـ دنانيرَكَ إلى موضعها الذي أخرجتَها منه، فإنَّا رفعنا حوائجنا إلى من يقبلُ الودائعَ ولا يبخس العاملين[2].

* * *

(١٤١) **وقال حُذيفة المرعشي رحمه الله:** كتبَ إليَّ يوسفُ بن أسباط: أما بعد، فإنّي أُوصيكَ بتقوى الله، والعملِ بما علّمكَ الله، والمراقبةِ من حيث لا يَراكَ أحدٌ إلاَّ الله، والاستعدادِ لما ليس لأحدٍ فيه حِيلةٌ، ولا تنفعُ النَّدامةُ عند نزوله، فاحسرْ عن رأسِكَ قناعَ الغافلين، وانتبهْ من رقدةِ الموتى، وشمِّرْ للسباق غدا، فإنَّ الدُّنيا ميدانُ السَّابقين، ولا تغترَّ بمن أَظهرَ النُّسكَ وتشاغلَ بالوصفِ وتركَ العملَ بالموصوف.

واعلمْ يا أخي أنَّه لا بدَّ لي ولكَ من القيام بين يدي الله تعالى يَسألنا عن الدَّقيق الخفيِّ والجليل الجلي[3]، ولستُ آمن أن يَسألني وإيّاكَ عن وساوسِ الصُّدور، ولحظاتِ العيون، والإصغاء إلى الاستماع، وما عسى أن يعجزَ مثلي عن صفته.

واعلمْ يا أخي أنَّه مما وصف به مُنافقو هذه الأمة أنَّهم خالطوا أهلَ

---

(١) خماسية: أي طولها خمسة أشبار.
(٢) صفة الصفوة ٤/ ٥٠، المختار ٥/ ٤٤٨.
(٣) في (أ): الرفيق الخفي، والخليل الجافي

الدُّنيا بأبدانهم، وطابقوهم عليها بأهوائهم، وخضعوا لما طمعوا من نائلهم، وسكتوا عمّا سمعوا من ظلمهم، وفرحوا لما رأوا من زينتهم، وداهنَ بعضُهم بعضًا في القول، فأشرَ وبَطرَ من صحبهم من خبيث فعلهم[1]، لهم بالظَّاهر أعمال البر للمحامد والرِّياء، وتركوا باطن العمل بالتَّصحيح فحرمهم الله بذلكَ الثَّمن الرَّبيح.

واعلمْ أنه لا يجزئ من العمل القول، ولا من البذلِ العِدَة، ولا من التَّقوى التَّلاوم، قد صرنا في زمانٍ هذه صفةُ أهله، فمن كان كذلك فقد تعرَّضَ للمقت، وضَلَّ عن سواءِ السَّبيل، وفّقنا الله وإيّاك لما يُحبُّهُ ويرضاه[2]

* * *

(١٤٢) وقال عبد الرَّحمن الصُّوفي رحمه الله: كنتُ ببغداد في سوق النَّخاسين[3]، فرأيتُ جماعةً مُجتمعين، فدنوتُ منهم، فرأيتُ شابًّا مصروعًا مَغشيًا عليه، فقلتُ لواحدٍ منهم: أَيش أصابه؟ فقال: سمعَ آيةً من كتاب الله. فقلت: أيُّ آيةٍ؟ فقال: قوله تعالى: ﴿۞أَلَمۡ يَأۡنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخۡشَعَ قُلُوبُهُمۡ لِذِكۡرِ ٱللَّهِ﴾ [الحديد: ١٦] فلمَّا أفاقَ[4] أنشأ يقول:

أَلَــم يـأنِ للهجـرانِ أَنْ يَتصـرَّمـا ... وللغُصنِ غُصنِ البانِ أن يتنسَّما

وللعاشقِ الصَّبِّ الذي ذابَ وانحنى ... ألم يأنِ أن يُبكى عليه ويُرحما؟

كتبتُم بماءِ[5] الشَّوقِ بين جَوانحي ... كتابًا حكى نقش الوشاةِ مُنمنما[6]

---

(١) في صفة الصفوة ٤/ ٢٦٤: فأشرٌ وبطرٌ قولُهم، ومرٌّ خبيث فعلهم. وفي (أ): فأشروا وبطروا صحبهم ومن خبيث.

(٢) حلية الأولياء ٨/ ٢٤١، صفة الصفوة ٤/ ٢٦٣، المختار ٥/ ١٧٦

(٣) في (ب): سوق الصفارين.

(٤) في (ب): فلما سمع أفاق وأنشأ.

(٥) في (ب): كتبتُ بماء الشوق.

(٦) الوشي: نقش الثوب ونمنمته، يكون من كل لون، والوشاة: الضرابون للذهب. وفي =

ثمَّ صاح صيحةً خرَّ مَغشيًا عليه، فحرَّكتُه، فإذا هو ميت.

* * *

(١٤٣) وقال الحسنُ البصري رحمه الله: مسكينٌ ابن آدم، رضي بدارٍ حلالُها حساب، وحرامُها عذاب، إن أَخذَه من حلِّهِ حُوسب عليه بنعمته، وإن أخذه من حرامٍ عُذِّبَ به.

ابنُ آدم يَستقلل مالَهُ، ولا يَستقلل عملَهُ، يفرحُ بالمُصيبةِ في دينه، ويَجزع من المُصيبة في دنياه.

ابنُ آدم رغبَ كلَّ الرَّغبةِ فيما جعلَ الله لأعدائه، وزهدَ كلَّ الزَّهدِ فيما جعل الله لأوليائه. قال الله تعالى لأوليائه: ﴿لَهُمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ﴾ [الكهف: ٣١] و﴿جَنَّٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ﴾[1] [الكهف: ١٠٧]. فزهد ابنُ آدم في هذا. وقال للكافرين: ﴿وَلَوْلَآ أَن يَكُونَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِٱلرَّحْمَٰنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّن فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ﴾ [الزخرف: ٣٣].

* * *

(١٤٤) وقال أبو إسحاق الأنباري رحمه الله: مضيتُ أعودُ رجلاً خيّاطًا على شاطئ نهر عيسى[2]، فقال لي الخياطُ الذي مَضيتُ إليه أعوده: السَّاعةَ كان عندي أخوكَ الفتحُ بنُ شَخْرف، وخرج، فخرجتُ مُبادرًا لألحقه، فإذا به يَمشي ويداه مَعقودتان إلى خلفه، فسمعتُهُ يقول: يا ربِّ، قد ضاقَ صدري، فاقبضني إليكَ. قال: فسلَّمتُ عليه، وعزمتُ أن أسألَهُ عن هذه الكلمة، وعن هذا الأُنس، فدفع إليَّ سكَّرةً ولوزةً، وجعل

= (أ): نفس الوشاة منمني.

(١) وذلك قوله تعالى فيهما: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ﴾ وقوله جل من قائل: ﴿كَانَتْ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلًا﴾.

(٢) نهر عيسى بن علي بن عبد الله بن عباس في غربي بغداد، مأخذه من الفرات. معجم البلدان.

يُحادثني، وقال: هذه دفعها إليَّ هذا العليل. ولم أسألْهُ حتَّى دخلَ بيتهُ بدربِ سليمان[1]، وعزمتُ على أن أعودَ إليه، وأسألَه من الغد، فاعتلَّ فطالتْ عِلَّتُهُ، ولم أقدر أن أسألَه. فلمَّا ماتَ مضيتُ إلى قبرِه بعد ما انصرفنا من الجنازه بعد العشاء، وقد دخلِ اللَّيلُ، فرأيتُ رجلاً عند القبرِ، فتنحَّيتُ ناحيةً، وتنحَّى ذلك الرَّجلُ ناحيةً، وجئتُ إلى قبره، فقلتُ: يا أبا نصر[2]، سمعتُكَ تقول على شاطئِ نهرِ عيسى: يا ربِّ، قد ضاقَ صَدري، فاقبضني إليكَ. فأيشٍ هذا الأُنس؟ فإذا أنا بصائحٍ من القبر: ما أنتَ وذا؟ ما أنت وذا؟ ما أنت وذا[3] ثلاثًا، قال: فسقطتُ، فإذا أنا بإنسانٍ قد أقامني، فلم أَقُمْ، فذهب، فجاء بماءٍ، فصبَّ على وجهي، فقلتُ له: من أنت؟ فقال: جئتُ إلى القبرِ أَزورُ كما تزورُ القبور، فتوهَّمتُك نباشًا حتَّى سمعتُ الصَّوت الذي لم أسمعْ أهولَ منه، فبادرتُ إليكَ. قال: فجئتُ إلى بيتنا، فبقيتُ شهرين لم أخرجْ من الألم الذي نالَ قلبي من الرُّعب[4]

* * *

(١٤٥) وقال أبو إبراهيم الزّهري[5]: كنتُ جائيا من المَصِّيصة، فمررتُ باللُّكَام، فأحببتُ أن أراهم [يعني المتعبدين]، فقصدتهم، ووافيتُ عندهم صلاةَ الظّهر، قال: فأظنُّ أنَّ إنسانًا منهم عرفني. فقلتُ

---

(١) درب سليمان بن جعفر بن أبي جعفر المنصور كان في بغداد. معجم البلدان.

(٢) في (ب): فلما مات، مضيت إلى قبره بعد انصرافنا من الجنازة، فجئت بعد العشاء إلى قبره، فقلت: يا أبا نصر

(٣) في (ب): ما أنت؟ وماذا أنت؟ وذا ثلاثًا.

(٤) المختار ٤/ ١٨٤

(٥) قال ابن الجوزي في صفة الصفوة ٤/ ٣٤٣: قلت: أبو إبراهيم اسمه أحمد بن إبراهيم بن سعد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف، معروف بالعلم والزهد، وكان أحمد بن حنبل إذا رآه قام قائمًا.

لهم: فيكم رجلٌ تدلّوني عليه؟ فقالوا: هذا الشَّيخُ الذي يُصلّي بنا فحضرتُ عندهم صلاةَ الظّهر والعصر، فقال له ذلك الرَّجلُ: هذا من ولد عبد الرَّحمن بن عوف، وجدُّه لأُمِّه سعدُ بن معاذ. قال: فبشَّ بي، وسلَّم عليَّ كأنه منذ كان يعرفني. قال: فقلتُ: يا أَبا الحنبلية، من أين تأكل؟ فقال لي: أَنت مُقيمٌ عندنا؟ فقلتُ: أمَّا اللَّيلة فأنا عندكم. ثمَّ مضيتُ معه، فجعل يُحدّثني ويؤانسني، حتَّى جاءَ إلى كهفِ جبلٍ، فقعدتُ، ودخل، فأخرج قعبًا[1] يسعُ رطلاً ونصفًا، قد أتت عليه الدُّهورُ، ثمَّ وضعه، وقعد يحدثني، حتَّى إذا كادتِ الشَّمسُ أن تغرب اجتمعتْ عليه ظِباءٌ، فاعتقل ظبيةً منها، فحلبها حتَّى ملأَ ذلك القدحَ، ثمَّ أرسلها، فلمَّا سقطَ القرصُ[2] حساه، ثم قال: ما هو غيرُ ما ترى، وربَّما احتجتُ إلى الشَّيءِ من هذا، فتجتمعُ حولي هذه الظّباء، فآخذ حاجتي[3].

* * *

(١٤٦) وقال أبو يعقوب الطَّبري: كنتُ في البادية، فأتى عليَّ فيها أيامٌ لم آكل فيها شيئًا، وجعتُ جوعًا شديدًا، فرفعتُ همّي إلى الله في ذكرِ الخير[4]، فنظرتُ، فإذا الباديةُ كلُّها محفوفةٌ بالمضارب البيض كأنها جيوشُ الأمراء، ليس لهم عددٌ، فتأمّلتهم، فلم أرَ فيهم أحدًا من الأنس، وأظنُّهم كانوا من الجنّ، فإذا بين المضاربِ تلٌّ من الخبز، وعلى رأسِ التَّلّ كلبٌ باسطٌ ذراعيه على ذلك الخبز، فوقعَ لي أنَّ ذلك الخبزَ فيها ذلك، فعدوتُ وصحتُ، وذهب جوعي، ووقع لي في هذا عجائبُ، تسلَّيت بها ليالي وأيامًا.

* * *

---

(١) القعب: القدح الكبير. متن اللغة.

(٢) سقط القرص: غاب قرص الشمس.

(٣) صفة الصفوة: ٤/ ٤٣٢، المختار ٥/ ٣١٨

(٤) في (أ): فرفعت همتي إلى الله في ذكر الخبز

(١٤٧) وقال محمد بن يعقوب الفرجيّ رحمه الله: خرجتُ سفرًا أريد الشَّام من طريقِ المفازة، فوقعتُ في التّيه، فمكثتُ فيه أيامًا حتَّى أشرفتُ على الموت، فبينا أنا كذلك إذ رأيتُ راهبين يَسيران كأنهما قد خرجا من مكانٍ قريب، يُريدان ديرًا لهما بالقرب[١]، فملتُ إليهما، وقلت: أين تريدان؟ فقالا: لا ندري. قلت فمن أين أقبلتما؟ قالا: لا ندري. فقلت: أتدريان أين أنتما؟ قالا: نعم، نحن في ملكهِ، وبين يديه. فأقبلتُ على نفسي أَقولُ لها: راهبان يتحقّقان بالتّوكُّلِ دونك. فقلت لهما: أتأذنان لي في الصُّحبة؟ قالا: ذاكَ إليكَ.

فسرنا، فلمَّا أمسينا، قاما إلى صلاتهما، وقمتُ إلى صلاةِ المغرب، فصلّيتُ بتيممٍ، فنظرا إليَّ وقد تيمَّمتُ، فضحكا منِّي، فلمَّا فرغا من صلاتهما بحثَ أحدُهما الأرض بيده، فإذا بالماء قد ظهرَ، وطعامٌ موضوعٌ، فبقيتُ متعجّبًا من ذلك، فقالا: ما لَكَ؟! ادنُ، وكلْ واشرب. فأكلنا وشربنا وتوضَّأتُ للصلاة، ثمَّ نضبَ الماء وغار، حتَّى لم أرَ له أثرًا، وقاما، فلم يزالا في صلاتهما، وأنا أُصلّي وحدي حتَّى أَصبحنا، فصلَّيتُ الفجر، ثمَّ قاما يسيران إلى اللَّيل، فلمَّا أَمسينا تقدَّم الآخرُ، فصلّى بصاحبه، ثمَّ دعا بدعواتٍ، وبحث الأرض بيده، فنبع الماء، وحضر الطَّعامُ، فقالا لي: ادنُ، فكلْ واشرب. فأكلنا وشربنا، وتوضَّأتُ للصلاة، ثمَّ نضب الماء وغار، حتَّى لم أرَ له أثرًا.

فلمَّا كانت اللَّيلةُ الثَّالثة قالا لي: يا مُسلمُ، اللَّيلةَ نوبتكَ.

قال محمد بن يعقوب: فاستحييتُ من قولهما، وداخلني من ذلك همٌّ شديدٌ. فقلت في نفسي: اللَّهُمَّ إنِّي أعلمُ أنَّ ذنوبي لم تدعْ لي عندكَ جاهًا، ولكنِّيَ أسألُكَ بنبيِّكَ محمدٍ ﷺ أن لا تَفضحني عندهما، ولا تُشمّتهما بنبيِّكَ محمد ﷺ. فإذا أنا بعينٍ خرّارةٍ، وطعامٍ كثير، فأكلنا وشربنا، ولم

---

(١) في المختار: ديرًا لهما قريبًا

نزل على حالنا حتَّى بلغتْ إليَّ النَّوبةُ الثَّانية، فدعوتُ بمثل ما دعوتُ، وتوسَّلتُ بالنَّبيِّ عليه السَّلام، فإذا بطعامِ اثنين، وشرابِ اثنين، والماءُ ينبعُ دون ما كان، فتقاصرت إليَّ نفسي، وقضيت، وأريتُهما أنِّي آكل، فسكتا عنِّي.

وسرنا حتَّى بلغت إليَّ النَّوبةُ الثَّالثةِ، فدعوتُ الله تعالى بمثلِ ما دعوتُ، وتوسَّلتُ بالنَّبيِّ ﷺ، فإذا بطعامِ اثنين، والماء مثل ذلك، فغمَّني ذلك، فغلبتني عيناي من الهمّ[1]، فإذا بقائلٍ يقول لي: يا محمد، أردنا منكَ الإيثار الذي خَصصنا به محمَّدًا ﷺ من بين الأنبياء والمرسلين، وهي علامتُهُ وكرامتُهُ، وكرامة أمَّته من بعده إلى يوم القيامة.

فلمَّا بلغتْ إليَّ النَّوبةُ الرَّابعة، قالا لي: يا مسلمُ، ما هذا؟ إنَّا نرى في طعامكَ وشرابك نقصًا، فِلمَ ذلك؟ فقلتُ: أَوَلا تعلمانِ أنَّ هذا خُلقٌ خصَّ الله نبينا محمدًا ﷺ من بين الأنبياء والمُرسلين، وخصَّ به أُمَّتَهُ من بعده، وأنَّ الله تعالى يُريدُ منِّي الإيثار، وقد آثرتُكما استنانًا بنبيِّ الله محمدٍ ﷺ. فقالا لي: صدقتَ، نحن نشهدُ أنْ لا إله إلاَّ الله وحده لا شريكَ له، ونشهدُ أنَّ محمدًا رسولُ الله ﷺ، صدقتَ في قولكَ، هذا خُلقُ محمدٍ ﷺ في كُتُبِ الله المُنْزلة أنَّ الله خَصَّ مُحمدًا وأمَّته بذلك، وأسلما.

فقلتُ لهما: هل لكما في الجُمعةِ والجماعة؟ فقالا: ذلك واجب؟ قلتُ: نعم، فاسألا الله تعالى رغبًا إليه أن يُخرجكما من هذه التِّيه إلى أقربِ الأماكن من الشَّام. ففعلا، فبينا نحن نسيرُ إذا ببيوتٍ قد أشرفنا عليها، وهي بيوت بيت المقدس، قال: فدخلنا المسجد، وأقمنا أيامًا، ثمَّ تجدَّد لي سفرٌ، ففارقتهما[2]

---

(١) في (أ): من المهم.

(٢) حلية الأولياء ١٠/ ٢٨٨، ٢٨٩، المختار ٤/ ٤٨٠

(١٤٨) وقال أبو جعفر الحدَّاد: كنتُ في طريق مكَّة، فجلستُ أستريح، فإذا إلى جانبي عصفورٌ على حجرٍ، فلم يبرحْ، ولم يَستوحش، فجعلتُ أنظرُ إليه، تجيء الذُّبابُ، فيضربُ منقارَه، فيزمُّ حواليه، فيفتح فاه، فيدخل الذُّبابُ فيه، فرأيت هذا منه مرارًا، فقمتُ إليه، فأخذته، فإذا هو أَعمَى، والذُّبابُ الذي يَجيء إليه رزقُهُ.

* * *

(١٤٩) وقال أبو الأشهب السَّائح رحمه الله: بينا أنا في الطَّواف، إذا بجُويرية خماسية[1]، وقد تعلَّقتْ بأستار الكعبة، وهي تقول: يا وحشتي بعد الأُنس! ويا ذُلِّي بعد العزِّ! ويا فقري بعد الغِنى! فقلت لها: يا جاريةُ، أَذهبَ لكِ مالٌ، أو أُصبتِ بمُصيبةٍ؟ فقالت: لا، ولكن كان لي قلبٌ فقدتهُ. فقلتُ: وهذه مُصيبتُكِ التي تبكين عليها؟ فقالت: وأيُّ مُصيبةٍ أعظمُ من فقدِ القلوب، وانقطاعها عن المحبوب!؟ فقلتُ لها: إنَّ حُسنَ صوتِكِ قد عطَّلَ عليَّ مِنْ سمعِ كلامكِ الطَّوَّاف. فقالت: يا شيخُ، البيتُ بيتُكَ أم بيتُه؟ فقلت: لا؛ بل بيتُهُ. فقالت: فالحرمُ حرمُكَ أم حرمُهُ؟ فقلت: لا؛ بل حرمه. قالت: فمن استزارنا إليه؟ قلت: هو. قالت: فدعنا نتدلَّلُ عليه على قدر ما استزارنا إليه.

ثمَّ قالت: سيِّدي، بحبك [لي] إلاَّ ما رددتَ عليَّ قلبِي. فقلت لها: يا جارية، من أين تَعلمين أنَّه يُحبُّكِ؟ فقالت: بالعنايةِ القديمة، حبسَ في طلبِي الجيوش، وأنفقوا الأموال، وأَخرجني من بلاد الشِّركِ، وأدخلني إلى بلاد التَّوحيد، وعرَّفني نفسه بعد جهلي إيّاه، فهل هذا يا عبد الله إلاَّ لعنايةٍ؟ قلت: فكيفَ حُبُّكِ له؟ قالت: أعظمُ شيءٍ وأجلُّه. قلتُ: أَتعرفين الحُبَّ؟ قالت: فإذا جهلتُ الحبَّ، فأيُّ شيءٍ أَعرِفُ؟ قلت: فكيف هو؟ قالت: أدقُّ من السَّراب، وأرقُّ من الشَّراب. قلت: وأيُّ شيءٍ هو؟

---

(١) خماسية: أي طولها خمسة أشبار

فقالت: طينةٌ عُجنت بالحلاوة، وخُمّرتْ في إناء[1] الجلالة، حلو المُجتنى ما اقتصد، فإذا فرطَ صارَ خبلاً قاتلاً، وهو شجرةٌ غرسهُا كريمٌ[2]، ومجتناها لذيذٌ. ثمَّ ولَّتْ، فأنشأت تقول:

وذي قلقٍ ما يَعرفُ الصَّبرَ والعزا ... لـه مُقلـةٌ عَبْـرَى أَضـرَّ بهـا البُكـى

وجسمٌ نحيلٌ من شَجى لاعجِ الهوى ... فمن ذا يُداوي المُستهامَ من الضَّنى

ولا سيَّما والحبُّ صَعْبٌ مَرامُهُ ... إذا عطفتْ منه العواطفُ[3] بالفنا[4]

* * *

(١٥٠) وقال أبو بكر المروزي: حدَّثني رجلٌ بطَرَسُوس قال: فكّرتُ ليلةً في أحمد بن محمد بن حنبل، وصبرِه على ضربِ السِّياط، وكيف قويَ على ذلك، مع ضعفِ بدنه، فبكيتُ، فرأيتُ في منامي وكأنَّ قائلاً يقول لي: فكيف لو رأيتَ الملائكةَ في السَّموات، وهو يُضرب، وهي تتباهى به؟ قال. قلتُ: وعلمتِ الملائكةُ بضربِ أحمد بن حنبل؟ فقال: ما بقي في السَّموات مَلَكٌ إلاَّ وأشرفَ عليه وهو يُضرب.

* * *

(١٥١) وقال أبو الحارث الأَولاسي رحمه الله عليه: رأيتُ إبليسَ لعنه الله، وله جُمَّةُ شعرٍ، وعلى حلقه شعرٌ مثلُ شعر كلب، فأقبلتُ عليه أتملَّقُهُ، وأقول له: ويحكَ، من أنا في هذا الخلق؟ خلِّني وربِّي، لا تعترض بيني وبينه. قال: هيهات، هيهات، كيف أُخلّيكَ وفي أبيكَ وفيكَ هلكتُ؟[5] لا، أو تَهلكوا معي. قال: فأخذتُ برأسه، فجعلتُهُ على

---

(١) في (أ): وخُمّرت في إناء.

(٢) في (أ): غرسها كريه.

(٣) في المختار: عنه العواطف بالغنى.

(٤) صفة الصفوة ٤/ ٤١٨؛ المختار ٥/ ٤٦٥

(٥) أي بسببك وسبب أبيك هلكتُ.

حَجرٍ، وأخذتُ بحلقه أختقُهُ، فقلتُ: كيف أقدرُ عليه بالقتلِ، واللهُ قد أخَّرهُ إلى يوم القيامة؟ ولكنْ أرفقُ به. فجعلتُ أتملَّقُه، وهو يأبى، فقلت له: دُلَّني على ما يَنفعني. فقال: أَدلُّكَ على السُّكَّر الطَّبرزَد[1] بالرَّانج[2]، والتَّمر البَرْني[3]، والآزاد بالزّبد[4]، وأدلُّكَ على الجبن الرَّطب، والمعقود[5]، والبطّ والحملان[6]، والجواذبات[7]، وأدلُّكَ على الدَّنانير والدَّراهم أن تُكثرَ منها. فقلتُ: يا ملعون، أنا أسألُكَ أن تَدلَّني على شيءٍ ينفعني في أمرِ آخرتي، تدلُّني على الدُّنيا! وما أصنع أنا بهذا؟ وما حاجتي إليه؟ فقال: من ههنا صارَ رأسي وحلقي في يديكَ، تُقلِّبُه كيف شئتَ، وتلعبُ به. قلتُ له: قد أفدتَني عِلمًا، فلا جَرمَ إنِّي لأرجو أن لا أنالَ منها شيئًا إلاَّ ما [لا] غِنى بي عنه. قال: إن تركتُكَ فاصعد العقبةَ. قلتُ: فأين الله؟ قال: في السَّماء، وهو الذي سلَّطني عليكَ، فبه قويت عليك وعلى غيركَ، فأما أنتَ فأستعينُ الله عليكَ بأبناء جنسكَ الذين زيّنتَ في أعينهم ما قَبُحَ في عينيكَ، فأجابوني إليه، فبهم أستعين[8] عليكَ، فيأتوكَ من مأمنكَ[9]

* * *

(١) الطبرزد. معرب تبرزد الفارسية: السكر المقطّع بالفأس، سكر النبات.
(٢) الرَّانج: ضرب من التمر أملس، والجوز الهندي. متن اللغة.
(٣) البَرْني: أجود التمر، أحمر، مُشرب بصفرة، كثير اللحاء، عذب الحلاوة، فارسي معرب. متن اللغة.
(٤) الآزاد: نوع من أجود التمر. متن اللغة.
(٥) في (أ): وأدلك على الخبز الرطب والمعقود.
(٦) الحُملان: جمع حَمَل، ولد الضأن. متن اللغة.
(٧) الجواذبات: جمع جُوذاب: طعام يصنع من سكّر وأرزٍ ولحم، وهو الذوباج. متن اللغة.
(٨) في (أ): وقد أستعين.
(٩) صفة الصفوة ٤/ ٢٨١، المختار ٢/ ٢٣٨

(١٥٢) **وقال محمَّد بن سهل بن عسكر البخاري**: كنتُ في طريق مكَّة، إذ سمعتُ رجلاً مَغربيًا على بغلٍ، وبين يديه منادٍ يُنادي: من أصابَ هِمْيانًا[١] فلهُ ألفُ دينار. قال: وإذا إنسانٌ أعرجُ عليه أطمارٌ رثَّةٌ خُلْقان يقول للمغربي أيشٍ علامة الهِميان؟ فقال: كذا وكذا، وفيه بضائعُ لقومٍ، وأنا أُعطي من مالي ألفَ دينار. فقال الفقيرُ: من يقرأُ الكتابة؟ قال ابن عسكر: فقلتُ: أنا أقرأ. فقال: اعدلوا بنا إلى ناحيةٍ من الطَّريق. فعدلنا، فأخرج الهِميان، فجعل المغربيُّ يقول حبَّتانِ لفلان ابن فلان[٢] بخمس مئة دينار، وحبَّةٌ لفلان بمئة دينار، وجعل يعدُّ، فإذا هو كما قال، قال: فحلَّ المغربيُّ هِيمانَه وقال: خُذْ ألف دينار التّي وعدتُك على إجادة الهِميان. فقال الأعرج: لو كان قيمة الهِميان الذي أعطيتُكَ عندي بعرتين، ما كنتَ تراه، فكيف آخذُ منكَ ألفَ دينار على ما هذا قيمته؟ وقام ومضى، ولم يأخذ منه شيئًا[٣]

* * *

(١٥٣) **وقال أبو بكر المصري**: خرجتُ مع أبي الحسن النَّصيبي من الجُحفةِ نريد الحجازَ إلى مكَّة، فلمَّا صرنا في بعضِ الطَّريق قعدنا تحت شجرةٍ، فإذا تحتَ الشَّجرةِ بدرةٌ[٤] مختومةٌ موضوعةٌ، فقال: أَيش هذا؟ قلنا: بدرةٌ مختومةٌ، لا ندري دنانيرُ هي أم دراهم. فقال: قوموا بنا؛ فإنَّها فتنةٌ لقومٍ. فلم ندرِ من عَنَى، ومن أرادَ بذلك، فسرنا حتَّى صرنا بالحجاز، فتخلَّفَ منَّا واحدٌ ممن كان معنا من الفقراء حتَّى أخذ البَدْرة، فما رأيناه بعد

---

(١) الهِيمان: كيس للنفقة، يشدُّ في الوسط. متن اللغة.

(٢) في (ب): لفلانة بنت فلان.

(٣) صفة الصفوة ٤/ ٤٠١، المختار ٥/ ٣٦٠

(٤) البدرة: كيس فيه ألف دينار أو سبعة آلاف أو عشرة آلاف دينار، والبدرة جلد السخلة إذا فُطمت، وسميت البدرة به. متن اللغة.

ذلك، فعلمنا أنَّه عَنَى ذلك الفقير، وإنَّها كانت فتنةً له[1]

* * *

(١٥٤) وقال محمد بن داود: سمعتُ أبا بكر الفوطي وأبا عمرو بن الآدمي رحمهما الله وكانا مُتواخيين في الله تعالى، يقولان: خرجنا من بغدادَ نُريد الكوفةَ، فلمَّا صِرنا في بعضِ الطَّريق، إذا نحن بسبعَيْنِ رابضين على الطَّريق، فقال أبو بكر لأبي عمرو: أنا أكبرُ منكَ سنًّا، دعني حتَّى أتقدّمكَ، فإن كانت حادثةٌ اشتغلوا بي عنكَ، ونجيتَ أنتَ. فقال له أبو عمرو: نفسي ما تُسامحني بهذا، ولكن نكونُ جميعًا في مكانٍ واحدٍ، فإن كانت حادثةٌ كُنَّا جميعًا، فجازا جمعيًا في وسط السَّبعين، فلم يتحرَّكا، ومرّا سالمين.

وقال بعضُ المشايخ: هذا ميراثُ المُوافقة في المحبّة.

* * *

(١٥٥) وقال المُعافى بن عمران: سمعتُ سُفيان الثَّوري يقول: الدُّنيا دارُ التواء لا دار استواء، ومَنْزِلُ ترحٍ لا مَنْزل فرح، مَنْ عرفَها لم يفرحْ برخاءٍ، ولم يحزنْ على شقاء، وطلبَ النَّعيمَ في دارِ البقاء مع المصطفى ﷺ.

* * *

(١٥٦) ورُوي: أنَّ أبا سُليمان الهاشمي كان له دَخلٌ بالبصرة في كلِ يوم ثمانين ألفَ درهم، فبعثَ إلى عُلماء البصرة يَستشيرهم في امرأةٍ يتزوَّجُها، فأجمعوا على رابعةَ العدوية. فكتب إليها:

بسم الله الرَّحمن الرَّحيم، أمَّا بعد: فإنَّ الذي هو مُلكي من غلَّةِ الدُّنيا في كلِّ يومٍ ثمانون ألفَ درهم، وليس يَمضي إلاَّ قليلٌ حتَّى أُتمَّها مئة ألف

---

(١) المختار ٥/ ٣٧٠.

درهم إن شاء الله، وأنا أخطُبُكِ من نفسكِ، وقد بذلتُ لكِ من الصَّداق مئة ألف، وأنا مُصَيِّرٌ إليك بعد ذلك أمثالَها، فأجيبيني.

فكتبت إليه:

بسم الله الرَّحمن الرَّحيم، أما بعد: فإنَّ الزُّهدَ في الدُّنيا يُريحُ القلبَ والبدنَ، والرَّغبةَ فيها تُورثُ الهمَّ والحزنَ، وإذا أتاكَ كتابي هذا فهيِّئْ زادَكَ، وقدِّم لمعادِكَ، وكُنْ وَصِيَّ نفسكَ، ولا تجعل وصيَّكَ غيرَكَ، وصُمْ دهرَكَ، واجعلِ الموتَ فطرَكَ، فما يسرّني أنَّ الله خوَّلني أضعافَ ما خوَّلكَ، ويشغَلُني عنه[1] طرفةَ عينٍ، والسَّلام[2].

* * *

(١٥٧) وقيل لأبي العاليةَ الرِّياحي رحمه الله: ما يفتحُ الفكرة؟ فقال: اجتماعُ الهمِّ، فإنَّه إذا هُمَّ فكَّر، وإذا فكَّرَ[3] أبصر، وإذا أبصرَ اعتبر، ألا إنَّه إذا تمَّتْ رغبةُ العبدِ نفذت فكرتُهُ، فإذا نفذتْ فكرتُهُ، فُتحت له أبوابُ السَّدادِ[4]، فكان يتنقّلُ في العمل، ويعرفُ الشَّيءَ بقلبه، فإذا كان كذلك أخرجَه ذلك إلى التَّعظيمِ لله، فإذا كان كذلك زادَهُ اللهُ. فقيل له يا أبا العاليـة، ومـا زيـادةُ الله عـزّ وجـلّ؟ قـال: البـرُّ، واللِّيـن، والخشـوعُ، والتَّواضع، فإذا كان كذلك سقاهُ اللهُ من حُبِّهِ شَرْبَةً فيها يُعطى تفكّر ساعةٍ عبادة شهر، إن صاحبَ الدِّين إذا تفكّر علتْهُ السَّكينةُ وسكن، فتواضع ورضي فلم يغتمَّ، وخلّى الدُّنيا، فنجا[5] عن الشَّرِّ، وترك الشَّهوات، فصار حُرًّا، وترك الحسدَ، فظهرتْ له المحبَّةُ، وانفردَ، فكُفي، وسلتْ نفسُهُ عن كل فانٍ.

---

(١) في (ب): ويشغلني بك عنه.
(٢) وفيات الأعيان ٢/ ٢٨٦، المختار ٥/ ٢٥٥
(٣) في (أ): فإذا هم أفكر وإذا أفكر.
(٤) في (أ): أبواب السدد.
(٥) في (أ): فتنحى عن الشر

(١٥٨) وقال محمد بن بكار: كانتْ عندنا بمكَّةَ امرأةٌ عابدةٌ، لا تمرُّ[١] بها ساعةٌ إلاَّ وهي صارخةٌ، فقيل لها: إنَّا لنراكِ على حالٍ ما نرى غيرَكِ عليها، فإن كان بكِ داءٌ عالجناكِ؟ قال: فبكتْ. ثمَّ قالت: ومَنْ لي بعلاجِ هذا الدَّاء؟ وهل أقرحَ قلبي إلاَّ التَّفكّرُ في نيل معالجتِهِ، أوليس عجبٌ لمثلي أن تكونَ حيّةً بين أظهركم!؟ وفي قلبي من الاشتياقِ إلى ربِّي مثلُ شُعلِ النَّار التي لا تُطفأ، حتَّى أصيرَ إلى الطَّبيب الذي عنده بُرءُ دائي، وشفاء قلبي الذي قد أنضجه طولُ الأحزانِ في هذه الدَّار التي لا أجد لي فيها على البكاء مسعدًا[٢]

* * *

(١٥٩) وقال أبو بلال الأَسود رحمه الله: خرجتُ حاجًّا، فلمَّا صرتُ في بعضِ الطَّريق إذا أنا بامرأةٍ ليس معها زادٌ ولا إداوةٌ، فقلتُ لها: من أين أنتِ؟ قالت: من بلخ. فقلتُ: خرجتِ من بلخٍ، وما أرَى معك زادًا، ولا ما تحملين فيه الزَّادَ والماءَ! فقالت: خرج معي من بلخ عشرةُ دراهم، وقد بقي معي بعضُها فقلتُ لها: فإذا نفدتْ، ما تصنعين؟ فقالت: عليَّ هذه الجبَّةُ، أبيعُها، وآخذُ دونها، وأُنفقُ ما بين ذلك. قلتُ: فإذا فني، فما تَصنعين؟ قالت: أَبيع هذا الخمار، وآخذُ دونه، وأُنفق ما بين ذلك. قلتُ: فإذا فني، فما تَصنعين؟ قالت: يا رجلُ، أسألُهُ فيُعطيني. فقلتُ لها: ألاَّ سألتيه قبلَ ذلك؟ فقالت لي: ويحكَ، إنِّي أستحيي أن أسألَهُ شيئًا من الدُّنيا ومعي فضلٌ من عُروضها. فقلت: اعتقبِي هذا الحمار عقبةً[٣] فقالت: دَعْهُ. فتركتُه معها، وتخلَّفتُ لقضاء الحاجة، فلمَّا قضيتُ

---

(١) في (ب): فكانت لا تمرُّ

(٢) مسعدًا: معينًا أسعده على الشيء أعانه، ولا يقال إلاّ في البكاء. متن اللغة وفي (أ): على البقاء مسعدًا

والخبر في صفة الصفوة ٢/ ٢٨١، والمختار ٥/ ٤٨١

(٣) العقبة: النوبة.

حاجتي، أسرعتُ في أثرها، فإذا أنا بالحمارِ واقفٌ، والخُرجُ ملآن من القُراني الحُوَّارَى[1]، ولم أرَ لها أثرًا، فطلبتُها فلم أرَها بعد ذلك[2]

* * *

(١٦٠) وقال محمد بن أحمد السَّائح رحمه الله: بينما أنا أسيرُ في طريقٍ مكَّة، إذا أنا برجلٍ من العُبَّادِ، ناحلِ الجسم ذابلٍ، فلمَّا رأيتُهُ أعجبتني رؤيتُه، فقلتُ له من أين أنت أيُّها الرَّجل؟ فقال: من بعضِ القُرى. فقلتُ: ما لَكَ رفيقٌ؟ فقال لي: أويحتاجُ العبد مع الله إلى رفيقٍ؟ ومن أرفقُ من الله تعالى بعبدِه يا رجل؟ اجعلِ اللهَ أُنسَكَ إذا استوحشتَ، ومُهديك إذا ضللتَ، وصاحبَكَ إذا افتقرت، ثمَّ مُدَّ إليه يدَكَ، فإنَّه لا يُخيِّبُ السَّائلَ، ولا يقطع الرَّجاء[3]

* * *

(١٦١) وروي: أن رجلين كانا من أصحاب جابر الرَّحَبِي، فكان أحدُهما يأخذ حاجتَهُ من سلَّةٍ كانت له إذا احتاجَ إلى شيءٍ، أدخلَ يدَهُ فيها، فيأخذُ ما يُريد، وكان الآخرُ يأخذُ حاجتَهُ من أيدي النَّاس، فسألا جابرَ الرَّحَبِي رحمه الله: أيُّهما أفضل؟ قال جابر: الذي يأخذُ حاجتَهُ من أيدي النَّاس أفضلُ. فقال له الآخرُ: سبحان الله، كيف يكونُ هذا، أنا آخذ ما تولاَّه الله لي، وهذا يأخذُ من أيدي النَّاس، فكيف يكونُ أفضلَ مني؟ فقال له لهذا شاهدٌ أقولُهُ لكَ، وهو ما رُوي عن النَّبيِّ ﷺ أنه قال: «إذا كان يوم القيامة قيلِ للفقير القانع: انظرْ من قضى لكَ حاجةً، أو فعلَ بكَ كذا أو كذا، فخذْ بيده، وأدخله الجنَّة»[4] فيأخذ بيدِ من كانت له عليه

---

(١) القرني: خبزةٌ تشوى ثم تروّى سمنًا ولبنًا وسكرًا والحَوَّارى: الدقيق المنقّى، وهو لباب الدقيق وأخلصه. متن اللغة.

(٢) صفة الصفوة ٤/ ١٦٦، المختار ٥/ ٤٦٠.

(٣) المختار ٥/ ٣٧١

(٤) لم أجده بلفظه في المصادر التي بين يدي، وانظر كنز العمال ٦/ ١٦٥٨٢، فيض القدير=

يدٌ، أو قضى له حاجةً، فيدخله الجنَّةَ، وأنت تأخذُ بيد السلَّةِ.

* * *

(١٦٢) وروي: أنَّ رجلاً جاء إلى الحسن البَصري، فشكا من عاملٍ من عمّال الحجّاج، فقال له الحسن: إذا كان غدٌ مضينا إليه. فلمَّا صلّى الصُّبح، قام الحسنُ، وقام معه عُتبةُ الغلام رحمه الله، فقال له الحسنُ: لا تجئْ. فلمَّا وصلنا إلى الباب، التفتَ الحسنُ، فرأى عتبةَ خلفه، فقال له: أَلَم أنهَكَ.

فدخلَ الحسنُ إلى العامل، فقامَ العاملُ إليه، فعانقه، وأجلسه في موضعه، وجلسَ بين يديه، فقال الحسنُ: أخذتَ مالَ فلانٍ؟ فقال: قد فعلتُ، وأنا تائبٌ، وأنا أردُّهُ. ثمَّ قال: وأخذتَ ضيعةَ فلان؟ فقال: قد فعلتُ، وأردُّها عليه، وأنا تائب. فلم يقلْ له الحسنُ شيئًا إلاَّ قال: أيَّ شيءٍ رأيت، فلمَّا قامَ الحسنُ، قال لعتبة: كيف رأيتَ؟ قال: أيَّ شيءٍ رأيت! [رأيتُ] مُنافقَيْنِ، داهنتَهُ وداهنَكَ. فقال العاملِ: ما قلتَ؟ فقال عتبة: ما سمعتَ. فقال العاملُ: يا غلمان، خُذوه. فقال عُتبة يا ربِّ، خُذهُ. فسقط العامل من سريره مَغشيًّا عليه، فالتفتَ الحسنُ إلى عُتبة، وقال: من هذا كرهنا أن تكونَ معنا[(١)]

* * *

(١٦٣) وقال أبو عَمرو الخياط: قال لي الخضرُ عليه السَّلام: ما كنتُ أظنُّ أنَّ لله وليًّا إلاَّ وقد عرفتُه، وكنتُ بصنعاء اليمن بالمسجدِ، والنَّاسُ حول عبد الرَّزَّاق يَستمعون منه الحديثَ، وشابٌّ جالسٌ في ناحيةِ المجلس، فقال لي: ما شأنُ هؤلاء؟ فقلتُ: يستمعونَ من عبد الرَّزاق. فقال: عمَّن؟ فقلتُ: عن فلانٍ وعن فلان عن النَّبيِّ ﷺ. فقال: هلاَّ

= ١/ ١١٣، كشف الخفا ١/ ٣٧

(١) المختار ٣/ ٥٥٥.

سمعوا من الرَّزاق عزَّ وجل؟ فقلتُ: فأنت ممّن يَسمعُ عن الله؟ فقال: نعم. قلتُ: فمن أنا؟ قال: أنتَ الخَضر. فعلمتُ أنَّ لله أولياءً ما عرفتهم[1]

* * *

(١٦٤) وقال محمد بن خلف العباداني: دخلَ بعضُ إخوان جعفرِ الحداد رحمه الله عند موته، وهو ممّن يلبسُ الصّوف، فقال جعفر لما قعدوا الفوائدُ من القلوبِ تستغلق[2] بالظَّواهر، وما هلك من هلكَ إلاَّ لغفلتهم عن النِّعم، ولجهلهم بالمُنعم، وعجزهم عن الشُّكر إنَّ الخيرات كلَّها نوعان: مواهب من الله تعالى، واكتساب، ولا يتمّامُ الاكتسابُ إلاَّ بمشاهدة المواهب، والاكتساب عند زوال الرُّوح، والمواهبُ باقيةٌ مع العبد في الأبد، فمن لم يشهدِ النِّعم، فكيف يستقبلها بالشُّكر؟ ومن لم يعرفِ العفو، لم يجد طعمَ العافية، ومن علمَ أنَّ عافيتهُ مقيَّدةٌ بعفوه، بادرَ إلى الشُّكر، فيشهد عجزَهُ عند الشُّكر، وكمالُ الشُّكر في مشاهدة العجزِ عن الشُّكر.

* * *

(١٦٥) وقال عليُّ بن سعيد العطَّار رحمه الله: مررتُ بعبادان، وإذا أنا بمجذومٍ، والزُّنبُور يقعُ عليه، فيقطع من لحمه، فقلتُ: الحمد لله الذي عافاني ممّا ابتلاه به، وفتح من عيني ما غلقَ من عينيه. فقال: بينما أنا أردِّدُ الحمد لله إذ صُرع، فبينما هو يتخبَّطُ، إذ نظرتُ عليه فإذا هو مُقعدٌ، فقلتُ: مكفوفٌ، مَصروعٌ، مَجذومٌ، مُقعدٌ، قال: فما استتممتُ هذا الخاطر حتَّى صاح: يا مُكلّف، ما دخولُكَ فيما بيني وبين ربِّي، دعهُ يعملُ

(١) المختار ٥/ ٤٤٠، روض الرياحين ١٨٢ (الحكاية: ١٠٦) والحكاية فيه تدور في مدينة رسول الله ﷺ.
(٢) في (أ): استغلوا.

بي ما يشاء. ثمَّ قال: وعزَّتِكَ وجلالِكَ لو قطَّعتَني إِرْبًا إِرْبًا وصببتَ البلاءَ عليَّ صبًا ما ازددت لكَ إلاَّ حُبًّا[1]

* * *

(١٦٦) وروي: أنَّ عليَّ بن أبي طالب وولدَه الحسين عليهما السَّلام سمعا قائلاً يقول في جوفِ اللَّيل شعرًا[2]:

يا مَنْ يُجيبُ دُعا المُضطرِّ في الظُّلمِ ... يا كاشفَ الضُّرِّ والبلوى مع السَّقمِ
قد نام وفدُكَ حولَ البيتِ وانتبهوا ... وعينُ مَجدِكَ يا قيّومُ لم تَنمِ
هبْ لي بجودِكَ فضلَ العفوِ عن زَللي ... يا مَنْ إليه رجاءُ الخَلْقِ في الحرمِ
إن كان عَفوك لا يَرجوه ذو خطأٍ ... فمَنْ يَجودُ على العاصين بالكَرَمِ

فقال عليٌّ لولده: اطلبْ لي هذا الرَّجل القائل. فأتاه، فقال له: اجبْ أميرَ المؤمنين. فأقبلَ، وهو يَجرُّ شقَّهُ حتَّى وقفَ بين يديه، فقال له: قد سمعتُ خطابَكَ، فما قصَّتُك؟ فقال: أويعفيني أميرُ المؤمنين؟ فإنِّي من أمري في ضيقٍ، إن تُبتُ لم يَقبلْ توبتي، وإن سألته لم يُقيلني عثرتي. فقال له: ولِمَ ذلك؟ فقال: لأني كنتُ رجلاً مشهورًا بالطَّرب والعصيان، وكان لي والدٌ يعظني، ويُحذِّرني مصارعَ الجُهّال، ويقول: إنَّ لله سطواتٍ ونقماتٍ، وما هي من الظَّالمين ببعيد، فلمَّا ألحَّ في الموعظةِ، ضربتُهُ، فحلفَ إنَّه ليدعونَّ عليَّ، ففعل ودعا، فلم يستتمَّ دعاءه حتَّى جفَّ شقي الأيمن، فندمتُ على ما كان منِّي إليه، وداريتُهُ وأرضيتُهُ إلى أن ضمنَ لي أن يدعوَ لي حيث دعا عليَّ، فقدَّمتُ له ناقةً، فأركبتُهُ، فنفرتْ النَّاقةُ، فأرمتْهُ بين صخرتين، فمات هناك.

فقال له عليٌّ عليه السَّلام: آلله إنَّ أباكَ رضي عنكَ؟ فقال: آلله، لقد كان كذلك. فقام عليٌّ كرَّمَ اللهُ وجهه، فصلَّى ركعتين، ودعا بدعواتٍ

---

(١) صفة الصفوة ٤/ ٦٠، المختار ٥/ ٣٨٥

(٢) في (أ): في جوف الليل شعرًا وهو يقول

أسرَّها إلى الله تعالى، ثمَّ قال لي: يا مبارك، قم. فقمتُ ومَشيتُ، وعدتُ إلى الصِّحة كما كنتُ، ثمَّ قال: لولا أنَّكَ حلفتَ أنَّ أباكَ رضي عنكَ، لما دعوتُ لكَ.

* * *

(١٦٧) وقال أبو عبد الله النَّباجي رحمه الله: قرأتُ في بعضِ الكتبِ: يقول الله عزَّ وجلَّ: عبدي إن رضيتَ عنّي، رضيتُ عنكَ، وإن أفردتني لحاجتِكَ أفردتُها لكَ، وإن لم تردَّ عليَّ حُكمي واليتُكَ، وإنْ جُدتَ لي بما أَعطيتُكَ صافيتُكَ

وأنشد في المعنى لمحمد بن حازم[١]:

للناسِ مالٌ ولي مالانِ ما لهما إذا تحارسَ أهلُ المالِ حُرّاسُ
مالي الرِّضا بالذي أصبحتُ أملِكُهُ ومالِيَ اليأسُ ممَّا يَملكُ النَّاسُ[٢]

* * *

(١٦٨) وقال يوسفُ بن أَسباط رحمه الله: علامة التَّوكُّلِ عشرةُ أشياء: السُّكونُ إلى المضمون، والوقوف عند الدُّون، والاستسلامُ لما يكون، وتعلّقُ القلبِ بين الكافِ والنُّون، والدُّخولُ في العبودية، والخروجُ من الرُّبوبية، وقطعُ العلائق، والأياس من الخلائق، والدُّخولُ في الحقائق، والأخذُ بالدّقائق[٣]

* * *

---

(١) محمد بن حازم بن عمرو الباهلي شاعر مطبوع أكثر شعره في الزهد، توفي ببغداد سنة ٢١٥ للهجرة

(٢) تهذيب الأسرار ١٣٢

(٣) تهذيب الأسرار ١٣٨.

(١٦٩) وقال خليل المقدسي رحمه الله: رأيتُ في جبال [بيت] المقدس رجلاً في وادٍ، قد اتّشحَ بعباءةٍ[١]، وهو يقول:

إلى متى هذا يكونُ؟

فقلتُ له: لمن تعاتب؟ فقال: تنحَّ عنّي، فما أوحشكَ! ما رأيتُ في هذا الوادي منذ ثلاثين سنةً جنّيًا ولا إنسيًّا. قلتُ: فبمن تأنس؟ قال: بمن يُطعمني ويَسقيني، وإذا مَرضتُ يشفيني، وبمن إذا توكَّلتُ عليه يكفيني. قلتُ: فكيف تعمل في الشّتاء؟ فقال: يا حبيبي، إنَّ الزَّمان يتغيَّرُ والمليكُ لا يتغيَّر، هو في الشّتاء كما هو في الصَّيف، وهو في الصَّيفِ كما هو في الشِّتاء[٢].

* * *

(١٧٠) وقال محمد بن السَّمَّاك: وعظتُ يومًا في المجلسِ، فقام شابٌّ من القومِ، فقال لي: يا أبا العباس، لقد وعظتَ اليومَ بكلمةٍ ما كُنّا نبالي أن لا نسمعَ غيرها قلتُ: وما هي رحمك الله؟ قال: قولك: لقد قطعَ قلوبَ الخائفين طولُ الخلودين؛ إمَّا في الجنَّة أو النَّار.

ثمَّ غاب ذلك الشَّابُّ عنّي، ففقدتُه في المجلسِ الآخر، فلم أرَهُ، فسألتُ عنه، فأخبروني أنَّه مَريضٌ يُعاد، فأتيتُهُ أعوده، فقلتُ له: يا أخي، ما الذي أرى بك؟ فقال: يا أبا العباس، ذلك من قولِكَ: لقد قطعَ قلوبَ الخائفين طولُ الخلودين؛ إمَّا في الجنَّة أو النَّار.

قال: ثمَّ مات رحمه الله. فرأيتهُ في المنام، فقلتُ له: يا أخي، ما صنعَ بكَ ربُّكَ عزَّ وجلَّ؟ فقال: غفرَ لي، ورحمني، وأدخلني الجنَّةَ. قلتُ: بماذا؟ قال: بالكلمةِ[٣]

---

(١) في (أ): اتشح بالعباء.

(٢) المختار ٥/ ٣٢٩

(٣) المختار ٥/ ٣٠٠.

(١٧١) وقال بِشر بن منصور قال لي عطاء السَّلِيمي رحمه الله يا بشرُ، الموتُ في عنقي، والقبرُ بين يدي، وفي القيامةِ موقفي، وعلى جسرِ جهنم طريقي، وربِّي تعالى لا أدري ما يَفعلُ بي. قال: ثمَّ شهِقَ شهقةً غُشي عليه بحيث تركَ خمس صلوات، فلمَّا أفاقَ، رأيتُ الضَّعفَ في وجهه، فذهبتُ إلى صالح المُرّيّ رحمه الله، فقلتُ له قد كان من أمر عطاء كذا وكذا، قمْ معي[١] إليه عَسى نُطعمه شيئًا، أو نَسقيه شيئًا، فإني أرى الجوعَ قد أغار عليه[٢]

فجئنا إليه، فلم نزل نطلب إليه، فقال أبصروا ما تحت هذه اللّبدةِ، فخذوه. فرفعنا، فإذا هو درهمٌ، فاشترينا به سويقًا، فنظفناه جهدنا، ثمَّ سقيناه، فحينَ صار في حلقِهِ شَرِقَ، فخشيتُ أن يموتَ، فقلتُ له: ويحك يا عطاء، لقد نظّفنا السّويقَ جهدنا، فما الذي أصابكَ؟ فقال: ويحك يا بشرُ، حين صار في فمي، ووجدتُ بردَ الماء، ذكرتُ هذه الآية: ﴿ إِنَّ لَدَيْنَآ أَنكَالًا وَجَحِيمًا ۝١٢ وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا ﴾ [المزمل: ١٢ـ١٣] فواللهِ ما ملكتُ نفسي بأن صابني ما رأيت[٣]

* * *

(١٧٢) وقال صالح بن عبد الله الخراز: خرجنا نُريد عَبَّادان، فصرنا في بعض الأزقةِ، ومعنا صاحبٌ لنا يقرأُ القرآن، فإذا بامرأةٍ على بعضِ تلك السُّطُح، فصرخت، ثمَّ سقطت، فحُملت، ثمَّ أُدخلت الدَّار، فواللهِ ما برحنا حتَّى ماتت، ونُودي في أهلِ البصرة، فحشر النَّاس، فما رأينا أكثرَ باكيًا[٤] من ذلك اليوم[٥]

---

(١) في (ب): فمرَّ معي.
(٢) في (ب): قد أعان عليه.
(٣) بداية الخبر في صفة الصفوة ٣/ ٣٢٧، والمختار ٣/ ٥٧٧.
(٤) في (أ): أكثر بكاءً.
(٥) صفة الصفوة ٤/ ٦٢.

(١٧٣) وقال عمر بن شَبّه: كنتُ بمكّة بين الصَّفا والمروة، فرأيتُ رجلاً راكبًا بغلةً، وبين يديه غِلمان يطرِّقون ويعنِّفون النَّاس[١]، ثمَّ إنِّي بعد حينٍ، دخلتُ بغدادَ، وكنتُ على الجسرِ، فإذا برجلٍ حافٍ حاسرٍ طويل الشَّعَر، قال: فجعلتُ أنظر إليه وأتأمّلُهُ، فقال: مالكَ تنظر إليَّ؟ فقلت: شبَّهتُكَ برجلٍ رأيتُهُ بمكّة، ووصفتُ له الصِّفة، فقال: أنا ذلك الرَّجل: فقلتُ: ما فعلَ الله بكَ؟ فقال: إنِّي ترفَّعتُ في موضعٍ يَتواضعُ فيه النَّاسُ، فوضعني الله في موضعٍ يَرتفعُ النَّاسُ فيه[٢]

* * *

(١٧٤) وقال محمد بن المبارك رحمه الله. للمقرّبين عشرةُ مقامات: سلامةُ الصُّدور، واعتقادُ الرِّضا، والتَّوكُّل على الله في الدُّنيا والآخرة، والنَّصيحةُ لعبادِ الله، والرَّحمةُ للعصاة، وإصلاح ذات البين؟ وتَعهُّدُ الفقراء والمساكين بالبرِّ، والفرحُ بصلاح الأمة، والغمُّ لفسادها، وحسنُ الظَّنِّ بالله في الجميع.

* * *

(١٧٥) وروي: أنَّ إبراهيم الهروي كان له بهراةَ جاهٌ عظيمٌ من أهلها، قال إبراهيم: فحججتُ حجّاتٍ على التَّوكُّل أدعو فيها وأقول: اللَّهُمَّ، اقطعْ رزقي عن أموالِ أهلِ هراة، وزهِّدهم فيَّ. قال: فكنتُ بعد ذلك أجوعُ الأيّام، فأمرُّ بالسّوق فيقولون: هذا الفاعل يُنفقُ كلَّ ليلةٍ كذا وكذا درهمًا[٣]

* * *

---

(١) يطرِّقون: يبعدون الناس عن الطريق. وفي (أ): يطوفون ويعيقون الناس.
(٢) المختار ٥/ ٣٨٢.
(٣) طبقات المناوي الصغرى ٩٥

(١٧٦) وقال أبو إسحاق الحنبلي: قدمتُ على عليِّ بن عبد الحميد الغَضَائري، فوجدته من أفضلِ خلق الله تعالى، وكان لا يَتفرَّغُ من الصَّلاةِ آناءَ اللَّيل والنَّهار، فانتظرتُ فراغَهُ، وقلتُ: إنَّا قد تركنا الآباء والأمهات والأهلَ والوطن بالرِّحلة إليكَ، فلو تفرَّغتَ ساعةً، فتحدّثنا بما عندكَ ممَّا آتاكَ الله من العلم. فقال: أدركني دعاءُ الشَّيخ الصَّالحِ سريٍّ السَّقطي رحمه الله، وذلك أنِّي جئتُ إليه، فقرعتُ بابَهُ، فقال: من ذا؟ فقلتُ: أنا. فسمعتُه يقول قبل أن يخرجَ إليَّ: اللَّهُمَّ من جاءني يَشغَلُني عن مناجاتِكَ، فاشغلْهُ بكَ عنّي. فما رجعتُ من عنده حتَّى جئتُ إلى الصَّلاة، والاشتغالِ بذكرِ الله تعالى حتَّى لا أتفرّغُ بشيء سواه ببركةِ ذلك الشَّيخ[١]

* * *

(١٧٧) وقال محمد بن يعقوب الفَرَجي: دخلتُ مكَّة، فوجدتُ بها شابًّا ضريرًا، ثمَّ غبتُ عنها أربعين سنةً، ودخلتُها، فوجدته شيخًا بصيرًا فقلت له: إني لأرى عجبًا! فقال: وما الذي ترى؟ قلتُ: رأيتُكَ شابًّا ضريرًا، وأراكَ اليوم شيخًا بصيرًا! فقال: نعم، خرجتُ في ليلةٍ مُقمرةٍ أطوفُ حول البيت، فلمَّا أتيتُ الرّكنَ لأستلمَ الحجر، وقعت عيناي على امرأةٍ جميلةٍ حسناء، فأخذتْ بقلبي، فقلتُ: اللَّهُمَّ إنَّكَ تعلمُ أنني ما تعمَّدتُ معصيتك، ولا كان ذلك بقصدٍ منّي، ولكنْ عيناي عصتاكَ، فخذهما؛ فلا حاجة لي فيهما، فأصبحتُ ضريرًا كما رأيت، فلمَّا كان بعد ذلك في ليلةٍ مظلمةٍ مرعدةٍ مُبرقةٍ ممطرةٍ قمتُ إلى وِردي، وطلبتُ طَهوري، فاستصعب عليَّ طلبُهُ، فقلت: اللَّهُمَّ، إنِّي احتجتُ إلى عينيَّ لإقامةِ حقِّكَ، اللَّهُمَّ فردَّهما عليَّ. فأصبحتُ كما ترى[٢]

* * *

(١) انظر المختار ٢/ ٤٨١.
(٢) المختار ٥/ ٤٣٦.

(١٧٨) وقال وهب بن منبّه رحمه الله: وجدتُ على حاشية[١] التّوراة اثنين وعشرين حرفًا، كان صُلحاء بني إسرائيل يجتمعون فيقرؤونها[وهو] أنّه: لا كَنْز أنفعُ من العلم، ولا مالَ أَربحُ من الحلم، ولا ثواب أعزُّ من التّقوى[٢]، ولا حَسَبَ أوضعُ من الغضب، ولا قرينَ أزينُ[٣] من العقل، ولا رفيقَ أسوأُ من الجهل، ولا شرفَ أعزُّ من التّقوى، ولا كرم أَوفى من تركِ الهوى، ولا عملَ أفضلُ من التّفكُّر، ولا حسنةَ أَعلى من الصَّبر، ولا سيّئةَ أَخزى[٤] من الكِبر، ولا دواء[٥] أَلينُ من الرِّفق، ولا داءَ أَوجعُ من الخرق[٦]، ولا رسولَ أعدلُ من الحقّ، ولا دليل أنصحُ من الصدق، ولا عناءَ أشقى من الجمع، ولا فقرَ أذلُّ من الطّمع، ولا حياة أَطيبُ من الصِّحة، ولا معيشة أهنأ من العفة، ولا عبادةَ أَحسنُ من الخشوع، ولا زهد خيرٌ من القنوع، ولا حارسَ أَحفظُ من الصَّمت، ولا غائب أَقربُ من الموت[٧].

* * *

(١٧٩) وروي: أنَّ أبا العباس المؤدّب قصد يومًا بيته، فوجده مقفلاً، ولم يجد مفتاحَهُ، فقال لأصحابه: يتكلم كلُّ واحدٍ منكم بكلامٍ؛ لعله ينفتح، فلم ينفتحْ بكلام أحدٍ منهم، فقال أبو العباس: بصدقي في كذبك إلاَّ فتحتَهُ. فانفتحَ القفلُ من ساعته.

* * *

---

(١) في (أ): على غاشية.
(٢) قوله: (ولا ثواب أعز من التقوى) ليس في تهذيب الأسرار، ولا في (ب).
(٣) في (أ): ولا قرين أوفى.
(٤) في (ب): ولا سيئة أجرأ.
(٥) في (أ): ولا ودّ ألين.
(٦) الخرق: الكذف.
(٧) تهذيب الأسرار ١٨٨، ١٨٩

(١٨٠) وقال أبو الهيثمَ منصور بن دليل[١] رأيتُ ديرًا بعمّان، وفيه راهبٌ، فكلّمتُه، فلم يُجبني، فلمَّا سألته قال: الشُّغلُ موكلٌ بقلوب المُحبين، حتَّى يَصلوا إلى الحبيب، والخوفُ موكّل بهم، والحزنُ شعارهم، فقلوبُهم تصعدُ في درجات الخوف، وأعينُهم مكحولةٌ بمُلْمولِ[٢] العبرات، مُشفقين من أعمالهم المرضيّة أن لا تُقبلَ منهم، قد استعاروا أحزانَ الثَّكلى، يحزنون بعويل، ويلبثون على غير طُمأنينة، ولا يفترُ دمعُهم، ولا يَهدأُ خوفهم، تجرّعوا مرارةَ كأسِ الحُزن، فقلوبُهم تصاعد في الملكوت، ينظرون إلى ربِّهم، يقولون: سيدنا ومولانا، اقطعْ قلوبَنا عن الدُّنيا إليكَ، وكفى لامرئٍ واعظًا من نفسه من وفق لرشده. قلتُ له: منذ كم أنت ههنا؟ قال: منذ دهرٍ عند الله مقدارُه محفوظ.

* * *

(١٨١) وقال أبو بكر الدّقي: ما رأيتُ في الفقراء أحسنَ من أبي بكر بن إسماعيل الفَرْغاني، وكان ممَّن يُظهر الغنى في الفقر يلبس قميصين أبيضين، ورداءً وسراويل ونعلاً لطيفةً وعِمامةً، وفي كُمِّهِ مفتاحٌ كبيرٌ حسنٌ، وليس له بيتٌ، ينطرحُ في المساجد، يَطوي الخمسَ والسّتَّ دائمًا.

* * *

(١٨٢) وقال جعفر الدَّيْبُليُّ[٣]: سألتُ أحمد المؤدب عن الحالِ التي يُستغنى به عن الدُّنيا وأهلها، فقال: نعم، افرغْ إلى التِّلاوة، وكنْ له معظّمًا وتاليًا، وكنْ في تلاوتك مُترفّقًا، واعلمْ أنَّك مُخاطبٌ بالوعد والوعيد، واحتمِ عن الدُّنيا، وأكثرِ الخلوة، فإذا عَظُمَ بك الهمُّ فاخرجْ إلى

---

(١) في (أ): ذليل.

(٢) المُلْمول: المِكحال. القاموس.

(٣) الديبلي: نسبة إلى دَيْبُل، مدينة على ساحل البحر الهندي، قريبة من السند. اللباب لابن الأثير.

الصَّحراء، ولازمِ التِّلاوة[١] فيما اتَّسعَ من أوقاتك، وما ضعف فارجعْ فيه إلى إباحة العلم، وما ضاقَ فارجعْ فيه إلى سعةِ الإمكان[٢]، فإن كثرَ عليك ذلك، فاستلقِ على قفاك وقل: ﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ ﴾. الآية [آل عمران: ١٩١].

* * *

(١٨٣) وقال أبو جعفر المرقع[٣] الهاشمي: خرجتُ من أنطاكية وأنا جائعٌ أُريد السَّاحلَ، فجئتُ إلى معبرٍ، فإذا رغيفٌ مَطروحٌ، فقلتُ: هذا قد وقعَ من إنسانٍ، فما رأيتُ أخذه، فإذا الرَّغيفُ قد طفر من الشَّطِّ إلى النَّهرِ، ثمَّ خرجَ من عرضِ النَّهر، وطفر من النَّهر إلى الشَّطِّ، فقلتُ: هذا خبزُ المولى، فأخذته، وأكلتُه.

* * *

(١٨٤) وروي: أنَّ عطاء الأزرق خرج إلى الجبّان يُصلّي باللَّيل، فعرض له لصٌّ، فقال: اللَّهُمَّ اكفنيه. قال: فجفَّتْ يداه ورجلاه. قال: فجعل يَبكي ويصيح، ويقول: واللهِ، لا أعودُ أبدًا. قال: فدعا له عطاءٌ إلى الله، فأطلقَ يديه ورجليه، قال: أَسأَلُكَ بالله، من أنت؟ فقال له: أنا عطاء.

فلمَّا أصبحَ سألَ: هل تعرفون رجلاً صالحًا يخرجُ باللَّيل إلى الجبَّانِ يُصلّي؟ قالوا: نعم، عطاء السَّليمي. قال: فذهب إلى عطاء السَّليمي إلى الخُريبة[٤]، فدخل عليه، وقال: إنِّي قد جئتُكَ تائبًا من قِصّتي كذا وكذا،

---

(١) في (أ): أو لازم التلاوة.
(٢) في (ب): إلى سعة الأماكن.
(٣) وتقرأ: المترفع. بالفاء، وفي (أ): المترقع، وتقرأ (المترفع) بالفاء
(٤) الخُريبة: تصغير خربة: موضع بالبصرة. معجم البلدان.

فادعُ اللهَ لي. فرفع عطاء السَّلِيمي يديه إلى السَّماء، وجعل يبكي ويقول: ويحك ليس أنا، ذاك عطاءُ الأزرق[1]

* * *

(١٨٥) وقال أبو جعفر البقّال: كان بيني وبين محمد بن يحيى صداقةٌ، وكان محمد رجلاً من أهل الدِّين والفضل، قال: فقصدتُه يومًا إلى مَنْزله، فاستأذنتُ عليه، فلم يُؤذن لي، فقلت للجارية: ما حاله؟ قالت: لا أدري، إلاَّ أنه دخل إلى بيتٍ من أوَّلِ النَّهار، وأغلق عليه الباب، وهو يبكي بكاءً مُتَّصلاً دائمًا، قال: فتحرَّكتُ لقولها، وقلت لها: ارجعي، فاستأذني لي عليه، وقولي له: أبو جعفر البقال. فدخلتْ، ثمَّ خرجتْ، فقالت: ادخلْ. فدخلتُ، فرأيتُهُ يبكي بكاءً قويًّا ما يكاد أن يتمالَكَ، فقلتُ له: أَخبرني ما حالك؟ فأرادَ أن يَكتمني، فلم أدعْه، ثمَّ قال لي: إنَّه قد فاتني البارحةَ وِردي، ولا أحسبُ كان ذلك إلاَّ أمرًا أحدثته، فعُوقبتُ بمنع وِردي. ثم أخذ يبكي، فأشفقتُ عليه، وأحببتُ أن أُسهّل عليه، فقلتُ له: ما أَعجبُ أمري وأمرك! قد كنتُ أحسبُ أنَّ في يدي منك شيئًا! فقال: وممّا ذلك؟ قال: فقلت له: لم ترضَ عن الله في نومةٍ نوّمَكَ إيّاها حتَّى قعدتَ تبكي. ثمَّ غلب عليه البكاء، ورأيته لا يرجعُ إلى قولي، فانصرفتُ عنه، وتركتُه يبكي.

* * *

(١٨٦) وقال محمد بن فاتك[2] السِّجستاني، ساكن أنطاكية رحمه الله في معنى قولِ النَّبيِّ ﷺ لعليِّ بن أبي طالب حين أقبلَ أبو بكر وعمر «هذان سيِّدا أهلِ الجنَّةِ من الأوّلين والآخرين ما خلا النَّبيين والمرسلين،

---

(١) المختار ٣/ ٥٦٤، روض الرياحين (الحكاية ٣٥٩).

(٢) في (ب): بن مالك.

يا عليُّ، لا تخبرهما»[1] ذكر فيه خمسةَ أوجهٍ:

الأول: وهو الظَّاهر: «يا علي لا تُخبرهما» شفقةٌ من النَّبيِّ عليهما، ومخافة أن لا يزدادا في الاجتهاد.

والثَّاني: علمُ النَّبيُّ ﷺ أن سوف يَكثرُ الكلامُ فيهما بعد موتهما، فمتى ما عارضَكَ مُعارضٌ يا علي في فضلهما، فلا يُخامرك الشَّكُّ في مَنْزلتهما.

والثَّالث: لقدري عند الله، ومَنْزلتي، ومحلِّي منه، أطلعني الله على سرِّهما، ولمحلِّكَ يا علي عندي، أطلعتُكَ على ما أَطلعني عليه من فضلهما.

والرَّابع: أراد النَّبيُّ ﷺ أن يصلَ إليهما ما أعدَّ الله لهما في الآخرةِ من غير واسطةٍ بينهما وبين الله، فلا يكونُ لأحدٍ عليهما منَّةٌ.

والخامس: سرٌّ[2] كان بينهما وبين الله، فيكره أن يطَّلعَ عليه أحدٌ سواه، والله أعلم.

* * *

(١٨٧) وقال عبد الأعلى: سمعتُ حمّادًا رحمه الله يقول: أوحى الله تعالى إلى مُوسى بنِ عمران عليه السَّلام: أنَّ لي عبادًا، يُحبُّوني وأُحبُّهم، فإن أنتَ حذوتَ حذوهم أحببتُكَ يا بن عمران. فقال موسى عليه السَّلام: يا ربِّ، صفهم لي. فنُودي: الذين إذا غربتِ الشَّمسُ، ونُصبت الأَسرّةُ، وأَنِسَ كلُّ خليلٍ بخليله، افترشَ القومُ أقدامَهم وجباههم لي، فبين صارخٍ وباكٍ، وإنّي فاعلٌ بهم ثلاثَ خلال: أمَّا الأول[3] فأُقبلُ عليهم بوجهي يا بن عمران أفترى الذي أُقبلُ عليه بوجهي، ما الذي أُعطيه؟ والثَّاني:

---

(١) أخرجه الترمذي (٣٦٦٦) في المناقب، باب أبو بكر وعمر سيدا كهول أهل الجنة، وابن ماجه في المقدمة (٩٥) باب: فضل أبي بكر، والطبراني في الأوسط ٢/ ٩١، وأبو يعلى في المسند ١/ ٤٠٥ (٥٣٣).

(٢) في (ب): سرًّا.

(٣) في (ب): أما واحدة.

أجعلُ البهاءَ في وجهه، والثَّالث: لو كانتِ السَّمواتُ السَّبع والأرضين السبعُ عليه، لجعلتُ له من أمره فرجًا ومخرجًا[١]

* * *

(١٨٨) **وقال أبو الحسين[٢] عَمرو بن عثمان الصَّدفي:** ما أكثرَ من تقلّد العلم، ولم ينتفعْ به، ولم يحظَ بنوره، ولم يستند إلى رُكنه، ولم يأوِ إلى حصنه، ولم يجعله إمامًا إلى ربِّه تعالى، ولا عدَّة لمعاده، بل استعجل به في الدُّنيا مَذمومها، وجعلَهُ وسيلةً إلى عارها، بَاهى به الرِّجال[٣]، وجافى به الخصوم، وجعله سببًا لجدالهِ، يصولُ به على الضُّعفاء، ويقصدُ به الكبراء، قد منعَ منه حقوق الله، وضنَّ[٤] به على عباده، ولم يكشفْه لخلقه؛ ليفهموا[٥] منه مُرادَ الله وحكمتَه، فويلٌ لكلِّ عالِمٍ باللِّسان، كثير البيان، رفيعٍ في صدور المجالس، جنفٍ[٦] على العباد، مُفسد[٧] للبلاد، ذاك الوباءُ المُهلك والسُّمُّ المتلفُ زاملة[٨] الأثقال، وسفينة الأوزار، فويله من مارقٍ قد حار، وبسوءِ تأويله[٩] قد جار، ولخلق الله قد خان، يقصد في الكتاب من مُشتبهه، ومن العلم مُختلفه، فهو بابُ الفتنة، ورأسُ الضَّلالة، منَّ اللهُ علينا بحقيقةِ العلم، وواضحِ الفهم، إنَّه قريبٌ مُجيب.

* * *

---

(١) في (أ): لجعلته من أمره مخرجًا.
(٢) في (أ): أبو الحسن.
(٣) في (أ): ما معنى به الدجال.
(٤) في (أ): وظنّ.
(٥) في (ب): لينظروا منه.
(٦) الجَنَف: الميل والجور. القاموس.
(٧) في (أ): جنف ومفسد للبلاد.
(٨) الزاملة: التي يحمل عليها من الإبل. القاموس.
(٩) في (أ): واسم المتلف بين أمله الاتعال، وعنه فويله لماول قد حار رسوله من تأويله.

(١٨٩) وقالت أمةُ المَلِك بن هشام بن حسّان[١]: كان عطاءُ الأزرق معنا في الدَّار، فأعطته امرأتُهُ دِرهمًا يشتري به دقيقًا، فاستقبلته جاريةٌ تبكي، فقال لها: ما بكاؤكِ؟ قالت: أعطوني أهلي دِرهمًا أشتري لهم به حاجةً، فسقطَ منّي. فأعطاها الدّرهم، وانطلق إلى صديقٍ له يشق السَّاجَ[٢]، فجلسَ عنده إلى آخر النَّهار، فلمَّا أرادَ الانصراف، قال: يا عطاء، خذْ في هذا الجراب من نحاتة هذا السَّاج؛ لعلَّكَ تنتفع به، قال: فملأ الجُرابَ من نحاته السَّاج، وجاء به يحملُهُ إلى مَنْزله، ففتح بابَ دارِه ورمى الجراب في وسط الدَّار، وذهبَ إلى المسجد، وأهلُه ينظرون رجوعه، فلم يزل يُصلّي حتَّى ذهبَ نحوٌ من ثلث اللَّيل، ثمَّ جاء، فإذا السِّراجُ في البيت يُزهر، وأهله لم يناموا، فقالوا له: أبطأتَ علينا، ونحن ننتظرُكَ. وإذا بين أيديهم خبزٌ كثير نقي، فقال لهم: من أين لكم هذا؟ فقالوا: هذا من الدَّقيق الذي جئتَ به، لا تشترِ لنا بعد هذا إلا منه[٣]

* * *

---

(١) في (أ): قال أمة الملك كن في دار هشام بن حسان وكان عطاء
(٢) الساج: شجر عظيم، صُلْب الخشب، أسوده، يعظم جدًا، وله ورق كبير.
(٣) روض الرياحين ٣٠٩ (الحكاية: ٢٥٦).

[خاتمة الكتاب]

[خاتمة النسخة (أ)]:

وهذا آخر ما وقع لي من إضافات أخبار جماعة من الصَّالحين رضي الله عنهم أجمعين، فألحقته بالكتاب.

والحمد لله وحده، وصلى الله على سيِّدنا محمدًا وآله وصحبه وسلم.

وكان الفراغ من نسخ هذا الكتاب المبارك في خامس عشر شهر ربيع الآخر سنة أربع وأربعين وسبع مئة.

كتبه العبد الفقير الرَّاجي عفو ربِّه وغفرانه الحاج مقبل بن عبد الله عتيق الحاج محمد بن عثمان بن خضر الحارمي غفر الله له ولأستاذه ولجميع المسلمين

يا خالقَ الخلقِ طَورًا بعد أطوار   وعالِمَ الغيبِ في سرِّي وإظهاري
اغفـرْ لصـاحبِـهِ أيضًـا لكَـاتبِـه   والمستعيـرُ لـه إنْ ردَّ والقـاري

[خاتمة النسخة (ب)]:

هذا ما انتهى إلينا من هذا الكتاب الذي سُمّي «مناقب الأبرار والصالحين رضي الله عنهم والأخيار». ونستغفر الله العظيم من السَّهو والغلط والإخلال

ووافق الفراغ منه يوم الاثنين ثاني شهر شعبان سنة سبع وثمانين وخمس مئة.

وكاتبه المستأجر لنسخه إسماعيل بن أحمد بن سعيد بن عفان بن ملكوه المعروف بابن الغازي شيخ الرباط بالعراق غفر الله له

ولوالديه ولكافة أمة محمد ﷺ أهل الكتاب والسنة.

آمين يا رب العالمين.

الحمد لله حق حمده، وهو

حسبِي ونعم

الوكيل

الفهارس العامة

فهرس الآيات القرآنية

* * *

فهرس الأحاديث الشريفة

* * *

فهرس الأعلام

ـ خ ـ

- ع -

ـ ك ـ

ـ م ـ

* * *

فهرس الأقوام والجماعات والفرق

* * *

فهرس الكتب

* * *

فهرس الأماكن والبلدان

* * *

فهرس الأيام والوقائع والليالي

* * *

فهرس الحيوان

* * *

فهرس الأوائل والأواخر

فهرس الأوائل

* * *

فهرس الأواخر

* * *

فهرس الأشعار

صدر البيت	القافية	البحر	القائل	عدد الأبيات	الصفحة
أسأت ولم أحسن وجئتك هارباً	مهربُ	الطويل	-	٢	٣٨٨
كفى حزناً أني أناديك دائباً	غائبُ	الطويل	النوري	٢	٤٠٤
أحن بأطراف النهار صبابة	فأجيبُ	الطويل	سمنون	٢	٤٤٠
بكيت ودمع العين للنفس راحة	القلبُ	الطويل	سمنون	٤	٤٤٠
ومستحسن للهجر والوصل أعذب	يهربُ	الطويل	ابن عطاء	٤	٥٢٤
ودادكم هجر وحبكم قلى	حربُ	الطويل	الشبلي	٢	٦٦٣
ألا رب من يدنو ويزعم أنه	أقربُ	الطويل	-	١	٧٤٣
إلى الله أشكو طول شوقي وحيرتي	مطالبُهْ	الطويل	النوري	٣	٤٠٢
ينوي العتاب له من قبل رؤيته	مسكوبُ	البسيط	-	٢	٦٣١
يا من يعد الوصال ذنباً	الذنوبُ	م البسيط	المغربي	٢	٤٩٤
نوائب الدهر أدبتني	الأريبُ	م البسيط	بندار	٣	٨٣١
عودوني الوصال والوصل عذب	صعبُ	الخفيف	الشبلي	٣	٦٤٤
إذا العود لم يثمر وإن كان شعبة	الحطب	الطويل	ابن الرومي	١	٤١٦
كتبت ولم أكتب إليك وإنما	كتابِ	الطويل	الحلاج	٣	٧٠٣
ولمّا استنار الصبح أدرج ضوءه	الكواكبِ	الطويل	-	٢	٨٠٢
توجع ممراض وخوف مطالب	كئيبِ	الطويل	-	٥	٦٧
لو أن الليالي عذبت بفراقنا	الكواكبِ	الطويل	الدقي	٢	٨٠٨
رأيتك يدنيني إليك تباعدي	التقربِ	الطويل	الدينوري	١	٨٤٢
أيا مَنْ صفا شربُ الوداد فؤاده	المشاربِ	الطويل	الدينوري	٢	٨٨٣
بصرت بالراحة الكبرى فلم أرها	التعبِ	البسيط	ابن عطاء	٢	٥٣٥
للعارفين قلوب يعرفون بها	الحجبِ	البسيط	ذو النون	٢	١٠٨
وأمطر الكأس ماء من أبارقه	الذهبِ	البسيط	ابن المعتز	٣	٦٦٠
يعاتبني فينبسط انقباضي	العتابِ	الوافر	سمنون	٢	٤٤٠
وكل مآربي قد نلت منها	بالعذابِ	الوافر	الشبلي	١	٦٦٣
لو كنت عاتبة لسكن عبرتي	مراقبِ	الكامل	-	٢	٤١٧
أنا في الغربة أبكي	غريبِ	م الرمل		٣	١٦٧
كيف أشكو إلى طبيبي ما بي	طبيبي	الخفيف	السري	١	١٥٨
كان لي قلب أعيش به	تقلبِهِ	المديد	سمنون	٣	٤٣٩

ـ ت ـ

صدر البيت	القافية	البحر	القائل	عدد الأبيات	الصفحة
روحي إليك بكلها قد أجمعت	أقلعت	الكامل	الروذباري	٣	٦٧٨

ـ ر ـ

صدر البيت	القافية	البحر	القائل	عدد الأبيات	الصفحة
تعودت مس الضرِّ حتى ألفته	الصبرِ	الطويل	إبراهيم الخواص	٢	٥٤٤
=	=	=	الحلاج	١	٧٠١
إذا افتقروا عضوا على الفقر حسبة	الفقرِ	الطويل	إبراهيم الخواص	١	٥٦٠
تداويت من ليلى بليلى من الهوى	بالخمرِ	الطويل	الشبلي	١	٦٦٥
مواجيد حق أوجد الحق كلها	الأكابرِ	الطويل	الحلاج	٥	٦٩٩
ولست بنظار إلى جانب الغنى	الفقرِ	الطويل	المعذل	٢	٧٣٧
أموت وما ماتت إليك صبابتي	أوطاري	الطويل	ذو النون	٩	٦١
سأصبر كي ترضى وأتلف حسرة	صبري	الطويل	ابن عطاء	١	٦٢٥
للقمة بجريش الملح آكلها	بزنبورِ	البسيط	-	١	٢٦
سبحان من لو سجدنا بالعيون له	الإبرِ	البسيط	سالم الخواص	٥	١٣٧
بكى عليها البكا حتى إذا حصلت	الغيرِ	البسيط	الروذباري	١	٦٨٦
يا مدعي الودَّ إن الود محظور	مشهورِ	البسيط	ابن طاهر	٢	٧٤٣
لولا مدامع عشاق ولوعتهم	النارِ	البسيط	ابن المولد	٢	٧٦٨
كل العذاب الذي في الناس مسترق	تذكاري	البسيط	ابن طاهر	١	٧٤٢
يا خالق الخلق طوراً بعد أطواري	إظهاري	البسيط		٢	٩٤٢
فالشوق والوجد في مكاني	القرارِ	م البسيط	الكتاني	٢	٧١٦
ذهب الرجال المقتدي بفعالهم	منكرِ	الكامل	بشر الحافي	٢	١٢٧
أنا حامد أنا ذاكر أنا شاكر	عاري	الكامل	إبراهيم بن أدهم	٣	٤٨
أتمنى على الزمان محالاً	حرُّ	الخفيف	-	١	٨٠١
ذكرك لي مؤنس يعارضني	بالظفرِ	منسرح	ابن عطاء	٢	٥٢٢

- س -

صدر البيت	القافية	البحر	القائل	عدد الأبيات	الصفحة
ولمّا ادعيت الحب قالت كذبتني	كواسيا	الطويل	قيس	٣	١٥٤
فيوماً ترانا في الخزوز نجرها	عوابسا	الطويل	الشبلي	٢	٦٥٨
له راحة لو مست الصخر أنبعت	يابسَةْ	الطويل	الشبلي	٢	٦٦٤
للناس مال ولي مالان مالهما	حراسُ	البسيط	-	٢	٩٣٠
أتيه فلا أدري من التيه من أنا	جنسي	الطويل	-	٢	٤٨٦
أيا من يرى الأسبابَ أعلى وجوده	بالأنسِ	الطويل	الخراز	٩	٤٨٦
بالله أبلغ ما أسعى وأدركه	الناسِ	البسيط	ابن عطاء	٢	٥٢٧، ٥٣٤
رجعت في كل أمر جل مطلبه	الياسِ	البسيط	-	١	٥٣٤

صدر البيت	القافية	البحر	القائل	عدد الأبيات	الصفحة
أجل ما منك يبدو	جلا	المجتث	الجنيد	٣	٣٩٢
سألبس للصبر ثوباً جميلا	طويلا	المتقارب	الشبلي	٢	٦٤٦
وكيف تنام العين وهي قريرة	تنزلُ	الطويل	امرأة	١	٦٦
تضايقت الأحوال بي في محلها	مثقلُ	الطويل	ابن عطاء	٢	٣٦٧
ولو نطقت لي ألسن الدهر خبرت	أرفلُ	الطويل	الجنيد	٢	٣٦٧
أسائل عن سلمى فهل من مخبر	تنزلُ	الطويل	الشبلي	١	٦٦٠
تعود بسط الكف حتى لو أنه	أناملُه	الطويل	أبو تمام	٤	٦٤٠
لقد وضح الطريق إليك قصداً	يستدلُّ	الوافر	إبراهيم الخواص	٢	٥٥٣
كأنك في الكتاب وجدت لاءً	تحلُّ	الوافر	إبراهيم الخواص	١	٥٥٣
خيالك حين أرقد نصب عيني	يزولُ	الوافر	العباس بن الأحنف	٢	٧٦٨
الصبر يجمل في المواطن كلها	يجملُ	الكامل	يحيى بن معاذ	١	٢٧٨
قد بقينا مذبذبين حيارى	سبيلُ	الخفيف	ذو النون	٢	١٠٧
قد كتمت الهوى فباح بسري	تسيلُ	الخفيف	-	٤	٢٤٧
كريم كصفو الماء ليس بباخل	لباخلِ	الطويل	ذو النون	١	١٠٠
يقولون ثكلي ومن لم يذق	يثكلِ	المتقارب	جعفر الخلدي	٢	٧٩٠
غرست لأهل الحب غصناً من الهوى	قبلي	الطويل	ابن عطاء	٣	٥٢٦
لا زلت أنزل في ودادك منزلاً	نزولِهِ	الكامل	-	١	٣٩٦
برح الخفاء وفي التلاقي راحة	خليلِهِ	الكامل	إبراهيم الخواص	١	٥٤٢
جور الهوى أحسن من عدله	بذلِهِ	السريع	الشبلي	٢	٦٦٨
إن ذكر الحبيب هيج شوقي	عقلي	الخفيف	-	١	٨٤

- م -

صدر البيت	القافية	البحر	القائل	عدد الأبيات	الصفحة
أرعى النجوم ولا علم لي	الظلامْ	المتقارب	طاهر المقدسي	٥	٥٩٣
وكم رمت أمراً خرت لي في انصرافه	أرحما	الطويل	النوري	٣	٣٩١
ألم يأن للهجران أن يتصرّما	يتنسّما	الطويل	-	٣	٩١٣
رأيت سرور قلبي في منامي	المناما	الوافر	شاه	١	٤٥٤
حسبي سمواً في الهوى أن تعلما	أظلما	الكامل		٤	٧٩٥
قد قضى من هويت منه الذماما	الزماما	الخفيف	الشبلي	٥	٦٦٦
أسائلكم عنها فهل من مخبر	علمُ	الطويل	الخراز	٣	٤٨٠
	=	=	الشبلي	٣	٦٦٢

* * *

فهرس أنصاف الأبيات

* * *

فهرس المصطلحات والألفاظ الفنية والأشياء

- ص -

- ض -

- غ -

ـ ك ـ

* * *

فهرس مصادر التحقيق

- الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان: ابن بلبان الفارسي. تحقيق شعيب أرناؤوط مؤسسة الرسالة ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م.
- الأدب المفرد: البخاري: تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي الطبعة السلفية بمصر ١٣٧٥هـ.
- إرغام أولياء الشيطان بذكر مناقب أولياء الرحمن (الطبقات الصغرى): عبد الرؤوف المناوي. تحقيق محمد أديب الجادر دار صادر ١٩٩٩
- إحياء علوم الدين: أبو حامد الغزالي. المكتبة التجارية الكبرى بمصر.
- أخبار الحلاج: ماسينيون وكراوس. مطبعة المثنى. بغداد ١٩٣٦ م.
- الاستيعاب: ابن عبد البر تحقيق علي محمد البجاوي. مكتبة النهضة مصر
- أساس البلاغة: دار صادر. بيروت ١٣٨٥هـ ـ ١٩٦٥م.
- أشعار أبي الشيص الخزاعي وأخباره: جمع وتحقيق عبد الله الجبوري. مطبعة الآداب. النجف الأشرف ١٣٨٦هـ ـ ١٩٦٧م.
- الأعلام قاموس تراجم: خير الدين الزركلي. دار العلم للملايين ١٩٨٠ م.
- الأغاني: أبو الفرج الأصفهاني. طبعة الساسي.
- الأغاني: أبو الفرج الأصفهاني. مطبعة دار الكتب المصرية ١٣٤٥هـ ـ ١٩٢٧م.
- الإكمال في رفع الارتياب عن المؤتلف والمختلف في الأسماء والكنى والأنساب: ابن ماكولا باعتناء عبد الرحمن يحيى المعلمي اليماني. الناشر محمد أمين دمج.
- أنس المسجون وراحة المحزون: صفي الدين الحلبي. تحقيق محمد أديب الجادر دار البشائر دمشق ١٩٩٧م.
- الأنساب: عبد الكريم بن محمد السمعاني. لفيف من الأساتذة. الناشر محمد أمين دمج ١٤٠٠ هـ ـ ١٩٨٠ م.
- أنوار العقول من أشعار وصي الرسول. ديوان علي بن أبي طالب: محمد بن الحسين البيهقي. تحقيق كامل الجبوري. دار المحجة البيضاء، ودار الرسول الأكرم ﷺ ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٩م.
- إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون: إسماعيل باشا بن محمد أمين. مكتبة المثنى. بغداد.
- البداية والنهاية: ابن كثير الدمشقي. مكتبة المعارف بيروت ومكتبة النهضة الرياض ١٩٦٦ م.

- بستان العارفين: محيي الدين بن شرف النووي. باعتناء محمد الحجاز. دار الوعي حلب.
- البيان والتبين: الجاحظ. تحقيق عبد السلام هارون. مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٣٦٧هـ - ١٩٤٨م.
- تاج العروس: الزبيدي. المطبعة الخيرية بمصر ١٣٠٦هـ.
- التاريخ: يحيى بن معين. تحقيق د. أحمد محمد نور سيف. جامعة الملك عبد العزيز ١٣٩٩-١٩٧٩
- تاريخ الإسلام وطبقات المشاهير والأعلام: محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي. مكتبة القدسي ١٣٦٧ هـ.
- تاريخ بغداد: أحمد بن علي الخطيب البغدادي. مكتبة الخانجي بالقاهرة والمكتبة العربية ببغداد ١٣٤٩ هـ - ١٩٣١ م. وطبعة دار الغرب الإسلامي ٢٠٠١م تحقيق د. بشار معروف عواد.
- تاريخ داريا: عبد الجبار الخولاني. باعتناء سعيد الأفغاني. مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق ١٣٦٩ هـ - ١٩٥٠ م.
- التاريخ الصغير: محمد بن إسماعيل البخاري. تحقيق محمود إبراهيم زايد. دار المعرفة بيروت ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م.
- تاريخ الطبري: محمد بن جرير الطبري. تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم. دار المعارف بمصر ١٩٦٠ م.
- التاريخ الكبير: محمد بن إسماعيل البخاري. المكتبة الإسلامية تركيا.
- تاريخ مدينة دمشق: علي بن الحسن بن عساكر. أجزاء متفرقة. مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق.
- تاريخ مدينة دمشق: علي بن الحسن بن عساكر تحقيق محب الدين العمروي. دار الفكر ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.
- تبصير المنتبه بتحرير المشتبه: ابن حجر العسقلاني. تحقيق علي محمد البجاوي. المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر
- تبيين كذب المفتري فيما نسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري: علي بن الحسن بن عساكر. دار الفكر ١٣٩٩ هـ.
- تحفة الأحباب وبغية الطلاب: علي بن أحمد بن عمر السخاوي. باعتناء محمود ربيع وحسن قاسم. مطبعة العلوم والآداب بالقاهرة ١٣٥٦ هـ - ١٩٣٧ م.
- التدوين في أخبار قزوين. عبد الكريم الرافعي. تحقيق عزيز الله العطاردي. دار الكتب العلمية بيروت ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م.
- تذكرة الحفاظ: محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي. مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن الهند ١٣٧٥ هـ - ١٩٥٥ م.

- تراث الحلاج (أخباره. ديوانه. طواسينه) إعداد وتحقيق د. عبد الإله نبهان. د. عبد اللطيف الراوي. دار الذاكرة. حمص. ١٩٩٦
- تفسير القرطبي (الجامع لأحكام القرآن): مصورة طبعة دار الكتب. وزارة الثقافة. مصر ١٣٨٧هـ - ١٩٦٧م.
- تكملة المعاجم العربية. رينهارت دوزي. منشورات وزارة الثقافة والإعلام الجمهورية العراقية.
- تهذيب الأسرار: عبد الملك بن محمد الخركوشي. تحقيق بسام محمد بارود. المجمع الثقافي. دبي ١٩٩٩م.
- تهذيب الأسماء واللغات: محيي الدين بن شرف النووي. إدارة الطباعة المنيرية.
- تهذيب التهذيب: أحمد بن علي بن حجر العسقلاني. مطبعة مجلس دائرة المعارف النظامية. حيدرآباد الدكن ١٣٢٧ هـ. الهند.
- تهذيب الكمال في أسماء الرجال: أبو الحجاج يوسف المزي. تحقيق د. بشار عواد معروف. مؤسسة الرسالة ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م.
- الثقات: محمد بن حبان البستي. مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن ١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣ م. الهند.
- جامع الأصول في أحاديث الرسول: المبارك بن محمد ابن الأثير، ج (١-١١) تحقيق عبد القادر الأرنؤوط. مكتبة الحلواني والملاح ودار البيان ١٣٨٩ هـ - ١٩٦٩ م. ج (١٢-١٥) بإشراف عبد القادر الأرنؤوط. دار ابن الأثير ١٤١٢ هـ - ١٩٩١ م.
- جامع العلوم والحكم: ابن رجب الحنبلي. دار المعرفة. بيروت ١٤٠٨هـ.
- جامع كرامات الأولياء: يوسف بن إسماعيل النبهاني. دار الكتب العربية الكبرى بمصر.
- الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي.
- الجرح والتعديل: عبد الرحمن بن أبي حاتم. مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدرآباد الدكن ١٣٧١ هـ - ١٩٥٢ م الهند.
- الجواهر المضية في طبقات الحنفية: عبد القادر القرشي. تحقيق الدكتور عبد الفتاح الحلو مؤسسة الرسالة ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.
- حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة: جلال الدين السيوطي. مطبعة الموسوعات ١٣٢١ هـ.
- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء: أبو نعيم الأصبهاني. مكتبة الخانجي ومطبعة السعادة بمصر ١٣٥١ هـ - ١٩٣٢ م.
- حياة الحيوان: الجاحظ. تحقيق وشرح عبد السلام هارون. مكتبة مصطفى البابي الحلبي.
- دول الإسلام: محمد بن أحمد الذهبي. مطبعة دائرة المعارف النظامية بحيدرآباد الدكن ١٣٣٧ هـ.

- الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب: إبراهيم بن علي بن فرحون. مطبعة عباس بن عبد السلام بن شقرون مصر ١٣٥١ هـ.
- ديوان ابن الرومي. شرح أحمد حسن بسج. دار الكتب العلمية ٩٩٤م.
- ديوان ابن المعتز تحقيق د. محمد بديع شريف. دار المعارف.
- ديوان أبي بكر الشبلي: جمع وتحقيق الدكتور كامل مصطفى الشيبي. بغداد ١٣٨٦هـ - ١٩٦٧م.
- ديوان أبي تمام. طبعة دار الكتاب العربي.
- ديوان أبي تمام. طبعة دار المعارف بمصر. تحقيق محمد عبده عزام.
- ديوان أبي العتاهية. تحقيق د. شكري فيصل.
- ديوان جحظة البرمكي: جمع جان عبد الله توما. دار صادر ١٩٩٦م.
- ديوان الحلاج: جمع الدكتور سعدي الضناوي - دار صادر. ١٩٩٨
- ديوان ديك الجن. جمع وتحقيق مظهر الحجي. منشورات وزارة الثقافة بدمشق ١٩٨٧م.
- ديوان زهير بن أبي سلمى. دار الكتب المصرية ١٩٤٤م.
- ديوان الشافعي: جمع وتحقيق سليمان البوطي. دار إقرأ. ٢٠٠٣م.
- ديوان صريع الغواني: تحقيق ودراسة الدكتور سامي الدهان. دار المعارف بمصر
- ديوان عمر بن أبي ربيعة. الهيئة المصرية العامة للكتاب. ١٩٧٨م.
- ديوان كثير عزة: تحقيق د. إحسان عباس. دار الثقافة. بيروت ١٣٩١- ١٩٧١
- ديوان لبيد بن أبي ربيعة: تحقيق د. إحسان عباس. وزارة الثقافة الكويت. ١٩٦٢
- ديوان مجنون ليلى. جمع وتحقيق عبد الستار أحمد فراج. مكتبة مصر
- ذكر أخبار أصبهان: أبو نعيم الأصبهاني. ليدن ١٩٣٤م.
- الرسالة القشيرية: عبد الكريم بن هوازن القشيري. تحقيق عبد الحليم محمود، ومحمود بن الشريف. طبعة دار الشعب. القاهرة.
الرسالة المستطرفة لبيان مشهور كتب السنة المشرفة: محمد بن جعفر الكتاني. مطبعة دار الفكر ١٣٨٣ هـ - ١٩٦٤ م.
- روض الرياحين في حكايا الصالحين: عبد الله بن أسعد اليافعي. باعتناء: محمد أديب الجادر، وعدنان عبد ربه، ومأمون الصاغرجي. دار البشائر ١٤١٦ هـ - ١٩٩٥ م.
- الزهد: أحمد بن حنبل. دار الكتب العلمية ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م.
- الزهد الكبير: البيهقي. عامر أحمد حيدر مؤسسة الكتب الثقافية بيروت ١٩٩٦م.
- سنن ابن ماجه. تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي. دار الفكر.
- سنن أبي داود. تحقيق عزت عبيد الدعاس وعادل السيد. دار الحديث حمص ١٣٨٨ هـ - ١٩٦٩ م.

- سنن الترمذي: تحقيق أحمد محمد شاكر وأساتذة. دار إحياء التراث العربي.
- السنن الكبرى: البيهقي: مصورة حيدرآباد الدكن. الهند ١٣٥٦هـ.
- سنن النسائي. باعتناء عبد الفتاح أبو غدة. مكتب المطبوعات الإسلامية بحلب ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٨ م.
- سير أعلام النبلاء: محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي. أشرف على تحقيقه شعيب الأرنؤوط. مؤسسة الرسالة ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م.
- السيرة النبوية: ابن هشام. تحقيق: مصطفى السقا، وإبراهيم الأبياري، وعبد الحفيظ شلبي. مصورة دار الخلود: بيروت.
- شذرات الذهب في أخبار من ذهب: عبد الحي بن العماد. دار المسيرة بيروت ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م.
- شعب الإيمان: أحمد بن الحسين البيهقي. تحقيق محمد السعيد زغلول. دار الكتب العلمية ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م.
- صحيح البخاري = فتح الباري.
- صحيح مسلم. تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي. دار إحياء الكتب العربية ١٣٧٤ هـ - ١٩٥٥ م.
- صفة الصفوة: ابن الجوزي. تحقيق محمود فاخوري. دار المعرفة ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م.
- الضعفاء الكبير: محمد بن عمرو العقيلي. تحقيق د. عبد المعطي قلعجي. دار الكتب العلمية بيروت ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م.
- طبقات الأولياء: عمر بن علي بن الملقن. تحقيق نور الدين شريبة. مكتبة الخانجي ١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣ م.
- طبقات الحنابلة: محمد بن أبي يعلى. باعتناء محمد حامد الفقي. مطبعة السنة المحمدية ١٣٧١ هـ - ١٩٥٢ م.
- طبقات خليفة: خليفة بن خياط. تحقيق أكرم ضياء العمري. مؤسسة الرسالة.
- طبقات الشاذلية: الحسن بن محمد الكوهن. باعتناء محمد أديب الجادر. دار البيروتي دمشق.
- طبقات الشافعية: عبد الرحيم الإسنوي. تحقيق عبد الله الجبوري. رئاسة ديوان الأوقاف العراق ١٣٩٠ هـ.
- طبقات الشافعية الكبرى: عبد الوهاب بن علي السبكي. تحقيق عبد الفتاح الحلو ومحمود محمد الطناحي. دار هجر ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م. طبعة ثانية.
- طبقات الشعراني = الطبقات الكبرى.
- الطبقات الصغرى للمناوي = إرغام أولياء الشيطان.
- طبقات الصوفية: أبو عبد الرحمن السلمي. تحقيق نور الدين شريبة. الناشر جماعة الأزهر للنشر والتأليف ١٣٧٢ هـ - ١٩٥٣ م.

ـ طبقات الفقهاء: أبو إسحاق الشيرازي. تحقيق إحسان عباس. دار الرائد العربي ١٩٧٠ م.
ـ طبقات الفقهاء الشافعية: ابن الصلاح. تحقيق محيي الدين علي نجيب. دار البشائر الإسلامية ١٤١٣ هـ ـ ١٩٩٢ م.
ـ الطبقات الكبرى: ابن سعد. دار صادر بيروت.
ـ الطبقات الكبرى: ابن سعد (القسم المتمم) تحقيق زياد محمد منصور. مكتبة العلوم والحكم المدينة المنورة ١٤٠٨ هـ ـ ١٩٨٧ م.
ـ الطبقات الكبرى (لواقح الأنوار في طبقات الأخيار): عبد الوهاب الشعراني. دار الفكر.
ـ الطبقات الكبرى للمناوي = الكواكب الدرية.
ـ العبر في خبر من غبر. محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي. تحقيق د. صلاح الدين المنجد. دائرة المطبوعات والنشر في الكويت ١٩٦٠ م.
ـ العبر (نص مستدرك): الذهبي. محمد رياض مراد. مجمع اللغة العربية دمشق.
ـ العظمة: عبد الله الأصبهاني. تحقيق رضا الله المبارك فوري. دار العاصمة. الرياض. ١٤٠٨هـ.
ـ العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين: محمد بن أحمد الحسني الفاسي. تحقيق محمد حامد الفقي. مؤسسة الرسالة. ١٤٠٦ هـ ـ ١٩٨٦ م.
ـ عيون الأخبار ابن قتيبة. المؤسسة المصرية العامة للتأليف.
ـ غاية النهاية في طبقات القراء: محمد بن محمد بن الجزري. باعتناء برجستراسر. مكتبة الخانجي ١٣٥١ هـ ـ ١٩٣٢ م.
ـ فتح الباري شرح صحيح البخاري: أحمد بن علي بن حجر العسقلاني. تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي. دار الفكر دمشق.
ـ الفرج بعد الشدة: المحسن بن علي التنوخي. تحقيق عبود الشالجي. دار صادر ١٣٩٨هـ ـ ١٩٧٨م.
ـ الفردوس بمأثور الخطاب: شيرويه بن شهردار الديلمي. تحقيق السعيد بن بسيوني زغلول. دار الكتب العلمية ١٤٠٦ هـ ـ ١٩٨٦ م بيروت.
ـ فضائل الصحابة: أحمد بن حنبل. تحقيق وصي الله عباس. مؤسسة الرسالة ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م.
ـ الفهرست: محمد بن إسحاق ابن النديم. المكتبة التجارية الكبرى بمصر.
الفهرسة: ابن خير.
ـ فوات الوفيات: محمد شاكر الكتبي. تحقيق إحسان عباس. دار صادر.
ـ الفوائد البهية في تراجم الحنفية: محمد عبد الحي اللكنوي. باعتناء محمد بدر الدين النعساني. مطبعة السعادة ١٣٢٤ هـ.
ـ فيض القدير شرح الجامع الصغير: عبد الرؤوف المناوي. المكتبة التجارية مصر.

- الكامل في التاريخ: علي بن محمد ابن الأثير. دار صادر بيروت ١٣٨٥ هـ ـ ١٩٦٥ م.
- الكامل في ضعفاء الرجال: عبد الله بن عدي الجرجاني. تحقيق د. سهيل زكار. دار الفكر بدمشق ١٤٠٩ هـ ـ ١٩٨٨ م.
- كشف الخفا ومزيل الالتباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس: إسماعيل بن محمد العجلوني. مكتبة القدسي ١٣٥١ هـ.
- كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون: حاجي خليفة. مكتبة المثنى بغداد.
- كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال: علاء الدين المتقي بن حسام الدين الهندي. باعتناء بكري حياني، وصفوة السقا. مؤسسة الرسالة ١٤٠٩ هـ ـ ١٩٨٩ م.
- الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية (الطبقات الكبرى): عبد الرؤوف المناوي. تحقيق محمد أديب الجادر. دار صادر ١٩٩٩
- اللباب في تهذيب الأنساب. علي بن محمد ابن الأثير مكتبة القدسي بمصر ١٣٥٧ هـ.
- لسان لعرب. دار صادر.
- لسان الميزان: أحمد بن علي بن حجر العسقلاني. مجلس دائرة المعارف النظامية بحيدرآباد الدكن الهند ١٣٣١ هـ.
- اللمع في التصوف: أبو نصر الطوسي. باعتناء نيكلسون. ليدن ١٩١٤م.
- متن اللغة: أحمد رضا. دار مكتبة الحياة. بيروت ١٣٧٧ هـ ـ ١٩٥٨ م.
- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد: علي بن أبي بكر الهيثمي. مكتبة القدسي ١٣٥٢ هـ مصر
- محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء. الراغب الأصفهاني. مكتبة الحياة بيروت ١٩٦١م.
- المختار من مناقب الأخيار: ابن الأثير. تحقيق مأمون الصاغرجي، عدنان عبد ربه، محمد أديب الجادر مركز زايد للتراث والتاريخ ٢٠٠٢م.
- مختصر تاريخ دمشق: ابن منظور تحقيق لفيف من الأساتذة. دار الفكر ١٤٠٤ هـ ـ ١٩٨٤ م.
- مراصد الاطلاع: صفي الدين عبد المؤمن البغدادي. تحقيق علي محمد البجاوي. دار إحياء الكتب العربية ١٣٧٣هـ ـ ١٩٥٤م.
- مرآة الجنان وعبرة اليقظان: عبد الله بن أسعد اليافعي. مطبعة دائرة المعارف النظامية. حيدرآباد الدكن ١٣٣٧ هـ.
المستدرك على الصحيحين: محمد بن عبد الله الحاكم. مطبعة دائرة المعارف النظامية بحيدرآباد الدكن ١٣٣٤ هـ.
- المستفاد من ذيل تاريخ بغداد: محب الدين بن النجار البغدادي. تحقيق محمد مولود خلف. مؤسسة الرسالة ١٤٠٦ هـ ـ ١٩٨٦ م.

ـ مسند أبي داود الطيالسي. دار المعرفة بيروت.
ـ مسند أبي يعلى الموصلي: أحمد بن علي بن المثنى. تحقيق حسين سليم أسد. دار المأمون للتراث ١٤٠٤ هـ ـ ١٩٨٤ م دمشق.
ـ مسند الإمام أحمد بن حنبل. المكتب الإسلامي، ودار صادر بيروت.
ـ مشاهير علماء الأمصار: محمد بن حبان البستي. باعتناء فلايشهمر. مطبعة لجنة التأليف والترجمة ١٣٧٩ هـ ـ ١٩٥٩ م.
ـ المصنف: عبد الرزاق الصنعاني. تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي. المجلس العلمي. ١٣٩٠هـ ـ ١٩٧٠م.
ـ المصنف في الأحاديث والآثار: أبو بكر بن أبي شيبة. باعتناء محمد عبد السلام شاهين. دار الكتب العلمية.
ـ المعارف: عبد الله بن مسلم بن قتيبة. تحقيق ثروة عكاشة. مطبعة دار الكتب بمصر ١٩٦٠ م.
ـ معاهد التنصيص: عبد الرحيم بن أحمد العباسي. تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد. مصورة عالم الكتب. بيروت.
ـ المعجم الأوسط: سليمان بن أحمد الطبراني. تحقيق د. محمود الطحان. مكتبة المعارف الرياض ١٤٠٥ هـ ـ ١٩٨٥ م.
ـ معجم البلدان: ياقوت الحموي. دار صادر، ودار بيروت ١٣٧٤ هـ ـ ١٩٥٥ م.
ـ المعجم الذهبي: محمد التونجي. المستشارية الثقافية الإيرانية بدمشق ١٩٩٢م.
ـ المعجم الصغير: سليمان بن أحمد الطبراني. تحقيق كمال يوسف الحوت. مؤسسة الكتب الثقافية ١٤٠٦ هـ ـ ١٩٨٦ م.
ـ المعجم الكبير: سليمان بن أحمد الطبراني. تحقيق حمدي عبد الحميد السلفي. وزارة الأوقاف والشؤون الدينية. العراق.
ـ المعجم المفصل بأسماء الملابس عند العرب: رينهارت دوزي. وزارة الأعلام العراقية.
ـ معجم المؤلفين تراجم مصنفي الكتب العربية: عمر رضا كحالة. المكتبة العربية بدمشق ١٣٧٦ هـ ـ ١٩٥٧ م.
ـ المحب والمحبوب والمشموم والمشروب: السري الرفاء. تحقيق مصباح غلاونجي. مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق. ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م.
ـ المعرب من الكلام الأعجمي: الجواليقي. تحقيق أحمد محمد شاكر. دار الكتب المصرية ١٣٦١هـ.
ـ معرفة الرجال: يحيى بن معين. مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق ١٤٠٥ ـ ١٩٨٥
ـ معرفة القراء الكبار: محمد بن أحمد الذهبي. تحقيق بشار معروف وصالح عباس وشعيب الأرنؤوط. مؤسسة الرسالة ١٤٠٤ هـ ـ ١٩٨٤ م.

- مفتاح السعادة ومصباح السيادة: طاش كبري زاده. مطبعة دائرة المعارف النظامية حيدرآباد الدكن.
- المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة: محمد بن عبد الرحمن السخاوي. صححه عبد الله محمد الصديق. مكتبة الخانجي بمصر، ومكتبة المثنى ببغداد ١٣٧٥ هـ ـ ١٩٥٦ م.
- مكارم الأخلاق: ابن أبي الدنيا. تحقيق جيمز أ. بلمي. النشرات الإسلامية المانيا ١٣٩٣هـ ـ ١٩٧٣م.
- المكنون في مناقب أبي الفيض ذي النون. مخطوط تشستربتي.
- الملامتية وأهل التصوف وأهل الفتوة: تأليف د أبو العلا عفيفي. دار إحياء الكتب العربية بمصر ١٣٦٤هـ ـ ١٩٤٥م.
- الملل والنحل: محمد بن عبد الكريم الشهرستاني. تحقيق محمد سيد كيلاني. دار المعرفة ١٤٠٠هـ ـ ١٩٨٠م.
- المنتظم في تاريخ الملوك والأمم: عبد الرحمن بن علي الجوزي. مطبعة دائرة المعارف النظامية بحيدرآباد الدكن ١٣٥٧ هـ.
- الموضوعات: ابن الجوزي: تحقيق عبد الرحمن محمد عثمان. المدينة المنورة ١٩٦٨م.
- الموطأ: الإمام مالك بن أنس. تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي. دار إحياء الكتب العربية ١٣٧٠ هـ ـ ١٩٥١ م.
- موسوعة فقه سفيان الثوري. محمد رواس قلعة جي. دار النفائس ١٤١٠هـ ـ ١٩٩٠م.
ميزان الاعتدال في نقد الرجال: الذهبي. تحقيق علي محمد البجاوي. دار إحياء الكتب العربية ١٣٨٢ هـ ـ ١٩٦٣ م.
- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة: يوسف بن تغري بردي. مصورة عن طبعة دار الكتب.
- نفحات الأنس في حضرات القدس: عبد الرحمن الجامي. تحقيق محمد أديب الجادر. دار الكتب العلمية. بيروت ٢٠٠٣
- النهاية في غريب الحديث والأثر المبارك بن محمد ابن الأثير الجزري. تحقيق طاهر الزاوي، ومحمود الطناحي. دار إحياء الكتب العربية ١٣٨٣ هـ ـ ١٩٦٣ م.
- هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين: إسماعيل باشا بن محمد أمين. مكتبة المثنى بغداد.
- الوافي بالوفيات: خليل بن أيبك الصفدي. النشرات الإسلامية لجمعية المستشرقين الألمان ١٩٣١ م.
- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان: أحمد بن محمد بن خلكان. تحقيق د. إحسان عباس. دار صادر.

* * *

فهرس المترجمين بحسب ترتيب المؤلف

* * *

فهرس الموضوعات

* * *